الكامل في التاريخ

تأليف

المؤرخ عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد
أبي عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني
المعروف بابن الأثير
(٥٥٥ - ٦٣٠ هـ)

حققه واعتنى به
الدكتور عمر عبد السلام تدمري
أستاذ التاريخ الإسلامي في الجامعة اللبنانية
عضو الهيئة العربية العليا لإعادة كتابة تاريخ الامة
في اتحاد المؤرّخين العرب

الجزء الثالث

من قيام الدولة الأموية حتى وفاة عبد الملك
(من سنة ٤١ - الى سنة ٨٦ هـ)

الناشر
دار الكتاب العربي
بيروت - لبنان

الكامل في التاريخ

ISBN: 978-9953-27-014-2

الناشر

دار الكتاب العربي

DAR AL KITAB AL ARABI

شارع فردان، بناية بنك بيبلوس،
الطابق الثامن، ص. ب. 11-5769
بيروت 2200 1107 لبنان

Verdun St., Byblos Bank Bldg.,
8th, floor, P.O. Box 11-5769
Beirut 1107 2200 Lebanon

هاتف 861178 - 862905 - 800811 Tel (+961 1)
فاكس 805478 Fax (+961 1)

بريد إلكتروني **daralkitab@idm.net.lb**
academia@dm.net.lb

www.kitabalarabi.com
www.academiainternational.com

9 789953 270142

الكامل

في التاريخ

بسم الله الرحمن الرحيم

٤١
ثم دخلت سنة إحدى وأربعين

ذكر تسليم الحسن بن عليّ الخلافة إلى معاوية

كان أمير المؤمنين عليّ قد بايعه أربعون ألفاً من عسكره على الموت لما ظهر ما كان يُخبرهم به عن أهلِ الشام، فبينما هو يتجهّز للمسير قُتل، عليه السلام، وإذا أراد الله أمراً فلا مردّ له. فلمّا قُتل، وبايع الناسُ ولدَه الحسن، بلغه مسيرُ معاوية في أهل الشام إليه، فتجهّز هو والجيش الذين كانوا بايعوا عليّاً، وسار عن الكوفة إلى لقاء معاوية، وكان قد نزل مَسْكِن، فوصل الحَسَن إلى المدائن، وجعل قيسَ بن سعد بن عُبادة الأنصاريّ على مقدّمته في اثني عشر ألفاً[١]. (وقيل: بل كان الحسن قد جعل على مقدّمته عبد الله بن عبّاس، فجعل عبدُ الله على مقدّمته في الطلائع قيسَ بن سعد بن عُبادة)[٢]. فلمّا نزل الحسن المدائن نادى مُنادٍ في العسكر: ألا إنّ قيس بن سعد قُتل فانفروا. فنفروا بُسرادِق الحسن، فنهبوا متاعه[٣] حتى نازعوه بساطاً كان تحته، فازداد لهم بُغضاً ومنهم ذُعْراً، ودخل المقصورةَ البيضاء بالمدائن، وكان الأمير على المدائن سعد بن مسعود الثقفيّ عمّ المُختار بن أبي عُبَيد، فقال له المختار، وهو شابّ: هل لك في الغِنى والشَرَف؟ قال: وما ذاك؟ قال: تستوثق من الحسن وتستأمن به إلى معاوية. فقال له عمّه: عليك لعنة الله! أثِب على ابن بنت رسول الله ﷺ وأوثقه؟ بئس الرجل أنت![٤].

فلمّا رأى الحسن تفرُّق الأمر عنه كتب إلى معاوية، وذكر شُروطاً وقال له: إنْ أنت أعطيتني هذا، فأنا سامعٌ مُطيعٌ وعليك أن تفيَ لي به[٥]. وقال لأخيه الحسين وعبد الله بن

---

(١) تاريخ الطبري ٥/١٦٠.
(٢) ما بين القوسين من النسخة (ر).
(٣) من النسخة (ي).
(٤) تاريخ الطبري ٥/١٥٩.
(٥) تاريخ الطبري ٥/١٦٢.

جعفر: إنّي قد راسلتُ معاوية في الصلح. فقال له الحسين: (أنشدك الله أن تصدّق أحدوثةَ معاوية. وتكذّب أحدوثة أبيك! فقال له الحسن)[١]: اسكتْ، أنا أعلم بالأمر منك[٢].

فلمّا انتهى كتاب الحسن إلى معاوية أمسكه، وكان قد أرسل عبدَ الله بن عامر، وعبدَ الرحمن بن سَمُرة بن حَبيب بن عبد شمس إلى الحَسَن قبل وصول الكتاب[٣] ومعهما صحيفة بيضاء مختوم[٤] على أسفلها، وكتب إليه: أن اشترِطْ في هذه الصحيفة التي ختمتُ أسفلها ما شئتَ فهو لك.

فلمّا أتت الصحيفة إلى الحسن اشترط أضعافَ الشُروط التي سأل معاويةَ قبل ذلك، وأمسكها عنده، فلمّا سلّم الحسنُ الأمرَ إلى معاوية طلب أن يُعطيه الشروط التي في الصحيفة التي ختم عليها معاوية، فأبَى ذلك معاوية وقال له: قد اعطيتُك ما كنت تطلب[٥]. فلمّا اصطلحا قام الحسن في أهل العراق فقال: يا أهل العراق، إنّه سخّى بنفسي عنكم ثلاثٌ: قَتْلُكم أبي، وطعنُكم إيّاي، وانتهابُكم متاعي[٦].

وكان الذي طلب الحسنُ من معاوية أن يُعطيه ما في بيت مال الكوفة، ومبلغه خمسة آلاف ألف، وخراج دارابجرد من فارس، وأن لا يشتم عليّاً، فلم يُجِبْه إلى الكفّ عن شتْم عليّ، فطلب أن لا يُشْتَم وهو يسمع، فأجابه إلى ذلك ثمّ لم يَفِ له به أيضاً، وأمّا خراج دارابجرد، فإنّ أهل البصرة منعوه منه وقالوا: هو فَيْئنا لا نُعْطيه أحداً[٧]، وكان منْعُهم بأمر معاوية أيضاً.

وتسلّم معاوية الأمر لخمسٍ بقين من ربيع الأوّل من هذه السنة[٨]، وقيل: في ربيع الآخر[٩]، وقيل: في جُمَادى الأولى[١٠]. وقيل: إنّما سلّم الحسنُ الأمرَ إلى معاوية لأنّه لما راسله معاوية في تسليم الخلافة إليه خطب الناسَ، فحمد الله وأثنى عليه وقال: إنّا والله

(١) بين القوسين من الأصل (ب).
(٢) تاريخ الطبري ٥/ ١٦٠.
(٣) تاريخ الطبري ٥/ ١٦٠.
(٤) الأصل «مختومة».
(٥) تاريخ الطبري ٥/ ١٦٢.
(٦) الطبري ٥/ ١٦٥.
(٧) الطبري ٥/ ١٦٥.
(٨) البداية والنهاية ٨/ ١٨.
(٩) الطبري ٥/ ١٦٥، البداية والنهاية ٨/ ١٨.
(١٠) الطبري ٥/ ١٦٤، البداية والنهاية ٨/ ١٨.

مـا يُثْنينا عن أهـل الشام شـكّ ولا ندم، وإنّمـا كنّا نقـاتل أهـل الشام بـالسّلامـة والصبر، فشِيبتِ[1] السلامة بالعداوة، والصبـرُ بالجـزع، وكنتم في مسيركم إلى صِفّين ودِينكم أمـام دنيـاكم. وأصبحتم اليوم ودُنيـاكم أمام دينكم، ألا وقـد أصبحتم بين قتيلين: قتيل بصِفّين تبكون له، وقتيل بالنهروان تطلبون بثأره، وأمّا الباقي فخاذل، وأمّا البـاكي فثائـر، ألا وإنّ معاوية دعانا لأمرٍ ليس فيه عزّ ولا نَصَفةٌ، فإن أردتم الموت رددناه عليه وحاكمناه إلى الله، عزّ وجلّ، بظُبي السيوف، وإن أردتم الحياة قبلناه وأخذنا لكم الرضى.

فناداه النّاسُ من كلّ جانب: البقيّةَ البقيّةَ! وأمضى الصُّلح.

ولما عزم على تسليم الأمر إلى معاويـة خطب النـاسَ فقال: أيّهـا الناس إنّمـا نحن أمـراؤكم وضيفـانكم، ونحن أهـل بيت نبيّكم الّـذين أذهب الله عنهم الـرِّجس وطهّـرهم تـطهيراً. وكـرّر ذلك حتّى مـا بقي في المجلس إلاّ مَنْ بكي حتى سُمع نشيجـه[2]. (فلمّا ساروا إلى معاوية في الصُّلح اصطلحا على ما ذكرناه)[3] وسلّم إليه الحسنُ الأمرَ.

وكانت خلافة الحسن، على قول مَنْ يقول: إنّه سلّم الأمر في ربيع الأوّل، خمسـة أشهر ونحو نصف شهر، وعلى قول مَنْ يقول: في ربيع الآخر، يكون ستـة أشهر وشيئـاً، وعلى قول مَن يقول: في جُمادَى الأولى، يكون سبعة أشهر وشيئاً، والله تعالى أعلم.

ولما اصطلحا، وبايـع الحسنُ معاويـةَ دخل معـاويةُ الكـوفة وبـايعه النـاس، وكتب الحسنُ إلى قيس بن سعد، وهو على مقدّمته في اثني عشر ألفاً، يأمره بالدخول في طاعـة معـاويـة، فقام قيس في النـاس فقال: أيّهـا الناس اختاروا الـدَّخول في طاعة إمامِ ضلالةٍ، أو القتال مع غير إمام. فقال بعضهم: بل نختار الدخول في طاعـة إمام ضـلالة. فبايعوا معاوية أيضاً فانصرف قيس فيمَنْ تَبِعه، على ما نذكره.

ولما دخل معاويةُ الكـوفة قـال له عمـرو بن العاص ليـأمر الحسنَ أن يقـوم فيخطب الناس ليظهر لهم عِيُّه. فخطب معاويـةُ الناس، ثمّ أمـرَ الحسنَ أن يخطبهم. فقـام فحمد الله بديهةً، ثمّ قال: أيّها الناس، إنّ الله هداكم بأوّلنا، وحقن دمـاءكم بآخرنا، وإنّ لهـذا الأمر مدة والدُّنيا دُوَلٌ، وإنّ الله، عزّ وجلّ، قـال لنبيّه: ﴿**وَإنْ أدْري لَعَلَّهُ فِتْنَـةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إلى حِينٍ**﴾[4]. فلمّا قاله قال له معاوية: إجلسْ، وحَقَدَها على عمرو وقال: هذا من رأيك[5].

---

(١) في الأصل: «فثنيت»، وفي (ر): «فنبشت».
(٢) في (ر): «نحيبه». والخبر في: تاريخ الطبري ١٦٥/٥.
(٣) العبارة بين القوسين، وردت في الأصل والنسخة (ر) على هذا النحو: « وراسل معاوية».
(٤) سورة الأنبياء، الآية: ١١١.
(٥) تاريخ الطبري ١٦٣/٥، البداية والنهاية ١٨/٨، البدء والتاريخ ٢٣٧/٥

ولحِق الحسنُ بالمدينة وأهل بيته وحشمهم، وجعل الناس يبكون عند مسيرهم من الكوفة.

وقيل للحسن: ما حَمَلَك على ما فعلت؟ فقال: كرهتُ الدّنيا، ورأيتُ أهل الكوفة قوماً لا يَثِقُ بهم أحدٌ أبداً إلاّ غُلب، ليس أحد منهم يوافق آخر في رأي ولا هوى، مختلفين لا نيّة لهم في خيرٍ ولا شرّ، لقد لقي أبي منهم أموراً عظاماً فليت شِعْري لمن يصلحون بعدي، وهي أسرع البلاد خراباً!

ولما سار الحسن من الكوفة عرض له رجل فقال له: يا مسوِّد وجوه المسلمين! فقال: لا تعذلْني[1] فإنّ رسول الله ﷺ، رأى في المنام بني أُميّة ينزونَ على منبره رجلاً فرجلاً، فساءه ذلك، فأنزل الله، عز وجلّ: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾[2]، وهو نهر في الجنّة، و﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[3]، إلى قوله تعالى: ﴿خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[4]، يملكها بعدك بنو أميّة[5].

ذكر صُلح معاوية وقيس بن سعد

(وفيها جرى الصلح بين معاوية وقيس بن سعد، وكان قيس امتنع من ذلك، وسبب امتناعه)[6] أنّ عُبَيد الله بن عبّاس لما علم بما يريده الحَسَن من تسليم الأمر إلى معاوية، كتب إلى معاوية يسأله الأمان لنفسه على ما أصاب من مالٍ وغيره، فأجابه إلى ذلك، وأرسل عبدَالله بن عامر في جيشٍ كثيف، فخرج إليهم عُبيد الله ليلاً، وترك جُنْده الّذين هو عليهم بغير أمير، وفيهم قيس بن سعد، فأمّر ذلك الجندُ عليهم قيس بن سعد، وتعاقدوا هو وهم على قتال معاوية، حتّى يشرط لشيعة عليّ ولمن كان معه على دمائهم وأموالهم[7]. وقيل: إنّ قيساً كان هو الأمير على ذلك الجيش، (في المقدّمة، على ما ذكرناه، وكان شديد الكراهة لإمارة معاوية بن أبي سفيان[8]، فلمّا بلغه أنّ الحسن بن عليّ صالح معاوية اجتمع معه جمْع كثير، وبايعوه على قتال معاوية، حتى يشترط

(١) في البداية والنهاية: «لا تؤنّبني».
(٢) أول سورة الكوثر.
(٣) أول سورة القدْر.
(٤) سورة القدر، الآية: ٣.
(٥) البداية والنهاية ١٨/٨، البدء والتاريخ ٢٣٨/٥.
(٦) ما بين القوسين من نسخة (ش).
(٧) تاريخ الطبري ١٦٣/٥، ١٦٤.
(٨) ما بين القوسين من (ش).

لشيعة عليّ على دمائهم وأموالهم وما كانوا أصابوا في الفتنة، فراسله معاوية يدعوه إلى طاعته، وأرسل إليه بسِجِلّ، وختم على أسفله وقال له: اكتب في هذا ما شئتَ فهو لك. فقال عمرو لمعاوية: لا تُعطِهِ هذا وقاتلْه. فقال معاوية: على رِسلك، فإنّا لا نَخْلُص إلى قتلهم حتى يقتلوا أعدادهم من أهل الشام، فما خير العيش بعد ذلك؟ فإنّي والله لا أقاتله أبداً حتى لا أجد من قتاله بُدّاً.

فلمّا بعث إليه معاوية ذلك السِّجِلّ اشترط قيس له ولشيعة عليّ الأمانَ على ما أصابوا من الدّماء والأموال، ولم يسأل في سِجِلّه ذلك مالاً، وأعطاه معاوية ما سأل ودخل قيس ومن معه في طاعته(١).

وكانوا يَعدُّون دُهاةَ الناس حين ثارت الفتنة خمسةً، يقال إنّهم ذَوُو رأي العرب ومكيدتهم: معاوية، وعمرو، والمُغيرة بن شُعْبة، وقيس بن سعد، وعبد الله بن بُدَيْل الخُزاعي، وكان قيس وابن بُدَيل مع عليّ، وكان المغيرة معتزلاً بالطائف(٢). ولما استقرّ الأمرُ لمعاوية دخل عليه سعد بن أبي وقّاص فقال: السلام عليك أيّها الملك! فضحك معاوية وقال: ما كان عليك يا أبا إسحاق لو قلتَ: يا أمير المؤمنين؟ فقال: أتقولها جذلان ضاحكاً؟ والله ما أُحبّ أنّي وليتُها بما وليتَها به!

ذكر خروج الخوارج على معاوية

قد ذكرنا فيما تقدّم اعتزال فَرْوة بن نَوْفل الأشجعيّ في خمسمائة من الخوارج ومسيرهم إلى شَهْرَزُور، وتركوا قتال عليّ والحسن؛ فلمّا سلّم الحسنُ الأمرَ إلى معاوية قالوا: قد جاء الآن ما لا شكّ فيه، فسيروا إلى معاوية فجاهدوه. فأقبلوا وعليهم فروة بن نوفَل حتى حَلّوا بالنُّخَيْلة عند الكوفة، وكان الحسن بن عليّ قد سار يريد المدينة، فكتب إليه معاوية يدعوه إلى قتال فروة، فلحِقه رسولُه بالقادسيّة أو قريباً منها، فلم يرجع وكتب إلى معاوية: لو آثرتُ أن أقاتل أحداً من أهل القِبلة لبدأتُ بقتالك، فإنّي تركتُك لصلاح الأمّة وحقْن دمائها.

فأرسل إليهم معاويةُ جمعاً من أهل الشام، فقاتلوهم، فانهزم أهلُ الشام، فقال معاوية لأهل الكوفة: والله لا أمان لكم عندي حتّى تكفّوهم(٣). فخرجَ أهلُ الكوفة فقاتَلوهم. فقالت لهم الخوارج: أليس معاوية عدوّنا وعدوّكم؟ دَعُونا حتى نُقاتله، فإن

---

(١) نهاية الأرب للنويري ٢٠/٢٨٩.

(٢) تاريخ الطبري ٥/١٦٤.

(٣) في تاريخ الطبري ٥/١٦٦: «حتى تكفّوا بوائقكم»، وكذا في: البداية والنهاية ٨/٢٢.

أصبنا كنّا قد كفيناكم عدوّكم، وإنْ أصابنا كنتم قد كفيتمونا. فقالوا: لا بدّ لنا من قتالكم. فأخذتْ أشجعُ صاحبَهم فروةَ فحادثوه ووعظوه فلم يرجع، فأخذوه قهراً وأدخلوه الكوفة، فاستعمل الخوارجُ عليهم عبدَ الله بن أبي الحَوْساء[1]، رجلاً من طيّء، فقاتلهم أهلُ الكوفة فقتلوهم في ربيع الأوّل، (وقيل: في ربيع الآخر)[2]، وقُتل ابن أبي الحَوْساء[3]، وكان ابن أبي الحوساء حين وليَ أمرَ الخوارج قد خُوّف من السلطان أن يصلبه[4]، فقال:

مـا إنْ أُبـالي إذا أرْواحُنـا قُبضتْ ... مـاذا فعَلتـمْ بـأوْصـالٍ وأبشـارِ
تجـري المَجَرّةُ والنَّسْـرانِ عن قـدَرٍ ... والشّمسُ والقمـرُ السّـاري بمقْـدارِ
وقـد علِمْتُ، وخيـرُ القـولِ أنفعُـهُ ... أنَ السّعيـدَ الـذي يَنجـو منَ النّـارِ

ذكر خروج حَوْثَرة[5] بن ذراع[6]

ولمـا قُتل ابن أبي الحَوْساء اجتمـعَ الخوارج، فـولّوا أمَـرهم حَـوْثـرة بن ذراع[6] بن مسعود الأسديّ، فقام فيهم وعاب فـروةَ بن نَوْفـلٍ لشكّه في قتـال عليّ، ودعا الخـوارجَ، وسار من بَرَاز الرُّوز[7]، وكان بهـا، حتى قدم النُّخيلة في مـائةٍ وخمسين، وانضمّ إليـه فَلُّ ابن أبي الحوساء، وهم قليل، فدعا معاوية أبا حَوْثرة فقال له: اخرجْ إلى ابنك فلعلّه يرقّ إذا رآك. فخـرج إليه وكلّمـه وناشـده وقال: ألا أجيئـك بابنـك، فلعلّك إذا رأيتَـه كـرهتَ فراقه؟ فقال: أنا إلى طعنـةٍ من يد كـافرٍ بـرمحٍ أتقلّب فيـه ساعـةً، أَشْوَقُ منّي إلى ابني. فرجع أبوه فأخبر معاوية بقولـه، فسيّرَ معـاويةُ إليهم عبـد الله بنِ عوْف الأحمـر في ألفين، وخرج أبو حَوْثرة فيمن خرج، فدعا ابنه إلى البراز، فقال: يـا أَبَهْ، لـك في غيري سَعَـة. وقاتلهم ابن عَوْف وصبـروا، وبارز حَـوثَـرَةُ عبـدَ الله بن عوف، فـطعنه ابن عـوف فقتله، وقتـل أصحابـه إلاّ خمسين رجلاً دخلوا الكـوفة، وذلـك في جُمَادى الآخـرة سنـة إحـدى

---

(١) في الأصل حُرّف إلى «الحوشا»، وفي تاريخ الطبري: «عبد الله بن أبي الحرّ» (١٦٦/٥).
(٢) ما بين القوسين من (ش) و (ر).
(٣) تاريخ خليفة ٢٠٣، ٢٠٤، تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ص ٧.
(٤) في (س): «يقتله».
(٥) تجرّف في الأصل إلى: «جويرة».
(٦) في طبعة صادر ٤١٠/٣: «وَداع» وما أثبتناه عن (ر)، وتاريخ خليفة ٢٠٤.
(٧) في (ر): دار الـرود. وفي نسخة المتحف البـريطاني: «زار الـروذ»، وفي نسخـة مكتبـة بـودليـان: «مـزار الـروذ». والمثبت يتفق مع طبعـة صادر ٤١٠/٣، ومعجم البلدان ٣٦٤/١ ففيـه: بَراز الـرُّوز: بالـزاي ثم ألف، ولام، وراء مضمومة، وواو ساكنة، وزاي. من طساسيج السواد ببغداد من الجانب الشرقي من إستان شاذقباذ، وكان للمعتضد به أبنية جليلة.

وأربعين[1]. ورأى ابن عوف بوجه حَوْثَرة أثَرَ السُّجود، وكان صاحب عبادة[2]، فندم على قتله، وقال:

قتلتُ أخا بني أسَدٍ سَفاهاً ... لعمرُ أبي فما لُقّيتُ رُشْدي
(قتلتُ مُصَلّياً مِحيْاءَ لَيْلٍ ... طويلَ الحزنِ ذا بِرّ وقَصْدِ)[3]
قتلتُ أخا تُقًى لا نالَ دنيا[4] ... وذاكَ لشِقْوَتي وعِثارِ جَدّي
فهبْ لي تَوْبَةً يا رَبّ واغفرْ ... لِما قارَفتُ من خطإٍ وعَمْدِ

ذكر خروج فَرْوة بن نَوْفل ومقتله

ثمّ إنّ فروة بن نوفَل الأشجعيّ خرج على المُغيرة بن شُعْبة بعد مسير معاوية، فوجّه إليه المُغيرة خيلاً عليها شَبَث بن رِبْعيّ، ويقال: مَعْقِل بن قيس، فلقيه بشَهْرَزُور فقتله، وقيل قُتل ببعض السواد.

ذكر شبيب بن بَجرَة

كان شبيب مع ابن مُلجَم حين قتل عليّاً، فلمّا دخل معاويةُ الكوفة أتاه شبيب كالمتقرّب إليه فقال: أنا وابن ملجم قتلنا عليّاً، فوثب معاوية من مجلسه مذعوراً حتى دخل منزله وبعث إلى أشجع وقال: لئن رأيتُ شبيباً أو بَلَغني أنّه ببابي لأُهْلِكنّكم، أَخْرِجوه عن بلدكم. وكان شبيب إذا جنّ عليه الليل خرج، فلم يلقَ أحداً إلاّ قتله، فلمّا ولي المغيرةُ الكوفة خرج عليه بالْقُفّ[5] قريب الكوفة، فبعث إليه المغيرةُ خيلاً عليها خالد بن عُرْفُطة، وقيل: مَعْقِل بن قيس، فاقتتلوا فقُتل شبيب وأصحابه.

---

(١) تاريخ خليفة ٢٠٤.

(٢) في الأصل: «سجادة».

(٣) هذا البيت من (ر).

(٤) في (ر): «ذنباً».

(٥) في الأصل، و(ر): «الطف»، وفي الطبعة الأوربية «بانْقُف»، والمثبت يتفق مع: معجم البلدان ٣٨٤/٤ وفيه أن: القف: موضع بأرض بابل قرب باجَوّا وسُورا، خرج منه شبيب بن بحرة (كذا) الأشجعي الخارجي المشارك لابن مُلجم في قتل علي، رضي الله عنه، في جماعة من الخوارج فخرج إليه أهل الكوفة في إمارة المغيرة بن شعبة فقتلوه.

ذكر مُعَين الخارجيّ

وبلغ المغيرة أنّ مُعَين بن عبد الله يريد الخروج، وهو رجل من محارب، وكان اسمُه مَعْناً فصُغِّر، فأرسل إليه، وعنده جماعة، فأُخذ وحُبس، وبعث المغيرةُ إلى معاوية يُخبره أمره، فكتب إليه: إنْ شهد أنّي خليفة فخَلِّ سبيله. فأحضره المغيرة وقال له: أتشهد أنّ معاوية خليفة وأنّه أمير المؤمنين؟ فقال أشهد أن الله، عزّ وجلّ، حقّ، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث مَنْ في القبور. فأمر به فقُتل، قتله قَبيصة الهلاليّ، فلمّا كان أيّام بِشر بن مروان جلس رجل من الخوارج على باب قَبيصة حتّى خرج فقتله، ولم يُعْرَف قاتله، حتّى خرج قاتله مع شبيب بن يزيد[1]، فلمّا قدم الكوفة قال: يا أعداء الله أنا قاتل قَبيصة!

ذكر خروج أبي مَرْيم

ثمّ خرج أبو مريم مولى بني الحارث بن كعب، ومعه امرأتان: قَطَام وكُحَيلة، وكان أوّل مَنْ أخرج معه النساء، فعاب ذلك عليه أبو بِلال بن أُدَيّة، فقال: قد قاتل النساءُ مع رسول الله ﷺ ومع المسلمين بالشام، وسأردّهما، فردّهما، فوجّه إليه المغيرةُ جابراً البَجلي، فقاتله، فقُتل أبو مريم وأصحابه ببادُورَيَا[2].

ذكر خروج أبي ليلى

وكان أبو ليلى رجلاً أسود طويلاً، فأخذ بعضادتَيْ باب المسجد بالكوفة وفيه عدّة من الأشراف، وحكّم بصوتٍ عالٍ، فلم يعرض له أحد، فخرج وتبِعه ثلاثون رجلاً من الموالي، فبعث فيه المُغيرة مَعْقِل بن قيس الرياحيّ، فقتله بسواد الكوفة سنة اثنتين وأربعين.

ذكر استعمال المُغيرة بن شُعْبة على الكوفة

وفيها استعمل معاويةُ عبدَ الله بن عمرو بن العاص على الكوفة، فأتاه المغيرة بن

---

(١) في الأصل: «زيد».

(٢) بادوريا: بالواو، والراء، وياء، وألِف. طسّوج من كورة الاستان بالجانب الغربي من بغداد، محسوب من كورة نهر عيسى بن علي.
وقالوا: كل ما كان من شرقي الصّراة فهو بادوريا، وما كان في غربها فهو قَطْرَبُل. (معجم البلدان ٣١٧/١).

شُعبة فقال له: استعملتَ عبد الله على الكوفة وأباه على مصر، فتكون أميراً بين نابَيِ الأسد[1]. فعزله عنها واستعمل المغيرةَ على الكوفة. وبلغ عَمراً ما قال المغيرة، فدخل على معاوية فقال: استعملتَ المغيرةَ على الخراج، فيغتال المال ولا تستطيع أن تأخذه منه، استعملْ على الخراج رجلاً يخافك ويتّقيك[2]. فعزله عن الخراج واستعمله على الصلاة[3].

ولما ولي المغيرة الكوفة استعمل كثير بن شهاب على الريّ، وكان يُكثر سبّ عليّ على منبر الرَّيّ[4]، وبقي عليها إلى أن وليَ زياد الكوفة، فأقرّه عليها، وغزا الدَّيْلَمَ ومعه عبد الله بن الحجّاج التّغلبيّ، وقتل ديلمياً وأخذ سَلْبه، فأخذه منه كثير، فناشده الله في ردّه عليه فلم يفعل، فاختفى له، وضربه على وجهه بالسيف أو بعصاً هشم وجهه، فقال:

مَنْ مُبلغٌ أفناءَ خِندِفَ أنّني ... أدركتُ طائلتي من ابنِ شهابِ
أدركتُه ليلاً بعَقْوةِ دارِهِ ... فضربْتُهُ قُدُماً على الأنيابِ
هلّا خشيتَ وأنتَ عادٍ[5] ظالمٌ ... بقصورِ أبهرَ أُسْرَتي وعقابي[6]

ذكر ولاية بُسْر على البصرة

في هذه السنة وليَ بُسْر بن أبي أرطاة البصرة.

وكان السبب في ذلك أنّ الحسن لما صالح معاوية أوّل سنة إحدى وأربعين، وثب حُمْران بن أبان على البصرة، فأخذها وغلب عليها، فبعث إليه معاويةُ بُسْرَ بن أبي أرطاة، وأمره بقتل بني زياد بن أبيه، وكان زياد على فارس قد أرسله إليها عليّ بن أبي طالب، فلمّا قدم بُسْر البصرةَ خطب على منبرها، وشتم عليّاً ثم قال: نشدتُ الله رجلاً يعلم أنّي صادق إلّا صدّقني، أو كاذب إلّا كذّبني. فقال أبو بكْرة: اللهمّ إنّا لا نعلمك إلّا كاذباً. قال: فأمر به فخُنق. فقام أبو لؤلؤة الضّبّيّ فرمى بنفسه عليه، فمنعه. وأقطعه أبو بكْرة مائة جريب، وقيل لأبي بكرة: ما حملك على ذلك؟ فقال: يناشدنا بالله ثمّ لا نصدّقه؟[7].

---

(١) في تاريخ الطبري ١٦٦/٥: «بين لحيَيْ الأسد»، وكذا في: البداية والنهاية ٢٢/٨.
(٢) في الأصل و (ر): «وينبيك»، وفي تاريخ الطبري: «من يخافك ويهابك ويتّقيك».
(٣) الطبري ١٦٦/٥، نهاية الأرب: ٢٩٠/٢٠.
(٤) نهاية الأرب ٢٩٠/٢٠.
(٥) في الأصل: «عال»، وفي (ر): «غاز».
(٦) في الأصل) «وصعابي».
(٧) تاريخ الطبري ١٦٧/٥، ١٦٨، نهاية الأرب ٢٩٠/٢٠، ٢٩١.

وأرسل معاوية إلى زياد: إنّ في يدك مالاً من مال الله، فأدِّ ما عندك منه. فكتب إليه زياد: إنّه لم يبقَ عندي شيء، ولقد صرفتُ ما كان عندي في وجهه، واستودعتُ بعضه لنازلةٍ إن نزلتْ، وحملت ما فَضَل إلى أمير المؤمنين رحمة الله عليه. فكتب إليه معاوية: أن أقبلْ ننظر فيما وُليتَ، فإن استقام بيننا أمر، وإلاّ رجعتَ إلى مأمنك. فامتنع، فأخذ بُسْر أولاد زياد، الأكابر، منهم: عبد الرحمن، وعُبيد الله، وعبّاد، وكتب إلى زياد: لَتَقْدَمَنّ على أمير المؤمنين، أو لأقتلنّ بنيك. فكتب إليه زياد: لستُ بارحاً من مكاني حتّى يحكم الله بيني وبين صاحبك، وإن قتلتَ وَلَديّ فالمصير إلى الله، ومن ورائنا الحسابِ، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾[1]. فأراد بُسْر قتْلهم، فأتاه أبو بكْرة فقال: قد أخذتَ ولد أخي بلا ذنب، وقد صالح الحسنُ معاويةَ على ما أصاب أصحابُ[2] عليّ حيث كانوا، فليس [لك] عليهم ولا على أبيهم سبيل[3]. وأجّله أيّاماً حتى يأتيه بكتاب معاوية، فركب أبو بَكْرة إلى معاوية، وهو بالكوفة، فلمّا أتاه قال له: يا معاوية إنّ الناس لم يُعْطوك بَيْعَتهم على قتْل الأطفال! قال: وما ذاك يا أبا بَكرة؟ قال: بُسْر يريد قتل بني أخي زياد. فكتب له بتخليتهم[4]. فأخذ كتابه إلى بُسْر بالكفّ عن أولاد زياد، وعاد فوصل البصرة يوم الميعاد، وقد أخرج بُسْر أولاد زياد مع طلوع الشمس ينتظر بهم الغروب ليقتلهم، واجتمع الناس لذلك، وهم ينتظرون أبا بَكرة، إذ رُفع لهم على نجيبٍ أو بِرْذَون يكدّه، فوقف عليه ونزل عنه، وألاح بثوبه، وكبّر وكبّر الناس معه، فأقبل يسعى على رِجلَيْه، فأدرك بُسْراً قبل أن يقتلهم، فدفع إليه كتاب معاوية، فأطلقهم.

وقد كان معاوية كتب إلى زياد حين قُتل عليّ يتهدّده، فقام خطيباً فقال: العجبُ من ابن آكلة الأكباد، وكهف النفاق، ورئيس الأحزاب يتهدّدني، وبيني وبينه (ابنا)[5] عمّ رسول الله ﷺ، يعني ابنَ عبّاس والحسنِ بن عليّ، في سبعين ألفاً واضعي سيوفَهم على عواتقهم! أما واللهِ لئن خَلَص إليّ[6] ليجدَنّي أحمزَ[7] ضرّاباً[8] بالسيف. فلمّا صالح الحسنُ معاويةَ، وقدِم معاويةُ الكوفة، تحصّن زياد في القلعة الّتي يقال لها قلعة زياد[9].

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧.
(٢) في تاريخ الطبري ١٦٨/٥: «على أمان أصحاب عليّ».
(٣) الطبري ١٦٨/٥.
(٤) الطبري ١٦٩/٥ وفيه بتقديم وتأخير للخبر.
(٥) من الأصل. وفي الطبعة الأوربية: «ابن».
(٦) في تاريخ الطبري ١٧٠/٥ «لئن خلص إليّ الأمر».
(٧) أحمز: شديداً. وفي الطبعة الأوروبية «أحمر ضرباً».
(٨) من(ش).
(٩) الطبري ١٧٠/٥، نهاية الأرب ٢٩٠/٢٠ ـ ٢٩٢.

(قول من قال في هذا: إنّ زياداً عنى ابن عبّاس، وهمٌ لأن ابن عبّاس فارق عليّاً في حياته)[1].

وقيل: إن معاوية أرسل هذا إلى زياد في حياة عليّ، فقال زياد هذه المقالة وعنى بها عليّاً. وكتب زياد إلى عليّ يُخبره بما كتب إليه معاوية، فأجابه بما هو مشهور، (وقد ذكرناه في استلحاق معاوية زياداً)[2].

(كلُّ ما في هذا الخبر بُسْر: فهو بضمّ الباء الموحّدة، والسّين المهملة الساكنة).

ذكر ولاية ابن عامر البصرة لمعاوية

ثمّ أراد معاويةُ أن يولّي عُتْبَة بن أبي سفيان البصرة، فكلّمه ابن عامر وقال له: إنّ لي بالبصرة ودائع وأموالاً، فإنْ لم تُوَلّني عليها ذَهَبَتْ. فولّاه البصرة. فقدِمها في آخر سنة إحدى وأربعين، وجعل إليه خُراسان وسَجِستان، فجعل على شُرطته حبيب بن شهاب، وعلى القضاء عَميرة بن يثربيّ أخا عَمرو[3]، وقد تقدّم في وقعة الجمل أن عَمِيرة قُتل فيها، وقيل: عَمرو هو المقتول[4]، (والله سبحانه أعلم بالصّواب)[5].

ذكر ولاية قيس بن الهَيْثم خراسان

وفي هذه السنة استعمل ابنُ عامر قيسَ بن الهَيثم السُّلَمي على خُراسان، وكان أهل باذَغيس وهَراة وبُوشَنْج قد نكثوا، فسار إلى بلْخ، فأخرب نُوبَهارَها[6]، كان الذي تولّى ذلك عطاء بن السّائب مولى بني لَيْث، وهو الخُشْك[7]، وإنّما سُمّي عطاء الخُشْك، لأنه

(١) ما بين القوسين من (ش).

(٢) ما بين القوسين من (ش).

(٣) تاريخ الطبري ١٧٠/٥، نهاية الأرب ٢٩٢/٢٠، ٢٩٣، البداية والنهاية ٢٢/٨.

(٤) نهاية الأرب ٢٩٣/٢٠ وهو الأرجح حسبما ورد في: جمهرة أنساب العرب لابن حزم، ص ١٩٥، والإصابة لابن حجر، ج ١١٩/٣.

(٥) ما بين القوسين زيادة من (ش).

(٦) نُوبَهار: بالضم ثم السكون، وباء موحّدة مفتوحة، وهاء، وألف، وراء، في موضعين أحدهما قرب الريّ، والآخر ببلخ، وهو بناء للبرامكة. بنوه أثناء عبادة الأوثان ليضاهوا به الكعبة المشرَّفة، فنصبوا حوله الأصنام وزيّنوه بالديباج والحرير، وعلّقوا عليه الجواهر النفيسة، وتفسير النُوبَهار: البهار الجديد، لأن نو: الجديد، وكانت سُنّتهم إذا بنوا بناءً حسناً أو عقدوا باباً جديداً أو طاقاً شريفاً كلّلوه بالريحان، وتَوَخّوا لذلك أول ريحان يطلع في ذلك الوقت، فلما بنوا ذلك البيت جعلوا عليه أول ما يظهر من الريحان وكان البهار فسُمّي نوبَهار لذلك. وكانت الفُرس تعظّمه وتحجّ إليه. (معجم البلدان ٣٠٧/٥).

(٧) في الأصل: «حسك، والحسك».

أوّل من دخل مدينة هَراة من المسلمين من باب خُشك، واتّخذ قناطر على ثلاثة أنهار من بلْخ على فرسخ، فقيل: قناطر عطاء.

ثمّ إنّ أهل بلْخ سألوا الصلحَ ومراجعة الطّاعة، فصالحهم قيس.

وقيل: إنّما صالحهم الربيع بن زياد سنة إحدى وخمسين وسيَرِد ذِكره. ثمّ قدِم قيس على ابن عامر، فضربه وحبسه، واستعمل عبد الله بن خازم، فأرسل إليه أهل هَراة وباذَغِيس وبُوشَنْج يطلبون الأمان والصّلْح، فصالحهم، وحمل إلى ابن عامر مالاً[1].

(عبد الله بن خازم: بالخاء المعجمة).

ذكر خروج سَهْم بن غالب

وفي هذه السنة خرج سَهْم بن غالب الهُجَيْميّ على ابن عامر في سبعين رجلاً، منهم الخَطيم الباهليّ، وهو يزيد بن مالك، وإنّما قيل له الخَطِيم لضربةٍ ضُربها على وجهه، فنزلوا بين الجسرين والبصرة، فمرّ بهم عُبادة بن فُرص[2] الليثيّ من الغزو، ومعه ابنه وابن أخيه، فقال لهم الخوارج: مَنْ أنتم؟ قالوا: قوم مسلمون. قالوا: كذبتم. قال عُبادة: سبحان الله! اقبلوا منّا ما قبل رسول الله ﷺ منّي، فإنّي كذّبتُهُ وقاتلتُهُ، ثمّ أتيتُه فأسلمتُ، فقبل ذلك منّي. قالوا: أنت كافر، وقتلوه وقتلوا ابنه وابن أخيه. فخرج إليهم ابن عامر بنفسه، وقاتلهم، فقتل منهم عدّة، وانحاز بقيّتهم إلى أجمَة، وفيهم سَهْم والخَطيم، فعرض عليهم ابن عامر الأمان فقبِلوه، فآمنهم، فرجعوا، فكتب إليه معاوية يأمر بقتلهم، فكتب إليه ابن عامر: إنّي قد جعلتُ لهم ذمّتك[3].

فلمّا أتى زياد البصرةَ سنة خمسٍ وأربعين هرب سَهْم والخطيم، فخرجا إلى الأهواز، فاجتمع إلى سهم جماعة، فأقبل بهم إلى البصرة، (فأخذ قوماً)[4]، فقالوا: نحن يهود، فخلّاهم، وقتل سعداً مولى قُدامة بن مَظعون، فلمّا وصل إلى البصرة تفرّق عنه أصحابه، فاختفى سَهْم، وقيل: إنّهم تفرّقوا عند استخفائه، فطلب الأمان، وظنّ أنّه يسوغ له عند زياد ما ساغ له عند ابن عامر، فلم يؤمِّنْه زياد، وبحث عنه، فدُلّ عليه، فأخذه وقتله وصلبه في داره.

---

(١) نهاية الأرب ٢٠/٢٩٣.

(٢) في النسخة (أ): «فرض»، وفي طبعة صادر ٣/٤١٧ «قُرص» بالقاف، والمثبت يتفق مع: تاريخ خليفة ٢٠٤، وتاريخ الطبري ٥/١٧١، وفي نسخة من تاريخ خليفة: «قرط»، بالطاء.

(٣) الخبر باختصار في: تاريخ خليفة ٢٠٤، وتاريخ الطبري ٥/١٧١.

(٤) في الأصل: «فلقي جماعة».

وقيل: لم يزلْ مستخفياً إلى أن مات زياد، فأخذه عُبيد الله بن زياد فصلبه سنة أربعٍ وخمسين، وقيل: قبل ذلك، فقال رجل من الخوارج:

فإن تكنِ الأحزابُ باؤوا بصَلبِهِ فلا يُبعِدَنَّ اللَّهُ سَهمَ بن غالبِ

وأمّا الخطيم فإنّه سأله زياد عن قتله عُبادة فأنكره، فسيّره إلى البحرين، ثمّ أعاده بعد ذلك.

ذكر عدّة حوادث

قيل: وفي هذه السنة وُلد عليّ بن عبد الله بن عبّاس، وقيل: وُلد سنة أربعين قبل أن يُقتل عليّ[1]، والأوّل أصحّ، وباسم عليّ سمّاه، وقال: سمّيتُه باسم أحبّ الناس إليّ.

وحجّ بالناس هذه السنة عُتْبَة بن أبي سفيان[2]، وقيل: عَنْبسة بن أبي سفيان[3].

وفي هذه السنة استعمل عمرُو بن العاص عُقْبَة بن نافع بن عبد قيس، وهو ابن خالة عَمرو، على إفريقية، فانتهى إلى لُواتة ومزاتة[4]، فأطاعوا ثمّ كفروا[5]، فغزاهم من سنته، فقتل وسبَى[6]، ثمّ افتتح في سنة اثنتين وأربعين غُدامِس، فقتل وسبَى[7]، وفتح في سنة ثلاثٍ وأربعين كُوَراً من كُوَرَ السُّودان، وافتتح وَدّان، وهي من بَرْقة[8]، وافتتح عامّة بلاد بربر، وهو الذي اختطّ القيروان سنة خمسين[9]، وسيُذكر إن شاء الله تعالى.

[الوَفَيَات]

وفيها مات لَبِيد بن ربيعة الشاعر[10]، وقيل: مات يوم دخل معاوية الكوفة، وعُمره

---

(١) تاريخ الطبري ١٧١/٥.
(٢) تاريخ خليفة ٢٠٥، تاريخ الطبري ١٧١/٥، مروج الذهب ٣٩٨/٤، نهاية الأرب ٢٩٣/٢٠، تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ٨، البداية والنهاية ٢٢/٨.
(٣) تاريخ الطبري ١٧١/٥، نهاية الأرب ٢٩٣/٢٠، البداية والنهاية ٢٢/٨. ووقع في تاريخ حلب للعظيمي ١٧٧ أن الذي حج بالناس في هذا العام هو معاوية بن أبي سفيان. وهذا وهْم.
(٤) في تاريخ خليفة: «لوبيا ومراقية».
(٥) في الأصل: «نكثوا».
(٦) هنا ينتهي الخبر في: تاريخ خليفة ٢٠٤، وانظر: فتوح البلدان للبلاذري ٢٦٩، وتاريخ الإسلام (عهد معاوية) ٨، والبيان المغرب لابن عذاري ١٥/١ (حوادث سنة ٤٢ هـ).
(٧) تاريخ خليفة ٢٠٥.
(٨) تاريخ خليفة ٢٠٦ وفيه: «وهي من حيّز برقة».
(٩) تاريخ خليفة ٢١٠، نهاية الأرب ٢١/٢٤.
(١٠) انظر عن (لبيد الشاعر) في:
المغازي للواقدي ٣٥٠، ٣٥١، وسيرة ابن هشام (بتحقيقنا) ٢٢/٢، ٤٤، ١٧٥ و١٣٥/٤، ٢١٢ -=

مائة سنة وسبْعُ وخمسون سنةً، وقيل: مات في خلافة عثمـان، وله صحبـة. وترك الشِّعـر مذ أسلم.

= ٢١٥، والمحبّر لابن حبيب ١٧٨، ٢٩٩، ٣٦٥، ٤٧٢، ٤٧٤، والتاريخ الكبير للبخاري ٧/٢٤٩ رقم ١٠٦٤، والتاريخ الصغير، له ٣١ و٣٢، والمعارف لابن قتيبة ٣٣٢، والشعر والشعراء، له ١/١٩٤ - ٢٠٤ رقم ٢٥، والسير والمغازي لابن إسحاق ١٧٩، والبرصان والعرجان للجاحظ ١٤، ٥٧، ٩٤، ٢٥٧، وحياة الحيوان ٥/١٧٣، وطبقات الشعراء لابن سلام ١١٣، وطبقات ابن سعد ٦/٣٣، والكامل في الأدب للمبرّد ٢/٦٠، ٦١، ٣٢٤ - ٣٢٦، والمقتضب ٣/٢٨٢، والمحتسب ١/٢٣٠، وتاريخ الطبري ٣/١٤٥ و٦/١٨٥، والمنتخب من ذيل المذيّل ٥٤١، ٥٤٢، وأنساب الأشراف ١/٢٢٨، ٤٦٦، والجرح والتعديل ٧/١٨١ رقم ١٠٢٥، والثقات لابن حبّان ٣/٣٦٠، والتاريخ لابن معين برواية الدوري ٢/٥٠٠، والعمدة لابن رشيق ١/٢٧، وتاريخ اليعقوبي ١/٢٦٨ و٢/٧٢، والكتاب لسيبويه ١/٢٤٥، ٤٥٦، والبدء والتاريخ للمقدسي ٥/١٠٨، ١٠٩، والمعمَّرين للسجستاني ٦٢، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ١٩٥، وثمار القلوب للثعالبي ١٠٢، ١٨٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢٣٤، ٢٣٧، ٤٧٦، وخاص الخاص، له ١٠٠، ١٠١، والزاهر للأنباري (انظر فهرس الأعلام) ٢/٦٥١، والمثلّث لابن السيد البطليوسي ١/٣٨٨، ٤٦٧، ٤٨٤ و٢/٢٦، ٤٣، ٧٧، ١١٢، ١٧٢، ١٨٣، ٢٠٨، ٢٧٥، ٣٥٨، ٣٨٥، ٤٠٦، وربيع الأبرار للزمخشري ٤/٣٢، والاستيعاب لابن عبد البر ٣/٣٢٤ - ٣٢٨، والأمالي للقالي ١/٥، ٧، ٩٥، ١٠٣، ١٠٤، ١٥٥، ١٥٨، ٢٣٥، ٢٨٦ و٢/١٦ و١٧، ١٩، ١٣٩، ٢١٣، ٢٦٣، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣١٥، ٣١٦ و٣/١٤٠، والأغاني ١٥/٣٦١ - ٣٧٩، ومجالس ثعلب ٤٤٩، ٤٥٠، ودلائل الإعجاز للجرجاني ٤٥، ٢٧٤، ٢٨٨، وأسرار البلاغة، له ٥٢، وشذور الذهب ٣٦٥، والدرر اللوامع ١/٣٧، والتصريح ١/٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٩، وحلية الأولياء ٧/٢٦٩ و٨/٣٠٩، وتاريخ بغداد ٣/٩٨ و٤/٢٥٤ و٨/١٨، ومعجم الشيوخ لابن جُمَيع الصيداوي (بتحقيقنا) ٢٩٥، وصفة الصفوة ١/٧٣٦، ٧٣٧ رقم ١١٤، والنقائض ٢٠١، والإشارات للهروي ٧٩، وأمالي المرتضى ١/٢١، ٢٥، ١١٧، ١٧١، ١٨٩ - ١٩٢، ١٩٤، ٣١٩، ٤٥٣، ٤٥٧، ٥٤٧، ٦١٨ و٢/٥٥، وهمع الهوامع ١/١٥٤، وشرح شواهد المغني ٥٦، ومعاهد التنصيص ١/٢٠٢، وشرح الأشموني ٢/٣٠، وتخليص الشواهد ٤١ - ٤٤، ١٥٣، ٤٢٠، ٤٥٣، ٤٧٨، ٤٨٠، وشرح القصائد التسع المشهورات لأبي جعفر النحاس ١/١٢٣ تحقيق أحمد خطاب، بغداد ١٣٩٣ هـ./١٩٧٣ م. والخصائص ٢/٣٥٣، وشرح مقامات الحريري للشريشي ١/٢١، وأسد الغابة ٤/٢٦٠ - ٢٦٢، والجامع الكبير لابن الأثير ٢٧، ١٤١، وشرح أدب الكاتب للجواليقي ٨٨، ٩٤، ١١٢، ١٩٥ ولباب الآداب لابن منقذ ٩٣، ٩٤، ٤٢٤، والمنازل والديار ١/٣٣، ٤٥، ١٢٣، ١٣٤، ١٩٤، ٢٩٢ و٢/٣٣٤، ووفيات الأعيان ٢/٢١٤ و٤/١٦٧ و٦/٤٨، ٤٩، و٧/٩٣، ٢٤٦، والعقد الفريد ٥/٢٧٠، والتذكرة الحمدونية ٢/٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، وتهذيب الأسماء واللغات ق ١ ج ٢/٧٠، ٧١ رقم ٩٤، وتاريخ الإسلام (عهد معاوية) - بتحقيقنا - ١٠٩ - ١١١، والإصابة ٣/٣٢٦، ٣٢٧ رقم ٧٥٤١، ومرآة الجنان ١/١١٩، والوفيات لابن قنفذ ٥٨، ٥٩، وشرح ديوان لبيد، طبعة دار القاموس الحديث، بيروت، ومعجم الشعراء في لسان العرب للدكتور ياسين الأيوبي ٣٥٦ - ٣٥٩ رقم ٩٠٥، والزهد لابن المبارك ٦٠، ٦١ وتاريخ الصحابة لابن حبان ٢٢٢ رقم ١٢٠٤.

٤٢
ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين

في هذه السنة غزا المسلمون اللّان، وغزوا الروم أيضاً، فهزموهم هزيمةً منكرة، وقتلوا جماعة[١] من بطارقتهم[٢].

وفيها وُلد الحجّاج بن يوسف[٣] في قَوْل.

وفيها ولّي معاويةُ مروانَ بن الحكَم المدينة، وولّى خالدَ بن العاص بن هشام مكّة، فاستقضى مروانُ عبدَ الله بن الحارث بن نَوْفل[٤].

وكان على الكوفة: المغيرة بن شُعْبة، وعلى قضائها شُرَيح، (وعلى خُراسان: قيس بن الهَيْثم استعمله ابنُ عامر، وقيل: استعمله معاوية لما استقامت له الأمور، فلمّا ولي ابن عامر البصرة أقرّه عليها[٥])[٦].

ذكر الخبر عن تحرّك الخوارج

وفي هذه السنة تحرّكت الخوارج الذين كانوا انحازوا عمّن قُتل في النهر، ومَنْ كان ارتُثّ من جراحته في النهر، فبرأوا وعفا عليّ عنهم، وكان سبب خروجهم أنّ حَيّان[٧] بن ظَبْيان السُّلَميّ كان خارجياً وكان قد ارتُثّ يوم النهر، فلمّا برأ لحِق بالرّيّ في رجالٍ معه،

---

(١) في طبعة صادر ٤٢٠/٣ «جماعتهم».
(٢) تاريخ الطبري ١٧٢/٥، المنتخب من تاريخ المنبجي (بتحقيقنا) ٦٦، تاريخ حلب للعظيمي ١٧٧، البداية والنهاية ٢٤/٨.
(٣) تاريخ الطبري ١٧٢/٥.
(٤) تاريخ الطبري ١٧٢/٥، نهاية الأرب ٢٩٤/٢٠.
(٥) تاريخ الطبري ١٧٢/٥، البداية والنهاية ٢٤/٨.
(٦) ما بين القوسين من (ش).
(٧) في الأصل: «ضابي»، والمثبت يتفق مع الطبري ١٧٣/٥.

فأقاموا بها حتّى بلغهم مقتل عليّ، فدعا أصحابه، وكانوا بضعة عشر، أحدهم سالم بن ربيعة العبسيّ، فأعلمهم بقتل عليّ، فقال سالم: لا شُلّتْ يمينٌ عَلَتْ قَذَالَهُ بالسيف! وحمدوا الله على قتله، رضي الله عنه ولا رضي عنهم[1]. ثمّ إنّ سالماً رجع عن رأي الخوارج بعد ذلك وصَلُح، ودعاهم حيّان إلى الخروج ومقاتلة أهل القِبْلة، فأقبلوا إلى الكوفة، فأقاموا بها حتّى قدِمَها معاوية، واستعمل على الكوفة المُغيرةَ بن شُعْبَة، فأحبّ العافية وأحسن السيرة، وكان يؤتَى فيقال له: إنّ فلاناً يرى رأي الشيعة، وفلاناً يرى رأي الخوارج، فيقول: قضى الله أن لا يزالوا مختلفين، وسيَحكم الله بين عباده فأمِنَه الناس.

وكانت الخوارج يلقى بعضهم بعضاً، ويتذاكرون مكان إخوانهم بالنهر، فاجتمعوا على ثلاثة نفر: على المُسْتَوْرِد بن عُلَّفَة التيميّ، من تَيم الرِّباب، وعلى مُعاذ بن جُوَين الطائيّ، وهو ابن عمّ زيد بن حُصَين[2] الذي قُتل يوم النهر، وعلى حَيّان بن ظَبيان السُّلَميّ، واجتمعوا في أربعمائة فتشاوروا فيمن يولّون عليهم، فكلّهم دفع الإمارة عن نفسه، ثمّ اتّفقوا فولّوا المستورد وبايعوه، وذلك في جُمادَى الآخرة، واتّعدوا للخروج واستعدّوا، وكان خروجهم غُرّة شعبان سنة ثلاثٍ وأربعين[3].

(عُلَّفَة: بضمّ العين المهملة، وتشديد اللام المكسورة، وفتح الفاء).

ذكر قدوم زياد على معاوية

وفي هذه السنة قدِم زياد على معاوية [من فارس].

وكان سبب ذلك أنّ زياداً كان قد استودع مالَه عبدَ الرحمن بن أبي بَكْرة، وكان عبد الرحمن يلي مالَه بالبصرة، وبلغ معاويةَ ذلك، فبعث المغيرة بن شُعْبة لينظر في أموال زياد، فأخذ عبدَ الرحمن فقال له: إنْ كان أبوك قد أساء إليّ لقد أحسن عمّك، يعني زياداً. وكتب إلى معاوية: أن عذِّبْ عبد الرحمن، فأراد أن يُعذر، وبلغ ذلك معاوية فقال لعبد الرحمن: احتفظ بما في يديك. وألقى على وجهه حريرة ونَضَحها بالماء، فغشي عليه، ففعل ذلك ثلاث مرّات، ثمّ خلّاه وكتب إلى معاوية: إنّي عذّبته فلم أُصبْ عنده شيئاً. وحفظ لزياد يده عنه. ثمّ دخل المغيرةُ على معاوية، فقال معاوية حين رآه:

إنّما موضعُ سِرِّ المَرْء إنْ ... باحَ بالسِّرِّ أخوهُ المُنتَصِحْ

(1) تاريخ الطبري ١٧٣/٥، البداية والنهاية ٢٤/٨.
(2) في (س): «حصن».
(3) تاريخ الطبري ١٧٥/٥.

فـإذا بُـحْـتَ بـسِـرّ فـإلـى ناصـحٍ يَـبـسـتـرُهُ أوْ لا تَـبُـحْ

فقال المغيرة: يا أمير المؤمنين إن تستودعني تستودعْ نـاصحاً مشفقـاً[1]، وما ذلـك؟ قال له معاوية: ذكـرتُ زياداً واعتصـامه بفـارس فلم أنمْ ليلتي. فقال المغيـرة: ما[2] زيـاد هناك؟ فقال معاوية: داهية العرب معـه أموال فـارس يدبِّـر[3] الحِيَل، مـا يؤمّنني أن يبايـع لرجل من أهل هذا البيت، فإذاً هو قد أعاد [عليٍّ] الحرب جَذَعـة، فقال المغيـرة: أتأذن لي يا أمير المؤمنين في إتيانه؟ قال: نعم، فأْتِهِ وتلطّفْ له.

فأتاه المغيرة وقال له: إنّ معاوية استخفّه الـوجلُ حتّى بعثني إليـك، ولم يكن أحد يمدّ يده إلى هـذا الأمر غيـر الحَسَن، وقد بـايع، فخـذْ لنفسك قبـل التّـوطين، فيستغني معاويةُ عنك. قال: أشِرْ عليّ (وارمِ الغرض الأقصى)[4]، فإنّ «المستشار مؤتَمَن»[5]. فقال له المغيرة: (أرى أن تصـل حبلك بحبله، وتشخص إليه ويقضي الله، وكتب إليـه معاويـة بأمانه بعد عَود المغيرة عنـه)[6]. فخرج زيـاد من فارس نحـو معاويـة، ومعه المِنْجـاب بن راشد الضّبّيّ وحارثة بن بدر الغُدانيّ.

وسرّح عبدُالله بن عامر عبدَ الله بن خازم في جمـاعة إلى فـارس وقال: لعلّك تَلْقى زياداً في طريقك فتأخذه. فسار ابن خازم، فلقي زياداً بأرّجان، فأخذ بعنانه وقال: انزلْ يا زياد. فقال لـه المنجاب[7]: تنحّ يا ابن السـوداء وإلاّ علّقتُ يدك بـالعِنان. وكـانت بينهم منازعة. فقال له زياد: قد أتاني كتاب معاوية وأمـانه. فتـركه ابن خـازم، وقدِم زيـاد على معاوية، وسأله عن أمـوال فارس، فـأخبره بمـا حمل منهـا إلى عليّ، وبما أنفق منهـا في الوجوه الّتي تحتاج إلى النفقة، وما بقي عنده، وأنّه مُودعٌ للمسلمين، فصدّقه معاوية فيمـا أنفق وفيما بقي عنده وقبضه منه[8].

---

(1) في تاريخ الطبري ٥/١٧٧: «شفيقاً».

(2) في (ر): «ما سلم زياد».

(3) في الطبعة الأوربية: «يدير».

(4) ما بين القوسين زيادة من الأصل.

(5) المستشار مؤتمن، حديث، روته أم سلمة، وأبو هريـرة، أخرجـه الترمـذي في الأدب (٢٨٢٣) و(٢٨٢٤) باب: إن المستشار مؤتمن. وأبـو داود في الأدب (١٥٢٨) باب: في المشـورة، وهو حـديث حسن. وابن مـاجة في الأدب (٣٧٤٥) بـاب: المستشـار مؤتمن، وأحمـد في المسنـد ٥/٢٧٤، والـدارمي ٢/٢١٩، والطبراني في المعجم الكبير ٢/٢٣٧ رقم (١٨٧٩)، والشهاب القضـاعي في مسنده ١/٣٨ رقم ٤، وابن جُميع الصيداوي في معجم الشيوخ ٩١ رقم ٣٦ من طريق عمرو بن دينار، عن جابر بن عبد الله.

(6) ما بين القوسين ورد بدله في الأصل: «تقدم عليه».

(7) في الأصل و(ر): «زياد»، وهو وهْم.

(8) تاريخ الطبري ٥/١٧٦ ـ ١٧٨، البداية والنهاية ٨/٢٤.

وقيل: إنّ زياداً لما قال لمعاوية قد بقيت بقيّة من المال وقد أودعتها، مكث معاوية يردده، فكتب زياد كتباً إلى قوم (أودعهم المال وقال لهم)[1]: قد علمتم ما لي عندكم من الأمانة، فتدبّروا كتاب الله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالجِبَالِ﴾[2] الآية؛ فاحتفظوا بما قِبَلكم. وسمّى في الكتب المال الذي أقرّ به لمعاوية، وأمر رسولَه أن يتعرّض لبعض من يُبلغ ذلك معاوية. ففعل رسوله، وانتشر ذلك، فقال معاوية لزياد حين وقف على الكتب: أخاف أن تكون مكَرتَ بي، فصالحْني على ما شئتَ. فصالحه على شيءٍ وحمله إليه، ومبلغه: ألف ألف درهم، واستأذنه في نزول الكوفة، فأذن له، فكان المُغيرة يكرمه ويُعظّمه. فكتب معاويةُ إلى المُغيرة ليلزم زياداً، وحُجْر بن عديّ، وسليمان بن صُرَد، وشَبَث بن رِبْعيّ، وابن الكوّا بن الحَمِق بالصّلاة في الجماعة، فكانوا يحضرون معه الصلاة[3]. (وإنّما ألزمهم بذلك لأنّهم كانوا من شيعة عليّ)[4].

ذكر عدّة حوادث

وحجّ هذه السنة بالناس عَنْبسة بن أبي سفيان[5].

[الوَفَيَات]

وفيها مات حَبيب بن مَسلمةَ الفِهريّ[6] بأرمينية، وكان أميراً لمعاوية عليها، وكان قد

---

(١) ما بين القوسين زيادة من الأصل.

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٧٢.

(٣) تاريخ الطبري ٥/١٧٩، نهاية الأرب ٢٠/٢٩٤ - ٢٩٧.

(٤) ما بين القوسين زيادة من (ش).

(٥) تاريخ خليفة ٢٠٥، تاريخ الطبري ٥/١٨٠، المنتخب من تاريخ المنبجي ٦٧، نهاية الأرب ٢٠/٢٩٧، شفاء الغرام ٢/٢٥٩. وفي مروج الذهب ٤/٣٩٨، وتاريخ حلب للعظيمي ١٧٧ إن الذي حج بالناس هو: «عتبة بن أبي سفيان».

(٦) انظر عن (حبيب بن مسلمة) في:
مسند أحمد ٤/١٥٩، والطبقات الكبرى لابن سعد ٧/٤٠٩، والتاريخ لابن معين ٢/٩٩، وطبقات خليفة ٢٨، ٣٠١، والمحبّر ٢٩٤، والتاريخ الكبير ٢/٣١٠ رقم ٢٥٨٣، والتاريخ الصغير ٥٠، ٦٧، والمعارف ٥٩٢، ٦١٥، وتاريخ أبي زرعة الدمشقي ١/٣٢٨، ٣٢٩، والمعرفة والتاريخ ١/٢٢٥ و٢/٤٢٧، ٤٢٩ و٣/١٨، وتاريخ خليفة ١٥١، ١٥٥، ١٦٣، ١٩٥، ٢٠٥، وفتوح البلدان (انظر فهرس الأعلام) ٣/٦١٠، وتاريخ الطبري (انظر فهرس الأعلام) ١٠/٢١٧، والجرح والتعديل ٣/١٠٨ رقم ٤٩٧، والمراسيل ٢٨، والعقد الفريد ٤/٢١، ٢٨، ومقدّمة مسند بقيّ بن مخلد ١٠٠ رقم ٢٣١، ومشاهير علماء الأمصار ٥٢ رقم ٣٤٥، والثقات ٣/٨١، وتاريخ الصحابة ٧٣ رقم ٢٦٩، والمعجم الكبير ٤/٢١ - ٢٦ رقم ٣٢٠، والمستدرك على الصحيحين ٣/٣٤٦، ٣٤٧، ٤٣٢، وجمهرة أنساب العرب ١٧٨، ١٧٩، والاستيعاب ١/٣٢٨ - ٣٣٠، والسابق واللاحق ١٧١، وتلقيح فهوم أهل الأثر ٤٥٠، والتبيين في أسماء القرشيين ٤٤٧، ٤٤٨، وأسد الغابة ١/٣٧٤، ٣٧٥، وزبدة الحلب ١/٧٥، ٣٧، ٥٤، ووفيات الأعيان ٣/١٨٦، =

شهِد معه حروبه كلّها. وفيها مات عثمان بن طلحة بن أبي طلحة العبدريّ[1]، له صُحْبة.
وفيها مات رُكانة بن عبد يزيد[2] بن هاشم بن المطّلب، وهو الذي صارع النبيّ ﷺ،

= وتهذيب الكمال ٤/٣٩٦ - ٤٠٠ رقم ١٠٩٩، وتحفة الأشراف ٣/١٤، ١٥ رقم ٩٥، وتجريد أسماء الصحابة رقم ١٢٣٦، واللباب ٢/٣٧ و٣/١٠٣، ٢٦١، والكاشف ١/١٤٦ رقم ٩٢٧، وسير أعلام النبلاء ٣/١٨٨، ١٨٩ رقم ٣٧، وتاريخ الإسلام (عهد معاوية) ٣١، ٣٢، والوافي بالوفيات ١١/٢٩٠ رقم ٤٣٠، والعقد الثمين ٤/٩٤، وجامع التحصيل في أحكام المراسيل ١٩١ رقم ١٢٢، وتاريخ الزمان لابن العبري ٢٠، وتاريخ اليعقوبي ٢/١٥٥، ١٥٧، ١٦٨، ٢٣٩، وتهذيب تاريخ دمشق ٤/٣٨ - ٤٢، وتهذيب التهذيب ٢/١٩٠، ١٩١ رقم ٣٤٩، وتقريب التهذيب ١/١٥٠، ١٥١ رقم ١٣٠، والإصابة ١/٣٠٩ رقم ١٦٠٠، والنجوم الزاهرة ١/١٢٢، وخلاصة تذهيب التهذيب ٧١، وأعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ١/١٠٣ - ١٠٦، والأعلام للزركلي ٢/١٧٢.

(١) انظر عن (عثمان بن طلحة) في:
مسند أحمد ٣/٤١٠، ونسب قريش ٢٥١، وطبقات خليفة ١٤، ٢٧٧، وتاريخ خليفة ٢٠٥، والمغازي للواقدي ٦٦١، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٨، ٧٤٩، ٨٣٣ - ٨٣٥، ٨٣٧، ٨٣٨، ١١٠٠، والطبقات الكبرى ٥/٤٤٨، والتاريخ الكبير ٦/٢١١، ٢١٢ رقم ٢١٩٤، والمعرفة والتاريخ ١/٢٧٢، وسيرة ابن هشام (بتحقيقنا) ٣/٢٢٣، وفتوح البلدان ٩٣، وأنساب الأشراف ١/٥٣، ٢٥٨، ٣٦١، ٣٨٠، والمعارف ٧٠، ٢٦٧، ٥٧٥، وتاريخ الطبري ٣/٢٩، ٣١، والمنتخب من ذيل المذيّل ٥٥٦، ومقدّمة مسند بقيّ بن مخلد ١٠٥ رقم ٢٩٢، والجرح والتعديل ٦/١٥٥ رقم ٨٥١، ومشاهير علماء الأمصار ٢٧ رقم ١٣٠، والثقات ٣/٢٦٠، وتاريخ الصحابة ١٣١ رقم ٨٧٢، والمعجم الكبير ٩/٥٣ - ٥٥، وجمهرة أنساب العرب ١٢٧، والجمع بين رجال الصحيحين ١/٣٥٢، والمستدرك على الصحيحين ٣/٤٢٨، ٤٢٩، وأسد الغابة ٣/٣٧٢، وتهذيب الأسماء واللغات ق ١ ج ١/٣٢٠، ٣٢١ رقم ٣٩٢، وتحفة الأشراف ٧/٢٣٦، ٢٣٧ رقم ٣٦٠، وتهذيب الكمال (المصوّر) ٢/٩١٢، والكاشف ٢/١١٩ رقم ٣٧٦٠، وتاريخ الإسلام (عهد معاوية) ٨١ - ٨٣، وسير أعلام النبلاء ٣/١٠ - ١٢ رقم ٢، و(المغازي) من تاريخ الإسلام ٥٥١، والبداية والنهاية ٨/٢٣، والعقد الثمين ٦/٢١، وشفاء الغرام (بتحقيقنا) انظر فهرس الأعلام ٢/٥٤٢، والإصابة ٢/٤٦٠ رقم ٥٤٤٠، وتهذيب التهذيب ٧/١٢٤ رقم ٢٦٧، وتقريب التهذيب ٢/١٠ رقم ٧٥، وخلاصة تذهيب التهذيب ٢٢٠.

(٢) انظر عن (رُكانة بن عبد يزيد) في:
السير والمغازي لابن إسحاق ٢٧٦، وسيرة ابن هشام (بتحقيقنا) ٢/٤١ و٣/٢٩٩، والمغازي للواقدي ٦٩٤، وطبقات خليفة ٩، وتاريخ خليفة ٢٠٥، والتاريخ الكبير ٣/٣٣٧، ٣٣٨ رقم ١١٤٦، وأنساب الأشراف ١/١٥٥، ومقدّمة بقيّ بن مخلد ١٠٨ رقم ٣٢٣، ومشاهير علماء الأمصار ٣٤ رقم ١٨٧، والثقات ٣/١٣٠، وتاريخ الصحابة ١٠١ رقم ٤٤٩، والمنتخب من ذيل المذيّل ٥٥٣، والاستيعاب ١/٥٣١ - ٥٣٣، والمعجم الكبير ٤/٦٧، ٦٨ رقم ٤٦٢، وجمهرة أنساب العرب ٧٣، وأسد الغابة ٢/١٨٧، ١٨٨، وتهذيب الأسماء واللغات ق ١ ج ١/١٩١، ١٩٢ رقم ١٧١، وتحفة الأشراف ٣/١٧٢ - ١٧٤ رقم ١٥٢، وتهذيب الكمال ٩/٢٢١ - ٢٢٤ رقم ١٩٢٤، والكاشف ١/٢٤٣ رقم ١٦٠٠، وتاريخ الإسلام (عهد معاوية) ٥٠، ٥١، والمعين في طبقات المحدّثين ٢١ رقم ٤٠، وتجريد أسماء الصحابة ١/١٨٦، والوافي بالوفيات ١٤/١٤٢، ١٤٣ رقم ١٨٩، والعقد الثمين ٤/٤٠٠، وتهذيب التهذيب ٣/٢٨٧ رقم ٥٤٢، وتقريب التهذيب ١/٢٥٢ رقم ١٠٧، والإصابة ١/٥٢٠، ٥٢١ رقم ٢٦٨٩، وخلاصة تذهيب التهذيب ١٤٩.

وصَفْوان بن أميّة[1] بن خلف الجُمَحيّ، ولّه صُحبة. وفيها مات هـانىء بن نِيار[2] بن عمـرو

(١) انظر عن (صفوان بن أميّة) في:
مسند أحمد ٣/ ٤٠٠ و٦/ ٤٦٤، والسير والمغازي لابن إسحاق ٣٢٢، ٣٢٣، والمغازي للواقدي (انظر فهـرس الأعـلام) ٣/ ١١٨٥، ١١٨٦ وسيـرة ابـن هشـام ١/ ٢٢٠ و٣/ ٢٣، ٢٥، ١٢٦، ٣٠٨، ٣١٥ و٤/ ٦٠، ٦١، ٨٤، ٨٧، ٨٨، ١٣٢، ١٣٥، ونـسب قـريش ١٦٦، والمحبّـر ١٠٤، ١٣٣، ١٤٠، ١٤١، ٣٠٧، ٤٤٧، ٤٧٣، والطبقات الكبرى ٥/ ٤٤٩، وتاريخ خليفة ٧٥، ١٩٠، ٢٠٥، وطبقاته ٢٤، ٢٧٨، والتـاريخ الكبيـر ٤/ ٣٠٤ رقم ٢٩٢٠، والمعرفة والتـاريخ ١/ ٣٠٩، والمعـارف ٣٤٢، وأنسـاب الأشـراف ١/ ١٩٤، ٢٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣١٢، ٣١٦، ٣٢٩ - ٣٣١، ٣٣٥، ٣٥٤، ٣٥٦، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٧٤، ٤٤٠، ٤٤١، وتـاريـخ اليعقـوبي ٢/ ٥٦، ٦٢، ٧٣ والعقـد الفـريـد ١/ ١٤٨، ٢٧٧ و٢/ ٢٤٧، وتـاريـخ الـطبـري ٢/ ٢٦١، ٤٧٢ - ٤٧٤، ٤٩٣، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٣٩، ٥٤٢، ٦٤٠، و٣/ ٤٤، ٤٨، ٥٧، ٥٨، ٦٣، ٧٣، ٧٤، ٩٠، ٢٤٧، ٣٩٩، ٦١٣، والجـرح والتعديـل ٤/ ٤٢١ رقم ١٨٤٦، وتاريخ الصحـابة ١٣٥ رقم ٦٦٠، ومشـاهير علمـاء الأمصار ٣١ رقم ١٥٩، والثقـات ٣/ ١٩١، والاستيعـاب ٢/ ١٨٣، والمعجم الكبير ٨، ٥٤ - ٦١ رقم ٧٢١، والمستـدرك ٣/ ٤٢٨، وجمهرة أنسـاب العـرب ١٥٩، والاستبصار ٩٣، وتهـذيب تاريخ دمشق ٦/ ٤٢٩ - ٤٣٤، وأسد الغـابة ٣/ ٢٣، وتهـذيب الأسماء واللغات ق ١ ج ١/ ٢٤٩ رقم ٢٦٣، والمنتخب من ذيل المذيل ٥٤٠، ٥٦٣، والجمع بين رجـال الصحيحين ١/ ٢٢٤، وتهـذيب الكمـال (المصـوّر) ٢/ ٦٠٨، وسيـر أعـلام النبـلاء ٢/ ٥٦٢ - ٥٦٧ رقم ١١٩، والمعين في طبقات المحدّثين ٢٢ رقم ٦٠، وتاريخ الإسلام (عهد معـاوية) ٦٦، ٦٧، والكـاشف ٢/ ٢٧ رقم ٢٤١٩، والعبر ١/ ٥٠، وحذف من نسب قـريش ٨٩، ٩٣، ومرآة الجنـان ١/ ١١٩، والوافي بـالوفيـات ١٦/ ٣١٣، ٣١٤ رقم ٣٤٠، والعقد الثمين ٥/ ٤١، والبـداية والنهـاية ٨/ ٢٣، والـوفيات لابن قنفذ ٦٠ رقم ٤٢، والإصابـة ٢/ ١٨٧، ١٨٨ رقم ٤٠٧٣، وتهذيب التهـذيب ٤/ ٤٢٤، ٤٢٥ رقم ٧٣٣، وتقـريب التهـذيب ١/ ٣٦٧ رقم ١٠٢، والنكت الـظراف ٤/ ١٨٧ و١٩١، والنجـوم الـزاهـرة ١/ ١٢١، وخلاصة تذهيب التهذيب ١٧٤، وشذرات الذهب ١/ ٥٢.

(٢) انظر عن (هانىء بن نيار) في:
مسنـد أحمـد ٣/ ٤٦٦ و٤/ ٤٤، والمغـازي للواقـدي ١٨، ٧٨، ١٠٣، ١٠٥، ١٥١، ١٥٨، ٢١٨، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٩٤، ٥٥١، ٨٠٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٦، والـطبقـات الكبـرى ٣/ ٤٥١، والتـاريـخ لابن معين ٢/ ٦٩٤، وطبقـات خليفـة ٨٠، وتـاريـخ خليفـة ٢٠٥، والتـاريـخ الكبيـر ٨/ ٢٢٧ رقم ٢٨١٧، والمعارف ١٤٩، ٣٢٦، ومقدّمة مسند بقيّ بن مخلد، رقم ٧١، ومشـاهير علمـاء الأمصار ٢٦ رقم ٦١٨، والثقات ٣/ ٤٣١، وتاريخ الصحابة ٢٥٥ رقم ١٤١٠، والزاهر للأنباري ١/ ٤٩١، وجمهرة أنسـاب العرب ٤٤٣، والكنى والأسمـاء للدولابي ١/ ١٧، ١٨، ٦٥، وتـاريـخ الـطبـري ٢/ ٥٠٥ و٣/ ٧٩، ١٧٣، والإستيعـاب ٤/ ١٧، والأسـامي والكنى للحـاكم، ورقـة ٦٨، والمستـدرك على الصحيحين ٣/ ٦٣١، وتهذيب الأسماء واللغات ق ١ ج ٢/ ١٧٨ رقم ٢٨٣، وأسد الغابة ٥/ ١٤٦، وتحفة الأشراف ٩/ ٦٥ - ٦٨ رقم ٥٦٥، وتهـذيب الكمال (المصـوّر) ٣/ ١٥٧٨، وتلقيح فهوم أهل الأثـر ٣٦٦، وسيـر أعـلام النبـلاء ٢/ ٣٥، ٣٦ رقم ٦، وتاريخ الإسلام (عهد معاوية) ١٣١، ١٣٢، والمعين في طبقـات المحدّثين ٢٨ رقم ١٤٢، والمغازي (من تاريخ الإسلام) ١٦٥، ٤٣٠ - ٤٣٢، ٥٨٨، ٦٢٩ وتلخيص المستـدرك ٣/ ٦٣١، والكـاشف ٣/ ٢٧٣ رقم ٣٢، والـوفيـات لابن قنفـذ ٧١، وتهـذيب التهـذيب ١٢/ ١٩ رقم ٩٦، وتقـريب التهذيب ٢/ ٢٩٤ رقم ٨، والنكت الظراف ٩/ ٦٧، والإصـابة ٤/ ١٨، ١٩ رقم ١١٧، وخـلاصة تـذهيب التهذيب ٤٤٣.

الأنصـاريّ، وهو خـال البَرَاء بن عـازب، (وقيل: سنـة خمس وأربعين)[1]، وكـان بـدْريّـاً عَقَبِيّاً.

(نِيار: بكسر النون، وفتح الياء تحتها نقطتان، وآخره راء).

---

(1) ما بين القوسين من الأصل.

٤٣
ثم دخلت سنة ثلاثٍ وأربعين

في هذه السنة غزا بُسْر بن أبي أرطاة الروم وشتا بأرضهم، حتّى بلغ القسطنطينيّة فيما زعم الواقديّ[١]، وأنكر ذلك قوم من أهل الأخبار وقالوا: لم يشتُ بُسْر بأرض الروم قطّ[٢].

(وفيها مات عمرو بن العاص بمصر يوم الفِطر، وكان عمل عليها لعمر أربع سنين، ولعثمان أربع سنين إلّا شهرين، ولمعاوية سنتين إلّا شهراً[٣].

وفيها ولّى معاويةُ عبدَ الله بن عمرو بن العاص مصرَ فوليها نحواً من سنتين[٤].

وفيها مات محمد بن مَسْلمة[٥] بالمدينة في صَفَر، وصلّى عليه مروان بن الحكم، وعُمره سبْعٌ وسبعون سنة)[٦].

ذكر مقتل المُسْتَوْرد الخارجيّ

وفيها قُتل المستورِد بن عُلّفة التَّيميّ تَيْم الرِّباب، وقد ذُكر سنة اثنتين وأربعين[٧]: تحرّك الخوارج وبَيعتهم له (ومخاطبته بأمير المؤمنين).

---

(١) تاريخ خليفة ٢٠٦، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٣٩، تاريخ الطبري ٥/١٨١، المنتخب من تاريخ المنبجي (بتحقيقنا) ٦٧، تاريخ دمشق ١٠/٧.

(٢) تاريخ الطبري ٥/١٨١.

(٣) تاريخ الطبري ٥/١٨١، تاريخ خليفة ٢٠٦، وانظر مصادر ترجمته في تحقيقنا لتاريخ الإسلام للذهبي (عهد معاوية) ٨٩ ـ ٩٨.

(٤) تاريخ الطبري ٥/١٨١، ولاة مصر للكندي ٥٧، الولاة والقضاء ٣٤، مروج الذهب ٤/٣٢، تاريخ حلب ١٧٧، المنتخب من تاريخ المنبجي ٦٨.

(٥) انظر عن (محمد بن مسلمة) ومصادر ترجمته في تحقيقنا لتاريخ الإسلام (عهد معاوية) ١١٢ ـ ١١٥

(٦) ما بين القوسين من الأصل و (ر).

(٧) تاريخ الطبري ٥/١٨١.

فلمّا كان هذه السنة أُخبر المغيرة بن شُعْبة بأنّهم اجتمعوا في منزل حَيّان بن ظَبْيان السُّلَميّ، واتّعدوا للخروج غُرّة شَعبان، فأرسل المغيرة صاحب شرطته، وهو قَبيصة بن الدَّمون[١]، فأحاط بدار حيّان هو ومَنْ معه، وإذا عنده مُعاذ بن جُوَيْن ونحو عشرين رجلاً، وثارت امرأته، وهي أمّ ولد كانت له كارهة، فأخذت سيوفهم فألقتها تحت الفراش، وقاموا ليأخذوا سيوفهم فلم يجدوها فاستسلموا، فانطلق بهم إلى المغيرة فحبسهم بعد أن قرّرهم، فلم يعترفوا بشيء، وذكروا أنّهم اجتمعوا لقراءة القرآن، ولم يزالوا في السجن نحو سنة، وسمع إخوانهم فحَذِروا، وخرج صاحبهم المستورِد فنزل الحيرة، واختلفت الخوارج إليه، فرآهم حجّار بن أبْجَر، فسألوه أن يكتم عليهم ليلتهم تلك، فقال لهم: سأكتم عليكم الدّهر، فخافوه أن يذكر حالهم للمغيرة، فتحوّلوا إلى دار سُلَيم بن مَحْدوج العبديّ، وكان صِهراً للمستورِد، ولم يذكر حجّار من أخبارهم شيئاً.

وبلغ المغيرةَ خبرُهم، وأنّهم عازمون على الخروج تلك الأيّام، فقام في الناس فحمد الله ثمّ قال: لقد علمتم أنّي لم أزل أُحبّ لجماعتهم العافية وأكفّ عنكم الأذى، وخشيتُ أن يكون ذلك أدب سوء لسُفهائكم. (وقد خشيتُ أن لا نجد بُدّاً من أن يؤخذ)[٢] الحليمُ التقيّ بذنب الجاهل السّفيه، فكفّوا عنها سفهاءكم قبل أن يشمل البلاء عوامّكم، وقد بلغَنا أنّ رجالاً يريدون أن يظهروا في المِصر بالشقاق (والنفاق)[٣] والخلاف، وايْمُ اللهِ لا يخرجون في حيّ من أحياءِ العرب إلاّ أهلكتُهم وجعلتُهم نَكالاً لمن بعدهم!

فقام إليه مَعْقِل بن قيس[٤] الرياحيّ فقال: أيّها الأمير أعلِمْنا بهؤلاء القوم، فإن كانوا منّا كفيناكَهم، وإن كانوا غيرنا أمرتَ أهل الطاعة، فأتاك كلّ قبيلة بسفهائهم. فقال: ما سُمّي لي أحد باسمه. فقال مَعْقِل: أنا أكفيك قومي، فليكفِك كلّ رئيسٍ قومَه. فأحضر المغيرة الرؤساء وقال لهم: ليكْفني كلّ رجل منكم قومَه، وإلاّ فَوَاللهِ لأتحوّلنّ عمّا تعرفون إلى ماتُنكرون، وعمّا تحبّون إلى ما تكرهون.

فرجعوا إلى قومهم، فناشدوهم اللهَ والإسلامَ إلاّ دلّوهم على كلّ مَنْ يريد أن يهيج الفتنة، وجاء صَعْصَعة بن صُوحان إلى عبد القيس، وكان قد علم بمنزل حَيّان في دار سُلَيْم، ولكنّه كره أن يُؤخذ من عشيرته على فراقه لأهل الشام وبغضه لرأيهم، (وكره مَساءة أهل بيت من قومه)[٥]، فقام فيهم فقال: أيّها الناس، إنّ الله، وله الحمد، لما قسّم

---

(١) في (أ): «الدينور».
(٢) ما بين القوسين ورد في الطبعة الأوربية هكذا: «وقد خشيت من أن لا نجد بدّاً من أن لا يأخذ».
(٣) من الأصل.
(٤) في الأصل: «يسار».
(٥) زيادة من الأصل.

الفضل خصّكم بأحسن القَسَم، فأجبتم إلى دين الله الذي اختاره لنفسه وارتضاه لملائكته ورُسُله، ثمّ أقمتم حتّى قبض الله رسوله ﷺ، ثمّ اختلف الناس بعده، فثبتت طائفة، وارتدّت طائفة، وأدْهنت طائفة، وتربّصت طائفة، فلزمتم دِين الله إيماناً به وبرسوله، وقاتلتم المرتدّين حتّى قام الدّين، وأهلك الله الظّالمين، ولم يزل الله يزيدكم بذلك خيراً حتّى اختلفت الأمّة بينها فقالت طائفة: نريد طلحة والزبير وعائشة، وقالت طائفة: نريد أهل المغرب، وقالت طائفة: نريد عبد الله بن وهْب الراسبيّ، وقلتم أنتم: لا نريد إلاّ أهل بيت نبيّنا الذين ابتدأنا الله، عزّ وجلّ، من قبلهم بالكرامة[1] تسديداً من الله، عزّ وجلّ، لكم وتوفيقاً، فلم تزالوا على الحقّ، لازمين له آخذين به، حتّى أهلك الله بكم بمَن كان على مثل هذيكم[2] الناكثين يوم الجمل، والمارقين يوم النهر؛ وسكت عن ذِكر أهل الشام، لأنّ السلطان لهم؛ فلا قوم أعدى لله ولكم ولأهل بيت نبيّكم من هذه المارقة الخاطئة الّذين فارقوا إمامنا، واستحلّوا دماءنا، وشهدوا علينا بالكُفر، فإيّاكم أن تُؤْوُوهم في دُوركم، أو تكتموا عليهم شيئاً، فإنّه لا ينبغي لحيٍّ من أحياء العرب أن يكون أعدى[3] لهذه المارقة منكم، وقد ذُكر لي أنّ بعضهم في جانبٍ من الحيّ، وأنا باحث عن ذلك، فإنْ يكُ حقّاً تقرّبت إلى الله بدمائهم، فإنّ دماءهم حلال!

وقال: يا معشر عبد القيس إنّ وُلاتنا هؤلاء أعرف شيء بكم وبرأيكم، فلا تجعلوا لهم عليكم سبيلاً، فإنّهم أسرع شيء إليكم وإلى مثلكم. ثمّ جلس، وكلّ قوم قال: لعنهم الله وبرىء منهم، لا نؤويهم، ولئن علمنا بمكانهم لنُطْلعنّك عليهم، غير سُلَيم بن محدوج، فإنّه لم يقلْ شيئاً، ورجع كئيباً يكره أن يُخْرج أصحابه من داره فيلوموه، ويكره أن يؤخذوا في داره فيهلِكوا، ويهلِك معهم.

وجاء أصحاب المستورِد إليه، فأعلموُه بما قام به المغيرة في الناس، وبما قام به رؤوسهم فيهم. فسأل ابنَ محدوج عمّا قام به صَعْصَعة في عبد القيس، فأخبره، وقال: كرهتُ أن أعلمكم، فتظنّوا أنّه ثَقُل عليّ مكانكم. فقال له: قد أكرَمْتَ المثوى وأحسَنتَ، ونحن مرتحلون عنك.

وبلغ الخبر الّذين في محبس المغيرة من الخوارج، فقال مُعاذ بن جُوَيْن بن حُصَين[4] في ذلك:

---

(١) في الطبعة الأوربية «بالإكرامة».
(٢) في (ر): «رأيكم».
(٣) في (ر): «أوداً».
(٤) في (ش): «حصن».

ألا أيّها الشّارُونَ قد حانَ لامرىءٍ
شَرَى نفسَهُ لله أن يَترَحّلا

أقمتم بدارِ الخاطئينَ جَهالَةً
وكلُّ امرىءٍ منكم يُصادُ لِيُقتَلا

فشدُّوا على القوْمِ العُداةِ فإنّما
أقامتُكُمْ للذّبحِ رأياً مُضَلَّلا

ألا فاقصِدوا يا قومِ للغايَةِ الّتي
إذا ذُكِرَتْ كانَتْ أبَرَّ وأعدلا

فيا لَيتَني فيكم على ظَهرِ سابحٍ
شديدِ القُصَيْرَى دارعاً غيرِ[1] أعزَلا

ويا ليتَني فيكم العادي عدوّكمْ
فيَسقِيَني كأسَ المَنيّةِ أوّلا

يعزّ عليّ أن تُخافُوا وتُطْرَدوا
ولمّا أجرِّدْ في المُحِلِّينَ مُنصُلا[2]

ولمّا يُفرِّقْ جمعَهم كلُّ ماجدٍ
إذا قلتَ قد ولّى وأدبَرَ أقبَلا

مُشيحاً بنصْلِ السيفِ في حَمَسِ الوَغى
يرى الصّبرَ في بعضِ المَواطنِ أمثلا

وعزّ عليّ أن تُصابُوا[3] وتُنقصوا
وأصبِحَ ذا بَثٍّ أسيراً مُكَبَّلا

ولو أنّني فيكم وقد قَصَدوا لكُمْ
أثَرْتُ إذاً[4] بين الفريقَينِ قَسْطَلا

فيا رُبّ جمَعٍ قد فلَلْتُ وغارَةٍ
شهِدتُ وقِرْنٍ قد تركتُ مُجدَّلا[5]

وأرسل المستورِد إلى أصحابه فقال لهم: اخرجوا من هذه القبيلة، واتّعدوا[6] سُوْراء[7]. فخرجوا إليها متقطّعين، فاجتمعوا بها ثلاثمائة رجل وساروا إلى الصَّراة[8]، فسمع المغيرة بن شُعبة خبرَهم، فدعا رؤساء الناس، فاستشارهم فيمن يُرْسله إليهم، فقال له عديّ بن حاتم: كلّنا لهم عدوّ، ولرأيهم مبغض، وبطاعتك مستمسك، فأيّنا شئتَ سار إليهم. وقال له معقل بن قيس[9]: إنّك لا تبعَث إليهم أحداً ممّن ترى حولَك، إلّا رأيتَه سامعاً مطيعاً، ولهم مفارقاً، ولهلاكهم مُحبّاً، ولا أرى أن تبعث إليهم أحداً من الناس أعدى لهم منّي، فابعثني إليهم، فأنا أكفيكهم بإذن الله تعالى. فقال: اخرجْ على اسم الله! فجهّز معه ثلاثة آلاف. وقال المغيرة لصاحب شرطته: الصقْ بمعقل شيعة عليّ،

---

(١) في طبعة صادر ٤٢٨/٣: «غبر» بالباء الموحدة.
(٢) في الطبعة الأوربية: «مُنْصُلا».
(٣) في تاريخ الطبري ١٨٧/٥: «تضاموا».
(٤) في (ر) والأصل: «لغا».
(٥) تاريخ الطبري ١٨٧/٥، ١٨٨.
(٦) في الأصل: «واقصدوا».
(٧) في: تاريخ الطبري ١٨٨/٥: «سوراً»، والمثبت يتفق مع: معجم البلدان ٢٧٨/٣ وفيه: سُوراء: بضم أوله، وسكون ثانيه، ثم راء، وألف ممدودة، موضع يقال هو إلى جنب بغداد، وقيل: هو بغداد نفسها، ويُروى بالقصر، قيل: سُمّيت بسُوراء بنت أردوان بن باطي الذي قتله كسرى أردشير وهي بَنَتْها.
(٨) في الأصل: «المغيرة». والصَّراة: بالفتح نهران ببغداد: الصراة الكبرى، والصراة الصغرى. (معجم البلدان ٣٩٩/٣).
(٩) في الأصل: «يسار».

فإنّه كان من رؤساء أصحابه، فإذا اجتمعوا استأنس بعضهم ببعض، وهم أشدّ استحلالاً لدماء هذه المارقة، وأجرأ عليهم من غيرهم، فقد قاتلوهم قبل هذه المرّة. وقال له صَعصعة بن صُوحان نحواً من قول معقل. فقال له المغيرة: اجلسْ فإنّما أنت خطيب. فأحفظه ذلك.

وإنّما قال له ذلك لأنّه بلغه أنّه يَعِيب عثمان بن عفّان، ويُكثر ذِكر عليّ ويفضّله، وكان المغيرة دعاه وقال له: إيّاك أن يبلغني عنك أنّك تَعِيب عثمان، وإيّاك أن يبلغني أنّك تُظْهِر شيئاً من فضل عليّ، فأنا أعلم بذلك منك، ولكن هذا السلطان قد ظهر، وقد أخذنا بإظهار عيبه للناس، فنحن نَدَع شيئاً كثيراً ممّا أمرنا به، ونذكر الشيء الّذي لا نجد منه بدّاً ندفع به هؤلاء القوم عن أنفسنا، فإن كنتَ ذاكراً فضله، فاذكْره بينك وبين أصحابك في منازلكم سرّاً، وأمّا علانية في المسجد فإنّ هذا لا يحتمله الخليفة لنا. فكان يقول له: نعم، ثمّ يبلغه عنه أنّه فعل ذلك، فحقد عليه المغيرة، فأجابه بهذا الجواب، فقال له صعصعة: وما أنا إلّا خطيب فقط! قال: أجل. فقال: والله إنّي لَلْخَطيب الصَّليب الرئيس، أمَا والله لو شهدْتَني يوم الجمل، حيث اختلفت القنا، فشؤون تُفرى، وهامة تُختلى، لَعَلِمتَ أنّي اللَّيثُ النَّهدُ. فقال: حسبك لعمري لقد أوتيتَ لساناً فصيحاً.

وخرج معقل ومعه ثلاثة آلاف فارس نُقاوة الشيعة، وسار إلى سُوْراء، ولحِقَه أصحابه.

وأمّا الخوارج، فإنّهم ساروا إلى بَهُرَسِير[1] وأرادوا العبورَ إلى المدينة[2] العتيقة التي فيها منازل كسرى، فمنعهم سِماك بن عُبيد الأزْديّ العبسيّ، وكان عاملاً عليها، فكتب إليه المستورِد يدعوه إلى البراءة من عثمان وعليّ، وأن يتولّاه وأصحابه. فقال سِماك: بئس الشيخ أنا إذاً! وأعاد الجواب على المستورِد يدعوه إلى الجماعة، وأن يأخذ[3] له الأمان، فلم يجب، وأقام بالمدائن ثلاثة أيّام، ثمّ بلغه مسير معقل إليهم فجمعهم المستورد وقال لهم: إنّ المغيرة قد بعث إليكم معقل بن قيس وهو من السبئيّة[4] المفترين الكاذبين، فأشيروا عليّ برأيكم. فقال بعضهم: خرجنا نريد الله والجهاد، وقد جاؤونا، فأين نذهب، بل نقيم حتّى يحكم الله بيننا. وقال بعضهم: بل نتنحّى ندعو الناس،

---

(١) بَهُرَسِير: بالفتح ثم الضم، وفتح الراء، وكسر السين المهملة، وياء ساكنة، وراء. من نواحي سواد بغداد قرب المدائن. (معجم البلدان ١/٥١٥).
وفي الأصل ورد: «نهرشير»، وفي (ر): «بهرشير».
(٢) في الأصل زيادة: «إلى الكوفة والمدينة».
(٣) في الأصل و(ر): «يأخذوا».
(٤) في الطبعة الأوربية: «السبائية».

ونحتجّ عليهم بالدعاء. فقال لهم: لا أرى أن نقيم حتّى يأتونا وهم مستريحون، بل أرى أن نسير بين أيديهم، فيخرجوا في طلبنا، فينقطعوا ويتبدّدوا، فنلقاهم على تلك الحال.

فساروا فعبروا بجرجرايا، ومضوا إلى أرض جُوخى[1]، ثمّ بلغوا المَذار[2] فأقاموا بها.

وبلغ ابنَ عامر بالبصرة خبرهم، فسأل كيف صنع المغيرة، فأُخبر بفعله، فاستدعى شريكَ بن الأعور الحارثيّ، وكان من شيعة عليّ، فقال له: اخرجْ إلى هذه المارقة. ففعل. وانتخب معه ثلاثة آلاف فارس من الشيعة، وكان أكثرهم من ربيعة، وسار بهم إلى المَذار[2].

وأمّا معقِل بن قيس فسار إلى المدائن حتّى بلغها، فبلغه رحيلهم، فشقّ ذلك على النّاس، فقال لهم معقل: إنّهم ساروا لتتبعوهم وتتبدّدوا وتنقطعوا، فتلحقوهم وقد تعبتم، وإنّه لا يصيبكم شيء من ذلك إلاّ وقد أصابهم مثل ذلك. وسار في آثارهم وقدّم بين يديه أبا الرَّواغ الشاكريّ[3] في ثلاثمائة فارس، فتبِعهم أبو الرّواغ حتّى لحِقهم بالمذار، فاستشار أصحابه في قتالهم قبل قدوم معقل، فقال بعضهم: لا تفعلْ، وقال بعضهم: بل نقاتلهم. فقال لهم: إنّ معقلاً أمرني أن لا أقاتهلم. فقالوا له: ينبغي أن تكون قريباً منه حتّى يأتي معقل، وكان ذلك عند المساء. فباتوا يتحارسون حتّى أصبحوا، فلمّا ارتفع النهار خرجتِ الخوارج إليهم، وكانوا أيضاً ثلاثمائة، وحملوا عليهم، فانهزم أصحابُ أبي الرّواغ ساعةً، ثمّ صاح بهم أبو الرّواغ: الكَرّة الكَرّة! وحمل ومعه أصحابه، فلمّا دنوا من الخوارج عادوا منهزمين، إلاّ أنّهم لم يُقتل منهم أحد، فصاح بهم أبو الرَّواغ أيضاً: ثكِلتْكم أمّهاتكم! ارجعوا بنا نكنْ قريباً منهم لا نفارقهم، حتّى يقدَم علينا أميرُنا، وما أقبح بنا أن نرجع إلى الجيش[4] منهزمين من عدوّنا[5]! فقال له بعض أصحابه: إنّ الله لا يستحيي من الحقّ، قد والله هزمونا. فقال له: لا أكثر الله فينا مثلك، إنّا ما لم نفارق المعركة فلم نُهزم. ومتى عطفنا عليهم وكنّا قريباً منهم فنحن على حالٍ حسنة، فقفوا قريباً منهم، فإنْ أتوكم وعجزتم عنهم فتأخّروا قليلاً، فإذا حملوا عليكم وعجزتم عن

---

(١) جُوخى: بالضم والقصر، وقد يُفتح. اسم نهر عليه كورة واسعة في سواد بغداد، بالجانب الشرقي منه الراذانان، وهو بين خانقين وخوزستان.

(٢) في (ر) «المدائن»، والمثبت يتفق مع: معجم البلدان ٥/٨٨ وهي في ميسان بين واسط والبصرة، وهي قصبة ميسان.

(٣) في الأصل: «اليشكري»، والمثبت يتفق مع الطبري ٥/١٩٤.

(٤) في الأصل: «الحصن».

(٥) في الأصل، و(ش): «عدتنا».

قتالهم، فانحازوا على حامية، فإذا رجعوا عنكم فاعطفوا عليهم، وكونوا قريباً منهم، فإنّ الجيش يأتيكم عن ساعة.

فجعلت الخوارج كلّما حملتْ عليهم انحازوا عنهم، فإذا عاد الخوارج رجع أبو الرَّواغ في آثارهم، فلم يزالوا كذلك إلى وقت الظُّهر، فنزل الطائفتان يصلّون(١) ثمّ أقاموا إلى العصر، وكان أهلُ القرى والسيّارة قد أخبروا معقلاً بالتقاء الخوارج وأصحابه، وأنّ الخوارج تطرد أصحابه بين أيديهم، فإذا رجعوا عاد أصحابه خلفهم. فقال معقل: إنْ كان ظنّي في أبي الرّواغ صادقاً لا يأتيكم منهزماً أبداً. ثمّ أسرع السيرَ في سبعمائة من أهل القوّة، واستخلف مُحْرِز بن شهاب التّميميّ على ضَعَفَة الناس، فلمّا أشرفوا على أبي الرّواغ قال لأصحابه: هذه غبرة، فتقدّموا بنا إلى عدوّنا حتّى لا يرانا أصحابنا، إنّا تنحّينا عنهم وهِبناهم. فتقدّم حتّى وقف مقابل الخوارج، ولحِقَهم معقل، فلمّا دنا منهم غربت الشمس، فصلّى بأصحابه، وصلّى أبو الرواغ بأصحابه، وصلّى الخوارج أيضاً، وقال أبو الرَّواغ لمعقل: إنّ لهم شدّات منكرات(٢) فلا تَلِها(٣) بنفسك، ولكن قفْ وراء الناس تكون رِدءاً لهم. فقال: نعِمَ ما رأيتَ.

فبينا هو يخاطبه حملت الخوارج عليهم، فانهزم عامّة أصحاب معقل، وثبت هو، فنزل إلى الأرض، ومعه أبو الرّواغ في نحو مائتي رجل، فلمّا غشِيَهم المستورد استقبلوه بالرماح والسيوف، فانهزمت خيل معقل ساعةً، ثمّ ناداهم مسكين بن عامر، وكان شجاعاً: أين الفرار وقد نزل أميركم، ألا تستحيون؟ ثمّ رجع ورجعت معه خيل عظيمة، ومعقل بن قيس يقاتل الخوارج بمن معه، فلم يزل يقاتلهم حتى ردّهم إلى البيوت، ثمّ لم يلبثوا إلّا قليلاً حتّى جاءهم مُحْرِز بن شِهاب فيمن معه، فجعلهم معقل ميمنةً وميسرة، وقال لهم: لا تبرحوا حتّى تصبحوا ونثور إليهم.

ووقف الناس بعضهم مقابل بعض، فبينما هم متوافقون أتى الخوارجَ عينٌ لهم، فأخبرهم أنّ شريك بن الأعور قد أقبل إليهم من البصرة في ثلاثة آلاف. فقال المستورد لأصحابه: لا أرى أن نقيم لهؤلاء جميعاً، ولكنّي أرى أن نرجع إلى الوجه الّذي جئنا منه، فإنّ أهل البصرة لا يتبعوننا إلى أرض الكوفة، فيهون علينا (قتال)(٤) أهل الكوفة. ثمّ أمرهم بالنزول ليُريحوا دوابّهم ساعةً، ففعلوا، ثمّ دخلوا القرية وأخذوا منها مَنْ دلّهم

---

(١) في الأصل: «يقتتلون».
(٢) في (ر): «شدّة منكرة».
(٣) في (ر): «تلقها».
(٤) زيادة من (ش).

على الطّريق الذي أقبلوا منه، وعادوا راجعين.

وأمّا معقل فإنّه بعث من يأتيه بخبرهم حين لم يرَ سوادهم، فعاد إليه بالخبر أنّهم قد ساروا، فخاف أن تكون مكيدة، وخاف البَيات، فاحتاط هو وأصحابه، وتحارسوا إلى الصّباح، فلمّا أصبحوا أتاهم من أخبرهم بمسيرهم، وجاء شريك بن الأعور فيمن معه، فلقي معقلاً، فتساءَلا ساعة وأخبره معقل بخبرهم، فدعا شريك أصحابه إلى المسير مع معقل، فلم يجيبوه، فاعتذر إلى معقل بخلاف أصحابه، وكان صديقاً له يجمعهما رأي الشيعة، ودعا معقل أبا الرّواغ وأمره باتّباعهم، فقال له: زِدْني مثل الّذين كانوا معي، ليكون أقوى لي إن أرادوا مناجزتي. فبعث معه ستّمائة فارس، فساروا سراعاً حتّى أدركوا الخوارج بجرجرايا وقد نزلوا، فنزل بهم أبو الرَّواغ مع طلوع الشمس، فلمّا رأوهم قالوا: إنّ قتال هؤلاء أيسر من قتال مَنْ يأتي بعدهم، فحملوا على أبي الرَّواغ وأصحابه حملة صادقة، فانهزم أصحابه وثبت في مائة[1] فارس، فقاتلهم طويلاً وهو يقول:

إنّ الفتى كلّ الفتى [مَنْ] لم يُهَلْ[2] إذا الجبَانُ حاد عن وَقْعِ الأسَلْ
قد علمتْ أنّي إذا البأسُ نزَلْ أرْوَعُ يومَ الهَيْجِ[3] مِقدامٌ بطَلْ[4]

ثمّ عطف أصحابُه من كلّ جانب، فصدقوهم القتال حتّى أعادوهم إلى مكانهم، فلمّا رأى المستورِدُ ذلك علم أنّهم إنْ أتاهم معقل ومَنْ معه هلكوا، فمضى هو وأصحابه فعبروا دجلة ووقفوا في أرض بَهُرَسِير[5] وتبعهم أبو الرَّواغ حتّى نزل بهم بساباط، فلمّا نزل بهم قال المستورد لأصحابه: إنّ هؤلاء هم حُماة أصحاب معقل وفرسانه، ولو علمتُ أنّي أسبقهم إليه بساعة لسرتُ إليه فواقَعْتُهُ. ثمّ أمر مَن يسأل عن معقلٍ، فسألوا بعض مَنْ على الطريق، فأخبروهم أنّه نزل دَيْلَمَايا، وبينهم ثلاثة فراسخ، فلمّا أخبر المستورِدُ ذلك ركب وركب أصحابه، وأقبل حتّى انتهى إلى جسر ساباط، وهو جسر نهر ملك، وهو من جانبه الذي يلي الكوفة، وأبو الرَّواغ من جانب المدائن، فقطع المستوردُ الجسر، ولما رآهم أبو الرَّواغ قد ركبوا عبّى أصحابه، واعتزل إلى صحراء بين المدائن وساباط ليكون القتال بها، ووقف ينتظرهم، فلمّا قطع المستوردُ الجسر سار إلى دَيْلَمَايا نحو معقل ليوقع به، فانتهى إليه وأصحابه متفرّقون عنه وهو يريد الرحيلَ، وقد تقدّم بعض أصحابه، فلمّا

---

(١) في الأصل: «ثلثمائة».
(٢) في (ر): «يمل».
(٣) في (ش): «الفتح».
(٤) تاريخ الطبري ٢٠٣/٥
(٥) في (ش) تحرّف إلى: «نهرشير».

رآهم معقل نصب رايته ونادى: يا عبادَ الله، الأرضَ الأرضَ! فنزل معه نحو مائتيْ رجل، فحملت الخوارج، عليهم فاستقبلوهم بالرماح جُثاةً على الرُّكَب، فلم يقدروا عليهم، فتركوهم وعدلوا إلى خيولهم فحالوا بينهم وبينها، وقطعوا أعِنتَّها، فذهبت في كلّ جانب، ثمّ مالوا على المتفرّقين من أصحاب معقل، ففرّقوا بينهم، ثمّ رجعوا إلى معقل وأصحابه وهم على الرُّكَب فحملوا عليهم، فلم يتجلجلوا، فحملوا أخرى، فلم يقدروا عليهم، فقال المستورد لأصحابه: لينزل نصفكم ويبقى نصفكم على الخيل. ففعلوا واشتدّ الحال على أصحاب معقل وأشرفوا على الهلاك.

فبينما هم كذلك إذ أقبل أبو الرَّواغ عليهم فيمَن معه. وكان سبب عَوده إليهم أنّه أقام بمكانه ينتظرهم، فلمّا أبطأوا عليه أرسل مَنْ يأتيه بخبرهم، فرأوا الجسر مقطوعاً ففرحوا ظنّاً منهم أن الخوارج فعلوا ذلك هيبةً لهم. فرجعوا إلى أبي الرَّواغ، فأخبروه أنّهم لم يروهم، وأنّ الجسر قد قطعوه هيبةً لهم. فقال لهم أبو الرَّواغ: لَعَمري ما فعلوا هذا إلّا مكيدةً، وما أراهم إلّا وقد سبقوكم إلى معقل حيث رأوا فرسان أصحابه معي، وقد قطعوا الجسر ليشغلوكم به عن لحاقهم، فالنّجاءَ النّجاءَ في الطلب.

ثمّ أمر أهل القرية فعقدوا الجسر وعبر عليه واتّبع الخوارج، فلقِيه أوائل الناس منهزمين، فصاح بهم: إليّ إليّ! فرجعوا إليه وأخبروه الخبر، وأنّهم تركوا معقلاً يقاتلهم، وما يظنّونه إلّا قتيلاً. فجدّ في السير وردّ معه كلّ مَنْ لِقيه من المنهزمين، فانتهى إلى العسكر، فرأى راية معقل منصوبة والناس يقتتلون، فحمل أبوا الرَّواغ ومن معه على الخوارج، فأزالوهم غير بعيدٍ، ووصل أبو الرَّواغ إلى معقَل، فإذا هو متقدّم يحرّض أصحابه، فشدّوا على الخوارج شدّةً منكرة، ونزل المستورد ومن معه من الخوارج، ونزل أصحاب معقل أيضاً، ثمّ اقتتلو طويلاً من النهار بالسيوف أشدّ قتال.

ثمّ إنّ المستورد نادى معقلاً ليبرز إليه، فبرز إليه، فمنعه أصحابه، فلم يقبل منهم، وكان معه سيفه، ومع المستورد رمحه، فقال أصحاب معقل: خذْ رمحك. فأبَى وأقبل على المستورد، فطعنه المستورد برمحه، فخرج السِّنان من ظهره، وتقدّم معقل والرمح فيه إلى المستورد، فضربه بالسّيف، فخالط دِماغَهُ. فوقع المستورد ميتاً، ومات معقل أيضاً[1].

وكان معقل قد قال: إن قُتلتُ فأميركم عمرو بن مُحْرز بن شهاب التّميميّ[2]. فلمّا

---

(١) الخبر بطوله في: تاريخ الطبري ٥/١٨١ - ٢٠٧، وهو باختصار في: البداية والنهاية ٨/٢٥.
(٢) تاريخ الطبري ٥/٢٠٩.

قُتل أخذ الراية عَمرو، ثمّ حمل في الناس على الخوارج، فقتلوهم ولم ينجُ منهم غير خمسة أو ستّة.

وقال ابن الكلبيّ: كان المستورد من تميم، ثمّ من بني رياح، واحتجّ بقول جرير:

ومنّا فتى الفتيان والجُودِ معقِلٌ ومنّا الذي لاقى بدِجلَةَ معقِلا

يعني هذه الوقعة.

ذكر عود عبد الرحمن إلى ولاية سجستان

في هذه السنة استعمل عبدُ الله بن عامر عبدَ الرحمن بن سَمُرَة على سِجِستان، فأتاها وعلى شُرطَته عَبّاد بن الحُصَين الحَبَطيّ، ومعه من الأشراف عمرو بن عُبَيْد الله[1] بن مَعْمر وغيره، فكان يغزو البلد قد كفر أهله فيفتحه، حتى بلغ كابُل فحصرها أشهراً ونصب عليها مجانيق فثلمتْ سورها ثلمةً عظيمة، فبات عليها عبّاد بن الحصين ليلةً يُطاعن المشركين حتّى أصبح، فلم يقدروا على سدّها، وخرجوا من الغد يقاتلون، فهزمهم المسلمون ودخلوا البلد عَنْوةً، ثمّ سار إلى بُسْت ففتحها عنوةً، وسار إلى زَران فهرب أهلها وغلب عليها، ثمّ سار إلى خشّك[2] فصالحه أهلُها، ثمّ أتى الرُّخّج فقاتلوه، فظفر بهم وفتحها، ثمّ سار إلى زابلُسْتان، وهي غَزنة وأعمالها، (فقاتله أهلها)[3]، وقد كانوا نكثوا، ففتحها، وعاد إلى كابُل وقد نكث أهلها ففتحها[4].

ذكر غزوة السند

استعمل عبدُ الله بن عامر على ثغر الهند عبدَ الله بن سَوّار العبديّ[5]، ويقال ولّاه معاوية من قِبَله، فغزا القِيقان، فأصاب مغنماً، ووفد على معاوية، وأهدى له خيلاً قيقانيّة[6]، ورجع فغزا القيقان، فاستنجدوا بالتُّرْك فقتلوه، وفيه يقول الشاعر:

وابن سَوّارٍ على عِدّانِهِ[7] مُوقدُ النّار وقتّالُ السَّغَبْ

---

(١) في (ر): «عمر بن عبد الله».

(٢) في (ش): «حسد».

(٣) زيادة من (ش).

(٤) الخبر باختصار شديد في تاريخ خليفة وفيه فقط فتح الرُخّج وزابلستان. (٢٠٥) ومثله في: فتوح البلدان ٤٨٦، والخراج وصناعة الكتابة ٣٩٣، وتاريخ الإسلام (عهد معاوية) ١١.

(٥) في الأصل: «الهندي».

(٦) في (ر): «خلايع قيتغانية».

(٧) في (ر): «عدائه». وفي: فتوح البلدان «عِلّاته».

وكـان كريمـاً لم يوقـد أحد في عسكـره ناراً، فـرأى ذات ليلة ناراً فقـال: ما هـذه؟ قالوا: امرأة نُفَساء يُعْمَل لها الخبيص، فأمر أن يُطعَم الناس الخبيص ثلاثة أيّام(١).

ذكر ولاية عبد الله بن خازم خُراسان

قيل: وفي هذه السنـة عزل عبـدُ الله بن عامـر قيسَ بن الهَيْثم القيسيّ، ثمّ السُّلَميّ عن خراسان، واستعمل عبدَ الله بن خازم.

وسبب ذلك أنّ قيساً أبـطأ بالخـراج والهديّـة، فقال عبـد الله بن خازم لعبـد الله بن عامر: وَلّني خُراسان أكفِكَها. فكتب له عهدَه، فبلغ ذلك قيساً، فخاف ابنَ خازم وشغبه، فترك خُراسان وأقبل، فـازداد ابن عامر غضباً لتضييعه الثغر، فضربه وحبسـه، وبعث رجلاً من يشكر على خُراسان، وقيل: بعث أسلم بن زُرعة الكلابي ثمّ ابنَ خازم.

وقيل في عزله غير ذلـك، وهو أنّ ابن خـازم قال لابن عـامر: إنّـك استعملتَ على خُـراسـان قيسـاً، وهـو ضعيف، وإنّي أخـافُ إنْ لقي حـربـاً أن ينهـزم بـالنـاس، فتهلك خُراسان، وتفضح أخوالك، يعني قيسٍ عيلان. قـال ابن عامـر: فما الـرأي؟ قال: تكتب لي عهداً، إنْ هو انصرف عن عدوّ قمتُ مقامه. فكتب له.

وجاش جماعـةٌ من طخارستـان، فشاوره قيس، فـأشار عليـه ابن خازم أن ينصـرف حتّى يجتمع إليه أطـرافه، فلمّـا سار مـرحلة أو اثنتين أخرج ابن خـازم عهده، وقـام بأمـر الناس، ولقي العدوّ فهزمهم، وبلغ الخبرُ الكوفةَ والبصرةَ والشامَ، فغضب القيسيّةُ وقالوا: خدع قيساً وابن عامر! وشكوا إلى معاوية، فاستقدمه، فاعتذر ممّا قيل فيه، فقال معـاوية: قمْ غداً فاعتذر في الناس. فرجع إلى أصحابه وقال: إنّي أُمرتُ بالخطبة، ولستُ بصاحب كلام، فاجلسوا حول المنبر، فإذا قلتُ فصدّقوني. فقام من الغد فحمـد الله وأثنى عليه، ثمّ قـال: إنّما يتكلّف الخـطبة إمـامٌ لا يجد منهـا بدّاً، أو أحمق يهمـر من رأسـه، ولستُ بواحدٍ منهما، وقد علم مَنْ عرفني أنّي بصير بالفُرَص، وثّاب إليها، وقّاف عند المهـالك، أنفذ بالسريّة، وأقسم بالسويّة، أنشد الله مَنْ عرف ذلك منّي فليصـدّقْني. فقال أصحـابه: صدقتَ. فقال: يا أمير المؤمنين إنّك فيمن نشدتُ، فقلْ بما تعلم. فقال: صدقتَ.

---

(١) الخبر في: فتوح البلدان ٥٣١.

ذكر عدّة حوادث

وحجَّ هذه السنة مروانُ بن الحكم وكان على المدينة[1].

وكان على مكّة : خالد بن العاص بن هشام[2]، وعلى الكوفة: المغيرة[3]، وعلى البصرة: عبد الله بن عامر[4].

[الوَفَيَات]

فيها مات عبد الله بن سلّام[5]، وله صحبة مشهورة، وهو من علمـاء أهل الكتـاب، وشهد له رسول الله ﷺ بالجنّة.

---

(١) تاريخ خليفة ٢٠٧، وتاريخ الطبري ٥/٢١١، ومروج الـذهب ٤/٣٩٨، وتاريخ حلب للعظيمي ١٧٧، ونهاية الأرب ٢٠/٢٩٧، وتاريخ الإسلام (عهد معاوية) ١١، والبداية والنهاية ٨/٢٥.

(٢) تاريخ الطبري ٥/٢١١.

(٣) تاريخ الطبري ٥/٢١١.

(٤) تاريخ الطبري ٥/٢١١.

(٥) انظر عن (عبد الله بن سلام) في:
سيرة ابن هشام ٢/١٥٦، ١٥٨، ١٩٨، ٢٠٢، والمغـازي للواقدي ٣٢٩، ٣٧٢، ٣٨١، ٥٠٩، ومسنـد أحمد ٥/٤٥٠، والتاريـخ لابن معين ٢/٣١١، وطبقات خليفـة ٨، وتاريـخ خليفة ٥٦، ٢٠٦، والمعـرفة والتـاريـخ ١/٢٦٤، ٢٨٠، ٣٠١، ٣٠٣، ٤١٨، ٤٢٨، ٤٦٨، ٥٥١، ٦٢١ و٣/١٧٠، ٢٧٤، ٢٧٥، ٣٧٤، وأنسـاب الأشراف ١/٢٦٦، والتـاريخ الكبيـر ٥/١٨، ١٩ رقم ٢٩، والطبقـات الكبـرى ٢/٣٢، ٣٥٣، ومقدّمة مسند بقيّ بن مخلد ٨٩ رقم ١٠٧، ومشاهير علماء الأمصار ١٦ رقم ٥٢، وتاريخ الصحابة ١٥٦، ١٥٧ رقم ٧٤٩، والعقد الفريد ٣/١٤٣، والجرح والتعـديل ٥/٦٢، ٦٣ رقم ٢٨٨، والاستبصـار ١٩٢، ومـروج الـذهب ١٦٢١، والبـدء والتـاريـخ ٥/١١٨، ١١٩، وصفـة الصفـوة ١/٧١٨ ـ ٧٢١ رقم ١٠٧، وجامع الأصول ٩/٨١، وأسد الغابة ٣/٢٦٤، وتهـذيب الأسماء واللغـات ق ١ ج ١/٢٧٠، ٢٧١ رقم ٣٠٤، وتحفـة الأشـراف ٤/٣٥٢ ـ ٣٥٨ رقم ٢٩٩، وتهـذيب الكمـال (المصـوّر) ٢/٦٩١، ٦٩٢، والعبر ١/٥١، وتاريخ الإسلام (عهد معاوية) ٧٤، وتذكرة الحفاظ ١/٢٦، وسير أعلام النبـلاء ٢/٤١٣ ـ ٤٢٦ رقم ٨٤، والمعين في طبقات المحدّثين ٢٣ رقم ٧٦، والمغـازي (من تاريـخ الإسلام)، والكـاشف ٢/٨٥ رقم ٢٨٠١، وتهـذيب تـاريخ دمشق ٧/٤٤٣ ـ ٤٤٨، والـوافي بـالـوفيـات ١٧/١٩٨، ١٩٩ رقم ١٨٤، والبداية والنهاية ٨/٣٧، ومجمع الزوائد ٩/٣٢٦، وتهذيب التهـذيب ٥/٢٤٩ رقم ٤٣٧، وتقريب التهـذيب ١/٤٢٢ رقم ٣٧٠، والإصابـة ٢/٣٢٠، ٣٢١ رقم ٤٧٢٥، والنكت الـظراف ٤/٣٥٢ ـ ٣٥٨، وخلاصة تذهيب التهذيب ٢٠.

٤٤
ثم دخلت سنة أربعٍ وأربعين

في هذه السنة دخل المسلمون مع عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بلاد الروم، وشتَوا بها[١]، وغزا بُسْر بن أبي أرطاة في البحر[٢].

ذكر عزل عبد الله بن عامر عن البصرة

وفي هذه السنة عُزل عبد الله بن عامر عن البصرة.

وسببه أنّ ابن عامر كان حليماً كريماً ليّناً، لا يأخذ على أيدي السفهاء، وفسدت البصرة في أيّامه، فشكا ذلك إلى زياد، فقال له: جرّد السيف. فقال له: إنّي أكره أن أصلحهم بفساد نفسي. ثمّ إنّ ابن عامر وفّد وفداً من البصرة إلى معاوية، فوافقوا عنده وفد الكوفة، وفيهم ابن الكوّا، واسمه عبد الله بن أبي أوْفى اليشكريّ، فسألهم معاوية عن أهل العراق وعن أهل البصرة خاصّة، فقال ابنُ الكوّا: يا أميرَ المؤمنين، إنّ أهل البصرة قد أكلهم سفهاؤهم، وضعف عنهم سلطانهم، وعجّز ابنَ عامر وضعّفه. فقال له معاوية: تتكلّم عن أهل البصرة وهم حضور؟

فلمّا عاد أهل البصرة أبلغوا ابن عامر، فغضب وقال: أيّ أهل العراق أشدّ عداوةً لابن الكَوّا؟ فقيل: عبد الله بن أبي شيخ اليشكريّ، فولّاه خُراسان، فبلغ ذلك ابن الكوّا، فقال: إنّ ابن دَجاجة، يعني ابن عامر، قليل العلم فيّ، ظنّ أنّ ولاية عبد الله خُراسان تسوءُني! لَوَدِدْتُ أنّه لم يبقَ يَشْكُريّ إلاّ عاداني، وأنّه ولّاه.

وقيل: إنّ الذي ولّاه ابنُ عامر خُراسان طُفَيْل بن عَوْف اليشكريّ.

فلمّا علم معاويةُ حال البصرة أراد عزل ابن عامر، فأرسل إليه يستزيره، فجاء إليه،

---

(١) تاريخ خليفة ٢٠٧، تاريخ الطبري ٥/٢١٢، تاريخ حلب للعظيمي ١٧٨، البداية والنهاية ٨/٢٧.
(٢) تاريخ الطبري ٥/٢١٢، البداية والنهاية ٨/٢٧.

فردّه على عمه، فلمّا ودّعه قال: إنّي سائلك ثلاثاً، فقلْ هنّ لك. فقال: هنّ لك، وأنا ابن أمّ حكيم. قال: تردّ عليّ عملي ولا تغضب. قال: قد فعلتُ. قال: وتهب لي مالك بعَرَفة. قال: قد فعلتُ. قال: وتهب لي دُورك بمكّة. قال: قد فعلتُ. قال: وَصَلَتْك رَحِم. فقال ابن عامر: يا أمير المؤمنين إنّي سائلك، ثلاثاً فقلْ هنّ لك. فقال: هنّ لك، وأنا ابن هند. قال: تردّ عليّ مالي بعرفة. قال: قد فعلتُ. قال: ولا تحاسب لي عاملاً ولا تتبع لي أثراً. قال: قد فعلتُ. قال: وتُنْكِحَني ابنَتَك هنداً قال: قد فعلتُ.

ويقال: إنّ معاوية قال له: اخترْ إمّا أن أتّبع أثرك وأحاسبك بما صار إليك وأردّك، وإمّا أن أعزلك وأسوّغك ما أصبتَ(١). فاختار العزل، وأن لا يسوّغه ما أصاب، فعزله وولّى البصرة الحارث بن عبد الله الأزديّ(٢).

ذِكر استلحاق معاوية زياداً

وفي هذه السنة استلحق معاويةُ زيادَ بن سُمَيّة، فزعموا أنّ رجلاً من عبد القيس كان مع زياد لما وفد على معاوية، فقال لزياد: إنّ لابن عامر عندي يداً، فإن أذنتَ لي أتيتُه. قال: على أن تحدّثني بما يجري بينك وبينه. قال: نعم. فأذِن له فأتاه، فقال له ابن عامر: هيه هيه! وابن سُمَيّة يُقَبّح آثاري ويعرّض بعُمّالي(٣)! لقد هممتُ أن آتي بقَسَامةٍ(٤) من قريش (يحلفون بالله)(٥) أنّ أبا سفيان لم يَرَ سُمَيّة.

فلمّا رجع سأله زياد فلم يخبره، فألحّ عليه حتّى أخبره، فأخبر زيادُ بذلك معاوية. فقال معاوية لحاجبه: إذا جاء ابن عامر فاضربْ وجه دابّته عن أقصى الأبواب. ففعل ذلك به. فأتى ابنُ عامر يزيدَ فشكا ذلك إليه، فركب معه حتّى أدخله، فلمّا نظر إليه معاويةُ قام فدخل. فقال يزيد لابن عامر: اجلسْ، فكم عسى أن تقعد(٦) في البيت عن مجلسه! فلمّا أطالا خرج معاويةُ وهو يتمثّل:

لَـنَـا سِـبَـاقٌ ولـكُـم سـبـاقُ　　　قـد عـلـمَـتْ ذلـكُـمُ الـرِّفـاقُ

---

(١) في الأصل: «كسبت».

(٢) الخبر في: تاريخ الطبري ٥/٢١٢ - ٢١٤، ونهاية الأرب ٢٠/٣٠٠، ٣٠١، والبداية والنهاية ٨/٢٧ ٢٨.

(٣) في الطبعة الأوربية: «ويعترض لعمّالي».

(٤) في الطبعة الأوربية: «بقاسمة».

(٥) الموجود في الأصل: «يحامون».

(٦) في الطبعة الأوربية: «يقعد».

ثمّ قعد فقال: يا ابن عامر، أنت القائل في زياد ما قلت[1]؟ أمَا والله لقد علمتِ العربُ أنّي كنتُ أعزّها في الجاهليّة وأنّ الإسلام لم يزِدْني إلّا عزّاً، وأنّي لم أتكثّر بزياد من قلّة، ولم أتعزّز به من ذلّة، ولكن عرفتُ حقّاً له فوضعتُهُ موضعه. فقال: يا أمير المؤمنين نرجع إلى ما يحبّ زياد. قال: إذاً نرجع إلى ما تحبّ. فخرج ابن عامر إلى زياد فترضّاه.

فلمّا قدِم زياد الكوفة قال: قد جئتكم في أمرٍ ما طلبتُه إلّا لكم. قالوا: ما تشاء؟ قال: تُلحقون نسبي بمعاوية. قالوا: أمّا بشهادة الزور فلا. فأتَى البصرةَ فشهدَ له رجلٌ[2].

هذا جميع ما ذكره أبو جعفر في استلحاق معاوية نسبَ زياد، ولم يذكر حقيقة الحال في ذلك، إنّما ذكر حكايةً جرت بعد استلحاقه، وأنا أذكر سبب ذلك وكيفيّته، فإنّه من الأمور المشهورة الكبيرة في الإسلام لا ينبغي إهمالها.

وكان ابتداء حاله أنّ سُمَيّة أمّ زياد كانت لدِهْقان زَنْدَوَرد بكَسْكَر، فمرض الدِّهْقان، فدعا الحارثَ بن كَلَدة الطبيبَ الثقفيّ، فعالجه فبرأ، فوهبه سميّة، فولدت عند الحارث أبا بَكْرَة، واسمه نُفَيع، فلم يُقِرّ به، ثمّ ولدت نافعاً، فلم يقرّ به أيضاً، فلمّا نزل أبو بكرة إلى النبيّ ﷺ، حين حصر الطّائف قال الحارث لنافعٍ: أنت ولدي. وكان قد زوّج سُمَيّة من غلام له اسمه عُبَيْد، وهو روميّ، فولدت له زياداً.

وكان أبو سفيان بن حرب سار في الجاهليّة إلى الطائف، فنزل على خمّار يقال له أبو مريم السَّلُوليّ، وأسلم أبو مريم بعد ذلك وصحِب النبيّ ﷺ، فقال أبو سفيان لأبي مريم: قد اشتهيتُ النساء فالتمسْ لي بَغيّاً. فقال له: هل لك في سُمَيّة؟ فقال: هاتها على طول ثَدْيَيْها وذَفَر بطنها. فأتاه بها، فوقع عليها، فعلقت بزياد، ثمّ وضعته في السَّنة الأولى من الهجرة، فلمّا كبر ونشأ استكتبه أبو موسى الأشعريّ لما ولي البصرة، ثمّ إنّ عمر بن الخطّاب استكفى زياداً أمراً، فقام فيه مقاماً مرضيّاً، فلمّا عاد إليه حضر، وعند عمر المهاجرون والأنصار، فخطب خطبةً لم يسمعوا بمثلها. فقال عَمْرو بن العاص: لله هذا الغلام، لو كان أبوه من قريش لساق العرب بعصاه! فقال أبو سفيان، وهو حاضر: والله إنّي لأعرف أباه ومَنْ وضعه في رحِم أمّه. فقال عليّ: يا أبا سفيان اسكتْ، فإنّك لَتعَلم أنّ عمر لو سمع هذا القول منك لكان إليك سريعاً.

---

(١) في الأصل زيادة: «قال نعم».

(٢) في الطبعة الأوربية: «رجال»، والمثبت يتفق وتاريخ الطبري، وفيه الخبر ٥/٢١٤، ٢١٥ إلى هنا، وقد زاد عليه المؤلّف بما يأتي.

فلمّا ولي عليّ الخلافة استعمل زياداً على فارس، فضبطها وحمى قلاعها، واتّصل الخبر بمعاوية، فساءه ذلك، وكتب إلى زياد يتهدّده ويُعرّض له بولادة أبي سفيان إيّاه، فلمّا قرأ زياد كتابه قام في الناس وقال: العجب كلّ العجب من ابن آكلة الأكباد، ورأس النفاق! يخوّفني بقصده إيّاي، وبيني وبينه ابنا عمّ رسول الله ﷺ، في المهاجرين والأنصار؟ أمَا والله لو أذن لي في لقائه لَوَجدني أحمز مخشيّاً ضرّاباً بالسيف.

وبلغ ذلك عليّاً فكتب إليه: إنّي ولّيتك ما ولّيتك وأنا أراك له أهلاً، وقد كانت من أبي سفيان فلتة من أماني الباطل وكذِب النفس لا توجب له ميراثاً ولا تُحل (له نسباً)[1]، وإنّ معاوية يأتي الإنسان من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، فاحذرْ ثمّ احذر[2]، والسلام.

فلمّا قُتل عليّ، وكان من أمر زياد ومصالحته معاوية ما ذكرناه، واضَعَ زيادٌ مَصْقلةَ بن هُبَيرة الشيبانيّ، وضمن له عشرين ألف درهم ليقول لمعاوية: إنّ زياداً قد أكل فارس برّاً وبحراً، وصالحك على ألفَيْ ألف درهم، والله ما أرى الذي يقال إلاّ حقاً، فإذا قال لك: وما يقال؟ فقلْ: يقال إنّه ابن أبي سفيان. ففعل مَصْقَلة ذلك، ورأى معاويةُ أن يستميل زياداً، واستصفى مودّته باستلحاقه، فاتّفقا على ذلك، وأحضر الناسَ وَحضر مَنْ يشهد لزياد، وكان فيمن حضر أبو مريم السَّلُوليّ، فقال له معاوية: (بِمَ)[3] تشهد يا أبا مريم؟ فقال: أنا أشهد أنّ أبا سفيان حضر عندي، وطلب مني بَغِيّاً فقلتُ له: ليس عندي إلاّ سُمَيّة، فقال: إئتني بها على قَذَرها ووَضَرِها[4]، فأتيتُه بها، فخلا معها، ثمّ خرجتْ من عنده، وإنّ إسكتَيْها لتقطران مَنيّاً، فقال له زياد: مهلاً أبا مريم! إنّما بُعثتَ شاهداً، ولم تُبْعثْ شاتماً.

فاستلحقه معاوية، وكان استلحاقه أوّل ما رُدّتْ أحكام الشريعة علانيةً، فإنّ رسول الله ﷺ قضى بالولد[5] للفراش، وللعاهر الحجْر.

وكتب زياد إلى عائشة: (من زياد بن أبي سفيان، وهو يريد أن تكتب له: إلى زياد بن أبي سفيان، فيحتجّ بذلك، فكتبت: من عائشة)[6] أمّ المؤمنين إلى ابنها زياد.

---

(١) في الأصل: «لك شيئاً».
(٢) في الأصل و(ر): «فالحذر ثم الحذر».
(٣) زيادة من (ش).
(٤) في (ر): «وزفرها».
(٥) في الأصل: «للوليد».
(٦) ما بين القوسين زيادة من الأصل.

وعظم ذلك على المسلمين عامّة[1] وعلى بني أُميّة خاصّة، وجرى (أقاصيص يطول بذكرها الكتاب فأضربنا عنها.

ومَنِ اعتذر لمعاوية قال: إنّما)[2] استلحق معاويةُ زياداً، لأنّ أنكحة الجاهليّـة كانت أنواعاً، لا حاجة إلى ذِكر جميعها، وكان منها أنّ الجمـاعة يجـامعون البَغِيّ، فـإذا حملَت وولدتْ ألحقت الولد لمن شاءت منهم فيلْحَقه، فلمّا جاء الإسلام حـرّم هذا النكـاح، إلاّ أنّه أقرّ كلّ ولد كان يُنسَب إلى أبٍ من أيّ نكاح كـان من أنكحتهم على نسبه، ولـم يفـرّق بين شيءٍ منها، فتوهّم معـاوية أنّ ذلـك جائـز له، ولـم يفـرّق بين استلحاقٍ في الجـاهليّة والإسلام[3]، (وهذا مردود لاتّفاق المسلمين على إنكاره ولأنّه لم يستلحق أحد في الإسلام مثله ليكون به حجّة)[4].

قيـل: أراد زياد أن يحـجّ بعد أن استلحقـه معاويـة، فسمع أخـوه أبو بَكْـرة، وكان مهاجراً له من حين خالفه في الشهادة (بالزنا)[5] على المغيرة بن شعبـة، فلمّا سمـع بحجّه جاء إلى بيته، وأخذ ابناً له، وقال له: يا بنيّ، قُـل لأبيك إنّني سمعتُ أنّـك تريـد الحجّ، ولا بدّ من قدومك إلى المدينـة، ولا شكّ أن تـطلب الإجتماع بـأمّ حبيبة بنت أبي سفيـان زوج النبيّ ﷺ، فإن أذِنَتْ لك فأعظِمْ به خِزْيا[6] مع رسول الله ﷺ وإنْ سنعتْك، فأعظِمْ به فضيحةً في الدّنيا، وتكذيباً لأعدائك. فترك زياد الحجّ وقال: جزاك الله خيراً، فقد أبلغتَ في النُّصْح.

ذكر غزو المهلّب السند

وفيها غزا المهلّب بن أبي صُفْرة ثغر السند فأتى بَنّة[7] والأهواز، وهما بين المُلتان[8]

---

(١) في الأصل: «كافة».

(٢) ما بين القوسين زيادة من الأصل.

(٣) إلى هنا ينتهي الاقتباس في: نهاية الأرب ٢٠/٣٠٤، ٣٠٥.

(٤) ما بين القوسين زيادة من (ش).

(٥) من (ش).

(٦) في نسخة المتحف البريطاني، وبودليان: «حرباً».

(٧) في (ر): «نبثه»، والمثبت يتفق مع: معجم البلدان ١/٥٠٠، ٥٠١ وفيـه: بَنَّة: بـالفتـح، ثم التشـديـد، مدينة بكابُل. وفي كتاب الفتوح: غزا المهلّب بن أبي صفرة في سنة ٤٤ أيام معاوية.. وذكـر الخبر. وفي تاريخ خليفة: «بته» بالتاء، وهو تحريف.

(٨) في (ر): «المليان»، والمثبت يتفق مع: معجم البلدان ٥/١٨٩ وفيه: مُلتان: بضم الميم، وسكون اللام، وتاء مثنّاة من فوقها، وآخره نون، وأكثر ما يكتب: مولتان، بالواو، هي مدينة من نـواحي الهند قـرب غزنـة أهلها مسلمون منذ قديم.

وكابُل، فلقيه العدّو وقاتَله، ولقي المهلّب ببلاد القيقان ثمانيةَ عشر فارساً من التُّرك فقاتلوه جميعاً، فقال المهلّب: ما جعل هؤلاء الأعاجم أولى بالتّشمير منّا! فحذف الخيل، وكان أوّل من حذفها من المسلمين، وفي يوم بَنّة يقول الأزديّ:

ألم تَرَ أنّ الأزدَ ليلةَ بُيِّتُوا ... ببَنّة كانوا خير جيش المهلّبِ[1]؟

ذكر عدّة حوادث

وحجّ بالناس في هذه السنة معاوية[2].

وفيها عمل مروان بن الحَكَم المقصورة بالمدينة[3]، وهو أوّل من عملها بها، وكان معاوية قد عملها بالشام لما ضربه الخارجيّ.

[الوَفَيات]

وفيها توفّيت أمّ حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبيّ ﷺ[4].

وفيها قُتل رفاعة العدوي من عديّ رباب[5]، (وهو بصْريّ له صُحْبة)[6].

---

(١) الخبر باختصار في تاريخ خليفة ٢٠٦، وهو في فتوح البلدان للبلاذري ٥٣١ اقتبسه المؤلف منه، وباختصار في: الخراج وصناعة الكتابة لقدامة ٤١٤، ومعجم البلدان ١/٥٠١ وفيه بيت الشعر، واختصره الذهبي في: تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ١٢.

(٢) تاريخ خليفة ٢٠٧، تاريخ الطبري ٥/٢١٥، مروج الذهب ٤/٣٩٨، تاريخ حلب ١٧٨، تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ١٣، شفاء الغرام لقاضي مكة (بتحقيقنا) ٢/٣٣٩.

(٣) تاريخ حلب للعظيمي ١٧٨.

(٤) ما بين القوسين من (ش). وانظر عن (أم حبيبة) في: تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ـ بتحقيقنا ـ ففيه مصادر ترجمتها ـ ص ١٣٢ ـ ١٣٤.

(٥) في الأصل و (ر): «بن عبد مناة».

(٦) ما بين القوسين زيادة من (ش).

٤٥
ثم دخلت سنة خمس وأربعين

فيها ولّى معاويةُ الحارثَ بن عبد الله[١] الأزديّ البصرة في أوّلها حين عزل ابن عامر، وهو من أهل الشام، فاستعمل الحارثُ على شُرطته عبدَ الله بن عَمْرو الثقفيّ، فبقي الحارث أميراً على البصرة أربعة أشهر، ثمّ عزله وولّاها زياداً[٢].

ذكر ولاية زياد بن أبيه البصرة

قدم زيادٌ الكوفة فأقام ينتظر إمارته عليها، فقيل ذلك للمُغيرة بن شُعْبَة، فسار إلى معاوية، فاستقاله الإمارة وطلب منه أن يُعْطيه منازل بقَرْقِيسيا ليكون بين قيس، فخافه معاوية وقال له: لَتَرْجعنّ إلى عملك، فأبَى، فازداد معاويةُ تُهمةً له، فردّه على عمله، فعاد إلى الكوفة ليلاً، وأرسل إلى زياد فأخرجه منها.

وقيل: إنّ المغيرة لم يَسرْ إلى الشام، وإنّما معاويةُ أرسل إلى زياد، وهو بالكوفة، فأمره بالمسير إلى البصرة، فولّاه البصرة وخُراسان وسَجِسْتان، ثمّ جمع له الهندَ والبحرين وعُمان، فقدِم البصرةَ آخر شهر ربيع الآخر سنة خمسٍ وأربعين، والفسقُ ظاهرٌ فاشٍ، فخطبهم خطبته[٣] البتراء، لم يحمد الله فيها[٤]، وقيل: بل حمد الله فقال:

الحمد لله على إفضاله وإحسانه، ونسأله مزيداً من نِعَمه[٥]، اللّهم كما زدتنا نِعَماً فألهمنا شُكراً على نعمك علينا! أمّا بعدُ، فإنّ الجهالة الجهلاء، والضّلالة العمياء،

---

(١) في تاريخ خليفة ٢٠٧: «الحارث بن عمرو»، وكذا في: تاريخ الإسلام ١٤.

(٢) تاريخ الطبري ٥/٢١٦، نهاية الأرب ٢٠/٣٠٩، تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ١٤، البداية والنهاية ٨/٢٩.

(٣) في: البيان والتبيين: «خطبة»، وكذا في: العقد الفريد.

(٤) زاد في: البيان والتبيين: «ولم يصلّ على النبيّ».

(٥) في: البيان، والعقد: «ونسأله المزيد من نعمه وإكرامه».

والفجر الموقد لأهله النّار، الباقي عليهم سعيرُها، ما يأتي سفهاؤكم[١]، ويشتمل عليه حلماؤكم من الأمور العظام، فينبت[٢] فيها الصغير، ولا يتحاشى[٣] عنها الكبير، كأن لم تسمعوا نبيّ الله، ولم تقرأوا كتاب الله، ولم تعلموا[٤] ما أعدّ الله من الثواب الكريم لأهل طاعته، والعذاب الأليم لأهل معصيته، في الزّمن السرمد الّذي لا يزول، أتكونون كمن طرفتْ[٥] عينَه[٦] الدّنيا، وسدّتْ مسامعَه الشهواتُ، واختار الفانية على الباقية، ولا تذكرون أنّكم أحدثْتم في الإسلام الحَدَثَ الّذي لم تُسْبَقوا إليه[٧]، هذه المواخير المنصوبة والضعيفة المسلوبة في النهار المُبْصر، والعدد غيرُ قليل. ألم تكن منكم نُهاة تمنع الغُواة عن دَلَج الليل وغارة النهار؟ قرّبتم القرابة، وباعدتم (الدّين، تعتذرون)[٨] بغير العُذْر، وتعطفون[٩] على المختلس، كلّ امرىء منكم يذبّ عن سفيهه[١٠]، صنيع[١١] من لا يخاف عاقبةً[١٢]، ولا يخشى[١٣] معاداً! ما أنتم بالحُلَماء، ولقد اتّبعتم السُّفهاء، فلم يزل بهم[١٤] ما ترون من قيامكم دونهم، حتّى انتهكوا حُرَمَ الإسلام، ثمّ أطرقوا[١٥] وراءكم كُنوساً في مكانس الرِّيَب، حرام عليّ الطّعامُ والشّرابُ حتّى أُسوّيها بالأرض هَدْماً وإحراقاً! إنّي رأيتُ آخر هذا الأمر لا يصلح إلاّ بما صَلَح به أوّله، لِين في غير ضَعْف، وشدّة في غير (جَبريّة)[١٦]وعُنف، وإنّي لأقسم بالله لآخذنّ الوليّ بالوليّ[١٧]، والمقيمَ بالظّاعن، والمقبلَ بالمُدْبِر، والصحيحَ منكم بالسقيم[١٨]، حتّى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول: انجُ سعد فقد

---

(١) في البيان: «والغيّ الموفي بأهله على النار، ما فيه سفهاؤكم»، وفي: العقد: «والعمى الموفي..».
(٢) في (ر): «فيشيب».
(٣) في: البيان: «ينحاش»، والمثبت يتفق مع: العقد.
(٤) في: البيان، والعقد: «ولم تسمعوا».
(٥) في الطبعة الأوربية: «طرقت».
(٦) في: العقد: «عينيه».
(٧) في البيان زيادة: «من ترككم الضعيف يُقهر ويؤخذ ماله، و». وفي العقد: «من ترككم».
(٨) في الطبعة الأوربية: «الذين يعتذرون».
(٩) في: البيان، والعقد: «تغضّون». وفي تاريخ الطبري: «وتغطّون».
(١٠) في (ر): «مستقيمه».
(١١) في البيان: «صنع».
(١٢) في تاريخ الطبري: «عقاباً».
(١٣) في: البيان، وتاريخ الطبري، والعقد: «ولا يرجو».
(١٤) في البيان، والعقد: «بكم».
(١٥) في الطبعة الأوربية: «أطرفوا».
(١٦) ليست في: البيان، وتاريخ الطبري، والعقد.
(١٧) في العقد: «بالمولى».
(١٨) في البيان: «والصحيح منكم في نفسه بالسقيم».

هلك سعيد، أو تستقيم لي قناتكم، إنّ كذبة المنبر[1] [بَلقاء] مشهورة[2]، فإذا تعلّقتم عليّ بكذبة فقد[3]، حلّتْ لكم معصيتي[4]. مَنْ بُيّت منكم[5] فأنا ضامن لما ذهب له، إيّاي وَدَلج اللّيل، فإنّي لا أُوتَى بمُدلجٍ إلّا سفكتُ دمه، وقد أجّلتكم[6] في ذلك بقدر ما يأتي الخبر الكوفَة ويرجع إليكم، وإيّاي ودعوى الجاهليّة، فإنّي لا أجد أحداً دعا[7] بها إلّا قطعتُ لسانه.

وقد أحدثتم أحداثاً لم تكن، وقد أحدثنا لكلّ ذنب عقوبة، فمن غرّق قوماً غرّقناه[8]، ومَنْ حرّق على قوم حرّقناه[9]، ومَنْ نَقَب بيتاً نقبتُ[10] عن قلبه، ومَن نبش قبراً دفنته[11] فيه حيّاً، فكفّوا عنّي أيديَكم وألسنتكم، أكفُفْ عنكم لساني ويدي، وإيّاي[12] لا يظهر من أحد منكم خلاف ما عليه[13] عامّتكم إلا ضربتُ عُنُقَه، وقد كانت بيني وبين أقوام إحَنٌ، فجعلت ذلك دَبْر أذني وتحت قدمي، فمَنْ كان منكم محسناً فلْيزددْ إحساناً، ومَن كان مسيئاً فلينزع عن إساءته. إنّي[14] لو علمتُ أنّ أحدكم قد قتله السّلّ من بُغْضي لم أكشف له قناعاً، ولم أهتك له سِتْراً حتّى يُبْدي لي صَفْحته، فإذا فعل لم أناظره[15]، فاستأنفوا[16] أموركم، وأعينوا[17] على أنفسكم، فرُبّ مبتئسٍ بقدومنا سيُسرّ[18]، ومسرورٍ بقدومنا سيبتئس[19]،

---

(١) في العقد: «الأمير».
(٢) في الطبعة الأوربية: «مشهودة». وفي تاريخ الطبري: تبقى مشهورة».
(٣) في الطبعة الأوربية: «فقلت».
(٤) زاد في البيان، وتاريخ الطبري: «وإذا سمعتموها مني فاغتمزوها فيّ، واعلموا أنّ عندي أمثالها».
(٥) في العقد: «من نُقب منكم عليه» وكذا في: البيان.
(٦) في العقد: «وقد أُجِّلْتُم».
(٧) في البيان: «فإني لا آخذ داعياً بها».
(٨) في تاريخ الطبري: «غرّقته».
(٩) في البيان، والعقد: «ومن أحرق قوماً أحرقناه».
(١٠) في: العقد: «نقبنا».
(١١) في: البيان، والعقد: «دفنّاه».
(١٢) في تاريخ الطبري: «أكفف يداي وأذاي».
(١٣) في: البيان: «ولا تظهر على أحد منكم ريبة بخلاف ما عليه»، وفي: العقد: «ولا يظهرنّ من أحد منكم زيبة بخلاف ما عليه».
(١٤) في البيان: «إني والله».
(١٥) في: العقد: «فإن فعل ذلك لم أنظره».
(١٦) في الأصل: «فاستبقوا»، وفي (أ): «فاستوثقوا».
(١٧) في: البيان: «وأرعوا»، وفي: العقد: «واستعينوا».
(١٨) في البيان: «سنسره».
(١٩) في البيان «سنسوؤه».

أيّها الناس، إنّا أصبحنا لكم ساسةً[1]، وعنكم ذادةً، نسوسكم بسلطان الله الّذي أعطانا، ونَذود عنكم بفَيْء الله الذي خَوّلَنَا، فلنا عليكم السّمع والطّاعة فيما أحببنا، ولكم علينا العدل فيما وَلِينا، فاستوجبوا عدلنا وفَيْئنا بمناصحتكم[2]، واعلموا أنّي مهما قصّرتُ عنه، فإنّي لا أُقصّر عن ثلاث: لستُ محتجباً عن طالب حاجةً منكم، ولو أتاني طارقاً بليل، ولا حابساً رزقاً ولا عطاء[3] عن إبّانه، ولا مجمِّراً[4] لكم بعثاً، فادعوا الله بالصّلاح لأئمتكم[5]، فإنّهم ساستكم المؤدِّبون، وكهفكم الذي إليه تأوون، ومتى تصلحوا يصلحوا[6]، ولا تُشْربوا قلوبكم بُغْضهم فيشتدّ لذلك غيظكم[7]، ويطول له حزنكم، ولا تُدْركوا حاجتكم[8]، مع أنّه لو استُجيب لكم[9] لكان شرّاً لكم، أسأل الله أن يعين كُلّاً على كلّ، فإذا رأيتموني أُنفِّذ فيكم الأمرَ فَأَنْفِذُوه على أَذْلالـه[10]، وإنّ لي[11] فيكم لصَرْعى كثيرة، فلْيحذَرْ كلُّ امرىءٍ منكم أن يكون من صرعاي.

فقام إليه عبد الله بن الأهتْم فقال: أشهد أيّها الأمير أنّك[12] أُوتيتَ الحكمة وفصْل الخطاب. فقال: كَذَبتَ، ذاك نبيّ الله داود! فقال الأحنف: قد قلتَ فأحسنتَ أيّها الأمير[13]، والثّناء بعد البلاء، والحمد بعد العطاء، وإنّا لن نُثْني حتّى نبتلي. فقال زياد: صدقتَ. فقام إليه أبو بلال مرداس بن أُدَيّة، (وهو من الخوارج)[14]، وقال: أنبأ الله بغير[15] ما قلتَ، قال الله تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾[16]، فأوعدَنا الله خيراً ممّا أوعدتني[17] يا زياد. فقال زياد: إنّا

---

(١) في البيان: «سادة».
(٢) زاد في: البيان، والعقد: «لنا».
(٣) في البيان، والعقد: «ولا حابساً عطاءً ولا رزقاً».
(٤) التجمير: حبس البعوث في الثغور.
(٥) في (ر): «لا يمسكم».
(٦) في البيان، والعقد: «يصلحوا تصلحوا».
(٧) في العقد: «أسفكم».
(٨) في البيان: «ولا تدركوا به حاجتكم»، وفي العقد: «ولا تدركوا له حاجتكم».
(٩) في: البيان، والعقد: «لكم فيه».
(١٠) على أَذْلاله: أي على وجهه وطُرقه.
(١١) في البيان، وتاريخ الطبري، والعقد: «وايْم الله إنّ».
(١٢) في: البيان، والعقد: «لقد».
(١٣) في البيان: «أيها الأمير، إنما المرء يجدّ، والجواد بشدّة، وقد بلغك جدّك أيها الأمير ما ترى، وإنما الثناء..».
(١٤) زيادة من (ش). وفي المصادر زيادة: «وهو يهمس».
(١٥) في العقد: «أنبأنا الله بخلاف».
(١٦) سورة النجم، الآيات: ٣٧ ـ ٣٩.
(١٧) في تاريخ الطبري: «مما واعدت».

لا نجد إلى ما تريد أنتَ وأصحابُك سبيلاً، حتّى نخوض إليها الدّماء[1].

واستعمل زياد على شُرطته عبد الله بن حِصْن، وأجّل[2] الناسَ حتّى بلغ الخبرُ الكوفة، وعاد إليه وصول الخبر، فكان يؤخّر العشاء الآخرة، ثمّ يصلّي، فيأمر رجلاً أن يقرأ سورة البقرة أو مثلها يُرتِّل القرآن، فإذا فرغ أمهل بقدر ما يرى أن إنساناً يبلغ أقصى البقرة، ثمّ يأمر صاحب شرطته بالخروج، فيخرج، فلا يرى إنساناً إلاّ قتله، فأخذ ذات ليلة أعرابيّاً، فأتى به زياداً فقال: هل سمعتَ النداء؟ فقال: لا والله! قدِمتُ بحَلَوبةٍ لي وغشيني الليل، فاضطررتها إلى موضع، وأقمتُ لأُصبح، ولا علم لي بما كان من الأمير. فقال: أظنّك والله صادقاً، ولكن في قتلك صلاحُ الأمّة. ثمّ أمر به فضُربت عُنُقه.

وكان زياد أوّل من شدّد أمر السلطان، وأكّد الملك لمعاوية، وجرّد سيفه، وأخذ بالظِّنّة، وعاقب على الشُبهة، وخافه الناسُ خوفاً شديداً، حتّى أمِن بعضهُم بعضاً، وحتّى كان الشيء يسقط من يد الرجل أو المرأة، فلا يعرض له أحد حتّى يأتيه صاحبه فيأخذه، ولا يُغلِق أحد بابه[3].

(وأدرّ العطاءَ)[4]، وبني مدينة الرزق، وجعل الشُّرَط أربعة آلاف[5]، وقيل له: إنّ السبيل[6] مَخُوفة. فقال: لا أُعاني شيئاً وراء المِصْر حتّى أُصلح المصر، فإن غلبني فغيره أشدّ غلبة منه. فلمّا ضبط المصر وأصْلحه تكلّف ما وراء ذلك فأحكمه[7].

ذكر عُمّال زياد

استعان زياد بعدّة من أصحاب النبيّ ﷺ، منهم: عِمْران بن حُصَين الخُزاعي، ولاّه قضاء البصرة، وأنَس بن مالك، وعبد الرحمن بن سَمُرَة، وسَمُرَة بن جُنْدَب. فأمّا عِمران

---

(١) في: البيان، والعقد بعد الآية الكريمة: «وأنت تزعم أنك تأخذ البري بالسقيم، والمطيع بالعاصي، والمقبل بالمدبر، فسمعه زياد، فقال: إنّا لا نبلغ ما نريد فيك وفي أصحابك حتى نخوض إليكم الباطل خوضاً».
وانظر الخطبة في: البيان والتبيين ٢/٧١ - ٧٤، وتاريخ الطبري ٥/٢١٧ - ٢٢١، والعقد الفريد ٤/١١٠ - ١١٣، وبعضها في: الأمالي للقالي ٣/١٨٥، ١٨٦، ونهاية الأرب ٢٠/٣٠٩ - ٣١٤.

(٢) في الأصل: «أسهل».

(٣) تاريخ الطبري ٥/٢٢١، ٢٢٢ وفيه: «وتبيت المرأة فلا تغلق عليها بابها» وساس الناس سياسة لم يُرَ مثلها، وهابه الناس هيبة لم يهابوها أحداً قبله».

(٤) من الأصل.

(٥) تاريخ الطبري ٥/٢٢٢، نهاية الأرب ٢٠/٣١٥، ٣١٦.

(٦) عند الطبري: «السُبُل».

(٧) الطبري ٥/٢٢٣.

فاستعفى من القضاء فأعفاه. واستقضى عبدَ الله بن فَضالة اللّيثيّ، ثمّ أخاه عاصماً، ثمّ زُرارة بن أوْفَى، وكانت أخته عند زياد.

وقيل: إنّ زياداً أوّل من سيّر بين يديه بالحِراب والعَمَد، واتّخذ الحرس رابطة خمسمائة لا يفارقون المسجد.

وجعل خُراسان أرباعاً، واستعمل على مرو أُمَيْر بن أحمر، وعلى نَيْسابور[1] خُلَيْد بن عبد الله الحنفيّ، وعلى مرو الرُّوذ والفارِياب والطّالقَان قيس بن الهَيْثم، وعلى هَراة وباذَغِيس [وقادس][2] وبُوشنج نافع بن خالد الطاحيّ، ثمّ عتب عليه فعزله[3].

وسبب تغيّره عليه أنّ نافعاً بعث بخُوان باذزهر[4] إلى زياد قوائمه منه، فأخذ نافع منها قائمة، وعمل مكانها قائمة من ذهب، وبعث الخُوان مع غلام له اسمه زيد، وكان يلي أمور نافع كلّها، فسعى زيدٌ بنافع إلى زياد وقال: إنّه خانك، وأخذ قائمة الخُوان. فعزله زياد وحبسه، وكتب عليه كتاباً بمائة ألف، وقيل: بثمانمائة ألف، فشفع فيه رجالٌ من وجوه الأزد فأطلقه[5].

واستعمل الحكمَ بن عَمرو الغِفاريّ،وكانت له صُحبة، وكان زياد قال لحاجبه: ادعُ لي الحَكَم، يريد الحكم بن أبي العاص الثقفيّ، ليوليّه خُراسان، فخرج حاجبُه فرأى الحَكَم بن عَمرو الغِفاريّ، فاستدعاه، فحين رآه زياد قال له: ما أردتك ولكنّ الله أرادك! فولّاه خُراسان، وجعل معه رِجالاً على جِباية الخراج، منهم: أسلم بن زُرْعة الكلابيّ، وغيره. وغزا الحَكَم طخارستان، فغَنِم غنائم كثيرة، ثمّ مات واستخلف أنسَ بن أبي أناس بن زُنَيم، فعزله زياد، وكتب إلى خُلَيد بن عبد الله الحنفيّ بولاية خُراسان، ثمّ بعث الربيعَ بن زياد الحارثيّ في خمسين ألفاً من البصرة والكوفة[6].

ذكر عدّة حوادث

وحجّ بالناس هذه السنة مروانُ بن الحكم[7]، وكان على المدينة.

---

(١) في تاريخ الطبري: «أبْرَشهر».

(٢) إضافة من الطبري.

(٣) تاريخ الطبري ٥/٢٢٤، نهاية الأرب ٢٠/٣١٦.

(٤) عند الطبري: «بازهر».

(٥) تاريخ الطبري ٥/٢٢٤، ٢٢٥.

(٦) تاريخ الطبري ٥/٢٢٥، ٢٢٦، نهاية الأرب ٢٠/٣١٦، ٣١٧.

(٧) تاريخ خليفة ٢٠٧، تاريخ الطبري ٥/٢٢٦، مروج الذهب ٤/٣٩٨، تاريخ حلب ١٧٨، نهاية الأرب ٢٠/٣١٧، البداية والنهاية ٨/٢٩.

[الوفَيات]

وفيهـا مات زيـد بن ثابت الأنصاري[1]، وقيل: سنة خمس وخمسين[2]، وعاصم بـن عـدّي الأنصاريّ البلويّ[3]، وكـان بدريّـاً، وقيل: لم يشهـدها بـل ردّه رسول الله ﷺ إلى المـدينة وضـرب له بسهْمـه[4]، وكان عُمْره مائـة وعشـرين سنـة. وفيهـا مـات سلَمَـة بن سَلامة[5] بن وَقش الأنصاريّ بالمدينة، وشهد العَقَبة وبدْراً، وكان عمره سبعين سنة. وفيها تُوُفّي ثابت بن الضحّـاك[6] بن خليفة الكـلابيّ، وهو من أصحـاب الشجرة، وهـو أخو أبي جُبَيرة بن الضحّاك.

---

(١) تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ١٤ وقال: فيها توفي على الصحيح.

(٢) تاريخ الصحابة لابن حبان ١٠٥ رقم ٤٦٩.

(٣) أنظر عن (عاصم بن عدي) في:
مسنـد أحمـد ٥/٤٥٠، والـطبقـات الكبـرى ٣/٤٦٦، والمغـازي للواقـدي ١٠١، ١١٤، ١٦٠، ٦٨٥، ٦٨٩، ٧١٧، ٧١٩، ٩٩١، ١٠٤٦، ١٠٤٨، ١١١٠، وسيـرة ابن هشـام (بتحقيقنـا) ٢/٣٣١ و٣/٢٩٩ و٤/١٧١، ١٩٥، وطبقات خليفة ٨٧، ١١٨، والتاريخ الكبيـر ٦/٤٧٧ رقم ٣٠٣٧، والمعرفـة والتاريـخ ٢/٢١٥، وأنسـاب الأشـراف ١/٢١، ٢٤١، ٢٨٩، ٣٠٠، والجـرح والـتعـديـل ٦/٣٤٥، ٣٤٦ رقم ١٩١١، والثقات ٣/٢٨٦، وتاريخ الصحابة ١٨٤ رقم ٩٤٥، والاستيعاب ٣/١٣٤، وأسد الغابة ٣/٧٥، وتهـذيب الأسمـاء واللغـات ق ١ ج ١/٢٥٥ رقم ٢٧٦، وتحفـة الأشـراف ٤/٢٢٥ - ٢٢٧ رقم ٢٥٦، وتهذيب الكمال (المصوّر) ٢/٦٣٦، والعبر ١/٥٣، وتاريخ الإسلام (عهد معـاوية) ٧٢، ٧٣، والكـاشف ٢/٤٦ رقم ٢٥٣١، ومـرآة الجنان ١/١٢٢، والـوافي بالـوفيـات ١٦/٥٦٩ رقم ٦٠٢، وتهذيب التهـذيب ٥/٤٩ رقم ٨٠، وتقـريب التهـذيب ١/٣٨٤ رقم ١٦، والإصـابة ٢/٢٤٦ رقم ٤٣٥٣، وخـلاصة تـذهيب التهذيب ١٨٢، وشذرات الذهب ١/٥٤.

(٤) سيرة ابن هشام ٢/٣٣١، الروض الأُنُف ٣/٩٩.

(٥) انظر عن (سلمة بن سلامة) في:
السيـر والمغازي لابن إسحـاق ٨٤، ومسند أحمـد ٣/٤٦٧، وسيـرة ابن هشـام ١/٢٣٨ و٢/٩٩، ١٤٧، ٢٨٥، ٣٢٩، والمغـازي للواقـدي ٢٤، ٤٦، ١١٦، ١٥٨، ٣٠٨، ٣١٤، ٤٢٣، ٥١١، ٥٢٧، ٥٢٩، ٥٣٤، ٦٥٦، ٧٢١، ٨٨٠، ١٠٣٩، ١٠٥٤، والمحبّر ٧٤، ١١٩، والطبقـات الكبرى ٣/٤٣٩، ٤٤٠، وطبقـات خليفة ٧٧، وتـاريخ خليفـة ١١٠، ١١٥، ٢٠٧، والتـاريـخ الكبيـر ٤/٦٨، ٦٩، رقم ١٩٨٦، والمعـارف ٢٦٣، ومقدّمـة مسند بقيّ بن مخلد ١١٩ رقم ٤٤٥، والمعـرفـة والتـاريـخ ١/٣٣٤، وأنسـاب الأشراف ١/٢٤٠، وتاريخ الطبري ٢/٤٥٩ و٣/٢٩٩ و٤/٤٣١، والجرح والتعديل ٤/١٦١، ١٦٢ رقم ٧٠٩، ومشـاهير علمـاء الأمصـار ١٩ رقم ٧٤، والثقـات ٣/١٦٣، وتـاريـخ الصحـابـة ١١٩ رقم ٥٤٨، وجمهرة أنساب العرب ٣٣٩، والاستيعاب ٢/٨٦، والمستدرك ٣/٤١٧ - ٤١٩، والاستبصار ٢٢٢، وأسد الغابة ٢/٣٣٦، ٣٣٧، وسير أعلام النبلاء ٢/٣٥٥، ٣٥٦ رقم ٧٠، وتاريخ الإسلام (عهد معاويـة) ٦٣، وتلخيص المستـدرك ٣/٤١٧ - ٤١٩، وعهد الخلفـاء الـراشـدين من (تـاريخ الإسـلام) ٣٦٠، والـوافي بالوفيات ١٥/٣١٨ رقم ٤٤٣، والإصابة ٢/٦٦ رقم ٣٣٨١.

(٦) أنظر عن (ثابت بن الضحاك) في:
الثقات ٣/٤٤، وتاريخ الصحابة ٥٤ رقم ١٥٩.

٤٦
ثم دخلت سنة ستٍّ وأربعين

في هذه السنة كان مشتى مالك بن عبد الله بأرض الروم، وقيل: بل كان ذلك عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وقيل: بل كان مالك بن هُبَيرة السَّكونيّ[١].

وفيها انصرف عبد الرحمن بن خالد من بلاد الروم إلى حمص ومات[٢].

ذكر وفاة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد

وكان سبب موته أنّه كان قد عظُم شأنه عند أهل الشام، ومالوا إليه لما عندهم من آثار أبيهِ، ولغَنائه في بلاد الروم، ولشدّة بأسه، فخافه معاويةُ وخشي منه، وأمر ابن أثال النّصرانيّ أن يحتال في قتله، وضمِن له أن يضع عنه خراجه ما عاش، وأن يولّيه [جباية] خراج حمص. فلمّا قدِم عبد الرحمن من الروم دسّ إليه ابن أثال شربةً مسمومة مع بعض مماليكه، فشربها، فمات بحمص، فوفى له معاوية بما ضمِن له.

وقدم خالد بن عبد الرحمن بن خالد المدينة، فجلس يوماً إلى عُرْوة بن الزّبَير، فقال له عُروة ما فعل ابن أثال، فقام من عنده وسار إلى حمص، فقتل ابن أثال، فحُمل إلى معاوية، فحبسه أيّاماً ثمّ غرّمه دِيَته، ورجع خالد إلى المدينة، فأتى عُروة، فقال عُروة: ما فعل ابن أثال؟ فقال: قد كفيتُك ابنَ أثال، ولكن ما فعل ابنُ جُرْموز[٣]؟ يعني قاتل الزُّبير، فسكت عُروة[٤].

(١) تاريخ خليفة ٢٠٨ وفيه: قال ابن الكلبي: فيها شتّى مالك بن عبد الله أبو حكيم بأرض الروم، ويقال: بل شتّى بها مالك بن هبيرة الفزاري. وانظر: تاريخ الطبري ٥/٢٢٧، وتاريخ الإسلام (عهد معاوية) ١٦. وفي البداية والنهاية ٨/٣٠: فيها شتّى المسلمون ببلاد الروم مع أميرهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وقيل: كان أميرهم غيره، والله أعلم.

(٢) تاريخ الطبري ٥/٢٢٧، تاريخ حلب ١٧٩، نهاية الأرب ٢٠/٣١٧، تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ١٦، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٢٣.

(٣) وردت غير معجمة في الأصل.

(٤) الخبر في: تاريخ الطبري ٥/٢٢٧، ٢٢٨، ونهاية الأرب ٢٠/٣١٧، والبداية والنهاية ٨/٣١.

ذكر خروج سَهْم والخَطيم

وفيها خرج الخَطيم، وهو يزيد بن مالك الباهليّ، وسَهْم بن غالب الهُجَيْميّ[1]، فحكّما؛ فأمّا سهم فإنّه خرج إلى الأهواز فحكّم بها، ثمّ رجع فاختفى، وطلب الأمان، فلم يؤمِّنْه زياد، وطلبه حتّى أخذه وقتله، وصلبه على بابه.

وأمّا الخَطيم فإنّ زياداً سيّره إلى البحرين ثمّ أقدمه، وقال لمسلم بن عَمرو الباهليّ، والد قُتَيْبَة بن مسلم: أضمنْه، فأبَى وقال: إنْ بات خارجاً عن بيته أعلمتُك، ثمّ أتاه مسلم فقال له: لم يبت الخطيم اللّيلة في بيته، فأمر به فقُتل، وأُلقي في باهلة[2]، (وقد تقدّم ذلك أتمّ من هذا، وإنّما ذكرناه ها هنا لأنّه قُتل هذه السنة)[3].

ذكر عدّة حوادث

وحجّ بالناس هذه السنة عُتْبة بن أبي سفيان[4]. وكان العمّال من تقدّم ذكرهم.

[الوَفَيَات]

وفيها توفي صالح بن كَيْسان مولى بني غِفار، وقيل: مولى بني عامر[5]، (وقيل: الخُزَاعيّ)[6].

(١) في (س): «الجهيمي». وفي (أ): «الجمحي».
(٢) الخبر في: تاريخ الطبري ٥/٢٢٨، وذكر خليفة خبر سهم والخطيم في حوادث سنة ٤١ هـ. (ص ٢٠٤).
(٣) هذه العبارة بين القوسين من الأصل.
(٤) تاريخ خليفة ٢٠٨، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٣٩، تاريخ الطبري ٥/٢٢٨، مروج الذهب ٤/٣٩٨، نهاية الأرب ٢٠/٣١٩، البداية والنهاية ٨/٣٠.
وفي تاريخ حلب للعظيمي ١٧٩ أن الذي حج بالناس هو: مروان.
(٥) الثقات ٦/٤٥٤.
(٦) زيادة من الأصل.

٤٧
ثم دخلت سنة سبع وأربعين

في هـذه السنة كـان مشتى مـالـك بن هُبَيـرة بـأرض الـروم، ومشتى عبـد الـرحمن القَيْنيّ[١] بأنطاكية[٢].

ذِكر عُزل عبد الله بن عَمْرو
عن مصر وولاية ابن حُدَيْج

وفيها عُزل عبد الله بن عمرو بن العاص عن مصر، ووليها معاوية بن حُدَيْـج، وكان عثمانيّاً، فمـرّ به عبـد الرحمن بن أبي بكـر، فقال لـه: يا معـاوية قـد أخذتَ جـزاءَك من معاوية، قد قتلتَ أخي محمد بن أبي بكر لتلي مصر، فقد وليتها. فقال: ما قتلتُ محمداً إلّا بما صنع بعثمان. فقال عبد الرحمن: فلو كنتَ إنّمـا تطلب بـدم عثمان لَمَـا[٣] شاركتَ معاوية فيما صنع، حيث عمل عَمْرو بالأشعريّ ما عمل، فوثبتَ أوّل الناس فبايعتَهُ[٤].

(حُدَيْج: بضم الحاء المهملة، وفتح الدال المهملة، وبالجيم).

ذكر غزوة الغَور

في هذه السنة سار الحَكَمُ بن عَمرو إلى جبال الغَور، فغزا مَنْ بها، وكانوا ارتـدّوا، فأخذهم بالسيف عَنْوةً وفتحها، وأصاب منهـا مغانم كثيـرة وسبايـا، ولما رجـع الحكَمُ من هـذه الغزوة مـات بمَرو في قـول بعضهم[٥]، وكان الحَكَم قـد قـطع النهـر في ولايتـه ولم

---

(١) في (أ): «ابن قيس»، وفي الأصل: «القتبي»، وكذا في: البداية والنهاية ٣٢/٨.
(٢) الخبر في: تاريخ خليفة ٢٠٨، وتـاريخ الـطبري ٢٢٩/٥، والشطر الأول من الخبر في: تـاريخ الإسـلام (عهد معاوية) ١٧، وتاريخ اليعقوبي ٢٤٠/٢، والبداية والنهاية ٣١/٨.
(٣) في الطبعة الأوربيـة: «لِمَ».
(٤) الخبر في: تاريخ الطبري ٢٢٩/٥، وتاريخ حلب ١٧٩ (باختصار)، ونهاية الأرب ٣١٩/٢٠.
(٥) الخبر في: تاريخ الطبري ٢٢٩/٥، ٢٣٠.

يفتح. وكان أوّل المسلمين شرب من النهر مولًى للحكم اغترف بترسه، فشرب وناول الحكَمَ، فشرب وتوضّأ وصلّى ركعَتَين، وكان أوّل المسلمين فعل ذلك، ثمّ رجع.

ذكر مكيدة للمهلّب

وكان المهلّب مع الحَكَم بن عَمْرو بخُراسان، وغزا معه بعض جبال التُّرك فغنموا، وأخذ التُرك عليهم الشّعابَ والطّرُق، فعيي[١] الحَكَمُ بالأمر، فولّي المهلّبَ الحرب، فلم يزل يحتال حتّى أسر عظيماً من عُظماء التّرك، فقال له: إمّا أن تُخْرِجنا من هذا الضّيق، أو لأقتلنّك. فقال له: أوقد النار (حيال طريق)[٢] من هذه الطرق، وسيّرِ الأثقال نحوه، فإنّهم سيجتمعون فيه، ويخلّون ما سواه من الطُّرُق، فبادرهم إلى طريقٍ آخر، فما يدركونكم حتّى تخرجوا منه. ففعل ذلك، فسلِم الناس بما معهم من الغنائم[٣].

وحجّ بالناس هذه السنة عُتْبَة بن أبي سفيان[٤]، وقيل: عَنْبَسة بن أبي سفيان[٥]، وكان الوُلاة مَنْ تقدّم ذكرهم.

---

(١) في الأصل: «فسعى»، وفي (أ): «فعنى».

(٢) في الأصل: «في جبال الطريق».

(٣) بعد هذا الخبر، في (س) عنوان: «ذكر غزوة القسطنطينية».

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٣٩، تاريخ الطبري ٥/٢٣٠، نهاية الأرب ٢٠/٣١٩، البداية والنهاية ٨/٣١.

(٥) تاريخ خليفة ٢٠٨، تاريخ الطبري ٥/٢٣٠، تاريخ حلب ١٧٩، نهاية الأرب ٢٠/٣١٩، البداية والنهاية ٨/٣١.

٤٨
ثم دخلت سنة ثمان وأربعين

فيها كان مشتى عبد الرحمن القَيني[١] بأنطاكية[٢]. وصائفة عبد الله بن قيس الفَزَاريّ[٣]. وغزوة مالك بن هُبَيرة السَّكوني البحر[٤]. وغزوة عُقْبَة بن عامر[٥] الجُهَنيّ بأهل مصر البحر[٦] وبأهل المدينة[٧].

وفيها استعمل زياد غالبَ بن فَضالة اللّيثيّ على خراسان، وكانت له صُحْبة.

وحجّ بالناس مروان وهو يتوقّع العزل لموجدةٍ كانت من معاوية عليه، وارتجع معاوية منه فَدَك، وكان وهبها له.

وكان وُلاة الأمصار[٨] مَنْ تقدم ذِكرهم.

---

(١) في الأصل: «العتيني»، وفي (أ): «القيسي»، وفي البداية والنهاية: «القتبي».

(٢) تاريخ خليفة ٢٠٩، تاريخ الطبري ٥/٢٣١، تاريخ حلب للعظيمي ١٧٩ وفيه: «أبو عبد الرحمن القيني»، البداية والنهاية ٨/٣٢، وفي تاريخ اليعقوبي ٢/٢٤٠: «عبد الرحمن العتبي»، وانظر: الإصابة ٤/١٢٨.

(٣) تاريخ الطبري ٥/٢٣١.

(٤) تاريخ الطبري ٥/٢٣١، تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ١٧.

(٥) في الأصل: «عمرو».

(٦) في الأصل: «البحرين».

(٧) تاريخ الطبري ٥/٢٣١، وتاريخ حلب للعظيمي ١٧٩ وفيه: «عقبة بن نافع»، والولاة والقضاة للكندي ٣٧، وولاة مصر، له ٦٠، وتاريخ الإسلام (عهد معاوية) ١٧، والبداية والنهاية ٨/٣٢، والنجوم الزاهرة ١/١٢٦، ١٢٧، وحسن المحاضرة ٢/٥.

(٨) في طبعة صادر ٣/٤٥٧ «الأنصار»، وهو غلط.

٤٩
ثم دخلت سنة تسع وأربعين

فيها كان مشتى مالك بن هُبَيرة بأرض الروم[١]. وفيها كانت غزوة فَضالة بن عُبَيد جَرَبَّة[٢] وشتا بها، وفُتحت على يده، وأصاب فيها شيئاً كثيراً[٣]. وفيها كانت صائفة عبد الله بن كُرْز البَجَلي[٤]. وفيها كانت غزوة يزيد بن شَجَرة الرّهاويّ في البحر، فشتا بأهل الشام[٥]. وفيها كانت غزوة عُقْبَة بن نافع البحرَ، فشتا بأهل مصر[٦].

ذكر غزوة القسطنطينيّة

في هذه السنة، وقيل[٧]: سنة خمسين، سيّر معاويةُ جيشاً كثيفاً إلى بلاد الروم للغَزَاة، وجعل عليهم سفيانَ بن عَوْف، وأمر ابنَه يزيد بالغزاة معهم، فتثاقل واعتلّ، فأمسك عنه أبوه، فأصاب الناسَ في غَزاتهم جُوعٌ ومرض شديد، فأنشأ يزيد يقول:

ما إن أُبالي بما لاقَتْ جُموعُهُمُ ... بالغزقذونة[٨] من حُمّى ومن مُومِ

---

(١) تاريخ خليفة ٢٠٩، تاريخ الطبري ٥/٣٣٢، تاريخ حلب ١٧٩، تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ١٩، البداية والنهاية ٨/٣٢.

(٢) في الطبعة الأوربية: «حزّة»، والمثبت يتفق مع: معجم البلدان ٢/١١٨ في مادة: «جَرَبّ»: بفتحتين، وتشديد الباء الموحّدة. موضع باليمن ذكر في حديث حنش السبيء الصنعاني، ويروى جَرَبّة في حديث حنش الصنعاني: غزونا جَرَبّة ومعنا فضالة بن عبيد، كذا ضبطه أبو سعد.

(٣) تاريخ خليفة ٢٠٩، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٤٠، تاريخ الطبري ٥/٢٣٢، تاريخ حلب ١٧٩، تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ١٩، البداية والنهاية ٨/٣٢، الإصابة ٢/٣٥٩.

(٤) تاريخ الطبري ٥/٢٣٢، البداية والنهاية ٨/٣٢، تاريخ دمشق ٣٦/١٧٣ طبعة المجمع بدمشق.

(٥) تاريخ الطبري ٥/٢٣٢، الكنى والأسماء للدولابي ١/٣٥.

(٦) تاريخ الطبري ٥/٢٣٢.

(٧) في (ش): «سنة ٤٩ وقيل».

(٨) في نسخة المتحف البريطاني، و(أ): «بالفرقدية»، وفي: أنساب الأشراف: «بالقرقذونة»، وفي طبعة صادر ٣/٤٥٨: «بالفرقدونة». والمثبت يتفق مع: تاريخ اليعقوبي، والأغاني، ومعجم البلدان.

إذا اتّكأتُ على الأنماط مُرْتَفِقاً[١] بدَيْرِ مُرّانَ عندي أمُّ كلثومِ[٢]

وأمّ كلثوم امرأته، وهي ابنة عبدَ الله بن عامر.

فبلغ معاويةَ شِعرُه فأقسم عليه لَيَلْحقنّ بسفيان في أرض الروم، ليصيبه ما أصاب الناس، فسار ومعه جمْعٌ كثير أضافهم إليه أبوه، وكان في هذا الجيش ابن عبّاس، وابن عمر، وابن الزّبير، وأبو أيّوب الأنصاريّ، وغيرهم، وعبد العزيز بن زُرارة الكِلابيّ، فأوغلوا في بلاد الروم حتّى بلغوا القسطنطينيّة، فاقتتل المسلمون والروم في بعض الأيّام، واشتدّت الحرب بينهم، فلم يزل عبد العزيز يتعرّض للشهادة فلم يُقتَل، فأنشأ يقول:

قد عِشْتُ في الدّهرِ أطواراً على طُرُقٍ شتّى فصادَفتُ[٣] منها اللينَ والبَشِعَا

كُلّاً بَلَوْتُ[٤] فلا النّعماء تُبْطِرُني ولا تجشّمْتُ[٥] مِن لأوائِها[٦] جَزَعَا

لا يملأ الأمرُ صَدري قَبلَ مَوْقِعِهِ ولا أضيقُ به ذرعاً إذا وَقَعَا

ثمّ حمل على مَنْ يليه، فقتل فيهم وانغمس بينهم، فشَجَره الروم برماحهم حتّى قتلوه، رحِمه الله، فبلغ خبرُ قتْله معاويةَ، فقال لأبيه: والله هلك فتى العرب! فقال: ابني أو ابنك؟ قال: ابنك، فآجرك الله. فقال:

فإن يكُنِ الموْتُ أودَى بِهِ وأصبَحَ مُخُّ الكلابيّ زيرَا[٧]

فكلُّ فتى شاربُ كأسَهُ فإمّا صَغيراً وإمّا كَبيرَا

ثمّ رجع يزيد والجيش إلى الشام، وقد توفّي أبو أيّوب الأنصاريّ عند القسطنطينيّة، فدُفن بالقرب من سُورها، فأهلها يستسقون به، وكان قد شهد بدراً وأُحُداً والمشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ وشهد صِفّين مع عليّ وغيرها من حروبه[٨].

---

(١) في الطبعة الأوربية: «مرتفعاً»، وفي: تاريخ اليعقوبي: «على الأنماط في غرف». وفي الأغاني: «إذا ارتفقت على الأنماط مصطبحاً».

(٢) البيتان في: تاريخ اليعقوبي ٢/٢٢٩، وأنساب الأشراف للبلاذري ق ٢ ج ٤/٣ طبعة القدس ١٩٣٨، والأغاني ١٧/٢١٠، ومعجم البلدان ٢/٥٣٤ و ٤/١٨٨، ومعجم ما استعجم للبكري ١/٥٨٦.
والغَذْقَذُونة: بفتح أوله، وسكون ثانيه، وقاف مفتوحة، وذال معجمة مضمومة، وواو ساكنة، ونون. هو اسم جامع للثغر الذي منه المصيصة وطرسوس وغيرهما، ويقال له: خذقذونة أيضاً. (معجم البلدان ٤/١٨٨).

(٣) في (ش): «فصانعت».

(٤) في (ر): «كل يموت».

(٥) في الطبعة الأوربية: «تجشعت».

(٦) في نسخة المتحف البريطاني: «ولائها».

(٧) في الأصل: «ديرا».

(٨) انظر عن غزوة القسطنطينية في: تاريخ اليعقوبي ٢/٢٣٩، وأنساب الأشراف ق ٢ ج ٤/٣، وتاريخ=

ذكر عزل مروان عن المدينة وولاية سعيد

وفيها عزل معاويةُ مروانَ بن الحَكم عن المدينة في ربيع الأوّل[1] وأمّر سعيد بن العاص عليها (في ربيع الآخر، وقيل: في ربيع الأوّل)[2]، وكانت ولاية مروان كلّها بالمدينة لمعاوية ثماني سنين وشهرَين[3]، وكان على قضاء المدينة عبد الله بن الحارث بن نَوْفل، فعزله سعيد حين ولي، واستقضى أبا سَلِمَة بن عبد الرحمن[4].

ذكر وفاة الحَسَن بن عليّ بن أبي طالب، عليه السلام

في هذه السنة تُوُفّي الحَسَن بن عليّ، سمّته زوجته جَعْدَةُ بنت الأشعث بن قيس الكِنْديّ، ووصّى أن يُدفَن عند النبيّ ﷺ إلّا أن تُخاف فتنة، فيُنقل إلى مقابر المسلمين، فاستأذن الحسينُ عائشةَ، فأذِنت له، فلمّا توفّي أرادوا دفنه عند النبيّ ﷺ فلم يعرض[5] إليهم سعيد بن العاص، وهو الأمير، فقام مروان بن الحكَم وجمع بني أُميّة وشيعتَهم، ومنع عن ذلك، فأراد الحسين الإمتناع، فقيل له: إنّ أخاك قال: إذا خفتم الفتنةَ ففي مقابر المسلمين، وهذه فتنة. فسكت، وصلّى عليه سعيد بن العاص، فقال له الحسين: لولا أنّه سنّة لما تركتُك تصلّي عليه[6].

= الطبري ٥/٢٣٢، والمنتخب من تاريخ المنبجي (بتحقيقنا) ٦٩، والأغاني ١٧/٢١٠، والمعرفة والتاريخ للفسوي ٣/٣١٩، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ٢٨٣، ومعجم ما استعجم للبكري ١/٥٨٦، و ٤/١٨٨، وكتابنا: دراسات في تاريخ الساحل الشامي (لبنان من الفتح الإسلامي حتى سقوط الدولة الأموية) ص ٧٨، والبداية والنهاية ٨/٣٢، وتاريخ الإسلام (عهد معاوية) ٢١ (حوادث سنة ٥٠ هـ).

(١) في الأصل: «الآخر»، والمثبت يتفق مع الطبري.

(٢) ما بين القوسين زيادة من الأصل.

(٣) تاريخ الطبري ٥/٢٣٢.

(٤) الطبري ٥/٢٣٢.

(٥) في الأصل، و(ر): «فعرض».

(٦) نهاية الأرب ٢٠/٣٢٠ ـ ٣٢٢.

٥٠
ثم دخلت سنة خمسين

فيها كانت غزوة بُسْر بن أبي أرطاة، وسُفيان بن عوف الأزديّ، أرضَ الروم[١]، وغزوة فَضالة بن عُبَيد الأنصاري في البحر[٢].

ذكر وفاة المُغيرة بن شُعْبَة وولاية زياد الكوفة

في هذه السنة في شعبان كانت وفاة المغيرة بن شُعْبَة، في قول بعضهم، وهو الصّحيح[٣]، وكان الطّاعون قد وقع بالكوفة، فهرب المغيرة منه، فلمّا ارتفع الطّاعون عاد إلى الكوفة، فطُعن فمات.

وكان طُوالاً أعور، ذهبتْ عينُه يوم اليرموك[٤]، وتُوُفّي وهو ابن سبعين سنة. ، وقيل: كان موته سنة إحدى وخمسين، (وقيل: سنة تسع وأربعين)[٥].

فلمّا مات المغيرة استعمل معاويةُ زياداً على الكوفة [والبصرة]، وهو أوّل من جُمعتا[٦] له. فلمّا وليها سار إليها، واستخلف على البصرة سَمُرَة بن جُنْدَب، وكان زياد يقيم بالكوفة ستّة أشهر، وبالبصرة ستّة أشهر، فلمّا وصل الكوفة خَطَبهم، فحُصب وهو على المنبر، فجلس حتّى أمسكوا، ثمّ دعا قوماً من خاصّته، فأمرهم فأخذوا أبوابَ المسجد ثمّ قال: ليأخُذْ كلّ رجل منكم جليسه، ولا يقولنّ لا أدري مَن جليسي، ثمّ أمر بكرسيّ فوُضع له على باب المسجد، فدعاهم أربعةً أربعةً يحلفون: مامنّا من حَصَبك،

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٤٠، تاريخ الطبري ٥/٢٣٤، تاريخ حلب ١٨٠، البداية والنهاية ٨/٤٥.
(٢) تاريخ الطبري ٥/٢٣٤، البداية والنهاية ٨/٤٥.
(٣) تاريخ خليفة ٢١٠.
(٤) البرصان والعرجان للجاحظ ٣٦٢.
(٥) زيادة من (ش).
(٦) في الطبعة الأوربية: «جمعا».

فمَن حلف خلّاه، ومَنْ لم يحلف حبسه، حتّى صار إلى ثلاثين، وقيل: إلى ثمانين، فقطع أيديهم على المكان[1].

وكان أوّل قتيل قتله زياد بالكوفة أوْفَى بن حِصْن[2]، وكان بلغه عنه شيء، فطلبه فهرب، فعرض الناسَ [زيادٌ]، فمرّ به فقال: مَنْ هذا؟ قال: أوْفى بن حِصن[2]، فقال زياد: أتتْك بحائن رِجْلاه[3]. وقال له: ما رأيك في عثمان؟ قال: ختن رسول الله ﷺ على ابنتَيْه. قال: فما تقول في معاوية؟ قال: جوادٌ حليم. قال: فما تقول فيّ؟ قال: بلغني أنّك قلتَ بالبصرة: واللّهِ لآخُذَنّ البريء بالسّقيم، والمُقْبل بالمدبر. قال: قد قلتُ ذاك. قال: خبطتَها عشواء! فقال زياد: ليس النفّاخ بشرّ الزَّمَرَة[4]! فقتله[5].

ولما قدِم زيادٌ الكوفة قال له عُمارة بن عُقْبَة بن أبي مُعَيْط: إنّ عَمرو بن الحَمِق يجمع إليه شيعة أبي تُراب. فأرسل إليه زياد: ما هذه الجماعات عندك؟ مَنْ أردتَ كلامه ففي المسجد[6]. وقيل: الذي سعى بعَمْرو يزيد بن رُوَيْم. فقال له زياد: قد أشطت بدمه[7]، ولو علمتُ أنّ مُخّ ساقه قد سال من بُغْضي ما هجتْهُ حتّى يخرج عليّ. فاتخذ زياد المقصورة حين حُصب[8].

فلمّا استخلف زيادٌ سَمُرَةَ على البصرة أكثر القتل فيها، فقال ابن سِيرِين: قتل سَمُرة في غيبة زياد هذه ثمانية الآف[9]. فقال له زياد: أتخاف أن تكون قتلتَ بريئاً؟ فقال: لو قتلتُ معهم مثلهم ما خشيتُ. وقال أبو السوّار العَدَويّ: قتل سَمُرة من قومي في غداةٍ واحدةٍ سبعةً وأربعين، كلّهم قد جمع القرآن[10]. وركب سَمُرةُ يوماً، فلقي أوائلُ خيله رجلاً فقتلوه، فمرّ به سَمُرة وهو يتشحّط في دمه فقال: ما هذا؟ فقيل: أصابه أوائل

---

(١) تاريخ الطبري ٥/٢٣٤، ٢٣٥.
(٢) في (أ): «حصين».
(٣) مَثَل قاله الحارث بن جبلة الغساني للحارث بن عيف العبدي. وقيل: أول من قاله: عبيد بن الأبرص. انظر: مجمع الأمثال للميداني ١/١٤.
(٤) مجمع الأمثال ٢/٤٤٤.
(٥) تاريخ الطبري ٥/٢٣٥، ٢٣٦.
(٦) الطبري ٥/٢٣٦.
(٧) في الطبعة الأوربية: «أبسطت به». وأشاط بدمه: أهلكه.
(٨) تاريخ الطبري ٥/٢٣٦.
(٩) في الأصل: «ثمانماية ألف»، وفي (أ): «ثمانين ألفاً».
(١٠) تاريخ الطبري ٥/٢٣٦، ٢٣٧.

خيلك. فقال: إذا سمعتم بنا قد ركِبْنا فاتّقوا أسنّتنا[1].

ذكر خروج قريب

وفيها خرج قريب الأزديّ وزَحّاف الطائيّ بالبصرة، وهما ابنا خالة، وزياد بالكوفة، وسَمُرَة على البصرة، فأتيا بني ضُبَيْعَة، وهم سبعون رجلاً، وقتلوا منهم شيخاً[2]، وخرج على قريب وزحّاف شبابٌ من بني عليّ وبني راسب، فرموهم بالنَّبل، وقتل عبدُ الله بن أوس الطّاحيّ قريباً وجاء برأسه.

واشتدّ زياد في أمر الخوارج[3] فقتلهم، وأمر سَمُرةَ بذلك فقتل منهم بشراً كثيراً. وخطب زياد على المنبر فقال: يا أهل البصرة واللهِ لتكفُنّني هؤلاء أو لأبدأنّ بكم! واللهِ لئن أفلتَ منهم رجل لا تأخذون العام من عطائكم درهماً! فثار الناس بهم فقتلوهم[4].

ذكر إرادة معاوية نقل المنبر من المدينة

وفي هذه السنة أمر معاويةُ بمنبر النبيّ ﷺ أن يُحْمَل من المدينة إلى الشام، وقال: لا يُترك هو وعصا النبيّ ﷺ بالمدينة، وهم قَتَلَة عثمان، وطلب العصا، وهو عند سعد القَرَظِ[5]، فحُرّك المنبر، فكُسِفت الشمس حتّى رُؤيت النّجوم باديةً، فأعظم الناس ذلك، فتركه[6]. وقيل: أتاه جابر وأبو هُرَيرة وقالا له: يا أمير المؤمنين لا يصلح أن تُخرج منبرَ رسول الله ﷺ من موضع وضعه، ولا تنقل عصاه إلى الشام، فانقل المسجد. فتركه، وزاد فيه ستّ درجات، واعتذر ممّا صنع.

فلمّا ولي عبد الملك بن مروان هَمّ بالمنبر، فقال له قَبيصة بن ذُؤيب: أُذكّرك الله أن تفعل! إنّ معاوية حرّكه فكُسِفت الشمسُ، فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ حلف على مِنبري [آثماً] فليتبوّأ مقعده من النار»، [فتخرجه من المدينة] وهو مُقطّع الحقوق عندهم بالمدينة! فتركه عبد الملك.

فلمّا كان الوليد ابنُه وحجّ هَمّ بذلك، فأرسل سعيد بن المسيّب إلى عمر بن عبد

(١) الطبري ٥/٢٣٧، وانظر عن (المغيرة بن شعبة) ومصادر ترجمته في تحقيقنا لكتاب: تاريخ الإسلام للذهبي (عهد معاوية) - ص ١١٧ - ١٢٤.
(٢) في الأصل: «سعداً».
(٣) في تاريخ الطبري: «الحرورية».
(٤) الطبري ٥/٢٣٨.
(٥) في الأصل، و (ر): «القرظي».
(٦) الطبري ٥/٢٣٨.

العزيز فقال: كلّمْ صاحبك لا يتعرّض للمسجد ولا لله والسّخط له[1]. فكلّمه عمر فتركه.

ولما حجّ سليمان بن عبد الملك أخبره عمر بما كان من الوليد، فقال سليمان: ما كنتُ أُحبّ أن يُذكر عن أمير المؤمنين عبد الملك هذا، ولا عن الوليد، ما لنا ولهذا! أخذنا الدّنيا، فهي في أيدينا، ونريد أن نعمد إلى عَلَمٍ من أعلام الإسلام يوفَد إليه فنحمله [إلى ما قبلنا]! هذا ما لا يصلح[2]!

وفيها عُزل معاوية بن حُدَيْج السَّكونيّ عن مصر، ووليها مَسْلمة بن مُخَلَّد مع إفريقية، وكان معاوية بن أبي سفيان بعث قبل أن يولّي مَسْلَمة إفريقية ومصر عُقْبَة بن نافع إلى إفريقية، وكان اختطّ قيروانها، وكان موضعه غَيْضة لا تُرام من السِّباع والحيّات وغيرها، فدعا الله عليها فلم يبقَ منها شيء إلّا خرج هارباً، حتّى إنْ كانت السّباع لتحمل أولادها، وبنى الجامع[3]. فلمّا عزل معاويةُ بنُ أبي سفيان معاويةَ بن حُدَيْج السَّكونيّ عن مصر، عزل عُقْبة عن إفريقية، وجمعها لمسلمة بن مخلَّد، فهو أوّل من جُمع له المغرب مع مصر، فولّى مسلمةُ إفريقية مولى له يقال له أبو المُهاجر، فلم يزل عليها حتّى هلك معاويةُ بن أبي سفيان[4].

ذكر ولاية عُقْبَة بن نافع إفريقية وبناء مدينة القيروان

قد ذكر أبو جعفر الطبريّ أنّ في هذه السنة ولي مَسْلَمة بن مُخَلَّد إفريقية، وأنّ عُقْبَة ولي قبله إفريقية وبنى القيروان، والذي ذكره أهل التاريخ من المغاربة: أنّ ولاية عُقبة بن نافع إفريقية كانت هذه السنة، وبنى القيروان، ثمّ بقي إلى سنة خمسٍ وخمسين، ووليها مَسْلمة بن مخلَّد، وهم أخبر ببلادهم، وأنا أذكر ما أثبتوه في كتبهم:

---

(١) في الأصل: «ولسخطه».

(٢) تاريخ الطبري ٥/٢٣٩، ٢٤٠، البداية والنهاية ٨/٤٥، وتاريخ حلب ١٨٠، ونهاية الأرب ٢٠/٣٢٦، ٣٢٧.

(٣) تاريخ الطبري ٥/٢٤٠، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٢٩، تاريخ حلب ١٨٠، تاريخ خليفة ٢١٠، وفيه قال: لما افتتح عقبة بن نافع إفريقية وقف على القيروان فقال: يا أهل الوادي إنّا حالّون إن شاء الله فأظعنوا، ثلاث مرات، قال: فما رأينا حجراً ولا شجراً إلا يخرج من تحته دابّة، حتى يهبطن بطن الوادي، ثم قال: انزلوا بسم الله. وانظر: الاستيعاب ٣/١٠٧٦، ونهاية الأرب ٢٠/٣٢٨، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي ق ١ ج ٣/٤٢١، وتاريخ الإسلام (عهد معاوية) ٢٠، ٢١، والبيان المغرب لابن عذاري ١/١٩، والبداية والنهاية ٨/٤٥.

(٤) تاريخ الطبري ٥/٢٤٠، ولاة مصر للكندي ٦١، ٦٢، والولاة والقضاة، له ٣٨، نهاية الأرب ٢٤/٢١، البيان المغرب ١/١٩، فتوح البلدان ٢٦٨ رقم ٥٧٤.

قالوا: إنّ معاوية بن أبي سفيان عزل معاوية بن حُدَيج عن إفريقية حسب، واستعمل عليها عُقْبة بن نافع الفِهْرِيّ، وكان مقيماً ببرقة وزَويلة مذ فتْحها أيّام عمرو بن العاص، وله في تلك البلاد جهاد وفتوح. فلمّا استعمله معاوية سيّر إليه عشرة آلاف فارس، فدخل إفريقية، وانضاف إليه مَن أسلم من البربر، فكثُرَ جمعه، ووضع السيف في أهل البلاد، لأنّهم كانوا إذا دخل إليهم أمير أطاعوا، وأظهر بعضهم الإسلام، فإذا عاد الأمير عنهم نكثوا وارتدّ مَنْ أسلم، ثمّ رأى أن يتّخذ مدينةً يكون بها عسكر المسلمين وأهلهم وأموالهم، ليأمنوا من ثورةٍ تكون من أهل البلاد، فقصد موضع القيروان، وكان أجمَةً[1] مشتبكة بها من أنواع الحيوان، (من السباع)[2] والحيّات وغير ذلك، فدعا الله، وكان مستجاب الدّعوة، ثمّ نادى: أيتّها الحيّات والسِّباع إنّا أصحاب رسول الله ﷺ ارحلوا عنّا، فإنّا نازلون، ومَنْ وجدناه بعد ذلك قتلناه. فنظر الناسُ ذلك اليوم إلى الدّوابّ تحمل أولادها وتنتقل، فرآه قبيلٌ كثير من البربر فأسلموا، وقطع الأشجار، وأمر ببناء المدينة، فبُنيت، وبنى المسجد الجامع، وبنى الناسُ مساجدَهم ومساكنهم، وكان دُورها ثلاثة آلاف باع وستّمائة باع، وتمّ أمرُها سنة خمس وخمسين، وسكنها الناس، وكان في أثناء عمارة المدينة يغزو ويُرسل السّرايا، فتَغِير وتَنْهب، ودخل كثير من البربر في الإسلام، واتّسعت خطة المسلمين، وقوي جَنان من هناك من الجنود بمدينة القيروان، وأمِنوا واطمأنّوا على المُقام، فثبت الإسلام فيها[3].

ذكر ولاية مَسْلمة بن مُخَلَّد إفريقية

ثمّ[4] إنّ معاوية بن أبي سفيان استعمل على مصر وإفريقية مَسْلمةَ بن مخلَّد الأنصاريّ، فاستعمل مَسْلَمة على إفريقية مولى له يقال له أبو المُهاجر، فقدِم إفريقية وأساء عزل عُقْبة واستخفّ به، وسار عُقْبة إلى الشام، وعاتب معاوية على ما فعله به أبو المهاجر، فاعتذر إليه ووعده بإعادته إلى عمله، وتمادى الأمر، فتوفّي معاويةُ، وولي بعده ابنُه يزيد، فاستعمل عُقْبَة بن نافع على البلاد سنة اثنتين وستّين، فسار إليها.

وقد ذكر الواقديّ أنّ عقبة بن نافع ولي إفريقية سنة ستّ وأربعين، واختطّ القيروان، ولم يزل عُقبة على إفريقية إلى سنة اثنتين وستّين، فعزله يزيد بن معاوية

(١) في الأصل: «دجلة»، وفي (أ): «دخلة»، وفي الطبعة الأوربية: «دحلة».
(٢) زيادة من (ش).
(٣) انظر: نهاية الأرب ٢٤/٢٢، ٢٣، والبيان المغرب ١/٢٠، ٢١
(٤) في الأصل: «قالوا».

واستعمل أبا المهاجر مولى الأنصار، فحبس عُقبةَ وضيّق عليه، فلمّا بلغ يزيدَ بن معاوية ما فُعل بعُقبة، كتب إليه يأمره بإطلاقه وإرساله إليه، ففعل ذلك، ووصل عُقبة إلى يزيد، فأعاده إلى إفريقية والياً عليها، فقبض على أبي المهاجر وأوثقه[1]، وساق من خبر كُسَيْلة[2] مثل ما نذكره إن شاء الله تعالى سنة اثنتين وستين.

ذكر هَرَب الفرزدق من زياد

وفيها طلب زيادٌ الفرزدقَ، استعدتْه عليه بنو نهْشَل وفُقَيْم.

وسبب ذلك، قال الفرزدق: هاجَيتُ الأشهب بن رُمَيْلة[3] والبَعِيث[4] فسقطا، فاستعدى عليَّ بنو نهشل وبنو فُقَيم زيادَ بن أبيه، واستعدى عليّ أيضاً يزيدُ بن مسعود بن خالد بن مالك، قال: فلم يعرفني زياد، حتّى قيل له الغلام الأعرابيّ الذي أنهب ماله وثيابه، فعرفني.

قال الفرزدق: وكان أبي غالب قد أرسلني في جَلَب له أبيعه وأمتار له، فبعتُ الجَلَب بالبصرة، وجعلتُ ثمنه في ثوبي، فعرض لي رجل فقال: لَشَدّ ما تستوثق منها، أما لو كان مكانك رجل أعرفه ما صرّ عليها. فقلتُ: ومَنْ هو؟ قال: غالب بن صَعصعة وهو أبو الفرزدق. فدعوتُ أهل المِرْبَد ونثرتُها. فقال لي قائل: ألقِ رداءك. ففعلتُ. فقال آخر: ألقِ ثوبك. ففعلتُ. وقال آخر: ألقِ عمامتك. ففعلتُ. فقال: آخر ألقِ إزارك. فقلتُ: لا أُلقيه وأمشي مجرّداً، إنّي لستُ بمجنون. وبلغ الخبر زياداً فقال: هذا أحمق يُضري الناس بالنَّهْب، فأرسل خيلاً إلى المِرْبد ليأتوه بي، فأتاني رجل من بني الهُجَيم على فَرَس له وقال: النَّجاءَ النّجاءَ! وأردفني خلفَه، ونجوتُ، فأخذ زياد عمّين لي: ذهيلاً والزحّاف ابنيْ صَعصَعة، وكانا في الدّيوان، فحبسهما أيّاماً، ثمّ كُلّم فيهما فأطلقهما، وأتيت أبي فأخبرتُه خبري، فحقدها عليه زياد.

ثمّ وفد الأحنف بن قيس وجارية بن قُدامة السعديّان[5] والجَون بن قَتادة العَبْشميّ، والحُتات بن يزيد أبو منازل[6]، المُجاشعيّ إلى معاوية بن أبي سفيان، فأعطى كلّ رجل

---

(١) نهاية الأرب ٢٤/٢٤ و ٢٥، ٢٦، تاريخ ابن خلدون ٢٢/٣ و ٢٨٩، وانظر: تاريخ حلب ١٨٠.
(٢) من (ش).
(٣) في الطبعة الأوربية: «زُميلة».
(٤) في الأصل: «والبيت»، وفي نسخة المتحف البريطاني: «والعيب»، وفي نسخة بودليان: «والنعيث».
(٥) في الطبعة الأوربية: «السعديون».
(٦) في (ر): «مبارك».

منهم جائزة مائة ألف، وأعطى الحُتات سبعين ألفاً. فلمّا كانوا في الطريق ذكر كلّ منهم جائزته، فرجع الحُتات إلى معاوية فقال: ما ردّك؟ قال: فضحتَني في بني تميم! أما حسبي صحيح؟ أوَ لستُ ذا سِنّ؟ ألستُ مطاعاً في عشيرتي؟ قال: بلى. قال: فما بالك خسستَ بي دون القوم، وأعطيتَ مَنْ كان عليك أكثر ممّن كان لك؟ وكان حضر الجمل مع عائشة، وكان الأحنف وجارية يريدان عليّاً، وإن كان الأحنف والجَوْن اعتزلا القتال مع عليّ، لكنّهما كانا يريدانه. قال: إنّي اشتريتُ من القوم دينهم، ووكَلْتُك[1] إلى دينك ورأيك في عثمان، وكان عثمانياً. فقال: وأنا فاشترِ منّي ديني. فأمر له بإتمام جائزته، ثمّ مات الحُتات فحبسها معاوية، فقال الفرزدق في ذلك، شعراً:

أبُوكَ وعَمّي يا معاويَ أورَثا ... تُراثاً فيَحتازُ التّراثَ أقارِبُهْ
فَما بالُ ميراثِ الحُتاتِ[2] أخَذتَهُ ... وميراثُ صَخرٍ[3] جامدٌ لكَ ذائِبُهْ
فلَو كانَ هذا الأمرُ في جاهليّةٍ ... علمتَ مَنِ المرءُ القليلُ حلائبُهْ
ولَوْ كان في دينٍ سوَى ذا شَنِئتُمُ ... لنا حَقّنا أوْ غصّ بالماء شارِبُهْ
ألستُ أعزَّ النّاسِ قَوْماً وأسرَةً ... وأمنَعهم جاراً إذا ضِيمَ جانِبُهْ
ومَا ولَدَتْ بعدَ النّبيّ وآلِهِ ... كمثلي حَصَانٌ في الرّجالِ يُقارِبُهْ
وبَيتي إلى جنبِ[4] الثّريّا فِناؤهُ[5] ... ومن دونهِ البدرُ المُضيء كواكبُهْ
أنا ابنُ الجبالِ الشُّمّ[6] في عدد الحصَى ... وعرْق الثّرى عرْقي فمن ذا يحاسبُهْ؟
وكَمْ من أبٍ لي يا معاويَ لم يزَلْ ... أغرَّ يُباري الرّيحَ [ما] ازْوَرَّ جانبُهْ
نمتْهُ فروعُ المالكَينِ ولم يكُنْ ... أبوكَ الذي من عبد شمسٍ يُقارِبُهْ
تراهُ كنَصلِ السّيفِ يَهتزّ للنّدى ... كريماً يلاقي المجدَ ما طرَّ شارِبُهْ
طويلُ نِجادِ السيفِ مُذ كان لم يكنْ ... قُصَيٌّ وعبد الشّمس[7] ممّن يخاطِبُهْ[8]

يريد بالمالكَين مالك بن حنظلة، ومالك بن زيد مَناة بن تميم، وهما جدّاه. لأنّ

---

(١) في (ش): «وكلمتك».
(٢) في نسخة المتحف البريطاني، و(أ): «الحياة».
(٣) في الديوان وتاريخ الطبري: «وميراث حرب».
(٤) في نسخة المتحف البريطاني، و(ر): «حيث».
(٥) في النسختين أيضاً: «بناؤه».
(٦) في تاريخ الطبري: «الصُّمّ».
(٧) في الطبعة الأوربية: «شمس».
(٨) الأبيات في ديوان الفرزدق ٤٩، ونقاض جرير والفرزدق ٦٠٨، ٦٠٩، وتاريخ الطبري ٥/٢٤٣، ٢٤٤ باختلاف في الألفاظ، وزيادة في الأبيات.

الفرزدقَ بـن غالب بن صَعْصَعة (بن ناجية)[1] بن عِقال بن محمّد بن سفيان بن مُجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم.

فلمّا بلغ معاويةَ شِعرُهُ ردّ على أهله ثلاثين ألفاً، فأغضبت أيضاً زياداً عليه، فلمّا استعدَتْ عليه نهْشل وفُقَيم ازداد عليه غضباً، فطلبه فهرب، وأتَى عيسى بن خُصَيْلة[2] السُّلَميّ ليلاً، وقال له: إنّ هذا الرجل قد طلبني، وقد لفظني الناس، وقد أتيتُك لتُغيّبني[3] عندك. فقال: مرحباً بك. فكان عنده ثلاث ليال. ثمّ قال له: قد بدا لي أن آتي الشام، فسيّره. وبلغ زياداً مسيره فأرسل في أثره، فلم يُدْرَك، وأتى الرّوْحاء فنزل في بكر بن وائل، فأمّن ومدحهم بقصائد.

ثمّ كان زياد إذا نزل البصرة نزل الفرزدق الكوفة، وإذا نزل الكوفة نزل الفرزدقُ البصرة، فبلغ ذلك زياداً، فكتب إلى عامله على الكوفة، وهو عبد الرحمن بن عُبيد، يأمره بطلب الفرزدق، ففارق الكوفة نحو الحجاز، فاستجار بسعيد بن العاص، فأجاره فمدحه الفرزدق، ولم يزل بالمدينة مرّة، وبمكّة مرّة، حتّى هلك زياد.

وقد قيل: إنّ الفرزدق إنّما قال هذا الشعر لأنّ الحُتات لما أسلم آخى النبيُّ ﷺ بينه وبين معاوية، فلمّا مات الحُتات بالشام ورثه معاويةُ بتلك الأخوّة، فقال الفرزدق هذا الشعر. وهذا القول ليس بشيء لأنّ معاوية لم يكن يجهل أنّ هذه الأخوّة لا يرث بها أحد.

(الحُتات: بضمّ الحاء وبتاءين مثنّاتين من فوقهما بينهما ألِف).

ذكر وفاة الحَكَم بن عمرو الغِفاريّ

في هذه السنة توفّي الحكَم بن عمرو الغِفاريّ بَمْرو، بعد انصرافه من غزوة جبل الأشلّ في قول، وقد تقدّم ذِكر وفاته في قول آخر، وكان زياد قد كتب إليه: إنّ أمير المؤمنين معاوية أمرني أن أصطفي له الصّفراء والبيضاء، فلا تقسمْ بين الناس ذَهَباً ولا فضّة. فكتب إليه الحكم: بلغني ما أمر به أمير المؤمنين، وإنّي وجدتُ كتاب الله قبل كتابه، وإنّه والله [لو] أنّ السموات والأرض كانتا رتْقاً على عبدٍ، ثمّ اتّقى الله لجعل[4] له

(١) من (ش).
(٢) في الأصل: «حصيتلة»، وفي نسخة المتحف البريطاني: «خطيلة».
(٣) في الطبعة الأوربية: «لتغيثني».
(٤) في الأصل: «خصل».

فرجاً[1] ومَخْرجاً، ثمّ قال للناس: اغدوا على أعطياتكم ومالكم، فقسّمه بينهم، ثمّ قال: اللهمّ إن كان لي عندك خير فاقبضْني إليك. فتوفّي بمَرْو[2]. وله صُحْبة.

ذكر عدّة حوادث

(حجّ بالناس هذه السنة معاويةُ[3]، وقيل: بل حجّ ابنُه يزيد[4]، وكان العُمّال على البلاد من تقدّم ذكرهم)[5].

[الوَفَيَات]

وفيها توفّي سعد بن أبي وقّاص[6] بالعَقيق، فحُمل على الرّقاب إلى المدينة فدُفن بها، وقيل: توفّي سنة أربعٍ وخمسين، وقيل: سنة خمسٍ وخمسين، وعمره أربع وسبعون[7]، وقيل: ثلاث وثمانون سنة، وهو أحد العشرة، وكان قصيراً دَحْداحاً[8]. وفيها توفّيت صفيّة بنت حُيَيّ[9] زوج النبيّ ﷺ وقيل: توفيّت أيّام عمر. وفيها توفّي عثمان بن أبي العاص الثقفيّ[10]. وعبد الرحمن بن سَمُرة[11] بن حَبيب بن عبد شمس، توفّي بالبصرة. وأبو موسى الأشعريّ[12]، وقيل: تُوُفّي سنة اثنتين وخمسين[13]. وفيها توفّي زيد بن خالد الجُهَنيّ[14]، وقيل: توفّي سنة ثمان وستّين[15]، (وقيل: ثمان وسبعين)[16].

---

(١) من (ش).

(٢) تاريخ الطبري ٥/٢٥١، ٢٥٢، الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/٢٨، ٢٩، صفة الصفوة لابن الجوزي ١/٦٧٢، تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ٤١، ٤٢ وفيه مصادر ترجمته، ونهاية الأرب ٢٠/٣٢٨.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٣٩، تاريخ حلب ١٨٠ وفيه أن معاوية حج بالناس ومعه ولده يزيد، ونهاية الأرب ٢٠/٣٢٩.

(٤) تاريخ خليفة ٢١١، مروج الذهب ٤/٣٩٨، نهاية الأرب ٢٠/٣٢٩.

(٥) ما بين القوسين من (ش).

(٦) انظر عن (سعد بن أبي وقاص) ومصادر ترجمته في: تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ٢١٢ - ٢٢١.

(٧) تاريخ الإسلام ٢٢١.

(٨) الطبقات الكبرى ٣/١٣٧، المستدرك ٣/٤٩٦، المعجم الكبير ١/١٣٧، ١٣٨ رقم ٢٩٤، تاريخ بغداد ١/١٤٥.

(٩) انظر عن (صفية بنت حُيَيّ) في:
تسمية أزواج النبي لأبي عبيدة ٦٦ - ٦٨، والطبقات الكبرى ٨/١٢٠ - ١٢٩، والاستيعاب ٤/١٨٧١، وأسد الغابة ٥/٤٩٠، وإمتاع الأسماع ٣٢١، ٣٣١، ٣٣٢، والسمط الثمين ١١٨، والإصابة ٤/٣٣٧.

(١٠) انظر عن (عثمان بن أبي العاص) في: تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ففيه مصادر ترجمته (٢٦٩ - ٢٧١).

(١١) انظر عن (عبد الرحمن بن سُمرة) في: تاريخ الإسلام (عهد معاوية) وفيه مصادر ترجمته - ص ٧٧، ٧٨.

(١٢) انظر عن (أبي موسى الأشعري) ومصادر ترجمته في: تاريخ الإسلام (عهد معاوية) - ص ١٣٩ - ١٤٦.

(١٣) في الأصل: «ثمان وستين».

(١٤) انظر عن (زيد بن خالد) في: تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠ هـ.) - بتحقيقنا - وفيه مصادر=

وفيها توفّي مِدْلاج بن عَمْرو السُّلَميّ[1]، وكـان قد شهـد المشاهـد كلّها مـع رسولّ الله ﷺ وكلّهم لم صُحْبة.

= ترجمته - ص ١١٩، ١٢٠ رقم ٣٤.

(١٥) وبها أرّخه الذهبي، نقلاً عن خليفة.

(١٦) ما بين القوسين زيادة من الأصل.

(١) أنظر عن (مدلاج بن عمرو) ومصادر ترجمته في: تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ١١٥.

٥١
ثم دخلت سنة إحدى وخمسين

وفيها كان مشتى فَضالة بن عُبَيْد بأرض الروم[١]، وغزوة بُسْر بن أبي أرطاة الصائفة[٢].

ذكر مقتل حُجْر بن عديّ وعَمْرو بن الحَمِق وأصحابهما

في هذه السنة قُتل حُجْر بن عَديّ وأصحابه.

وسبب ذلك أنّ معاوية استعمل المُغيرة بن شُعْبة على الكوفة سنة إحدى وأربعين، فلمّا أمّره عليها دعاه وقال له: أمّا بعدُ، فإنّ لذي الحِلم قبل اليوم ما تُقْرع العصا، وقد يجزي عنك الحكيم بغير التّعليم، وقد أردتُ إيصاءك بأشياء كثيرة أنا تاركها اعتماداً على بصرك، ولستُ تاركاً إيصائك بخصلة: لا تترك شتْم عليّ وذمّه، والتّرحّمَ على عثمان والاستغفار له، والعَيبَ لأصحاب عليّ والإقصاء لهم، والإطراء بشيعة عثمان والإدناء لهم. فقال له المغيرة: قد جَرّبتُ وجُرّبتُ[٣]، وعملتُ قبلك لغيرك فلم يذممْني، وستبلو فتحمد أو تذمّ. فقال: بل نحمد إن شاء الله.

فأقام المغيرةُ عاملاً على الكوفة وهو أحسن شيءٍ سيرةً، غير أنّه لا يدع شتْم عليّ والوقوع فيه والدّعاء لعثمان والاستغفار له، فإذا سمع ذلك حُجْر بن عديّ قال: بل إيّاكم ذمّ[٤] الله ولعنَ! ثمّ قام وقال: أنا أشهد أنّ مَنْ تذمّون أحقّ بالفضل، ومن تزكّون أَوْلَى بالذّمّ. فيقول له المغيرة: يا حُجْر اتّقِ هذا السّلطان وغضبه وسطوته، فإنّ غضب السلطان يُهْلك أمثالك، ثمّ يكفّ عنه ويصفح[٥].

فلمّا كان آخر إمارته قال في عليّ وعثمان ما كان يقوله، فقام حُجْر فصاح صيحةً

---

(١) تاريخ خليفة ٢١٨، تاريخ الطبري ٥/٢٥٣، تاريخ حلب ١٨٠.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٤٠، تاريخ الطبري ٥/٢٥٣، المنتخب من تاريخ المنبجي ٧١.

(٣) في نسخة مكتبة بودليان: «جزيت وجزيت».

(٤) في الطبعة الأوربية: «فذمّ».

(٥) الأغاني ١٧/١٣٣.

بالمغيرة، سمعها كلّ مَنْ بالمسجد، وقال له: مرْ لنا أيّها الإنسان بأرزاقنا، فقد حبستَها عنّا وليس ذلك لك، وقد أصبحتَ مُولعاً بذمّ أمير المؤمنين. فقام أكثر من ثُلثي الناس[1] يقولون: صدق حُجْر وبرّ، مُرْ لنا بأرزاقنا، فإنّ ما أنت عليه لا يُجْدي علينا نفعاً! وأكثروا من هذا القول وأمثاله. فنزل المغيرة، فاستأذن عليه قومُه ودخلوا وقالوا: عَلامَ تترك هذا الرجل يجترىء عليك في سلطانك، ويقول لك هذه المقالة، فيوهن سلطانك، ويسخط عليك أمير المؤمنين معاوية؟ فقال لهم المغيرة: إنّي قد قتلته، سيأتي من بعدي أمير يحسبه مثلي، فيصنع به ما ترونه يصنع بي، فيأخذه ويقتله! إنّي قد قرُب أَجَلي، ولا أحبّ أن أقتل خيار أهل هذا المصر فيسعدوا[2]، وأشقى ويعزّ في الدنيا معاوية، ويشقى في الآخرة المغيرة.

ثمّ توفّي المغيرة[3] ووليَ زياد، فقام في الناس فخطبهم عند قومه، ثمّ ترحّم على عثمان، وأثنى على أصحابه، ولعن قاتليه. فقام حُجْر ففعل كما كان يفعل بالمغيرة. ورجع زياد إلى البصرة واستخلف على الكوفة عَمْرو بن حُرَيْث، فبلغه أنّ حُجْراً يجتمع إليه شيعةُ عليّ ويُظهرون لعن معاوية والبراءةَ منه، وأنّهم حصبوا عَمْرو بن حُرَيْث، فشخص زياد إلى الكوفة حتّى دخلها فصعِد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وحُجْر جالسٌ، ثمّ قال: أمّا بعدُ فإن غبّ البغي والغيّ وخيمٌ، إنّ هؤلاء جمّوا[4] فأشِروا، وأمِنوني فاجترؤوا على الله، لئن لم تستقيموا لأداوينّكم بدوائكم، ولستُ بشيء إن لم أمنع الكوفة من حُجْر، وأدَعْه نَكالاً لمن بعده، ويْلَ أُمّك يا حُجْر، سقط العَشاء بك على سِرْحانٍ[5].

وأرسل إلى حُجْر يدعوه وهو بالمسجد، فلمّا أتاه رسول زياد يدعوه قال أصحابه: لا تأتِهِ ولا كرامة. فرجع الرسولُ فأخبر زياداً، فأمر صاحب شُرطته، وهو شدّاد بن الهَيْثم الهلاليّ، أن يبعث إليه جماعةً ففعل، فسبّهم أصحابُ حُجْر، فرجعوا وأخبروا زياداً، فجمع أهل الكوفة وقال: تشجُّون بيدٍ وتأْسُون بأخرى! أبدانكم معي، وقلوبكم مع حُجْر الأحمق! هذا والله من دَحسكم[6] واللهِ ليُظْهرنّ لي براءتكم، أو لآتينّكم بقوم أقيم بهم أَوَدكم وصَعَركم[7]! فقالوا: معاذ الله أن يكون لنا رأي إلاّ طاعتك، وما فيه رضاك. قال:

---

(١) في الأغاني ١٧/١٣٤ فقام معه أكثر من ثلاثين رجلاً.
(٢) في الطبعة الأوربية: «فيسعدون».
(٣) سنة خمسين، كما في الأغاني ١٧/١٣٤.
(٤) أي اجتمعوا.
(٥) انظر: مجمع الأمثال للميداني ١/٥٩٩.
(٦) في الطبعة الأوربية: «دخسكم». والدّحْس: الإفساد.
(٧) في (ر) ونسخة المتحف البريطاني: «ومقركم».

فليقمْ كلّ رجل منكم، فلْيدْعُ مَنْ عند حُجْر من عشيرته وأهله. ففعلوا وأقاموا أكثر أصحابه عنه. وقال زياد لصاحب شُرطته: انطلقْ إلى حُجر، فإن تَبِعَك فأتني به، وإلاّ فشُدّوا عليهم بالسيوف حتّى تأتوني به.

فأتاه صاحبُ الشّرطة يدعوه، فمنعه أصحابه من إجابته، فحمل عليهم، فقال أبو العَمَرَّطة الكِنْدي لحُجْر: إنّه ليس معك مَنْ معه سيف غيري، وما يُغني عنك سيفي، قُمْ فالحقْ بأهلك يمنعك قومك. وزياد ينظر إليهم وهو على المنبر، وغَشِيَهم أصحاب زياد، وضرب رجلٌ من الحمراء[1] رأس عَمْرو بن الحَمِق بعموده فوقع، وحمله أصحابه إلى الأزد، فاختفى عندهم حتّى خرج[2]، وانحاز أصحاب حُجْر إلى أبواب كِنْدة، وضرب بعض الشّرطة بيد عائذ بن حَملة التّميميّ وكسر نابه، وأخذ عموداً من بعض الشّرط، فقاتل به، وحمى حُجْراً وأصحابه حتّى خرجوا من أبواب كِنْدة، وأتَى حُجْر بغلته، فقال له أبو العَمَرّطة: اركبْ فقد قتلتَنا ونفسَك. وحمله حتّى أركبه، وركب أبو العَمَرَّطة فرسه، ولحِقَه يزيد بن طَريف المُسْليّ[3] فضرب أبا العَمَرّطة على فخذه بالعمود، وأخذ أبو العَمَرّطة سيفه، فضرب به رأسَه فسقط، ثمّ برأ؛ وله يقول عبد الله بن هَمّام السّلوليّ:

أَلُؤْمُ ابنَ لُؤمٍ ما عدا بك حاسِراً ... إلى بَطَلٍ ذي جُرأةٍ وشكيمِ
مُعَاوِدِ ضَرْبِ الدّارعينَ بسَيفِهِ ... على الهامِ عند الرّوع غيرَ لَئيمِ
إلى فارسِ الغارَيْن يوْمَ تَلاقَيا ... بصِفّين قَرْمٍ خيرُ نجل قُرُومِ
حسِبتَ ابنَ برصاءَ الحِتارِ[4] قِتالَهُ ... قتالَكَ زيداً يوْمَ دار حكيمِ

وكان ذلك السيف أوّل سيف ضُرب به في الكوفة في اختلافٍ بين الناس.

ومضى حُجْر وأبو العَمَرّطة إلى دار حُجر، واجتمع إليهما ناس كثير، ولم يأتِه من كِندة كثيرُ أحد. فأرسل زياد، وهو على المنبر، مَذْحِج وهَمدان إلى جبّانة كِنْدة، وأمرهم أن يأتوه بحُجْر، وأرسل سائر أهل اليمن إلى جبّانة الصّائدين، وأمرهم أن يمضوا إلى صاحبهم حُجْر فيأتوه به، ففعلوا، فدخل مَذْحِج وهمدان إلى جبّانة كِنْدة، فأخذوا كلّ من وجدوا، فأثنى عليهم زياد.

فلمّا رأى حُجْر قلّةَ مَنْ معه أمرهم بالإنصراف، وقال لهم: لا طاقة لكم بمن قد

---

(١) في (ر): «الحراث».
(٢) الأغاني ١٧/١٣٧.
(٣) في الأصل: «الشبلي»، وفي (ر): «السلمي».
(٤) برصاء الحتار: حلقة الدُبُر.

اجتمع عليكم، وما أُحبّ أن تهلكوا. فخرجوا، فأدركهم مَذْحِج وهمدان، فقاتلوهم وأسروا قيس بن يزيد، ونجا الباقون، فأخذ حُجْر طريقاً إلى بني حُوت[1] فدخل دار رجل منهم يقال له سُلَيم بنِ يزيد، وأدركه الطَّلَبُ، فأخذ سُلَيم سيفه ليقاتل، فبكت بناته، فقال حُجْر: بئس ما أُدخلتُ على بناتك إذاً! قال: واللّهِ لا تؤخذ من داري أسيراً ولا قتيلاً وأنا حيّ. فخرج حُجْر من خَوْخة في داره، فأتى النَّخَع، فنزل دار عبد الله بن الحارث أخي الأشتر، فأحسن لقاءه. فبينما هو عنده إذ قيل له: إنّ الشُّرَط تسأل عنك في النَّخع. وسبب ذلك أنْ أَمَةً سوداء لقِيَتْهم فقالت: من تطلبون؟ فقالوا: حُجْر بن عديّ. فقالت: هو في النَّخع.

فخرج حُجْر من عنده فأتى الأزد، فاختفى عند ربيعة بن ناجد.

فلمّا أعياهم طلبه دعا زياد محمّدَ بنَ الأشعث وقال له: والله لتأتيني به، أو لأقطعنّ كلّ نخلةٍ لك وأهدم دُورك، ثمّ لا تسلَم منّي حتّى أقطعك إرباً إرباً. فاستمهله، فأمهله ثلاثاً، وأحضر قيسَ بن يزيد أسيراً، فقال له زياد: لا بأس عليك، قد عرفتُ رأيك في عثمان، وبلاءك مع معاوية بصِفيّن، وأنّك إنّما قاتلت مع حُجْر حميّةً، وقد غفرتُها لك، ولكنْ ائتني بأخيك عُمَير. فاستأمن له منه على ماله ودمه، فآمنه، فأتاه به وهو جريح، فأثقله حديداً، وأمر الرجال أن يرفعوه ويُلْقُوه، ففعلوا به ذلك مراراً، فقال قيس بن يزيد لزياد: ألم تؤمِّنْه؟ قال: بلى قد آمنته على دمه، ولستُ أُهريق له دماً. ثمّ ضمّنه وخلّى سبيله[2].

ومكث حُجْر بن عديّ في بيت ربيعة يوماً وليلة، فأرسل إلى محمد بنِ الأشعث يقول له ليأخذ له من زياد أماناً، حتّى يبعث به إلى معاوية. فجمع محمد جماعةً، منهم: جرير بن عبد الله، وحُجْر بن يزيد، وعبد الله بن الحارث أخو الأشتر، فدخلوا على زياد، فاستأمنوا له على أن يرسله إلى معاوية، فأجابهم، فأرسلوا إلى حُجْر بن عدّي، فحضر عند زياد، فلمّا رآه قال: مرحباً بك أبا عبد الرحمن، حربٌ أيّام الحرب، وحربٌ وقد سالم الناس، على أهلها تَجْني بَراقشُ[3]، فقال حُجْر: ما خلعتُ طاعةً، ولا فارقتُ جماعةً. وإنّي على بيعتي. فأمر به إلى السجن. فلمّا وَلّى قال زياد: والله لأحرصنّ على قطع خيط رقبته! وطلب أصحابه، فخرج عَمْرو بن الحَمِق حتّى أتى المَوْصِل، ومعه رِفاعة بن شدّاد، فاختفيا بجبل هناك، فرُفع خبرهما إلى عامل المَوْصِل، فسار إليهما،

---

(١) في (ر): «حريث».
(٢) الأغاني ١٤٢/١٧.
(٣) مجمع الأمثال ٨٩/١١.

فخرجا إليه، فأمّا عَمْرو فكان قد استسقى بطنه، ولم يكن عنده امتناع، وأمّا رِفاعة فكان شابّاً قويّاً، فركب فرسه ليقاتل عن عَمْرو، فقال له عَمْرو: ما ينفعني قتالك عنّي؟ انجُ بنفسك! فحمل عليهم، فأفرجوا له، فنَجَا، وأُخذ عَمْرو أسيراً فسألوه: مَنْ أنت؟ فقال: مَنْ إن تركتموه كان أسلم لكم، وإن قتلتموه كان أضرّ عليكم، ولم يخبرهم. فبعثوه إلى عامل الموصل، وهو عبد الرحمن بن عثمان الثقفيّ الّذي يُعرَف بابن أمّ الحكم، وهو ابن أخت معاوية، فعرفه، فكتب فيه إلى معاوية. فكتب إليه: إنّه زعم أنّه طعن عثمان تسع طعنات بمشاقص معه، فاطْعنه كما طعن عثمان. فأُخرج وطُعن، فمات في الأولى منهنّ أو الثانية[1].

وجدّ زياد في طلب أصحاب حُجْر، فهربوا، وأخذ من قدر عليه منهم. فأُتي بقَبيصة بن ضُبَيْعة العبْسيّ بأمانٍ، فحبسه، وجاء قيس بن عُباد الشيبانيّ إلى زياد فقال له: إنّ امرأً منّا يقال له صَيفيّ[2] من رؤوس أصحاب حُجْر. فبعث زيادٌ فأُتي به، فقال: يا عدوّ الله، ما تقول في أبي تُراب؟ قال: ما أعرف أبا تراب. فقال: ما أعرَفك به! أتعرف عليّ بن أبي طالب؟ قال: نعم. قال: فذاك أبو تراب. قال: كَلاّ، ذاك أبو الحسن والحسين. فقال له صاحب الشُّرطة: يقول الأمير هو أبو تراب وتقول لا! قال: فإن كذب الأمير أكذب أنا وأشهد على باطل كما شهد؟ فقال له زياد: وهذا أيضاً، عليّ بالعصا، فأُتي بها، فقال: ما تقول في عليّ؟ قال: أحسن قول. قال: اضربوه، حتّى لصق بالأرض، ثمّ قال: أقلعوا عنه، ما قولك في عليّ؟ قال: والله لو شرّحتني بالمواسي[3] ما قلتُ فيه إلّا ما سمعتَ منّي. قال: لَتَلْعننّه أو لأضربنّ عنقك! قال: لا أفعل. فأوثقوه حديداً وحبسوه[4].

قيل: وعاش قيس بن عباد حتّى قاتل مع ابن الأشعث في مواطنه. ثمّ دخل الكوفة فجلس في بيته، فقال حَوْشب للحجّاج: إنّ هنا امرأً صاحب فِتَنٍ، لم تكن فتنة بالعراق إلّا وثب فيها، وهو تُرابيّ يلعن عثمان، وقد خرج مع ابن الأشعث حتّى هلك، وقد جاء فجلس في بيته. فبعث إليه الحجّاج فقتله، فقال بنو أبيه لآل حوشب: سَعَيتم بصاحبنا! فقالوا: وأنتم أيضاً سعيتم بصاحبنا يعني صيفيّاً الشيبانيّ.

وأرسل زياد إلى عبد الله بن خليفة الطّائيّ، فتوارى، فبعث إليه الشُّرَط فأخذوه،

---

(١) الأغاني ١٧/١٤٤.
(٢) هو صيفيّ بن فَسِيل، كما في الأغاني ١٧/١٤٤.
(٣) في الأغاني ١٧/١٤٥: «بالمُدَى والمواسي».
(٤) الأغاني ١٧/١٤٥.

فخرجت أخته النَّوَارُ فحرّضت طيّئاً، فثاروا بالشُّرَط وخلّصوه، فرجعوا إلى زياد فأخبروه، فأخذ عديّ بن حاتم وهو في المسجد فقال: ايتني بعبد الله! قال: وما حاله؟ فأخبره، فقال: لا عِلم لي بهذا! قال: لتأتينيّ به. قال: لا آتيك به أبداً، آتيك بابن عمّي تقتله! والله لو كان تحت قدميّ ما رفعتُهما عنه! فأمر به إلى السجن، فلم يبقَ بالكوفة يمنيّ ولا رِبعيّ إلاّ كلّم زياداً وقالوا: تفعل هذا بَعدِيّ بن حاتم صاحب رسول الله ﷺ؟ فقال: فإنّي أخرجه على شرط أن يُخْرج ابن عمّه عنّي، فلا يدخل الكوفةَ ما دام لي سلطان. فأجابوه إلى ذلك، وأرسل عديّ إلى عبد الله يعرّفه ما كان، وأمره أن يلحق بجبَليْ طيّء، فخرج إليهما، وكان يكتب إلى عديّ ليشفع فيه ليعود إلى الكوفة، وعديّ يُمنّيه، فممّا كتب إليه يعاتبه ويرثي حُجْراً وأصحابه قوله:

تذكّرْتُ ليلى والشّبيبةَ أعصُرَا ... وذكْرُ الصِّبَا بَرْحٌ على مَن تذكّرَا
ووَلّى الشّبابُ فافتَقدتُ غصونَهُ ... فيا لكَ من وَجْدٍ[1] به حينَ أدبرَا
فدَعْ عنكَ تذكارَ الشّبابِ وَفقْدَهُ ... وأسبابَهُ إذْ بانَ عنكَ فأجمَرا[2]
وَبكِّ على الخُلاّنِ لمّا تُخُرّمُوا ... ولم يجدوا[3] عن مَنهلِ الموْتِ مصدرَا
دعَتهُمْ مَنايَاهم ومَن حانَ يومُهُ ... منَ النّاس فاعلَمْ أنّه لن يُؤخَّرَا
أولئكَ كانُوا شيعَةً لي وموئِلاً ... إذا اليوْمُ ألفي ذا احتدامٍ مذكَّرَا[4]
وما كنتُ أهوَى بعدهم متَعَلَّلاً ... بشيء منَ الدّنيا وَلا أن أُعَمَّرَا
أقولُ ولا واللهِ أنسَى ادّكارَهمْ ... سَجيسَ[5] الليّالي أوْ أموتَ فأُقبرَا
على أهلِ عذراءَ السّلامُ مُضاعَفاً ... منَ اللهِ وليُسقَ الغمامَ الكَنَهْوَرَا[6]
ولاقَى بها حُجْرٌ منَ اللهِ رحمةً ... فقد كانَ أرضَى اللهَ حُجرٌ وأعذَرَا
ولا زالَ تَهطالٌ مُلِثٌّ وديمَةٌ ... على قبرِ حُجْرٍ أو يُنادى فيُحشَرَا[7]
فيا حُجْرُ مَن للخيلِ تَدمى نُحورُها ... وللمَلِكِ المُغْزي[8] إذا ما تَغَشْمَرَا[9]

---

(١) في الطبعة الأوربية: «وجدي».
(٢) في تاريخ الطبري ٥/٢٨٢: «منك فأقصرا».
(٣) في الطبعة الأوربية: «تحرّموا ولم تجدوا».
(٤) في (ر): «احتلام منكرا».
(٥) سجيس الليالي: أي الدهر كله.
(٦) الكَنَهْوَر: كَسَفَرْجَل. قِطع السحاب التي تُشبه الجبال.
(٧) في (ر) ونسخة المتحف البريطاني: «فيحجرا».
(٨) في الطبعة الأوربية: «المفري».
(٩) التغشمُر: إتيان الأمر من غير تثبّت.

وَمَنْ صادعٌ[1] بالحَقّ بعدَك ناطقٌ ... بتَقوى ومَن إن قيل بالجَوْرِ غَيّرَا
فنِعمَ أخو الإسلامِ كنتَ وإنّني ... لأطمع أن تُؤتَى الخلودَ وتُحْبَرَا[2]
(وقد كنتَ تعطي السيفَ في الحربِ حقَّه ... وتَعرِفُ مَعروفاً وتُنكِرُ مُنكَرَا
فيا أخَوَيْنا من هُمَيْم[3] عُصِمتما ... ويُسّرتُما للصّالحات[4] فأبشِرَا
ويا أخَوَيّ الخِنْدِفِيَّيْنِ أبْشِرَا ... بما معنا[5] حُيِّيتُما[6] أن تُتَبَّرَا[7])[8]
ويا إخوتا من حَضْرَموتَ وغالبٍ ... وشَيْبانَ لُقِّيتُمْ حساباً مُيَسَّرَا[9]
(سَعِدتُم فلم أسمعْ بأصْوَبَ منكمُ ... حِجاجاً لدى المَوْتِ الجَليل وأصبرَا
سأبكيكُمْ ما لاحَ نجمٌ وغَرّدَال ... حَمامُ ببَطنِ الواديَينِ وقَرْقَرَا
فقلتُ ولم أظلمْ: أغوثَ بنَ طيّءٍ ... متى كنتُ أخشَى بينكم أن أُسَيَّرَا
هُبِلتُمْ ألا قاتلتُمُ عن أخيكُمُ ... وقد دُثّ[10] حتّى مالَ ثمّ تَجَوّرَا
تَفرّجتُمُ[11] عني فغُودِرْتُ مُسْلَماً ... كأنّي غريبٌ مِنْ[12] إيادٍ وأعْصُرَا)[13]
فمَنْ لكُمُ مثلي لدَى كلّ غارةٍ ... ومَن لكُمُ [مثلي] إذا البأسُ أصحرَا
ومَن لكُمُ مثلي إذا الحرْبُ قلّصَتْ[14] ... وأوْضَعَ فيها المُستَميتُ وشَمّرَا
فها أنا ذا آوي[15] بأجبالِ طَيّءٍ ... طَريداً[16] فلَوْ شاء الإلَهُ لَغَيّرَا[17]

---

(1) في الطبعة الأوربية: «صادق».
(2) في (ر) ونسخة المتحف البريطاني: «فتحشرا».
(3) في (ر): «تميم».
(4) في الطبعة الأوربية: بالصالحات».
(5) في تاريخ الطبري ٢٨٢/٥: «فقد كنتما».
(6) في (ش): «جنبتما».
(7) في تاريخ الطبري: «تبشّرا»، وكذا في (أ).
(8) الأبيات التي بين القوسين من الأصل.
(9) في الطبعة الأوربية «جناناً مبشّراً».
(10) في تاريخ الطبري: «ذبّ».
(11) في تاريخ الطبري: «ففرّجتم».
(12) في تاريخ الطبري: «في».
(13) الأبيات التي بين القوسين من الأصل، وليست في النُسَخ الأخرى.
(14) قلّصت: قامت واشتعلت.
(15) في الطبعة الأوربية: «فها قد أداري»، وفي تاريخ الطبري: «داري».
(16) في الأصل: «فريداً».
(17) في (ر) «لقدّرا».

نفاني[1] عدوّي ظالماً[2] عن مُهاجري ... رَضيتُ بما شاء الإلَهُ وقَدّرا[3]
وأسلَمني قومي بغيرِ جِنايةٍ ... كأنْ لم يكونوا لي قَبيلاً ومَعْشَرَا
فإنْ أُلفَ في دارٍ بأجبالِ طَيّءٍ ... وكانَ معاناً من عُصَيرٍ[4] ومحضَرَا
فما كنتُ أخشى أن أُرَى متغرِّباً[5] ... لحَى اللهُ مَنْ لاحى عليهِ وكَثَّرَا
لحَى اللهُ قَيْلَ[6] الحضرَميّين وائلاً ... ولاقَى القناني[7] بالسّنانِ المُؤمَّرَا[8]
ولاقَى الرّدى القَوْمُ الذينَ تحزّبوا ... علَينا وقالوا قوْلَ زُورٍ ومُنْكَرَا
فلا يدّعُني قَوْمٌ لغَوْثٍ[9] بن طيّءٍ[10] ... لئن[11] دهرهم أشفَى[12] بهم وتَغَيَّرَا
فلم أغزُهم في المعلَمينَ ولم أُثِرْ ... علَيهِم عَجاجاً بالكُوَيْفةِ أكدَرَا
فبلِّغ خليلي إن رَحلتَ[13] مُشَرِّقاً ... جَديلةَ والحَيَّينِ مَعْناً وبُحْتُرَا
ونَبهانَ والأفناءَ من جِذْمِ طيّءٍ ... ألم[14] أكُ فيكمْ ذا الغَناء العَشَنْزَرَا[15]
ألم تَذكرُوا يوْمَ العُذَيبِ ألِيّتي ... أمامَكُمُ أن لا أُرَى الدهرَ مُدبِرَا[16]
وكرّي على مِهْران والجمعُ حابسٌ[17] ... وقتْلي الهمامَ المُستَميتَ المُسَوَّرَا[18]
ويوْمَ جَلولاءِ الوَقيعةِ لم أَلُمْ ... ويوْمَ نِهاوَندِ الفُتوحِ وتُسْتَرَا
وتَنسونَني يوْمَ الشّريعَةِ والقَنا ... بصِفّينَ في أكتافهم قد تكَسّرَا

---

(١) في نسخة المتحف البريطاني: «تفانى»، وفي الطبعة الأوربية: «تعاني».
(٢) في نسخة المتحف: «ظاهراً».
(٣) البيت في (ش) و (ر).
(٤) المعان: المنزل والمباءة. والعُصَير: تصغير عصر وهو الزمن.
(٥) في (ش): «متعرياً».
(٦) في (ر) ونسخة المتحف: «قتل»، وكذا في تاريخ الطبري ٢٨٣/٥.
(٧) فيهما: «القياني».
(٨) في تاريخ الطبري: «ولاقى الفنا من السنان الموفّرا».
(٩) في نسخة المتحف البريطاني، و (أ): «بعوب».
(١٠) في الطبعة الأوربية: «فلا يدعني قومي لغوثٍ وطيء».
(١١) في تاريخ الطبري: «لأنْ».
(١٢) في نسخة المتحف، و (أ) وتاريخ الطبري: «أشقى».
(١٣) في نسخة المتحف و (أ): «رجعت».
(١٤) في الطبعة الأوربية: «ولم».
(١٥) في حاشية (ش): هو السّيء الخلق عند القتال.
(١٦) في (أ) ونسخة المتحف البريطاني: «منذراً».
(١٧) في (ر): «نايس»، وفي تاريخ الطبري: «حاسر».
(١٨) في (ر) والمتحفُ البريطاني: «المشمرا».

جـزَى ربُّـهُ عنّـي عـديَّ بـن حـاتـمٍ ... بـرَفـضـي وخِـذْلانـي جزاءً مُـوفَّـرَا
أتَنسَى بَـلائي سـادراً[1] يـا ابـنَ حـاتمٍ ... عشيّـةَ مـا أغْنَتْ عَـديُّـكَ حَـزْمَـرَا[2]
فـدافعَتُ عنـكَ القَـوْمَ حتى تخـاذَلـوا[3] ... وكـنتُ أنـا الـخصمَ الألَـدّ الـعَـذَوَّرَا[4]
تَـولَّـوا ومـا قـامـوا مقـامي كـأنّـما ... رأوْنـي لَـيـثـاً بـالأبـاءة[5] مُـخْـدِرَا
نصـرْتُكَ[6] إذ خـان[7] القـريبُ وأبْعَطَ[8] الـ ... ـبـعـيـدُ وقـد أفـرَدتُ نـصـراً مُؤزَّرَا
فـكـانَ جـزائـي أن أُجـرَّرَ[9] بـيـنـكـم ... سحيباً[10] وأنْ أولـى الهَـوانَ وأوسَـرَا[11]
وكَـمْ عِـدَةٍ لـي مِـنـكَ أنّـك راجعـي ... فـلم تُغْـنِ بـالميعـادِ عنّيَ حَبْتَـرَا[12]
فـأصبحتُ أرعى النِّيبَ طَـوْراً وتـارَةً ... أُهَـرْهِـرُ إن راعي الشُّـوَيهاتِ هـرْهـرَا[13]
كـأنّـيَ لـم أركَـبْ جَـواداً لـغـارَةٍ ... ولـم أتـرُكِ القِـرْنَ الكَـمـيّ مُـقَـطَّرَا
ولم أعتـرِضْ بـالسّيفِ منكم[14] مُـغيـرَةً ... إذِ[15] النِّكسُ مشّى القهقـرَى ثمّ جَـرْجـرَا
ولم أستحِثَّ الـرّكضِ[16] في إثْرِ عُصْبـةٍ ... مُـيَـمِّـمـةٍ عُـليـا سِـجـاسٍ وأبْـهَـرَا
ولـم أذعـرِ الأبـلامَ مـنّـي بـغـارَةٍ ... كـورْدِ الـقَـطا ثـمّ انـحـدَرْتُ مـظفَّـرَا
ولـم أرَ في خَـيـلٍ تُـطاعِـنُ[17] مثلَهـا ... بقَـزوينَ أو شَـروينَ أو أُغْـرِ كَيْـدرَا[18]
فـذلـكَ دَهـرٌ زالَ عـنّـي حَـمـيـدُهُ ... وأصـبَـحَ لـي مَـعـرُوفُـهُ قـد تـنـكّـرَا

---

(١) في النسختين: «صادراً».
(٢) في الطبعة الأوربيـة: «حِذْمرا».
(٣) في (ر) ونسخة المتحف البريطاني: «تجادلوا».
(٤) العَذَوَّر: القويّ الشديد.
(٥) الأباءة: القصبة، وهي مأوى للأسُود.
(٦) في تاريخ الطبري: «نصرتكم».
(٧) في (ش): «خام»، وكذا عند الطبري.
(٨) في الطبعة الأوربيـة: «وأنمط»، و (أبعط): هرب وأبعد.
(٩) في تاريخ الطبري: «أُجَرَّد».
(١٠) في تاريخ الطبري: «سجيناً».
(١١) في (ر) والنسخة البريطانية: «وأدمرا».
(١٢) الحبتر: الثعلب.
(١٣) هرهرا: دعاها للشرب.
(١٤) في تاريخ الطبري ٥/ ٢٨٥: «خيلًا».
(١٥) في تاريخ الطبري: «إذا».
(١٦) في (ر) ونسخة المتحف: «الركب».
(١٧) في تاريخ الطبري: «تطاعن بالقنا».
(١٨) في تاريخ الطبري: «أو أُغْزُ كَنْدرا».

فلا يَبعَدن[1] قومي وإن كنتُ عاتباً[2] وكنتُ المُضاعَ فيهمُ والمكفَّرا[3]
ولا خيرَ في الدّنيا ولا العيشِ بعدهمْ وإن كنتُ عنهم نائيَ الدّارِ مُحْصَراً[4]

وقد تقدّم ما فعله عبد الله مع عديّ في وقعة صفّين، فلهذا لم نذكره ها هنا[5].

فمات عبد الله بالجبلَين قبل موت زياد، ثمّ أُتي زياد بكريم بن عَفيف الخَثْعَميّ من أصحاب حُجْر بن عديّ، فقال: ما اسمك؟ قال: كريم بن عفيف. قال: ما أحسَن اسمك واسم أبيك وأسوأ عملك ورأيك! فقال له: أما والله إنّ عهدك برأيي منذ قريب.

قال: وجمع زياد من أصحاب عديّ اثني عشر رجلاً في السجن، ثمّ دعا رؤساء الأرباع يومئذ، وهم: عَمْرو بن حُرَيْث على رَبْع أهل المدينة، وخالد بن عُرْفُطَة على رَبْع تميم وهَمْدان، وقيس بن الوليد على رَبع ربيعة وكِنْدة، وأبو بُرْدة بن أبي موسى على رَبْع مَذْحِج وأسد، فشهد هؤلاء أن حُجْراً جمع إليه الجموع، وأظهر شتْم الخليفة، ودعا إلى حرب أمير المؤمنين، وزعم أنّ هذا الأمر لا يُصلح إلاّ في آل أبي طالب، ووثب بالمِصْر، وأخرج عامل أمير المؤمنين، وأظهر عُذر أبي تُراب والترحّم عليه، والبراءة من عدوّه. وأهل حَرْبه، وأنّ هؤلاء النّفر الذين معه هم رؤوس أصحابه على مثل رأيه وأمره. ونظر زياد في شهادة الشّهود وقال: إنّي لأحبّ أن يكونوا أكثر من أربعة[6]، فدعا الناس ليشهدوا عليه، فشهد إسحاق وموسى ابنا طلحة بن عُبيد الله، والمنذر بن الزّبَير، وعُمارة بن عُقْبة بن أبي مُعَيط، وعَمْرو بن سعد بن أبي وقّاص، وغيرهم، وكتب في الشهود شُرَيْح بن الحارث القاضي، وشُرَيْح بن هانىء، فأمّا شُريح بن هانىء فكان يقول: ما شهدتُ وقد لُمْتُهُ[7].

ثمّ دفع زيادُ حُجْرَ بن عديّ وأصحابه إلى وائل بن حُجْر الحضرميّ وكَثير بن شِهاب، وأمرهما أن يسيرا بهم إلى الشام، فخرجوا عشيّة، فلمّا بلغوا الغَريّين[8] لحقهم

---

(١) في (ر) ونسخة المتحف: «سعدت».
(٢) في المصدرين وتاريخ الطبري: «غائباً».
(٣) في (ر): «والمعفرا».
(٤) في الطبعة الأوربية: «مخضرا». وفي الأصل ورد من الأبيات ٢٩ بيتاً فقط، وهي كلها في تاريخ الطبري ٥/٢٨١ ـ ٢٨٥.
(٥) هذه الجملة وردت في طبعة صادر بعد البيت الذي أوّله: «تولّوا وما قاموا مقامي»، ولا محلّ للجملة هناك (ج ٣/٤٨١) فنقلتها إلى هنا. وحتى هنا الخبر عن الطبري ٥/٢٥٣ ـ ٢٨٥.
(٦) الأغاني ١٧/١٤٥.
(٧) الأغاني ١٧/١٤٦، ١٤٧.
(٨) في الأصل: «الغرتين»، وفي (ر): «الغربين».

شُرَيح بن هانىء وأعطى وائلاً كتاباً وقال: أبلَغْهُ أمير المؤمنين، فأخذه، وساروا حتّى انتهوا بهم إلى مرج عذراء عند دمشق، وكانوا: حُجْر بن عديّ الكِنْديّ، والأرقم بن عبد الله الكِنْديّ، وشريك بن شدّاد الحضرميّ، وصَيْفي بن فَسِيل[1] الشيبانيّ، وقَبيصة بن ضُبَيعة العبسيّ، وكريم بن عَفيف الخَثْعميّ، وعاصم بن عوف البجليّ، وورقاء بن سُمعيّ البَجليّ، وكِدام بن حَيّان، وعبد الرحمن بن حسّان العَنَزيَّين[2]، ومُحْرِز بن شهاب التميميّ، وعبد الله بن حَويّة[3] السّعدي التّميميّ، فهؤلاء اثنا عشر رجلاً، وأتبعهم زياد برجلَين، وهما: عُتْبَة بن الأخنس من سعد بن بكر، وسعد بن نَمِران الهمْدانيّ[4] فتمّوا أربعة عشر رجلاً.

فبعث معاويةُ إلى وائل بن حُجْر وكَثير بن شهاب، فأدخلهما وأخذ كتابهما فقرأه[5]، ودفع إليه وائل كتاب شُرَيْح بن هانىء، فإذا فيه: «بَلَغني أنّ زياداً كتب شهادتي، وإنّ شهادتي على حُجْر أنّه ممّن يقيم الصلاة، ويُؤتي الزّكاة (ويديم الحجّ والعُمْرة)[6] ويأمر بالمعروف، ويَنْهى عن المنكر، حَرام الدّم والمال، فإن شئت فاقتله، وإن شئتَ فدَعْه»[7].

فقال معاوية: ما أرى هذا إلّا قد أخرج نفسه من شهادتكم، وحبس القوم بمرج عَذْراء[8]. فوصل إليهم الرجلان اللّذان ألحقهما زياد بحُجْر وأصحابه، فلمّا وصلا سار عامر بن الأسود العِجْليّ إلى معاوية ليُعْلمه بهما، فقام إليه حُجْر بن عَديّ في قيوده فقال له: أبلغْ معاويةَ أنّ دماءنا عليه حرام، وأخبِرْه أنّا قد أومِنّا وصالحناه وصالحَنا، وأنّا لم نقتل أحداً من أهل القِبْلة فيحلّ له دماؤنا.

فدخل عامر على معاوية، فأخبره بالرجلَين، فقام يزيد بن أسد البَجَليّ، فاستوهبه ابنَيْ عمّه، وهما: عاصم وورقاء، وكان جرير بن عبد الله البَجَليّ قد كتب فيهما يزكّيهما، ويشهد لهما بالبراءة ممّا شُهد عليهما، فأطلقهما معاوية وشفع وائل بن حُجْر في الأرقم

---

(١) في الأصل: «نشيل»، وفي (ر): «فضيل».
(٢) في الأصل: «التّميميّان».
(٣) في الأغاني ١٤٨/١٧: «جؤيّة».
(٤) في: الأغاني ١٤٨/١٧: «الهمداني الناعطيّ»، وانظر الخبر في: تاريخ اليعقوبي ٢٣١/٢، والمعرفة والتاريخ ٣٢٠/٣، ٣٢١.
(٥) انظر نصّ الكتاب في الأغاني ١٤٨/١٧.
(٦) ليست في: الأغاني.
(٧) انظر النص في: الأغاني ١٤٩/١٧.
(٨) في الأصل: «عزيز».

فتركه له، وشفع أبو الأعور السُّلَميّ في عُتْبَة بن الأخنس فتركه، وشفع حُمْرَة بن مالك الهمْدانيّ في سعد بن نَمِران، فوهبه له، (وشفع حبيب بن مَسْلمة في ابن حَويّة فتركه له)[1]، وقام مالك بن هُبَيرة السَّكونيّ فقال: دَعْ لي ابن عمّي حُجْراً. فقال له: هو رأس القوم، وأخاف إن خَلّيْتُ سبيله أن يُفْسد عليّ مصره، فنحتاج أن نُشْخصك إليه بالعراق. فقال: والله ما أنصفْتني يا معاوية! قاتلتُ معك ابن عمّك يومَ صِفّين حتّى ظفرتَ وعلا كعبك، ولم تخف الدّوائر، ثمّ سألتك ابن عمّي فمنعتَني! ثمّ انصرف فجلس في بيته[2].

فبعث معاويةُ هُدْبَة بن فَيّاض القُضاعيّ، والحصَين بن عبد الله الكِلابيّ، وأبا شريف[3] البدّيّ إلى حُجْر وأصحابه، ليقتلوا مَنْ أُمروا بقتله منهم، فأتوهم عند المساء. فلمّا رأى الخثعميّ أحدهم أعور قال: يقتل نصفنا ويترك نصفنا، فتركوا ستّة وقتلوا ثمانية، وقالوا لهم قبل القتل: إنّا قد أمرنا أن نعرض عليكم البراءة من عليّ واللّعْن له، فإنْ فعلتم تركناكم، وإن أبيتم قتلناكم. فقالوا: لسنا فاعلي ذلك. فأمر فحُفرت القبور، وأُحضرت الأكفان، وقام حُجْر وأصحابه يصلّون عامّة اللّيل. فلمّا كان الغد قدّموهم ليقتلوهم فقال لهم حُجْر بن عديّ: اتركوني أتوضّأ وأصلّي، فإنّي ما توضّأتُ إلاّ صلّيتُ، فتركوه، فصلّى ثمّ انصرف منها وقال: والله ما صلّيتُ صلاةً قطّ أخفّ[4] منها، ولولا أن تظنّوا فيّ جزعاً من الموت لاستكثرتُ منها. ثمّ قال: اللهمّ إنّا نستعديك[5] على أمّتنا! فإنّ أهل الكوفة شهدوا علينا، وإنّ أهل الشام يقتلوننا، أمَا واللهِ لئن قتلتموني بها فإنّي لأوّل فارس من المسلمين هلك[6] في واديها، وأوّل رجل من المسلمين نَبحتَهْ كلابُها! ثمّ مشى إليه هُدْبة بن فيّاض بالسّيف فارتعد، فقالوا له: زعمتَ أنّك لا تجزع من الموت. فابرأ من صاحبك وندَعُك. فقال: وما لي لا أجزع وأرى قبراً محفوراً، وكفناً منشوراً، وسيفاً مشهوراً! وإنّي والله إن جزعتُ من القتل لا أقول ما يُسْخط الرّبّ. فقتلوه، وقتلوا ستّة[7].

فقال عبد الرحمن بن حسّان العَنَزِيّ، وكَريم الخَثْعَميّ: ابعثوا بنا إلى أمير المؤمنين، فنحن نقول في هذا الرجل مثل مقالته. فاستأذنوا معاوية فيهما، فأذن

---

(١) ما بين القوسين من الأصل، وليس في بقية النُسَخ. والخبر في: الأغاني ١٧/١٥٠ وفيه: جؤية بدل: حوية.

(٢) الخبر باختصار في: الأغاني ١٧/١٥٠.

(٣) في الأغاني: «صريف».

(٤) في الأغاني ١٧/١٥١: «أقصر».

(٥) في (أ) نستعيذ بك.

(٦) في الأغاني: «سلك».

(٧) الأغاني ١٧/١٥٠، ١٥١، وانظر: تاريخ اليعقوبي ٢/٢٣١ وفيه أن ذلك كان في سنة ٥٢ هـ.

بإحضارهما. فلمّا دخل عليه قال الخثعميّ: الله الله يا معاوية! فإنّك منقول من هذه الدّار الزّائلة، إلى الدّار الآخرة الدّائمة، ثمّ مسؤول عمّا أردتَ بسفك دمائنا! فقال له: ما تقول في عليّ؟ قال: أقول فيه قولَك. قال: أتبرأ من دين عليّ الذي يدين الله به؟ فسكت، وقام شَمِر بن عبد الله من بني قُحافة (ابن خثعم)[1] فاستوهبه، فوهبه له على أن لا يدخل الكوفة، فاختار الموصل، فكان يقول: لو مات معاوية قدِمتُ الكوفةَ، فمات قبل معاوية بشهر[2]. ثمّ قال لعبد الرحمن بن حسّان: يا أخا ربيعة ما تقول في عليّ؟ قال: دعْني ولا تسألْني فهو خير لك. قال: والله لا أَدَعُك. قال: أشهد أنّه كان من الذّاكرين الله تعالى كثيراً، من الآمرين بالحقّ والقائمين بالقِسْط والعافين عن الناس. قال: فما قولك في عثمان؟ قال: هو أوّل من فتح أبواب الظّلم، وأغلق أبواب الحقّ. قال: قتلتَ نفسك! قال: بل إيّاك قتلتُ، ولا ربيعة بالوادي، يعني ليشفعوا فيه، فردّه معاوية إلى زياد، وأمره أن يقتله شرّ قِتلة، فدفنه حيّاً[3].

فكان الّذين قُتلوا: حُجْر بن عديّ، وشريك بن شدّاد الحضرميّ، وصَيْفي بن فَسيل الشيبانيّ، وقَبيصة بن ضُبَيعة العَبسيّ، ومُحْرز بن شِهاب السّعديّ التّميميّ، وكِدام بن حيّان العَنَزيّ، وعبد الرحمن بن حسّان العَنَزيّ الّذي دفنه زياد حيّاً، فهؤلاء السبعة قتلوا ودُفنوا وصُلّي عليهم[4].

قيل: ولما بلغ الحسنَ البصريّ قتْلُ حُجْر وأصحابه قال: صلّوا عليهم وكفّنوهم، ودفنوهم واستقبلوا بهم القِبلة؟ قالوا: نعم. قال: حجّوهم[5] وربِّ الكعبة!

وأمّا مالك بن هُبَيرة السَّكونيّ، فحين لم يشفّعه معاوية في حُجْر، جمع قومه، وسار بهم إلى عذراء ليخلّص حُجْراً وأصحابه، فلقِيته قتلتُهُم، فلمّا رأوه علموا أنّه جاء ليخلّص حُجْراً، فقال لهم: ما وراءكم؟ قالوا: قد تاب القوم، وجئْنا لنُخْبر أمير المؤمنين. فسكت وسار إلى عَذْراء، فلقِيه بعض من جاء منها، فأخبره بقتْل القوم، فأرسل الخيل في إثر قَتَلَتهم، فلم يدركوهم، ودخلوا على معاوية فأخبروه، فقال لهم: إنّما هي حرارة يجدها في نفسه وكأنّها طفئت، وعاد مالك إلى بيته ولم يأتِ معاوية، فلمّا كان الليل، أرسل إليه معاويةُ بمائة ألف درهم وقال: ما منعني أن أشفّعك إلّا خوفاً أن يُعيدوا لنا حرباً، فيكون

---

(١) من الأصل.

(٢) الأغاني ١٧/١٥٢.

(٣) الأغاني ١٧/١٥٢، ١٥٣.

(٤) الأغاني ١٧/١٥٣، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٣١.

(٥) في نسخة المتحف البريطاني، و(ر): «هجرهم».

في ذلك من البلاء على المسلمين ما هو أعظم من قتل حُجْر. فأخذها وطابت نفسه.

ولما بلغ خبرُ حجر عائشةَ أرسَلَتْ عبد الرحمن بن الحارث إلى معاوية فيه وفي أصحابه، فقدِم عليه وقد قتلهم، فقال له عبد الرحمن: أين غاب عنك حِلْم أبي سفيان؟ قال: حين غاب عنّي مثلك من حُلَماء قومي، وحمَّلني ابن سُمَيّة فاحتملتُ[1].

وقالت عائشة: لولا أنّا لم نُغَيّر شيئاً إلّا صارت بنا الأمور إلى ما هو أشدّ منه لَغَيَّرنا قَتْلَ حُجْر، أمَا[2] واللّهِ إن كان ما علمت لمُسلماً حَجّاجاً معتمراً[3].

وقال الحَسَن البصريّ: أربَعُ خِصالٍ كنّ في معاوية، لو لم تكن فيه إلّا واحدة لكانت مُوبقة: انتزاؤه على هذه الأمّة بالسّيف، حتى أخذ الأمر من غير مَشُورة، وفيهم بقايا الصّحابة وذوو الفضيلة، واستخلافه بعده ابنه سِكّيراً خمّيراً يلبس الحرير ويضرب بالطّنابير، وادّعاؤه زياداً، وقد قال رسول الله ﷺ: الولد للفراش وللعاهر الحجْر، وقتْله حُجْراً وأصحاب حُجر، فيا ويلاً له من حُجْر! ويا ويلاً له من حُجْر وأصحاب حُجْر[4]!

قيل: وكان الناس يقولون: أوّل ذُلّ دخل الكوفة موت الحسن بن عليّ، وقتل حُجْر، ودعوة زياد، وقالت هند بنت زيد الأنصارية ترثي حُجْراً، وكانت تتشيّع:

تَرَفَّعْ[5] أيّها القَمَرُ المُنِيرُ ... تبصّرْ هل ترَى[6] حُجْراً يَسيرُ
يَسيرُ إلى معاويةَ بنِ حَرْبٍ ... ليَقتلَهُ كَما زَعَمَ الأمِيرُ
تجَبّرَتِ[7] الجبارُ بَعْدَ حُجْرٍ ... وطابَ لها الخَوَرْنَقُ والسَّديرُ
وأصبَحَتِ البلادُ لَهُ[8] مُحُولاً ... كأنْ لم يُحْيِها مُزْنٌ مَطِيرُ
ألا يا حُجْرُ حُجْرَ بني عَديٍّ ... تلَقّتْكَ السّلامَةُ والسّرُورُ
أخافُ علَيكَ ما أرْدى عَدِيّاً[9] ... وشَيخاً في دِمَشْقَ لهُ زَئِيرُ
فإنْ تَهلِكْ فكُلُّ زَعيمِ قَوْمٍ ... مِنَ الدّنيا إلى هُلْكٍ يَصِيرُ[10].

---

(١) هذا الخبر في: الأغاني ١٧/١٥٤، وتاريخ الطبري ٥/٢٧٨، ٢٧٩.
(٢) في الطبعة الأوربية: «أم».
(٣) الأغاني ١٧/١٥٤، الطبري ٥/٢٧٩.
(٤) تاريخ الطبري ٥/٢٧٩.
(٥) في (ر): «ترجع».
(٦) في الأغاني: «لعلّك أن ترى».
(٧) في الأغاني: «ترفّعت».
(٨) في تاريخ الطبري: «بها».
(٩) في الأغاني: «أخاف عليك سطوة آل حرب».
(١٠) الأبيات بزيادة في: تاريخ الطبري ٥/٢٨٠، والأغاني ١٧/١٥٤، ١٥٥.

وقد قيل في قتله غير ما تقدّم: وهو أنّ زياداً خطب يوم جُمْعَة، فأطال الخطبة وأخرّ الصلاة، فقال له حُجر بن عديّ: الصلاة. فمضى في خطبته. فقال له: الصلاة. فمضى في خُطبته. فلمّا خشي حُجْرُ بنُ عديّ فوتَ الصلاة ضرب بيده إلى كفّ من حصى، وقام إلى الصلاة، وقام الناس معه. فلمّا رأى زياد ذلك نزل فصلّى بالناس، وكتب إلى معاوية وكثّر عليه، فكتب إليه معاوية ليشدّه في الحديد ويرسله إليه. فلمّا أراد أخْذه قام قومه ليمنعوه، فقال حُجْر: لا، ولكن سمعاً وطاعة. فشُدّ في الحديد وحُمل إلى معاوية. فلمّا دخل عليه قال: السلام عليك يا أمير المؤمنين! فقال معاوية: أأمير المؤمنين أنا؟ والله لا أقيلك ولا أستقيلك! أخْرِجوه فاضربوا عُنُقه! فقال حُجْر للّذين يلون أمره: دعوني حتّى أصَلّي ركعتين. فقالوا: صلِّ، فصلّى ركعتين خفّف فيهما، ثمّ قال: لولا أن تظنّوا بي غير الذى أردتُ لأطلتهما، وقال لمن حضره من قومه: لا تُطْلِقوا عنّي حديداً، ولا تغسلوا عنّي دماً، فإنّي لاقٍ معاوية غداً على الجادّة؛ وضُربتْ عنقه. قال: فلقيتْ عائشةُ معاويةَ فقالت له: أين كان حِلْمك عن حُجْر؟ فقال: لم يحضرني رشيد[1]. قال ابن سِيرِين: بَلَغنا أنّ معاوية لما حضرتْه الوفاةُ جعل يقول: يومي منك يا حُجْر طويل[2].

(عُباد: بضمّ العين، وفتح الباء الموحّدة وتخفيفها)[3].

ذكر استعمال الربيع على خُراسان

وفي هذه السنة وجّه زيادٌ الربيعَ بن زياد الحارثيّ أميراً على خُراسان، وكان الحَكَم بن عَمْرو الغِفاريّ قد استخلف عند موته أنس بن أبي أُناس، فعزله زياد وولّى خُلَيد بن عبد الله الحنفيّ. ثمّ عزله وولّى الربيع بن زياد أوّل سنة إحدى وخمسين، وسيّر معه خمسين ألفاً بعيالاتهم من أهل الكوفة والبصرة، منهم: بُرَيْدة بن الحُصَيْب، وأبو بَرْزَة، ولهما صُحْبة، فسكنوا خُراسان، فلمّا قدِمَها غزا بلْخ، ففتحها صُلْحاً، وكانت قد أُغلقتْ بعدما صالحهم الأحنف بن قيس في قول بعضهم. وفتح قُهِستان عَنْوةً، وقتل مَن بناحيتها من الأتراك، وبقي منهم نيزك طَرخان، فقتله قُتيبة بن مسلم في ولايته[4].

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٣١.
(٢) نهاية الأرب ٢٠/٣٤١، ٣٤٢.
(٣) ما بين القوسين من (ش).
(٤) تاريخ الطبري ٥/٢٨٥، ٢٨٦، نهاية الأرب ٢٠/٣٢٩.

ذكر عدّة حوادث

[الوَفَيَات]

في هذه السنة مات جرير بن عبدالله البَجَليّ[1]، وقيل: سنة أربع وخمسين، وكان إسلامه في السنة التي تُوُفّي فيها رسول الله ﷺ.

وفيها مات سعيد بن زيد[2]، وقيل: سنة اثنتين، وقيل: ثمان وخمسين، ودُفن بالمدينة وهو أحد العشرة.

وأبو بكرة نُفَيْع بن الحارث[3]، له صُحْبة، وهو أخو زياد لأمّه.

وفيها ماتت ميمونة بنت الحارث[4] زوج النبيّ ﷺ، بسَرِف، وفيها دخل بها رسول الله ﷺ. وقيل ماتت سنة ثلاث وستّين، وقيل: ستّ وستّين.

وحجّ بالناس هذه السنة يزيد بن معاوية[5].

وكان العمّال بهذه السنة مَنْ تقدّم ذكرهم.

(بُرَيْدة: بضمّ الباء الموحّدة، وفتح الراء المهملة. والحُصَيْب: بضمّ الحاء المهملة، وفتح الصّاد المهملة[6]، وآخره باء موحدة).

---

(١) انظر عن (جرير بن عبد الله) ومصادر ترجمته في: تاريخ الإسلام (عهد معاوية) - ص ١٨٥ - ١٨٨.

(٢) انظر عن (سعيد بن زيد) ومصادر ترجمته في: تاريخ الإسلام - ص ٢٢١ - ٢٢٤.

(٣) انظر عن (نُفَيع بن الحارث) ومصادر ترجمته في: تاريخ الإسلام - ص ٣٣٣، ٣٣٤.

(٤) انظر عن (ميمونة بنت الحارث) في: تاريخ الإسلام (عهد معاوية) - ص ٣١٧ - ٣٢٠ وفيه مصادر ترجمتها.

(٥) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٣٩، تاريخ الطبري ٥/٢٨٦، تاريخ حلب ١٨٠، نهاية الأرب ٢٠/٣٤٢.
أما في: تاريخ خليفة ٢١٨، ومروج الذهب ٤/٣٩٨، وتاريخ الإسلام (عهد معاوية) ص ١٤٧ فالذي حجّ بالناس هو: معاوية.

(٦) في الطبعة الأوربية: «المهملتين».

٥٢
ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين

فيها كانت غزوة سفيان بن عوف الأسْديّ الروم وشتّى بأرضهم، وتوفّي بها في قول، فاستخلف عبد الله بن مسعدَة الفزاري[١]، وقيل: إنّ الذي شتّى هذه السنة بأرض الروم بُسْر بن أبي أرطاة ومعه سفيان بن عوف[٢]، وغزا الصّائفة هذه السنة محمد بن عبد الله الثقفيّ[٣].

ذكر خروج زياد بن خِراش العِجْلي

وفي هذه السنة خرج زياد بن خِراش العِجْلي في ثلاثمائة فارس، فأتَى أرض مَسْكِن من السّواد، فسيّر إليه زياد خيلاً عليها سعد بن حُذَيْفة أو غيره، فقتلوهم وقد صاروا إلى ماه.

ذكر خروج مُعاذ الطّائيّ

وخرج على زياد أيضاً رجل من طيّء يقال له مُعاذ، فأتَى نهر عبد الرحمن ابن أمّ الحكَم في ثلاثين[٤] رجلاً هذه السنة، فبعث إليه زياد مَنْ قتله وأصحابه، (وقيل: بل حلّ لواءه واستأمن)[٥]. ويقال لهم أصحاب نهر عبد الرحمن.

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٤٠، تاريخ الطبري ٥/٢٨٧، تاريخ حلب للعظيمي ١٨١ وفيه: «مسعدة الفزاري»، وقد نبّه محقّقه إلى هذا الغلط، البداية والنهاية ٨/٥٨.

(٢) تاريخ خليفة ٢١٨، تاريخ دمشق (تحقيق محمد أحمد دهمان) ١٠/٧، تاريخ الطبري ٥/٢٨٧.

(٣) تاريخ الطبري ٥/٢٨٧.

(٤) في الأصل: «ثمانين».

(٥) ما بين القوسين من الأصل.

ذكر عدّة حوادث

وحجّ بالناس سعيد بن العاص[1]. وكان العمّال من تقدّم ذكرهم.

[الوَفَيَات]

وفيها مات عِمْران بن الحصين الخُزاعيّ بالبصرة[2].

وأبو أيّوب الأنصاري[3]، واسمه خالد بن زيد، شهد العَقَبة وبدراً، (وقد تقدّم أنّه تُوُفّي سنة تسعٍ وأربعين عند القسطنطينية[4])[5].

وكعب بن عُجْرة[6]، وله خمسُ وسبعون سنة.

(١) تاريخ خليفة ٢١٨، المعرفة والتاريخ ٣/٣٢٢، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٣٩، تاريخ الطبري ٥/٢٨٧، مروج الذهب ٤/٣٩٨، تاريخ حلب ١٨١، نهاية الأرب ٢٠/٣٤٢، تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ١٥٤، البداية والنهاية ٨/٥٨.

(٢) انظر عن (عمران بن الحصين) في: تاريخ الإسلام (عهد معاوية) وفيه مصادر ترجمته ـ ص ٢٧٣ ـ ٢٧٧.

(٣) انظر عن (أبي أيوب الأنصاري) ومصادر ترجمته في: تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ـ ص ٣٢٨ ـ ٣٣١.

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/٤٨٥، وقال الذهبي: وَهِمَ من قال: توفي سنة اثنتين وخمسين. (تاريخ الإسلام) ـ ص ٣٣١.

(٥) ما بين القوسين من (س).

(٦) تاريخ الإسلام ـ عهد معاوية ـ ص ١٥٣.

٥٣
ثم دخلت سنة ثلاثٍ وخمسين

فيها كان مشتى عبد الرحمن بن أمّ الحَكَم[١] الثقفيّ بأرض الروم[٢].

وفيها فُتحت رُودس، جزيرة في البحر، فتحها جُنادة بن أبي أميّة الأزديّ، ونزلها المسلمون وهم على حَذَرٍ من الروم، وكانوا أشدّ شيء على الروم، يعترضونهم في البحر فيأخذون سفُنهم، وكان معاوية يدرّ لهم العطاء، وكان العدوّ قد خافهم. فلمّا توفّي معاويةُ أقفلهم[٣] ابنُه يزيد[٤].

وقيل: فُتحت سنة ستّين.

ذكر وفاة زياد

وفي هذه السنة توفّي زياد بن أبيه (بالكوفة في شهر رمضان)[٥].

وكان سبب موته أنّه كتب إلى معاوية: إنّي قد ضبطتُ العراق بشمالي ويميني فارغة، فاشغلها بالحجاز. فكتب له عهده على الحجاز، فبلغ أهلَ الحجاز، فأتَى نفرٌ منهم عبدَ الله بن عمر بن الخطّاب، فذكروا ذلك، فقال: أدعوا الله عليه ثمّ استقبل

---

(١) في الأصل و (ر): «أم الحسن».

(٢) تاريخ خليفة ٢١٩، تاريخ الطبري ٥/٢٨٨، تاريخ حلب ١٨١، تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ١٥٥، البداية والنهاية ٨/٦١.

(٣) في (ر): «أمهلهم».

(٤) الخبر في: تاريخ الطبري ٥/٢٨٨، والمنتخب من تاريخ المنبجي (بتحقيقنا) ٧١، وفتوح البلدان للبلاذري ٢٧٨ رقم ٥٩٠، والخراج وصناعة الكتابة لقدامة ٣٥١، والبدء والتاريخ للمقدسي ٦/٤، وتاريخ حلب للعظيمي ١٨١، والبداية والنهاية ٨/٦١، وانظر كتابنا: دراسات في تاريخ الساحل الشامي (لبنان من الفتح الإسلامي حتى سقوط الدولة الأموية) ـ ص ٨٠، ٨١، وجاء في تاريخ اليعقوبي ٢/٢٤٠ أن جنادة فتح طرسوس في هذه السنة!

(٥) ما بين القوسين من الأصل.

القبلة، ودعا ودعوا معه، (وكان من دعائه أن قال: اللهمّ اكفِنا شرّ[1] زياد)[2]. فخرجتْ طاعونةٌ على أصبع يمينه[3] فمات منها. فلمّا حضرته الوفاة دعا شُرَيحاً القاضي فقال له: قد حدث ما ترى، وقد أُمرتُ بقطْعها، فأشِرْ عليّ. فقال له شُرَيْح: إنّي أخشى أن يكون الأجل قد دنا، فتلقى الله أجذمَ، وقد قطعتَ يدك كراهية لقائه، أو أن يكون في الأجل تأخير، فتعيش أجذم، وتُعيَّر ولدك. فقال: لا أبيت والطاعونَ في لحافٍ واحد. فخرج شُرَيْح من عنده، فسأله الناسُ، فأخبرهم، فلاموه وقالوا: هلاّ أشرتَ بقطعها؟ فقال: «المستشار مُؤتمن»[4].

وأراد زياد قَطْعها، فلمّا نظر إلى النار والمكاوي جزع وتركه، وقيل: بل تركه لما أشار عليه شُرَيْح بتركه، ولما حضرته الوفاةُ قال له ابنُه: قد هيّأتُ لك ستّين ثوباً أكفّنك بها. فقال له: يا بُنيّ قد دنا من أبيك لباس هو خير من لباسه [هذا]، أو سَلْب سريع[5]! فمات فدُفن بالثُّوَيّة إلى جانب الكوفة[6].

فلمّا بلغ موتُه ابنَ عمر قال: اذهبِ ابنَ سُمَية، لا الآخرةَ أدركتَ، ولا الدّنيا بقيْت عليك.

وكان مولده سنة إحدى من الهجرة؛ قال مِسْكين الدارِميّ يرثيه:

رَأيْتُ زيادَةَ الإسْلامِ وَلّتْ ... جِهاراً حينَ وَدّعنا زِيادُ[7]

فقال الفرزدق يجيبه، ولم يكن هجا زياداً حتّى مات:

أمسكينُ أبكَى اللهُ عَينيك إنّما ... جرَى في ضَلالٍ دمعُها فتحدّرَا
بكيْتَ امرَأً من أهلِ مَيسان كافراً ... ككسرَى على عِدّانه أو كقيصرَا
أقولُ لَهُ لما أتاني نَعِيُّهُ ... بهِ لا بظبيٍ بالصّريمةِ أعفَرَا[8]

وكان زياد فيه حُمْرة، وفي عينه اليمنى انكسار، أبيض اللّحية مخروطها، عليها قميص ربّما رقّعه.

---

(١) في (ر): «يمين».
(٢) ما بين القوسين من (ش).
(٣) في (ش): «إصبعه».
(٤) تاريخ الطبري ٥/٢٨٨، ٢٨٩، و«المستشار مؤتمن» هو حديث شريف، تقدّم تخريجه قبل صفحات قليلة.
(٥) في (ر) زيادة: «أرسله الله تعالى».
(٦) تاريخ الطبري ٥/٢٨٩، ٢٩٠.
(٧) تاريخ الطبري ٥/٢٩٠.
(٨) تاريخ الطبري ٥/٢٩٠.

ذكر وفاة الربيع

وفيها مات الربيع بن زياد الحارثي عامل خُراسان من قِبَل زياد.

وكان سبب موته أنّه سخط قتل حُجْر بن عديّ، حتّى إنّه قال: لا تزال العرب تُقْتَل صبراً بعده، ولو نفرت عند قتله، لم يُقْتَل رجل منهم صبراً، ولكنّها أقرّت فذلّت. ثمّ مكث بعد هذا الكلام جُمْعة، ثمّ خرج يوم الجمعة فقال: أيّها الناس إنّي قد مللْتُ الحياة، وإنّي داع بدعوةٍ فأمّنوا! ثمّ رفع يدَيْه بعد الصلاة فقال: اللهمّ إن كان لي عندك خير، فاقبضني إليكَ عاجلاً! وأمّن الناس، ثمّ خرج، فما توارت ثيابه حتّى سقط فحُمل إلى بيته، واستُخلف ابنُه عبد الله، ومات من يومه، ثمّ مات ابنُه بعده بشهرَين، واستخلف خُلَيْد بن يَرْبوع الحنفيّ[1]. فأقرّه زياد. ولما مات زياد كان على البصرة سَمُرَة بن جُنْدَب، وكان على الكوفة عبد الله بن خالد بن أَسِيد، فأقرّ سَمُرَة على البصرة ثمانية عشر شهراً، وقيل: ستّة أشهر، ثمّ عزله معاوية، فقال سَمُرَة: لعن[2] الله معاوية! والله لو أطعتُ الله كما أطعتُه ما عذّبني أبداً[3]. وجاء رجل إلى سَمُرَة، فأدّى زكاةَ ماله، ثمّ دخل المسجد فصلّى، فأمر سَمُرَةُ بقتله فقُتل، فمرّ به أبو بَكْرة فقال: يقول الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى، وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾[4]، قال: وما مات سَمُرَة حتّى أخذه الزَّمْهَرير، فمات شرّ ميتة[5].

(الثُّوَيّة: بضمّ الثّاء المثلّثة، وفتح الواو، والياء تحتها نقطتان: موضع فيه مقبرة[6])[7].

ذكر عدّة حوادث

حجّ بالناس هذه السنة سعيدُ بن العاص[8]، وكان عامل المدينة، وخرجت هذه السنة وعلى الكوفة: عبد الله بن خالد بن أَسِيد، وعلى البصرة: سَمُرَة، وعلى خُراسان:

---

(١) في الأصل: «الخثعمي».
(٢) في (ر): «غفر».
(٣) تاريخ الطبري ٥/٢٩١، نهاية الأرب ٢٠/٣٤٤.
(٤) سورة الأعلى، الآيتان ١٤ و ١٥.
(٥) تاريخ الطبري ٥/٢٩٢.
(٦) في الطبعة الأوربية: «مغيرة».
(٧) ما بين القوسين من (ش).
(٨) تاريخ خليفة ٢٢٢، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٣٩، تاريخ الطبري ٥/٢٩٢، مروج الذهب ٤/٣٩٨، تاريخ حلب ١٨١، نهاية الأرب ٢٠/٣٤٤، تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ١٥٦، البداية والنهاية ٨/٦١.

خُلَيْد بن يربوع الحنفيّ[1].

(أَسِيد: بفتح الهمزة، وكسر السّين المهملة، وسكون الياء المعجمة باثنتَين من تحتها).

[الوَفَيَات]

وفيها مات عبد الرحمن بن أبي بكر الصِّدّيق[2] بطريق مكّة في نومةٍ نامها، وقيل: توفي بعد ذلك.

وفيها تُوُفّي فيروز الدَّيْلميّ[3]، وكانت له صُحْبة، وكان معاوية قد استعمله على صنعاء.

وفيها مات عَمْرو بن حَزْم الأنصاريّ[4].

وفيها مات فَضالة بن عُبَيد[5] الأنصاريّ بدمشق، وكان قاضيها لمعاوية، (وقيل: مات آخر أيّام معاوية، وقيل غير ذلك)[6]، شهد أُحُداً وما بعدها.

---

(1) تاريخ الطبري ٥/٢٩٢ وفيه: «خليد بن عبد الله الحنفي».

(2) انظر عن (عبد الرحمن بن أبي بكر) في: تاريخ الإسلام (عهد معاوية) - ص ٢٦٥ - ٢٦٧ ففيه مصادر ترجمته.

(3) انظر عن (فيروز الديلمي) ومصادر ترجمته في: تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ٢٨٦.

(4) انظر عن (عمرو بن حزم) ومصادر ترجمته في: تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ٢٧٨، ٢٧٩.

(5) انظر عن (فضالة بن عبيد) ومصادر ترجمته في: تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ٢٨٥، ٢٨٦.

(6) ما بين القوسين من الأصل فقط.

٥٤
ثم دخلت سنة أربعٍ وخمسين

ذكر غزوة الروم وفتح جزيرة أرْواد

فيها كان مشتى محمد بن مالك بأرض الروم[١]، وصائفة معن بن يزيد السُّلَميّ[٢].

وفيها فتح المسلمون ومقدّمهم جُنادة بن أبي أُميّة جزيرة أُرواد[٣] قريب القسطنطينيّة، فأقاموا بها سبع سِنين، وكان معهم مُجاهد بن جبر[٤]، فلمّا مات معاوية وولّيَ ابنه يزيد أمرهم بالعَوْد فعادوا[٥].

ذكر عزل سعيد عن المدينة واستعمال مروان

وفيها عزل معاوية سعيد بن العاص عن المدينة، واستعمل مروان[٦].

---

(١) تاريخ خليفة ٢٢٣، تاريخ الطبري ٥/٢٩٣.

(٢) تاريخ الطبري ٥/٢٩٣.

(٣) هكذا في الأصل وتاريخ الطبري ٥/٢٩٣، وفتوح البلدان ٢٧٩.

ويقول خادم العلم المعتني بهذا الكتاب «عمر عبد السلام تدمري»: إن الأصح هو جزيرة رودس، فهي القريبة من القسطنطينية، وهي التي أقام بها المسلمون سبع سنين، ومعهم مجاهد بن جبر. بينما كانت جزيرة أرواد مفتوحة، وهي ليست قريبة من القسطنطينية بل من طرطوس بساحل الشام.

ولعلّ «أرواد» المذكورة هنا اسم جزيرة أو موضع غير «أرواد» التي قبالة طرطوس. والله أعلم.

والذي يجعلنا نشك في أن «أرواد» هنا هي «رودس» روايةَ البلاذري في: فتوح البلدان ٢٧٩ رقم ٥٩٢ فهي تنص صراحة أن المسلمين أقاموا «برودس سبع سنين في حصن اتخذ لهم، فلما مات معاوية كتب يزيد إلى جنادة يأمره بهدم الحصن والقفل.. وكان مجاهد بن جبر مقيماً بها يُقرىء الناس القرآن».

(٤) في (ر) والأصل: «جبير».

(٥) انظر: فتوح البلدان ٢٧٩ رقم ٥٩٢، وتاريخ الطبري ٥/٢٨٨، والمنتخب من تاريخ المنبجي ٧١، والخراج وصناعة الكتابة ٣٥١، والبدء والتاريخ ٦/٤، وتاريخ حلب ١٨١، والفتوح لابن أعثم الكوفي ٢/١٢٧، وكتابنا: دراسات في تاريخ الساحل الشامي ٨٠، ٨١ و١٦٣، ١٦٤، وشرح السير الكبير للشيباني ١/١٥٨، ١٥٩ رقم ١٦٠، وكتاب الدعاء للطبراني ٢/١١٨٥ رقم ٨٢٨، والمعجم الأوسط، له ١/٢٨٧ أ و ١٢٠ ب.

(٦) تاريخ خليفة ٢١٩، تاريخ الطبري ٥/٢٩٣، تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ١٥٧.

وكان سبب ذلك أنّ معاوية كتب إلى سعيد بن العاص أن يهدم دار مروان ويقبض أمواله كلّها، ليجعلها صافيةً، ويقبض منه فَدَك، وكان وهبها له، فراجعه سعيد بن العاص في ذلك، فأعاد معاوية الكتاب بذلك، فلم يفعل سعيد، ووضع الكتابَين عنده، فعزله معاويةُ وولّى مروان، وكتب إليه يأمره بقبض أموال سعيد بن العاص وهدْم داره، فأخذ الفَعَلَةَ، وسار إلى دار سعيد ليهدمها، فقال له سعيد: يا أبا عبد الملك أتهدم داري؟ قال: نعم، كتب إليّ أميرُ المؤمنين، ولو كتب إليك في هدْم داري لفعلتَ. فقال ما كنتُ لأفعل. قال: بلى والله. قال: كلّا. وقال لغلامه: ايتني بكتاب معاوية؛ فجاءه بالكتابَين، فلمّا رآهما مروان قال: كتب إليك فلم تفعل ولم تُعْلِمْني؟ فقال سعيد: ما كنتُ لأمُنّ عليك، وإنّما أراد معاويةُ أن يحرّض بيننا. فقال مروان: أنت والله خير منّي. وعاد ولم يهدم دار سعيد، وكتب سعيد إلى معاوية: العَجَبُ ممّا صنع أمير المؤمنين بنا في قرابتنا! إنّه يُضْغن بعضَنا على بعض، فأمير المؤمنين في حِلْمه وصبره على ما يكره من الأخبثين[1]، وعفوه وإدخاله القطيعة بيننا والشّحناء، وتوارث الأولاد ذلك، فوالله لو لم نكن أولاد أب واحد[2] لما جمعَنا الله عليه من نُصرة أمير المؤمنين الخليفة المظلوم، واجتماع كلمتنا، لكان حقّاً على أمير المؤمنين أن يرعى ذلك.

فكتب إليه معاوية يعتذر من ذلك ويتنصّل، وأنّه عائد إلى أحسن ما يعهده. وقدِم سعيد على معاوية، فسأله عن مروان، فأثنى عليه خيراً، فقال له معاوية: ما باعد بينه وبينك؟ قال: خافني على شَرَفه، وخفته على شرفي. قال: فماذا له عندك؟ قال: أسرُّه شاهداً وغائباً[3].

وفي هذه السنة عزل معاوية سَمُرَةَ بمن جُنْدَب، واستعمل على البصرة عبد الله بن عَمْرو بن غَيْلان ستّة أشهر[4].

ذكر استعمال عُبيد الله بن زياد على خُراسان

وفيها استعمل معاوية عُبَيدَ الله بن زياد على خُراسان.

وكان سبب ولايته أنّه قدِم عليه بعد موت أبيه، فقال له معاوية: مَنِ استعمل أبوك على الكوفة والبصرة؟ فأخبره، فقال: لو استعملك أبوك لاستعملتُك. فقال عُبَيدالله:

---

(١) في تاريخ الطبري ٢٩٤/٥: «من الأجنبين».
(٢) زاد في الأصل و (ر): «الا».
(٣) تاريخ الطبري ٢٩٣/٥ ـ ٢٩٥، نهاية الأرب ٣٤٥/٢٠، ٣٤٦، البداية والنهاية ٦٦/٨.
(٤) تاريخ خليفة ١٥٨، تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ١٥٨، تاريخ الطبري ٢٩٥/٥، البداية والنهاية ٦٧/٨.

أنشدك الله أن يقولها لي أحد بعدك: لو استعملك أبوك وعمّك لاستعملتك[1]. فولّاه خراسان وقال له: اتّقِ الله ولا تؤثرنّ على تقواه شيئاً، فإنّ في تقواه عِوضاً، ووفّرْ عرضك من أن تدنّسه، وإذا أعطيتَ عهداً فَفِ به، ولا تبيعنّ كثيراً بقليل، ولا يخرجنّ منك أمر حتّى تُبْرمه، فإذا خرج فلا يُردّنّ عليك، وإذا لقيتَ عدوّك فغلبوك على ظهر[2] الأرض، فلا يغلبوك على بطنها، ولا تُطمعن أحداً في غير حقّه، ولا تؤيسنّ أحداً من حقّ هو له. ثمّ ودّعه[3]، وكان عُمر عُبَيْدالله خمساً وعشرين سنة، وسار إلى خُراسان، فقطع النهر إلى جبال بُخَارى (على الإبل، فكان أوّل من قطع جبال بخارى في جيش[4]، ففتح رامِيثن[5]، ونصف[6] بِيكَنْد، وهي من بخارى[7]، فمن ثمّ أصاب البخاريّة، وغنم منهم غنائم كثيرة، ولما لقي التُّرْك وهزمهم كان مع ملكهم زوجته، فعجلوها عن لبس خفّيها، فلبست أحدهما وبقي الآخر، فأخذه المسلمون، فقُوّم بمائتَيْ ألف درهم، وكان قتاله التُّرك من زُحوف خُراسان التي تُذْكَر، فظهر منه بأس شديد، وأقام بخُراسان سنتَين[8].

---

(١) في الطبعة الأوروبية: «لأستعملك».

(٢) في الأصل: «وجه»، والمثبت يتفق مع الطبري ٥/٢٩٦.

(٣) تاريخ الطبري ٥/٢٩٥، ٢٩٦، نهاية الأرب ٢٠/٣٤٦.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٣٦، ٢٣٧، تاريخ الطبري ٥/٢٩٧، نهاية الأرب ٢٠/٣٤٦، البداية والنهاية ٨/٦٧، وتاريخ الإسلام (عهد معاوية) ١٥٧، ١٥٨.

(٥) في طبعة صادر ٣/٤٩٩: «رامَني»، وكذا في: نهاية الأرب ٢٠/٣٤٦، وفي تاريخ خليفة ٢٢٢: «زامين»، وكذا في طبعة القدسي من: تاريخ الإسلام ٣/٤٤، وفي البداية والنهاية ٨/٧٦: «رامس»، وفي فتوح البلدان ٥٠٧: «رامدين»، ومثله في: الخراج وصناعة الكتابة ٤٠٥، وفي تاريخ بخارى للنرشخي: «راميتن» (بالتاء المثنّاة) انظر: ص ٢١ و٣٢ و٦٣ و٧١ و١١١، وفي نسخة (س) من «الكامل»: «رائين».
وما أثبتناه يتفق مع الطبري ٥/٢٩٧، ومعجم البلدان ٣/١٨ وفيه: راميثن بكسر الميم، وسكون الياء، وثاء مثلّثة، وآخره نون. قرية ببخارى.. وذكرها العمراني بالزاي. وانظر: تاريخ الإسلام (عهد معاوية) بتحقيقنا ١٥٧.

(٦) في طبعة صادر ٣/٤٩٩: «ونَسَف وبيكند». وكذا في: نهاية الأرب ٢٠/٣٤٦ وهذا وهْم.
والتصحيح من: تاريخ خليفة ٢٢٢، وتاريخ الطبري ٥/٢٩٧، والبداية والنهاية ٨/٦٧، وانظر: تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ١٥٨.

(٧) ما بين القوسين من الأصل فقط.

(٨) تاريخ خليفة ٢٢٢، وتاريخ اليعقوبي ٢/٢٣٦، ٢٣٧، وفتوح البلدان ٥٠٧، والخراج وصناعة الكتابة ٤٠٥، وتاريخ بخارى للنرشخي ٦٢، ٦٣، وتاريخ الطبري ٥/٢٩٧، ٢٩٨، ونهاية الأرب ٢٠/٣٤٦، ٣٤٧، والبداية والنهاية ٨/٦٧.

ذكر عدّة حوادث

وحجّ بالناس هذه السنة مروان بن الحكَم[1] وهو أمير المدينة.

وكان على الكوفة عبد الله بن خالد، وقيل: الضحّاك بن قيس، وعلى البصرة عبد الله بن عَمْرو بن غَيْلان[2].

[الوَفَيات]

وفي هذه السنة تُوُفّي أبو قَتادة الأنصاريّ[3]. وعُمْره سبعون سنة، وقيل: مات سنة أربعين، وصلّى عليه عليّ وكبّر عليه سبعاً، وشهد مع عليّ حروبه كلّها[4]، وهو بدْريّ. وفيها تُوُفّي حُوَيْطِب بن عبد العُزّى[5] وله مائة وعشرون سنة. وفيها تُوُفّي ثَوْبان[6] مولى رسول الله ﷺ. وأُسامة بن زيد[7]، وقيل: تُوُفّي أُسامة سنة ثمانٍ وخمسين. وقيل: سنة تسعٍ وخمسين. وفيها تُوُفّي سعيد بن يربوع بن عَنْكَثة[8]، وكان عُمره مائة وأربعاً وعشرين سنة، وله صُحْبة. ومَخْرمة بن نوفل[9]، وهو من مسلمة الفتح، وعمره مائة سنة وخمس عشرة سنة، وعبد الله بن أُنَيْس الجُهَنيّ[10]. وفيها قُتل يزيد[11] بن شَجَرَة[12] الرّهاويّ[13] في غزوةٍ غزاها، وقيل: سنة ثمانٍ وخمسين.

---

(١) تاريخ خليفة ٢٢٣، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٣٩، تاريخ الطبري ٥/٢٩٨، مروج الذهب ٤/٣٩٨، تاريخ حلب ١٨٢، نهاية الأرب ٢٠/٣٤٧، البداية والنهاية ٨/٦٧، تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ١٥٨.

(٢) تاريخ خليفة ٢٢٣، تاريخ الطبري ٥/٢٩٨، تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ١٥٨.

(٣) انظر عن (أبي قتادة الأنصاري) ومصادر ترجمته في: تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ٣٤٠ - ٣٤٢، واسمه: النعمان. وقيل: عمر، وقيل: الحارث بن ربعيّ.

(٤) تاريخ الإسلام ٣٤٢.

(٥) انظر عن (حُويطب بن عبد العُزّى) ومصادر ترجمته في: تاريخ الإسلام (عهد معاوية) - ص ١٩٩، ٢٠٠.

(٦) انظر عن (ثوبان) ومصادر ترجمته في: تاريخ الإسلام ١٨٢، ١٨٣.

(٧) انظر عن (أسامة بن زيد) ومصادر ترجمته في: تاريخ الإسلام ١٧٣ - ١٧٨.

(٨) انظر عن (سعيد بن يربوع) ومصادر ترجمته في: تاريخ الإسلام ٢٣٠، ٢٣١.

(٩) انظر عن (مخرمة بن نوفل) ومصادر ترجمته في: تاريخ الإسلام ٣٠٠، ٣٠١.

(١٠) انظر عن (عبد الله بن أنيس) ومصادر ترجمته في: تاريخ الإسلام ٢٥٤، ٢٥٥.

(١١) في طبعة صادر ٣/٥٠٠: «زيد»، والصحيح ما أثبتناه.

(١٢) انظر عن (يزيد بن شجرة) ومصادر ترجمته في: تاريخ الإسلام ٣٢٤، ٣٢٥.

(١٣) الرّهاوي: قيّده عبد الغني بن سعيد بالفتح. (مشتبه النسبة، لعبد الغني بن سعيد الأزدي - مخطوطة المتحف البريطاني - ورقة ١٨ ب، رقم (٤٤٦) حسب ترقيمي للتراجم في نسختي التي حقّقتها، وهي في طريقها إلى المطبعة إن شاء الله). وقد خطّأه الأمير ابن ماكولا، مما يعني أنه بالضم.

٥٥
ثم دخلت سنة خمس وخمسين

في هذه السنة كان مشتى سفيان بن عوف الأزديّ في قول[١]، وقيل: بل الذي شتّى هذه السنة عَمْرو بن مُحْرز[٢]، وقيل: بل عبد الله بن قيس الفَزَاريّ[٣]، وقيل: بل مالك بن عبد الله[٤].

ذِكر ولاية ابن زياد البصرة

في هذه السنة عزل معاويةُ عبدَ الله بن عَمْرو بن غَيْلان عن البصرة، وولّاها عُبَيْد الله بن زياد[٥].

وكان سبب ذلك: أنّ عبد الله خطب على منبر البصرة، فحصبه رجل من بني ضَبّة فقطع يده، فأتاه بنو ضبّة وقالوا: إنّ صاحبنا جنى ما جنى، وقد عاقبتَهُ، ولا نأمن أن يبلغ خبرُنا أمير المؤمنين، فيعاقب عقوبة[٦] تعمّ، فاكتب لنا كتاباً إلى أمير المؤمنين يخرج به أحدنا إليه، يُخْبره أنّك قطعتَ على شُبهة وأمر لم يتّضح[٧]. فكتب لهم، فلمّا كان رأس السنة توجّه عبد الله إلى معاوية، ووافاه الضبّيّون بالكتاب، وادّعوا أنّه قطع صاحبهم ظُلْماً. فلمّا رأى معاويةُ الكتاب قال: أمّا القَوَد من عُمّالي فلا سبيل إليه، ولكن أَدِي

---

(١) تاريخ خليفة ٢٢٣، تاريخ الطبري ٥/٢٩٩.
(٢) تاريخ الطبري ٥/٢٩٩.
(٣) تاريخ الطبري ٥/٢٩٩.
(٤) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٤٠، تاريخ الطبري ٥/٢٩٩، تاريخ حلب ١٨٢، تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ١٥٩.
(٥) تاريخ خليفة ٢٢٣، تاريخ الطبري ٥/٢٩٩، تاريخ حلب ١٨٢، نهاية الأرب ٢٠/٣٤٧، تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ١٥٩، البداية والنهاية ٨/٧١.
(٦) في الأصل: «معاقبة».
(٧) في (ش): «يصح»، وفي تاريخ الطبري ٥/٣٠٠: «يَضَح».

صاحبَكم من بيت المال. وعزل عبد الله عن البصرة، واستعمل ابن زياد عليها، فولّى ابنُ زياد على خُراسان أسلمَ بن زُرْعة[1] الكِلابيّ، فلم يغزُ ولم يفتح بها شيئاً[2].

ذكر عدّة حوادث

وفيها عزل معاويةُ عبد الله بن خالد عن الكوفة، وولّاها الضّحّاك بن قيس[3]، وقيل ما تقدّم.

[الوَفَيات]

وفيها مات الأرقم بن أبي الأرقم المخزوميّ[4]، وهو الذي كان رسولُ الله ﷺ، يختفي في داره بمكّة، وكان عُمْره ثمانين سنة وزيادة[5]، وقيل: مات يوم مات أبو بَكرة.

وفيها تُوُفّي أبو اليَسَر[6] كعب بن عَمْرو الأنصاريّ، وهو بدْريّ، وشهد صِفّين مع عليّ، (وقيل: توفّي قبلُ)[7].

وحجّ بالناس هذه السنة مروان بن الحكَم[8].

---

(١) في الأصل: «مسلم بن ربيعة».
(٢) تاريخ الطبري ٥/٢٩٩، ٣٠٠.
(٣) تاريخ الطبري ٥/٣٠٠.
(٤) انظر عن (الأرقم بن أبي الأرقم) ومصادر ترجمته في: تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ١٧٢، ١٧٣.
(٥) توفي وله ثلاث وثمانون سنة. (تعجيل المنفعة لابن حجر ٢٧).
(٦) انظر عن (أبي اليَسَر) ومصادر ترجمته في: تاريخ الإسلام ٣٥٨.
(٧) ما بين القوسين من (س).
(٨) تاريخ خليفة ٢٢٣، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٣٩، تاريخ الطبري ٥/٣٠٠، مروج الذهب ٤/٣٩٨، تاريخ حلب ١٨٢، نهاية الأرب ٢٠/٣٤٨، تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ١٥٩، البداية والنهاية ٨/٧١.

٥٦
ثم دخلت سنة ست وخمسين

فيها كان مشتى جُنادة بن أبي أميّة بأرض الروم[١]، وقيل: عبد الرحمن بن مسعود[٢]. وقيل: غزا فيها في البحر يزيد بن شَجَرة[٣]، وفي البرّ عِياض بن الحارث[٤]، واعتمر معاوية فيها في رجب[٥]، وحجّ بالناس الوليد بن عُتبة بن أبي سفيان[٦].

ذكر البيعة ليزيد بولاية العهد

وفي هذه السنة بايع الناس يزيد بن معاوية بولاية عهد أبيه.

وكان ابتداء ذلك وأوّله من المُغيرة بن شُعْبَة، فإنّ معاوية أراد أن يعزله عن الكوفة، ويستعمل عِوضه سعيد بن العاص، فبلغه ذلك فقال: الرأي أن أشخص إلى معاوية، فأستعفيه ليظهر للناس كراهتي للولاية. فسار إلى معاوية، وقال لأصحابه حين وصل إليه: إن لم أكسبكم[٧] الآن ولايةً وإمارةً لا أفعل ذلك أبداً. ومضى حتّى دخل على يزيد، وقال

---

(١) تاريخ خليفة ٢٢٤، تاريخ الطبري ٥/٣٠١، تاريخ حلب ١٨٢، البداية والنهاية ٨/٧٨.

(٢) تاريخ الطبري ٥/٣٠١، البداية والنهاية ٨/٧٨.
وفي تاريخ خليفة ٢٢٤: «مسعود بن أبي مسعود»، وكذا في: تاريخ اليعقوبي ٢/٢٤٠، وتاريخ حلب ١٨٢.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٤٠ وفيه كان على البرّ، تاريخ الطبري ٥/٣٠١.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٤٠ وفيه كان على البحر، تاريخ الطبري ٥/٣٠١.
ويبدو أنه بسبب تضارب الأقوال أورد الذهبي الخبر دون ذِكر اسم صاحب الغزو، فقال: وفيها شتّى المسلمون بأرض الروم. (تاريخ الإسلام - عهد معاوية - ١٦٠).

(٥) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٣٨، تاريخ الطبري ٥/٣٠١، تاريخ حلب ١٨٢، نهاية الأرب ٢٠/٣٥٥، تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ١٦١، البداية والنهاية ٨/٧٨.

(٦) تاريخ خليفة ٢٢٤، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٣٩، تاريخ الطبري ٥/٣٠١، مروج الذهب ٤/٣٩٨ وفيه: «عتبة بن أبي سفيان»، نهاية الأرب ٢٠/٣٦١، البداية والنهاية ٨/٧٨.
وفي تاريخ حلب للعظيمي ١٨٣: حج بالناس عبد الله بن الزبير. وهذا وهْم.

(٧) في (أ): «أكتنبكم».

له: إنّه قد ذهب أعيان أصحاب النبيّ ﷺ، وآله وكبراء قريش وذَوُو أسنانهم، وإنّما بقي أبناؤهم، وأنتَ من أفضلهم وأحسنهم رأياً، وأعلمهم (بالسنّة)[1] والسياسة، ولا أدري ما يمنع أمير المؤمنين أن يعقد لك البيعة. قال: أو ترى ذلك يَتِمّ؟ قال: نعم.

فدخل يزيد على أبيه، وأخبره بما قال المغيرة، فأحضر المغيرة وقال له ما يقول يزيد، فقال: يا أميرَ المؤمنين قد رأيتَ ما كان من سفك الدماء والإختلاف بعد عثمان، وفي يزيد منك خَلَف، فاعقدْ له، فإنْ حدث بك حادثٌ كان كهفاً للناس وخلفاً منك، ولا تُسفك دماء، ولا تكون فتنة. قال: ومَنْ لي بهذا؟ قال: أكفيك أهل الكوفة، ويكفيك زيادٌ أهلَ البصرة، وليس بعد هذَيْنِ المِصْرَيْن أحد يخالفك. قال: فارجعْ إلَى عملك، وتحدّث مع من تثق إليه في ذلك وترى ونرى. فودّعه ورجع إلى أصحابه. فقالوا: مَهْ؟ قال: لقد وضعتُ رِجْل معاوية في غرْزٍ بعيد الغاية[2] على أمّة محمّد، وفتقتُ عليهم فتقاً لا يُرتق أبداً، وتمثّل:

بمثلي شاهدي النّجوَى وغالي بيَ الأعداء والخصم الغِضابا

وسار المغيرة حتّى قدِم الكوفة، وذاكَرَ من يثق إليه ومَنْ يعلم أنّه شيعة لبني أميّة أمرَ يزيد، فأجابوا إلى بيعته، فأوفد منهم عشرة، ويقال أكثر من عشرة، وأعطاهم ثلاثين ألف درهم، وجعل عليهم ابنَه موسى بن المغيرة، وقدِموا على معاوية، فزيّنوا له بيعةَ يزيد، ودعوه إلى عقدها. فقال معاوية: لا تعجلوا بإظهار هذا، وكونوا على رأيكم. ثمّ قال لموسى: بكَم اشترى أبوك من هؤلاء دينَهم؟ قال: بثلاثين ألفاً. قال: لقد هان عليهم دينهم.

وقيل: أرسل أربعين رجلاً، وجعل عليهم ابنَه عُرْوَة، فلمّا دخلوا على معاوية قاموا خُطباء فقالوا: إنّما أشخصهم إليه النظر لأمّة محمّد ﷺ، وقالوا: يا أمير المؤمنين كبرت سِنّك، وخفنا انتشارَ الحبل، فانصبْ لنا عَلَماً وحُدّ لنا حدّاً ننتهي إليه. فقال: أشيروا عليّ. فقالوا: نشير بيزيد ابن أمير المؤمنين. فقال: أوَقد رضيتموه؟ قالوا: نعم. قال: وذلك رأيكم. قالوا: نعم، ورأي مَنْ وراءنا. فقال معاوية لعُرْوَة سرّاً عنهم: بكَم اشترى أبوك من هؤلاء دينهم؟ قال: بأربعمائة دينار. قال: لقد وجد دينَهم عندهم رخيصاً[3]. وقال لهم: ننظر ما قدِمْتم له، ويقضي الله ما أراد، والأناة خير من العَجَلة. فرجعوا.

---

(١) من (س).
(٢) في الطبعة الأوربية: «الغيّ».
(٣) في الأصل: «وضيعاً».

وقوي عزمُ معاوية على البيعة ليزيد، فأرسل إلى زياد يستشيره، فأحضر زياد عُبَيد بن كعب النُّمَيريّ[1]. وقال له: إنّ لكلّ مستشير ثقة، ولكلّ سرّ مستودَع، وإنّ الناس قد أبدع بهم خصلتان: إذاعة السرّ، وإخراج النّصيحة إلى غير أهلها، وليس موضع السّرّ إلّا أحد رجلَين: رجل آخرة يرجو ثوابها، ورجل دنيا له شَرَف في نفسه وعقل يصون حَسَبه، وقد خبرتهما[2] منك، وقد دعوتُك لأمرٍ اتّهمتُ عليه بطون الصُّحُف، إنّ أمير المؤمنين كتب يستشيرني في كذا وكذا، وإنّه يتخوّف نَفْرَة الناس، ويرجو طاعتهم[3]، وعلاقة أمر الإسلام وضمانُه عظيم، ويزيد صاحب رَسْلة وتهاون، مع ما قد أُولع به من الصيد، (فالقَ أمير المؤمنين وأدّ إليه فعلات يزيد وقلْ له رويدك بالأمر، فأحرى أن يتمّ لك [ما تريد]، لا تعجلْ فإنّ دَرَكاً في تأخير خيرٌ من فوت في عجلة)[4].

فقال له عُبَيْد: أفلا غير هذا؟ قال: وما هو؟ قال: لا تُفْسِدْ على معاوية رأيه، ولا تبغّض[5] إليه ابنَه، وألقى أنا يزيد، فأخبره أنّ أمير المؤمنين كتب إليك يستشيرك في البيعة له، وأنّك تتخوّف خلاف الناس عليه لهناتٍ ينقِمونها عليه، وأنّك ترى له ترك ما يُنقمُ عليه، لتستحكم له الحجّة على الناس، ويتمّ ما تريد، فتكون قد نصحتَ أمير المؤمنين، وسلمتَ ممّا تخاف من أمر الأمّة. فقال زياد: لقد رميتَ الأمرَ بحجره، أشخص على بركة الله، فإنْ أصبتَ فما لا ينكر، وإن يكن خطأً فغير مُسْتَغَشّ، وتقول بما ترى، ويقضي الله بغيب ما يعلم.

فقدِم على يزيد فذكر ذلك له، فكفّ عن كثير ممّا كان يصنع[6]، وكتب زياد معه إلى معاوية يشير بالتّؤدة، وأن لا يَعْجل، فقبِل منه.

فلمّا مات زياد، عزم معاوية على البيعة لابنه يزيد، فأرسل إلى عبد الله بن عمر مائة ألف درهم، فقبِلها، فلمّا ذكر البيعة ليزيد قال ابن عمر: هذا أراد أنّ دِيني عندي إذنْ لرخيص. وامتنع.

ثمّ كتب معاوية بعد ذلك إلى مروان بن الحكَم: إنّي قد كبرتْ سنّي، ودقّ عظْمي، وخشيتُ الاختلاف على الأمّة بعدي، وقد رأيتُ أن أتخيّر لهم مَنْ يقوم بعدي، وكرهتُ أن أقطع أمراً دون مشورة مَنْ عندك، فاعرضْ ذلك عليهم، وأعلِمْني بالذي

---

(١) في الأصل و (ر): «الفهري».
(٢) في تاريخ الطبري ٣٠٢/٥، «وقد عجمتهما منك، فأحمدت الذي قِبَلك».
(٣) في تاريخ الطبري ٣٠٢/٥: «ويرجو مطابقتهم، ويستشيرني».
(٤) ما بين القوسين من الأصل فقط.
(٥) في تاريخ الطبري ٣٠٢/٥: «ولا تمقّت».
(٦) تاريخ الطبري ٣٠٢/٥، ٣٠٣، نهاية الأرب ٣٤٨/٢٠ - ٣٥١.

يـردّون عليك. فقـام مروان في النـاس فأخبـرهم به، فقـال النـاس: أصـاب ووُفّق، وقـد أحببنا[1] أن يَتخيّر لنا فلا يألو.

فكتب مروان إلى معاوية بذلك، فأعاد إليه الجواب يذكـر يزيـد، فقام مـروان فيهم وقال: إنّ أميرَ المؤمنين قد اختار لكم فلم يألُ، وقد استخلف ابنَه يزيدَ بعده.

فقـام عبد الـرحمن بن أبي بكر فقـال: كذبتَ والله يـا مروان، وكـذب معاويـة! مـا الخيار أردتما لأمّـة محمّد، ولكنكم تـريدون أن تجعلوهـا هِرَقْليّـة، كلّما مـات هرَقْـل قام هرَقل. فقال مروان: هذا الذي أنزل الله فيه: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا﴾[2] الآية.

فسمعت عـائشة مقـالتَه، فقـامت من وراء الحجاب وقـالت: يا مـروان يـا مـروان! فـأنصت الناس وأقبـل مروان بـوجهه. فقـالت: أنت[3] القائـل لعبد الـرحمن إنّه نـزل فيه القرآن؟ كذبتَ[4]! والله مـا هو بـه، ولكنّه فـلان بن فلان، ولكنّـك أنت فضضٌ[5] من لعنة نبيّ الله.

وقام الحسين بن عليّ فأنكر ذلك، وفعل مثله ابن عمر، وابن الزّبَير، فكتب مـروان بذلك إلى معاوية، وكان معاوية قد كتب إلى عُمّاله بتقريظ يزيد ووصفه، وأن يُوفدوا إليـه الوفود من الأمصار، فكان فيمن أتاه محمد بن عمرو[6] بـن حَزْم من المـدينة، والأحنف بن قيس في وفـد أهل البصـرة، فقال محمـد بن عمرو[6] لمعـاوية: إنّ كـلّ راعٍ مسؤول عن رعيّته، فانظرْ مَنْ تولّي أمرَ أمّة محمّـد. فأخـذ معاويـةَ بُهْرٌ[7]، حتى جعـل يتنفّس في يومٍ شاتٍ، ثمّ وصله وصرفه، وأمر الأحنفَ أن يدخلَ على يزيد، فدخل عليه، فلمّا خرج من عنده قال له: كيف رأيتَ ابن أخيك؟ قال: رأيتُ شباباً ونشاطاً وجَلَداً ومزاحاً.

ثمّ إنّ معاوية قال للضحّاك بن قيس الفِهريّ، لما اجتمع الوفود عنده: إنّي متكلّم، فإذا سكتُّ فكن أنت الّذي تدعو إلى بيعة يزيد وتحثّني عليها. فلمّـا جلس معاويـةُ للناس تكلّم، فعظّم أمرَ الإسلام، وحُرمَةَ الخلافة، وحقّها، وما أمر الله به من طاعـة وُلاة الأمر،

(١) في الطبعة الأوروبيـة: «أجبنا».
(٢) سورة الأحقاف، الآية: ١٧.
(٣) في نهاية الأرب ٢٠/٣٥٢: «إن القائل».
(٤) في نهاية الأرب: «كذب».
(٥) في هامش الأصل و (أ): «أي قطعة».
(٦) في (ر): «عمير».
(٧) في نهاية الأرب ٢٠/٣٥٣: «يهتز». و«البُهْر» بضم البـاء، ما يعتـري الإنسان عنـد السعي الشديـد والعَدْو من التهييج وتتَابُع النَفَس.
وفي: العقد الفريد ٤/٣٦٩: بَهْر، بالفتح، بمعنى الكرب والعجب.

ثمّ ذكر يزيد وفضله وعِلمه بالسياسة وعرّض ببيعته، فعارضه الضحّاك فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: يا أمير المؤمنين، إنّه لا بدّ للناسِ من والٍ بعدك، وقد بلونا الجماعة والألفة، فوجدناهما أحقن للدماء، وأصلح للدَّهْماء، وآمن للسُّبُل، وخيراً في العاقبة[1]، والأيّام عُوج رواجع، والله كلّ يوم في شأن، ويزيد ابن أمير المؤمنين في حُسن هَدْيه، وقصْد سيرته على ما علمت، وهو من أفضلنا علماً وحِلْماً، وأبعدنا رأياً، فولّه عهدك، واجعله لنا عَلَماً بعدك، ومَفْزعاً نلجأ إليه، ونسكن في ظلّه.

وتكلّم عَمرو بن سعيد الأشدق بنحو من ذلك. ثمّ قام يزيد بن المقنّع العُذْري فقال: هذا أمير المؤمنين، وأشار إلى معاوية، فإن هلك فهذا، وأشار إلى يزيد، ومَنْ أبَى فهذا، وأشار إلى سيفه. فقال معاوية: اجلسْ فأنتَ سيّد الخطباء[2]. وتكلّم من حضر من الوفود.

فقال معاوية للأحنف: ما تقول يا أبا بحر؟ فقال: نخافكم إن صدقنا، ونخاف الله إن كذبنا، وأنتَ يا أمير المؤمنين أعلم بيزيد في ليله ونهاره، وسرّه وعلانيته، ومدخله ومخرجه، فإن كنتَ تعلمه لله تعالى وللأمّة رضى، فلا تشاورْ [الناس][3] فيه، وإن كنت تعلَم فيه غير ذلك، فلا تزوّده الدنيا، وأنت صائر[4] إلى الآخرة[5]، وإنّما علينا أن نقول سمعنا وأطعنا. وقام رجل من أهل الشام فقال: ما ندري ما تقول هذه المَعَدّية العراقيّة، وإنّما عندنا سمع وطاعة وضرب وازْدلاف.

فتفرّق الناس يحكون قول الأحنف، وكان معاوية يُعْطي المُقارب ويُداري المُباعِد، ويَلْطُف به، حتّى استوثق له أكثر الناس وبايعه. فلمّا بايعه أهل العراق والشام سار إلى الحجاز في ألف فارس، فلمّا دنا من المدينة لقِيه الحسين بن عليّ أوّل الناس، فلمّا نظر إليه قال: لا مرحباً ولا أهلاً! بدنة يترقرق دمها والله مُهْريقُه! قال: مهلاً، فإنّي والله لستُ بأهلٍ لهذه المقالة! قال: بلى ولشرّ منها. ولقِيه ابن الزّبَير فقال: لا مرحباً ولا أهلاً! خبٌّ[6] ضبٌّ تلعة، يُدْخل رأسه ويضرب بذنبه، ويوشك الله أن يُؤخذ[7] بذنَبه، ويُدَقّ ظهره، نَحِّياه[8] عنّي، فضرب وجه راحلته. ثمّ لقِيه عبد الرحمن بن أبي بكر، فقال له معاوية: لا

(١) إلى هنا في: العقد الفريد ٤/٣٦٩، ٣٧٠ وفيه: «وخيراً في العاجلة والآجلة».
(٢) العقد الفريد ٤/٣٧٠.
(٣) زيادة من: العقد الفريد.
(٤) في العقد الفريد: «وأنت تذهب».
(٥) إلى هنا في العقد الفريد.
(٦) في (ر): «حجر».
(٧) في (ر): «يضرب».
(٨) في الأصل ونسخة بودليان: «يحياه»، وفي (ر): «يجباه».

أهلاً ولا مرحباً! شيخ قد خَرِف وذهب عقله؛ ثمّ أمر فضُرب وجه راحلته.

ثمّ فعل بابن عمر نحو ذلك، فأقبلوا معه لا يلتفت إليهم حتّى دخل المدينة، فحضروا بابه، فلم يؤذن لهم على منازلهم، ولم يروا منه ما يحبّون، فخرجوا إلى مكّة فأقاموا بها، وخطب معاويةُ بالمدينة، فذكر يزيد فمدحه وقال: مَنْ أحقّ منه بالخلافة في فضله وعقله وموضعه؟ وما أظنّ قوماً بمنتهين حتّى تصيبهم بوائق تجتثّ أصولهم، وقد أنذرتُ إن أغنت النُّذُر، ثمّ أنشد متمثّلاً:

قد كنتُ حذّرْتُك آل المصطلِقْ وقلتُ يا عَمرو أطِعْني وانطلِقْ
إنّكَ إنْ كلّفتني ما لم أُطِقْ ساءكَ ما سرّكَ منّي من خُلُقْ
دونَكَ ما استَسقيتَه فاحسُ[1] وذُقْ

ثمّ دخل على عائشة، وقد بلغها أنّه ذكر الحسين وأصحابه، فقال: لأقتلنّهم إن لم يبايعوا، فشكاهم إليها، فوعظتْه وقالت له: بلغني أنّك تتهدّدهم بالقتل، فقال: يا أمّ المؤمنين هم أعزّ من ذلك، ولكنّي بايعتُ ليزيد، وبايعه غيرُهم، أَفتَرَيْن أن أنقض بَيعةً قد تمّت؟ قالت: فارفقْ بهم، فإنّهم يصيرون إلى ما تحبّ إن شاء الله. قال: أفعلْ. وكان في قولها له: ما يؤمّنُك أن أُقعد لك رجلاً يقتلك[2] وقد فعلتَ بأخي ما فعلتَ؟ تعني أخاها محمّداً. فقال لها: كَلّا يا أمّ المؤمنين، إنّي في بيت أمن. قالت: أجل.

ومكث بالمدينة ما شاء الله، ثمّ خرج إلى مكّة فَلقِيَه الناس، فقال أولئك النَّفر: نتلقّاه، فلعلّه قد ندم على ما كان منه، فلقوه ببطن مَرّ[3]، فكان أوّل من لقِيه الحسينُ، فقال له معاوية: مرحباً وأهلاً، يا ابن رسول الله وسيّد شباب المسلمين! فأمر له بدابّة، فركب وسايَرَه، ثمّ فعل بالباقين مثل ذلك[4]، وأقبل يسايرهم، لا يسير معه غيرهم حتّى دخل مكّة، فكانوا أوّل داخلٍ وآخر خارج، ولا يمضي يوم إلّا ولهم صِلة، ولا يذكر لهم شيئاً، حتّى قضى نُسُكَه، وحمل أثقاله، وقرُب مسيره، فقال بعض أولئك النَّفر لبعض: لا تُخْدَعوا، فما صنع بكم هذا لحبّكم، وما صنعه إلّا لما يريد. فأعدّوا له جواباً، فاتّفقوا على أن يكون المخاطب له ابن الزّبير.

فأحضرهم معاويةُ وقال: قد علِمتم سيرتي فيكم، وصلتي لأرحامكم، وحمْلي ما

---

(١) في الطبعة الأوربية: «فأحسن».
(٢) في (ر): «يعقلك».
(٣) هو مرّ الظهران على مرحلة من مكة.
(٤) انظر: العقد الفريد ٤/٣٧١.

كان منكم، ويزيد أخوكم وابن عمّكم، وأردتُ أن تقدّموه باسم الخلافة، وتكونوا أنتم تعزلون وتؤمّرون، وتجبون المال وتقسّمونه، لا يعارضكم في شيء من ذلك. فسكتوا[1].

فقال: ألا تجيبون؟ مرّتين.

ثمّ أقبل عليّ بن الزّبير، فقال: هاتِ لَعَمْري إنّك خطيبهم. فقال: نعم، نخيّرك بين ثلاث خصال. قال: اعرضهنّ. قال: تصنع كما صنع رسول الله ﷺ، أو كما صنع أبو بكر، أو كما صنع عمر. قال معاوية: ما صنعوا؟ قال: قُبض رسول الله ﷺ، ولم يستخلف أحداً، فارتضى النّاس أبا بكر. قال: ليس فيكم مثل أبي بكر، وأخاف الاختلاف. قالوا: صدقتَ، فاصنع كما صنع أبو بكر، فإنّه عهد إلى رجل من قاصية[2] قريش ليس من بني أبيه فاستخلفه، وإن شئتَ فاصنعْ كما صنع عمر، جعل الأمر شورى في ستّة نفر، ليس فيهم أحد من ولده، ولا من بني أبيه. قال معاوية: هل عندك غير هذا؟ قال: لا. ثمّ قال: فأنتم؟ قالوا: قولنا قوله. قال: فإنّي قد أحببتُ أن أتقدّم إليكم، إنّه قد أعذر من أنذر، إنّي كنتُ أخطب فيكم[3]، فيقوم إليّ القائم منكم، فيكذّبني على رؤوس النّاس، فأحمل ذلك وأصفح، وإنّي قائم بمقالةٍ، فأُقسم بالله، لئن ردّ عليّ أحدكم كلمةً في مقامي هذا، لا ترجع إليه كلمة غيرُها حتّى يسبقها السيف إلى رأسه، فلا يُبقّين رجل إلّا على نفسه.

ثمّ دعا صاحب حَرَسه بحضرتهم فقال: أقِمْ على رأس كلّ رجل من هؤلاء رجلين، ومع كلّ واحدٍ سيف، فإن ذهب رجلٌ منهم يردّ عليّ كلمةً بتصديق أو تكذيب، فلْيضرباه بسيفيهما. ثمّ خرج، وخرجوا معه حتّى رَقي المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: إنّ هؤلاء الرّهط سادة المسلمين وخيارهم، لا يُبَتُّ[4] أمر دونهم، ولا يُقضى إلّا عن مشورتهم، وإنّهم قد رضوا وبايعوا ليزيد، فبايعوا على اسم الله! فبايع النّاس، وكانوا يتربّصون بيعة هؤلاء النفر، ثمّ ركب رواحله وانصرف إلى المدينة، فلقي الناس أولئك النفر، فقالوا لهم: زعمتم أنّكم لا تبايعون، فلِمَ أُرضيتم وأُعطيتم وبايعتم؟ قالوا: واللهِ ما فعلنا. فقالوا: ما منعكم أن تردّوا على الرجل؟ قالوا: كادَنا وخِفْنا القتل[5].

وبايعه أهلُ المدينة، ثمّ انصرف إلى الشام، وجفا بني هاشم، فأتاه ابنُ عبّاس فقال

---

(١) العقد الفريد ٤/ ٣٧١.
(٢) في (ر): «ناحية».
(٣) في الطبعة الأوربية: «منكم».
(٤) في الطبعة الأوربية: «يبتزّ».
(٥) العقد الفريد ٤/ ٣٧٢ وفيه: «خفنا القتل وكادكم بنا وكادَنا بكم».

له: ما بالك جفوتَنا؟ قال: إنّ صاحبكم لم يبايع ليزيد فلم تُنكروا ذلك عليه. فقال: يا معاوية إنّي لخليق أن أنحاز إلى بعض السواحل فأقيم به، ثمّ أنطق بما تعلم، حتّى أدع الناس كلّهم خوارج عليك. قال: يا أبا العبّاس تُعطون وترضون[1] وتُرادّون.

وقيل: إنّ ابن عمر قال لمعاوية: أبايعك على أنّي أدخل فيما تجتمع عليه الأمّة، فواللَّهِ لو اجتمعتْ على حبشيّ لَدخلتُ معها! ثمّ عاد إلى منزله، فأغلق بابه ولم يأذن لأحد[2].

قلتُ: ذِكْر عبد الرحمن بن أبي بكر لا يستقيم على قول مَنْ يجعل وفاته سنة ثلاثٍ وخمسين، وإنّما يصحّ على قول مَنْ يجعلها بعد ذلك الوقت.

ذكر عزل ابن زياد عن خُراسان واستعمال سعيد بن عثمان بن عفّان

في هذه السنة استعمل معاوية سعيدَ بن عثمان بن عفّان على خُراسان، وعزل ابن زياد.

وسبب ذلك أنّه سأل معاوية أن يستعمله على خُراسان، فقال: إنّ بها عُبَيْد الله بن زياد. فقال: والله لقد اصطنعك أبي حتّى بلغتَ باصطناعه المدى الذي لا تُجارى إليه ولا تُسامى، فما شكرتَ بلاءه، ولا جازيتَه، وقدّمت هذا، يعني يزيد، وبايعتَ له، والله لأنا خير منه أباً وأمّاً ونفساً! فقال معاوية: أمّا بلاء أبيك فقد يحقّ عليك[3] الجزاء به، وقد كان من شكري لذلك أنّي قد طلبتُ بدمه، وأمّا فضلُ أبيك على أبيه، فهو والله خير منّي، وأمّا فضل أمّكِ على أمّه، فَلَعَمْري امرأة من قريش خير من امرأة من كلب، وأمّا فضلك عليه فواللهِ ما أُحبّ أنّ الغوطة مُلئتْ [ليزيد] رجالاً مثلك. فقال له يزيد: يا أمير المؤمنين ابن عمّك، وأنت أحقّ من نظر في أمره، قد عتَب عليك فأعتبْه[4].

فولّاه حربَ خُراسان، وولّى إسحاق بن طلحة[5] خراجها، وكان إسحاق ابن خالة معاوية، أمّه أمّ أبان بنت عُتْبَة[6] بن ربيعة، فلمّا صار بالريّ مات إسحاق، فولِيَ سعيد

(١) من (ش).
(٢) نهاية الأرب ٢٠/٣٤٨ ـ ٣٥٩.
(٣) في تاريخ الطبري ٥/٣٠٥، ونهاية الأرب ٢٠/٣٦٠: «بحق عليّ»
(٤) أعتِبه: أي أرْضِه.
(٥) في (ر): «طليحة».
(٦) في الأصل: «عقبة».

حربها وخراجها[1]، فلمّا قدِم خُراسان قطع النهر إلى سمرقند، فخرج إليه الصُّغْد، فتواقَفوا يوماً إلى الليل ولم يقتتلوا، فقال مالك بن الرّيب[2]:

ما زلتَ يومَ الصُّغْدِ تُرْعد واقفاً ... منَ الجُبنِ حتّى خِفْتُ أن تتنصّرا[3]

فلمّا كان من الغد اقتتلوا، فهزمهم سعيد، وحصرهم في مدينتهم، فصالحوه وأعطوه رُهُناً منهم خمسين غلاماً من أبناء عُظمائهم، فسار إلى تِرْمِذ، ففتحها صُلْحاً، ولم يَفِ لأهل سمرقند، وجاء بالغلمان معه إلى المدينة[4]. وكان ممّن قُتل معه قُثَم بن عبّاس بن عبد المطّلب[5].

[الوَفيات]

وفي هذه [السنة] ماتت جُوَيْرية[6] بنت الحارث زوج النبيّ ﷺ.

---

(١) تاريخ الطبري ٥/٣٠٤، ٣٠٥، نهاية الأرب ٢٠/٣٦٠.

(٢) في (ر): «الزيب».

(٣) زاد الطبري بيتين آخرين. (٥/٣٠٦).

(٤) تاريخ الطبري ٥/٣٠٦.

(٥) فتوح البلدان ٥٠٩، الخراج وصناعة الكتابة ٤٠٦.

(٦) انظر عن (جريرية» ومصادر ترجمتها في: تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ص ١٨٩ - ١٩١.

٥٧
ثم دخلت سنة سبع وخمسين

فيها كان مشتى عبد الله بن قيس بأرض الروم(١).

وفيها عُزل مروان بن الحكَم عن المدينة، واستُعمل عليها الوليد بن عُتْبة بن أبي سفيان(٢)، وقيل: لم يُعزَل مروان هذه السنة. وحجّ بالناس الوليد بن عُتْبة(٣). وكان العامل على الكوفة: الضّحّاك بن قيس(٤)، وعلى البصرة: عُبَيْد الله بن زياد(٥)، وعلى خُراسان: سعيد بن عثمان(٦).

[الوفيات]

وفي هذه السنة مات عبد الله بن عامر(٧)، وقيل: سنة تسعٍ وخمسين. وعبد الله بن قُدامة السّعديّ(٨)، وله صُحْبة، وقيل: هو عبد الله بن عَمرو بن وقدان(٩) السّعديّ، وإنما

---

(١) تاريخ خليفة ٢٢٥، تاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٤٠، تاريخ الطبري ٥/٣٠٨، تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ١٦٣، البداية والنهاية ٨/ ٨١.
ووقع في: تاريخ حلب للعظيمي ١٨٣: «غزا الشاتية عبد الرحمن»، وهو ابن أم الحكم. وهذا وهْم.

(٢) تاريخ خليفة ٢٢٤، تاريخ الطبري ٥/٣٠٨، نهاية الأرب ٢٠/٣٦١، تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ١٦٣، البداية والنهاية ٨/ ٨١.

(٣) تاريخ خليفة ٢٢٥، تاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٣٩، مروج الذهب ٤/٣٩٨، نهاية الأرب ٢٠/ ٣٦١، البداية والنهاية ٨/ ٨١.
ووقع في: تاريخ حلب للعظيمي ١٨٣ أن الذي حج بالناس هو: عبد الله، أي ابن الزبير. وهذا وهْم.

(٤) تاريخ الطبري ٥/٣٠٨.

(٥) تاريخ الطبري ٥/٣٠٨.

(٦) الطبري. وفي تاريخ خليفة ٢٢٥: وفيها عزل سعيد بن عثمان عن خراسان وولّاها عبيد الله بن زياد.

(٧) انظر عن (عبد الله بن عامر) ومصادر ترجمته في: تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ٢٥٧ ـ ٢٦٠.

(٨) انظر عن (عبد الله بن قدامة السعدي) ومصادر ترجمته في: تاريخ الإسلام ٢٥٥، ٢٥٦.

(٩) في الأصل و (ر): «وفدان».

قيـل له السعـديّ لأنّ أباه استُـرضع في بني سعـد بن بكر، وهـو من بني عـامـر بن لُؤَيّ.

وعثمان بن شيبة[1] بن أبي طلحة العَبْدَريّ، وهو جدّ بني شيبة سَدَنَة الكعبة، ومفتاحها معهم إلى الآن، وأسلم يوم الفتح، وقيل يوم حُنَين.

وجُبَير بن مُطْعم[2] بن نَوْفل القُرشيّ، له صُحبة.

وأمّ سَلِمَة[3] زوج النبي ﷺ، وقيل: بقيت إلى قتْل الحسين.

---

(١) انـظر عن (عثمـان بن شيبـة) ومصـادر تـرجمتـه في: تـاريـخ الإســلام ٨١ ـ ٨٣ (في المتـوفين بين ٤١ ـ ٥٠ هـ.).

(٢) انظر عن (جبير بن مطعم) ومصادر ترجمته في: تاريخ الإسلام ١٨٤، ١٨٥.

(٣) انظر عن (أم سلِمة) في: تسمية أزواج النبي لأبي عبيدة ٥٦ ـ ٥٨، والطبقات الكبـرى ٨/٦٠ وما بعـدها، والاستيعاب ٤/١٩٢٠، وجوامع السيرة ٣٣، وأسد الغابة ٥/٥٦٠، والسمط الثمين ٨٦، وتاريـخ الإسلام (السيرة النبوية) ٥٩٣، وانظر فهرس أعلام النساء (٦٦٥)، والإصابة ٤/٤٠٧ و ٤٣٩.

٥٨
ثم دخلت سنة ثمان وخمسين

في هذه السنة غزا مالك بن عبد الله الخَثْعَميّ أرض الروم(١)، وعَمْرو بن يزيد الجُهَنيّ في البحر(٢).

وقيل: جُنادة بن أبي أميّة(٣).

ذِكر عزْل الضحّاك عن الكوفة واستعمال ابن أمّ الحكَم

وفي هذه السنة عزل معاوية الضّحّاك بن قيس بن الكوفة، واستعمل عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان الثقفيّ، وهو ابن أمّ الحكَم، وهو ابن أخت معاوية.

وفي عمله هذه السنة خرجت الخوارج الذي كان المغيرة بن شُعْبة حبسهم، فجمعهم حَيّان بن ظَبْيان السُّلَميّ، ومُعاذ بن جُوَين(٤) الطائيّ، فخطباهم وحثّاهم على الجهاد، فبايعوا حيّان بن ظَبيان، وخرجوا إلى بانِقيا(٥)، فسار إليهم الجيش من الكوفة، فقتلوهم جميعاً(٦).

ثمّ إنّ عبد الرحمن بن أمّ الحكَم طرده أهل الكوفة لسوء سيرته، فلحِق بخاله معاوية، فولّاه مصر، فاستقبله معاوية بن حُدَيج على مرحلتين من مصر فقال له: ارجعْ إلى خالك، فَلَعْمري لا تسير فينا سيرتك في إخواننا من أهل الكوفة! فرجع إلى معاوية(٧).

---

(١) تاريخ خليفة ٢٢٥، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٤٠، تاريخ الطبري ٥/٣٠٩، تاريخ حلب ١٨٣، البداية والنهاية ٨/٨١.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٤٠، تاريخ الطبري ٥/٣٠٩، البداية والنهاية ٨/٨١، ٨٢.

(٣) تاريخ الطبري ٥/٣٠٩، البداية والنهاية ٨/٨١.

(٤) في (ر): «جونيه»، وفي الأصل: «جبين».

(٥) بانِقيا: بكسر النون، ناحية من نواحي الكوفة. (فتوح البلدان ١/٣٣١).

(٦) تاريخ الطبري ٥/٣١١.

(٧) الطبري ٥/٣١٢.

ثمّ إن معاوية بن حُدَيْج وفد إلى معاوية، وكان إذا قدِم إلى معاويـة زُيِّنَت له الـطرق بقباب[1] الرَّيْحان تعظيماً لشأنه، فدخـل على معاويـة وعنده أختـه أمّ الحكَم، فقالت: مَنْ هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: بـخٍ بخ! هـذا معاويـة بن حُدَيْـج. قالت: لا مـرحباً (تسمـع بالمُعَيْديّ خير من أن تراه)[2]! فسمعها معاوية بن حُديج فقال: على رِسْلك يا أمّ الحكَم، واللهِ لقد تزوّجتِ فمـا أكْرِمتِ، وولـدتِ فما أنجبتِ، أردتِ أن يلي ابنُـك الفاسق علينـا، فيسير فينا كما سار في إخواننا من أهل الكوفة، وما كـان الله ليُريَـهُ ذلك، ولـو فعل ذلـك لضربناه ضرباً يُطأطىء منه، ولو كرِه هذا القاعد، يعني خاله معاوية. فالتفت إليها معاويـة وقال: كفّي، فكفّت[3].

ذكر خروج طَوّاف بن غلاّقٍ

كان قوم من الخوارج (بالبصـرة)[4] يجتمعون إلى رجـل اسمه جـدار[5]، فيتحدّثـون عنده ويَعيبون السلطان، فأخذهم ابن زيـاد فحبسهم، ثمّ دعا بهم وعـرض عليهم أن يقتل بعضهم بعضـاً، ويُخلّي سبيـل القـاتلين، ففعلوا، فـأطلقهم، وكـان ممّن قَتَـل طَـوّاف، فعذلهم أصحابهم وقالوا: قتلتم إخوانكم! قالوا: أُكرهنا، وقد يُكرَه الرجل على الكُفْر وهو مطمئنّ بالإيمان.

وندم طوّافٌ وأصحـابُه، فقـال طوّاف: أمـا من توبـة؟ فكانـوا يبكون وعـرضوا على أولياء من قُتلوا الدِّيـة[6] فأبـوا، وعرضـوا عليهم القَوَدَ فـأبوا ولقي طـوّافُ الهثهاثَ بن ثَـوْر السَّدُوسيّ، فقال له: أما ترى لنا من توبة؟ فقـال ما أجـد لك إلاّ آيـة في كتاب الله، عـزّ وجلّ، قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَـدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّـكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُـورٌ رَحِيمٌ﴾[7]. فدعـا طَوّاف أصحـابه إلى الخـروج، وإلى أن يفتكوا بـابن زياد، فبايعوه في سنة ثمـانٍ وخمسين، وكانوا سبعين رجلاً من بني عبـد القيس بالبصـرة، فسعى بهم رجلٌ من أصحابهم إلى ابن زياد، فبلغ ذلك طوّافاً فعجّـل الخروج، فخـرجوا

---

(١) في (أ): «بصناف».
(٢) مجمع الأمثال للميداني ١/٢٢٣.
(٣) تاريخ الطبري ٥/٣١٢، نهاية الأرب ٢٠/٣٦٢، ٣٦٣.
(٤) من الأهل.
(٥) في الأصل: «حذرا».
(٦) في (ش): «الدم».
(٧) سورة النحل، الآية: ١١٠.

من ليلتهم، فقتلوا رجلاً، ومضوا إلى الجَلْحاء[1]، فندب ابنُ زياد الشُّرَط البخاريّة[2]، فقاتلوهم، فانهزم الشُّرَط حتّى دخلوا البصرة واتّبعوهم، وذلك يوم عيد الفِطْر، وكثرهم الناس، فقاتلوا فقُتلوا، وبقي طوّاف في ستّة نفر، وعطش فرسُه فأقحمه الماء، فرماه البخاريّة بالنشّاب حتّى قتلوه وصلبوه، ثمّ دفنه أهله؛ فقال شاعر منهم:

يا رَبِّ هَبْ [لي] التُّقى والصّدقَ في ثَبَتٍ ... واكفِ المُهمَّ فأنتَ الرّازِقُ الكافي
حتّى أبيعَ الّتي تَفنى بآخرَةٍ ... تَبقى على دينِ مِرْداسٍ وطَوّافِ
وكهمس وأبي الشّعثاء إذْ نفرُوا ... إلى الإلَهِ ذوي أخبابِ زَحّافِ[3]

ذِكر قتل عُرْوَة بن أُدَيَّة[4] وغيره من الخوارج

في هذه السنة اشتدّ عُبيد الله بن زياد على الخوارج، فقتل منهم جماعةً كثيرة، منهم: عُرْوَة بن أُدَيَّة أخو أبي بلال مرداس بن أُدَيَّة، وأُدَيَّة أمّهما، وأبوهما حُدَيْر، وهو تميميّ.

وكان سبب قتله أنّ ابن زياد كان قد خرج في رهانٍ له، فلمّا جلس ينتظر الخيل اجتمع إليه الناس وفيهم عروة، فأقبل على ابن زياد يعظه، وكان ممّا قال له: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾[5]. فلمّا قال ذلك ظنّ ابنُ زياد أنّه لم يقلْ ذلك إلّا ومعه جماعة، فقام وركب، وترك رهانه. فقيل لعُروة: ليَقْتُلَنّك! فاختفى، فطلبه ابن زياد، فهرب وأتَى الكوفة، فأُخذ وقُدِم به على ابن زياد، فقطع يدَيْه ورِجْليه وقتله، وقتل ابنته[6].

وأمّا أخوه أبو بلال مِرداس فكان عابداً مجتهداً عظيم القدْر في الخوارج وشهد صِفّين مع عليّ، فأنكر التّحكيم، وشهد النِّهْروان مع الخوارج، وكانت الخوارج كلّها تتولّاه، ورأى على ابن عامر قَباءً أنكره فقال: هذا لباس الفُسّاق! فقال أبو بَكرة: لا تقلْ

---

(١) الجلحاء: بالفتح ثم السكون ثم حاء مهملة وألف ممدودة. موضع على ستة أميال من الغُوَير المعروف بالزبيدية بين العقبة والقاع. (معجم البلدان ٢/١٥٠).

(٢) في الأصل: «المحاربة»، وفي (ر): «السخارية».

(٣) الخبر ليس في تاريخ الطبري.

(٤) تحرّف في الأصول إلى: «أذية».

(٥) سورة الشعراء، الآيات: ١٢٨ ـ ١٣٠.

(٦) تاريخ الطبري ٥/٣١٢، ٣١٣.

هذا للسلطان، فإنّ مَن أبغض السلطان أبغضه الله. وكان لا يدين[1] بالاستعراض، ويحرّم خروج النساء، ويقول: لا نقاتل إلاّ مَنْ قاتلَنا، ولا نجبي إلاّ مَنْ حمينا.

وكانت البثجاء، امرأة من بني يربوع، تحرّض على ابن زياد، وتذكر تجبُّره وسوء سيرته، وكانت من المجتهدات، فذكرها ابن زياد، فقال لها أبو بلال: إنّ التقيّة لا بأس بها، فتغيّبي، فإنّ هذا الجبّار قد ذكرك. قالت: أخشى أن يلقى أحدٌ بسببي مكروهاً. فأخذها ابن زياد، فقطع يديها ورِجلَيْها، فمرّ بها أبو بلال في السّوق، فعضّ على لحيته وقال: أهذه أطيب نفساً بالموت منك يا مرداس؟ ما ميتةٌ أموتها أحبّ إليّ من ميتة البثجاء! ومرّ أبو بلال ببعير قد طُلي بقطران، فغُشي عليه ثمّ أفاق فتلا: ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾[2].

ثمّ إنّ ابن زياد ألَحّ في طلب الخوارج، فملأ منهم السجن، وأخذ الناس بسببهم، وحبس أبا بلال قبل أن يَقتل أخاه عُروة، فرأى السجّان عبادتَه، فأذِن له كلّ ليلة في إتيان أهله، فكان يأتيهم ليلاً ويعود مع الصُّبح، وكان صديق لمرداس يسامر ابنَ زياد، فذكر ابن زياد الخوارج ليلة، فعزم على قتْلهم، فانطلق صديق مرداس إليه، فأعلمه الخبر، وبات السّجّان بليلة سوء، خوفاً أن يعلم مرداس فلا يرجع، فلمّا كان الوقت الذي كان يعود فيه، إذا به قد أتى، فقال له السّجّان: أما بلغك ما عزم عليه الأمير؟ قال: بلى. قال: ثمّ جئتَ؟ قال: نعم، لم يكن جزاؤك مني مع إحسانك إليّ أن تُعاقب. وأصبح عُبيد الله فقتل الخوارج، فلمّا أُحضر مرداس قام السّجّان، وكان ظِئْراً لعُبيد الله، فشفع فيه وقصّ عليه قصّته، فوهبه له وخلّى سبيله[3].

ثمّ إنّه خاف ابنَ زياد، فخرج في أربعين رجلاً إلى الأهواز، فكان إذا اجتاز به مالٌ لبيت المال أخذ منه عطاءه وعطاء أصحابه، ثمّ يردّ الباقي، فلمّا سمع ابن زياد خبرهم بعث إليهم جيشاً عليهم أسلم بن زُرْعة الكِلابيّ سنة ستّين، وقيل: أبو[4] حُصَين التميميّ، وكان الجيش ألفيْ رجل، فلمّا وصلوا إلى أبي بلال ناشدهم الله أن يقاتلوه فلم يفعلوا، ودعاهم أسلم إلى معاودة الجماعة، فقالوا: أتردّوننا إلى ابن زياد الفاسق؟ فرمى أصحاب أسلم رجلاً من أصحاب أبي بلال فقتلوه، فقال أبو بلال: قد بدؤوكم بالقتال. فشدّ الخوارج على أسلم وأصحابه شدّة رجل واحد، فهزموهم[5]، فقدِموا البصرة، فلام ابنُ

---

(١) في (ر): «يجبر».

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٥٠.

(٣) تاريخ الطبري ٥/٣١٣.

(٤) في تاريخ الطبري ٥/٣١٤ «ابن حصين».

(٥) الخبر باختصار شديد في تاريخ الطبري ٥/٣١٤.

زياد أسلمَ وقال: هزمك أربعون وأنت في ألفَين، لا خيرَ فيك! فقال: لأن تلومني وأنا حيّ خير من أن تُثني عليّ وأنا ميتٌ. فكان الصّبيان إذا رأوا أسلمَ صاحوا به: أما[1] أبو بلال وراءك! فشكا ذلك إلى ابن زياد، فنهاهم فانتهوا.

(وقال رجل من الخوارج:

أألفا مؤمنٍ منكم زَعمتْم ... ويَقتلهمْ بآسِكَ أربَعُونَا

كذبتْم ليس ذاك كما زَعمتمْ ... ولكِنّ الخوارجَ مؤمنُونَا)[2]

[هيَ الفئةُ القليلةُ قد عَلمتُمْ ... على الفِئةِ الكثيرةِ يُنْصَرُونا][3]

ذكر عدّة حوادث

وحجّ بالناس: الوليد بن عُتبة[4].

[الوَفَيات]

(في هذه السنة مات عُقْبة بن عامر)[5] الجُهَنيّ[6] وله صُحبة، وشهد صفيّن مع معاوية.

وفيها تُوفيّت عائشة[7]، عليها السلام.

وسَمُرَة بن جُنْدَب[8]، له صحبة.

ومالك بن عُبادة الغافقيّ[9]، وله صُحبة.

وعَميرة بن يَثربيّ قاضي البصرة[10]، واستُقْضِي مكانه هشام بن هُبَيرة.

---

(١) في الطبعة الأوربية «أم».

(٢) ما بين القوسين من الأصل.

(٣) الأبيات في: تاريخ الطبري ٥/٣١٤، ومعجم البلدان ١/٥٨.

(٤) تاريخ خليفة ٢٢٥، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٣٩، تاريخ الطبري ٥/٣١٤، مروج الذهب ٤/٣٩٨، تاريخ حلب ١٨٤، نهاية الأرب ٢٠/٣٦١، تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ١٦٤، البداية والنهاية ٨/٨٢.

(٥) ما بين القوسين من (س).

(٦) انظر عن (عقبة بن عامر) ومصادر ترجمته في: تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ٢٧١ ـ ٢٧٣.

(٧) انظر عن (عائشة) ومصادر ترجمتها في: تاريخ الإسلام ٢٤٤ ـ ٢٥٣.

(٨) انظر عن (سمُرة بن جندب) ومصادر ترجمته في: تاريخ الإسلام ٢٣١ ـ ٢٣٤.

(٩) انظر عن (مالك بن عبادة) في: الاستيعاب ٣/٣٨٥.

(١٠) انظر عن (عميرة بن يثربي) في: أخبار القضاة لوكيع ١/٢٩٠ ـ ٢٩٢.

٥٩
ثم دخلت سنة تسع وخمسين

في هذه السنة كان مشتى عمرو بن مُـرّة الجُهَنيّ بأرض الـروم في البرّ[١]، وغـزا في البحر جُنادة بن أبي أُمَيّة[٢]، وقيل: لم يكن في البحر غزوة هذه السنة[٣]. وفي هـذه السنة عُـزل عبد الـرحمن بن أمّ الحكَم عن الكـوفـة، واستُعمـل عليهـا النُّعمـان بن بشيـر الأنصاريّ[٤]، وقد تقدّم سبب عزله، (وقيل: كان عزله سنة ثمانٍ وخمسين)[٥].

ذكر ولاية عبد الرحمن بن زياد خُراسان

وفيها استعمل معاوية عبدَ الرحمن بن زياد على خُراسـان، وقدّم بين يـديه قيسَ بن الهَيْثم السُّلَميّ، وأخذ أسلمَ بن زُرْعة فحبسه، وأخذ منه ثلاثمائة ألف درهم، ثمّ قدِم عبد الرحمن، وكان كريماً حـريصاً ضعيفـاً لم يغزُ غـزوةً واحدة، وبقي بخُـراسان إلى أن قُتـل الحسين، فقـدِم على يزيـد ومعـه عشـرون ألف ألف درهم، فقـال: إن شئتَ حـاسبنـاك وأخـذنا مـا معك، ورددنـاك إلى عملك، وإن شئتَ أعطينـاك ما معـك وعزلنـاك، وتُعْطي عبدَ الله بن جعفر خمسمائة ألف درهم. قال: بل تُعطيني ما معي وتعزلني. ففعل فـأرسل عبد الرحمن إلى ابن جعفر بألف ألف وقـال: هذه خمسمـائة ألف من يـزيد، وخمسمـائة ألف منّي[٦].

---

(١) تاريخ خليفة ٢٢٦ وفيه «المهـري» بدل «الجهني»، تـاريخ اليعقـوبي ٢/٢٤٠، تاريـخ الطبـري ٣١٥/٥، تاريخ حلب ١٨٤، تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ١٦٦، البداية والنهاية ٩٤/٨.

(٢) تاريخ الطبري ٣١٥/٥، البداية والنهاية ٩٤/٨.

(٣) تاريخ خليفة ٢٢٦، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٤٠، تاريخ الطبري ٣١٥/٥، البداية والنهاية ٩٤/٨.

(٤) تاريخ الطبري ٣١٥/٥، نهاية الأرب ٣٦٣/٢٠، البداية والنهاية ٩٤/٨.

(٥) ما بين القوسين من الأصل.

(٦) تاريخ الطبري ٣١٥/٥، ٣١٦، نهاية الأرب ٣٦٣/٢٠، البداية والنهاية ٩٤/٨.

ذكر عزل ابن زياد عن البصرة وعَوْده إليها

في هذه السنة عزل معاويةُ عُبيدَ الله بن زياد عن البصرة وأعاده إليها.

وسبب ذلك أنّ ابن زياد وفد على معاوية في وجوه أهل البصرة وفيهم الأحنف، وكان سيّء المنزلة من عُبيد الله، فلمّا دخلوا رحّب معاويةُ بالأحنف، وأجلسه معه على سريره، فأحسن القوم الثناء على ابن زياد، والأحنف ساكت، فقال له معاوية: ما لك يا أبا بحر لا تتكلّم؟ فقال: إن تكلّمتُ خالفتُ القوم. فقال معاوية: انهضوا فقد عزلته عنكم، واطلبوا والياً تَرضَوْنه؛ فلم يبقَ أحد إلّا أتَى رجلاً من بني أميّة أو من أهل الشام، والأحنف لم يبرح من منزله، فلم يأتِ أحداً، فلبثوا أيّاماً، ثمّ جمعهم معاوية وقال لهم: مَن اخترتم؟ فاختلفتْ كلمتهم والأحنف ساكت، فقال: ما لك لا تتكلّم؟ فقال: إن ولّيتَ علينا أحداً من أهل بيتك لم نَعْدِل بُعبَيدالله أحداً، وإن ولّيتَ [من] غيرهم، فانظر في ذلك. فردّه معاويةُ عليهم، وأوصاه بالأحنف، وقبّح رأيه في مباعدته، فلمّا هاجت الفتنةُ لم يَفِ له غير الأحنف[1].

ذكر هجاء يزيد بن مُفَرِّغ الحِمْيَريّ بني زياد وما كان منه

كان يزيد بن مُفَرِّغ الحميريّ مع عَبّاد بن زياد بسجستان، فاشتغل عنه بحرب بالتُّرْك، فاستبطأه ابن مفرّغ، وأصاب الجُندَ الّذين مع عبّاد ضيقٌ في علوفات دوابّهم، فقال ابن مفرّغ:

ألا ليتَ اللّحَى كانتْ حَشيشاً ... فنعلفَها خيولَ المسلمينا[2]

وكان عبّاد بن زياد عظيم اللّحية، فقيل: ما أراد غيرَك. فطُلب فهرب منه وهجاه بقصائد، وكان ممّا هجاه به قوله:

إذا أوْدَى مُعاويَةُ بنُ حَرْبٍ ... فبَشّرْ شَعبَ رَحْلك[3] بانصِداعِ

فاشهِدْ أنّ أمّك لم تُباشِرْ ... أبا سفيان واضعةَ القِناعِ

(١) تاريخ الطبري ٣١٦/٥، ٣١٧، نهاية الأرب ٣٦٣/٢٠، ٣٦٤، البداية والنهاية ٩٤/٨، ٩٥.

(٢) البيت في: تاريخ الطبري ٣١٧/٥، والأغاني ٧٥٧/١٨، وفي الشعر والشعراء لابن قتيبة ٢٧٦/١: «فنعلفها دواب المسلمينا»، وفي الطبعة الأوربية: «دوابّ المسلمين»، والبيت أيضاً في: وفيات الأعيان ٣٤٦/٦، وخزانة الأدب ٢١٠/٢.

(٣) في تاريخ الطبري، والأغاني: «شعب قعبك»، وفي المختار من الأغاني: «قلبك».

ولـكِنْ كـانَ أمْـراً فـيـهِ لَـبْسٌ   على وَجَـلٍ[1] شـديـدٍ وارْتيـاعِ[2]

وقال أيضاً:

ألا أبـلغْ مـعـاويَـةَ بـنَ حَـرْبٍ   مُغلغَـلَةً منَ الـرّجـلِ الـيَمـانـي
أتـغـضَـبُ أن يُـقـالَ أبـوكَ عَـفٌّ   وتـرضَـى أنْ يُـقـالَ أبـوكَ زانِ؟
فـأشـهَـدُ أنّ رِحمَـكَ مـن زيـادٍ   كـرِحْمِ الفيـلِ من وَلَـدِ الأتَـانِ[3]

وقدِم يزيد بن مفرّغ البصرة وعُبيد الله بن زياد بالشام عند معاوية، فكتب إليـه أخوه عبّاد بما كان منه، فأعلم عُبيدُالله معاويةَ به، وأنشده الشّعر، واستأذنَه في قتل ابن مفـرّغ، فلم يأذن له وأمره بتأديبه[4].

ولما قدِم ابن مفرّغ البصرة استجار بالأحنف وغيـره من الرؤسـاء، فلم يُجِرْه أحـد، فاستجار بالمنذر بن الجـارود، فأجـاره وأدخله داره، وكانت ابنتـه عند عُبيـد الله بن زياد، فلمّا قدِم عُبيد الله البصرة أُخبر بمكان ابن مفرّغ، وأتى المنذرُ عُبيـدَ الله مسلّماً، فـأرسل عُبيـدُ الله الشُّرَط إلى دار المنـذر، فأخـذوا ابن مفرّغ وأتـوه به، والمنـذر عنده، فقـال لـه المنذر: أيّها الأمير إنّي قد أجرتُه! فقال: يا منذر يمدحـك وأباك ويهجـوني وأبي، وتُجيره عليّ! ثمّ أمر به فسُقي دواء، ثمّ حُمل على حمارٍ وطِيف به، وهو يَسْلَح في ثيـابه، فقـال يهجو المنذر:

تـركتُ قـريشـاً أن أُجـاوِرَ فيهِمُ   وجـاوَرتُ عبدَ القيس أهـلَ المشقَّرِ
أُنـاسٌ أجـارونـا فكـان جِـوارُهُم   أعـاصِيرَ من فَسـوِ[5] العِراقِ المُبَـذِّرِ

(١) في معجم الأدباء: «على عجل».

(٢) في الأغاني: «وامتناع».
والأبيـات في: تاريـخ الطبـري ٥/٣١٨، والأغاني ١٨/٢٦٥، ومعجم الأدبـاء ٢٠/٤٦، ووفيـات الأعيـان ٢/٢٩٢، والمختار من الأغاني ٨/٣٩٨.

(٣) الأبيات في: الشعر والشعراء ١/٢٧٩ وفيه:
وأشـهـد أن إلَّـك مـن زيـاد   كـإلّ الـفـيـل مـن ولـد الأتـان
وتاريخ الطبري ٥/٣١٨، والأغاني ١٨/٢٦٥، و ٢٧١، والأخبار الموفقيّات ١٧٩، وأنسـاب الأشراف ق ٤ ج ١/٣٧٥، والحيوان ١/١٤٦، ومروج الذهب ٣/١٧، وفيه تُنسب إلى عبد الرحمن بن الحكم، والعقـد الفـريد نُسبت لعبـد الرحمن بن حسـان ٤/٤٠٤، والمـوشّـح ٢٧٣، ووفيـات الأعيـان ٦/٣٥٠، ومختـار الأغـاني ٨/٣٩٨، ٣٩٩، والمختصر في أخبـار البشر ١/١٨٥، وتـاريخ الإسـلام (حوادث ووفيـات ٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٢٦٩، وتاريخ ابن الوردي ١/١٦٨، وخزانـة الأدب ٢/٥١٨، ويقال إن الأبيـات لابن قتّة. (انظر: أنساب الأشراف ق ٤ ج ١/٣٧٦).

(٤) انظر: تاريخ الطبري ٥/٣١٨، ووفيات الأعيان ٦/٣٤٩.

(٥) في الأغاني: «قسو» بالقاف؛ بمعنى الغِلَظ والصلابة.

فأصبحَ جاري من جُذيمَة نائِماً[1] ولا يَمْنَعُ[2] الجيرانَ غيرُ المشمِّرِ[3]

فقال لعُبيد الله:

يغسلُ الماءُ ما صنعتَ وقولي راسخٌ منكَ في العظامِ البَوالي[4]

ثمّ سيّره عُبيد الله إلى أخيه عَبّاد بسَجِسْتان، فكلّمت اليمانيّة بالشام معاوية فيه، فأرسل إلى عبّاد فأخذه من عنده، فقدِم على معاوية، وقال في طريقه:

عَدَسْ[5] ما لعبّادٍ عليكِ إمارةٌ أمِنتِ[6] وهذا تحملين طليقُ

لَعَمْري لقد نجّاكِ[7] من هُوّةِ الرّدى إمامٌ وحَبلٌ للأنام[8] وثيقُ

سأشكرُ ما أوليتَ من حُسْن نعمةٍ ومثلي بشُكْرِ المُنعِمين حقيقُ[9]

فلمّا دخل على معاوية بكى وقال: رُكب منّي ما لم يُرْكَبْ[10] من مسلم مثله على غير حَدَث، قال: أولستَ القائل:

ألا أبلغْ معاويةَ بنَ حَرْبٍ

القصيدة؟ فقال: لا واللهِ الذي عظّم حقّ أمير المؤمنين ما قلتُ هذا، وإنّما قاله عبد الرحمن بن الحكَم أخو مروان، واتّخذني ذريعةً إلى هجاء زياد. قال: ألستَ القائل:

فأشهدُ أنّ أُمّكَ لم تُباشرْ أبا سفيان واضعةَ القِناعِ[11]

في أشعارٍ كثيرة هجوتَ بها ابن زياد؟ اذهبْ فقد عفونا عنكَ، فانزلْ أيَّ أرض الله شئتَ. فنزل الموصل وتزوّج بها. فلمّا كان ليلة بنائه بامرأته خرج حين أصبح إلى

---

(١) في الأغاني: «خزيمة قائماً». وفي نسخة المتحف البريطاني: «دائماً».

(٢) في الطبعة الأوربية: «يثلغ».

(٣) الأبيات في: تاريخ الطبري ٥/٣١٩، والأغاني ١٨/٢٦٦.

(٤) البيت في: تاريخ الطبري ٥/٣١٩، وهو من قصيدة طويلة في الأغاني ١٨/٢٦٦ ـ ٢٦٨، وهو في: وفيات الأعيان ٦/٣٥٠.

(٥) عَدَس: اسم البغلة، أو كلمة يزجر بها البغلة.

(٦) في تاريخ الطبري، والأغاني، والشعر والشعراء: «نجوت».

(٧) في الأغاني: «أنجاك».

(٨) في الطبعة الأوربية: «للإمام».

(٩) البيت الأول في: الشعر والشعراء ١/٢٨٠، وهي في: تاريخ الطبري ٥/٣١٩، ٣٢٠، والأغاني ١٨/٢٧٠، ٢٧١، وخزانة الأدب ٢/٥١٤.

(١٠) في الطبعة الأوربية: «يرتكب».

(١١) تاريخ الطبري ٥/٣٢٠، الأغاني ١٨/٢٧١ وفيه: «شهدت بأن أمّك لم تباشر»، ومختار الأغاني ٨/٣٩٨.

الصّيد، فلقي إنساناً على حمار. فقال: من أين أقبلتَ؟ فقال: من الأهواز. قال: فما فعل (ماءُ مَسْرُقان)[1]؟ قال: على حاله. فارتاح إلى البصرة فقدِمها، ودخل على عُبيد الله فآمنه[2].

وغضب معاوية على عبد الرحمن بن الحَكَم، فكُلّم فيه فقال: لا أرضى عنه حتّى يرضى عنه ابنُ زياد. فقدِم البصرة على عُبيد الله وقال له:

لأنتَ زيادةٌ في آلِ حرْبٍ ... أحبُّ إليّ من إحدى بناتي
أراكَ أخاً وعمّاً وابنَ عمٍّ ... فلا أدري بغيبٍ ما[3] تراني

[فقال]: أراك شاعر سَوْء! ورضي عنه[4].

ذكر عدّة حوادث

حجّ بالناس هذه السنة عثمان بن محمد بن أبي سفيان[5].

وكان الوالي على الكوفة: النّعمان بن بشير، وعلى البصرة: عُبَيد الله بن زياد، (وعلى المدينة: الوليد بن عُتْبة، وعلى خُراسان: عبد الرحمن بن زياد، وعلى سِجِستان: عبّاد بن زياد)[6]، وعلى كَرمان: شَريك بن الأعور[7].

[الوَفَيات]

وفيها مات قيس بن سعد[8] بن عُبادة الأنصاري بالمدينة، وقيل: سنة ستّين، وكان قد شهد مع عليّ مشاهدَه كلّها. وفيها مات سعيد بن العاص[9]، ووُلد عام الهجرة، وقُتل

---

(١) في (ر): «مروان» بدل الذي بين القوسين.

(٢) تاريخ الطبري ٥/٣٢٠.

(٣) في (ر): «بغيت فما».

(٤) تاريخ الطبري ٥/٣٢٠، ٣٢١.

(٥) تاريخ خليفة ٢٢٧ وفيه: «محمد بن أبي سفيان» وهو وهْم، وتاريخ اليعقوبي ٢/٢٣٩، وتاريخ الطبري ٥/٣٢١، ومروج الذهب ٤/٣٩٨، وتاريخ حلب للعظيمي ١٨٤، ونهاية الأرب ٢٠/٣٦٤، والبداية والنهاية ٨/٩٦.
وقد وقع في: تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ١٦٦ أن الذي أقام الحج للناس هو: الوليد بن عتبة. وقد وهِم في ذلك.

(٦) ما بين القوسين من (ش).

(٧) تاريخ الطبري ٥/٣٢١.

(٨) انظر عن (قيس بن سعد) ومصادر ترجمته في: تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ٢٨٩ ـ ٢٩١.

(٩) انظر عن (سعيد بن العاص) ومصادر ترجمته في: تاريخ الإسلام ـ ص ٢٢٤ ـ ٢٣٠.

أبوه يومَ بدر كافراً.

وفيها مات مُرّة بن كعب[1] البَهْزيّ[2] السُّلَميّ، وله صُحْبة.

وفيها مات أبو محذورة الجُمَحيّ[3] مؤذنّ رسول الله ﷺ، بمكّة، ولم يـزل يؤذّن بها حتّى مات وولده من بعده، وقيل: مات سنة تسع وستّين.

وفيها مـات عبد الله بن عـامر[4] بن كُرَيز بمكّة فدُفن بعَرَفَات.

وفيها مات أبو هُرَيْرة[5]، فحمل جنازته ولد عثمان بن عفّان لهواه كان في عثمان.

[غزوة حصن كمخ]

وفيها غزا المسلمون حصن كَمخ[6]، ومعهم عُمَير بن الحُباب السُّلميّ، فصعِد عُمَير السّور، ولم يزل يُقاتل عليه وحده حتّى كشف الـرّومَ، فصعِد المسلمـون،ففتحه بُعَميـر، وبذلك كان يفتخر، ويُفْخَر له بذلك[7].

---

(1) أنظر عن (مُرَّة بن كعب) ومصادر ترجمته في: تاريخ الإسلام ٢٩٥، ٢٩٦.

(2) في الأصـل: «المهري»، وفي طبعـة صادر ٥٢٦/٣ «البهـري»، وما أثبتنـاه عن: تـاريـخ الإسـلام ٢٩٥، ومصادر ترجمته، مثل طبقات ابن سعد ٤١٤/٧، والجرح والتعديل ١٦٠/٧ رقم ٨٩٩، وغيره.

(3) أنظر عن (أبي محذورة) ومصادر ترجمته في: تاريخ الإسلام ٣٤٣، ٣٤٤.

(4) أنظر عن (عبد الله بن عامر) في: تاريخ الإسلام ٢٥٧ ـ ٢٦٠.

(5) انظر عن «أبي هريرة» في تاريخ الإسلام ٣٤٧ ـ ٣٥٧.

(6) كمخ: بالفتح ثم السكون، مدينة بالروم. (معجم البلدان ٤٧٩/٤).

(7) الخبر في فتوح البلدان ٢١٩ رقم ٤٨٩، والخراج وصناعة الكتابة ٣١٦.

٦٠
ثم دخلت سنة ستين

في هذه السنة كانت غزوة مالك بن عبد الله سورية ودخول جُنادة رُودس وهدمه مدينتها في قول بعضهم(١). (وفيها توفّي معاوية بن أبي سفيان، وكان قد أخذ على وفد أهل البصرة البيعة ليزيد)(٢).

ذكر وفاة معاوية بن أبي سفيان

خطب معاوية قبل مرضه وقال: إنّي كزرع مستحصِد، وقد طالت إمرتي عليكم حتّى مللتُكُم ومللتموني، وتمنّيتُ فراقكم وتَمنّيتم فراقي، ولن يأتيكم بعدي إلاّ مَنْ أنا خير منه، كما أنّ مَنْ قَبلي كان خيراً منّي، وقد قيل: مَنْ أحبّ لقاء الله أحبَّ اللَّهُ لقاءه، اللهمّ إنّي قد أحببتُ لقاءك فأحبِبْ لقائي، وبارِكْ لي فيه(٣)!

فلم يمضِ غيرُ قليلٍ حتّى ابتدأ به مرضه، فلمّا مرضَ المرضَ الّذي مات فيه دعا ابنَه يزيد فقال(٤): يا بُنيّ، إنّي قد كفيتُك الشّدّ والترحال، ووطّأتُ لك الأمور، وذلّلتُ لك الأعداء، وأخضعتُ لك رقابَ العرب، وجمعتُ لك ما لم يجمعه أحد، فانظرْ(٥) أهلَ الحجاز فإنّهم أصلُك، وأكرِمْ مَنْ قدِم عليك منهم، وتعاهدْ مَنْ غاب، وانظرْ أهلَ العراق،

---

(١) هو قول الواقديّ كما في: تاريخ الطبري ٣٢٢/٥، أما خليفة فقال: وفيها حمل أهل مصر إلى رودس الطعام. (تاريخ خليفة ٢٢٩).

(٢) ما بين القوسين من نسخة «شفري».

(٣) أنساب الأشراف ج ٤ ق ٤٤/١، الأمالي للقالي ٣١١/٢، سير أعلام النبلاء ١٥٩/٣، تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ـ بتحقيقنا ـ ٣١٦، البداية والنهاية ١٤١/٨، نهاية الأرب ٣٦٤/٢٠، ٣٦٥.

(٤) قارن بتاريخ الطبري ٣٢٢/٥، ٣٢٣، وكتاب المعمّرين لأبي حاتم ١٥٥، ١٥٦، وأنساب الأشراف للبلاذري ج ٤ ق ١٤٤/٨ رقم ٤٠٨ و١٤٥ رقم ٤٠٩ و١٤٦ رقم ٤١١، والعقد الفريد ٨٧/٤.

(٥) من هنا تتفق الخطبة مع ما جاء في: البيان والتبيين للجاحظ ١١٥/٢، ١١٦ مع اختلاف بعض الألفاظ، وفيه أن يزيد كان غائباً، فدعا معاوية: مسلم بن عقبة المري، والضحّاك بن قيس الفهري فقال: أبلغا عني يزيد وقولا له. . . ثم ذكر الخطبة. وانظر: العقد الفريد ٨٧/٤.

فإنْ سألوك أن تعزل عنهم كلّ يوم عاملاً فافعلْ، فإنّ عزل عامل أيسر من أن يُشهَر عليك مائة ألف سيف، وانظرْ أهلَ الشام فلْيكونوا بِطانتك وعَيْبَتك، فإنْ رابك[1] من عدوّك شيء فانتصرْ بهم، فإذا أصبتَهم فارددْ أهلَ الشام إلى بلادهم، فإنّهم إنْ أقاموا بغير بلادهم تغيّرت أخلاقهم؛ وإنّي لستُ أخافُ عليك أن ينازعك في هذا الأمر إلاّ أربعة نفر من قريش: الحسينُ بن عليّ، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزُّبَير، وعبد الرحمن بن أبي بكر؛ فأمّا ابن عمر فإنّه رجل قد وقذَتْه العبادة، فإذا لم يبقَ أحد غيره بايعك؛ وأمّا الحسين بن عليّ فهو رجل خفيف، ولن يتركه أهل العراق حتّى يُخرِجوه، فإنْ خرج وظفرتَ به فاصفحْ عنه، فإنّ له رَحِماً ماسّة وحقّاً عظيماً وقرابة من محمّد ﷺ؛ وأمّا ابن أبي بكر فإنْ رأى أصحابَه صنعوا شيئاً صنع مثله، ليس له همّة إلاّ في النّساء واللّهْو، وأمّا الذي يجثم لك جُثوم[2] الأسد ويراوغك مراوغة الثعلب، فإنْ أمكنَتَهُ فرصةٌ وثَب فذاك ابن الزّبَير، فإنْ هو فعلها بك فظفرتَ به فقطّعْه إرْباً إرْباً؛ واحقُنْ دماء قومك ما استطعتَ.

هكذا في هذه الرواية ذُكر عبد الرحمن بن أبي بكر، وليس بصحيح؛ فإنّ عبد الرحمن بن أبي بكر كان قد مَات قبل معاوية[3]. وقيل: إنّ يزيد كان غائباً في مرض أبيه وموته، وإنّ معاوية أحضر الضحّاك بن قيس، ومسلمَ بن عُقْبَة المُرّي، فأمرهما أن يؤدّيا عنه هذه الرسالة إلى يزيد ابنه، وهو الصحيح[4].

ثمّ مات بدمشق لهلال رجب، وقيل للنصف منه، وقيل لثمانٍ بقين منه[5]، وكان ملكه تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وسبعة وعشرين[6] يوماً مذ اجتمع له الأمر وبايع له الحسن بن عليّ. وقيل: كان ملكه تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر، وقيل: وثلاثة أشهر إلاّ أيّاماً، وكان عمره خمساً وسبعين سنة، وقيل: ثلاثاً[7] وسبعين سنة. وقيل: توفّي وهو ابن ثمانٍ وسبعين سنة، وقيل: خمس وثمانين[8].

وقيل: ولما اشتدّتْ عِلّته وأُرْجف به قال لأهله: احشوا عينيّ إثمِداً وادهنوا رأسي. ففعلوا وبرّقوا وجهه بالدُّهن، ثمّ مُهّد له فجلس، وأذِن للنّاس، فسلّموا قياماً ولم يجلس

(١) وفي بعض النُسخ «رأيت».

(٢) في نسخة راولنسن: «يجثوا لك جثوة».

(٣) مات عبد الرحمن بن أبي بكر بالحبشة سنة ثمان وخمسين قبل عائشة، وقد قيل: سنة ثلاث وخمسين، وحُمل إلى مكة ودُفن بها. (تاريخ الصحابة لابن حبّان ١٦٦ رقم ٨٣٠).

(٤) وهذا ما قاله الجاحظ في: البيان والتبيين ـ ج ٢/١١٥ كما قدّمنا، وانظر: نهاية الأرب ٢/٣٦٦.

(٥) الأقوال في تاريخ الطبري ٥/٣٢٤.

(٦) في مخطوطة باريس «وسبعة عشر».

(٧) في نسخة باريس وراولنسون: «وقيل ثمانياً».

(٨) راجع هذه الأقوال في: تاريخ الطبري ٥/٣٢٤، ٣٢٥.

أحد، فلمّا خرجوا عنه قالوا: هو أصحّ الناس. فقال معاوية عند خروجهم من عنده:

وتجلُّدي للشّامتين أُريهمُ أنّي لريبِ الدّهرِ لا أتضعضعُ
وإذا المنيّةُ أنشبَتْ أظفارَها ألفيْتَ كلَّ تميمةٍ لا تنفعُ[1]

وكان به نُفاثات[2]، فمات من يومه، فلمّا حضرته الوفاة قال: إنّ رسول الله ﷺ، كساني قميصاً فحفظته[3]، وقلّم أظفاره يوماً فأخذتُ قُلامته فجعلتُها في قارورة، فإذا متُّ فألبسوني ذلك القميص، واسحقوا[4] تلك القُلامة، وذُرُّوها في عينيّ وفمي، فعسى الله أن يرحمني ببركتها؛ ثمّ تمثّل بشعر الأشهَب بن رُمَيْلة[5] النَّهْشَلي:

إذا مُتُّ ماتَ الجودُ وانقطعَ النّدى منَ النّاسِ إلّا مِنْ قَليلٍ مُصَرَّدِ
ورُدَّتْ أكُفُّ السّائلينَ وأمسكوا منَ الدَينِ والدُّنيا بخُلفٍ[6] مُجدَّدِ[7]

فقالت إحدى بناته: كلّا يا أمير المؤمنين، بل يدفع الله عنك. فقال متمثّلاً بشعر الهُذَليّ: وإذا المَنيّة، البيت. وقال لأهله: اتّقوا الله، فإنّه لا واقي لمَن لا يتّقي الله. ثمّ قضى وأوصى أن يُرَدّ نصف ماله إلى بيت المال، كأنّه أراد أن يَطِيب له الباقي، لأنّ عُمَرَ قاسَمَ عُمّاله؛ وأنشد لما حضرته الوفاة:

إنْ تُناقِشْ يكُن نِقاشُك يا رَ بّ عَذاباً لا طَوْقَ لي بالعذابِ
أوْ تُجاوِزْ فأنتَ رَبٌّ صَفُوحٌ عَن مُسيءٍ ذنوبُه كالتّرابِ[8]

---

(١) البيتان لأبي ذؤيب الهُزلي، انظر: ديوان الهزليين ١/٣٨ وهما في المفضّليات ٤٢١ و ٤٢٩، والاستيعاب ٤/٦٧، وشواهد العيني ٣/٣٩٣، ٣٩٤ وحماسة البحتري ٩٩ و١٢٨، وسمط اللآلي ٢/٢٨٨، ٢٨٩، ونهاية الأرب ٢٠/٣٦٧، وخزانة الأدب ١/٢٠٢، وجمهرة أشعار العرب ٢٦٤ - ٢٧٣، والزهرة لابن داود الأصبهاني ٢/٨٠٤.

(٢) في نسخة باريس: «البقايات»: وفي الطبعة الأوربية «التفاتات».

(٣) في النسخة (شفر) وتاريخ الطبري: «فرفعته».

(٤) في تاريخ الطبري ٥/٣٢٧ «وقطّعوا»، والمثبت يتفق مع ما في: أنساب الأشراف ج ٤ ق ١/١٥٣، وتاريخ دمشق، المخطوطة الظاهرية ١٦/٣٧٨ ب، وتاريخ الإسلام ٣١٦.

(٥) في الطبعة الأوربية: «زُميلة».

(٦) ضبطها في تاريخ الطبري ٥/٣٢٧ «بخِلف»، بكسر الخاء المعجمة، وكذا في: أنساب الأشراف ج ٤ ق ١/١٥٢.

(٧) البيتان في مدح الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المعروف بالقُباع؛ وهما في: أنساب الأشراف ج ٤ ق ١/١٥٣، والعقد الفريد ٣/٢٣٢، ٢٣٣، ومجموعة ديوان المعاني ٩٢، ونهاية الأرب ٢٠/٣٧٠

(٨) أنظر البيتين بألفاظ أخرى في: الكامل في الأدب للمبرّد ٤/١١١، وأنساب الأشراف للبلاذري ج ٤ ق ١/١٥٠، ١٥١ رقم ٤٢٥، والأمثال للميداني ١/١٤٩، والأمثال للعسكري ١/٤٠٩، وبهجة المجالس لابن عبد البر ٢/٣٦٩، والعمدة لابن رشيق ١/١٤، والتذكرة الحمدونية ٢١٢ رقم ٥٢٥، والبداية والنهاية لابن كثير ٨/١٤٢ و ٩/٦٨، ورسائل ابن أبي الدنيا ٦٥ رقم ١١٠، ونور القبس للمرزباني ١/٢٩٢، وديوان ابن الدمينة ١٣٠، ونهاية الأرب ٢٠/٣٧٠.

ولما اشتدّ مرضه أخذتْ ابنته رملةُ رأسه في حِجْرها وجعلت تفلّيه، فقال: إنّك لتفلّينه[1] حُوَّلاً قُلَّباً، جمع المال من شُبّ إلى دُبّ، فليته لا يدخل النار! ثمّ تمثّل:

لقد سعَيتُ لكم من سَعيي[2] ذي نصَبٍ وقد كفيتُكمُ التّطوافَ والرِّحَلا[3]

وبلغه أنّ قوماً يفرحون بموته، فأنشد:

فهَل من خالدٍ إنْ ما هَلَكْنا وهل بالموتِ يا للنّاسِ عارُ؟[4]

وكان في مرضه ربّما اختلط في بعض الأوقات، فقال مرّة: كم بيننا وبين الغوطة؟ فصاحت بنته: واحُزْناه! فأفاق فقال:

إنْ تَنْفِري فقد رأيتِ مَنْفَرا[5]

فلمّا مات خرج الضحّاك بن قيس حتّى صعِد المنبر، وأكفان معاوية على يديه، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: إنّ معاوية كان عُود العرب، وحدّ العرب، وجَدّ العرب[6]، قطع اللّهُ به الفتنة، وملّكه على العباد، وفتح به البلاد، ألا[7] إنّه قد مات، وهذه أكفانه، ونحن مُدْرِجُوه فيها ومُدْخلوه قبره، ومُخَلّون بينه وبين عمله، ثمّ هو الهَرْج[8] إلى يوم القيامة، فمَن كان يريد [أن] يشهده فعند الأولى[9]. وصلّى عليه الضحّاك[10].

---

(١) وفي رواية: فجعلت تقلّبه، فقال: إنك لتُقَلّبينه».

(٢) في الطبعة الأوربية: «سعيي».

(٣) في نسخة باريس: «والوجلا»، وفي نسخة شفر والمتحف البريطاني «والرجلا».
والبيت في: أنساب الأشراف ج ٤ ق ١/١٥١ رقم ٤٢٧، وتاريخ الطبري ٥/٣٢٦، وتمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون للصفدي ٦١، ٦٢.
والخبر في: أنساب الأشراف ج ٤ ق ١/١٥١ رقم ٤٢٦، وتاريخ الطبري ٥/٣٢٦، ومجمع الأمثال للميداني ١/١٤٩، والأمثال للعسكري ٤٠٩، والعمدة لابن رشيق ١/١٤، والتذكرة الحمدونية ١/٢١١، ٢١٢ رقم ٥٢٥.

(٤) البيت في: أنساب الأشراف ج ٤ ق ١/١٥٠ رقم ٤٢٣ و١٥٢ رقم ٤٢٨ و١٥٤ رقم ٤٣٣، وديوان عديّ بن زيد ١٣٢، وبهجة المجالس ٢/٣٦٩، ٣٧٠.

(٥) أنساب الأشراف ج ٤ ق ١/١٥٢ رقم ٤٢٩.

(٦) وجَدّ العرب، ليست في تاريخ الطبري.

(٧) في طبعة صادر ٤/٩ «إلّا».

(٨) في نسخة راولنسون: «باق». وفي تاريخ الطبري ٥/٣٢٨ «ثم هو البرزخ»، والمثبت يتفق مع: أنساب الأشراف ج ٤ ق ١/١٥٥ رقم ٤٣٥.

(٩) في نسخة راولنسون: «فها عندكم»، وفي أنساب الأشراف: «فليحضر عند الظهر».

(١٠) الخبر في: الإمامة والسياسة للدينوري ٢٤٠، وأنساب الأشراف ج ٤ ق ١/١٥٥ رقم ٤٣٥، والبيان والتبيين للجاحظ ٢/١٣١، وتاريخ الطبري ٥/٣٢٨، والعقد الفريد ٤/٨٧ و٣٧٤، والأغاني ١٧/١٤٢، وأسد الغابة ٤/٣٨٧، والبداية والنهاية ٨/١٤٢.

وقيل: لما اشتدّ مرضه، أي مرض معاوية، كان ولده يزيد بحُوّارين[1]، فكتبوا إليه يحثّونه على المجيء ليدركه، فقال يزيد شعراً:

جاءَ البريدُ بقِرْطاسٍ يَخُبُّ بِهِ ... فأوْجسَ[2] القلبُ من قِرْطاسِهِ فزَعَا
قُلْنا[3]: لكَ الوَيلُ ماذا في كتابكُمُ؟ ... قال: الخليفةُ أمسَى مُثبَتاً وجِعَا
ثمّ انبَعَثْنا إلى خوضٍ[4] مُزَمَّمَةٍ ... نَرمي الفِجاجَ بها لا نأتَلي سِرَعَا[5]
فمادَتِ الأرْضُ أوْ كادتْ تميدُ بنا ... كأنّ أغْبرَ[6] من أركانها انقَطَعَا[7]
مَنْ لم تزَل نَفسُهُ تُوفي على شَرَفٍ ... تُوشِكْ مقاليدُ تلك النّفس أن تقَعَا[8]
لما انتَهينا وبابُ الدّارِ مُنْصَفِقٌ[9] ... وصَوْتُ رَملةَ رِيع القلبُ فانصَدعَا
ثمّ ارعوَى القلبُ شيئاً بعد طِيرتِهِ ... والنفسُ تعلمُ أن قد أُثبِتَتْ جزَعَا
أوْدَى ابنُ هندٍ وأودى المجدُ يَتبعُهُ ... كانا جَميعاً فماتا قاطنَينِ مَعَا[10]
أغَرُّ[11] أبْلَجُ يُسْتَسقى الغَمامُ بهِ ... لوْ قارَعَ النّاسَ عن أحسابهم[12] قَرَعَا[13]

---

(١) حُوّارين: بالضم، وتشديد الواو، ويُختَلف في الراء فمنهم من يكسرها ومنهم من يفتحها، وياء ساكنة، ونون. وهي من قرى حلب. وحُوّارين: حصن من ناحية حمص. (معجم البلدان ٢/٣١٥).

(٢) في نسخة باريس: «فأورث».

(٣) في الطبعة الأوربية: «قُلفا».

(٤) في أنساب الأشراف: «على خوص».

(٥) في طبعة صادر ٤/٩: «سُرَّعا».

(٦) في الطبعة الأوربية: «أعبر»، وهو تحريف.

(٧) في أنساب الأشراف: «من أركانه انقلعا».

(٨) في الأنساب:

«من لا تزلْ نفسه تُشفي على تلفٍ ... توشك مقادير تلك النفس أن تقعا».

وفي الأغاني: توفي على وجل.

(٩) في الأغاني: «منطبق».

(١٠) في الأنساب: كانا جميعاً خليطاً قاطنين معاً، وفي الاستيعاب لابن عبد البرّ كانا جميعاً فطلّا يسريان معاً.

(١١) في نسخة باريس: «أغبر».

(١٢) في نسخة راولنسن: «أحيامهم».

(١٣) في ديوان الأعشى:

لو صارع الناس عن أحسابهم صرعا

وفي الاستيعاب: «أحلامهم» بدل «أحسابهم».

والأبيات كلها أو بعضها، باختلاف ألفاظها وتقديم وتأخير في الأبيات في: ديوان الأعشى ٨٦، وتاريخ الطبري ٥/٣٢٨، والمعمّرين ١٥٧، والأغاني ١٧/١٤٢، ١٤٣، والاستيعاب ٣/٣٩٩، وأنساب الأشراف ج ٤ ق ١/١٥٤، ١٥٥، والعقد الفريد ٤/٣٧٣، وأسد الغابة ٤/٣٨٧، والبداية والنهاية ٨/١٤٤، والفتوح لابن أعثم ٥/٥٤.

فأقبل يزيد وقد دُفن، فأتَى قبرَه فصلّى عليه.

ذكر نسبه وكنيته وأزواجه وأولاده

أمّا نَسَبُه فهو: معاوية بن أبي سفيان، واسم أبي سُفيان صَخْر بن حرب بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مَنَاف بن قُصَيّ بن كِلاب، وكنيته: أبو عبد الرحمن[١].

وأمّا نساؤه وولده، فمنهنّ: مَيْسون بنت بَحْدَل بن أُنَيْف الكلبيّة أمّ يزيد ابنه، وقيل: ولدت بنتاً اسمها أمة ربّ المشارق، فماتت صغيرة. ومنهنّ فاختة ابنة قَرَظة بن عبد عَمْرو بن نَوْفل بن عبد مَنَاف، فولدت له عبد الرحمن، وعبد الله ابنَيْ معاوية، وكان عبد الله أحمق[٢]، اجتاز يوماً بطحّان وبغْله يطحن، وفي عُنقه جَلاجِل، فسأل عن الجَلاجِل فقال: جعلتُها في عُنقه لأعلم إنْ قد قام فلم تَدُرِ الرَّحا. فقال: أرأيتَ إن قام وحرّك رأسه كيف تعلم؟ فقال الطحّان: إنّ بغلي ليس له عقل مثل عقل الأمير. وأمّا عبد الرحمن فمات صغيراً[٣]. ومنهنّ نائلة ابنة عُمارة الكلابيّة[٤]، تزوّجها وقال لميْسون: انظري إليها، فنظرتْ إليها وقالت: رأيتُها جميلة، ولكنّي رأيت تحت سُرَّتها خالاً، ليُوضَعنّ رأس زوجها في حِجرها! فطلّقها معاويةُ وتزوّجها حَبيبُ بن مَسْلمة الفِهْريّ، ثمّ خلف عليها بعده النُّعْمان بن بشير، وقُتل فوُضع رأسه في حِجْرها. ومنهنّ كَتْوة[٥] بنت قَرَظة أخت فاختة، وغزا قبرس وهي معه، فماتت هناك[٦].

ذكر بعض سيرته وأخباره وقُضاته وكتّابه

لما بُويع معاويةُ بالخلافة استعمل على شُرطته قيس بن حمزة الهمدانيّ، ثمّ عزله واستعمل زِمْل[٧] بن عمرو العُذريّ، وقيل السَّكسكيّ. وكان كاتبه وصاحبَ أمره سرجون الروميّ، وعلى حَرَسه رجلٌ من الموالي يقال له المختار، وقيل أبو المُخارق مالك مولى حِمْيَر[٨]. وكان أوّل من اتّخذ الحرس[٩]. وكان على حُجّابه سعد مولاه، وعلى القضاء

---

(١) تاريخ الطبري ٥/٣٢٨.

(٢) في تاريخ الطبري: وكان عبد الله محمَّقاً ضعيفاً، وكان يُكنَى أبا الخير.

(٣) في نسخة باريس زيادة: «بصفّين».

(٤) في نسخة الأستانة: «الكلبية»، والمثبت يتفق مع الطبري ٥/٣٢٩.

(٥) في نسخة راولنسون: «كشوة».

(٦) تاريخ الطبري ٥/٣٢٩.

(٧) في تاريخ الطبري ٥/٣٣٠: «زُمَيْل»، والمثبت يتفق مع: أنساب الأشراف ج ٤ ق ١/١٥٩ رقم ٤٤٥ وص ٣٠٨ وفيها ضبطه بفتح الزاي، وهو غلط.

(٨) في نسخة راولنسون: «عمير» وهو تصحيف.

فَضالة بن عُبَيْد الأنصاريّ، فمات، فاستقضى أبا إدريس الخَوْلَانيّ. وكان على ديوان الخاتم عبد الله بن مِحْصَن الحِمْيريّ. وكان أوّل من اتخذ ديوان الخاتم، وكان سبب ذلك أنّ معاوية أمر لعَمْرو بن الزّبير بمائة ألف درهم، وكتب له بذلك إلى زياد، ففتح عَمْرو الكتاب وصيّر المائة مائتين، فلمّا رفع زياد حسابه أنكرها معاويةُ، وطلبها من عمرو وحبسه، فقضاها عنه أخوه عبد الله بن الزُّبَير، فأحدث عند ذلك معاوية ديوان الخاتم وحَزْم الكتب، ولم تكن تُحْزَم[1].

قال عمر بن الخطّاب: يذكرون[2] كسرى وقيصر ودهاءَهما وعندكم معاوية!

قيل: وقدم عَمرو بن العاص من مصر على معاوية، ومعه من أهل مصر، فقال لهم عَمرو: لا تسلّموا على معاوية بالخلافة، فإنّه أهيب لكم في قلبه، وصغِّروا ما استطعتم. فلمّا قدِموا قال معاوية لحجّابه: كأنّي بابن النّابغة وقد صغّر أمري عند القوم، فانظروا إذا دخل القوم فتعتعوهم[3] أشدّ ما يحضركم. فكان أوّل من دخل عليه رجلٌ منهم يقال له ابن الخيّاط فقال: السلام عليك يا رسول الله! وتتابَعَ القوم على ذلك، فلمّا خرجوا قال لهم عَمرو: لعنكم الله! نهيتكم أن تسلّموا عليه بالإمارة، فسلّمتم عليه بالنُّبوّة[4]!

قيل: ودخل عُبَيد الله بن أبي بكرة على معاوية، ومعه ولدٌ له، فأكثر من الأكل، فلَحَظَه معاويةُ، وفطن عُبيد الله، وأراد أن يغمز ابنه، فلم يرفع رأسه حتّى فرغ من الأكل، ثمّ عاد عُبيد الله وليس معه ابنه، فقال معاوية: ما فعل ابنك التِّلقامةُ؟ قال: اشتكى. قال: قد علمتُ أنّ أكله سيورِّثه داءً[5].

قال جُوَيْرية بن أسماء: قدِم أبو موسى الأشعريّ على معاوية في بُرْنُسٍ أسود فقال: السّلام عليك يا أمين الله! قال: وعليك السلام. فلمّا خرج قال معاوية: قدِم الشيخ لأولّيه، والله لا أُولّيه[6]!

---

(٩) أنساب الأشراف ج ٤ ق ١٥٩/١ رقم ٤٤٥، العقد الفريد ٣٦٢/٤، نهاية الأرب ٣٧١/٢٠.

---

(١) في تاريخ الطبري ٣٣٠/٥: «وخزم الكتب، ولم تكن تُخْزَم».
(٢) في تاريخ الطبري: «تذكرون».
(٣) في نسخة راولنسون: «فعنفوهم»
(٤) تاريخ الطبري ٣٣١/٥.
(٥) تاريخ الطبري ٢٣٢/٥.
(٦) الطبري ٢٣٢/٥.

وقال عَمرو بن العاص لمعاوية: ألستُ أنصحَ الناسِ لك؟ قال: بذلك نلتَ ما نلتَ[1].

قال جُوَيرية بن أسماء أيضاً: كان بُسْر بن أبي أرطاة عند معاوية، فنال من عليّ وزيد بن عمر بن الخطّاب حاضرٌ، وأمّه أمّ كلثوم بنت عليّ، فعلاه بالعصا وشَجّه، فقال معاوية لزيد: عمدتَ إلى شيخ قريش وسيّد أهل الشام فضربتَهُ! وأقبل على بُسْر فقال: تشتم عليّاً وهو جَدّه وابن الفاروق على رؤوس الناس! أترى أن يصبر على ذلك؟ فأرضاهما جميعاً[2].

وقال معاوية: إنّي لأرفع نفسي من أن يكون ذنبٌ أعظم من عفوي، وجهلٌ أكبر من حلمي، وعَورة لا أواريها بستري، وإساءة أكثر من إحساني[3].

وقال معاوية لعبد الرحمن بن الحكَم: يا ابن أخي إنّك قد لهجتَ بالشعر، فإيّاك والتشبيب بالنّساء، فتعُرَّ الشريفة، والهجاء فتعُرَّ كريماً وتستثير لئيماً، والمدْح فإنّه طُعْمة الوَقَاح، ولكن أفخرْ بمفاخر قومك، وقُلْ من الأمثال ما تزيّن به نفسَك وتؤدّب به غيرك[4].

قال عبد الله بن صالح: قيل لمعاوية: أيّ الناس أحبّ إليك؟ قال: أشدّهم لي تحبيباً إلى الناس[5].

وقال معاوية: العقل والحِلْم والعِلم أفضل ما أُعطي العباد، فإذا ذُكّر ذَكَرَ، وإذا أُعطي شَكَرَ، وإذا ابتُلي صَبَرَ، وإذا غضِب كَظَمَ، وإذا قدر غَفَرَ، وإذا أساء استغفر، وإذا وعد أنجز[6].

قال عبد الله بن عُمَير: أغْلَظ لمعاوية رجلٌ فأكثر، فقيل له: أَتَحْلَم عن هذا؟ فقال: إنّي لا أحولُ بين الناس وبين ألسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين مُلْكنا[7].

وقال محمد بن عامر: لام معاويةُ عبدَ الله بن جعفر على الغِناء، فدخل عبد الله على معاوية ومعه بُدَيْح، ومعاوية واضعٌ[8] رِجلاً على رِجْل، فقال عبد الله لبُديح: إيهاً يا

---

(١) الطبري ٥/٣٣٥.
(٢) الطبري ٥/٣٣٥.
(٣) الطبري ٥/٣٣٥.
(٤) الطبري ٥/٣٣٦.
(٥) الطبري ٥/٣٣٦.
(٦) الطبري ٥/٣٣٦.
(٧) الطبري ٥/٣٣٦.
(٨) في الطبعة الأوربية: «وضع».

بُديح! فتَغنّى، فحرّكَ معاويةُ رِجْله، فقال عبد الله: مَهْ يا أمير المؤمنين! فقال معاوية: إنّ الكريم طَرُوبٌ[1].

قال ابن عبّاس: ما رأيتُ أَخْلَقَ للمُلْك من معاوية، إن كان لَيَرِدُ الناس منه [على] أرجاء وادٍ رَحْب، ولم يكن كالضَّيِّق الحصحص[2] الحَصِر، يعني ابن الزَّبَير، وكان مغضَباً[3].

وقال صَفوان بن عَمرو: وقف عبد الملك بقبر معاوية، فوقف عليه فترحّم، فقال رجل: قبر مَنْ هذا؟ فقال: قبر رجل كان واللَّهِ فيما عِلمْتُه ينطق عن عِلم، ويسكت عن حِلْم، إذا أعطى أغنى، وإذا حارب أفنى، ثمّ عجّل له الدّهر ما أخّره لغيره ممّنْ بعده، هذا قبر أبي عبد الرحمن معاوية[4].

ومعاوية أوّل خليفة بايع لِولده في الإسلام[5]، وأوّل من وضع البريد[6]، وأوّل من سمّى الغالية التي تطيّبٍ من الطِّيب غالية[7]، وأوّل من عمل المقصورة في المساجد[8]، وأوّل من خطب جالساً، في قول بعضهم[9].

ذكر بيعة يزيد[10]

قيل: وفي رجب من هذه السنة بويع يزيد بالخلافة بعد موت أبيه، على ما سبق من الخلاف فيه، فلمّا تولّى كان على المدينة الوليد بن عُتْبَة بن أبي سفيان، وعلى مكّة عَمرو بن سعيد بن العاص، وعلى البصرة عُبيد الله بن زياد، وعلى الكوفة النُّعْمان بن بَشير، ولم يكن ليزيد همّة إلاّ بيعة النّفر الذين أَبَوا على معاوية بَيْعته، فكتب إلى الوليد يُخْبره بموت معاوية، وكتاباً آخر صغيراً فيه: أمّا بعدُ فخذْ حسيناً، وعبدَ الله بن عمر، وابنَ الزّبَير بالبَيعة أخْذاً ليس فيه رُخْصة حتّى يبايعوا، والسلام. فلمّا أتاه نَعْيُ معاوية فُظع به وكبر عليه وبعث إلى مروان بن الحكَم فدعاه. وكان مروان عاملاً على المدينة من قِبَل

(١) الطبري ٥/٣٣٦، ٣٣٧.
(٢) في تاريخ الطبري: «الخُضْخض».
(٣) الطبري ٦/٣٣٧.
(٤) أنساب الأشراف ج ٤ ق ١/١٥٨، ١٥٩ رقم ٤٤٣.
(٥) الأوائل للعسكري ١٥٩.
(٦) الأوائل ١٦٢.
(٧) الأوائل ١٦٢، ١٦٣.
(٨) المحاسن والمساويء ٣٦٦، والأوائل للعسكري ١٦٣.
(٩) الأوائل للعسكري ١٦٤.
(١٠) كُتب إلى جانب العنوان في نسخة راولنسون، وبخط صغير: «عليه اللعنة».

الوليد، فلمّا قدِمَها الوليد كان مروان يختلف إليه متكارهاً، فلمّا رأى الوليد ذلك منه شتمه عند جُلسائه، فبلغ ذلك مروانَ، فانقطع عنه، ولم يزل مُصارِماً له حتّى جاء نَعْيُ معاوية، فلمّا عظُم على الوليد هلاكُه وما أمر به من بَيعة هؤلاء النَّفر، استدعى مروانَ، فلمّا قرأ الكتاب بموت معاوية استرجع وترحّم عليه، واستشاره الوليد كيف يصنع. قال: أرى أن تدعوهم الساعة وتأمرهم[1] بالبيعة، فإنْ فعلوا قبلتَ منهم وكففتَ عنهم، وإنْ أبَوا ضربتَ أعناقهم قبل أن يعلموا بموت معاوية، فإنّهم إنْ علموا بموته وثب كلّ رجل منهم بناحية، وأظهر الخلاف ودعا إلى نفسه، أمّا ابن عمر فلا يرى القتال ولا يُحبّ أن يلي على الناس إلّا أن يُدْفع إليه هذا الأمرُ عفواً[2].

فأرسل الوليدُ عبدَ الله بن عمرو بن عثمان، وهو غلامٌ حَدَثٌ، إلى الحسين وابن الزُّبير يدعوهما، فوجدهما في المسجد وهما جالسان، فأتاهما في ساعةٍ لم يكن الوليد يجلس فيها للناس فقال: أجيبا الأمير. فقالا: انصرف، الآنَ نأتيه. وقال ابن الزّبير للحسين: (ما تراه بعث إلينا في هذه الساعة الّتي لم يكن يجلس فيها؟ فقال الحسين)[3]: أظنّ أنّ طاغيتهم قد هلك، فبعث إلينا ليأخذنا بالبَيعة قبل أن يفشُوَ في الناس الخبر. فقال: وأنا ما أظنّ غيره، فما تريد أن تصنع؟ قال الحسين: أجمع فتياني السّاعةَ، ثمّ أمشي إليه وأُجلسهم على الباب، وأدخل عليه. قال: فإنّي أخافه عليك إذا دخلتَ. قال: لا آتيه إلّا وأنا قادر على الامتناع.

فقام فجمع إليه أصحابه وأهل بيته، ثمّ أقبل على باب الوليد وقال لأصحابه: إنّي داخلٌ، فإذا دعوتكم أو سمعتم صوتي قد علا، فادخلوا عليّ بأجمعكم، وإلّا فلا تبرحوا حتّى أخرج إليكم. ثمّ دخل فسلّم، ومروان عنده، فقال الحسين: الصِّلة خير من القطيعة، والصُّلح خيرٌ من الفساد، وقد آن لكما أن تجتمعا، أصلح[4] الله ذات بينكما؛ وجلس، فأقرأه الوليدُ الكتابَ، ونعى له معاوية، ودعاه إلى البَيعة، فاسترجع الحسين وترحّم على معاوية وقال: أمّا البيعة فإنّ مثلي لا يبايع سرّاً، ولا يُجْتَزأ[5] بها منّي سرّاً، فإذا خرجتَ إلى الناس ودعوتَهم للبيعة ودعوتَنا معهم كان الأمر واحداً. فقال له الوليد، وكان يحبّ العافية: انصرفْ. فقال له مروان: لئن فارقك الساعة ولم يبايعْ لا قدرتَ منه على مثلها أبداً حتّى تكثُر القتلى بينكم وبينه، احبسْه، فإنْ بايع وإلّا ضربتَ عُنقه. فوثب

---

(١) في نسخة باريس: «وتأخذهم».
(٢) تاريخ الطبري ٣٣٨/٥، ٣٣٩، نهاية الأرب ٣٧٦/٢٠، ٣٧٧.
(٣) ما بين القوسين من نسخة راولنسن.
(٤) في نسخة راولنسن: «أجمع».
(٥) في نسخة راولنسون: «يجزيني».

عند ذلك الحسين وقال: ابنَ الزَّرْقاء أأنت تقتلني أم هو؟ كذبتَ والله ولؤمتَ! (ثمّ خرج حتّى أتى منزله)[1].

فقال مروان للوليد: عصيتَني، لا واللّهِ لا يُمكِنك من نفسه بمثلها أبداً. فقال الوليد: وبَخ غَيرَك[2] يا مروان، والله ما أُحبّ أنّ لي ما طلعتْ عليه الشمس وغربتْ عنه من مال الدنيا ومُلْكها وأنّي قتلتُ حسيناً إن قال: لا أبايع، والله إنّي لأظنّ أنّ امرأً يُحاسَب بدم الحسين، لَخفيف الميزان عند الله يوم القيامة. قال مروان: قد أصبتَ. يقول له هذا وهو غير حامدٍ له على رأيه.

وأمّا ابن الزُّبير فقال: الآن آتيكم. ثمّ أتى داره فكمن[3] فيها، ثمّ بعث إليه الوليدُ، فوجده قد جمع أصحابه واحترز، فألحّ عليه الوليدُ وهو يقول: أمهِلوني. فبعث إليه الوليدُ مواليه، فشتموه وقالوا له: يا ابن الكاهليّة، لَتأتينّ الأميرَ أو لَيقتُلَنَّك! فقال لهم: واللّهِ لقد استربْتُ لكثرة الإرسال، فلا تُعجلوني حتّى أبعث إلى الأمير مَن يأتيني برأيه. فبعث إليه أخاه جعفر بن الزّبَير، فقال: رحِمك الله، كُفّ عن عبد الله، فإنّك قد أفزعتَه وذعرتَهُ، وهو يأتيك غداً إن شاء الله تعالى، فمرْ رُسُلك فلينصرفوا عنه. فبعث إليهم فانصرفوا. وخرج ابن الزّبير من ليلته، فأخذ طريق الفُرْع هو وأخوه جعفر، ليس معهما ثالث، وسارا نحو مكّة، فسرّح الرجال في طلبه فلم يدركوه، فرجعوا وتشاغلوا به عن الحسين ليلتهم، ثمّ أرسل الرجال إلى الحسين فقال لهم: أصبِحوا ثمّ ترون ونرى. وكانوا يُبْقون عليه، فكفّوا عنه، فسار من ليلته.

وكان مخرج ابن الزّبير قبله بليلة، وأخذ معه بنيه وإخوته وبني أخيه وجُلّ أهل بيته، إلاّ محمد بن الحنفيّة فإنّه قال له: يا أخي أنتَ أحبّ الناس إليّ وأعزّهم عليّ، ولستُ أذخر[4] النَّصيحة لأحدٍ من الخلق أحقّ بها منك، تنحّ ببيعتك[5] عن يزيد وعن الأمصار ما استطعتَ، وابعث رُسُلَك إلى الناس، وادعُهم إلى نفسك، فإنْ بايعوا لك حمدتُ الله على ذلك، وإنْ أجمع الناس على غيرك لم يَنقص الله بذلك دِينك ولا عقلك، ولا تذهب به مُروءتك ولا فضلك، إنّي أخاف أن تأتي مصراً وجماعة من الناس، فيختلفوا

---

(١) ما بين القوسين من نسخة (راولنسن)، وانظر بعض هذا الخبر في: أنساب الأشراف ج ٤ ق ٣٠٢/١.

(٢) في طبعة صادر ١٥/٤ «ونَجّ غيرَك»، وفي نسخة باريس: «وبح غيرك»، وراولنسن: «ويح غيرك»، والتصحيح عن تاريخ الطبري ٣٤٠/٥.

(٣) في نسخة راولنسن: «فتكمّن».

(٤) في تاريخ الطبري ٣٤١/٥: «ولست أدّخر».

(٥) الطبري: «بتبِعَتِك».

عليك[1]، فمنهم طائفة معك وأخرى عليك، فيقتتلون فتكون لأوّل الأسنّة، فإذا خيرُ هذه الأمّة كلّها نفساً وأباً وأمّاً، أضيعُها دماً وأذلّها أهلاً. قال الحسين: فأين أذهب يا أخي؟ قال: انزلْ مكّة، فإنِ اطمأنّتْ بك الدّار فسبيل[2] ذلك، وإن نأتْ بك لحِقتَ بالرمال وشَعَف[3] الجبال وخرجتَ من بلد إلى بلد حتّى تنظر إلى ما يصير أمر الناس، ويَفْرُقَ لك الرأي[4]، فإنّك أصوب ما يكون رأياً وأحزمه عملاً حين تستقبل الأمور استقبالاً، ولا تكون الأمور [عليكَ] أبداً أشكل منها حين تستدبرها[5]. قال: يا أخي قد نصحتَ وأشفقتَ، وأرجو أن يكون رأيك سديداً وموفَّقاً إن شاء الله. ثمّ دخل المسجد وهو يتمثّل[6] بقول يزيد بن مُفرِّغ:

لا ذَعَرْتُ السَّوامَ في شَفَقِ[7] الصُّبـ ... ـحِ مُغيراً ولا دُعيتُ يزيدَا
يومَ أُعطى منَ المهانةِ[8] ضَيْماً ... والمَنايا يَرْصُدْنَني أن أحيدَا[9]

ولما سار الحسين نحو مكّة قرأ: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ﴾[10] الآية. فلمّا دخل مكّة قرأ: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ﴾[11] الآية.

ثمّ إنّ الوليد أرسل إلى ابن عمر ليبايع فقال: إذا بايع الناسُ بايعتُ؛ فتركوه وكانوا لا يتخوّفونه[12]. وقيل: إنّ ابن عمر كان هو وابن عبّاس بمكّة، فعادا إلى المدينة، فلقِيَهما الحسين وابن الزُّبير فسألاهما: ما وراءكما؟ فقالا: موت معاوية وبيعة يزيد. فقال ابن

---

(١) الطبري ٣٤١/٥: «إني أخاف أن تدخل مصراً من هذه الأمصار، وتأتي جماعة من الناس، فيختلفون بينهم».
(٢) الطبري ٣٤٢/٥: «فسبيل».
(٣) في نسخة راولنسن: «وشعب».
(٤) في تاريخ الطبري: «وتعرف عند ذلك الرأي»، والمثبت يتفق مع: أنساب الأشراف ج ٤ ق ٣٠٣/١.
(٥) زاد الطبري: «استدباراً». والزيادة منه.
(٦) في الطبعة الأوربية: «وهو تمثّل».
(٧) في نسخة شفري: «في فلق»، وفي أنساب الأشراف: «في وضَحَ».
(٨) في تاريخ الطبري: «المهابة»، وفي أنساب الأشراف: «يوم أعطي مخافة الموت».
(٩) البيتان في: أنساب الأشراف ج ٤ ق ٣٠٣/١، وتاريخ الطبري ٣٤٢/٥، وديوان ابن مفرّغ ٧٢، والشعر والشعراء ٢٧٩/١، وديوان الحماسة للبحتري، رقم ٣٨، والأغاني ١٨٠/١٨، و٢١١، وتهذيب تاريخ دمشق ٣٢٩/٤، ومروج الذهب ٦٤/٣، والخصائص لابن جني ٢٧٣/٣، وشرح نهج البلاغة ٣٠٢/١، ووفيات الأعيان ٣١٥/٣، ونهاية الأرب ٣٨١/٢٠.
(١٠) سورة القَصَص، الآية ٢١.
(١١) سورة القَصَص، الآية ٢٢.
(١٢) تاريخ الطبري ٣٤٢/٥.

عمر: لا تُفرّقا جماعة المسلمين. وقدِم هو وابن عبّاس المدينة. فلمّا بايع الناسُ بايعا. قال: ودخل ابن الزّبير مكّة وعليها عَمرو بن سعيد، فلمّا دخلها قال: أنا عائذٌ بالبيت. ولم يكن يصلّي بصلاتهم ولا يُفيض بإفاضتهم، وكان يقف هو وأصحابه ناحيةً[1].

ذِكر عزل الوليد عن المدينة وولاية عَمْرو بن سعيد

في هذه السنة عُزل الوليد بن عُتْبة عن المدينة، عزله يزيدُ، واستعمل عليها عمرَو بن سعيد الأشدق، فقدِمَها في رمضان، فدخل عليه أهل المدينة، وكان عظيم الكِبَر[2]. واستعمل على شُرطته عَمرو بن الزّبير لِما كان بينه وبين أخيه عبد الله من البَغْضاء، فأرسل إلى نفر من أهل المدينة، فضربهم ضرباً شديداً لهواهم في أخيه (عبد الله، منهم: أخوه المنذر بن الزُّبير، وابنه محمد بن المنذر، وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث، وعثمان بن عبد الله بن حكيم بن حِزام، ومحمّد بن عمّار بن ياسر، وغيرهم، فضربهم)[3] الأربعين إلى الخمسين إلى السّتّين.

(فاستشار عمرُو بن سعيد عمرَو بن الزّبير فيمن يرسله إلى أخيه. فقال: لا توجّهْ إليه رجلًا أنكأ له منّي. فجهّز معه الناس وفيهم أُنَيْس بن عَمرو الأسلميّ في سبعمائة، فجاء مروان بن الحكَم إلى عَمرو بن سعيد)[4] فقال له: لا تغزُ مكّة، واتّقِ الله ولا تُحلّ حرمةَ البيت، وخلّوا ابن الزّبير فقد كَبِر وله ستّون سنة، وهو لَجُوجٌ[5]. فقال عَمرو بن الزّبير: والله لَنَغْزُونّه في جوف الكعبة على رغم أنف من رَغِم.

وأتى أبو شُرَيْح الخُزاعي إلى عَمرو فقال له: لا تغزُ مكّة، فإنّي سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنّما أذن لي بالقتال فيها ساعةً من نهار، ثمّ عادت كحُرْمتها بالأمس». فقال له عمرو: نحن أعلم بحُرْمتها منك أيّها الشيخ. فسار أُنَيْس في مقدّمته[6].

وقيل: إنّ يزيد كتب إلى عَمرو بن سعيد ليرسل عَمرو بن الزُّبير إلى أخيه عبد الله، ففعل، فأرسله ومعه جيش نحو ألفَيْ رجل، فنزل أُنَيْس بذي طوى، ونزل عَمْرو بالأبْطح، فأرسل عَمرو إلى أخيه: بَرَّ يَمينَ يزيد، وكان حلف أن لا يقبل بيعته إلّا أن يؤتى به في

---

(١) تاريخ الطبري ٥/٣٤٣.
(٢) الطبري ٥/٣٤٣، أنساب الأشراف ج ٤ ق ١/٣٠٧، رقم ٨٠٦.
(٣) ما بين القوسين من نسخة باريس.
(٤) ما بين القوسين من نسخة باريس.
(٥) في نسخة راولنسن: «يحوج».
(٦) تاريخ الطبري ٥/٣٤٣، ٣٤٤، والحديث في ٣٤٦، وهو صحيح أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، نهاية الأرب ٢٠/٣٨٣.

جامعة، ويقال: حتّى أجعل في عنقك جامعة من فضّة لا تُرى، ولا يضرب الناس بعضهم بعضاً، فإنّك في بلدٍ حرام. فأرسل عبدُ الله بن الزّبير عبدَ الله بن صَفْوان نحو أُنَيْس فيمَن معه من أهل مكّة مِمَّنِ[1] اجتمع إليه، فهزمه ابن صَفْوان بذي طوًى، وأجهز[2] على جريحهم، وقُتل أُنَيس بن عَمرو، وسار مُصْعَب بن عبد الرحمن إلى عَمرو بن الزّبير، فتفرّق عن عَمرو أصحابه، فدخل دار (ابن)[3] علقمة، فأتاه أخوه عُبَيْدة فأجاره، ثمّ أتى عبد الله فقال له: إنّي قد أجرتُ عَمراً. فقال: أتُجير من حقوق الناس! هذا ما لا يصلح[4] وما أمرتُك أن تُجير هذا الفاسق المستحلّ لحُرُمات الله. ثمّ أقاد عَمراً من كلّ مَنْ ضربه إلاّ المنذر وابنه، فإنّهما أَبَيا أن يستقيدا، ومات تحت السيّاط[5].

ذكر الخبر عن مراسلة الكوفيّين الحسين بن عليّ ليسير إليهم وقتل مُسْلم بن عَقيل

لما خرج الحسين من المدينة إلى مكّة لقِيَه عبد الله بن مُطيع فقال له: جُعلتُ فِداك! أين تريد؟ قال: أمّا الآن فمكّة، وأمّا بعدُ فإنّي أستخيرُ الله. قال: خار الله لك وجعلنا فِداك! فإذا أتيتَ مكّة فإيّاك أن تقرب الكوفة، فإنّها بلدةٌ مشؤومة، بها قُتل أبوكَ، وخُذل أخوك، واغتيل بطعنةٍ كادت تأتي على نفسه، الزَم الحَرَم، فإنّك سيّدُ العرب، لا يَعْدِل بك أهلُ الحجاز أحداً، ويتداعى إليك الناسُ من كلّ جانب، لا تُفارق الحَرَم، فِداك عمّي وخالي! فواللّهِ لئن هلكتَ لنُسترَقَنّ بعدك[6].

فأقبل حتّى نزل مكّة وأهلُها مختلفون إليه، ويأتونه ومَنْ بها من المعتمرين وأهل الآفاق، وابن الزُّبير بها قد لزِم جانب الكعبة، فهو قائم يصلّي عندها عامّة النّهار، ويطوف ويأتي الحسين فيمَنْ يأتيه، ولا يزال يشير عليه بالرأي، وهو أثقل خلْق الله على ابن الزّبير، لأنّ أهل الحجاز لا يبايعونه[7] (ما دام الحسين باقياً)[8] بالبلد.

ولما بلغ أهلَ الكوفة موتُ معاوية وامتناعُ الحسين وابن عمر وابن الزُّبير عن البيعة

---

(١) في الطبعة الأوربية: «فمن».
(٢) في نسختي راولنسن وشفري: «أجاز».
(٣) من نسخة شفري، وهي ليست في تاريخ الطبري (٣٤٥/٥).
(٤) حتى هنا في تاريخ الطبري ٣٤٥/٥
(٥) الطبري ٣٤٦/٥، نهاية الأرب ٣٨٤/٢٠.
(٦) أنظر العقد الفريد ٣٧٥/٤، ٣٧٦، والخبر في: تاريخ الطبري ٣٥١/٥، ونهاية الأرب ٣٨٥/٢٠، وانظر: المحاسن والمساوىء ٥٩.
(٧) في نسخة شفري «يتابعونه».
(٨) ما بين القوسين من نسخة شفري.

أرجفوا بيزيد، واجتمعت الشيعة في منزل سليمان بن صُرَد (الخُزاعي، فذكروا مسير الحسين إلى مكّة، وكتبوا إليه عن نفر، منهم: سليمان بن صُرَد الخُزاعيّ)[1]، والمسيّب بن نَجَبَة، ورِفاعة بن شدّاد، وحَبيب بن مُطهّر[2] وغيرهم:

بسم الله الرحمن الرحيم، سلامٌ عليك، فإنّنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلّا هو، أمّا بعدُ، فالحمدُ لله الذي قصم عدوّك الجبّار العنيد الذي انتزى على هذه الأمّة فابتزّها أمرها، وغصبها فَيْئها، وتأمّر عليها بغير رِضًى منها، ثمّ قتل خيارَها، واستبقى شرارها، وإنّه ليس علينا إمامٌ، فاقبلْ لعلّ الله أن يجمعنا بك على الحقّ، والنُعمان بن بشير في قصر الإمارة لسنا نجتمع معه في جُمْعة ولا عيد، ولو بلغَنا إقبالُكَ[3] إلينا أخرجناه حتى نُلحقه بالشام إن شاء الله تعالى، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته. وسيّروا الكتاب مع عبد الله بن سَبُع الهَمْداني، وعبد الله بن والٍ؛ ثمّ كتبوا إليه كتاباً آخر، وسيّروه بعد ليلتين، فكتب الناس معه نحواً من مائة[4] وخمسين صحيفة، ثمّ أرسلوا إليه رسولاً ثالثاً يحثّونه على المسير إليهم، ثمّ كتب إليه شَبَث بن رِبْعيّ، وحَجّار بن أبْجَر، ويزيد بن الحارث بن يزيد بن رُوَيْم[5]، وعَزْرة[6] بن قيس، وعَمرو بن الحجّاج الزّبيديّ، ومحمد بن عُمَير[7] التميميّ بذلك.

فكتب إليهم الحسين عند اجتماع الكتب عنده: أمّا بعدُ فقد فهمتُ كلّ الذي اقتصصتم، وقد بعثتُ إليكم أخي وابن عمّي وثقتي من أهل بيتي مُسْلِمَ بن عَقيل، وأمرتُهُ أن يكتُب إليّ بحالكم وأمركم ورأيكم، فإنْ كتب إليّ أنّه قد اجتمع رأي ملإكم[8] وذوي الحِجَى[9] منكم على مثل ما قدمتْ به رسلكم، أقدم إليكم وشيكاً إن شاء الله، فَلَعَمري ما الإمام إلّا العامل بالكتاب والقائم بالقسط والدّائن بدِين الحقّ، والسلام.

واجتمع ناس من الشيعة بالبصرة في منزل امرأةٍ من عبد القيس يقال لها مارِيةُ بنت سعد[10]، وكانت تتشيّع، وكان منزلها لهم مألَفاً يتحدّثون فيه. فعزم يزيد بن نُبَيْط[11] على

---

(١) ما بين القوسين من نسخة باريس.

(٢) في تاريخ الطبري ٥/٣٥٢ «حبيب بن مُظاهر»، في نهاية الأرب ٢٠/٣٨٥ «مظهر».

(٣) في نسخة باريس: «انتحالك».

(٤) في نسخة باريس «مائتين».

(٥) في طبعة صادر ٤/٢١: «ويزيد بن الحارث ويزيد بن رويم»، والتصويب من الطبري ٥/٣٥٣، وانظر: أنساب الأشراف ج ٤ ق ١/٣٩٦، ونهاية الأرب ٢٠/٣٨٦.

(٦) في طبعة صادر «وعروة»، والتصويب من الطبري، وأنساب الأشراف ج ٤ ق ١/٢٥٥.

(٧) في نسختي باريس وراولنسن: «عَمرو».

(٨) في نسخة باريس: «بلادكم»، ونسخة راولنسن: «ورايكم».

(٩) في نسخة باريس «النُهى».

(١٠) في نسخة باريس «أسد».

الخـروج إلى الحسين، وهو من عبـد القيس، وكان لـه بنون عشـرة، فقال: أيّكم يخـرج معي؟ فخرج معه ابنـان له: عبـد الله وعُبيد الله، فسـاروا فقدِمـوا عليه بمكّـة، ثمّ ساروا معه، فقُتلوا معه.

ثمّ دعا الحسينُ مُسْلِمَ بن عَقيل فسيّـرهِ نحو الكـوفة، وأمـره بتقوى الله وكتْمـان أمره واللُّطْف، فإنْ رأى الناس مجتمعين له عجّل إليه بذلك. فأقبـل مسلم إلى المدينـة فصلّى في مسجـد رسـول الله ﷺ، وودّع أهله، واستـأجـر دليلَين من قيس، فـأقبـلا بـه، فضـلّا الـطريق وعطشـوا، فمات الـدليلان من العـطش وقالا لمسلم: هـذا الـطريق إلى المـاء. فكتب مسلم إلى الحسين: إنّي أقبلتُ إلى المـدينة، واستـأجرتُ دليلَين فضـلّا الـطريق، واشتدّ عليهما العطشُ فماتا، وأقبلنا حتّى انتهينا إلى الماء، فلم ننجُ إلّا بحُشاشـة أنفسنا، وذلـك الماء بمكـان يُدْعى المضيق من بـطن الخُبَيْت، وقد تـطيّـرت، فـإنْ رأيتَ أعفيتَني وبعثتَ غيري. فكتب إليه الحسين: أمّا بعدُ فقد خشيتُ أن لا يكون حملك على الكتاب إليّ إلّا الجُبْن، فامضِ لوجهك، والسلام[1].

فسار مسلم حتّى أتى الكوفَة، ونزل في دار المختار[2]، وقيل غيرها، وأقبلت الشيعةُ تختلف إليه، فكلّما اجتمعت إليه جماعة منهم قرأ عليهم كتاب الحسين فيبكون، ويَعِدُونه من أنفسهم القتـالَ والنُّصـرةَ، واختلفت [إليـه] الشيعـةُ حتّى عُلم بمكـانـه، وبلغ ذلـك النعمانَ بن بَشير، وهو أمير الكوفة، فصعِد المنبرَ فقـال: أمّا بعـدُ فلا تُسـارعوا إلى الفتنـة والفُرْقة، فإنّ فيهما تهلك الرجالُ، وتُسْفَك الدّماء، وتُغصَبُ الأموال. وكـان حليماً نـاسكاً يحبّ العافية، ثمّ قال: إنّي لا أقاتـل مَنْ لم يقاتلني، ولا أثِب على مَنْ لا يثب عليّ، ولا أنبّـه نائمكم[3]، ولا أتحـرّش بكم، ولا آخذ بـالقَرْف ولا الـظِّنّـة ولا التُّهمـة، ولكنّكم إن أبديتم صفحتكم، ونكثتم بيعتكم، وخالفتم إمامكم، فواللّهِ الـذي لا إله غيـره لأضربنّكم بسيفي ما ثبت قائمُـهُ بيدي، و[لـو] لم يكن لي منكم ناصـر ولا مُعين، أما إنّي أرجـو أن يكون من يعرف الحقّ منكم أكثر ممّنْ يُرْديه الباطل.

فقام إليه عبد الله بن مسلم بن سعيد الحضرميّ حليف بني أُميّة فقال: إنّه لا يُصْلح مـا تـرى إلّا الغَشْم[4]، إنّ هـذا الـذي أنت عليـه رأي المستضعَفين. فقـال: أكـون من

(١١) في طبعة صادر ٢١/٤ «بُنيط»، والتصويب من الطبري ٣٥٤/٥، ونهاية الأرب ٣٨٧/٢٠.

(١) تاريخ الطبري ٣٤٧/٥ ـ ٣٥٥.
(٢) هو المختار بن أبي عبيد.
(٣) في تاريخ الطبري ٣٥٦/٥: «ولا أشاتمكم» بدل «ولا أنبّه نائمكم».
(٤) الغشم: الظلم.

المستضعَفين في طاعة الله أحبّ إليّ من أن أكـون من الأعزّين[1] في معصيـة الله. ونزل. فكتب عبد الله بن مسلم إلى يزيد يُخبره بقدوم مسلم بن عَقيل الكوفة ومبـايعة النـاس له، ويقول له: إن كان لك في الكوفة حاجة فابعثْ إليها رجـلاً قويّـاً يُنفذ أمـرك، ويعمل مثـل عملك في عـدوّك، فإنّ النّعمـان رجل ضعيف، أو هـو يتضعّف. وكان هـو أوّل من كتب إليه، ثمّ كتب إليه عُمارة بن الوليد بن عُقبة، وعمر[2] بن سعد بن أبي وقّاص بنحو ذلك.

فلمّا اجتمعت الكُتُب عند يزيد دعا سَرْجونَ مولى معاوية، فأقرأه الكُتُب، واستشاره فيمن يولّيه الكوفة، وكان يزيد عاتباً على عُبيد الله بن زياد، فقال له سَرْجون: أرأيتَ لو نُشر لك معاوية كنتَ تأخذ برأيه؟ قال: نعم. قال: فـأخرِج عهـد عُبيد الله على الكـوفة. فقال: هذا رأي معاوية، ومات وقد أمر بهذا الكتاب. فأخذ برأيـه وجمعَ الكـوفةَ والبصـرة لعُبيد الله، وكتب إليه بعهـده، وسيّره إليـه مع مسلم بن عَمـرو الباهليّ والـد قُتَيبة، فـأمره بطلب مسلم بن عَقيل وبقتله أو نفْيه. فلمّا وصل كتابـه إلى عُبيد الله أمـر بالتجهّـز ليبرز[3] من الغد.

وكـان الحسين قد كتب إلى أهـل البصرة نُسْخـةً واحـدة إلى الأشـراف، فكتب إلى مـالك بن مِسمَـع البكريّ، والأحنف بن قيس، والمنـذر بن الجارود، ومسعـود بن عَمرو، وقيس بن الهَيثم، وعمرو[4] بن عبد الله بن مَعْمـر، يدعـوهم إلى كتاب الله وسُنّـة رسولـه، وأنّ السّنّة قد ماتت والبِدعة[5] قد أُحييتْ، فكلّهم كتموا كتابه إلاّ المنذر بن الجارود، فإنّـه خاف أن يكون دسيساً من ابن زياد، فأتاه بالرسول والكتاب، فضرب عنق الرسول وخطب الناسَ وقال:

أمّا بعد، فـواللّهِ ما بي تُقـرَن الصَّعبةُ[6]، ومـا يُقعقع لي بـالشِّنان، وإنّي لَنِكْـلٌ لمن عـاداني[7]، وسهْمٌ[8] لمن حاربني، وأنْصَفَ القـارةَ من راماهـا[9]، يا أهـل البصرة إنّ أميـر

---

(١) في نسخة راولنسن «الأعزة».

(٢) في طبعة صادر ٤/ ٢٢ «عمرو»، والتصويب من الطبري ٥/ ٣٥٦، وغيره.

(٣) في نسخة شفر «ليسير».

(٤) في طبعة صادر ٤/ ٢٣ «وعمر»، والتصويب من نسختي: راولنسن، وباريس، ومن الطبري ٥/ ٣٥٧.

(٥) في الطبعة الأوربية: «البديعة»، وهذا تصحيفٌ.

(٦) في نسخة راولنسن: «تقرف الضغنة».

(٧) نِكْلٌ لمن عاداني، أي شرّ له.

(٨) في طبعة صادر ٤/ ٢٣ «وسِلم»، وفي نسخة راولنسن «وهمام»، وفي تـاريخ الـطبـري ٥/ ٣٥٨ «وسَمّ»، والذي أثبتناه عن النسخة الباريسية.

(٩) أنظر مجمع الأمثال ٢/ ٢٥٧.

المؤمنين قد وَلّاني الكوفة، وأنا غادٍ إليها بالغداة، وقد استخلفت[1] عليكم أخي عثمان بن زياد، فإيّاكم والخلاف[2] والإرجاف، فواللَّهِ لئن بلغني عن رجلٍ منكم خلافٌ لأقتلنّه وعريفَه ووليَّه، ولآخذنّ الأدنى بالأقصى، حتّى تستقيموا، ولا يكون فيكم مخالف ولا مُشاقّ، وإنّي أنا ابن زياد، أشبهته من بين مَنْ وطيء الحصى، فلم ينتزعني شَبَهُ خال ولا ابن عمّ.

ثمّ خرج من البصرة ومعه مسلم بن عَمرو الباهليّ، وشَريك بن الأعور الحارثيّ، وحَشَمه وأهل بيته[3]، وكان شَريك شيعيّاً، وقيل: كان معه خمسمائة فتساقطوا عنه، فكان أوّل من سقط شَريك، ورجَوْا أن يقف عليهم ويسبقه الحسين إلى الكوفة، فلم يقف على أحدٍ منهم حتّى دخل الكوفة وحده، فجعل يمرّ بالمجالس، فلا يشكّون أنّه الحسين، فيقولون: مرحباً بك يا ابن رسول الله! وهو لا يكلّمهم، وخرج إليه الناسُ من دُورهم، فساءه ما رأى منهم، وسمع النُّعمان، فأغلق عليه الباب وهو لا يشكّ أنّه الحسين، وانتهى إليه عُبيد الله ومعه الخلق يضجّون[4]، فقال له النُّعمان: أنشدك الله ألّا تنحّيتَ عنّي! فوالله ما أنا بمسلم إليك أمانتي، وما لي في قتالك من حاجة! فدنا منه عُبيد الله وقال له: افتح لا فتحت! فسمعها إنسان خلفه، فرجع إلى الناس وقال لهم: إنّه ابن مَرْجانة. ففتح له النُّعمان فدخل، وأغلقوا الباب وتفرّق الناس، وأصبح فجلس على المنبر[5]، وقيل: بل خطَبَهم من يومه فقال[6]: أمّا بعد، فإنّ أمير المؤمنين ولّاني مِصْركم وثغركم وفَيْئكم، وأمرني بإنصاف مظلومكم، وإعطاء محرومكم، وبالإحسان إلى سامعكم ومطيعكم، وبالشدّة على مُريبكم وعاصيكم، وأنا مُتّبع فيكم أمرَه، ومُنَفِّذٌ فيكم عهده، فأنا لمحسنكم كالوالد البَرّ، ولمطيعكم كالأخ الشقيق[7]، وسيفي وسَوْطي على من ترك أمري وخالف عهدي، فلْيُبْقِ امرؤ على نفسه[8].

ثمّ نزل، فأخذ العُرَفاءَ[9] والنّاسَ أخْذاً شديداً وقال: اكتبوا إليّ الغرباء ومَنْ فيكم

---

(١) في الطبعة الأوربية: «استخلف».

(٢) في الطبعة الأوربية: «فإياكم الخلاف» بإسقاط واو العطف.

(٣) تاريخ الطبري ٣٥٥/٥ - ٣٥٨، وفي مقاتِل الطّالبيين ٩٦ إن زياداً أقبل من البصرة ومعه مسلم بن عمر الباهلي، والمنذر بن عمرو بن الجارود، وشريك بن الأعور، وحشمه وأهله.

(٤) في طبعة صادر ٢٤/٤ «يصيحون»، وما أثبتناه عن نسخة راولنسون - ونرمز إليها (ر)، وعن الطبري ٣٥٩/٥.

(٥) تاريخ الطبري ٣٥٩/٥، ٣٦٠.

(٦) الخطبة ليست في تاريخ الطبري.

(٧) في نسخة شفر - ونرمز إليها (ش) «الشفيق».

(٨) الخطبة في: مقاتل الطالبيين ٩٧.

(٩) في نسخة (ر): «الغرماء».

من طَلِبة أمير المؤمنين، ومَنْ فيكم من الحَرُوريّة وأهلِ الرِّيَب الّذين رأيهم الخلاف والشّقاق، فمَن كتبهم إليّ فبرىء، ومن لم يكتب لنا أحداً فلْيضمن لنا ما في عرافته[1] أن لا يخالفنا فيهم مخالف، ولا يبغي علينا منهم باغٍ، فمَنْ لم يفعل فبرِئت منه الذّمّة، وحلالٌ لنا دمُه ومالُه، وأيّما عريف وُجد في عرافته[2] من بُغية أمير المؤمنين أحدٌ لم يرفعه إلينا، صُلب على باب داره، وأُلقيت تلك العرافة من العطاء، وسُيّر إلى موضع بعُمان الزّارة. ثمّ نزل[3].

وسمع مسلم بمقالة عُبيد الله، فخرج من دار المختار، وأتى دار هانىء بن عُرْوَة المُراديّ، فدخل بابه واستدعى هانئاً، فخرج إليه، فلمّا رآه كرِه مكانه فقال له مسلم: أتيتُك لتُجيرني وتضيفني[4]. فقال له هانىء: لقد كلّفتني شَطَطاً، ولولا دخولك داري لأحببتُ أن تنصرف عنّي، غير أنّه يأخذني من ذلك ذِمام، ادخلْ. فآواه، فاختلفت الشيعة إليه في دار هانىء[5].

ودعا ابنُ زياد مولى له، وأعطاه ثلاثة آلاف درهم وقال له: اطلبْ مسلمَ بن عَقيل وأصحابه والْقَهم وأعطِهم هذا المال، وأعلِمْهمْ أنّك منهم واعْلمْ أخبارهم. ففعل ذلك وأتى مسلمَ بن عَوْسجة الأسديّ بالمسجد، فسمع الناس يقولون: هذا يبايع[6] للحسين، وهو يصلّي، فلمّا فرغ من صلاته قال له: يا عبد الله إنّي امرؤ من أهل الشام، أنعم اللَّهُ عليّ بحُبّ أهل هذا البيت، وهذه ثلاثة آلاف درهم أردتُ بها لقاء رجلٍ منهم بلغني أنّه قدِم الكوفة يبايع لابن بنت رسول الله ﷺ، وقد سمعتُ نفراً يقولون: إنّك تعلم أمر هذا البيت، وإنّي أتيتك لتقبض المال وتُدْخِلني على صاحبك أُبايعه، وإن شئتَ أخذتَ بَيعتي له قبل لقائي إيّاه.

فقال: لقد سرّني لقاؤك إيّاي لتنال الذي تحبّ، وينصر الله بك أهلَ بيت نبيّه، وقد ساءني معرفةُ الناس هذا الأمر منّي قبل أن يتمّ مخافة هذا الطّاغية وسطوته. فأخذ بيعته والمواثيق المعظّمة ليناصحنّ وليكتمنّ، واختلف إليه أيّاماً ليُدخله على مسلم بن عَقيل[7].

---

(١) في (ر): «عواقبه».
(٢) في (ر): «عواقب».
(٣) حتى هنا ليس في تاريخ الطبري. والنويري ينقل عن ابن الأثير ٢٠/٣٩٠، ٣٩١.
(٤) في (ر): «وتعيني».
(٥) مقاتل الطالبيين ٩٧.
(٦) في (ر): «يتابع».
(٧) مقاتل الطالبيين ٩٧، ٩٨.

ومرض هانىء بن عروة، فأتاه عُبيدُ الله يعوده، فقال له عُمارة بن عُبَيد[1] السَّلُولي: إنّما جماعتنا وكيدنا قتل هذا الطّاغية، وقد أمكنك الله فاقتلْه. فقال هانىء: ما أُحبّ أن يُقتل في داري. وجاء ابن زياد فجلس[2] عنده ثمّ خرج، فما ،كث إلاّ جُمْعَة حتّى مرض شَريك بن الأعور، وكان قد نزل على هانىء، وكان كريماً على ابن زياد وعلى غيره من الأمراء، وكان شديد التشيّع، قد شهِد صِفّين مع[3] عمّار، فأرسل إليه عُبيد الله: إنّي رائحٌ إليك العشيّة. فقال لمسلم: إنّ هذا الفاجر عائدي العشيّة، فإذا جلس اخرجْ إليه فاقتلْه، ثمّ اقعد في القصر ليس أحدٌ يحول بينك وبينه، فإنْ برئتُ من وجعي سرتُ إلى البصرة حتى أكفيك أمرها. فلمّا كان من العشيّ أتاه عُبيد الله، فقام مسلم بن عَقيل ليدخل، فقال له شَريك: لا يفوتنّك إذا جلس. فقال هانىء بن عُرْوة: لا أُحبّ أن يُقتل في داري. فجاء عُبيد الله فجلس وسأل شريكاً عن مرضه، فأطال، فلمّا رأى شَريك أنّ مسلماً لا يخرج خشي أن يفوته فأخذ يقول:

ما تنظرون بسلمى لا تُحَيّوها[4] اسقونيها[5] وإن كانَتْ بها نَفسي

فقال ذلك مرّتين أو ثلاثاً، فقال عُبيد الله: ما شأنه؟ أترونه يخلط[6]؟ فقال له هانىء: نعم، ما زال هذا دأبه[7] قُبيل الصُّبح حتّى ساعته هذه، فانصرف.

وقيل: إنّ شريكاً لما قال اسقونيها، وخلط كلامه فطن به مِهْران[8]، فغمز عُبيدَ اللّه فوثب، فقال له شَريك: أيّها الأمير إنّي أريد أن أوصّي إليك. فقال: أعود إليك. فقال له مهران: إنّه أراد قتلك. فقال: وكيف مع إكرامي له وفي بيت هانىء ويد أبي عنده؟ فقال له مهران: هو ما قلتُ لك[9].

فلمّا قام ابن زياد خرج مسلم بن عَقيل، فقال له شَريك: ما منعك من قتله؟ قال: خصلتان، أمّا إحداهما فكراهية هانىء أن يُقْتَل في منزله، وأمّا الأخرى فحديث حدّثه عليّ عن النبيّ ﷺ: إنّ الإيمان قيّد الفتك، فلا يفتك مؤمن بمؤمن. فقال له هانىء: لو

(١) في طبعة صادر ٤/٢٦ «عبد»، والمثبت يتفق مع الطبري ٥/٣٦٣، ونسخة (ر)، وفي نهاية الأرب ٢٠/٣٩١ «عُمير».
(٢) في نسخة باريس ونرمز إليها «ب»: «فمكث».
(٣) في نسخة (ب): «صفّين مع علي وعمّار».
(٤) في تاريخ الطبري ٥/٣٦٣: «ما تنتظرون بسَلْمَى أن تُحيُّوها».
(٥) في تاريخ الطبري «اسقنيها»؛ والقول في: مقاتل الطالبيين ٩٨ مختلف تماماً.
(٦) في تاريخ الطبري ٥/٣٦٣ «أترونه يهجُر».
(٧) الطبري: «دَيدنه».
(٨) تحرّف في (ب) إلى «مروان».
(٩) في الطبعة الأوربية: «قتلك».

قتلتَه لقتلتَ فاسِقاً فاجراً كافراً غادراً[١]!.

ولبث شريك بعد ذلك ثلاثاً ثمّ مات، فصلّى عليه عُبيد الله. فلمّا علم عُبيد الله أنّ شريكاً كان حرّض مسلماً على قتله قال: والله لا أصلّي على جنازة عراقيّ أبداً، ولولا أنّ قبر زياد فيهم لنبشتُ شريكاً[٢].

ثمّ إنّ مولى ابن زياد الذي دسّه بالمال اختلف إلى مسلم بن عَوْسجة بعد موت شريك، فأدخله على مسلم بن عَقيل، فأخذ بيعتَه وقبض مالَه، وجعل يختلف إليهم، ويعلم أسرارهم، وينقلها إلى ابن زياد[٣]. وكان هانىء قد انقطع عن عُبيد الله بعذر المرض، فدعا عُبيد الله محمّد بن الأشعث وأسماء بن خارجة، وقيل: دعا معهما بعَمْرو بن الحجّاج الزّبيديّ، فسألهم عن هانىء وانقطاعه، فقالوا: إنّه مريض. فقال: بلغني أنّه يجلس على باب داره وقد برأ، فالقوه فمُرُوه أن لا يدع ما عليه في ذلك.

فأتوه فقالوا له: إنّ الأمير قد سأل عنك وقال: لو أعلم أنّه شاكٍ لعُدتُهُ، وقد بلغه أنّك تجلس على باب دارك، وقد استبطأك، والجفاء لا يحتمله السلطان، أقسمنا عليك لو[٤] ركبتَ معنا. فلبس ثيابه وركب معهم. فلمّا دنا من القصر أحسّت نفسُه بالشرّ، فقال لحسّان بن أسماء بن خارجة: يا ابن أخي إنّي لهذا الرجل لخائفٌ، فما ترى؟ فقال: ما أتخوّف عليك شيئاً، فلا تجعل على نفسك سبيلاً، ولم يعلم أسماء ممّا كان شيئاً. وأمّا محمد بن الأشعث فإنّه علم به، قال: فدخل القوم على ابن زياد وهانىء معهم، فلمّا رآه ابن زياد قال لشُرَيح القاضي: أتتك بحائنٍ رِجلاه؛ فلمّا دنا منه قال عُبيد الله:

أُريدُ حيَاتَه[٥] ويُريدُ قَتلي عَذيرَكَ من خَليلِك من مُرادِ[٦]

وكان ابن زياد مُكْرِماً له، فقال هانِيء: وما ذاك؟ فقال: يا هانىء ما هذه الأمور التي تَرَبَّصُ[٧] في دارك لأمير المؤمنين والمسلمين! جئْتَ بمسلم فأدخلتَهُ دارك وجمعتَ له السّلاح والرجال، وظننتَ أنّ ذلك يخفى عَلَيَّ[٨]! قال: ما فعلتُ. قال: بلى. وطال

---

(١) مقاتل الطالبيين ٩٩.

(٢) تاريخ الطبري ٥/٣٦٣، ٣٦٤، نهاية الأرب ٢٠/٣٩١، ٣٩٢.

(٣) الطبري ٥/٣٦٤، نهاية الأرب ٢٠/٣٩٣.

(٤) في (ب): «الاما»، وفي (ش): «لما».

(٥) في تاريخ الطبري ٥/٣٦٥ «حِباءه»، وكذا في: سمط اللآلي ١٣٨.

(٦) البيت لعمرو بن معدي يكرب، وهو في: نهاية الأرب ٢٠/٣٩٤، ومقاتل الطالبيين ٩٩.

(٧) في (ر): «ترى تعد».

(٨) في الطبعة الأوربية: «يخفى لك».

بينهما النزاعَ، فدعا ابنُ زياد مولاه ذاك العين[١]، فجاء حتّى وقف بين يديه، فقال: أتعرف هذا؟ قال: نعم، وعلم هانيء أنّه كان عيناً عليهم، فسُقط في يده[٢] ساعةً، ثمّ راجعته نفسه، قال: اسمعْ منّي وصدّقني، فواللّهِ لا أكذِبُك، واللّهِ ما دعوتُهُ، ولا علمت بشيءٍ من أمره حتّى رأيته جالساً على بابي يسألني النزولَ عليّ، فاستحييتُ من ردّه، ولزمني من ذلك ذِمام، فأدخلته داري وضِفْتُهُ، وقد كان من أمره الّذي بلغك، فإنْ شئتَ أعطيتُكَ الآن موثقاً تطمئنّ به، ورهينةً تكون في يدك حتّى أنطلق وأخرجه من داري وأعود إليك. فقال: لا والله. لا تفارقني أبداً حتّى تأتيني به. قال: لا آتيك بضيفي تقتله أبداً.

فلمّا كَثُر الكلامُ قام مسلم بن عَمرو الباهليّ، وليس بالكوفة شاميّ ولا بصْريّ غيره، فقال: خلّني وإيّاه حتّى أكلّمه، لما رأى من لجاجه[٣]، وأخذ هانئاً وخلا به ناحيةً من ابن زياد بحيث يراهما، فقال له: يا هانيء أنشُدُك اللّهَ أن تقتل نفسك وتُدْخل البلاء على قومك! إنّ هذا الرجل ابن عمّ القوم، وليسوا بقاتليه ولا ضائريه، فادفعْه إليه، فليس عليك بذلك مَخْزاة ولا منقصة، إنّما تدفعه إلى السلطان! قال: بلى، واللهِ إنّ عليّ في ذلك خزْياً وعاراً، لا أدفع ضيفي وأنا صحيح شديد السّاعد كثير الأعوان، واللّهِ لو كنت واحداً ليس لي ناصر لم أدفعه حتّى أموت دونه.

فسمع ابنُ زياد ذلك فقال: أدنوه منّي. فأدنَوْه منه. فقال: والله لتأتينّي به أو لأضربنّ عُنقك! قال: إذن والله تكثر البارقة[٤] حول دارك! وهو يرى أنّ عشيرته ستمنعه. فقال: أبِالبارقة تخوّفني؟[٥]

وقيل: إنّ هانئاً لما رأى ذلك الرجل الّذي كان عيناً لعُبيد الله علم أنّه قد أخبره الخبر فقال: أيّها الأمير قد كان الّذي بلغك، ولن أُضيع يدك عندي، وأن آمِن وأهلك، فسِرْ حيثُ شئتَ. فأطرق عُبيد الله عند ذلك، ومهران قائم على رأسه، وفي يده مِعكزة، فقال: واذُلّاه! هذا الحائك يُؤمّنك في سلطانك! فقال: خذْه، فأخذ مهران ضفيرتَيْ هانيء، وأخذ عُبيد الله القضيب، ولم يزل يضرب أنفه وجبينه وخدّه حتّى كسر أنفه، وسيّل الدماء على ثيابه، ونثر لحم خدّيه وجبينه على لحيته حتّى كسر القضيب، وضرب هانيء يده إلى قائم سيف شُرطيّ وجبذه[٦]، فمُنع منه، فقال له عُبيد الله: أحَرُوريّ

(١) في (ب): «اللعين».
(٢) الطبري ٥/٣٦٦ «فسقط في خَلَدة».
(٣) الطبري «لجاجته».
(٤) البارقة: أي السيوف البارقة.
(٥) الطبري ٥/٣٦٥ ـ ٣٦٧، نهاية الأرب ٢٠/٣٩٥.
(٦) الطبري ٥/٣٦٧ «جابذه».

أحللتَ بنفسك، وحلّ لنا قتلك! ثمّ أمر به فأُلقي في بيتٍ وأُغلق عليه[1].

فقام إليه أسماء بن خارجة فقال: أرسِلْه يا غادر[2]! أمرتَنا أن نجيئك بالرجل، فلمّا أتيناك به هشمتَ وجهه وسيّلتَ دماءه، وزعمتَ أنّك تقتله. فأمر به عُبيدُ الله (فلُهِز وتُعْتِع)[3]، ثمّ تُرك فجلس. فأمّا ابن الأشعث فقال: رضينا بما رأى الأميرَ، لنا كان أو علينا[4].

وبلغ عَمرو بن الحَجّاج أنّ هانئاً قد قُتل، فأقبل في مَذْحِج حتّى أحاطوا بالقصر، ونادى: أنا عَمرو بن الحَجّاج، هذه فرسان مَذْحِج ووجوهُها، لم نخلع[5] طاعة ولم نفارق[5] جماعةً. فقال عُبيد الله لشُرَيح القاضي، وكان حاضراً: ادخُلْ على صاحبهم، فانظرْ إليه، ثمّ اخرجْ إليهم فأعلمهم أنّه حيّ. ففعل شُرَيح، فلمّا دخل عليه قال له هانيء: يا للمسلمين! أَهَلَكتْ عشيرتي؟ أين أهل الدّين؟ أين أهل النصر[6]؟ أيخلُّونني[7] وعدوّهم وابن عدوّهم! وسمع الضّجة فقال: يا شُرَيح إنّي لأظنّها أصوات مَذْحِج وشيعتي من المسلمين، إنّه إن دخل عليّ عشرةُ نفر أنقذوني. فخرج شُرَيح ومعه عين[8] أرسله ابن زياد، قال شُريح: لولا مكان العين لأبلغتهم قول هانيء. فلمّا خرج شُريح إليهم قال: قد نظرتُ إلى صاحبكم، وإنّه حيّ لم يُقتَل. فقال عَمرو وأصحابه: [فأمّا] إذ لم يُقتَل فالحمد لله! ثمّ انصرفوا[9].

وأتَى الخبرُ مسلمَ بن عَقيل، فنادى في أصحابه: يا منصور أمِتْ! وكان شعارهم، وكان قد بايعه ثمانية عشر ألفاً، وحوله في الدُّور أربعة آلاف، فاجتمع إليه ناسٌ كثير، فعقد مسلم لعبد الله بن عُزَير[10] الكِنْديّ على رُبْع كِندة وقال: سِرْ أمامي، وعقد لمسلم بن عَوْسجة الأسديّ على رُبع مَذْحِج وأسد، وعقد لأبي ثُمامة الصّائديّ[11] على

---

(١) الطبري ٣٦٧/٥، نهاية الأرب ٣٩٥/٢٠، ٣٩٦.

(٢) في (ب): «فقال: «أرسِله يا غدر ساير اليوم»، وفي تاريخ الطبري ٣٦٧/٥ «أُرْسُل غدرٍ سائر اليوم».

(٣) في (ر): «فارفعوه» بدل «فلُهِز وتُعتع».
ولَهَزَه لَهْزاً: ضربه بجمعه في لهازمه.

(٤) الطبري ٣٦٧/٥، نهاية الأرب ٣٩٦/٢٠.

(٥) الطبري ٣٦٧/٥: «لم تخلع... تفارق».

(٦) في (ش)، والطبري: «أهل المصر».

(٧) في الطبعة الأوربية: «أيحزرونني».

(٨) هو: «حُمَيد بن بكير الأحمريّ» كما في تاريخ الطبري ٣٦٨/٥.

(٩) الطبري ٣٦٧/٥، ٣٦٨، نهاية الأرب ٣٩٦/٢٠.

(١٠) في تاريخ الطبري ٣٦٩/٥ «لعبيد الله بن عمرو بن عزيز».

(١١) في (ر): «الصيدواني».

رُبع تميم وهَمْدان، وعقد لعبّاس بن جَعْدَة الجَدَلي على رُبْع المدينة، وأقبل نحو القصر. فلمّا بلغ ابنَ زياد إقبالُه تحرّز في القصر، وأغلق الباب، وأحاط مسلم بالقصر، وامتلأ المسجد والسّوق من الناس، وما زالوا يجتمعون حتّى المساء، وضاق بعُبيد الله أمره، وليس معه في القصر إلاّ ثلاثون رجلاً من الشُّرَط، وعشرون رجلاً من الأشراف وأهل بيته ومواليه، وأقبل أشراف الناس يأتون ابن زياد من قِبَل الباب الذي يلي دار الروميّين، والناس يسبّون ابن زياد وأباه. فدعا ابنُ زياد كثيرَ بن شهاب الحارثيّ، وأمره أن يخرج فيمن أطاعَه من مَذْحِج، فيسير ويُخَذِّل الناسَ عن ابن عَقيل ويخوّفهم، وأمر محمّدَ بن الأشعث أن يخرج فيمَن أطاعه من كِنْدة وحضْرَمَوْت، فيرفع راية أمانٍ لمن جاءه من الناس، وقال مثلَ ذلك للقعقاع بن شَوْر الذُّهْليّ، وشَبَث بن رِبْعيّ التميميّ، وحجّار بن أبجر العِجْلي، وشِمر بن ذي الجَوْشن الضبابيّ[1]، وترك وجوه الناس عنده استئناساً بهم[2] لقلّة مَنْ معه. وخرج أولئك النَّفَر يخذّلون[3] الناس[4]، وأمر عُبيد الله مَنْ عنده من الأشراف أن يُشرفوا على الناس من القصر، فيُمَنّوا أهل الطاعة ويخوّفوا أهل المعصية، ففعلوا، فلمّا سمع الناس مقالة أشرافهم أخذوا يتفرّقون، حتّى إنّ المرأة تأتي ابنها وأخاها وتقول: انصرفْ، الناس يكفونك، ويفعل الرجل مثل ذلك، فما زالوا يتفرّقون حتّى بقي ابن عَقيل في المسجد في ثلاثين رجلاً[5].

فلمّا رأى ذلك خرج متوجّهاً نحو أبواب كِنْدة، فلمّا خرج [إلى] الباب لم يبقَ معه أحد، فمضى في أزقّة الكوفة لا يدري أين يذهب، فانتهى إلى باب امرأة من كِنْدة يقال لها طَوْعَةُ أمّ ولد كانت للأشعث، وأعتقها فتزوّجها أسيد الحضرميّ، فولدت له بِلالاً، وكان بلال قد خرج مع الناس وهي تنتظره، فسلّم عليها ابن عَقيل، وطلب الماء فسقته، فجلس، فقالت له: يا عبد الله ألم تشرب؟ قال: بلى. قالت: فاذهب إلى هلك، فسكت، فقالت له ثلاثاً فلم يبرح، فقالت: سبحان الله! إنّي لا أُحلّ لك الجلوس على بابي. فقال لها: ليس لي في هذا المِصْر منزل ولا عشيرة، فهل لكِ إلى أجر ومعروف، ولعلّي أكافئك به بعد اليوم؟ قالت: وما ذاك؟ قال: أنا مسلم بن عَقيل، كذّبني هؤلاء القوم وغرّوني. قالت: ادخلْ. فأدخلتْه بيتاً في دارها، وعرضت عليه العَشاء فلم يتعشّ. وجاء ابنُها فرآها تكثر الدخول في ذلك البيت، فقال لها: إنّ لك لشأناً في ذلك البيت.

---

(١) الطبري ٥/٣٦٩ «العامري».
(٢) الطبري «استيحاشاً لهم».
(٣) في (ر): «يحدّثون».
(٤) الطبري ٥/٣٦٩، نهاية الأرب ٢٠/٣٩٧، ٣٩٨.
(٥) مقاتل الطالبيين ١٠١، ١٠٢.

وسألها فلم تُخْبره، فألحّ عليها فأخبرته واستكتمته وأخذت عليه الأيمان بذلك، فسكت[1].

وأمّا ابن زياد فلمّا لم يسمع الأصوات قال لأصحابه: انظروا هل ترون منهم أحداً؟ فنظروا فلم يروا أحداً، فنزل إلى المسجد قُبيل العتمة، وأجلس أصحابه حول المنبر وأمر فنودي: [ألا] برئت الذمّة من رجل من الشُّرَط والعُرفاء والمناكب والمقاتلة صلّى العتمة إلّا في المسجد. فامتلأ المسجد، فصلّى بالناس، ثمّ قام فحمد الله ثمّ قال: أمّا بعد فإنّ ابن عَقيل السَّفيه الجاهل، قد أتى ما رأيتم من الخلاف والشقاق، فبرئت الذّمّةُ من رجلٍ وجدناه في داره، ومَنْ أتانا به فله دِيَته. وأمرهم بالطّاعة ولزومها، وأمر الحُصَين بن تميم أن يمسك أبواب السّكك ثمّ يفتّش الدُّور، وكان على الشُّرَط، وهو من بني تميم[2].

ودخل ابن زياد، وعقد لعَمْرو بن حُرَيْث وجعله على الناس، فلمّا أصبح جلس للناس. ولما أصبح بلال ابنُ تلك العجوز الّتي آوت مسلم بن عَقيل أتى عبدَ الرحمن بن محمد بن الأشعث، فأخبره بمكان ابن عَقيل، فأتى عبدُ الرحمن أباه، وهو عند ابن زياد، فأسرَّ إليه[3] بذلك، فأخبر به محمدٌ ابنَ زياد، فقال له ابن زياد: قمْ فأتني به الساعة، وبعث معه عَمرو بن عُبيد الله بن عبّاس السُّلَميّ في سبعين من قيس، حتّى أتوا الدّار الّتي فيها ابن عَقيل. فلمّا سمع الأصوات عرف أنّه قد أُتي، فخرج إليهم بسيفه حتّى أخرجهم من الدار، ثمّ عادوا إليه فحمل عليهم فأخرجهم مراراً، وضرب بُكَيْرُ بن حُمران الأحمريّ فَمَ مسلم، فقطع شفته العليا وسقطت[4] ثنيّتاه، وضربه مسلم على رأسه، وثنّى بأخرى على حبل العاتق كادت تطلعُ على جوفه، فلمّا رأوا ذلك أشرفوا على سطح البيت، وجعلوا يرمونه بالحجارة ويُلهبون النار في القصب، ويُلْقونها عليه. فلمّا رأى ذلك خرج عليهم بسيفه، فقاتلهم في السّكة، فقال له محمد بن الأشعث: لك الأمان، فلا تقتل نفسك! فأقبل يقاتلهم وهو يقول:

أقسمتُ لا أُقتَلُ إلّا حُرّا ... وإنْ رأيتُ الموْتَ شَيئاً نُكْرَا
أوْ يخلط البارد سُخناً مُرّا ... ردّ شعاع الشّمسِ[5] فاستقرّا
كلُّ امريٍ يوْماً يُلاقي[6] شرّا ... أخافُ أن أُكذَبَ أوْ أُغرّا[7]

(١) الطبري ٥/٣٧١، ٣٧٢، نهاية الأرب ٢٠/٣٩٨، ٣٩٩، مقاتل الطالبيين ١٠٢.
(٢) الطبري ٥/٣٧٢، ٣٧٣.
(٣) في الطبعة الأوربية: «فأسرّه».
(٤) الطبري ٥/٣٧٣ «ونصلت».
(٥) في (ش): «النفس».
(٦) الطبري: «مُلاقٍ».
(٧) الأبيات عند الطبري ٥/٣٧٤:

فقال له محمد: إنّك لا تُكذَب ولا تُخْدَع، القوم بنو عمّك وليسوا بقاتليك ولا ضاربيك[1]. وكان قد أُثخِن بالحجارة، وعجز عن القتال، فأسند ظهره إلى حائط تلك الدار، فآمنه ابن الأشعث والناس غير عَمرو بن عُبيد الله السُّلَميّ فإنّه قال: لا ناقة لي في هذا ولا جَمَل، وأُتي ببغلةٍ، فحُمل عليها، وانتزعوا سيفه، فكأنّه أيس من نفسه، فدمَعَت عيناه ثمّ قال: هذا أوّل الغدر. قال محمد: أرجو أن لا يكون عليك بأس. قال: وما هو إلّا الرجاء، أين أمانُكم؟ ثمّ بكى. فقال له عَمْرو بن عُبيد الله بن عبّاس السُّلَميّ: مَنْ يطلبْ مثل الذي تطلب إذا نزل به مثل الّذي نزل بك لم يبكِ! فقال: ما أبكي لنفسي، ولكنّي أبكي لأهلي المنقلبين[2] إليكم، أبكي للحسين وآل الحسين. ثمّ قال لمحمد بن الأشعث: إنّي أراك ستعجز عن أماني، فهل تستطيع أن تبعث من عندك رجلاً يُخبر الحسين بحالي ويقول له عنّي ليرجع بأهل بيته ولا يغرّه أهل الكوفة، فإنّهم أصحاب أبيك الّذين كان يتمنى فراقهم بالموت أو القتل؟ فقال له ابن الأشعث: والله لأفعلنّ! ثمّ كتب بما قال مسلم إلى الحسين، فلقيه الرسول بزُبالة[3] فأخبره، فقال: كلّما قُدر نازلٌ عند الله نحتسب أنفسنا وفساد أمّتنا[4].

وكان سبب مسيره من مكّة كتاب مسلم إليه يُخبره أنّه بايعه ثمانية عشر ألفاً ويستحثّه للقدوم. وأمّا مسلم فإنّ محمّداً قدِم به القصر، ودخل محمد على عُبيد الله فأخبره الخبر وأمانه له، فقال له عُبيد الله: ما أنت والأمان! ما أرسلناك لتؤمّنه، إنّما أرسلناك لتأتينا به! فسكت محمد[5].

ولما جلس مسلم على باب القصر رأى جرّةً فيها ماء بارد، فقال: اسقوني من هذا الماء. فقال له مسلم بن عَمرو الباهليّ: أتراها ما أبردها! والله لا تذوق منها قطرةً حتّى تذوق الحميمَ في نار جهنّم! فقال له ابن عَقيل: مَنْ أنت؟ قال: أنا مَنْ عرف الحقّ إذ

= «أقسمت... ... نُكْرا»
كلُّ امرىءٍ يوماً مُلاقٍ شرا ويُخلط البارد سُخناً مُرّا
رُدّ شعاع الشمس فاستقرا أخاف أن أكذب أو أُغرا»

وفي مروج الذهب ٦٨/٣ البيتان الأول والثالث، والثلاثة في: نهاية الأرب ٢٠/٤٠٠، وانظر: كتاب الفتوح لابن أعثم ٩٤/٥ ففيه اختلاف بالألفاظ، ومقاتل الطالبيين ١٠٤.

(١) في (ب): «ضايريك».
(٢) في (ب): «المقبلين»، وفي (ر): «المنتقلين».
(٣) زُبالة: بضم أوله، منزل معروف بطريق مكة من الكوفة، وهي قرية عامرة بها أسواق بين واقصة والثعلبية. (معجم البلدان ١٢٩/٣).
(٤) الطبري ٣٧٥/٥، مقاتل الطالبيين ١٠٤، ١٠٥.
(٥) الطبري ٣٧٥/٥، نهاية الأرب ٤٠١/٢٠.

تركتَهُ[1]، ونصح الأمّة والإمام إذ غششته، وسمع وأطاع إذ عصيتَهُ، أنا مسلم بن عَمرو. فقال له ابن عَقيل: لأُمّك الثُكْل ما أجفاك وأفظّك[2] وأقسى قلبك وأغلظك! أنتَ يا ابن باهلة أَوْلَى بالحميم والخلود في نار جهنّم منّي! قال: فدعا عُمارة بن عُقْبَة بماء بارد، فصبّ له في قدحٍ، فأخذ ليشرب، فامتلأ القدح دماً، ففعل ذلك ثلاثاً، فقال: لو كان من الرّزق المقسوم شربته[3].

وأُدْخل على ابن زياد فلم يسلّم عليه بالإمارة، فقال له الحَرَسيّ: ألا تسلّم على الأمير؟ فقال: إن كان يريد قتلي فما سلامي عليه، وإن كان لا يريد قتلي فليكثُرَنّ تسليمي عليه. فقال له ابن زياد: لَعَمْري لَتُقْتَلَنّ! فقال: كذلك؟ قال: نعم. قال: فدَعْني أوصّي[4] إلى بعض قومي. قال: افعلْ. فقال لعمر بن سعد: إنّ بيني وبينك قرابة، ولي إليك حاجة، وهي سرّ، فلم يمكّنه من ذِكْرِها، فقال له ابن زياد: لا تمتنع من حاجة ابن عمّك. فقام معه فقال: إنّ عليّ بالكوفة دَيْناً استدنته [منذ قدِمت الكوفة] سبعمائة درهم، فاقضِها عنّي، وانظرْ جثّتي فاستوهبْها فوارِها، وابعثْ إلى الحسين مَنْ يردّه.

فقال عمر لابن زياد: إنّه قال كذا وكذا. فقال ابن زياد: لا يخونك الأمين ولكن قد يؤتمن الخائن، أمّا مالك فهو لك تصنع به ما شئتَ، وأمّا الحسين فإن لم يُرِدْنا لم نُرِدْه، وإن أرادنا لم نكفّ عنه، وأمّا جثّته فإنّا لن نُشفّعك فيها، وقيل إنّه قال: أمّا جثّته فإنّا إذا قتلناه لا نبالي ما صُنع بها.

ثمّ قال لمسلم: يا ابنَ عَقيلٍ أتيتَ الناس، وأمرهم جميع، وكلمتهم واحدة لتشتّت بينهم وتفرّق كلمتهم! فقال: كَلّا، ولكنّ أهل هذا المِصْر زعموا أنّ أباك قتل خيارهم وسفك دماءهم، وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم لنأمر بالعدل وندعو إلى حُكْم الكتاب والسنّة. فقال: وما أنتِ وذاك يا فاسق؟ ألم يكن يُعْمَل بذلك فيهم إذ أنت تشرب الخمر بالمدينة؟ قال: أنا أشرب الخمر! واللّهِ إنّ الله يعلم أنّك تعلم أنّك غير صادق، وأنّي لستُ كما ذكرتَ، وإنّ أحقّ الناس بشرب الخمر منّي مَن يَلَغُ في دماء المسلمين، فيقتل النفس الّتي حرّم الله قتْلها على الغضب والعداوة، وهو يلهو ويلعب كأنّه لم يصنع شيئاً. فقال له ابن زياد: قتلني الله إن لم أقتلك قِتلةً لم يُقتلها أحدٌ في الإسلام! قال: أما إنّك أحقّ من أحدث في الإسلام ما ليس فيه، أمّا إنّك لا تدع سوء القِتْلة، وقُبح المُثْلة، وخُبث السّيرة، ولُؤم الغلبة، ولا أحد من الناس أحقّ بها منك. فشتمه ابن زياد وشتم

---

(١) الطبري ٥/٣٧٦ «إذ أنكرته».

(٢) في (ب): «وأقطعك».

(٣) مقاتل الطالبيين ١٠٦.

(٤) الطبري: «فدعني أوصِ».

الحسين وعليّاً وعَقيلاً، فلم يكلّمه مسلم، ثمّ أمر به فأُصعِد فوق القصر لتُضرب رقبته، ويُتْبعوا رأسَه جسَدَه، فقال مسلم لابن الأشعث: واللّهِ لولا أمانك ما استسلمتُ، قمْ بسيفك دوني، قد أخفرت ذمّتك. فأُصعِد مسلم فوق القصر وهو يستغفر ويسبّح، وأُشرف به على موضع الحذّائين[1] فضُربت عنقه، وكان الذي قتله بُكَيْر بن حُمران الّذي ضربه مسلم، ثمّ أتبع رأسه جسده[2].

فلمّا نزل بُكير قال له ابن زياد: ما كان يقول وأنتم تصعدون به؟ قال: كان يسبّح ويستغفر، (فلمّا أدنيتُه لأقْتُله)[3] قلتُ له: ادنُ منّي، الحمد لله الذي (أمكن منك)[4] وأقادني منك! فضربتُه ضربة لم تُغنِ شيئاً، فقال: أما ترى في خدشٍ تخدشنيه وفاء من دمك أيّها العبد؟ فقال ابن زياد: وفخراً عند الموت! قال: ثمّ ضربتُه الثّانية فقتلته.

وقام محمد بن الأشعث فكلّم ابن زياد في هانىء وقال له: قد عرفتَ منزِلته في المِصر وبيته، وقد علم قومه أنّي أنا وصاحبي سُقْناه إليك، فأنشدك اللّهَ لما وهبتَه لي، فإنّي أكره عداوةَ قومه. فوعده أن يفعل. فلمّا كان من مسلم ما كان، بدا له، فأمر بهانىء حين قُتل مسلم، فأُخرج إلى السّوق فضُربت عُنقه، قتله مولى تركيٌّ لابن زياد. قال: (فبصُر به)[5] عبد الرحمن بن الحُصَين المُراديّ بعد ذلك بخازِر[6] مع ابن زياد فقتله. فقال عبد الله بن الزَّبِير الأَسَديّ في قتل هانىء ومسلم، وقيل قاله الفرزدق، (الزَّبِير بفتح الزّاي وكسر الباء الموحّدة):

فإن كنتِ لا تدرينَ ما المَوْتُ فانظري ... إلى هانىء في السُّوق وابنِ عَقيلِ
إلى بَطَلٍ قد هَشَّمَ السَّيفُ وجهَهُ ... وآخرَ يَهوي من طَمارِ قتيلِ[7]

وهي أبيات. وبعث ابن زياد برأسَيهما إلى يزيد، فكتب إليه يزيد يشكره ويقول له: وقد بلغني أنّ الحسين قد توجّه نحو العراق، فضع المراصد والمسالح واحترسْ، واحبسْ

---

(١) في الطبري ٥/٣٧٨: «على موضع الجزّارين اليوم».
(٢) نهاية الأرب ٢٠/٤٠٢، ٤٠٣، مقاتل الطالبيين ١٠٦، ١٠٧.
(٣) في الطبعة الأوربية: «فلما قتلته»، وما بين القوسين من: (ب) و(ش).
(٤) من (ب) و(ش).
(٥) في (ش): «فضربه».
(٦) في (ر): «يحارب». وخازِر: بزاي مكسورة ثم راء، وهو نهر بين إربل والموصل ثم بين الزاب الأعلى والموصل. (معجم البلدان ٢/٣٣٧).
(٧) البيتان في تاريخ الطبري ٥/٣٧٩، ٣٨٠ وفيه تتمّة: وكذلك في: مروج الذهب ٣/٦٩، وانظر: تهذيب تاريخ دمشق ٤/٣٣٩، ٣٤٠ والأخبار الطوال للدينوري ٢٤٢، وطبقات ابن سعد ٤/٢٩، ومقاتل الطالبيين ١٠٨.

على التُّهمة، وخُذْ على الظِّنَّة، غير أن لا تقتل إلاّ مَنْ قاتلك[1].

وقيل: وكان مخرج ابن عَقيل بالكوفة لثماني ليالٍ مَضَيْن من ذي الحجّة سنة ستّين، وقيل: لتسعٍ مضين منه[2]، قيل: وكان فيمن خرج معه المختار بن أبي عُبيد، وعبد الله بن الحارث بن نَوفل، فطلبهما ابن زياد وحبسهما، وكان فيمَنْ قاتل مسلماً محمّد بن الأشعث، وشَبَث بن رِبعيّ التميميّ، والقعقاع بن شَوْر، وجعل شبث يقول: انتظروا بهم الليل يتفرّقوا، فقال له القعقاع: إنّك قد سددتَ عليهم وجه مهربهم، فافرجْ لهم يتفرّقوا[3].

ذكر مسير الحسين إلى الكوفة

قيل: لما أراد الحسينُ المسيرَ إلى الكوفة بكتب أهل العراق إليه أتاه عمر[4] بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وهو بمكّة، فقال له: إنّي أتيتُك لحاجةٍ أريد ذِكرَها نصيحةً لك، فإنْ كنتَ ترى أنّك مستنصحي قلتُها وأدّيتُ ما عليّ من الحقّ فيها، وإنْ ظننتَ أنّك لا مستنصحي كففتُ عمّا أريد. فقال له: قلْ، فَوَاللّهِ ما أستغشّك، وما أظنّك بشيءٍ من الهوى[5]. قال له: قد بلغني أنّك تريد العراق، وإنّي مشفقٌ عليك، إنّك تأتي بلداً فيه عمّاله وأمراؤه ومعهم بيوت الأموال، وإنّما الناس عبيد الدُّنيا والدِّرهم، فلا آمن عليك أن يقاتلك مَنْ وعدك نصرَه، ومَنْ أنت أحبّ إليه ممّنْ يقاتلك معه. فقال له الحسين: جزاك الله خيراً يا ابنَ عمّ، فقد علمتُ أنّك مشيتَ بنُصح، وتكلّمتَ بعقل، ومهما يُقْضَ من أمرٍ يكن، أخذتُ برأيك أو تركتُهُ، فأنت عندي أحمد مشير، وأنصح ناصح[6].

قال: وأتاه عبد الله بن عبّاس فقال له: قد أرجف الناس أنّك سائر إلى العراق، فبَيِّنْ لي ما أنت صانع؟ فقال له: قد أجمعتُ السَّير في أحد يوميّ هذين إن شاء الله تعالى. فقال له ابن عبّاس: فإنّي أُعيذك بالله من ذلك، خبّرْني، رحِمك الله، أتسير إلى قوم قتلوا أميرهم، وضبطوا بلادهم، ونفَوا عدوّهم؟ فإنْ كانوا فعلوا ذلك فسِرْ إليهم، وإنْ كانوا إنّما دَعَوك إليهم، وأميرهم عليهم قاهر لهم، وعمّاله تجبي بلادهم، فإنّما دَعَوْك إلى

---

(١) الطبري ٥/٣٨١، نهاية الأرب ٢٠/٤٠٣.
(٢) الطبري ٥/٣٨١.
(٣) الطبري ٥/٣٨١ بألفاظ مختلفة عما هنا، وزيادة.
(٤) في (ب) و (ش): «عمرو».
(٥) الطبري ٥/٣٨٢ «قل: فوالله ما أظنّك بسيء الرأي».
(٦) الطبري ٥/٣٨٢، نهاية الأرب ٢٠/٤٠٦.

الحربِ، ولا آمن عليك أن يغرّوك ويكذّبوك، ويخالفوك ويخذلوك، ويستنفروا إليك، فيكونوا أشدّ الناس عليك. فقال الحسين: فإنّي أستخير الله، وأنظر ما يكون[1].

فخرج ابن عبّاس وأتاه ابن الزّبير فحدّثه ساعةً ثمّ قال: ما أدري ما تَركْنا هؤلاء القوم وكفّنا عنهم، ونحن أبناء المهاجرين ووُلاة هذا الأمر دونهم، خبِّرْني ما تريد أن تصنع؟ فقال الحسين: لقد حدّثتُ نفسي بإتيان الكوفة، ولقد كتبت إليّ شيعتي بها وأشراف الناس، وأستخير الله. فقال له ابن الزّبير: أما لو كان لي بها مثل شيعتك لما عدلتُ عنها. ثمّ خشي أن يتّهمه فقال له: أما إنّك لو أقمت بالحجاز ثمّ أردتَ هذا الأمر ههنا لما خالفنا عليك[2]، وساعدناك[3] وبايعناك ونصحنا لك. فقال له الحسين: إنّ أبي حدّثني أنّ لها كبشاً به تُستحلّ حُرمتها، فما أُحبّ أن أكون أنا ذلك الكبش. قال: فأقِمْ إن شئتَ، وتولّيني أنا الأمر فتُطاع ولا تُعصَى. قال: ولا أريد هذا أيضاً. ثمّ إنّهما أخفيا كلامهما [دوننا]، فالتفت الحسين إلى مَنْ هناك وقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا ندري، جَعَلَنا الله فِداك! قال: إنّه يقول: أقِمْ في هذا المسجد أجمع لك الناس، ثمّ قال له الحسين: واللّهِ لئن أُقتل خارجاً منها بشِبْر أحبّ إليّ من أن أُقتل فيها، ولأن أُقتَل خارجاً منها بشبرَين[4] أحبّ إليّ من أن أُقتل خارجاً منها بشبر، وايْمُ الله لو كنتُ في جُحر[5] هامّة من هذه الهوامّ لاستخرجوني حتّى يقضوا بي حاجتهم! والله ليعتدُنّ عليّ كما اعتدتِ اليهود في السبت[6]. فقام ابن الزّبير فخرج من عنده[7].

فقال الحسين: إنّ هذا ليس شيء من الدنيا أحبّ إليه من أن أخرج من الحجاز، وقد علم أنّ الناس لا يعدلونه بي، فودّ أنّي خرجتُ حتّى يخلوَ له[8].

قال: فلمّا كان من العشيّ أو من الغد أتاه ابنُ عبّاس فقال: يا ابنَ عمّ، إنّي أتصبّر ولا أصبر، إنّي أتخوّف عليك في هذا الوجه الهلاكَ والاستئصال، إنّ أهل العراق قوم غُدُر فلا تقربنّهم، أقِمْ في هذا البلد فإنّك سيّد أهل الحجاز، فإنْ كان أهل العراق يريدونك كما زعموا، فاكتب إليهم فلْينفوا عاملهم وعدوّهم، ثمّ أقدِمْ عليهم، فإنْ أبيتَ

(١) الطبري ٥/٣٨٣، نهاية الأرب ٢٠/٤٠٦، ٤٠٧.
(٢) حتى هنا عند الطبري ٥/٣٨٣.
(٣) من هنا عند الطبري ٥/٣٨٤.
(٤) الطبري ٥/٣٨٥ «بشبر».
(٥) في الطبعة الأوربية: «حجر».
(٦) الطبري ٥/٣٨٤، ٣٨٥.
(٧) نهاية الأرب ٢٠/٤٠٧.
(٨) الطبري ٥/٣٨٣.

إلاّ أن تخرج فسِرْ إلى اليمن، فإنّ بها حصوناً وشِعاباً، وهي أرضٌ عريضة طويلة، ولأبيك بها شيعة، وأنت عن الناس في عُزْلة، فتكتب إلى الناس وترسل، وتبثّ دعاتك[1]، فإنّي أرجو أن يأتيك عند ذلك الّذي تحبّ في عافية.

فقال له الحسين: يا ابن عمّ إنّي واللّهِ لأعلم أنّك ناصح مشفق، وقد أزمعتُ وأجمعتُ المسير. فقال له ابن عبّاس: فإن كنتَ سائراً فلا تسِرْ بنسائك وصِبْيتك، فإنّي لخائف أن تُقْتَل كما قُتل عثمان، ونساؤه وولدُه ينظرون إليه. ثمّ قال له ابن عبّاس: لقد أقررتَ عين ابن الزّبير بخروجك من الحجاز، وهو اليوم لا ينظر إليه أحدٌ معك، والله الذي لا إله إلاّ هو، لو أعلم أنّك إذا أخذتُ بشعرِك وناصيتك حتّى يجتمع علينا الناس أطعتَني فأقمتَ، لفعلتُ ذلك.

ثمّ خرج ابن عبّاس من عنده، فمرّ بابن الزّبير فقال: قرّت عينك يا ابن الزّبير! ثمّ أنشد قائلاً:

يا لكِ مِنْ قُبّرَةٍ بمَعْمرِ خلا لكِ الجوُّ فبيضي واصفِري
ونَقّري ما شِئتِ أنْ تُنَقّري[2]

هذا الحسين يخرج إلى العراق ويُخلّيك والحجاز[3].

قيل: وكان الحسين يقول: والله لا يَدَعونني حتّى يستخرجوا هذه العَلَقَة من جوفي، فإذا فعلوا، سلّط اللّهُ عليهم من يُذلّهم، حتّى يكونوا أذلّ من فَرْم المرأة. قال: والفَرْم خِرْقة تجعلها المرأة في قُبُلها إذا حاضت.

ثمّ خرج الحسين يومَ التّروية، فاعترضه رسلُ عمرو بن سعيد بن العاص، وهو أمير على الحجاز ليزيد بن معاوية مع أخيه يحيَى، يمنعونه، فأَبَى عليهم ومضى، وتضاربوا بالسياط، وامتنع الحسين وأصحابه وساروا، فمرّوا بالتّنعيم، فرأى بها عِيراً قد أقبلت من اليمن، بعث بها بَحير بن رَيْسان[4] من اليمن إلى يزيد بن معاوية، وكان عامله على اليمن، وعلى العير الوَرْس والحُلل، فأخذها الحسين وقال لأصحاب الإبل: مَنْ أحبّ

(١) في طبعة صادر ٣٩/٤ «دعاءك»، وما أثبتناه عن الطبري ٣٨٤/٥، ومروج الذهب ٦٤/٣.
(٢) يُنسب هذا الرجز إلى طُرفة بن العبد، أنظر: مُلحق ديوانه ١٩٣.
(٣) الطبري ٣٨٤/٥ وفيه: «وعليك بالحجاز»، والمثبت يتفق مع مروج الذهب ٦٥/٣، وانظر: تهذيب تاريخ دمشق ٣٣٤/٤، وسير أعلام النبلاء ٢٩٧/٣، والبداية والنهاية ١٦٠/٨، ونهاية الأرب ٤٠٩/٢٠، والفتوح لابن أعثم ١١٤/٥، ١١٥، وسمط النجوم العوالي ٦٣/٣ والأخبار الطوال للدينوري ٢٤٤، ومقاتل الطالبيين ١١٠.
(٤) في (ب) و (ا): «ريان».

منكم أن يمضي معنا إلى العراق أوفَينا كِراءه وأحسنّا صُحْبته، ومَنْ أحبّ أن يفارقنا من مكاننا أعطيناه نصيبه من الكِراء؛ فمَن فارق منهم أعطاه حقّه، ومن سار معه أعطاه كِراءه وكساه[1].

ثمّ سار، فلمّا انتهى إلى الصِّفَاح لقيه الفرزدق الشاعر، فقال له: أعطاك اللّهُ سُؤلك وأملك فيما تحبّ. فقال له الحسين: بيِّن لي خبر الناس خلفك قال: الخبيرَ سألتَ، قلوبُ الناس معك، وسيوفهم مع بني أميّة، والقضاء ينزل من السماء، والله يفعل ما يشاء. فقال الحسين: صدقتَ، لله الأمرُ، يفعل ما يشاء، وكلّ يوم ربّنا في شأن، إنْ نزل القضاء بما نحبّ، فنحمد الله على نعمائه، وهو المستعان على أداء الشكر، وإنْ حال القضاء دون الرّجاء، فلم يعتدِ مَنْ كان الحقّ نيّته، والتّقوى سريرته[2].

قال: وأدرك الحسينَ كتابُ عبد الله بن جعفر مع ابنَيْه عَوْن[3] ومحمّد، وفيه: أمّا بعد، فإنّي أسألك بالله لما انصرفتَ حين تقرأ كتابي هذا، فإنّي مُشفق عليك من هذا الوجه أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك، إن هلكتَ اليوم طُفيء نور الأرض[4]، فإنّك عَلَم المهتدين، ورجاء المؤمنين، فلا تعجَل بالسير، فإنّي في إثر كتابي، والسلام[5].

وقيل: وقام عبد الله بن جعفر إلى عَمْرو بن سعيد فقال له: اكتب للحسين كتاباً تجعل له الأمان فيه، وتُمنّيه فيه البرّ والصّلة، واسأله الرجوع. وكان عَمرو عامل يزيد على مكّة، ففعل عَمرو ذلك، وأرسل الكتاب مع أخيه يحيَى بن سعيد، ومع عبد الله بن جعفر، فلحِقاه وقرآ عليه الكتاب، وجهِدا أن يرجع، فلم يفعل، وكان ممّا اعتذر به إليهما أنْ قال: إنّي رأيتُ رُؤيا رأيتُ فيها رسول الله ﷺ، وأُمرتُ فيها بأمرٍ أنا ماضٍ له، عليّ كان أو لي. فقالا: ما تلك الرؤيا؟ قال: ما حدّثتُ بها أحداً، وما أنا محدّثٌ بها أحداً حتّى ألقى ربّي[6].

ولما بلغ ابنَ زياد مسيرُ الحسين من مكّة، بعث الحُصَين بن نمير[7] التميميّ

---

(١) الطبري ٥/٣٨٥، ٣٨٦.
(٢) الطبري ٥/٣٨٦، نهاية الأرب ٢٠/٤٠٩، ٤١٠.
(٣) في (ر): «عبيد الله».
(٤) في (ب): «الدين».
(٥) الطبري ٥/٣٨٧، نهاية الأرب ٤١٠.
(٦) الطبري ٥/٣٨٨، نهاية الأرب ٢٠/٤١١.
(٧) في (ب): «النمير»، وفي (ش): «تميم»، وكذلك في تاريخ الطبري ٥/٣٩٤ و ٣٩٥.

صاحب شُرطته، فنزل القادسيّة، ونظم الخيل ما بين القادسيّة إلى خَفّان[1]، وما بين القادسيّة إلى القُطْقُطانة، وإلى جبل لَعْلَع. فلمّا بلغ الحسينُ الحاجرَ كتب إلى أهل الكوفة مع قيس بن مُسْهِر الصَّيداوي[2]، يعرّفهم قدومَه، ويأمرهم بالجدّ في أمرهم[3]، فلمّا انتهى قيسٌ إلى القادسيّة أخذه الحُصين، فبعث به إلى ابن زياد، فقال له ابن زياد: اصعد القصر فسُبَّ الكذّابَ ابنَ الكذّاب الحسين بن عليّ. فصعِد قيسٌ، فحمد الله، وأثنى عليه، ثمّ قال: إنّ هذا الحسينَ بن عليّ خيرُ خلقِ الله، ابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ، أنا رسوله إليكم، وقد فارقته بالحاجر[4] فأجيبوه؛ ثمّ لعن ابنَ زياد وأباه واستغفر لعليّ. فأمر به ابن زياد فرُمي من أعلى القصر فتقطّع فمات.

ثمّ أقبل الحسينُ يسير نحو الكوفة، فانتهَى إلى ماء (من مياه)[5] العرب، فإذا عليه عبدُ الله بن مُطيع، فلمّا رآه قام إليه فقال: بأبي أنتَ وأمّي يا ابنَ رسول الله! ما أقدمك؟ فاحتمله فأنزله، فأخبره الحسينُ، فقال له عبدُ الله: أذكّرك اللَّهَ يا ابن رسول الله، وحُرمة الإسلام أن تُنْتهك، أنشدك الله في حُرمة قُريش، أنشدك الله في حُرمة العرب، فَوَاللَّهِ، لئن طلبتَ ما في أيدي بني أميّة ليقتلُنّك، ولئن قتلوك لا يهابون بعدك أحداً أبداً، واللَّهِ إنّها لحُرمة الإسلام [تُنْتَهك]، وحُرمة قريش، وحُرمة العرب، فلا تفعل، ولا تأتِ الكوفة، ولا تُعرّض نفسك لبني أميّة! فأبى إلّا أن يمضي[6].

وكان زُهَير بن القَين البَجَليّ قد حجّ، وكان عثمانيّاً، فلمّا عاد جمعهما الطّريقُ، وكان يساير الحسين من مكّة، إلّا أنّه لا ينزل معه، فاستدعاه يوماً الحسين، فشُقّ عليه ذلك، ثمّ أجابه على كُرْهٍ، فلمّا عاد من عنده نقل ثَقَله إلى ثَقَل الحسين، ثمّ قال لأصحابه: مَنْ أحبّ منكم أن يتبعني، وإلّا فإنّه آخر العهد، وسأحدّثكم حديثاً: غزونا بَلَنْجَر[7]، ففُتح علينا، وأصبنا غنائم ففرحنا، وكان معنا سَلْمان الفارسيّ، فقال لنا: إذا أدركتم سيّد شباب أهل محمّد[8]، فكونوا أشدّ فرحاً بقتالكم معه بما أصبتم اليوم من

---

(١) خَفّان: بفتح أوله وتشديد ثانيه، موضع قرب الكوفة يسلكه الحاج أحياناً، وهو مأسدة، قيل: هو فوق القادسية. (معجم البلدان ٢/٣٧٩).

(٢) في (ب): «قيس بن مسهر الأسدي ثم الصيداوي».

(٣) أنظر نص الكتاب عند الطبري ٥/٣٩٥.

(٤) في الطبعة الأوربية: «الحاجز». والحاجز: موضع قبل معدن النُّقرة. (معجم البلدان ٢/٢٠٤).

(٥) في (ر): «فيه سقاة»، بدل «من مياه».

(٦) الطبري ٥/٣٩٥، ٣٩٦ نهاية الأرب ٢٠/٤١٣، ٤١٤.

(٧) في (ر): «تسجر». وبلنجر: بفتحتين، وسكون النون، وجيم مفتوحة، وراء مدينة ببلاد الخزر خلف باب الأبواب. (معجم البلدان ١/٤٨٩).

(٨) في (ب): «الجنة».

الغنائم، فأمّا أنا فأستودعكم الله! ثمّ طلّق زوجته وقال لها: الحقي بأهلك، فإنّي لا أُحبّ أن يصيبك في سببي إلّا خير. ولزِم الحسينَ حتّى قُتل معه[1].

وأتاه خبر قتل مسلم بن عَقيل بالثعلبيّة، فقال له بعضُ أصحابه: ننشدك إلّا رجعتَ من مكانك فإنّه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة، بل نتخوّف عليك أن يكونوا عليك! فوثب[2] بنو عَقيل وقالوا: والله لا نبرح حتّى ندرك ثأرنا، أو نذوق كما ذاق مسلم[3]! فقال الحسين: لا خير في العيش بعد هؤلاء. فقال له بعضُ أصحابه: إنّك والله ما أنتَ[4] مثل مسلم بن عَقيل، ولو قدمتَ الكوفة لكان الناس إليك أسرع. ثمّ ارتحلوا فانتهوا إلى زُبالة، وكان لا يمرّ بماءٍ إلّا اتّبعه مَنْ عليه، حتّى انتهى إلى زُبالة، فأتاه خبرُ مقتل أخيه من الرضاعة عبد الله بن بُقْطُر[5]، وكان سرّحه إلى مسلم بن عَقيل من الطريق، وهو لا يعلم بقتله، فأخذَتْه خيلِ الحُصَين، فسيّره من القادسيّة إلى ابن زياد، فقال له: اصعدْ فوق القصر، والْعنِ الكذّاب ابن الكذّاب، ثمّ انزِلْ حتّى أرى فيك رأيي. فصعِد، فأعلم الناس بقدوم الحسين، ولعن ابن زياد وأباه، فألقاه من القصر، فتكسّرت عظامه، وبقي به رَمَق، فأتاه رجلٍ يقال له عبد الملك بن عُمَير اللخميّ فذبحه، فلمّا عِيبَ ذلك عليه قال: إنّما أردتُ أن أُريحه.

قال بعضهم: لم يكن الذي ذبحه عبد الملك بن عُمَير، ولكنّه رجل يُشْبه عبدَ الملك.

فلمّا أتَى الحُسينَ خبرُ قتل أخيه من الرضاعة ومسلم بن عَقيل، أعلم الناسَ ذلك وقال: قد خذلَنا[6] شيعتُنا، فمن أحبّ أن ينصرف فلْينصرف ليس عليه منّا ذِمام. فتفرّقوا يميناً وشمالاً، حتّى بقي في أصحابه الّذين جاؤوا معه من مكّة، وإنّما فعل ذلك لأنّه علم أنّ الأعراب ظنّوا أنّه يأتي بلداً قد استقامت له طاعةُ أهله، فأراد أن يعلموا علامَ يقدمون.

ثمّ سار حتّى نزل بطن العَقَبة، فلقِيه رجلٌ من العرب، فقال له: أنشدك الله لما انصرفتَ، فَوَاللّهِ ما تقدم إلّا على الأسنّة[7] وحدّ السيوف، إنّ هؤلاء الذين بعثوا إليك، لو كانوا كَفَوْك مؤونة القتال، ووطّؤوا لك الأشياء فقدِمتَ عليهم لكان ذلك رأياً، فأمّا على

---

(١) الطبري ٥/٣٩٦، ٣٩٧.

(٢) في الطبعة الأوربية: «فوثبوا».

(٣) الطبري ٥/٣٩٧ وفيه: «ما ذاق أخونا».

(٤) في (ر): «أتيت».

(٥) في (ب): «يقطين» و (ر): «القطر».

(٦) الطبري ٥/٣٩٨ «خذلتنا».

(٧) في الطبعة الأوربية: «الألسنة».

هـذه الحال الّتي تـذكر، فـلا أرى أن تفعل. فقـال: إنّه لا يخفى عليّ مـا ذكرتَ، ولكنّ الله، عزّ وجلّ، لا يُغْلَب على أمره. ثمّ ارتحل منها[1].

ذكر عدّة حوادث

وفي هذه السنة حجّ بالناس عَمْرو بن سعيد بن العاص الأشدق، وكان العـامل على مكّة والمدينـة[2].

[الوَفيَات]

(وفيهـا مـات جَـرْهـد الأسلمـيّ[3]، لـه صُحْبـة)[4]. وفـي أيّـام معـاويـة مـات حارثة بن النّعمان الأنصاريّ[5]، وهو بدْريٌّ. وفي أيّامه أيضاً مات دِحْية[6] بن خليفة الكلبيّ.

---

(١) تاريخ الطبري ٥/٣٩٨، ٣٩٩، نهاية الأرب ٢٠/٤١٤ - ٤١٦.

(٢) تـاريخ خليفـة ٢٢٩ المحبّر ٢١، تـاريخ اليعقـوبي ٢/٢٥٣، تـاريـخ الـطبـري ٥/٣٩٩، مـروج الـذهب ٤/٣٩٨، البداية والنهاية ٨/١٢١.

(٣) انظر عن (جرهد الأسلمي) في: الطبقات الكبرى ٤/٢٩٨، والتـاريخ لابن معين ٢/٧٩، وطبقـات خليفة ١١١، والنسب الكبيـر لابن الكلبي (مخطوطـة الإسكوريـال، رقم ١٢٩٨) ج ٢/ ورقـة ٣٦٠، والتـاريـخ الكبير للبخاري ٢/٢٤٨، ٢٤٩ رقم ٢٣٥٤، وأنسـاب الأشراف للبـلاذري ١/٢٧٣، والثقات لابن حبّـان ٣/٦٢، ومشاهير علماء الأمصار ٤٢ رقم ٢٥٩، وتاريخ الصحابة ٦٢، ٦٣ رقم ٢٠٧، والجرح والتعديـل ٢/٥٣٩، ٥٤٠، والاستيعـاب ١/٢٥٤، ٢٥٥، وحليـة الأوليـاء ١/٣٣٧، والمعجم الكبيـر للطبـراني ٢/٢٧١ - ٢٧٣ رقم ٢٠٧، وتـرتيب أسماء الصحـابة لابن عسـاكر ٤٤ رقم ٥٩، وأسـد الغـابـة ١/٢٧٧، ٢٧٨، وتهـذيب الكمال ٤/٥٢٣، ٥٢٤ رقم ٩١٢، وتحفـة الأشراف ٢/٤١٩، ٤٢٠ رقم ٧٠، وتـاريـخ الإسـلام (حوادث ووفيـات ٦١ - ٨٠ هـ.) بتحقيقنـا - ٨٤، ٨٥ رقم ١٥، والكـاشـف ١/١٢٦ رقم ٧٧٦، والـوافي بالـوفيات ١١/٦٩ رقم ١٢٠، وتهـذيب التهـذيب ٢/٦٩، وتقـريب التهـذيب ١/١٢٦، ١٢٧ رقم ٥٠، والنُكت الـظراف ٢/٤١٩، والإصـابـة ١/٢٣١، رقم ١١٣١، وحُسن المحـاضـرة ١/١٨٦، وتـاج العروس ٧/٤٩٩، ورياض النفوس ٥٤.

(٤) ما بين القوسين من (ب).

(٥) انـظر عن (حارثـة بن النعمان) في: مسنـد أحمد ٥/٤٤٣، والـطبقات الكبـرى ٣/٤٨٧، والمحبّر ٤٣٠، وطبقـات خليفة ٩٠، والتـاريخ الكبيـر ٣/٩٣ رقم ٣٢٣، والأخبار المـوفقيات ٣٧٦، والجـرح والتعـديـل ٣/٢٥٣، ٢٥٤ رقم ١١٣٢، وتـاريـخ الصحـابـة لابن حبّـان ٧٢ رقم ٢٦٤، وحليـة الأوليـاء ١/٣٣٧، والاستيعاب ١/٢٨٣، ٢٨٤ والاستبصار ٥٩، ٦٠، والمعجم الكبير ٣/٢٥٦ - ٢٦٠ رقم ٢٦٢، والمستدرك على الصحيحين ٣/٢٠٨، وترتيب أسماء الصحابة ٤٦ رقم ٦٨، وأسد الغابـة ١/٣٥٨، ٣٥٩، والإكمال لابن مـاكولا ٢/٧، ومعجم البلدان ٤/٤٦٥، والمشتبـه في أسمـاء الـرجـال ١/٨، وسيـر أعـلام النبـلاء ٢/٣٧٨ - ٣٨٠ رقم ٨١، وتـاريخ الإسـلام (عهد معـاوية) ٣٠، والـوافي بالـوفيات ١١/٢٦٥، ٢٦٦ رقم ٣٨٧، ومجمع الزوائد للهيثمي ٩/٣١٣، والإصابة ١/٢٩٨ رقم ١٥٣٢.

(٦) انظر عن (دحية الكلبي) في: السير والمغازي لابن إسحـاق ٢٩٧، وسيرة ابن هشـام (بتحقيقنا) ٣/١٨٤، ٢٧٨ و ٤/٢٥٩، والمغـازي للواقدي ٧٨، ٤٩٨، ٥٥٥ - ٥٥٧، ٦٧٤، ٩٠١، ومسنـد أحمـد ٤/٢١١، وطبقـات ابن سعد ٤/٢٤٩، وتـاريخ خليفـة ٧٩، ٨٣، ٩٨، وتـاريـخ اليعقـوبي ٢/٧١، ٧٧، وأنسـاب الأشراف ١/٣٧٧، ٤٦٢، والمعارف ٣٢٩، والتـاريخ الكبيـر ٣/٢٥٤ رقم ٨٧٨ (دون ترجمـة)، والمحبّر ٦٥، ٧٥، ٧٦، ٩٠، ٩٣، ١٢١، وتاريخ الـطبري ٢/٥٨٢، ٥٨٣، ٦٤٢، ٦٤٤، ٦٤٦، ٦٤٨، ٦٥٠ و٣/١٤١، ٣٩٦، ٤٤١، والجرح والتعديـل ٣/٤٣٩ رقم ١٩٩٦، والثقات ٣/١١٧، وتـاريخ الصحـابة=

الّذي كان يُشبهه جبرائيل إذا أُنزل بالوحي. وفي أوّل خلافته مات رِفاعة بن رافع[1] بن مالك بن العَجْلان الأنصاريّ، وكان بدْريّاً، وشهد مع عليّ الجمل وصِفّين. وفي أيّامه مات عَمرو بن أميّة[2] الضَّمْريّ[3] بالمدينة. وفي أيّامه مات عثمان بن حُنَيْف[4] الأنصاريّ، (وعثمان بن أبي العاص الثقفيّ[5]. وفي أيامه مات)[6] عِتْبان بن مالك[7] الأنصاريّ، (وشهد بدْراً. وفي أيّام معاوية مات سهل بن الحَنظليّة[8]، وهو ابن الربيع الأنصاريّ)[9]، بدمشق. وفي أيّامه بعد سنة سبْع وخمسين مات السّائب[10] بن أبي وَداعة[11] السَّهْميّ. ومات في أيّامه سُراقة بن عَمْرو[12] الأنصاريّ، وهو بدريٌّ. وفي أيّامه مات زياد بن لَبيد[13] الأنصاريّ في أوّلها، وهو بدْريٌّ. وفي أيّامه مات مَعْقِل بن يسار[14] المُزَنيّ، وإليه يُنسَب نهر مَعْقِل بالبصرة، (وقيل: مات في أيّام يزيد.

(معقل: بالعين المهملة والقاف. ويسار: بالياء المثنّاة والسّين المهملة).

= ٩٤، رقم ٤٠٤، ومشاهير علماء الأمصار ٥٦ رقم ٣٨٠، ومقدّمة بقيّ بن مخلد ١١٢ رقم ٣٧٨، والمنتخب من ذيل المذيّل ٥٣٤، والمعجم الكبير ٤/٢٦٥ - ٢٦٧ رقم ٤٠٧، وثمار القلوب للثعالبي ٦٥، ٦٦، والاستيعاب ١/٤٧٢ - ٤٧٤، والإكمال لابن ماكولا ٣/٣١٤، والتبيين في أسماء القرشيين ٦٣، ١١٨، والأنساب ١٠/٤٥٢، وتهذيب تاريخ دمشق ٥/٢٢١ - ٢٢٣، وترتيب أسماء الصحابة ٥٣ رقم ١١٥، وتلقيح فهوم أهل الأثر ١٤١، وأسد الغابة ٢/١٣٠، ومعجم البلدان ٣/٢٨٠، ٣٢٥ و ٤/٥٢٢، ٥٥٥، وتهذيب الكمال ٨/٤٧٣ - ٤٧٥ رقم ١٧٩٤، وتحفة الأشراف ٣/١٣١ رقم ١٣١، وتاريخ الإسلام (عهد معاوية) ٤٨، ٤٩، والكاشف ١/٢٢٥ رقم ١٤٨٣، وسير أعلام النبلاء ٢/٥٥٠ - ٥٥٦ رقم ١١٦، والمعين في طبقات المحدّثين ٢١ رقم ٣٨، والوافي بالوفيات ٤/٥ رقم ١، ومجمع الزوائد ٩/٣٧٨، وتهذيب التهذيب ٣/٥٠٦، ٥٠٧ رقم ٣٩٤، وتقريب التهذيب ١/٢٣٥ رقم ٥١، والإصابة ١/٤٧٣، ٤٧٤ رقم ٢٣٩٠، وخلاصة التذهيب ١١٢.

(١) انظر عن (رفاعة بن رافع) في: ترتيب أسماء الصحابة ٥٦ رقم ١٣٦.

(٢) انظر عن (عمرو بن أميّة) في: تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ٨٦، ٨٧ وفيه مصادر ترجمته.

(٣) في (ر) «الضميري».

(٤) أنظر عن (عثمان بن حنيف) في: تاريخ الصحابة ١٧٢ رقم ٨٧٥، وترتيب أسماء الصحابة ٨١ رقم ٣٤٢.

(٥) انظر عن (عثمان بن أبي العاص) في: تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ٢٦٩ - ٢٧١ وفيه مصادر ترجمته.

(٦) ما بين القوسين من نسخة (ب).

(٧) أنظر عن (عتبان بن مالك) في: تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ٢٦٩ وفيه مصادر ترجمته.

(٨) انظر عن (سهل بن الحنظلية) في: تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ٦٥ وفيه مصادر ترجمته.

(٩) ما بين القوسين من (ر).

(١٠) انظر عن (السائب بن أبي وداعة) في: تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ٢١١، ٢١٢ وفيه مصادر ترجمته.

(١١) في (ب): «دراعة».

(١٢) انظر عن (سُراقة بن عمرو) في: الإصابة ٢/١٨ رقم ٣١١١.

(١٣) انظر عن (زياد بن لبيد) في: تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ٥٢ وفيه مصادر ترجمته.

(١٤) انظر عن (معقل بن يسار) في: تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ٣٠٢، ٣٠٣ وفيه مصادر ترجمته.

وفي أيّامه)[1] مات ناجية بن جُنْدَب[2] بن عُمَير صاحب بُدْن النبيّ ﷺ. وفيها مات نُعَيْمان بن عَمْرو[3] بن رِفاعة الأنصاريّ، وهو الذي كان فيه مُزاح ودُعابة، وشهد بدْراً، وقيل: بل الذي مات ابنه. وفي آخر أيّامه مات عبد الله بن مالك[4] بن بُحَيْنة[5]، له صُحبة. وفيها مات عبد الله بن مُغَفَّل[6] بن عبد غنم المُزَنيّ بالبصرة.

(ومُغَفَّل: بضمّ الميم، وفتح الغين المعجمة، وفتح الفاء المشدّدة).

وفي أيّامه مات هند[7] بن جارية بن هند الأسلميّ. وفي سنة ستّين توفّي حَكيم بن حِزام[8] وله مائة وعشرون سنة، ستّون في الجاهليّة وستّون في الإسلام. وفيها مات أبو أُسَيد السّاعديّ[9]، واسمه مالك بن ربيعة، وهو بدْريٌّ، (وقيل: مات سنة خمس وستّين)[10]، وهو آخر من مات من البدْريّين، وقيل: مات سنة ثلاثين، ولا يصحّ. وفي أوّل أيّام معاوية مات أبو بُرْدة هانيء بن نِيار[11] البَلَوي حليف الأنصار، وهو عَقَبيّ بدْريٌّ، وشهد مع عليّ حروبه كلّها.

وفي أيّامه مات أبو ثعلبة الخُشَنيّ[12]، له صُحبة، وقيل: مات سنة خمس وسبعين. وفي أيّامه مات أبو جَهْم بن حُذَيفة[13] العَدَويّ القُرَشيّ في آخرها، وقيل: شهد بُنيان

---

(١) ما بين القوسين من (ب) و (ر).

(٢) انظر عن (ناجية بن جندب) في: تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ١٢٦ وفيه مصادر ترجمته.

(٣) انظر عن (نُعيمان بن عمرو) في: تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ١٢٦ وفيه مصادر ترجمته.

(٤) انظر عن (عبد الله بن مالك) في: تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ٢٦١ وفيه مصادر ترجمته.

(٥) في (ب) و (ر): «بجيرة».

(٦) انظر عن (عبد الله بن مغفّل) في: تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ٢٦١ وفيه مصادر ترجمته.

(٧) انظر عن (هند بن جارية) في: تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ٢٢١ وفيه مصادر ترجمته: وهو «هند بن حارثة».

(٨) انظر عن (حكيم بن حزام) في: تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ١٩٧ ـ ١٩٩ وفيه مصادر ترجمته.

(٩) انظر عن (أبي أُسيد الساعدي) في: تاريخ الصحابة لابن حبّان ٢٣٢ رقم ١٢٤٨، والثقات ٣/٣٧٥، وطبقات ابن سعد ٣/٥٥٧، وترتيب أسماء الصحابة ١١٢ رقم ٥٤٨، وتاريخ الإسلام (عهد معاوية) ١٦٧ (دون ترجمة)، والإصابة ٣/٣٤٤.

(١٠) ما بين القوسين من (ب).

(١١) انظر عن (هانيء بن نيار) في: طبقات ابن سعد ٣/٤٥١، والثقات ٣/٤٣١، وتاريخ الصحابة ٢٥٥ رقم ١٤١٠، وتاريخ الإسلام (عهد معاوية) ١٣١ وفيه مصادر ترجمته.

(١٢) انظر عن (أبي ثعلبة الخشني) في: تاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨٠ هـ.) ٥٤٧ وفيه مصادر ترجمته. وورّخ وفاته بسنة ٧٥ هـ.

(١٣) انظر عن (أبي جهم بن حذيفة) في: تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ٣٣٥، ٣٣٦ وفيه مصادر ترجمته.

الكعبة أيّام ابن الزّبير، وكان قد شهد قريشاً حين بَنَتْها.

وفي أوّل أيّامه مـات (أبو حَثْمَـة[1] الأنصاريّ والد سهل)[2].

(وفي آخر أيّامه مات)[3] أبو قيس الجُهَنيّ[4]، شهِد الفتح . .

(وفي سنة ستّين توفّي)[5] صَفْوان بن المُعَطَّل[6] السُّلَميّ بسُمَيْساط، وقيل: إنّه قُتل قُتل شهيدًا (قبل هـذا)[7].

وفيها تُـوُفّيت الكلابيّـة[8] التي استعاذت من النبيّ ﷺ، حين تزوّجها ففارقها، وكانت قد أصابها جُنون.

وتوفّي بلال بن الحارث[9] المُـزَنيّ أبو عبـد الرحمن.

وفي آخر أيّامه مات وائل بن حُجْر[10] الحضْرميّ. وأبو إدريس الخَوْلاني[11].

(هِنـد بن جاريـة: بالجيم، واليـاء المثنّاة من تحتهـا. وحارثـة بن النُّعمان: بـالحاء المهملة، والثّاء المثلّثة. أبو أُسَيد: بضمّ الهمزة وفتح السّين).

---

(١) انظر عن (أبي حثمة) في: تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ١٣٤ وفيه مصادر ترجمته.

(٢) ما بين القوسين من (ر).

(٣) ما بين القوسين من (س).

(٤) انظر عن (أبي قيس الجهني) في: الإصابة ٤/١٦١ رقم ٩٤٢.

(٥) ما بين القوسين من (ش).

(٦) انـظر عن (صفوان بن المعـطل) في: تاريـخ الإسلام (عهـد الخلفاء الـراشدين) ١٨٨، ١٨٩ وفيـه مصادر ترجمته، و (عهد معاوية) ٢٤١.

(٧) ما بين القوسين من (ب).

(٨) وهي: فـاطمـة بنت الضحّـاك: أنـظر عنهـا في: طبقـات ابن سعــد ٨/١٤١، وتسميـة أزواج النبي ٧٠، والمنتخب من ذيل المذيّل ٦١١ و٦١٢، والسيرة النبوية للذهبي من (تـاريخ الإسـلام) ـ بتحقيقنا ـ ٥٩٤، وفي اسمها خلاف.

(٩) انظر عن (بلال بن الحارث) في: تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ١٨١ وفيه مصادر ترجمته.

(١٠) انظر عن (وائل بن حجر) في: تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ١٢٨، ١٢٩ وفيه مصادر ترجمته.

(١١) الصحيح أن أبا إدريس الخولاني توفي سنة ٨٠ كما قال خليفة بن خياط في طبقاتـه ٣٠٨، ولهذا يجب أن يحوّل من هنا، وانظر مصادر ترجمته في تحقيقنا لتاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨٠ هـ.) ص ٥٤٢ ـ ٥٤٤.

٦١
ثم دخلت سنة إحدى وستين

ذِكر مقتل الحسين، رضي الله عنه[١]

وسار الحسين بن شَرَاف، فلمّا انتصف النّهار كبّر رجلٌ من أصحابه، فقال له: مِمَّ كبّرتَ؟ قال: رأيتُ النّخْل. فقال رجلان من بني أسد: ما بهذه الأرضِ نخلة قطّ! فقال الحسين: فما هو؟ فقالا: لا نراه إلّا هوادي الخيل. فقال: وأنا أيضاً أراه ذلك. وقال لهما: أما لنا ملجأ نلجأ إليه نجعله في ظهورنا، ونستقبل القوم من وجهٍ واحد؟ فقالا: بلى، هذا ذو حُسُم[٢] إلى جنبك تميل إليه عن يسارك، فإنْ سبقتَ القومَ إليه فهو كما تريد. فمال إليه، فما كان بأسرع من أن طلعت الخيل، وعدلوا إليهم، فسبقهم الحسين إلى الجبل فنزل، وجاء القوم وهم ألف فارس مع الحُرّ بن يزيد التميميّ ثمّ اليربوعيّ، فوقفوا مقابل الحسين وأصحابه في حَرّ[٣] الظَّهيرة، فقال الحسين لأصحابه وفتيانه: اسقوا

---

(١) أنظر عن مقتل الحسين في: تاريخ خليفة ٢٣٤، والأخبار الطوال للدينوري ٢٤٣ ـ ٢٦٢، وتاريخ اليعقوبي ٢٤٣ ـ ٢٤٦، وتاريخ الطبري ٥/ ٤٠٠ ـ ٤٦٧، ومروج الذهب ٣/ ٦٤ ـ ٧٤، والعقد الفريد ٤/ ٣٧٦ ـ ٣٨٧، والاستيعاب ١/ ٣٧٨ ـ ٣٨٢، والمحاسن والمساوىء ٥٧ ـ ٦٣، والفخري ١١٣ ـ ١١٥، والبدء والتاريخ ٦/ ١٠ ـ ١٣، وتهذيب تاريخ دمشق ٤/ ٣٢٩ ـ ٣٤٦، وأسد الغابة ٢/ ٢٠ ـ ٢٢، وتهذيب الكمال ٦/ ٣٩٦ وما بعدها في ترجمته، ونهاية الأرب ٢٠/ ٤٠٥ ـ ٤٦١، والمختصر في أخبار البشر ١/ ١٩٠، ١٩١، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٢٨٠ وما بعدها في ترجمته، ودول الإسلام ١/ ٤٦، وتاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨٠ هـ.) ص ٥ ـ ٢١، والبداية والنهاية ٨/ ١٧٢ ـ ٢٠٣، وتاريخ الخميس ٢/ ٣٣١ ـ ٣٣٤، ومرآة الجنان ١/ ١٣١ ـ ١٣٦، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٢١، ٢٢، وتاريخ الخلفاء ٢٠٧، ومعظم الجزء الخامس من كتاب الفتوح لابن أعثم الكوفي، ومقاتل الطالبيين ٧٨ ـ ١٢٢ وتاريخ بغداد ١/ ١٤١ ـ ١٤٤ رقم ٣، وشرح شافية أبي فراس ١٣٢، والإرشاد في أسماء أئمة الهدى للمفيد ١٧٧، وتهذيب الأسماء واللغات ج ١ ق ١/ ١٦٢، وتاريخ دمشق (مخطوطة التيمورية) ١١/ ٢٥، والأئمة الاثنا عشر ٧١، ٧٢، ومقتل الحسين لأبي مخنف، والملهوف على قتلى الطفوف (طبعة الفرقان).

(٢) يقال: ذو حُسُم، بضمتين، وذو حُسَم، بالضم ثم الفتح، وهو اسم موضع في شِعر النابغة. (معجم البلدان ٢/ ٢٥٨)، وفي الطبعة الأوربية «ذو حشم»، وهو تحريف.

(٣) في الطبعة الأوربية: «في نحر».

القوم ورشّفوا الخيل ترشيفاً. ففعلوا[1].

وكان مجيء القوم من القادسيّة، أرسلهم الحُصَين بن نُمَير التميميّ في هذه الألف يستقبل الحسين، فلم يزل مواقفاً الحسين حتّى حضرت صلاة الظُّهْر، فأمر الحسين مؤذّنه بالأذان، فأذّن، وخرج الحسين إليهم فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال:

أيّها الناس إنّها معذرة إلى الله وإليكم، إنّي لم آتِكم حتّى أتتني كُتُبُكم ورُسُلكم، أنْ أقدِمْ إلينا، فليس لنا إمام، لعلّ الله أن يجعلنا بك على الهدى، فقد جئتُكم، فإنْ تُعطوني ما أطمئنّ إليه من عهودكم أقدم مِصْركم، وإن لم تفعلوا أو كنتم لمقْدمي[2] كارهين انصرفتُ عنكم إلى المكان الذي أقبلتُ منه.

فسكتوا وقالوا للمؤذّن: أقمْ، فأقام، وقال الحسين للحُرّ: أتريد أن تصلّي أنت بأصحابك؟ فقال: بل صلّ أنت ونصلّي بصلاتك. فصلّى بهم الحسين، ثمّ دخل واجتمع إليه أصحابه، وانصرف الحُرّ إلى مكانه، ثمّ صلّى بهم الحسين العصر، ثمّ استقبلهم بوجهه، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال:

أمّا بعد، أيّها الناس فإنّكم إن تتّقوا الله، وتعرفوا الحقّ لأهله يكن أرضى لله، ونحن أهل البيت أوْلى بولاية هذا الأمر من هؤلاء المدّعين ما ليس لهم، والسّائرين فيكم بالجَوْر والعدوان، فإنْ أنتم كرهتمونا وجهِلتم حقّنا، وكان رأيكم غير ما أتتني به كُتُبكم ورُسُلكم انصرفتُ عنكم.

فقال الحرّ: إنّا والله ما ندري ما هذه الكُتُب والرسُل الّتي تذكر. فأخرج خرجَين مملوءين صُحُفاً، فنثرها بين أيديهم. فقال الحرّ: فإنّا لسنا من هؤلاء الّذين كتبوا إليك، وقد أُمرنا أنّا إذا نحن لقيناك أن لا نفارقك، حتى نُقْدمك الكوفة على عُبَيد الله بن زياد. فقال الحسين: الموت أدنى إليك من ذلك! ثمّ أمر أصحابه فركبوا لينصرفوا، فمنعهم الحرّ من ذلك. فقال له الحسين: ثكِلَتْك أمّك! ما تريد؟ قال له: أمَا[3] واللّهِ، لو غيرك من العرب يقولها [لي] ما تركت ذكر أُمّه بالثّكْل كائناً مَنْ كان، ولكنّي والله ما لي إلى ذِكر أمّك من سبيل، إلاّ بأحسن ما يُقدر عليه. فقال له الحسين: ما تريد؟ قال الحرّ: أريد أن أنطلق بك إلى ابن زياد. قال الحسين: إذنْ والله لا أتبعك. قال الحُرّ: إذَنْ والله لا أدَعُك. فترادّا الكلام، فقال له الحرّ: إنّي لم أؤمر بقتالك، وإنّما أُمرت أن لا أفارقك حتّى أُقْدِمك الكوفة، [فإذا أبيتَ]، فخُذْ طريقاً لا تُدْخلك الكوفة، ولا تَرُدّك إلى المدينة، حتّى

(١) تاريخ الطبري ٥/٤٠٠، ٤٠١.
(٢) في الطبعة الأوربية: «بمقدمي».
(٣) في الطبعة الأوربية: «أم».

أكتب إلى ابن زياد، وتكتب أنت إلى يزيد، أو إلى ابن زياد، فلعلّ الله أن يأتي بأمر يرزقني فيه العافية، من أن أبتَلَى بشيءٍ من أمرك. فتياسر عن طريق العُذَيْب والقادسيّة، والحرّ يسايره[1].

ثمّ إنّ الحسين خطبهم فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أيّها الناس إنّ رسول الله ﷺ، قال: مَنْ رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحُرَم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسُنّة رسول الله ﷺ، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيّر ما عليه بفِعلٍ ولا قولٍ، كان حقّاً على الله أن يُدْخله مُدخَله. ألا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشّيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفَيْء، وأحلّوا حرام الله، وحرّموا حلاله، وأنا أحَقّ مَن غيّر، وقد أتتني كُتُبُكم ورُسُلُكم ببيعتكم، وأنّكم لا تُسلموني ولا تَخذلُوني، فإنْ تممتم[2] على بيعتكم تُصيبوا رُشْدكم، وأنا الحسين بن عليٍّ بن فاطمة بنت رسول الله ﷺ، نفسي مع أنفسكم، وأهلي مع أهلكم، فلكم فيَّ أُسوة، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدي وخلعتم بَيْعتي، فَلَعَمْري ما هي لكم بنكير، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمّي مسلم بن عَقيلٍ، والمغرور من اغترّ بكم، فحظّكم أخطأتم، ونصيبكم ضيّعتم، ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾[3] وسيغني الله عنكم، والسلام[4].

فقال له الحُرّ: إنّي أذكّرك اللّهَ في نفسك، فإنّي أشهد لئن قاتلتَ لتُقْتَلَنّ. فقال له الحسين: أبالموت تخوّفني؟ وهل يعدو بكم[5] الخَطْب أن تقتلوني؟ وما أدري ما أقول لك! ولَكني أقول كما قال أخو الأوْسيّ لابن عمّه وهو يريد نُصرة رسول الله ﷺ، فقال له: أين تذهب؟ فإنّك مقتول! فقال:

سأمضي وما بالموتِ عارٌ على الفتى ... إذا ما نوَى خيراً[6] وجاهَدَ مسلمَا
وواسَى رجالاً صالحينَ بنَفسِهِ ... وخالَفَ مثْبوراً[7] وفارَقَ مُجرِمَا[8]
فإنْ عشتُ لم أندَمْ وإنْ متُّ لم أُلَمْ[9] ... كفى بك ذُلاًّ أن تعيشَ وتُرْغَمَا[10]

---

(١) تاريخ الطبري ٥/٤٠١ ـ ٤٠٣.
(٢) في (ر): «أقمتم».
(٣) سورة الفتح، الآية ١٠.
(٤) الخطبة عند الطبري ٥/٤٠٣، والنويري ٢٠/٤١٩.
(٥) في الطبعة الأوربية: «يعدونكم».
(٦) في (ر): «ثوى حراً»، وفي تاريخ الطبري «نوى حقّاً».
(٧) في (ر): «مستوراً».
(٨) في (ب): «مجرباً»، والبيت عند الطبري:
وآسى الرجال الصالحين بنفسه ... وفارق مثبوراً يغُشّ ويُرْغما
(٩) في حاشية تاريخ الطبري «لم أنم».

فلمّـا سمع ذلـك الحُرّ تنحّى عنـه، فكان يسيـر ناحيـةً عنه حتّى انتهَى إلى عُـذَيْب الهجانات، كان به هجائن النّعمان ترعى هناك، فنُسب إليها، فإذا هو بأربعة نفرٍ قد أقبلوا من الكوفة على رواحلهم، يجنبون[1] فرساً لنافع بن هلال يقال له الكـامل، ومعهم دليلهم الطِّرِمّاح بن عديّ، وانتهوا إلى الحسين، فأقبل إليهم الحُرّ وقال: إنّ هؤلاء النفـر من أهل الكوفة، وأنا حابسهم أو رادّهم. فقال الحسين: لأمنعنّهم ممّا أمنع منه نفسي، إنّما هؤلاء أنصـاري، وهم بمنـزلـة من جـاء معي، فـإنْ تممتَ[2] على مـا كـان بيني وبينـك، وإلاّ ناجزتُك. فكَفّ الحُرّ عنهم، فقـال لهم الحسين: أخبروني خبـر الناس خلفكم. فقـال له مجمّع بن عُبيد[3] الله العـائذيّ[4]، وهو أحدهـم: أمّا أشراف الناس فقد أُعْظمت رشوتهم، ومُلئت غرائرهم، فهم أَلْبٌ واحـدٌ عليك، وأمّـا سائـر الناس بعـدهم، فإنّ قلوبهم تهـوي إليك، وسيوفهم غداً مشهورة عليك.

وسـألهم عن رسولـه قيس بن مُسْهِر، فـأخبروه بقتله ومـا كان منـه، فترقـرقت عينـاه بالدّمـوع ولم يملك دمعته، ثمّ قـرأ: ﴿فَمِنْهُم مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَـدَّلُوا تَبْـديـلاً﴾[5]؛ اللهمّ اجعـل لنـا ولهم الجنّـة، واجمـعْ بيننـا وبينهم في مستقـرّ رحمتـك، ورغائب[6] مذخور ثوابك.

وقال له الطِّرِمّاح بن عديّ: والله ما أرى معك كثيرَ أحـدٍ، ولو لـم يقـاتلْك إلاّ هؤلاء الّذين أراهم مُلازميـك لكان كفى بهم، ولقـد رأيتُ قبل خـروجي من الكوفـة بيومٍ ظهْـرَ الكوفة، وفيه من الناس ما لم ترَ عيناي جَمْعاً في صعيدٍ واحد أكثر منه قطّ ليسيـروا إليك، فأنشدك الله إنْ قدرتَ على أن لا تَقدم إليهم شِبْراً فافعلْ، فإنْ أردتَ أن تنزل بلداً يمنعك الله به حتّى ترى رأيك، ويستبين لك ما أنت صانع، فسِرْ حتى أنزلك جبلنا أجأ، فهو واللّهِ جبلٌ امتنعنا به من ملوك غسّان وحِمْير والنُّعمان بن المنـذر، ومن الأحمر والأبيض[7]، والله ما إن دخل علينا ذُلّ قطّ، فأسير معك حتّى أُنزلك [القُرَيَّة]، ثمّ تبعث إلى الرجال ممّنْ بأجأ وسَلمى من طَيّء، فواللّهِ لايأتي عليك عشرة أيّـام حتّى تأتيـك[8] طيّء رجالاً ورُكبـاناً، ثمّ

(١٠) البيت الأخير لم يذكره الطبري ٥/٤٠٤، والأبيات في: نهاية الأرب ٢٠/٤٢٠.

(١) في (ر): «يحثّون».
(٢) في (ر): «أقمت».
(٣) في تاريخ الطبري ٥/٤٠٥ «عبد».
(٤) في (ر): «العامري».
(٥) سورة الأحزاب، الآية ٢٣.
(٦) في طبعة صادر ٤/٥٠ «رحمتك رغائب».
(٧) في تاريخ الطبري ٥/٤٠٦: «الأسود والأحمر».
(٨) في طبعة صادر ٤/٥٠ «يأتيك».

أقِمْ فينا ما بدا لك، فإنْ هاجك هَيْجٌ فأنا زعيمٌ لك بعشرين ألف طائيّ يضربون بين يديك بأسيافهم، فَوَاللَّهِ لا يُوصل إليك أبداً وفيهم عين تَطْرِف. فقال له: جزاك الله وقومَك خيراً! إنّه قد كان بيننا وبين هؤلاء القوم قولٌ لسنا نقدر معه على الانصراف، ولا ندري علامَ (تتصرّف بنا وبهم)[1] الأمور. فودّعه وسار إلى أهله، ووعده أن يوصل الميرة إلى أهله ويعود إلى نصره، ففعل، ثمّ عاد إلى الحسين، فلمّا بلغ عُذيب الهِجانات لقيه خبر قتْله، فرجع إلى أهله.

ثمّ سار الحسين، حتّى بلغ قصر بني مُقاتل، فرأى فُسْطاطاً مضروباً فقال: لمَنْ هذا؟ فقيل: لعبيد الله بن الحُرّ الجُعفيّ. فقال: ادعوه لي. فلمّا أتاه الرسول يدعوه قال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، والله ما خرجتُ من الكوفة إلّا كراهية أن يدخلها الحسين وأنا بها، والله ما أريد أن أراه ولا يراني. فعاد الرسولُ إلى الحسين فأخبره، فلبس الحسين نعلَيْه، ثمّ جاء فسلّم عليه، ودعاه إلى نصره، فأعاد عليه ابن الحُرّ تلك المقالة، قال: فإنْ لا تنصرْني فاتّقِ الله أن تكون ممّنْ يقاتلنا، فوالله لا يسمع واعيتَنا أحد ثمّ لا ينصرنا إلّا هلك. فقال له: أمّا هذا فلا يكون أبداً إن شاء الله تعالى.

ثمّ قام الحسين فخرج إلى رَحْله، ثمّ سار ليلاً ساعةً، فخفق برأسه خفقةً، ثمّ انتبه وهو يقول: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، والحمد لله ربّ العالمين. فأقبل إليه ابنُه عليّ بن الحسين فقال: يا أبتِ جُعلتُ فِداك! مِمّ حمدتَ واسترجعتَ؟ قال: يا بنيّ إنّي خفقتُ [برأسي] خفقةً، فعنّ لي فارسٌ على فَرَس، فقال: القوم يسيرون والمنايا تسير[2] إليهم؛ فعلمتُ أنّ أنفسنا نُعيت إلينا[3]. فقال: يا أبتِ لا أراك اللّهُ سُوءاً. ألسنا على الحقّ؟ قال: بلى والّذي يرجع إليه العباد. قال: إذنْ لا نبالي أن نموت محقّين. فقال له: جزاك الله من ولد خيراً ما[4] جزى ولداً عن والده.

فلمّا أصبح نزل فصلّى، ثمّ عجّل الركوبَ، فأخذ يتياسر بأصحابه يريد أن يفرّقهم، فأتى الحُرّ فردّه وأصحابه، فجعل إذا ردّهم نحو الكوفة ردّاً شديداً امتنعوا عليه وارتفعوا، فلم يزالوا يتياسرون حتّى انتهوا إلى نِينَوى، المكان الذي نزل به الحسين، فلمّا نزلوا إذا راكبٌ مقبِلٌ من الكوفة، فوقفوا ينتظرونه، فسلّم على الحُرّ، ولم يسلّم على الحسين وأصحابه، ودفع إلى الحُرّ كتاباً من ابن زياد، فإذا فيه: أمّا بعد فجعجِعْ بالحسين[5] حين

---

(١) في (ب): «تنصرف بيننا وبينهم»، وفي تاريخ الطبري ٤٠٦/٥ «تنصرف».

(٢) في تاريخ الطبري ٤٠٧/٥ «تسري».

(٣) في (ر): «دُعيت لنا».

(٤) الطبري ٤٠٨/٥ «خير ما».

(٥) جعجع بالحسين: أي ألزمه الجعجاع وهو المكان الضيّق الخشن، فأزعجه وأخرجه.

يبلغك كتابي، ويَقْدَم عليك رسولي، فلا تُنْزِلْه إلّا بالعراء في غير حصن وعلى غير ماء، وقد أمرت رسولي أن يَلزمك، فلا يفارقك حتّى يأتيني بإنفاذك أمري، والسلام.

فلمّا قرأ الكتاب قال لهم الحُرّ: هذا كتاب الأمير يأمرني أن أُجعجع بكم في المكان الّذي يأتيني فيه كتابه، وقد أمر رسولَه أن لا يفارقني حتّى أُنفِذ رأيه وأمره. وأخذهم الحُرّ بالنزول على غير ماءٍ ولا في قرية، فقالوا: دَعْنا ننزل في نِينَوَى، أو الغاضرية[1]، أو شُفَيّة[2]. فقال: لا أستطيع، هذا الرجل قد بُعث عيناً عليّ. فقال زُهير بن القَين للحسين: إنّه لا يكون واللّهِ بعد ما ترون إلّا ما هو أشدّ منه يا ابنَ رسول الله، وإنّ قتال هؤلاء الساعة أهون علينا من قتال مَنْ يأتينا من بعدهم، فلَعَمْري لَيأتِيَنّا من بعدهم ما لا قِبَل لنا به! فقال الحسين: ما كنتُ لأبدأهم بالقتال. فقال له زُهير: سِرْ بنا إلى هذه القرية حتّى ننزلها فإنّها حصينة وهي على شاطىء الفرات، فإنْ منعونا قاتلناهم، فقتالهم أهْون علينا من قتال من يجيء بعدهم. فقال الحسين: ما هي؟ قال: العَقْر. قال: اللهمّ إنّي أعوذ بك من العَقْر! ثمّ نزل، وذلك يوم الخميس الثاني من محرّم سنة إحدى وستّين.

فلمّا كان الغد قدِم عليهم عمر بن سعد بن أبي وقّاص من الكوفة في أربعة آلاف، وكان سبب مسيره إليه أنّ عبيد الله بن زياد كان قد بعثه على أربعة آلاف إلى دَسْتَبَى[3]، وكانت الدَّيْلم قد خرجوا إليها وغلبوا عليها، وكتب له عهده على الرّيّ، فعسكر بالناس في حمّام أعْيَن، فلمّا كان من أمر الحسين ما كان دعا ابنُ زياد عمرَ بن سعد وقال له: سِرْ إلى الحسين، فإذا فرغنا ممّا بيننا وبينه سِرتَ إلى عملك. فاستعفاه. فقال: نعم، على أن تردّ عهدنا. فلمّا قال له ذلك قال: أمهِلْني اليوم حتّى أنظر. فاستشار نُصحاءه، فكلُّهم نهاه، وأتاه حمزة بن المغيرة بن شُعْبَة، وهو ابن أخته، فقال: أنشدك الله يا خالي أن تسير إلى الحسين، فتأثم وتقطع رَحِمَك، فواللّهِ، لأن تخرج من دنياك ومالك وسلطان الأرض، لو كان لك، خيرٌ من أن تلقى اللّهَ بدم الحسين! فقال: أفعل[4]. وبات ليلته مفكّراً في أمره، فسُمع وهو يقول:

---

(١) الغاضرّية: تنسب إلى غاضرة من بني أسد. وهي قرية من نواحي الكوفة، قريبة من كربلاء (معجم البلدان ١٨٣/٤).

(٢) في (ر): «أو سعة». و«شُفَيّة» هي غير البئر القديمة التي كانت بمكة.

(٣) دَسْتَبَى: بفتح أوله وسكون ثانيه، وفتح التاء المثنّاة من فوق والباء الموحّدة المقصورة. وهي كورة كبيرة كانت مقسومة بين الريّ وهمدان، فقسم منها يسمّى دستبى الرازي وهو يقارب التسعين قرية، وقسم منها يسمّى دستبى همذان وهو عدّة قرى. (معجم البلدان ٤٥٤/٢).

(٤) تاريخ الطبري ٤٠٩/٥.

أأتـركُ مُلْكَ الـرَّيِّ والـرّيُّ رغبـةٌ[1] أم آرجـعُ مـذمـومـاً بقتـل حسيـنِ
وفـي قَتْـله النـارُ الّتي لـيس دونـهـا حجـابٌ، ومُلْكُ الـرّيّ قُـرّة عَـينِ[2]

ثمّ أَتَى ابنَ زياد فقال له: إنّك قد ولّيتني هذا العمل وسمع الناس به، فإنْ رأيتَ أن تُنفِـذ لي ذلـك فـافعـلْ، وابعثْ إلى الحسين من أشـراف الكـوفـة مَنْ لستُ[3] أغنى[4] في الحرب منه؛ وسمّى أُناساً. فقال له ابن زيـاد: لست أستأمـرك فيمن أريد أن أبعث، فـإنْ سرتَ بجُنْدنا، وإلاّ فابعثْ إلينا بعهدنـا. قال: فـإنّي سائـر. فأقبـل في ذلك الجيش حتّى نزل بالحسين، فلمّا نزل به بعث إليه رسولاً يسأله ما الّـذي جاء بـه، فقال الحسين: كتب إليّ أهل مِصركم هذا أن أقدَم عليهم، فأمّا إذْ كـرهوني فـإنّي أنصرف عنهم. فكتب عمـر إلى ابن زياد يُعرّفه ذلك، فلمّا قرأ ابن زياد الكتابَ قال:

الآنَ إذْ[5] عـلقـتْ مَـخـالـبُـنـا بـهِ يـرجو النّجاةَ (ولاتَ حينَ مَناصِ!)[6]

ثمّ كتب إلى عمـر يأمـره أن يعرض على الحسين بيعـة يزيـد، فإنْ فعـل ذلك رأينـا رأينا، وأن يمنعه ومَنْ معه الماء. فأرسل عمرُ بن سعد عمـرَو بن الحجّاج على خمسمـائة فارس، فنزلوا على الشريعـة، وحالـوا بين الحسين وبين الماء، وذلـك قبل قتْـل الحسين بثلاثة أيّـام، ونادى عبـدُ الله بن أبي الحصين[7] الأزديّ، وعِداده في بَجيلة: يـا حسين أما تنظر إلى الماء؟ لا تذوق منه قطرة حتّى تموت عطشاً! فقال الحسين: اللهمّ اقتله عطشـاً، ولا تغفر له أبداً. قال: فمـرض فيما بعـد، فكان يشـرب (الماء)[8] القُلّة، ثمّ يقيء[9]، ثمّ يعود فيشرب (حتّى يَبْغَرَ، ثمّ يقيء)[10]، ثمّ يشرب فما يُرْوَى، فما زال كذلك حتّى مات.

فلمّـا اشتدّ العـطشُ على الحسين وأصحابـه أمر أخـاه العبّـاس بن عليّ، فسـار في عشرين راجلاً يحملون القِـرب، وثلاثين فـارساً، فـدَنَوا من المـاء، فقاتلوا عليـه، وملؤوا القِرَب وعادوا، ثمّ بعث الحسين إلى عمـر بن سعد عَمْـرو بن قَرَظـة بن كعب الأنصاريّ،

---

(١) في (ر): «منيتي».
(٢) البيتان في: نهاية الأرب ٢٠/٤٢٥.
(٣) في (ب): «ششت».
(٤) في الطبعة الأوربية: «أعني».
(٥) في (ش): «حين».
(٦) ما بين القوسين من (ش). والبيت في: نهاية الأرب ٢٠/٤٢٧.
(٧) في (ش): «الحضر»، و (ب): «حصن»، و (ر): «حصين».
(٨) من (ش).
(٩) في الطبعة الأوربية: «بقي».
(١٠) في الطبعة الأوربية: «حتى يتّغر ثم بقي». وبَغَرَ يَبْغَرُ: شرب ولم يُرْوَ.

أنْ القَنِي اللّيلة، بين عسكري وعسكرك. فخرج إليه عمر، فاجتمعا وتحادثا طويلاً، ثمّ انصرف كلّ واحدٍ منهما إلى عسكره، وتحدّث الناسُ أنّ الحسين قال لعمر بن سعد: اخرجْ معي إلى يزيد بن معاوية، وندع العسكَرَيْن. فقال عمر: أخشى أن تُهْدَم داري. قال: أبنيها لك خيراً منها. قال: تؤخذ ضياعي. قال: أعطيك خيراً منها من مالي بالحجاز. فكره[1] ذلك عمر.

وتحدّث الناس بذلك ولم يسمعوه، وقيل: بل قال له: اختاروا منّي واحدةً من ثلاث: إمّا أن أرجع إلى المكان الذي أقبلتُ منه، وإمّا أن أضع يدي في يد يزيد بن معاوية، فيرى فيما بيني وبينه رأيه، وإمّا أن تسيروا بي إلى أيّ ثغرٍ من ثغور المسلمين شئتم، فأكون رجلاً من أهله، لي ما لهم وعليّ ما عليهم[2].

وقد رُوي عن عُقبة بن سِمعان أنّه قال: صَحِبتُ الحسين من المدينة إلى مكّة، ومن مكّة إلى العراق، ولم أفارقْه حتّى قُتل، وسمعتُ جميع مخاطباته للناس إلى يوم مقتله، فواللّهِ، ما أعطاهم ما يتذاكر[3] الناس أنّه[4] يضع يده في يد يزيد، ولا أن يسيّروه إلى ثغرٍ من ثغور المسلمين، ولكنّه قال: دَعوني أرجع إلى المكان الذي أقبلتُ منه، أو دعوني أذهب في هذه الأرض العريضة، حتّى ننظر إلى ما يصير إليه أمر الناس. فلم يفعلوا[5].

ثمّ التقى الحسين وعمر بن سعد مراراً ثلاثاً أو أربعاً، فكتب عمر بن سعد إلى عُبيد الله بن زياد: أمّا بعد فإنّ الله أطفأ النّائرة، وجمع الكلمة، وقد أعطاني الحسين أن يرجع إلى المكان الذي أقبل منه، أو أن نسيّره إلى أيّ ثغرٍ من الثغور شئنا، أو أن يأتي يزيدَ أمير المؤمنين، فيضع يده في يده، وفي هذا لكم رِضًى، وللأمّة صلاح. فلمّا قرأ ابن زياد الكتاب قال: هذا كتاب رجلٍ ناصحٍ لأميره، مُشفقٍ على قومه، نعم قد قبلتُ.

فقام إليه شَمِر بن ذي الجَوْشن فقال: أتقبل هذا منه، وقد نزل بأرضك وإلى جنبك؟ واللّهِ لئنْ رحل من بلادك، ولم يضع يده في يدك، ليكوننّ أَوْلَى بالقوّة والعزّة، ولتكوننّ أَوْلَى بالضّعْف والعجز، [فلا تعطه هذه المنزلة فإنّها من الوَهَن]، ولكن لينزل على حكمك هو وأصحابه، فإنْ عاقبتَ كنتَ وليَّ العقوبة[6]، وإنْ عفوتَ كان ذلك لك،

---

(١) الطبري ٤١٣/٥ «فتكرّه».
(٢) الطبري ٤١٣/٥، نهاية الأرب ٤٢٩/٢٠.
(٣) في (ر): «ما يتذاكر به».
(٤) في (ر): «الناس من أنه».
(٥) الطبري ٤١٣/٥، ٤١٤.
(٦) في (ب) و (ر): «كنت أولى بالعقوبة».

واللَّهِ لقد بلغني أنّ الحسين وعمر يتحدّثان عامّة اللّيل بين العسكرين.

فقال ابن زياد: نِعْمَ ما رأيتَ! اخرجْ بهذا الكتاب إلى عمر، فلْيعرض على الحسين وأصحابه النزولَ على حكمي، فإنْ فعلوا فلْيبعث بهم إليّ سِلْماً، وإنْ أبَوْا فلْيُقاتلهم، وإنْ فعل فاسمع له وأطِع، وإنْ أبَى فأنت الأمير عليه وعلى الناس، واضرب عُنقه، وابعثْ إليّ برأسه، وكتب معه إلى عمر بن سعد: أمّا بعد فإنّي لم أبعثك إلى الحسين لتكفّ عنه، ولا لتُمنّيه، ولا لتطاوله، ولا لتقعُد له عندي شافعاً، انظرْ، فإنْ نزل الحسين وأصحابه على الحُكم واستسلموا، فابعث بهم إليّ سِلْماً، وإنْ أبَوا فازحفْ إليهم حتّى تقتلهم وتمثّل بهم، فإنّهم لذلك مستحقّون، فإنْ قُتل الحسين فأوطىء الخيلَ صدرَه وظهره، فإنّه عاقٌّ شاقٌّ قاطعٍ ظلوم، فإن أنت مضيتَ لأمرنا جزيناك جزاء السّامع المطيع، وإن أنتَ أبيتَ فاعتزِلْ جُنْدَنا، وخلِّ بين شَمِر وبين العسكر، والسلام.

فلمّا أخذ شَمِرٌ الكتابَ كان معه عبد الله بن أبي المحلّ بن حزام عند ابن زياد، وكانت عمّته أمّ البنين بنت حزام عند عليّ، فولدت له العبّاس وعبد الله وجعفراً وعثمان، فقال لابن زياد: إن رأيتَ أن تكتب لبني أختنا أماناً فافعلْ، فكتب لهم أماناً، فبعث به مع مولًى له إليهم، فلمّا رأوا الكتاب قالوا: لا حاجة لنا في أمانكم، أمان الله خيرٌ من أمان ابن سُمَيّة. فلمّا أتَى شَمِر بكتاب ابن زياد إلي عمر قال له: ما لك ويْلك قبّح الله ما جئتَ به! والله إنّي لأظنّك أنت ثنيتَهُ أن يقبل ما كنتُ كتبتُ إليه به، أفسدتَ علينا أمراً كنّا رجَوْنا أن يصلح، واللَّهِ لا يستسلم الحسين أبداً، واللَّهِ إنّ نفس أبيه لَبين جنبَيه. فقال له شَمِر: ما أنت صانع؟ قال: أتولّى ذلك. ونهض إليه عشيّة الخميس لتسعٍ مضَيْن من المحرّم، وجاء شَمِر، فدعا العبّاس بن عليّ وإخوته، فخرجوا إليه، فقال: أنتم يا بني أختي آمنون. فقالوا له: لعنك الله ولعن أمانك! لئن كنتَ خالنا أتؤمّننا وابن رسول الله لا أمان له؟

ثمّ ركب عمر والناس معه بعد العصر والحسين جالس أمام بيته، مُحْتَبياً بسيفه، إذ خفق برأسه على رُكبته، وسمعت أختُه زينب الضّجّة، فدنت منه فأيقظته، فرفع رأسه فقال: إنّي رأيتُ رسول الله ﷺ، في المنام، فقال: إنّك تروح إلينا. قال: فلطمتْ أختُه وجهَها وقالت: يا ويلتاه! قال: ليس لكِ الويل يا أُخيَّة، اسكتي[1] رحِمَك الله! قال له العبّاس أخوه: يا أخي أتاك القومُ. فنهض فقال: يا أخي أركبُ بنفسي. (فقال له العبّاس: بل أروح أنا. فقال: اركب)[2] أنتَ حتّى تلقاهم فتقول: ما لكم؟ وما بدا لكم؟

---

(١) الطبري ٥/٤١٦ «اسكني».

(٢) ما بين القوسين من (ر).

وتسـألهم عمّا جاء بهم. فأتـاهم في نحو عشـرين فارسـاً، فيهم زُهَير بن القَين فسـألهم، فقـالوا: جـاء [أمر] الأمير بكذا وكـذا. قال: فـلا تعجلوا حتّى أرجع إلى أبي عبـد الله، فأعرض عليه ما ذكرتم. فوقفوا ورجع العبّاس إليه بالخبر، ووقف أصحابُه يخاطبون القـومَ ويذكّرونهم الله، فلمّا أخبره العبّاسُ بقولهم قال له الحسين: ارجـعْ إليهم، فإنِ استـطعتَ أن تؤخّرهم إلى غدوةٍ، لعلّنا نصلّي لربّنـا (هذه الليلة، ونـدعوه ونستغفـره، فهو يعلم أنّي كنتُ أحبّ الصلاة له، وتلاوة كتابه، وكثرة الدّعاء والاستغفـار)[1]. وأراد الحسين أيضاً أن يـوصّي أهله. فرجـع إليهم العبّاسُ وقـال لهم: انصرفـوا عنّا العشيّـة حتّى ننـظر في هـذا الأمر، فإذا أصبحنا التقينا إن شاء الله، فإمّا رضِيناه وإمّا رددناه.

فقال عمر بن سعد: ما ترى يا شَمِر؟ قال: أنت الأمير. فأقبل على الناس فقـال: ما ترون؟ فقال لـه عَمرو بن الحجّـاج الزُّبيـديّ: سبحان الله! والله لـو كانـوا من الدَّيلم، ثمّ سألوكم هذه المسألة، لكان ينبغي أن تجيبـوهم. وقال قيس بن الأشعث بن قيس: أجبْهم لَعَمْري ليصبحُنّك بالقتال غُـدْوة. فقال: لـو أعلم أن يفعلوا ما أخّـرتُهم العشيّة. ثمّ رجع عنهم.

فجمع الحسين أصحابه بعد رجوع عمر فقال: أُثني على الله أحسن الثّناء، وأحمده على السّـرّاء والضّرّاء، اللهمّ إنّي أحمـدك على أن أكرمتنـا بالنّبـوّة، وجعلتَ لنا أسمـاعـاً وأبصاراً وأفئدةً، وعلّمتَنا القرآن، وفقّهتَنا في الدّين، فاجعلنا لك من الشاكرين، أمّا بعـد، فـإنّي لا أعلم أصحابـاً أوْفى[2] ولا خيراً[3] من أصحـابي، ولا أهل بيت أبـرّ ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله جميعـاً عنّي خيراً، ألا وإنّي لأظنّ يـومنا من هؤلاء الأعـداء غداً، وإنّي قـد أذِنتُ لكم جميعاً، فـانطلقـوا في حِلّ، ليس عليكم منّي ذِمـام، هذا الليـل قـد غشِيَكم، فاتّخذوه جَمَلاً، ولْيأخُذْ كلّ رجـلٍ منكم بيد رجـلٍ من أهل بيتي (فجـزاكم الله جميعـاً)[4]، ثمّ تفرّقـوا في البـلاد في سـوادكم ومـدائنكم حتّى يفـرّج الله، فـإنّ القـوم يطلبونني، ولو أصابوني لَهَوْا عن طلب غيري. فقال لـه إخوتـه وأبناؤه وأبنـاء إخوتـه وأبناء عبد الله بن جعفر: لِمَ نفعل هذا؟ لنبقى بعدك! لا أرانا الله ذلك أبداً! فقـال الحسين: يا بني عَقيـل حسْبُكم من القتل بمسلم، اذهبـوا فقد أذِنْت لكم. قـالوا: ومـا نقول للنـاس؟ نقول: تركنا شيخنا وسيّدنا وبني عمومتنا خير الأعمام، ولم نرمِ معهم بسهمٍ، ولم نطعن معهم برُمح، ولم نضْرب بسيفٍ، ولا ندري ما صنعوا؟ لا واللّهِ، لا نفعل، ولكنّا نفـديك

(١) ما بين القوسين من (ر).
(٢) الطبري ٥/٤١٨ «أولى».
(٣) في الطبعة الأوربية: «خير».
(٤) من (ش).

بأنفسنا وأموالنا وأهلينا، ونقاتل معك حتّى نرِد موردك، فقبّح الله العيشَ بعدك!

وقام إليه مسلم بن عَوْسجة الأسديّ فقال: أَنَحْنُ نتخلّى عنك، ولم نُعذِر إلى الله في أداء حقّك؟ أمَا[1] والله لا أفارقك حتّى أكسر في صدورهم رُمحي، وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمُه بيدي، واللّهِ لو لم يكن معي سلاحي لقذفتهم بالحجارة دونك حتّى أموت معك. وتكلّم أصحابه بنحو هذا، فجزاهم الله خيراً[2].

وسمِعته أخته زينب تلك العشيّة وهو في خِباء له يقول: وعنده حُوَيّ[3] مولى أبي ذَرّ الغِفاريّ يعالج سيفه:

يا دَهرُ أُفٍّ [لكَ] مِنْ خَليلِ ... كم لكَ بالإشراقِ والأصيلِ
من صاحبٍ أوْ طالبٍ[4] قتيلِ ... والدّهرُ لا يقنَعُ بالبديلِ
وإنّما الأمرُ إلى الجَليلِ ... وكلُّ حيٍّ سالكُ السّبيلِ[5]

فأعادَها مرّتين أو ثلاثاً، فلمّا سمعته لم تملك نفسها أن وثبت تجرّ ثوبها حتّى انتهت إليه ونادت: واثكْلاه! ليت الموت أعدمني الحياة اليوم! ماتت فاطمة أمّي، وعليّ أبي، والحسن أخي، يا خليفة الماضي، وثِمَال الباقي! (فذهب)[6] فنظر إليها وقال: يا أُخَيّة لا يُذْهبنّ حِلْمَك الشيطان. قالت: بأبي أنت وأمّي، استقتلتَ! نفسي لنفسك الفدى[7]! فردّد[8] غُصّته، وترقرقت عيناه، ثمّ قال: لو تُرِكَ القطا [ليلاً] لنام[9]. فلطمت وجهها وقالت: وا ويلتاه! أفتغصبك نفسك اغتصاباً، فذلك أقرح[10] لقلبي وأشدّ على نفسي! ثمّ لطمت وجهها، وشقّت جيبها، وخرّت مَغْشِيّاً عليها. فقام إليها الحسين فصبّ الماء على وجهها وقال: اتّقي الله وتعزَّيْ بعزاء الله، واعلمي أنّ أهلَ الأرض يموتون، وأهل السّماء لا يبقون، وأنّ كلّ شيءٍ هالكٌ إلاّ وجه الله، أبي خير منّي، وأمّي خير منّي، وأخي خير

---

(١) في الطبعة الأوربية «أم».
(٢) الطبري ٥/٤١٩.
(٣) في (ر): «حولي».
(٤) في (ر): «من طالب بحقه»، وفي تاريخ اليعقوبي: «من طالب وصاحب».
(٥) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٤٤، الطبري ٥/٤٢٠، نهاية الأرب ٢٠/٤٣٦، الفتوح لابن أعثم ٥/١٤٩ باختلاف، مقاتل الطالبيين ١١٣.
(٦) من (ش).
(٧) الطبري ٥/٤٢٠ «استقتلَت نفسي فِداك».
(٨) الطبري «فردّ».
(٩) مجمع الأمثال للميداني ٢/٤٠٦، مقاتل الطالبيين ١١٣.
(١٠) في (ب): «أفزع».

منّي، ولي ولهم ولكلّ مسلم برسول الله أُسْوة. فعزّاها بهذا ونحوه، وقال لها: يا أُخَيّة، إنّي أقسم عليك لا تشُقّي عليّ جيباً، ولا تَخْمِشي عليّ وجهاً، ولا تَدْعي عليّ بالويل والثّبور إنْ أنا هلكتُ.

ثمّ خرج إلى أصحابه فأمرهم أن يقرّبوا بعض بيوتهم من بعض، وأن يُدخلوا الأطناب بعضها في بعض، ويكونوا بين يدي البيوت، فيستقبلون القوم من وجهٍ واحدٍ[1]، والبيوت على أيْمانهم وعن شمائلهم ومن ورائهم.

فلمّا أمسوا قاموا الليلَ كلّه يصلّون ويستغفرون ويتضرّعون ويدعون. فلمّا صلّى عمر بن سعد الغَداة يوم السبت، وقيل الجمعة، يوم عاشوراء، خرج فيمَنْ معه من الناس، وعبّى[2] الحسين أصحابه، وصلّى بهم صلاة الغداة، وكان معه اثنان وثلاثون فارساً، وأربعون راجلاً، فجعل زُهَير بن القَين في ميمنة أصحابه، وحَبيب بن مُطهّر في ميسرتهم، وأعطى رايتَه العبّاسَ أخاه، وجعلوا البيوت في ظهورهم، وأمر بحطبٍ وقصبٍ، فأُلقي في مكانٍ منخفضٍ من ورائهم كأنّه ساقيةٍ، عملوه في ساعةٍ من الليل، لئلّا يؤتَوا من ورائهم، وأضرم ناراً، فنفعهم ذلك[3].

وجعل عمرُ بن سعد على رُبع أهل المدينة عبدَ الله بن زُهير الأزديّ، وعلى رُبع ربيعة وكِنْدة قيس بن الأشعث بن قيس، وعلى رُبع مَذْحِج وأسد عبدَ الرحمن بن أبي سَبْرة الجُعفيّ، وعلى رُبع تميم وهَمْدان الحُرَّ بن يزيد الرياحيّ، فشهد هؤلاء كلّهم مقتلَ الحسين، إلّا الحُرّ بن يزيد، فإنّه عدل إلى الحسين، وقُتل معه، وجعل عمر على ميمنته عَمْرو بن الحجّاج الزُّبيديّ، وعلى مَيسرته شَمِر بن ذي الجَوْشن، وعلى الخيل عُرْوة بن قيس الأحمسيّ[4]، وعلى الرّجال شَبَث بن رِبْعيّ اليربوعيّ التميميّ، وأعطى الراية دريداً[5] مولاه.

فلمّا دنوا من الحسين أمر فضُرب له فُسطاط، ثمّ أمر بمسك فمِيثَ في جَفْنة، ثمّ دخل الحسين فاستعمل النّورة، ووقف عبد الرحمن بن عبد ربّه وبُرَيْر بن خُضَيْر[6] الهمدانيّ على باب الفسطاط، وازدحما أيّهما يَطّلي بعده، فجعل بُرير يُهازل عبد الرحمن، فقال له: واللهِ ما هذه بساعة باطل. فقال بُرير: والله إنّ قومي لقد علموا

(١) في طبعة صادر ٤/ ٥٩ «وجه أحد».

(٢) في (ب) و (ر): «دعا».

(٣) الطبري ٥/ ٤٢٠ ـ ٤٢٢، نهاية الأرب ٢٠/ ٤٣٦ ـ ٤٣٨.

(٤) في (ر): «اللخمي».

(٥) الطبري ٥/ ٤٢٢ «ذُوَيداً».

(٦) في الطبعة الأوربية «يزيد بن حُصَين»، والطبري ٥/ ٤٢٣ «بُرَير بن حُضَير».

أنّي ما أحببتُ الباطل شاباً ولا كهْلاً، ولكنّني مستبشرٌ بما نحن لاقون، واللّهِ ما بيننا وبين الحُور العين إلّا أن يميل هؤلاء علينا بأسيافهم. فلمّا فرغ الحسين دخلا، ثمّ ركب الحسين دابّته ودعا بمُصْحَفٍ، فوضعه أمامه، واقتتل أصحابه بين يديه، فرفع يديه ثمّ قال: اللهمّ أنتَ ثقتي في كلّ كَرْبٍ، ورجائي في كلّ شدّة، وأنت لي في كلّ أمر نزل بي ثقة وعُدَّة، كم من همّ يضعف فيه الفؤآد، وتقلّ فيه الحيلة، ويخذل فيه الصّديق، ويَشْمت به العدوّ، أنزلتُه بك، وشكَوْتُه إليك، رغبةً إليك عمّنْ سواك، ففرّجتَه وكشفتَهُ وكفيتنيه، فأنتَ وليّ كلّ نعمة، وصاحب كلّ حسنة، ومنتهَى كلّ رغبة[1].

فلمّا رأى أصحابُ عمر النّار تلتهبُ في القصب نادى شَمِر الحسين: تعجَّلْتَ النّارَ في الدّنيا قبل القيامة! فعرفه الحسين فقال: أنتَ أَوْلَى بها صُلِيّاً!

ثمّ ركب الحسين راحلته، وتقدّم إلى الناس، ونادى بصوتٍ عالٍ يسمعه كلّ الناس فقال: أيّها الناس اسمعوا قولي، ولا تُعجلوني حتّى أعِظهم بما يجب لكم[2] عليّ، وحتّى أعتذر إليكم من مَقْدَمي عليكم، فإنّ قبلتم عُذْري، وصدَّقتم قولي، وأنصفتموني، كنتم بذلك أسعد[3]، ولم يكن لكم عليّ سبيل، وإنْ لم تقبلوا منّي العُذْر ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إليَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾[4] ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الكِتَابَ، وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾[5]! قال: فلمّا سمع أخَواته قوله بكَين، وصِحْن، وارتفعتْ أصواتُهنّ، فأرسل إليهنّ أخاه العبّاس وابنه عليّاً ليُسْكتاهنّ، وقال: لَعَمْري لَيَكْثُرَنّ بكاؤهنّ! فلمّا ذهبا قال: لا يبعد ابن عبّاس، وإنّما قالها حين سمع بكاءهنّ، لأنّه كان نهاه أن يخرج بهنّ معه.

فلمّا سكتْن حمد الله وأثنى عليه، وصلّى على محمدٍ وعلى الملائكة والأنبياء، وقال ما لا يُحصَى كثرة، فما سُمع أبلغ[6] منه، ثمّ قال: أمّا بعد، فانسِبوني، فانظروا مَن أنا، ثمّ راجعوا أنفسكم فعاتبوها، وانظروا هل يصلُح ويحلّ لكم قتلي، وانتهاك حُرمتي، ألستُ ابن بنت نبيّكم، وابن وصيّه، وابن عمّه، وأوْلى[7] المؤمنين بالله، والمصدّق لرسوله؟ أوَليس حمزة سيّد الشهداء عمّ أبي؟ أوَليس جعفر الشهيد الطّيّار في الجنّة عمّي؟

---

(١) الطبري ٤٢٣/٥، نهاية الأرب ٤٣٨/٢٠، ٤٣٩.
(٢) الطبري ٤٢٤/٥ «حتى أعظكم بما لحقٌّ لكم عليّ».
(٣) في (ب): «أشهد».
(٤) سورة يونس ١٠، الآية ٧١.
(٥) سورة الأعراف ٧، الآية ١٩٦.
(٦) في الطبعة الأوربية: «أبله».
(٧) الطبري ٤٢٤/٥ «وأول».

أوَلم يبلغكم قول مستفيض [فيكم]: إنّ رسول الله ﷺ، قال لي ولأخي: أنتما سيّدا شباب أهلِ الجنّة (وقُرّة عين أهل السُّنّة)[1]؟ فإنْ صدّقتموني بما أقول، وهو الحقّ، واللَّهِ ما تعمّدتُ كذِباً مذ علمتُ أن الله يمقت عليه [أهلَه]، وإنْ كذّبتموني، فإنّ فيكم مَنْ إن سألتموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابر بن عبد الله، أو أبا سعيد، أو سَهْل بن سعد، أو زيد بن أرقم، أو أنَساً، يخبروكم أنّهم سمعوه من رسول الله ﷺ، أما في هذا حاجز يحجزكم عن سفْك دمي؟

فقال له شَمِر: هو يعبد الله على حرفٍ إن كان يدري ما يقول! فقال له حَبيب بن مُطهّر[2]: والله إنّي أراك تعبد الله على سبعين حرْفاً، وإنّ الله قد طبع على قلبك، فلا تدري ما تقول.

ثمّ قال الحسين: فإنْ كنتم في شكٍّ ممّا أقول، أوَتشكّون في أنّي ابن بنت نبيّكم؟ فواللَّهِ ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبيٍّ غيري منكم، ولا من غيركم. أخبروني، أتطلبوني بقتيلٍ منكم قتلتُه، أو بمالٍ لكم استهلكتُه، أو بقَصاصٍ من جراحة؟ فلم يكلّموه[3]، فنادى: يا شَبَث بن رِبعيّ! ويا حجّار بن أبجر! ويا قيس بن الأشعث! ويا زيد بن الحارث! ألم تكتبوا إليّ في القدوم عليكم؟ قالوا: لم نفعل. ثمّ قال: بلى فعلتم. ثمّ قال: أيّها الناس إذْ كرهتموني[4] فدَعوني أنصرف إلى مأمني من الأرض.

قال: فقال له قيس بن الأشعث: أوَلا تنزل على حكم ابن عمّك، يعني ابن زياد، فإنّك لن ترى إلاّ ما تحبّ. فقال له الحسين: أنت أخو أخيك، أتريد أن يطلبك[5] بنو هاشم بأكثر من دم مسلم بن عَقيل؟ لا واللَّهِ، ولا أعطيهم بيدي عطاء الذّليل، ولا أُقرّ إقرار العبد. عبادَ الله إنّي عُذْتُ بربّي وربّكم أن تَرْجُمونِ، أعوذ بربّي وربّكم من كلّ متكبّر لا يؤمن بيوم الحساب، ثمّ أناخ راحلته ونزل عنها[6].

وخرج زُهَير بن القَيْن على فرس له في السّلاح فقال: يا أهلَ الكوفة، نَذارِ[7] لكم من عذاب الله نَذارِ[7]، إنّ حقّاً على المسلم نصيحة المسلم، ونحن حتّى الآن إخوةٌ على دِينٍ واحد، ما لم يقع بيننا وبينكم السيف، فإذا وقع السيف انقطعت العِصْمةُ، وكنّا نحن

---

(١) ما بين القوسين من (ش).
(٢) الطبري ٥/٤٢٥ «حبيب بن مظاهر».
(٣) في (ب): «فلم يكلمه أحد».
(٤) في (ش): «كرهتم».
(٥) في الطبعة الأوربية: «يطلبونك».
(٦) الطبري ٥/٤٢٥، ٤٢٦.
(٧) في الطبعة الأوربية: «بدار».

أمّـة وأنتم أمّة، إنّ الله قـد ابتلانـا وإيّاكم بـذُرّيّـة نبيّـه محمـد ﷺ، لينـظر مـا نحنُ وأنتم عاملون، إنّا ندعوكم إلى نصره، وخذلان الطّاغية ابن الطّاغية عُبَيْد الله بن زياد، فإنّكم لا تدركون منهمـا إلاّ سوءاً، يسمـلان أعيُنَكم، ويقطّعـان أيديكم وأرجلكم، ويُمثّـلان بكم، ويـرفعـانكم على جـذوعِ النَّخْـل، ويقتّـلان أمـاثلكم[1] وقُـرّاءكم، أمثـال حُجْـر بن عـديّ وأصحابه، وهانيء بن عُرْوَة وأشباهه!

قـال: فسبّوه، وأثنـوا على ابن زياد وقـالوا: والله لا نبـرح حتّى نقتل صـاحبك ومَنْ معه، أو نبعث به وبأصحابه إلى الأمير عُبيـد الله بن زياد سِلمـاً. فقال لهم: يـا عباد الله، إنّ ولد فاطمة أحقّ بالودّ والنّصر من ابن سُمَيّـة، فإنْ كنتم لم تنصـروهم فأعيـذُكم بالله أن تقتلوهم، خلّوا بين الرجل وبين ابن عمّه يزيد بن معاويـة، فلَعَمْري إنّ يـزيد ليـرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين. فرماه شَمِرٌ بسهم وقال: اسكتْ أسكت اللّهُ نأمتـك، أبرمْتَنـا بكثرة كلامك! فقال زُهير: يا ابنَ البوّال على عَقِبَيْه! مـا إيّاك أخـاطب، إنّما أنت بَهيمـة! واللّهِ ما أظنّك تُحْكِمُ من كتـاب الله آيتين، فأبشِـرْ بالخـزْي يوم القيـامة والعَـذاب الأليم. فقال شَمِر: إنّ الله قاتِلُك وصاحبَكَ عن ساعة. قال: أَفَبالموت تخوّفني؟ والله لَلموت معه أحبّ إليّ من الخُلْد معكم! ثمّ رفـع صوتـه وقال: عبـادَ الله، لا يغـرّنّكم من دِينكم هـذا الجِلْف الجافي، فواللّهِ، لا تنال شفاعةُ محمّد قوماً أهـرقوا دمـاء ذرّيّته وأهـل بيته، وقتلوا مَنْ نصرهم، وذبّ عن حريمهم. فأمره الحسين فرجع[2].

ولما زحف عمر نحو الحسين أتاه الحُرُّ بن يزيد فقال له: أصلحك الله! أَمُقاتلٌ أنتَ هذا الرجل؟ قال له: إي إي والله قتالاً أيسـره أن تسقط الرؤوس، وتـطيح الأيـدي. قال: أفما لكم في واحدةٍ من الخصال التي عرض عليكم رضًى؟ فقـال عمر بن سعـد: والله لو كان الأمر إليّ[3] لفعلتُ، ولكنّ أميرك قد أبَى ذلك. فأقبل يدنو نحو الحسين قليـلاً قليلاً، وأخذتْه رِعدة، فقال له رجل من قومه يقال له المهاجر بن أوْس: والله إنّ أمـرك لمريب[4]! والله ما رأيتُ منك في موقفٍ قطّ مثلَ ما أراه الآن! ولو قيل مَـنْ أشجعُ أهل الكوفـة، لَمَا عدوتُك. فقال له: إنّي والله أخيّر نفسي بين الجنّة والنار، ولا أختار على الجنّة شيئاً، ولو قُـطِّعتُ وحُرِّقتُ. ثمّ ضـرب فرسـه فلحِق بالحسين، فقـال لـه: جعلني الله فِـداك يـا ابنَ رسول الله! أنا صاحبك الّذي حبستُك عن الرجوع، وسايرتُك في الطّريق، وجعجعتُ بك في هـذا المكان، وواللّهِ مـا ظننتُ أنّ القوم يـردّون عليـك مـا عـرضتَ عليهم أبـداً، ولا

---

(١) في الأوربية: «أمثالكم».

(٢) الطبري ٥/٤٢٦، ٤٢٧.

(٣) في (ب): «بيدي».

(٤) في (ب): «لمرتب».

يبلغون منك هذه المنزلة أبداً، فقلتُ في نفسي: لا أبالي أن أطيع القوم في بعض أمرهم، ولا يرون أنّي خرجتُ من طاعتهم، وأمّا هم فيقبلون بعض ما تدعوهم إليه، ووالله لو ظننتُ أنهم لا يقبلونها منك ما ركبتها منك، وإنّي قد جئتُك تائباً ممّا كان منّي إلى ربّي، مؤآسياً لك بنفسي، حتى أموت بين يديك[1]، أفترى ذلك توبة؟ قال: نعم، يتوب الله عليك ويغفر لك.

وتقدّم الحُرّ أمام أصحابه ثمّ قال: أيّها القوم، ألا تقبلون من الحسين خصلةً من هذه الخصال الّتي عرض عليكم، فيعافيَكم الله من حربه وقتاله؟ فقال عمر: لقد حرصت لو وجدتُ إلى ذلك سبيلاً. فقال: يا أهل الكوفة لأمّكم الهَبَل والعُبْر[2]! أدَعَوْتُموه، حتى إذا أتاكم أسلمتموه، وزعمتم أنّكم قاتلو أنفسكم دونه، ثمّ عَدَوْتم عليه لتقتلوه؟ أمسكتم بنفسه، وأحطتم به، ومنعتموه من التوجّه في بلاد الله العريضة حتّى يأمن، ويأمن أهلُ بيته، فأصبح كالأسير، لا يملك لنفسه نفْعاً، ولا يدفع عنها ضُرّاً، ومنعتموه ومَنْ معه عن ماء الفرات الجاري، يشربه اليهوديّ والنَّصْرانيّ والمجوسيّ، ويتمرّغ فيه خنازير السّواد وكلابه، وها هو وأهله قد صرعهم العطش! بئسما خلَفتم محمداً في ذرّيّته! لا سقاكم الله يوم الظمإ[3] إن لم تتوبوا وتنزعوا عمّا أنتم عليه! فرموه بالنَّبل، فرجع حتّى وقف أمامَ الحسين[4].

ثمّ قدِم عمر بن سعد برايته، وأخذ سهماً فرمى به وقال: اشهدوا لي أنّي أوّل رامٍ! ثمّ رمى الناسُ، وبرز يسار، مولى زياد، وسالم، مولى عُبَيد الله، وطلبا البراز، فخرج إليهما عبد الله بن عُمَير الكلبيُّ، وكان قد أتى الحسين من الكوفة، وسارت معه امرأته، فقالا له: مَنْ أنت؟ فانتسب لهما. فقالا: لا نعرفك، ليخرجْ إلينا زُهَير بن القَين، أو حبيب بن مُطهّر[5]، أو بُرَير بن خُضَير[6]. وكان يسار أمام سالم، فقال له الكلبيُّ: يا ابن الزّانية، وبك رغبةٌ عن مبارزة أحدٍ من الناس، و[ما] يخرج إليك أحد إلّا وهو خير منك! ثمّ حمل عليه، فضربه بسيفه حتّى برد، فاشتغل به يضربه، فحمل عليه سالم، فلم يأبه له حتّى غشِيه فضربه، فاتّقاه الكلبيّ بيده، فأطار أصابع كفّه اليسرى، ثمّ مال عليه الكلبيّ فضربه حتّى قتله، وأخذت امرأته عموداً، وكانت تسمّى أمّ وهْب، وأقبلت نحو زوجها وهي تقول: فِداك أبي وأمّي! قاتلْ دون الطّيّبين ذرّية محمد! فردّها نحو النساء، فامتنعت

(١) في (ب) زيادة: «ثم نادى لعمر وقال».
(٢) العُبْر: سُخنة العين.
(٣) في (ب): «الفزع الأكبر».
(٤) الطبري ٥/٤٢٧ ـ ٤٢٩، نهاية الأرب ٢٠/٤٤٦.
(٥) الطبري ٥/٤٢٩ «مظاهر»، ونهاية الأرب ٢٠/٤٤٦ «مظهّر».
(٦) الطبري: «حضير»، وقد أكّد المؤلّف أنه بالخاء المعجمة، كما سيأتي.

وقالت: لن أدعك دون أن أموت معك. فناداها الحسينُ فقال: جُزيتم من أهل بيت خيراً! ارجعي رحِمَك الله، ليس الجهاد إلى النساء. فرجعت[1].

فزحف عَمْرو بن الحجّاج في مَيْمنة عمر، فلمّا دنا من الحسين جَثَوْا له على الرُّكب، وأشرعوا الرماح نحوهم، فلم تقدم خيلهم على الرماح، فذهبت الخيل لترجع، فرشقوهم بالنَّبل، فصرعوا منهم رجالاً، وجرحوا آخرين.

وتقدّم رجل منهم يقال له ابن حَوْزة فقال: أفيكم الحسين؟ فلم يُجِبْه أحد، فقالها ثلاثاً، فقالوا: نعم، فما حاجتك؟ قال: يا حسين أبشِرْ بالنار! قال له: كذبتَ، بل أقدم على ربٍّ رحيمٍ وشفيعٍ مُطاع، فمن أنت؟ قال: ابن حَوْزة، فرفع الحسين يديه فقال: اللهمَّ حُزْه إلى النار! فغضب ابن حَوْزة، فأقحم فرسه في نهرٍ بينهما، فتعلّقتْ قدمه بالرِّكاب، وجالت به الفَرَس، فسقط عنها، فانقطعت فخذه وساقه وقدمه، وبقي جنْبه الآخر متعلّقاً بالركاب، يضرب به كلّ حجرٍ وشجرٍ حتّى مات[2].

وكان مسروق بن وائل الحضرميُّ قد خرج معهم وقال لعليّ: أصيب رأس الحسين، فأصيب به منزلةً[3] عند ابن زياد، فلمّا رأى ما صنع الله بابن حَوْزة بدعاء الحسين رجع وقال: لقد رأيتُ من أهل هذا البيت شيئاً، لا أقاتلهم أبداً[4].

ونشب القتال، وخرج يزيد بن مَعْقِل حليف عبد القيس فقال: يا بُرَيْر بن خُضَير[5] كيف ترى الله صنع بك؟ قال: والله لقد صنع بي خيراً، وصنع بك شرّاً فقال: كذبتَ، وقبل اليوم ما كنتَ كذّاباً، وأنا أشهد أنّك من الضالّين. فقال له ابن خضير[5]: هل لك أن أُباهلك، أن يلعن الله الكاذب ويقتل المبطل، ثمّ أخرج أبارزك! فخرجا فتباهلا أن يلعن الله الكاذبَ ويقتل المُحقُّ المبطلَ، ثمّ تبارزا، فاختلفا ضربتَين، فضرب يزيدُ بن مَعقِل بُرَيْرَ بن خُضَير[5]، فلم يضرّه شيئاً، وضربه ابن خُضير[5] ضربةً قدّت المِغْفَر، وبلغت الدِّماغ، فسقط والسيف في رأسه، فحمل عليه رضيّ بن منقذ العبديّ، فاعتنق ابنَ خُضير[5]، فاعتركا ساعة، ثمّ إن ابن خُضير قعد على صدره، فحمل كعبُ بن جابر الأزديّ عليه بالرمح، فوضعه في ظهره حتّى غيّب السِّنان فيه، فلمّا وجد مسّ الرُّمح نزل عن رَضِيّ، فعضّ أنفه وقطع طرفه، وأقبل إليه كعب بن جابر، فضربه بسيفه حتّى قتله، وقام رضيّ ينفض التّراب عن قَبائه، فلمّا رجع كعب قالت له امرأته: أعنتَ على ابن

(١) الطبري ٥/٤٢٩، ٤٣٠.
(٢) الطبري ٥/٤٣٠، ٤٣١.
(٣) في طبعة صادر «منزله» بالهاء، وهو غلط.
(٤) الطبري ٥/٤٣١.
(٥) الطبري «حضير».

فاطمة، وقتلتَ بُرَيراً سيّد القرّاء، [واللّهِ] لا أكلّمك أبداً![1]

وخرج عَمْرو بن قَرَظة الأنصاريّ، وقاتل دون الحسين فقُتل، وكان أخوه مع عمر بن سعد، فنادى: يا حسين، يا كذّاب ابن الكذّاب! أضللتَ أخي وغررتَهُ حتّى قتلته! فقال: إنّ الله لم يُضِلّ أخاك، بل هداه وأضلّك. قال: قتلني الله إن لم أقتلك أو أموتَ دونك. فحمل، واعترضه نافع بن هلال المُراديّ، فطعنه فصرعه، فحمل أصحابُه فاستنقذوه، [فدُووِيَ بَعْدُ] فبرأ.

وقاتل الحُرّ بن يزيد مع الحسين قتالاً شديداً، وبرز إليه يزيد بن سُفيان فقتله الحُرّ، وقاتل نافع بن هلال مع الحسين أيضاً، فبرز إليه مُزاحم بن حُرَيْث، فقتله نافع.

فصاح عَمْرو بن الحجّاج بالناس: أتدرون مَنْ تقاتلون؟ فرسان المِصْر، قوماً مستميتين، لايبرزْ إليهم منكم أحد، فإنّهم قليل، وقلّ ما يبقون، والله لو لم ترموهم إلاّ بالحجارة لقتلتموهم. يا أهل الكوفة الزموا طاعتكم وجماعتكم، لا ترتابوا في قتل مَنْ مرق من الدّين وخالف الإمام. فقال عمر: الرأي ما رأيتَ. ومنع الناسَ من المبارزة. قال: وسمعه الحسين فقال: يا عَمْرو بن الحجّاج، أَعَلَيّ تحرّض الناس؟ أَنَحْنُ مرقْنا من الدّين أم أنتم؟ والله لتعلَمُنّ لو قُبضت أرواحكم ومتّم على أعمالكم، أيّنا المارق.

ثمّ حمل عَمْرو بن الحجّاج على الحسين من نحو الفرات، فاضطّربوا ساعةً، فصُرع مسلمُ بن عَوسجة الأسديّ، وانصرف عَمْرو ومسلم صريع، فمشى إليه الحسينُ وبه رمقٌ فقال: رحمك الله يا مسلم بن عَوْسجة، ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾[2]. ودنا منه حبيب بن مُطهّر[3] وقال: عزَّ عليّ مصرعك، أبشِرْ بالجنّة، ولولا أنّي أعلم أنّني في أثرك لاحقٌ بك، لأحببتُ أن توصّيني حتّى أحفظك بما أنت له أهل. فقال: أوصّيك بهذا، رحِمَك الله، وأومأ بيده نحو الحسين، أن تموت دونه. فقال: أفعل. ثمّ مات مسلم، وصاحت جاريةٌ له فقالت: يابن عَوْسجة! فينادي أصحاب عَمْرو: قتلنا مسلماً. فقال شَبَث لبعض مَنْ حَوله: ثكِلتْكم أمّهاتكم! إنّما تقتلون أنفسكم بأيديكم، وتُذلّون أنفسكم لغيركم، أتفرحون بقتْل مثل مسلم؟ أمَا والذي أسلمتُ له، لرُبّ موقفٍ له قد رأيتُه في المسلمين، فلقد رأيته يوم سَلَق أَذْرَبيْجان قتل ستّة من المشركين قبل أن تنام خيول المسلمين، أفيُقتل مثله وتفرحون؟[4]

(١) الطبري ٥/٤٣١ ـ ٤٣٣.
(٢) سورة الأحزاب، الآية ٢٣.
(٣) الطبري ٥/٤٣٥ «مظاهر».
(٤) الطبري ٥/٤٣٥، ٤٣٦.

وكان الذي قتله مسلمُ بن عبد الله الضِّبابيُّ وعبد الرحمن بن أبي خُشْكارة البَجَليُّ.

وحمل شَمِر في الميسرة، فثبتوا له، وحملوا على الحسين وأصحابه من كلّ جانب، فقُتل الكلبيُّ وقد قتل رجلين بعد الرجلَين الأوَّلين، وقاتل قتالاً شديداً، فقتله هانىء بن ثُبيت الحضرميُّ، وبُكَير بن حيّ التيميُّ من تَيْم الله بن ثعلبة، وقاتل أصحابُ الحسين قتالاً شديداً، وهم اثنان وثلاثون فارساً، فلم تحمل على جانبٍ من خيل الكوفة إلّا كشفتْه. فلمّا رأى ذلك عَزْرَة بن قيس، وهو على خيل الكوفة، بعث إلى عمر فقال: ألا ترى ما تلقى خيلي هذا اليوم من هذه العِدّة اليسيرة؟ ابعثْ إليهم الرجال والرُّماة. فقال لشَبَث بن رِبعيّ: ألا تَقْدَم إليهم! فقال: سبحان الله! شيخ مُضَر وأهل المِصْر عامّة تبعثه في الرُّماة، لم تجد لهذا غيري! ولم يزالوا يرون من شَبَث الكراهة للقتال، حتّى إنّه كان يقول في إمارة مُصْعَب: لا يُعطي اللّهُ أهلَ هذا المِصْر خيراً أبداً، ولا يسدّدهم لرُشْد، ألا تعجبون أنّا قاتلنا مع عليّ بن أبي طالب ومع ابنه[1] آل أبي سُفيان خمس سنين، ثمّ عدونا على ابنه، وهو خير أهل الأرض، نقاتله مع آل معاوية وابن سُمَيّة الزّانية، ضلال يا لك من ضلال![2]

فلمّا قال شبث ذلك دعا عمر بن سعد الحُصَين[3] بن نُمَير[4]، فبعث معه المُجَفَّفة وخمسمائة من المُرَامِية، فلمّا دنَوا من الحسين وأصحابه رشقوهم بالنَّبل، فلم يلبثوا أن عقروا خيولهم، وصاروا رَجّالةً كلّهم، وقاتل الحُرّ بن يزيد راجلاً قتالاً شديداً، فقاتلوهم، إلى أن انتصف النهار، أشدّ قتال خلقه الله، لا يقدرون يأتونهم إلّا من وجهٍ واحدٍ، لاجتماع مضاربهم. فلمّا رأى ذلك عمر أرسل رجالاً يُقوّضونها عن أيمانهم وشمائلهم، ليُحيطوا بهم، فكان النَّفر من أصحاب الحسين الثلاثة والأربعة يتخلّلون البيوت، فيقتلون الرجل وهو يقوّض وينهب، ويرمونه من قريب أو يعقرونه، فأمر بها عمر بن سعد فأُحْرقت، فقال لهم الحسين: دَعوهم فلْيحرقوها، فإنّهم إذا حرقوها لا يستطيعون أن يجوزوا إليكم منها. فكان كذلك.

وخرجت امرأة الكلبيّ، فجلست عند رأسه تمسح التّراب عن وجهه وتقول: هنيئاً لك الجنّة! فأمر شَمِر غلاماً اسمه رستم، فضرب رأسها بالعمود، فماتت مكانها[5].

وحمل شمر حتّى بلغ فُسطاط الحسين ونادى: عليّ بالنار حتّى أُحرِّق هذا البيت

---

(١) في (ر) زيادة: «ونحن مع».
(٢) الطبري ٥/٤٣٦، ٤٣٧.
(٣) في (ب): «الحسين».
(٤) الطبري ٥/٤٣٧ «تميم».
(٥) نهاية الأرب ٢٠/٤٥٠.

على أهله، فصاحَ النساء وخرجن، وصاح به الحسين: أنت تحرِّق بيتي على أهلي؟ حرَّقك الله بالنار! فقال حُميد بن مسلم لشمر: إنّ هذا لا يصلح [لك]، تعَذّب بعذاب الله، وتقتل الولدان والنساء، والله إنّ في قتل الرجال ما يرضى به أميرك! فلم يقبل منه، فجاءه شَبَث بن رِبْعيّ فنهاه فانتهَى، وذهب لينصرف فحمل عليه زهَير بن القَين في عشرةٍ، فكشفهم عن البيوت، وقتلوا أبا عزّة[1] الضِّبابيَّ، وكان من أصحاب شَمِر: وعطف الناس عليهم فكثروهم، وكانوا إذا قُتل منهم الرجل والرجلان يبين فيهم لقلّتهم، وإذا قُتل في أولئك لا يبين فيهم لكثرتهم.

ولما حضر وقتُ الصلاة قال أبو ثُمامة الصّائديُّ للحسين: نفسي لنفسك الفداء! أرى هؤلاء قد اقتربوا منك، والله لا تُقْتَل حتّى أُقتل دونك، وأُحبّ أن ألقى ربّي وقد صلّيتُ هذه الصلاة! فرفع الحسينُ رأسه وقال: ذكرتَ الصلاة جعلك الله من المصلّين الذّاكرين، نعم هذا أوّل وقتها، ثمّ قال: سلوهم أن يكفّوا عنّا حتّى نصلّي. ففعلوا، فقال لهم الحُصَين: إنّها لا تُقبل[2]. فقال له حبيب (بن مُطهّر[3]: زعمتَ لا تُقبل الصلاة من آل رسول الله ﷺ، وتُقبل)[4] منك يا حمار! فحمل عليه الحُصَين، وخرج إليه (حبيب)[5] فضرب وجه فرسه بالسيف، فشبّ فسقط عنه الحُصَين، فاستنقذه[6] أصحابه[7].

وقاتل حبيب (قتالاً شديداً، فقتل رجلاً من بني تميم اسمه بُدَيل بن صُرَيم، وحمل عليه آخر من تميم، فطعنه، فذهب ليقوم فضربه الحُصَينُ على رأسه بالسيف، فوقع ونزل إليه التميميُّ فاحتزّ رأسه، فقال له الحُصَين: أنا شريكك في قتله. فقال الآخر: لا والله! فقال له الحُصَين: أعطنيه أعلّقه في عنق فرسي، كيما يرى الناس أنّي شرِكتُ في قتله، ثمّ خُذْه وامضِ به إلى ابن زياد، فلا حاجة لي فيما تُعطاه.

ففعل وجال به في الناس، ثمّ دفعه إليه، فلمّا رجعوا إلى الكوفة أخذ الرأس وجعله في عنق فرسه)[8]، ثمّ أقبل به إلى ابن زياد في القصر، فبصر به القاسم بن حبيب، وقد راهق، فأقبل مع الفارس لا يفارقه، فارتاب به الرجل، فسأله عن حاله، فأخبره وطلب

---

(١) في (ب): «أبا عمرة».
(٢) في الأوربية: «إنه لا نقبل».
(٣) الطبري ٥/٤٣٩ «مظاهر».
(٤) ما بين القوسين ساقط من الطبعة الأوربية وليس فيها سوى «ونقبل».
(٥) من (ب).
(٦) في الأوربية: «فاستنقذوه».
(٧) الطبري ٥/٤٣٦ - ٤٣٩.
(٨) ما بين القوسين من (ش).

الرأس ليدفنه، فقال: إنّ الأمير لا يرضى أن يُدْفن، وأرجو أن يثيبني الأمير. فقال له: لكنّ الله لا يثيبك إلّا أسوأ الثواب. ولم يزل يطلب غِرّة قاتل أبيه، حتّى كان زمان مُصْعَب، وغزا مُصْعَب باجُمَيْرَى[1]، ودخل القاسم عسكره، فإذا قاتلُ أبيه في فُسطاطه، فدخل عليه نصف النهار فقتله[2].

فلمّا قُتل حبيب هدّ ذلك الحسين، وقال عند ذلك: أحتسِب نفسي وحُماة أصحابي، وحمل الحُرّ وزُهير بن القَيْن، فقاتلا قتالاً شديداً، وكان إذا حمل أحدهما وغاص فيهم، حمل الآخر حتّى يخلّصه، فعلا ذلك ساعة، ثمّ إنّ رَجّالةً حملت على الحُرّ بن يزيد فقتلته، وقَتل أبو ثُمامة الصّائديُّ ابنَ عمٍّ له كان عدوّه، ثمّ صلّوا الظُّهْر، صلّى بهم الحسين صلاة الخوف، ثمّ اقتتلوا بعد الظُّهْر، فاشتدّ قتالهم، ووُصل[3] إلى الحسين، فاستقدم الحنفيُّ أمامه، فاستهدف لهم يرمونه بالنَّبل وهو بين يديه حتى سقط[4].

وقاتل زُهير بن القَين قتالاً شديداً، فحمل عليه كثير بن عُبَيد الله الشّعبيُّ ومهاجر بن أوس فقتلاه، وكان نافع بن هلال الجمليُّ[5] قد كتب اسمه على أفْواق نَبْله، وكانت مسمومة[6]، فقتل بها اثني عشر رجلاً سوى مَن جُرح، فضُرب حتّى كُسرت عضُداه وأُخذ أسيراً، فأخذه شَمِر بن ذي الجَوْشن، فأتى به عمرَ بن سعد والدم على وجهه، وهو يقول: لقد قتلتُ منكم اثني عشر رجلاً سوى مَن جرحتُ، ولو بقيت لي عضُدٌ وساعدٌ ما أسرتموني. فانتضى شَمِرٌ سيفَه ليقتله، فقال له نافع: والله لو كنتَ من المسلمين لَعَظُم عليك أن تلقى اللَّهَ بدمائنا، فالحمد لله الذي جعل مَنايانا على يدَيْ شِرار خلقه! فقتله شَمِرٌ[7]، ثمّ حمل على أصحاب الحسين.

فلمّا رأوا أنّهم قد كثروا، وأنّهم لا يقدرون يمنعون الحسين ولا أنفسهم، تنافَسوا أن يُقتلوا بين يديه، فجاء عبد الله وعبد الرحمن ابنا عَزْرة[8] الغِفاريّان إليه فقالا: قد حازنا

---

(١) في الأوربية: «باخميرا». وباجُمَيْرَى: بضم الجيم، وفتح الميم، وياء ساكنة، وراء مقصورة، موضع دون تكريت. (معجم البلدان ١/٣١٤).

(٢) في (ب): «فدخل عليه نصف النهار فضرب حتى قتل»، وفي تاريخ الطبري ٥/٤٤٠ «فضربه بسيفه حتى برد».

(٣) في (ب): «ووصلوا».

(٤) الطبري ٥/٤٣٩ ـ ٤٤١.

(٥) في (ب) و(ر): «البجلي».

(٦) الطبري ٥/٤٤١: «وكانت مسوّمة».

(٧) الطبري ٥/٤٤١، ٤٤٢.

(٨) في (ب) و(ر): «عروة»، وفي طبعة صادر «عزْودة»، وما أثبتناه عن الطبري ٥/٤٤٢.

الناس إليك. فجعلا يقاتلان بين يديه، وأتاه الفتيان الجابريّان، وهما سيف بن الحارث بن سُرَيْع، ومالك بن عبد بن سُرَيْع، وهما ابنا عمّ وأخوان لأمّ، وهما يبكيان، فقال لهما: ما يُبكيكما؟ إنّي لأرجو أن تكونا عن ساعةٍ قريرَيْ عين[1]. فقالا: واللّهِ ما على أنفسنا نبكي، ولكنْ نبكي عليك، نراك قد أُحيط بك، ولا نقدر أن نمنعك! فقال: جزاكما الله جزاء المتّقين[2]!

وجاء حنظلةُ بن أسعد الشِّباميّ، فوقف بين يدي الحسين، وجعل ينادي: ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ، مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ * (وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ، وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ، يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ، وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ[3]﴾)[4]. يا قوم، لا تقتلوا الحسين فَيُسْحِتَكُم الله بعذاب ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾[5]، فقال له الحسينُ: رحِمك الله! إنّهم قد استوجبوا العذاب حين ردّوا ما دعوتهم إليه من الحقّ، (ونهضوا ليستبيحوك وأصحابك، فكيف بهم الآن)[6] قد قتلوا إخوانك الصّالحين! فسلّم على الحسين، وصلّى عليه وعلى أهل بيته، وتقدّم وقاتل حتّى قُتل[7].

وتقدّم الفتيان الجابريّان فودّعا الحسين، وقاتلا حتّى قُتلا.

وجاء عابس بن أبي شَبيب الشّاكريُّ وشَوْذب مولى شاكر إلى الحسين، فسلّما عليه، وتقدّما فقاتلا فقتل شَوْذب، وأمّا عابس، فطلب البراز، فتحاماه الناس لشجاعته، فقال لهم عمر: ارموه بالحجارة، فرمَوْه من كلّ جانب، فلمّا رأى ذلك ألقى درعه ومِغْفَره، وحمل على الناس، فهزمهم بين يديه، ثمّ رجعوا عليه، فقتلوه، وادّعى قتله جماعةٌ.

وجاء الضّحّاك بن عبد الله المشرفيُّ[8] إلى الحسين فقال: يا ابن رسول الله، قد علمتَ أنّي قلتُ لك إنّي أقاتل عنك ما رأيتُ مقاتلاً، فإذا لم أرَ مقاتلاً، فأنا في حِلٍّ من الانصراف. فقال له الحسين: صدقتَ، وكيف لك بالنّجاء؟ إنْ قدرتَ عليه فأنتَ في

(١) في الأوربية: «عيني».
(٢) الطبري ٥/٤٤٢، ٤٤٣.
(٣) سورة غافر، الآيات ٣٠ ـ ٣٣.
(٤) ما بين القوسين من (ب).
(٥) سورة طه، الآية ٦١.
(٦) ما بين القوسين من (ب).
(٧) الطبري ٥/٤٤٣، نهاية الأرب ٢٠/٤٥٤.
(٨) في (ر): «المزني».

حِلّ. قال: فأقبلتُ إلى فَرَسي، وكنتُ قد تركته في خباء حيث رأيت خيل أصحابنا تُعْقَر، وقَاتلتُ راجلاً وقتلتُ رجلَين، وقطعتُ يد آخر، ودعا إلى الحسين مراراً، قال: واستخرجتُ فرسي واستويتُ عليه، وحملتُ على عُرض القوم، فأفرجوا لي، وتبِعَني منهم خمسة عشر رجلاً، ففُتُّهم وسلمتُ[1].

وجثا أبو الشَّعثاء الكِنْديُّ، وهو يزيد بن أبي زياد، بين يدي الحسين، فرمى بمائة سهم، ما سقط منها خمسة أسهُم، وكلّما رمى يقول له الحسين: اللهمّ سَدِّدْ رميته، واجعلْ ثوابَه الجنّة! وكان يزيد هذا فيمَن خرج مع عمر بن سعد، فلمّا ردّوا الشروط على الحسين عدل إليه، فقاتل بين يديه، وكان أوّل مَن قُتل[2].

وأمّا الصَّيْداويّ عَمرو بن خالد، وجبّار[3] بن الحارث السَّلمانيُّ، وسعد مولى عَمرو بن خالد، ومُجمّع بن عُبيد[4] الله العائذيُّ، فإنّهم قاتلوا أوّل القتال، فلمّا وغلوا فيهم عطفوا إليهم، فقطعوهم عن أصحابهم، فحمل العبّاس بن عليّ، فاستنقذهم وقد جُرحوا، فلمّا دنا منهم عدوّهم حملوا عليهم، فقاتلوا فقُتلوا في أوّل الأمر في مكانٍ واحد[5].

وكان آخر مَن بقي من أصحاب الحسين سُوَيْد بن أبي المطاع[6] الخثعميُّ، وكان أوّل من قُتل من آل بني أبي طالب يومئذٍ عليٌّ الأكبر ابن الحسين، وأمُّه ليلى بنت أبي مُرّة بن عُرْوة بن مسعود الثقفيّة، وذلك أنّه حمل عليهم وهو يقول:

أنا عليُّ بنُ الحسينِ بنِ عليّ ... نحنُ وربِّ البيت[7] أَوْلَى بالنبيّ
تاللّهِ لا يحكُمُ فينا ابنُ الدَّعيّ[8]

ففعل ذلك مراراً، فحمل عليه مُرّةُ بن مُنْقِذ[9] العبديُّ، فطعنه، فصُرع، وقطَّعه الناس بسيوفهم، فلمّا رآه الحسين قال: قتل اللّهُ قوماً قتلوك! يا بُنيّ ما أجرأهم على الله وعلى انتهاك حُرمة الرسول! على الدنيا بعدك العَفاء! وأقبل الحسين إليه ومعه فتيانه

---

(١) الطبري ٥/٤٤٣ ـ ٤٤٥.
(٢) الطبري ٥/٤٤٥، نهاية الأرب ٢٠/٤٥٥.
(٣) الطبري ٥/٤٤٦ «وجابر».
(٤) الطبري: «عبد».
(٥) الطبري ٥/٤٤٦.
(٦) في (ر): «المطعم».
(٧) في (ب): «العرش»، وفي مروج الذهب: «نحن وبيت الله»: ومثله في البداية والنهاية.
(٨) الطبري ٥/٤٤٦، مروج الذهب ٣/٧١، البداية والنهاية ٨/١٨٥، نهاية الأرب ٢٠/٤٥٥.
(٩) في (ب): «سعد».

فقال: احملوا أخاكم، فحملوه حتّى وضعوه بين يدي الفُسطاط الّذي كانوا يقاتلون أمامه[١].

ثمّ إنّ عَمْرو بن صُبَيح الصُّدائيّ[٢] رمى عبدَ الله بن مسلم بن عَقيل بسهمٍ، فوضع كفّه على جبهته، فلم يستطع أن يحركها، ثمّ رماه بسهمٍ آخر فقتله.

وحمل الناسُ عليهم من كلّ جانب، فحمل عبدُ اللّه بن قُطْبة[٣] الطّائيُّ على عون بن عبد الله بن جعفر فقتله، وحمل عثمان بن خالد بن أُسَير الجُهَنيُّ، وبِشْر بن سَوْط الهَمْدانيُّ على عبد الرحمن بن عَقيل بن أبي طالب فقتلاه، ورمى عبد (الله بن عُرْوَة)[٤] الخَثعميّ جعفر بن عَقيل فقتله. ثمّ حمل القاسم بن الحسن بن عليّ وبيده السيف، فحمل عليه عَمْرو بن سعد بن نُفَيل الأزْديُّ، فضرب رأسه بالسيف، فسقط القاسم إلى الأرض لوجهه وقال: يا عمّاه! فانقضّ الحسين إليه كالصَّقْر، ثمّ شدّ شدّة ليثٍ أغْضِب[٥]، فضرب عَمراً بالسيف، فاتّقاه بيده، فقطع يده من المِرْفق، فصاح، وحملت خيلُ الكوفة ليستنقذوا عَمراً، فاستقبلته بصدورها، وجالت عليه فوطِئته حتى مات، وانْجَلَت الغبرةُ والحسينُ واقف على رأس القاسم، وهو يفحص برِجْلَيه، والحسين يقول: بُعْداً لقومٍ قتلوك، ومن خصمهم يوم القيامة فيك جَدُّك! ثمّ قال: عزّ والله على عمّك أن تدعوه فلا يجيبك، أو يجيبك ثمّ لا ينفعك صوته[٦]، واللّهِ، هذا يومٌ كَثُر واتِرُهُ، وقلّ ناصرُه! ثمّ احتمله على صدره حتى ألقاه مع ابنه عليّ، ومن قُتل معه من أهل بيته[٧].

ومكث الحسين طويلاً من النهار، كلّما انتهى إليه رجل من الناس رجع عنه، وكره أن يتولّى قتله، وعظُم إثمُه [عليه][٨]، ثمّ إنّ رجلاً من كِنْدة يقال له مالك بن النُّسَير أتاه، فضربه على رأسه بالسيف، فقطع البُرْنُسَ، وأدمى رأسه، وامتلأ البُرْنُس دماً، فقال له الحسين: لا أكلتَ بها ولا شرِبْتَ، وحشرك الله مع الظّالمين! وألقى البُرْنُسَ ولبس القَلَنْسُوَة، وأخذ الكِنْديُّ البُرْنُس، فلمّا قدِم على أهله أخذ البُرْنُسَ يغسل الدم عنه، فقالت له امرأته: أسَلَبَ ابن [بنت] رسول الله تُدْخِلُ بيتي؟ أَخرِجْه عنّي! قال: فلم يزل

(١) الطبري ٥/٤٤٦، ٤٤٧.
(٢) في (ر): «الصداوي».
(٣) في (ب): «قطرة»، وفي (ر): «قطية».
(٤) في (ب): «عبد الرحمن الخثعمي».
(٥) الطبري ٥/٤٤٧ «ليث غُضب».
(٦) في (ش)، والطبري ٥/٤٤٧ «صوت».
(٧) الطبري ٥/٤٤٧، ٤٤٨، نهاية الأرب ٢٠/٤٥٦.
(٨) الطبري ٥/٤٤٨.

ذلك الرجل فقيراً بشرٍّ حتّى مات[1].

ودعا الحسين بابنه عبد الله وهو صغير، (فأجلسه في حِجْره، فرماه رجلٌ مِن بني أسد فذبحه، فأخذ الحسين دمه)[2]، فصبّه في الأرض، ثمّ قال: ربّي إن تكن حبستَ عنا النَّصرَ من السماءِ، فاجعلْ ذلك لما هو خير، وانتقمْ من هؤلاء الظالمين.

ورمى عبدُ الله بن عُقْبَة الغَنَويُّ أبا بكر بن الحسين بن عليّ بسهمٍ فقتله، وقال العبّاس بن عليّ لإخوته من أمّه عبد الله وجعفر وعثمان: تقدّموا حتّى أرِثَكم[3]، فإنّه لا ولد لكم. ففعلوا فقُتلوا، وحمل هانىء بن ثُبَيت الحضرميُّ على عبد الله بن عليّ فقتله، ثمّ حمل على جعفر بن عليّ فقتله، ورمى خَوَليُّ بن يزيد الأصبحيُّ عثمانَ بن عليّ، ثمّ حمل عليه رجل من بني أبان بن دارم، فقتله وجاء برأسه، ورمى رجل من بني أبان أيضاً محمدَ بن عليّ بن أبي طالب، فقتله وجاء برأسه[4].

وخرج غلام من خباء من تلك الأخبية، فأخذ بعُود من عيدانه، وهو ينظر كأنّه مذعور، فحمل عليه رجل قيل إنّه هانىء بن ثُبَيت الحضرميُّ فقتله.

واشتدّ عطش الحسين، فدنا من الفُرات ليشرب، فرماه حُصين بن نُمير بسهمٍ، فوقع في فمه، فجعل يتلقّى الدم بيده، ورمى به إلى السماء، ثمّ حمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: اللهمّ إنّي أشكو إليك ما يُصنع بابن بنت نبيّك! اللهمّ أحصِهم عدداً، واقتلهم بَدَداً، ولا تُبْقِ منهم أحداً![5]

وقيل الذي رماه رجل من بني أبان بن دارم، فمكث ذلك الرجل يسيراً، ثمّ صبّ الله عليه الظَّمأَ، فجعل لا يَرْوَى، فكان يُرَوَّح عنه، ويبرَّد له الماء فيه السُّكَّر، وعِساسٍ فيها اللَّبَن ويقول: اسقوني، فيُعطَى القُلّة أو العُسّ[6] فيشربه، فإذا شربه اضطّجع هُنَيهةً ثمّ يقول: اسقوني، قتلني الظَّمأ، فما لبِث إلّا يسيراً حتّى انقدّت بطنه انقداد بطْن البعير[7].

ثمّ إنّ شَمِر بن ذي الجَوْشن أقبل في نفرٍ، نحو عشرة من رجالهم نحو منزل

---

(١) الطبري ٥/٤٤٨.
(٢) ما بين القوسين من (ش).
(٣) في (ب): «أريكم».
(٤) الطبري ٥/٤٤٨، ٤٤٩.
(٥) الطبري ٥/٤٤٩ باختلاف الألفاظ.
(٦) في (ر): «فيعطى العسلة والعيش».
(٧) الطبري ٥/٤٥٠.

الحسين، فحالوا بينه وبين رَحْله، فقال لهم الحسين: ويلكم! إن لم يكن لكم دِين ولا تخافون يوم المعاد، فكونوا أحراراً ذوي أحساب، امنعوا رَحْلي وأهلي من طُغاتكم وجُهّالكم. فقالوا: ذلك لك يا ابن فاطمة. وأقدم عليه شَمِر بالرَّجّالة[1] منهم[2]: أبو الجنوب، واسمه عبد الرحمن الجُعْفيُّ، والقَشْعَم بن نُذَيْر[3] الجُعفيُّ، وصالح بن وهب اليَزَنيُّ، وسِنان بن أنس النَّخعيُّ، وخَوَليّ بن يزيد الأصبحيُّ، وجعل شَمِر يحرّضهم على الحسين، وهو يحمل عليهم فينكشفون عنه، ثمّ إنّهم أحاطوا به. وأقبل إلى الحسين غلام من أهله، فقام إلى جنبه وقد أهوى بَحْر بن كعب بن تَيْم الله بن ثعلبة إلى الحسين بالسيف، فقال الغلام: يا ابن الخبيثة أتقتل عمّي! فضربه بالسيف، فاتّقاه الغلام بيده، فأطنّها إلى الجلدة، فنادى الغلام: يا أمّتاه! فاعتنقه الحسين وقال له: يا ابن أخي اصبِرْ على ما نزل بك، فإنّ الله يُلحقك بآبائك الطّاهرين الصّالحين، برسول الله ﷺ، وعليّ وحمزة وجعفر والحسنِ. وقال الحسين: اللهمّ أمسِكْ عنهم قَطْر السماء، وامنعهم بركات الأرض! اللهمّ فإنْ متّعتهم إلى حين ففرّقهم فِرَقاً، واجعلهم طرائق قِدَداً، ولا تُرْضِ عنهم الوُلاةَ أبداً، فإنّهم دعَوْنا لينصرونا، فعَدَوْا علينا فقتلونا[4]!

ثمّ ضارب الرَّجّالة حتّى انكشفوا عنه، ولما بقي الحسين في ثلاثةٍ أو أربعة دعا بسراويل، ففزّره، ونكثه[5] لئلاّ يُسْلَبَهُ، فقال له بعضهم: لو لبستَ تحته التُّبّان[6]. قال: ذلك ثوب مَذَلّة، ولا ينبغي [لي] أن ألبسه. فلمّا قُتل سَلَبَه بحرُ بن كعب، وكانت يداه في الشّتاء تنضحان بالماء، وفي الصيف تَيْبسان كأنّهما عود. وحمل الناس عليه عن يمينه وشماله، فحمل على الّذين عن يمينه فتفرّقوا، ثمّ حمل على الّذين عن يساره فتفرّقوا، فما رُؤي مكثور قطّ قد قُتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشاً منه، ولا أمضى جَناناً ولا أجرأ مَقْدَماً منه، إن كانت الرَّجّالة لتنكشف عن يمينه وشماله انكشاف المِعْزَى إذا شدّ فيها الذّئب[7].

فبينما هو كذلك إذ خرجت زينب وهي تقول: ليت السماء انطبقت على الأرض! وقد دنا عمر بن سعد، فقالت: يا عمر أيُقْتَل أبو عبد الله وأنت تنظر [إليه]؟ فدمعت عيناه

---

(١) في الطبعة الأوربية: «برجاله».
(٢) في (ر): «وأقدم عليه شمر بالرّجالة أبو الحارث، ومنهم».
(٣) في (ر) «بدر». وفي تاريخ الطبري ٥/٤٥٠ «القشعم بن عمرو بن يزيد الجعفي».
(٤) الطبري ٥/٤٥٠، ٤٥١.
(٥) أي نقعن نسجه.
(٦) التّبّان: سروال صغير مقدار شبر يستر العورة.
(٧) الطبري ٥/٤٥١، ٤٥٢.

حتّى سالت دموعه على خدّيْه ولحيته، وصرف وجهه عنها[1].

وكان على الحسين جُبّة من خَزّ، وكان مُعْتَمّاً مخضوباً بالوَسِمة، وقاتل راجلاً قتال الفارس الشجاع، يتّقي الرمية، ويفترص العورة، ويشدّ على الخيل، وهو يقول: أَعَلَى قتْلي تجتمعون؟ أما[2] واللّهِ لا تقتلون بعدي عبداً من عباد الله، اللّهُ أسخط عليكم لقتله منّي! وايم الله (إنّي لأرجو أن يكرمني الله بهوانكم ثم ينتقم لي منكم من حيث لا تشعرون! أما والله)[3] لو قتلتموني لألقى الله بأسكم بينكم، وسفك دماءكم، ثمّ لا يرضى بذلك منكم حتّى يضاعف لكم العذاب الأليم.

قال: ومكث طويلاً من النهار، ولو شاء الناس أن يقتلوه لقتلوه، ولكنّهم كان يتّقي بعضهم ببعض، ويحبّ هؤلاء أن يكفيهم هؤلاء، فنادى شَمِر في الناس: ويحكم ماذا تنتظرون بالرجل؟ اقتلوه ثكِلَتْكم أمّهاتكم! فحملوا عليه من كلّ جانب، فضرب زُرْعةُ بن شَريك التميميُّ على كفّه اليسرى، وضُرب أيضاً على عاتقه، ثمّ انصرفوا عنه وهو يقوم ويكبو، وحمل عليه في تلك الحال سِنان بن أَنَس النَّخعيُّ، فطعنه بالرّمح فوقع، وقال لخَوَلي بن يزيد الأصبحيّ: احتزّ رأسه، فأراد أن يفعل فضعف وأُرعِد، فقال له سِنان: فَتّ[4] الله عضُدَك! ونزل إليه فذبحه واحتزّ رأسه، فدفعه إلى خَوَليّ، (وسُلب الحسين ما كان عليه، فأخذ سراويله)[5] بحْرُ بن كعب، (وأخذ قيسُ بن الأشعث قَطيفته، وهي من خَزّ، فكان يسمّى بعدُ[6] قيس قطيفة)[7]، وأخذ نعليه الأسودُ الأوْديّ، وأخذ سيفه رجل من دارم، ومال الناس على الورْس[8] والحُلَل والإبل فانتهبوها، ونهبوا ثَقَله ومتاعه وما على النّساء، حتّى إن كانت المرأة لتنزع ثوبها من ظهرها، فيؤخذ منها[9].

ووُجد بالحسين ثلاثُ وثلاثون طعنة، وأربع وثلاثون ضربة (غير الرمية)[10].

وأمّا سُوَيد بن المطاع فكان قد صُرع، فوقع بين القتلى مُثْخَناً بالجراحات، فسمعهم يقولون: قُتل الحسين! فوجد خِفّةً، فوثب ومعه سكّين، وكان سيفه قد أُخذ،

---

(1) الطبري ٥/٤٥٢.
(2) في الأوربية: «أم».
(3) ما بين القوسين من (ش).
(4) في (ر): «كسر».
(5) ما بين القوسين من (ب).
(6) في الأوربية: «بعده».
(7) ما بين القوسين من (ب).
(8) في الأوربية: «الورش».
(9) الطبري ٥/٤٥٢، ٤٥٣.
(10) في الأوربية: «الرملة»، وما بين القوسين من (ش) و(ب).

فقاتلهم بسكّينه ساعةً، ثمّ قُتل، قتله عُروة بن بطان[1] الثعلبيُّ، وزيد بن رُقاد الجُنْبيُّ، وكان آخر من قُتل من أصحاب الحسين.

ثمّ انتهوا إلى عليّ بن الحسين زين العابدين، فأراد شَمِر قتله، فقال له حُمَيد[2] بن مسلم: سبحان الله أتقتل الصبيان! وكان مريضاً، وجاء عمر بن سعد فقال: لا يدخلنّ بيت هذه النّسْوة أحد، ولا يَعْرضنّ لهذا الغلام المريض، ومَنْ أخذ من متاعهم شيئاً فلْيردُّه، فلم يردّ أحد شيئاً. فقال الناس لسِنان بن أنس النَّخَعيِّ: قتلتَ الحسين بن علي وابنَ فاطمة بنت رسول الله ﷺ، قتلتَ أعظم العرب خطراً، أراد أن يُزيل ملك هؤلاء، فاتِ أمراءَك فاطلبْ ثوابك منهم، فإنّهم لو أعطوك بيوت أموالهم في قتْله كان قليلاً. فأقبل على فرسه، وكان شجاعاً شاعراً به لُوثة، حتّى وقف على باب فُسطاط عمر بن سعد، ثمّ نادى بأعلى صوته:

أوقِرْ ركابي فضّةً وذَهَبا ... إنّي قَتلتُ السيّدَ المُحجَّبا[3]
قتلتُ خيرَ النّاسِ أُمّاً وأبَا ... وخيرَهم إذْ يُنسَبونَ نَسَبا[4]

فقال عمر بن سعد: أشهد أنّك مجنون، أدخِلُوه عليّ. فلمّا دخل حذفه بالقضيب وقال: يا مجنون أتتكلّم بهذا الكلام؟ والله لو سمعك ابن زياد لضرب عنقك! وأخذ عمرُ بن سعد عُقْبةَ بن سِمْعان مولى الرباب ابنة امرئ القيس الكلبيّة امرأة الحسين، فقال: ما أنت؟ فقال: أنا عبد مملوك. فخلّى سبيله، فلم ينجُ منهم غيره وغير المُرقّع بن ثُمامة الأسديّ، وكان قد نثر نبْله فقاتل، فجاء نفر من قومه فآمنوه، فخرج إليهم، فلمّا أخبر ابن زياد خبره نفاه إلى الزّارة.

ثمّ نادى عمر بن سعد في أصحابه مَنْ ينتدب إلى الحسين فيُوطئه فرسه، فانتدب عشرة، منهم إسحاق بن حَيْوَة الحضرميُّ، وهو الذي سلب قميص الحسين، فبرِص بعدُ، فأتوا فداسوا الحسين بخيولهم حتّى رضّوا ظهره وصدره.

وكان عدّة من قُتل من أصحاب الحسين إثنين وسبعين رجلاً.

---

(١) في تاريخ الطبري ٤٥٣/٥ «بطار».

(٢) في (ر): «جند».

(٣) في (ب): «أنا قتلت الملك المجتبا»، والطبري: «أنا قتلت الملك المحجّبا»، ومثله في العقد الفريد، ومروج الذهب.

(٤) الطبري ٤٥٤/٥، العقد الفريد ٣٨١/٤، مروج الذهب ٧٠/٣، البداية والنهاية ١٨٩/٨، مقاتل الطالبيين ١١٩، الفتوح لابن أعثم ٢٢١/٥، سمط النجوم العوالي ٧٦/٣، نهاية الأرب ٤٦١/٢٠، أسد الغابة ٢١/٢، الاستيعاب ٣٧٩/١، تهذيب تاريخ دمشق ٣٤٥/٤، وتهذيب الكمال ٤٢٨/٦، وتاريخ الخميس ٣٣٣/٢.

ودفن الحسينَ وأصحابَه أهلُ الغاضريّة من بني أسد، بعد قتلهم بيوم[1].

وقُتل من أصحاب عمر بن سعد ثمانية وثمانون رجلاً سوى الجرحى، فصلّى عليهم عمر ودفنهم[2].

ولما قُتل الحسين أُرسل رأسه ورؤوس أصحابه إلى ابن زياد مع خَوَليّ بن يزيد وحُمَيْد بن مسلم الأزديّ، فوجد خَوَليّ القصر مغلقاً، فأتى منزله، فوضع الرأس تحت إجّانة في منزله، ودخل فراشه وقال لامرأته النّوار: جئتك بِغِنَى[3] الدهر، هذا رأس الحسين معك في الدار. فقالت: ويلك! جاء الناس بالذّهب والفضّة، وجئتَ برأس ابن رسول الله ﷺ! والله لا يجمع رأسي ورأسك بيتٌ أبداً! وقامت من الفراش فخرجت إلى الدّار، قالت: فما زلتُ أنظر إلى نور يسطع مثل العمود من السماء إلى الإجّانة، ورأيتُ طيراً أبيض يرفرف حولها. فلمّا أصبح غدا بالرأس إلى ابن زياد[4].

وقيل: بل الذي حمل الرؤوس كان شَمِر وقيس بن الأشعث، وعَمْرو بن الحجّاج، وعُرْوة بن قيس، فجلس ابن زياد، وأذِن للناس، فأُحضرت الرؤوس بين يديه، وهو ينكت بقضيب بين ثنيّتَيْه[5] ساعة، فلمّا رآه زيد بن الأرقم لا يرفع قضيبه قال: أَعْلِ هذا القضيب عن هاتَين الثنيّتَين[6]، فوالذي لا إله غيره لقد رأيتُ شفتَي رسول الله ﷺ، على هاتَين الشفتين يقبّلهما! ثمّ بكى، فقال له ابن زياد: أبكى الله عينيك! فوالله لولا أنّك شيخ قد خرِفتَ وذهب عقلك لَضربتُ عنقك. فخرج وهو يقول: أنتم يا معشر العرب العبيدُ بعد اليوم، قتلتم ابن فاطمة، وأمّرتم ابن مَرْجانة[7]، فهو يقتل خياركم ويستعبد شِراركم، فرضيتم بالذُّلّ، فبُعداً لمن يرضى بالذلّ![8]

فأقام عمر بعد قتله يومَين، ثمّ ارتحل إلى الكوفة، وحمل معه بنات الحسين وأخواته، ومن كان معه من الصّبيان، وعليّ بن الحسين مريض، فاجتازوا بهم على الحسين وأصحابه صرعى، فصاح النّساء ولطمن خدودهنّ، وصاحت زينب أخته: يا محمّداه صلّى عليك ملائكة السماء! هذا الحسين بالعراء، مرمَّل بالدّماء، مقطَّع

---

(١) في (ر): «بيومين».
(٢) الطبري ٥/٤٥٤، ٤٥٥.
(٣) في (ب) و (ر): «بغي».
(٤) الطبري ٥/٤٥٥.
(٥) في (ر): «ثناياه».
(٦) في (ر): «الشفتين».
(٧) في (ب) و (ر): «سمية».
(٨) الطبري ٥/٤٥٦.

الأعضاء، وبناتك سبايا، وذرّيّتك مُقتَّلة تسفي عليها الصَّبا! فأبكت كلّ عدوّ وصديق[1].

فلمّا أدخلوهم على ابن زياد لبست زينب أرذل ثيابها، وتنكّرت، وحفّت بها إماؤها، فقال عُبَيد الله: مَنْ هذه الجالسة؟ فلم تكلّمه، فقال ذلك ثلاثاً وهي لا تكلّمه، فقال بعض إمائها: هذه زينب بنت فاطمة. فقال لها ابن زياد: الحمد لله الذي فضحكم وقتّلكم، وأكذب أُحْدوثتكم! فقالت: الحمد لله الذي أكرمنا بمحمّد وطهّرنا تطهيراً، لا كما تقول، وإنّما يُفتضح الفاسق، ويكذَّب الفاجر. فقال: فكيف رأيت صنع الله بأهل بيتك؟ قالت: كُتب عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم، فتختصمون عنده. فغضب ابن زياد وقال: قد شفى الله غيظي من طاغيتك والعُصاة المَرَدة من أهلِ بيتك. فبكت وقالت: لَعَمْري لقد قتلت كهْلي، وأبرزتَ أهلي، وقطعتَ فرعي، واجتثثتَ أصلي، فإنْ يشفِك هذا فقد اشتفيتَ. فقال لها: هذه شجاعة، لَعَمْري، لقد كان أبوك شجاعاً! فقالت: ما للمرأة والشجاعة![2]

ولما نظر ابن زياد إلى عليّ بن الحسين قال: ما اسمك؟ قال: عليّ بن الحسين. قال: أوَلم يقتل الله عليّ بن الحسين؟ فسكت. فقال: ما لك لا تتكلّم؟ فقال: كان لي أخ يقال له أيضاً عليٌّ، فقتله الناس. فقال: إنّ الله قتله. فسكت عليٌّ. فقال: ما لك لا تتكلّم؟ فقال: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[3]، ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[4]. قال: أنت والله منهم. ثمّ قال لرجل: ويْحك! انظرْ هذا هل أدرك؟ إنّي لأحسبه رجلاً. قال: فكشف عنه مُرّيّ بن مُعاذ الأحمريّ فقال: نعم قد أدرك. قال: اقتله. فقال عليّ: مَن تُوكِل بهذه النِّسْوة؟ وتعلّقت به زينب فقالت: يا ابن زياد حسبك منّا، أما رَوِيتَ من دمائنا، وهل أبقيتَ منّا أحداً! واعتنقتْه وقالت: أسألك بالله إن كنت مؤمناً إنْ قتلته لما قتلتني معه! وقال له عليّ: يا ابن زياد إن كانت بينك وبينهنّ قرابة، فابعثْ معهن رجلاً تقيّاً يصحبهنّ بصُحبة الإسلام. فنظر إليها ساعة ثمّ قال: عجباً للرَّحِم! والله إنّي لأظنّها ودّت لو أنّي قتلته أنّي قتلتها معه، دعوا الغلام ينطلق مع نسائه.

ثمّ نادى: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس، فصعِدَ المنبر، فخطبهم وقال: الحمد لله الذي أظهر الحقّ وأهله، ونصر أمير المؤمنين يزيد وحزبه، وقتل الكذّاب ابن الكذّاب الحسين بن عليّ وشيعته.

---

(١) الطبري ٥/٤٥٦.
(٢) الطبري ٥/٤٥٧.
(٣) سورة الزُّمَر ٣٩، الآية ٤٢.
(٤) سورة آل عمران ٣، الآية ١٤٥.

فوثب إليه عبد الله بن عَفيف[1] الأزديُّ ثمّ الوالبيُّ، وكان ضريراً قد ذهبت إحدى عينيه يوم الجمل مع عليّ، والأخرى بصفّين معه أيضاً، وكان لا يفارق المسجد، يصلّي فيه إلى الليل، ثمّ ينصرف، فلمّا سمع مقالة ابن زياد قال: يا ابن مَرْجانة! إنّ الكذّاب ابن الكذّاب أنت وأبوك والذي ولّاك وأبوه! يا ابن مرجانة أتقتلون أبناء النبيّين وتتكلّمون بكلام الصِّدّيقين؟ فقال: عَليَّ به. فأخذوه، فنادى بشعار الأزد: يا مبرور! فوثب إليه فتية من الأزد فانتزعوه، فأرسل إليه من أتاه به، فقتله وأمر بصلبه في المسجد، فصُلب، رحمه الله.

وأمر ابن زياد برأس الحسين فطِيف به في الكوفة، وكان رأسه أوّل رأس حُمل في الإسلام على خشبة في قول، والصحيح أن أوّل رأس حُمل في الإسلام رأس عَمْرو بن الحَمِق.

ثمّ أرسل ابنُ زياد رأس الحسين ورؤوس أصحابه مع زَحْر بن قيس إلى الشام إلى يزيد ومعه جماعة، وقيل: مع شَمِر وجماعة معه، وأرسل معه النساء والصبيان، وفيهم عليّ بن الحسين، قد جعل ابنُ زياد الغُلَّ في يديه ورقبته، وحملهم على الأقتاب، فلم يكلّمهم عليُّ بن الحسين في الطريق حتّى بلغوا الشام، فدخل زَحْر بن قيس على يزيد، فقال: ما وراءك؟ فقال: أبشِرْ يا أمير المؤمنين بفتح الله وبنصره، ورد علينا الحسين بن عليّ في ثمانية عشر من أهل بيته، وستّين من شيعته، فسرنا إليهم، فسألناهم أن ينزلوا على حكم الأمير عُبيد الله أو القتال، فاختاروا القتال، فَعَدَوْنا عليهم مع شروق الشمس، فأحطنا بهم من كلّ ناحية حتّى إذا أخذت السيوف مآخذها من هام القوم جعلوا يهربون إلى غير وَزَر، ويلوذون بالإكام والحُفَر، كما لاذ الحمائم من صَقَر، فوالله ما كان إلّا جزْرَ جَزور، أو نومة قائل، حتّى أتينا على آخرهم! فهاتيك أجسادهم مجرَّدة، وثيابهم مرمَّلة، وخدودهم معفَّرة، تصهرهم الشمس، وتَسفي عليهم الريح، زُوّارهم العِقْبان والرَّخم بِقِيٍّ[2] سبسب[3].

قال: فدمعت عينا يزيد وقال: كنتُ أرضى من طاغيتكم بدون قتل الحسين، لعن الله ابنَ سُمَيّة! أمَا[4] والله لو أنّي صاحبه لعفوتُ عنه، فرحِم اللّهُ الحسين! ولم يصلْه بشيء[5].

---

(١) في (ر): «وعبيد».
(٢) القِيّ: قفر الأرض والخلاء.
(٣) في (ر): «بغى شبيب»، وفي (ب): «ومعي سبيهم».
(٤) في الأوربية: «أم».
(٥) الطبري ٥/٤٥٩، ٤٦٠.

وقيل: إنّ آل الحسين لما وصلوا إلى الكوفة حبسهم ابن زياد وأرسل إلى يزيد بالخبر، فبينما هم في الحبس، إذ سقط عليهم حجر فيه كتابٌ مربوط وفيه: إنّ البريد سار بأمركم إلى يزيد، فيصل يوم كذا، ويعود يوم كذا، فإن سمعتم التكبير فأيقِنوا بالقتْل[1]، وإن لم تسمعوا تكبيراً فهو الأمان. فلمّا كان قبل قدوم البريد بيَومَين أو ثلاثة، إذا حجر قد أُلقي، وفيه كتاب يقول فيه: أوصوا واعهدوا[2] فقد قارب وصول البريد. ثمّ جاء البريد بأمر يزيد بإرسالهم إليه، فدعا ابنُ زياد مُحفِّر[3] بن ثعلبة وشَمِر بن ذي الجَوشن، وسيّرهما بالثَّقَل والرأس، فلمّا وصلوا إلى دمشق نادى محفِّر[3] بن ثعلبة على باب يزيد: جئنا برأس أحمق الناس وألأمهم! فقال يزيد: ما ولدت أمّ محفِّر[3] ألأم وأحمق منه، ولكنّه قاطع ظالم.

ثمّ دخلوا على يزيد فوضعوا[4] الرأس بين يديه وحدّثوه، فسمعت الحديث هندُ بنت عبد الله بن عامر بن كُرَيز، وكانت تحت يزيد، فتقنّعت بثوبها وخرجت فقالت: يا أمير المؤمنين، أَرَأْسَ الحسين بن عليّ بن فاطمة بنت رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، فأَعْوِلي عليه، وحُدِّي على ابن بنت رسول الله ﷺ، وصريحة قريش، عجّل عليه ابن زياد فقتله، قتله الله! ثمّ أذن للناس فدخلوا عليه والرأس بين يديه ومعه قضيب وهو ينكت به ثغره، ثمّ قال: إنّ هذا وإيّانا كما قال الحُصين بن الحُمام:

أَبَى قومُنا أن يُنصفونا فأنصفتْ ... قواضبُ في أيماننا تقطرُ الدِّمَا
يفلّقن هاماً مِن رِجالٍ أَعِزَّةٍ ... علينا، وهم كانوا أعقَّ وأظلَمَا[5]

فقال له أبو بَرزة الأسلميُّ: أتنكُت بقضيبك في ثغر الحسين؟ أما لقد أخذ قضيبك في ثغره مأخذاً، لربّما رأيتُ رسول الله ﷺ، يرشُفُه، أما إنّك يا يزيد تجيء يوم القيامة وابن زياد شفيعك، ويجيء هذا ومحمّد شفيعه[6]. ثمّ قام فولّى.

(١) في (ب): «بالهلاك».
(٢) في الأوربية: «وعهدوا».
(٣) في تاريخ الطبري «محفّز» بالزاي، ويؤكّد ابن الأثير أنه بالراء المهملة، كما سيأتي.
(٤) في (ر): «فرموا».
(٥) أوردالطبري البيت الثاني فقط ٥/ ٤٦٠ و٤٦٣، وكذا المسعودي في مروج الذهب ٣/ ٧١ وفيه: «أحبّة» بدل «أعزّة» والعقد الفريد ٤/ ٣٨٢، وتاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) - ص ١٨، ومجمع الزوائد للهيثمي ٩/ ١٩٣، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٣٠٩، والبداية والنهاية ٨/ ١٩١، وهو من المفضّليّات ٦٤، وديوان الحماسة بشرح التبريزي ١/ ١٩٣، وتهذيب الكمال ٦/ ٤٢٨، والفتوح ٥/ ٢٣٩ وتاريخ الخميس ٢/ ٣٣٤ وفيه «تعلق هاماً» والبيتان في نهاية الأرب ٢٠/ ٤٦٨، ٤٦٩، وسمط النجوم العوالي ٣/ ٧٣، والأخبار الطوال ٢٦١، ومقاتل الطالبيين ١١٩.
(٦) في (ر): «خصيمك».

فقال يزيد: والله يا حسينُ لو كنتُ أنا صاحبك ما قتلتُك. ثمّ قال: أتدرون من أين أتى هذا؟ قال: أبي عليٌّ خير من أبيه، وفاطمة أمّي خيرٌ من أمّه، وجَدّي رسول الله خيرٌ من جَدّه، وأنا خيرٌ منه وأحقُّ بهذا الأمر منه؛ فأمّا قوله أبوه خير من أبي، فقد حاجّ أبي أباه إلى الله، وعلم الناس أيّهما حُكِم له؛ وأمّا قوله أمّي خير من أمّه، فَلَعَمْري فاطمة بنت رسول الله خير من أمّي؛ وأمّا قوله جدّي رسول الله خير من جدّه، فَلَعَمْري ما أحد يؤمن بالله واليوم الآخر يرى لرسول الله فينا عِدلاً ولا نِدّاً، ولكنّه إنّما أُتي من قِبَل فقهه، ولم يقرأ: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾[1].

ثمّ أدخل نساء الحسين عليه والرأس بين يديه، فجعلت فاطمة وسُكَيْنة ابنتا الحسين تتطاولان لتنظرا إلى الرأس، وجعل يزيد يتطاول ليستر عنهما الرأس. فلمّا رأين الرأس صحْن، فصاح نساء يزيد، وولول[2] بنات معاوية. فقالت فاطمة بنت الحسين، وكانت أكبر من سُكَينة: أَبَنَات رسول الله سبايا يا يزيد؟ فقال: يا ابنة أخي أنا لهذا كنتُ أكره. قالت: والله ما تُرِك لنا خُرْص[3]. فقال: ما أتى إليكنّ أعظم ممّا أُخذ منكنّ. فقام رجل من أهل الشام فقال: هبْ لي هذه، يعني فاطمة، فأخذت بثياب أختها زينب، وكانت أكبر منها، فقالت زينب: كذبت ولؤمت، ما ذلك لك ولا له. فغضب يزيد وقال: كذبت والله، إنّ ذلك لي ولو شئتُ أن أفعله لفعلته. قالت: كَلّا والله ما جعل الله لك ذلك إلّا أن تخرج من ملّتنا، وتدين بغير ديننا. فغضب يزيد واستطار ثمّ قال: إيّاي تستقبلين[4] بهذا؟ إنّما خرج من الدّين أبوك وأخوك! قالت زينب: بدِين الله ودِين أبي وأخي وجدّي اهتديتَ أنتَ وأبوك وجدّك. قال: كذبتِ يا عدوّة الله! قالت: أنت أمير تشتم ظالماً وتقهر بسلطانك؟ فاستحى وسكت، ثمّ أُخرجن وأُدخلنَ دور يزيد، فلم تبقَ امرأة من آل يزيد إلّا أتتهنّ وأقمنَ المأتم، وسألهنّ عمّا أُخذ منهنّ فأضعفه لهنّ، فكانت سُكَيْنة تقول: ما رأيتُ كافراً بالله خيراً من يزيد بن معاوية[5].

ثمّ أمر بعليّ بن الحسين، فأُدْخل مغلولاً فقال: لو رآنا رسول الله ﷺ، مغلولين لفكّ عنّا. قال: صدقتَ. وأمر بفكّ غلّه عنه. فقال عليٌّ: لو رآنا رسول الله ﷺ، بُعَداءَ لأحبّ أن يقرّبنا. فأمر به فقُرّب منه، وقال له يزيد: إيه يا عليّ بن الحسين، أبوك الذي قطع رَحِمي، وجهل حقّي، ونازعني سلطاني، فصنع الله به ما رأيتَ. فقال عليّ: ﴿مَا

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٢٦.

(٢) في الأوربية: «وولولن».

(٣) الخُرْص: حلقة القرط.

(٤) في الأوربية: «تستقلّين».

(٥) الطبري ٥/٤٦٤، نهاية الأرب ٢٠/٤٦٩، ٤٧٠.

أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاّ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[1]. فقال يزيد: ﴿مَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾[2]. ثُمّ سكت عنه، وأمر بإنزاله وإنزال نسائِه في دار عليّ جدّه، وكان يزيد لا يتغدّى ولا يتعشّى إلاّ دعا عليّاً إليه، فدعاه ذات يوم ومعه عَمْرو بن الحسن[3]، وهو غلام صغير، فقال لعَمْرو: أتُقاتل هذا؟ يعني خالد بن يزيد. فقال عَمْرو: أعطِني سكّيناً وأعطِهِ سكّيناً حتّى أقاتله. فضمّه يزيد إليه وقال: شِنْشِنَةٌ أعرفها من أَخْزَمَ[4]، هل تلد الحيّة إلاّ حيّة[5]!

وقيل: ولما وصل رأس الحسين إلى يزيد حسنت حال ابن زياد عنده وزاده ووصله، وسرّه ما فعل، ثمّ لم يلبث إلاّ يسيراً، (حتّى بلغه بُغْضُ الناس له، ولعْنهم وسبّهم)[6]، فندم على قتل الحسين، فكان يقول: وما عليّ لو احتملتُ الأذى، وأنزلتُ الحسين معي في داري، وحكّمته فيما يريد، وإن كان عليّ في ذلك وهنٌ في سلطاني حِفْظاً لرسول الله ﷺ، ورعايةً لحقّه وقرابته، لعن الله ابن مرجانة، فإنّه اضطّره، وقد سأله أن يضع يده في يدي، أو يلحق بثغرٍ حتّى يتوفّاه الله، فلم يُجِبْه إلى ذلك فقتله، فبغّضني بقتله إلى المسلمين، وزرع في قلوبهم العداوة، فأبغضني البَرّ والفاجر بما استعظموه من قتلي الحسين، ما لي ولابن مرجانة، لعنه الله وغضب عليه!

ولما أراد أن يسيّرهم إلى المدينة أمر يزيد النُّعمانَ بن بَشير أن يجهّزهم بما يُصلحهم، ويسيّر معهم رجلاً أميناً[7] من أهل الشام، ومعه خيلٌ يسير بهم إلى المدينة، ودعا عليّاً ليودّعه وقال له: لعن الله ابن مرجانة! أمَا والله لو أنّي صاحبه ما سألني خصلةً أبداً إلاّ أعطيته إيّاها، ولَدَفعتُ الحتْف عنه بكلّ ما استطعتُ، ولو بهلاك بعض ولدي، ولكنْ قضى الله ما رأيتَ. يا بُنيّ كاتبني حاجةً تكون لك. وأوصى بهم هذا الرسول، فخرج بهم فكان يسايرهم ليلاً، فيكونون أمامه بحيث لا يفوتون طَرْفه، فإذا نزلوا تنحّى عنهم هو وأصحابه، فكانوا حولهم كهيئة الحرس، وكان يسألهم عن حاجتهم، ويلطف بهم حتّى دخلوا المدينة. فقالت فاطمة بنت عليّ لأختها زينب: لقد أحسن هذا الرجل

---

(١) سورة الحديد، الآيتان ٢٢ و٢٣.
(٢) سورة الشورى، الآية ٣٠.
(٣) في الأوربية: «الحسين».
(٤) مجمع الأمثال ٦٥٨/١، الأخبار الطوال ٢٦١.
(٥) في (ر) زيادة: «ما بقي ولد للحسين إلا علي بن الحسين وهذا». وفي نهاية الأرب ٤٧١/٢٠: «حَيَّة».
(٦) ما بين القوسين من (ب).
(٧) في (ب): «معيناً»، وفي (ر): «تقيا».

إلينا، فهل لك أن نصله بشيء؟ فقالت: والله ما معنا ما نصله به إلاّ حُلّينا، فأخرجتا سوارَين ودُمْلُجَين لهما فبعثتا بها[1] إليه واعتذرتا، فردّ الجميع وقال: لو كان الذي صنعتُ للدنيا، لكان في هذا ما يُرْضيني، ولكنْ، والله ما فعلته إلاّ لله، ولقرابتكم من رسول الله ﷺ.

وكان مع الحسين امرأته الرَّباب بنت امرىء القيس، وهي أمّ ابنته سُكَينة، وحُملَت إلى الشام فيمن حُمل من أهله، ثمّ عادت إلى المدينة، فخطبها الأشراف من قريش، فقالت: ما كنتُ لأتخذ حَمْواً بعد رسول الله ﷺ. وبقيتْ بعده سنة، لم يظلّها سقفُ بيتٍ حتّى بليت وماتت كمداً، وقيل: إنّها أقامت على قبره سنة، وعادت إلى المدينة، فماتت أسفاً عليه.

فأرسل عُبيدُ الله بن زياد مبشِّراً إلى المدينة بقتل الحسين إلى عَمْرو بن سعيد، فلقِيه رجل من قريش فقال: ما الخبر؟ فقال: الخبر عند الأمير. فقال القُرَشيُّ: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، قُتل الحسين.

ودخل البشير على عَمْرو بن سعيد فقال: ما وراءك؟ قال: ما سَرّ الأميرَ، قُتلِ الحسين بن عليّ. فقال: نادِ بقتله، فنادى، فصاح نساء بني هاشم، وخرجت ابنةُ عَقيل بن أبي طالب ومعها نساؤها حاسرةً تلوي ثوبها وهي تقول:

مـاذا تَقولونَ إنْ[2] قالَ النبيُّ[3] لكمْ ... مـاذا فعلتمْ وأنتم آخرُ الأُمَمِ
بعِترَتي وبأهلي بعدَ مُفتَقَدي ... منهم أُسارَى وقتلى[4] ضُرِّجوا بدمِ
ما كان هذا جزائي إذ نصَحتُ لكم ... أن تُخْلِفوني بسوءٍ في[5] ذوي رَحِمي[6]

فلمّا سمع عَمرو أصواتهنّ ضحك وقال:

عجّتْ نساءُ بني زيادٍ عَجّةً ... كعجيج نِسْوَتنا غَداة الأرنَبِ[7]

---

(١) في الأوربية: «به».
(٢) في الأوربية: «إذ».
(٣) في البدء والتاريخ «المليك».
(٤) الطبري: «ومنهم».
(٥) في (ش): «بسوقي».
(٦) البيتان الأولان فقط عند الطبري ٥/٤٦٧، والمقدسي في: البدء والتاريخ ٦/١٢، وكلها في: البداية والنهاية ٨/١٩٨، والفتوح لابن أعثم ٥/٢٤٥، والمعجم الكبير للطبراني ٣/١٢٦ رقم (٢٨٥٣) و٣/١٣٣، ١٣٤ رقم (٢٨٧٥)، وتهذيب الكمال للمزّي ٦/٤٢٩، ٤٣٠، ونهاية الأرب ٢٠/٤٧٤.
(٧) الطبري ٥/٤٦٦، والبيت في: أمالي القالي ١/١٢٦، ونهاية الأرب ٢٠/٤٧٣.

والأرنب: وقعة كانت لبني زُبَيد على بني زياد من بني الحارث بن كعب، وهذا البيت لعَمْرو بن معدي كرِب.

ثمّ قال عَمْرو: واعية كواعية عثمان؛ ثمّ صعِد المنبر، فأعلم الناس قتله.

ولما بلغ عبدَ الله بن جعفر قتلُ ابنَيْه مع الحسين دخل عليه بعضُ مواليه يعزّيه والناسِ يعزّونه، فقال مولاه: هذا ما لقيناه من الحسين! فحذفه ابن جعفر بنعله وقال: يا ابن اللَّخْناء أَلِلحُسين تقول هذا؟ واللّهِ لو شهدتُهُ لأحببتُ أن لا أفارقه حتّى أُقتَل معه، واللّهِ إنّه لممّا يُسخّي بنفسي عنهما، ويهوّن عليّ المصاب بهما أنّهما أُصيبا مع أخي وابن عمّي، مواسِيَيْن له صابرَيْن معه. ثمّ قال: إن لم تكن آست الحسينَ يدي، فقد آساه ولدي[1].

ولما وفد أهلُ الكوفة بالرأس إلى الشام، ودخلوا مسجد دمشق، أتاهم مروان بن الحكَم فسألهم: كيف صنعوا؟ فأخبروه، فقام عنهم، ثمّ أتاهم أخوه يحيَى بن الحَكَم، فسألهم، فأعادوا عليه الكلام، فقال: حُجبتم عن محمد ﷺ، يوم القيامة، لن أُجامعكم على أمر أبداً! ثمّ انصرف عنهم. فلمّا دخلوا على يزيد قال يحيَى بن الحَكَم[2]:

لُهَامٌ[3] بجنْبِ الطَّفّ[4] أدنَى قرابةً ... من ابن زياد العبد ذي الحسَبِ الوغلِ[5]
سُمَيّةُ أمسى نَسْلُها عددَ الحصَى ... وليس لآل المصطفى اليومَ من نسلِ[6]

فضرب يزيد في صدره وقال: اسكتْ. قيل: وسمع بعض أهل المدينة ليلة قُتل الحسين منادياً ينادي:

أيّها القاتلونَ جَهلاً حُسَيْناً ... أبشِروا بالعذابِ والتّنكيلِ
كلُّ أهل السّماءِ يدعو عليكُمْ ... مِن نَبيٍّ ومَلأَكٍ وقَبيلِ[7]

---

(١) الطبري ٥/٤٦٦.
(٢) في طبعة صادر ٤/٨٩ «يحيى بن أكثم» وهذا وهْم فاحش، فابن أكثم هو القاضي المعروف في العصر العباسي، والتصحيح من: الطبري ٥/٤٦٠.
(٣) في (ب) و (ر): «إمام».
(٤) في (ب): «مجيب اللطف».
(٥) في (ب) و (ر): «الرذلي»؛ وفي تاريخ الإسلام: «ذي النسب الوغل».
(٦) البيتان في: تاريخ الطبري ٥/٤٦٠ وفيه: «وبنت رسول الله ليس لها نسل»، ومثله في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) - ص ١٨، وهو ينسب القول إلى: عبد الرحمن بن الحكم.
(٧) في الطبعة الأوربية: «من نبيّ ومن مَلَكٍ وقبيل»، وفي تهذيب تاريخ دمشق: «ومرسل وقتيل»، وفي البداية والنهاية «مالك».

قـد لُعِنتمْ على لِسانِ ابنِ داو   دَ وموسَى وصاحبِ[1] الإنجيلِ[2]

ومكث الناس شهرين أو ثلاثة كأنّما تُلطّخ الحوائط بالدماء ساعةَ تطلُعُ الشمس حتّى ترتفع. قال رأس جالوت ذلك الزمان: ما مررتُ بكربلاء إلاّ وأنا أركض دابّتي حتّى أخلّف المكان، لأنّا كنّا نتحدّث أنّ ولد نبيّ يُقْتَل بذلك المكان، فكنتُ أخاف، فلمّا قُتل الحسين أمِنْتُ، فكنتُ أسير ولا أركض.

قيل: وكان عُمْر الحسين يوم قُتل خمساً وخمسين[3] سنة، وقيل: قُتل وهو ابن إحدى وستّين[4]، وليس بشيءٍ.

وكان قتْلُه يوم عاشوراء سنة إحدى وستّين[5].

(بُرَيْر بن خُضَير: بضمّ الباء الموحَّدة، وفتح الراء المهملة، وسكون الياء المُثنّاة من تحتها، وآخره راء. وخُضَير: بالخاء والضّاد المعجمتين. ثُبَيْت: بضمّ الثّاء المثلّثة، وفتح الباء الموحّدة، وسكون الياء المثنّاة من تحتها، وآخره تاء مثنّاة من فوقها. ومُحَفِّر بضم الميم، وفتح الحاء المهملة، وتشديد الفاء المكسورة، وآخره راء).

([وقال][6]... التيميُّ تَيْم مُرّة يرثي الحسين وأهله، وكان منقطعاً إلى بني [هاشم]:

مررتُ على أبياتِ آلِ مُحمّدٍ   فلم أرَها أمثالها يومَ حُلّتِ[7]
فلا يُبعِدِ اللَّهُ الدّيارَ وأهلَها   وإن أصبحتْ من أهلها قد تخلّتِ[8]
وإنّ قتيلَ الطَّفّ من آل هاشمٍ   أذلَّ رِقابَ المسلمينَ فذلّتِ[9]

---

(١) في تاريخ الطبري، والبداية والنهاية «وحامل».
(٢) الطبري ٥/٤٦٧، تهذيب تاريخ دمشق ٤/٣٤٤، البداية والنهاية ٨/١٩٨، نهاية الأرب ٢٠/٤٧٤، الفتوح لابن أعثم ٥/٢٥٠، ٢٥١.
(٣) في (ر): «وستين».
(٤) في (ر): «وقيل خمسين والأخير أصح».
(٥) تهذيب تاريخ دمشق ٤/٣٤٥.
(٦) من هنا إلى نهاية الأبيات من (ش)، وفي أول الفقرة بياض.
(٧) في تهذيب تاريخ دمشق، وتهذيب الكمال، وسير أعلام النبلاء: «فألفيتُها أمثالَها حين حُلّت». والمثبت يتفق مع الحماسة لأبي تمام، وفي: الاستيعاب: «فلم أر من أمثالها حيث خلت».
(٨) في تهذيب تاريخ دمشق، وتهذيب الكمال، وسير أعلام النبلاء: «وإن أصبحت منهم برغمي تخلّت»، وفي الاستيعاب، والبداية والنهاية «وإن أصبحت منهم بزعمي تحلّت».
(٩) في المصادر: «أذلّ رِقاباً من قريشٍ فذلّت».

وكانوا رَجاءً ثمّ أضحوا رَزِيّةً[1] | لقد عظُمَتْ تلك الرّزايا وجلّتِ
وعند غنيٍّ[2] قَطرَةٌ من دمائِنا | سنُجْزيهمُ[3] يوماً بها حيثُ[4] حلّتِ[5]
إذا افتَقرتْ[6] قيسٌ جبرْنا فقيرَها[7] | تُقتِّلُنا[8] قَيسٌ إذا النَّعْلُ زلّتِ[9]

ذكر أسماء من قُتل معه[10]

قال سليمان: لما قُتل الحسين ومن معه حُملت رؤوسهم إلى ابن زياد، فجاءت كِندة بثلاثة عشر رأساً، وصاحبُهم قيس بن الأشعث، وجاءت هوازن بعشرين رأساً، وصاحبهُم شَمِر بن ذي الجَوشَن الضبابيُّ، وجاءت بنو تميم بسبعة عشر رأساً، وجاءت بنو أسد بستّة أرؤس، وجاءت مَذْحِج بسبعة أرؤس، وجاء سائر الجيش بسبعة أرؤس، فذلك سبعون رأساً.

وقُتل الحسين، قتله سِنان بن أنَس النَّخعيُّ، لعنه الله، وقُتل العبّاس بن عليّ، وأمّه أمّ البنين بنت حِزام، (قتله زيد بن رُقاد الجُنُبيُّ)[11] وحكيم بن الطفيل السِّنْبِسِيّ[12]. وقُتل جعفر بن عليّ، وأمّه أمّ البنين أيضاً. وقُتل عبد الله بن عليّ، وأمّه أمّ البنين أيضاً)[13]. وقُتل عثمان بن عليّ، وأمّه أمّ البنين أيضاً، رماه خَوليّ بن يزيد بسهم فقتله. وقُتل محمد بن عليّ، وأمّه أمّ ولد، قتله رجل من بني دارم. وقُتل أبو بكر بن عليّ، وأمّه ليلى

---

(١) في تهذيب تاريخ دمشق، وتهذيب الكمال، وسير أعلام النبلاء، والبداية والنهاية: «وكانوا لنا غُنْماً فعادوا رَزِيّة»، والمثبت يتفق مع الاستيعاب.

(٢) في البداية والنهاية: «وعند يزيد».

(٣) في الطبعة الأوربية: «سنجريهم».

(٤) في تهذيب الكمال: «حين».

(٥) في الطبعة الأوربية: «خلّت».

(٦) في الطبعة الأوربية: «افترقت».

(٧) في الاستيعاب: «حبرنا فقيرها»، وفي تهذيب تاريخ دمشق «تخير غيرها»، وفي تهذيب الكمال، والبداية والنهاية: «خبرنا فقيرها».

(٨) في البداية والنهاية: «وتقلنا».

(٩) البيت الثالث في مروج الذهب ٣/٧٤، وكلها في: الاستيعاب ١/٣٧٩، ٣٨٠ مع أبيات أخرى وتقديم وتأخير، وتهذيب تاريخ دمشق ٤/٣٤٥، ٣٤٦، وتهذيب الكمال ٦/٤٤٧، ٣٤٨، وسير أعلام النبلاء ٣/٣١٨، ٣١٩، والبداية والنهاية ٨/٢١١، وبعضها في ديوان الحماسة لأبي تمام بشرح المرزوقي ٢/٩٦١، ٩٦٢، وأسد الغابة ٢/٢٢، ومقاتل الطالبيين ١٢١، ١٢٢، وزهر الآداب ١/١٣٤.

(١٠) العنوان من (ش).

(١١) في الأوربية: «زيد بن داود الجنبي».

(١٢) في الأوربية: «السبّي».

(١٣) ما بين الحاصرتين من (ب).

بنت مسعود الدارميّة، وقد شُكّ في قتله. وقُتل عليّ بن الحسين بن عليّ، وأمّه ليلى ابنة أبي مُرّة بن عُرْوة الثقفيّ، وأمّها[1] ميمونة ابنة أبي سفيان بن حرب، قتله [مُرَّة بن][2] مُنْقذ بن النعمان العبديّ، وقُتل عبد الله بن الحسين بن عليّ، وأمّه الرباب ابنة امرىء القيس الكلبيّ، قتله هانىء بن ثُبَيت الحضرَميّ. وقُتل أبو بكر ابن أخيه الحسن أيضاً، وأمّه أمّ ولد، [قتله عبد الله بن عقبة الغَنَويّ، وقُتل عبد الله بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب، وأمُّه أمّ ولد][3]، قتله حَرْملة بن الكاهن، رماه بسهم. وقُتل القاسم بن الحسن أيضاً، قتله سعد بن عَمْرو بن نُفَيْل الأزديُّ. وقُتل عَون بن أبي جعفر بن أبي طالب، وأمّه جمانة[4] بنت المسيّب بن نَجَبَة الفزاريّ، قتله عبد الله بن قُطْبَة[5] الطّائيُّ. وقُتل محمد بن عبد الله بن جعفر، وأمّه الخوصاء بنت خَصَفة بن تَيْم الله بن ثعلبة، قتله عامر بن نَهْشَل التَّيْميُّ. وقُتل جعفر بن عَقيل بن أبي طالب، وأمّه أمّ بنين ابنة الشقر بن الهضاب، قتله بِشْر بن الخوط[6] الهمدانيُّ. وقُتل عبد الرحمن بن عَقيل، وأمّه أمّ ولد، قتله عثمان بن خالد الجُهَنيُّ. وقُتل عبد الله[7] بن عَقيل، وأمّه أمّ ولد، رماه عَمْرو بن صُبَيْح الصَّيْداويُّ بسهم فقتله. وقُتل مسلم بن عَقيل بالكوفة، وأمّه أمّ ولد. وقُتل عبد الله بن مسلم بن عَقيل، وأمّه رُقَيّة ابنة عليّ بن أبي طالب، قتله عَمْرو بن صُبَيْح الصَّيْداويّ[8]، ويُقال قتله مالك بن أُسَيْد[9] الحضرميُّ. وقُتل محمد بن أبي سعيد بن عَقيل، وأمّه أمّ ولد، قتله لَقيط بن ياسر الجُهَنيُّ.

واستُصغر الحسن بن الحسن[10] بن عليّ، وأمّه خَوْلة بنت منظور بن زبّان الفزاريّ، واستُصغر عمرو بن الحسين[11]، وأمّه ولد، فلم يُقتلا.

---

(١) في طبعة صادر ٩٢/٤ «وأمه» وهو وهْم، والتصويب من الطبري ٤٦٨/٥.
(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من طبعة صادر، استدركته من: الطبري.
(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من طبعة صادر، استدركته من تاريخ الطبري، ولم يتنبّه الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم في تحقيقه لتاريخ الطبري إلى النقص في «الكامل» لابن الأثير ولهذا أشار في الحاشية (٢) من الصفحة ٤٦٨ أن قاتل أبي بكر بن الحسن بن علي هو حرملة الكاهن حسب ابن الأثير، والصحيح أن قاتله هو عبد الله بن عُقبة الغنوي كما جاء في تاريخ الطبري.
(٤) في الطبعة الأوربية: «جماعة».
(٥) في (ر): «قطية».
(٦) في تاريخ الطبري ٤٦٩/٥ «حَوْط»، ويقال: «بِشْر بن سوط».
(٧) في (ر): «عبد الرحمن».
(٨) أو «الصدائي» كما في: تاريخ الطبري ٤٦٩/٥.
(٩) الطبري: «قتله أسيد بن مالك».
(١٠) في الطبعة الأوربية: «الحسن بن الحسين».
(١١) الطبري: «واستُصغر عمر بن الحسن».

وقُتل من الموالي [سليمان مولى] الحسين، قتله سليمان بن عوف الحضرميُّ، وقُتل مُنْجِح(١) مولى الحسين أيضاً، وقُتل عبد الله بن بُقْطُر رضيع الحسين(٢).

قال ابن عبّاس: رأيتُ النبيَّ ﷺ، اللّيلةَ الّتي قُتل فيها الحسين، وبيده قارورةٌ وهو يجمع فيها دماً. فقلتُ: يا رسول الله ما هذا؟ قال: هذه دماء الحسين وأصحابه، أرفعها إلى الله تعالى. فأصبح ابنُ عبّاس، فأعلم الناسَ بقتل الحسين، وقصّ رُؤياه، فوُجد قد قُتل في ذلك اليوم(٣).

ورُوي أنّ النبيّ ﷺ، أعطى أمَّ سَلِمة تراباً من تربة الحسين، حمله إليه جبرائيل، فقال النبيُّ ﷺ، لأمّ سَلِمة: إذا صار هذا التّراب دماً فقد قُتل الحسين. فحفظت أمّ سَلِمَة ذلك التراب في قارورةٍ عندها، فلمّا قُتل الحسين صار التراب دماً، فأعلمت الناس بقتله أيضاً. وهذا يستقيم على قول من يقول أمّ سَلِمة تُوُفّيت بعد الحسين.

ثمّ إنّ ابن زياد قال لعمر بن سعد بعد عَوْده من قتل الحسين: يا عمر، إيتني بالكتاب الذي كتبتُه إليك في قتل الحسين. قال: مضيتُ لأمرك وضاع الكتاب. قال: لتجئني به، قال: ضاع. قال: لتجئني به. قال: تُرِكَ والله يُقرأ على عجائز قريش بالمدينة اعتذاراً إليهنّ، أما(٤) واللّهِ لقد نصحتُك في الحَسَن نصيحةً، لو نصحتها أبي سعدَ بنَ أبي وقّاص لكنتُ قد أدّيتُ حقّه. فقال عثمان بن زياد، أخو عُبيد الله: صدق والله! لوددتُ أنه ليس من بني زياد رجل إلّا وفي أنفه خِزامة إلى يوم القيامة، وأنّ الحسين لم يُقْتَل! فما أنكر ذلك عُبيد الله بن زياد. آخر المقتل.

ذكر مقتل أبي بلال مِرْداس بن حُدَيْر(٥) الحنظليّ

قد تقدّم ذِكر سبب خروجه، وتوجيه عُبيد الله بن زياد العساكر إليه في ألفَيْ رجل، فالتقائهم بآسَك(٦)، وهزيمة عسكر ابن زياد، فلمّا هزمهم أبو بلال وبلغ ذلك ابن زياد أرسل إليه ثلاثة آلاف عليهم عَبّاد بن الأخضر، والأخضر زوج أمّه، نُسب إليه، وهو

---

(١) في الأوربية: «منحج».

(٢) الطبري ٥/٤٦٧ - ٤٦٩.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ١/٢٨٣، والطبراني في المعجم الكبير ٣/ رقم (٢٨٢٢)، وابن عساكر (تهذيب تاريخ دمشق) ٤/٣٤٣، والذهبي في تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) - ص ١٧.

(٤) في الأوربية: «أم».

(٥) في الأوربية: «جدير». وفي نسخة (شفر) المجلّد ٣/ ورقة ٥١٧ «أدية» بدل «حدير».

(٦) أَسَك: بفتح السين المهملة وكاف. بلد من نواحي الأهواز، قرب أرّجان، بين أرّجان ورامهُرمُز. (معجم البلدان ١/٥٣).

عبّاد بن عَلقمة بن عَبّاد التّميميّ، فاتّبعه حتّى لحِقه بتوّج[1] فصفّ له عبّاد، وحمل عليهم أبو بلال فيمَنْ معه، فثبتوا[2] واشتدّ القتال حتّى دخل وقت العصر، فقال أبو بلال: هذا يوم جُمعة وهو يوم عظيم، وهذا وقت العصر فدعُونا حتّى نُصلّي. فأجابهم ابنُ الأخضر وتحاجزوا، فعجّل ابن الأخضر الصلاة، وقيل قطعها، والخوارج يصلّون، فشدّ عليهم هو وأصحابه، وهم ما بين قائمٍ وراكع وساجد، لم يتغيّر منهم أحد من حاله، فقُتلوا عن آخرهم[3]، وأُخذ رأس أبي بلال.

ورجع عبّاد إلى البصرة فرصده بها عُبَيدة بن هلال، ومعه ثلاثة نفر، فأقبل عبّاد يريد قصر الإمارة، وهو مُرْدِف ابناً صغيراً له، فقالوا له: قفْ حتّى نستفتيك. فوقف، فقالوا: نحن إخوة أربعة، قُتل أخونا فما ترى؟ قال: استَعْدُوا[4] الأمير. قالوا: قد استعديناه فلم يُعْدِنا. قال: فاقتلوه قتله الله! فوثبوا عليه وحكّموا به فألقى ابنه فنجا وقُتل هو، فاجتمع الناس على الخوارج فقُتلوا، غير عُبَيْدة[5].

ولما قُتل ابن عبّاد كان ابن زياد بالكوفة ونائبه بالبصرة عُبَيد الله بن أبي بَكْرة، فكتب إليه يأمره أن يتبع الخوارج، ففعل ذلك وجعل يأخذهم، فإذا شُفّع في أحدهم ضمنه إلى أن يَقْدَم ابن زياد، ومَن لم يكفلْه أحدٌ حبسه، وأُتي بعُرْوة بن أُدَيّة، فأطلقه وقال: أنا كفيلك. فلمّا قدم ابن زياد أخذ مَنْ في الحبس من الخوارج فقتلهم وطلب الكُفلاء بمن كُفّلوا به، فمن أَتَى بخارجيّ أطلقه وقتل الخارجيّ، ومَنْ لم يأتِ بالخارجيّ قتله، ثمّ طلب عُبيدَ الله بن أبي بكرة بعُرْوة بن أُدَيَّة، قال: لا أقدر عليه. فقال: إذنْ أقتلك به، فلم يزل يبحث عنه حتّى ظفر به، وأحضره عند ابن زياد، فقال له ابن زياد: لأمثّلنّ بك. فقال: اخترْ لنفسك من القَصاص ما شئتَ به، فأمر به فقُطعتْ يداه ورِجْلاه وصَلَبَه، وقيل: إنّه قُتل سنة ثمانٍ وخمسين[6].

ذكر ولاية سَلْم[7] بن زياد على خُراسان وسِجِسْتان

قيل: في هذه السنة استعمل يزيدُ سَلْمَ بن زياد على خُراسان.

---

(١) في (ر): «بنوح»، وفي الأوربية «بتبوح». وتُوّج: مدينة بفارس، ويقال لها: توّز، بالزاي.
(٢) حتى هنا عند الطبري ٥/٤٧١.
(٣) نهاية الأرب ٢٠/٤٨٢.
(٤) في (ر): «استفتوا».
(٥) الطبري ٥/٤٧١، نهاية الأرب ٢٠/٤٨٢.
(٦) أنظر الطبري ٥/٣١٣.
(٧) ورد الاسم بصِيَغ عدّة في الأصول: «سلم» و«سلام» و«مسلم».

وسبب ذلك أنّ سَلْماً قدِم على يزيد، فقال له يزيد: يا أبا حرب[1] أولّيك عمل أخويك عبد الرحمن وعبّاد. فقال: ما أحبَّ أميرُ المؤمنين. فولّاه خُراسان وسِجِسْتان، فوجَّه سَلْمٌ الحارثَ بن معاوية الحارثيَّ جدّ عيسى بن شبيب[2] إلى خُراسان، وقدِم سلْم البصرة، فتجهّز منها، فوجّه أخاه يزيد إلى سجستان، فكتب عُبيد الله بن زياد إلى أخيه عبّاد يُخبره بولاية سلْم، فقسّم عبّاد ما في بيت المال [على] عبيده، وفضل فضْلٌ فنادى: مَنْ أراد سلفاً فلْيأخذ، فأسلف كلَّ من أتاه، وخرج عبّاد من سجستان. فلمّا كان بجِيرَفْت[3] بلغه مكان سلْم، وكان بينهما جبل، فعدل عنه، فذهب لعبّاد تلك الليلة ألف مملوك، أقلّ ما مع أحدهم عشرة آلاف. وسار عبّاد على فارس، فقدِم على يزيد فسأله عن المال، فقال: كنتُ صاحب ثغر، فقسمتُ ما أصبتُ بين الناس.

ولما سار سَلْم إلى خُراسان كتب معه يزيد إلى أخيه عُبيد الله بن زياد ينتخب له ستّة آلاف فارس. وقيل: ألفَيْ فارس. وكان سلْم ينتخب الوجوه، فخرج معه عِمْران بن الفضيل[4] البُرْجُميُّ، والمهلّب بن أبي صُفْرة، وعبد الله بن خازم السُّلَميُّ، وطلحة بن عبد الله بن خَلَف الخُزَاعيُّ، وحنظلة بن عَرَادة، ويحيَى بن يَعْمَر العَدْوانيُّ، وصِلَة بن أشْيَم العدويُّ، وغيرهم.

وسار سلْم إلى خُراسان وعبر النهر غازياً، وكان عُمّال خُراسان قبله يغزون، فإذا دخل الشتاء رجعوا إلى مَرْو الشَّاهِجان، فإذا انصرف المسلمون اجتمع ملوك خُراسان بمدينة ممّا يلي خُوارِزْم، فيتعاقدون أن لا يغزو بعضهم بعضاً، ويتشاورون في أمورهم، فكان المسلمون يطلبون[5] إلى أمرائهم غزو تلك المدينة، فيأبون عليهم، فلمّا قدِم سَلْم غزا، فشتا في بعض مغازيه، فألحّ عليه المهلّبُ بن أبي صُفْرة، وسأله التَّوجُّه إلى تلك المدينة، فوجّهه في ستّة آلاف، وقيل: أربعة آلاف، فحاصرهم، فطلبوا أن يصالحهم على أن يَفْدوا أنفسهم، فأجابهم إلى ذلك، وصالحوه على نيِّفٍ وعشرين ألف ألف، وكان في صُلْحهم أن يأخذ منهم عروضاً، فكان يأخذ الرأس والدّابّة والمتاع بنصف ثمنه، فبلغت قيمة ما أخذ منهم خمسين ألف ألف، فحظي بها المهلّب عند سلْم، وأخذ سلْم من ذلك ما أعجبه، وبعث به إلى يزيد.

وغزا سلْم سَمَرْقَنْد، وعبرت معه النهر امرأتُه أمّ محمّد ابنة عبد الله بن عثمان بن

---

(١) في (ر): «حارث».

(٢) في (ب): «شبث».

(٣) في (ر): «بهرقة». وجِيرَفْت: بكسر أوله وفتح الراء المهملة، وسكون الفاء الموحّدة. مدينة بكرمان.

(٤) الطبري ٤٧٢/٥ «الفصيل».

(٥) في الأوربية: «يطالبون».

أبي العاص الثقفيّة، وهي أوّل امرأة من العرب قُطع بها النهر، فولدت له ابناً سمّاه صُغْدى، واستعارت امرأتُه من امرأة صاحب الصُّغد حُليها، فلم تُعِدْه إليها، وذهبت به[1].

ووجّه جيشاً إلى خُجَنْدة[2]، فيهم أعشى هَمْدان، فهُزموا، فقال الأعشى[3]:

ليتَ خيَلي يومَ الخُجَندَةِ لم تُهْـ ... ـزَمْ وغُودِرْتُ في المكَرِّ سَليبَا
تحضرُ الطَّيرُ مَصرَعي وتَرَوَّحْـ ... ـتُ إلى اللَّهِ بالدِّماءِ خَضيبَا[4]

ذكر ولاية يزيد بن زياد وطلحة الطَّلحات سجِسْتان

ولما استعمل يزيدُ بن معاوية سَلْمَ بن زياد على خراسان استعمل أخاه يزيدَ على سِجِسْتان، فغدر أهلُ كابُل، فنكثوا وأسروا أبا عُبَيدة بن زياد، فسار إليهم يزيد بن زياد في جيش، فاقتتلوا وانهزم المسلمون، وقُتل منهم كثير، فممَّنْ قُتل يزيد[5] بن عبد الله بن أبي مُلَيْكة، وصِلَة بن أشْيم أبو الصّهْباء العَدَويّ زوج مُعاذة العدويّة، فلمّا بلغ الخبرُ سلْمَ بنَ زياد، سيّر طلحة بن عبد[6] الله بن خَلَف الخُزاعيَّ، وهو طلحة الطَّلْحات، ففدى أبا عُبيدة بن زياد بخمسمائة ألف درهم، وسار طلحة من كابُل إلى سَجِسْتان والياً عليها، فجبَى المال وأعطى زُوّاره، ومات بسَجِسْتان، واستخلف رجلاً من بني يَشْكُر، فأخرجته المُضَريّة ووقعت العصبيّة، فطمع فيهم رتبيل[7].

ذكر ولاية الوليد بن عُتْبَة المدينة والحجاز وعزل عَمْرو بن سعيد

قيل: وفي هذه السنة عزل يزيد عَمْرَو بنَ سعيد عن المدينة، وولّاها الوليد بن عُتْبَة بن أبي سفيان.

وكان سبب ذلك أنّ عبد الله بن الزُّبير أظهر الخلاف على يزيد، وبويع بمكّة بعد قتل الحسين، فإنّه لما بلغه قتل الحسين قام في الناس، فعظّم قتله، وعاب أهل الكوفة خاصّة، وأهل العراق عامّة، فقال بعد حمد الله والصلاة على رسول الله ﷺ: إنّ أهل

---

(١) الطبري ٥/٤٧١ ـ ٤٧٤، نهاية الأرب ٢٠/٤٨٣، ٤٨٤.
(٢) خُجَنْدَة: بضم أوله، وفتح ثانيه، ونون ساكنة، وفتح الدال المهملة. مدينة على شاطىء سيحون.
(٣) في طبعة صادر ٤/٩٧ «فقال أعشى»: والتصويب من: فتوح البلدان ٥١٠.
(٤) في معجم البلدان ٢/٣٤٧ ورد البيت الأول فقط، وهما في: نهاية الأرب ٢٠/٤٨٤، وفتوح البلدان والخبر فيه.
(٥) في فتوح البلدان «زيد».
(٦) في (ر): عبيد.
(٧) في (ب): «زنبيل»، وفي (ر): «ريتل». والخبر في: فتوح البلدان ٤٩٠، والخراج وصناعة الكتابة لقدامة ٣٩٦، وانظر: تاريخ خليفة ٢٣٦، وتاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨٠ هـ.) ـ ص ٢٢.

العراق غُدُرٌ فُجُرٌ[1] إلّا قليلاً، وإنّ أهل الكوفة شِرار أهل العراق، وإنّهم دعوا الحسين لينصروه، ويولّوه عليهم، فلمّا قدِم عليهم ثاروا عليه فقالوا: إمّا أن تضع يدك في أيدينا، فنبعث بك إلى ابن زياد بن سُميّة، فيُمضي فيك حُكْمَه، وإمّا أن تحارب؛ فرأى واللهِ أنّه هو وأصحابه قليل في كثير، فإنْ كان الله لم يُطْلِعْ على الغيب أحداً أنّه مقتول، ولكنّه اختار الميتةَ الكريمة على الحياة الذّميمة، فرحِم الله الحسين، وأخزى قاتلَه! لَعَمْري لقد كان من خلافهم إيّاه وعصيانهم ما كان في مثله واعظٌ وناهٍ عنهم، ولكنه ما قُرّر[2] نازل، وإذا أراد الله أمراً لم يُدْفَعْ، أَفَبَعْدَ الحسين نطمئنّ إلى هؤلاء القوم، ونصدّق قولهم، ونقبل لهم عهداً؟ لا واللّهِ[3]، لا نراهم لذلك أهلاً، أما[4] واللّهِ لقد قتلوه طويلاً بالليل قيامُهُ، كثيراً في النهار صيامُهُ، أحقَّ بما هم فيه منهم وأَوْلَى به في الدّين والفضل، أما والله ما كان يبدّل بالقرآن الغِناءَ[5]، ولا بالبكاء من خشية الله الحُداءَ[6]، ولا بالصيام شُرْبَ الخمر[7]، ولا بالمجالس في حَلَقِ الذكر تطلابَ[8] الصيد، يعرّض بيزيد، ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً﴾[9].

فثار إليه أصحابه وقالوا: أَظْهِرْ بَيْعتك، فإنّك لم يبقَ أحدٌ إذ هلك الحسين ينازعك هذا الأمر. وقد كان يبايع سرّاً، ويُظهر أنّه عائذ بالبيت. فقال لهم: لا تعجّلوا، وعَمرو بن سعيد يومئذٍ عامل مكّة، وهو أشدّ شيءٍ على ابن الزُّبير، وهو مع ذلك يداري ويرفق، فلمّا استقرّ عند يزيد ما قد جمع ابن الزّبير بمكّة من الجُمُوع، أعطى اللّهَ عهداً لَيُوثِقَنّه في سلسلة، فبعث إليه سلسلة من فضّة[10]، مع ابن عِضَاه[11] الأشعريّ، وسعد[12] وأصحابهما، ليأتوه به فيها، وبعث معهم بُرْنُسَ خزٍّ ليُلبسوه عليها، لئلاّ تظهر للناس.

---

(١) في الطبعة الأوربية: «غدراء فجراء».

(٢) الطبري ٥/٤٧٥: «ما حُمَّ».

(٣) الطبري: «لا، ولا نراهم».

(٤) في الأوربية: «أم».

(٥) في الأوربية: «غياً».

(٦) في الأوربية: «حِدا».

(٧) في (ب): «الحرام»، ومثله في تاريخ الطبري ٥/٤٧٥.

(٨) في الأوربية: «بكلاب»، وكذلك في: أنساب الأشراف ج ٤ ق ١/٣٠٤، وفي تاريخ الطبري: «في حلق الذكر الركض في تطلاب الصيد».

(٩) سورة مريم، الآية ٥٩.

(١٠) حتى هنا في: تاريخ الطبري ٥/٤٧٤، ٤٧٥.

(١١) في طبعة صادر ٤/٩٩ «ابن عطاء» وهو غلط، والتصويب من: الطبري ٥/٤٧٦ واسمه «يزيد بن معاوية بن عِضاه الأشعري»، وفي الأخبار الطوال للدينوري ٢٦٣ «عبد الله بن عضاة».

(١٢) الطبري: «مسعدة».

فاجتاز ابن عِضاه بالمدينة، وبها مروان بن الحكَم، فأخبره ما قدِم له، فأرسل مروان معه ولدَين له، أحدهما عبد العزيز وقال: إذا بلغته رُسُل يزيد، فتعرّضا له، وليتمثّل أحدكما بهذا القول، فقال:

فَخُذْها فليستْ للعزيز بخُطّةٍ[1] وفيها فعالٌ[2] لامرىءٍ متذلّلِ
أعامِرُ إنّ القوم سامُوك خُطّةً وذلك في الجيرانِ غَزْلٌ بمغزَلِ[3]
أراكَ إذا ما كنتَ للقوْمِ ناصِحاً يقال له بالدَّلو أدبِرْ وأقبلِ

فلمّا بلّغه الرسول الرسالة، قال عبد العزيز الأبيات، فقال ابن الزُّبير: يا بني مروان، قد سمعتُ ما قلتما، فأخبرا أباكما:

إنّي لَمِنْ نَبْعَةٍ[4] صُمٍّ مَكاسِرُها إذا تناوحتِ القَصْباءُ[5] والعُشَرُ
فلا أَلِينُ لغيرِ الحَقّ أسألُهُ حتى يلين لِضِرس[6] الماضغِ الحجرُ[7]

وامتنع ابن الزُّبير من رُسُل يزيد، فقال الوليد بن عُتْبَة وناس من بني أُميّة ليزيد: لو شاء عَمرو لأخذ ابن الزُّبير وسرّحه إليك. فعُزل عَمْرو، ووليَ الوليد الحجاز[8]. وأخذ الوليدُ غلمانَ عَمرو ومَواليه فحبسهم، فكلّمه عَمْرو، فأبَى أن يخلّيهم، فسار عن المدينة ليلتين، وأرسل إلى غلْمانه بعِدّتهم من الإبل، فكسروا الحبس، وساروا إليه، فلحِقوه عند وصوله إلى الشام، فدخل على يزيد، وأعلمه ما كان فيه من مكايدة ابن الزُّبير، فَعَذَرَه وعلِم صِدْقه[9].

---

(١) في (ر) ونسخة المتحف البريطاني: «يخطه»: وفي أنساب الأشراف ج ٤ ق ٣٠٥/١ «مذلّة».
(٢) في (ب): «مقال»، وكذلك في: أنساب الأشراف: وهذا البيت في: تاريخ اليعقوبي ٢٤٧/٢، وحماسة البحتري، رقم ١١١، وتهذيب تاريخ دمشق ٤١٤/٧.
(٣) في الأوربية: «عزلاً بمعزل».
(٤) في الأوربية: «بيعة».
(٥) في الأوربية: «البكاء».
(٦) في الأوربية: «الضرس».
(٧) الطبري ٤٧٦/٥، والبيت الأخير فقط في: الأخبار الطوال للدينوري ٢٦٢، وكلها في تهذيب تاريخ دمشق ٤١٤/٧.
(٨) الطبري ٤٧٧/٥.
(٩) أورد الطبري هذا الخبر مطوّلاً في أول حوادث سنة ٦٢ هـ. (٤٧٨/٥، ٤٧٩).

ذكر عدّة حوادث

حجّ بالناس الوليدُ هذه السنة[1].

وكان الأمير بالعراق عُبيد الله بن زياد، وعلى خُراسان سَلْم بن زياد، وعلى قضاء الكوفة شُرَيْح، وعلى قضاء البصرة هشام بن هُبَيرة[2].

وفي هذه السنة مات عَلْقمة بن قيس[3] النَّخَعيُّ صاحب ابن مسعود، وقيل: سنة اثنتَين، وقيل: خمس، وله تسعون سنة.

[الوفيات]

وفيها توفّي المنذر بن الجارود[4] العبديُّ.

وجابر بن عَتيك[5] الأنصاريُّ، (وقيل حُرّ)[6]، وكان عمره إحدى وتسعين سنة، وشهد بدراً.

وفيها مات حمزة بن عَمرو[7] الأسلميُّ، وعمره إحدى وسبعون سنة، وقيل ثمانون سنة، له صُحْبة.

وفيها توفّي خالد بن عُرْفُطَة[8] الليثيُّ، وقيل العُذْريُّ، حليف بني زُهْرَة، (وقيل مات سنة ستين، وله صحبة)[9].

---

(١) تاريخ خليفة ٢٣٥، المحبّر ٢١، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٥٣، تاريخ الطبري ٥/٤٧٧، مروج الذهب ٤/٣٩٨، تاريخ حلب للعظيمي ١٨٥، نهاية الأرب ٢٠/٤٨٥، البداية والنهاية ٨/٢١٢.

(٢) الطبري ٥/٤٧٧.

(٣) أنظر عن (علقمة بن قيس) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) - ص ١٩٠ - ١٩٣ رقم ٧٤، وفيه مصادر ترجمته.

(٤) أنظر عن (المنذر بن الجارود) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) - ص ٢٥٦ رقم ١١١ وفيه مصادر ترجمته.

(٥) أنظر عن (جابر بن عتيك) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) - ص ٨٣، ٨٤ رقم ١٤، وفيه مصادر ترجمته.

(٦) ما بين القوسين من (ر).

(٧) أنظر عن (حمزة بن عمرو) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) - ص ١٠٩، ١١٠ رقم ٢٧ وفيه مصادر ترجمته.

(٨) أنظر عن (خالد بن عرفطة) في: تاريخ الصحابة لابن حبّان ٨٧ رقم ٣٥٤، والثقات ٣/١٠٤، والطبقات الكبرى ٤/٣٥٥ و ٦/٢١، وترتيب أسماء الصحابة ٥١ رقم ١٠٤، وأسد الغابة ٢/٨٧، ٨٨، والإصابة ١/٤٠٩.

(٩) ما بين القوسين من (ر).

٦٢

ثم دخلت سنة اثنتين وستين

ذكر وفد أهل المدينة إلى الشام

لما ولِيَ الوليدُ الحجازَ أقام يريد غِرّة ابن الزُّبير، فلا يجده إلّا محترزاً ممتنعاً، وثار نَجْدةُ بن عامر النَّخَعيّ باليمامة حين قُتل الحسين، وثار ابن الزَّبَير بالحجاز، وكان الوليد يُفيض من المُعَرَّف، ويفيض معه سائرُ الناس، وابن الزُّبير واقف وأصحابه، ونَجْدة[1] واقفٌ في أصحابه، ثمّ يفيض ابن الزبير بأصحابه، ونَجْدة بأصحابه، وكان نَجْدة يلقى ابن الزُّبير فيُكْثر، حتّى ظنّ أكثر الناس أنّه سيبايعه، ثمّ إنّ ابن الزبير عمل بالمكْر في أمر الوليد، فكتب إلى يزيد: إنّك بعثتَ إلينا رجلاً أخرق لا يتَّجه لرَشَد، ولا يَرْعوي لعِظَة الحكيم[2]، فلو بعثتَ رجلاً سهل الخُلق، رجوتُ أن يَسْهُل من الأمور ما استوعر منها، وأن يجتمع ما تفرّق[3].

فعزل يزيدُ الوليدَ، وولّى عثمانَ بن محمد بن أبي سفيان، وهو فتى غِرٌّ حَدَث لم يجرّب الأمور، ولم يُحنكه السّنّ، لا يكاد ينظر في شيءٍ من سُلطانه ولا عمله، فبعث إلى يزيد وفداً من أهل المدينة، فيهم عبد الله بن حنظلة، غسيل الملائكة، وعبد الله بن أبي عَمْرو بن حفص بن المغيرة المخزوميُّ، والمنذر بن الزُّبير، ورجالاً كثيراً من أشراف أهل المدينة، فقدِموا على يزيد، فأكرمهم وأحسن إليهم، وأعظم جوائزهم، فأعطى عبد الله بن حنظلة، وكان شريفاً فاضلاً عابداً سيّداً، مائة ألف درهم، وكان معه ثمانية بنين، فأعطى كلّ ولدٍ عشرة آلاف.

فلمّا رجعوا قدِموا المدينة كلّهم، إلّا المنذر بن الزبير، فإنّه قدِم العراق على ابن زياد، وكان يزيد قد أجازه بمائة ألف، فلمّا قدِم أولئك النفرُ الوفدُ المدينةَ قاموا فيهم، فأظهروا شتمَ يزيد وعيبه وقالوا: قدِمنا من عند رجلٍ ليس له دِين، يشرب الخمر،

(١) في الأصل «ابن نجدة».

(٢) في الأوربية: «لا ينجد لرشد لا يرعوي لفظة الحكيم».

(٣) الطبري ٥/٤٧٨ و ٤٧٩، نهاية الأرب ٢٠/٤٨٥، ٤٨٦.

ويضرب[1] بالطّنابير، ويعزف عنده القِيان، ويلعب بالكلاب، ويسمر عنده الحُرّاب[2]، وهم اللصوص، وإنّا نُشهدكم أنّا قد خلعناه.

وقام عبد الله بن حنظلة الغسيل فقال: جئتكم من عند رجل، لو لم أجد إلّا بنيَّ هؤلاء لجاهدتُهُ بهم، وقد أعطاني وأكرمني، وما قبلتُ منه عطاءه إلّا لأتقوّى به. فخلعه الناس، وبايعوا عبدَ الله بنَ حنظلة الغسيل على خلع يزيد، وولّوه عليهم.

وأمّا المنذربن الزُّبير، فإنّه قدِم على ابن زياد، فأكرمه وأحسن إليه، وكان صديق زياد، فأتاه كتاب يزيد، حيث بلغه أمر المدينة يأمره بحبس المنذر، فكره ذلك، لأنّه ضيفه وصديق أبيه، فدعاه وأخبره بالكتاب، فقال له: إذا اجتمع الناس عندي فقمْ وقل: ائذنْ لي لأنصرف إلى بلادي، فإذا قلتُ: بل أقِمْ[3] عندي، فلك الكرامة والمواساة، فقلْ: إنّ لي ضيعةً[4] وشغلاً، ولا أجد بدّاً لي من الانصراف، فإنّي آذن لك في الانصراف، فتلحق بأهلك.

فلمّا اجتمع الناس على ابن زياد، فعل المنذر ذلك، فأذِن له في الإنصراف، فقدِم المدينة، فكان ممّن يحرّض الناس على يزيد، وقال: إنّه قد أجازني بمائة ألف، ولا يمنعني ما صنع بي أن أخبركم خبره، والله إنّه ليشرب الخمر، والله إنّه لَيَسْكَر، حتّى يدع الصلاة! وعابه بمثل ما عابه به أصحابُه وأشدّ. فبعث يزيدُ: النُّعمانَ بن بشير الأنصاريّ، وقال له: إنّ عدد الناس بالمدينة قومك، فإنّهم ما يمنعهم [شيء] عمّا يريدون، فإنّهم إنْ لم ينهضوا في هذا الأمر، لم يجترىء الناس على (خلافي)[5].

فأقبل النُّعمان، فأتَى قومَه، فأمرهم بلزوم الطّاعة، وخوّفهم الفتنة، قال لهم: إنّكم لا طاقة[6] لكم بأهل الشام. فقال عبد الله بن مُطيع العدويُّ: يا نُعمان، ما يحملك[7] على فساد ما أصلح الله من أمرنا، وتفريق جماعتنا؟ فقال النُّعمان: واللّهِ لكأنّي بك لو نزل بك الجموع، وقامت لك[8] على الرُّكب تضرب مفارق القوم وجِباههم بالسيف، ودارت رَحَا الموت بين الفريقَين، قد ركبتَ بغلتَك إلى مكة، وخلفت[9] هؤلاء المساكين،

---

(١) في (ب): «ويعزف».
(٢) في تاريخ الطبري ٥/٤٨٠ «الخُرّاب» بالخاء المعجمة، وفي نهاية الأرب ٢٠/٤٨٦ «الحُزّاب».
(٣) في الأوربية: «تقِمْ».
(٤) في الأوربية: «إنّي لي ضيقةً».
(٥) في (ب): «على ذلك».
(٦) في الأوربية: «طاعة».
(٧) في الأوربية: «عملك».
(٨) في (ر): «الرجال».
(٩) في (ب): «وطفف»، وفي الأوربية: «وخلف».

يعني الأنصار، يُقْتَلون في سككهم ومساجدهم، وعلى أبواب دُورهم. فعصاه الناس وانصرف، وكان الأمر كما قال[1].

ذكر ولاية عُقْبة بن نافع إفريقية ثانيةً وما افتتحه فيها وقتله

قد ذكرنا عزل عُقْبَة عن إفريقية وعوده إلى الشام، فلمّا وصل إلى معاوية وعده بإعادته إلى إفريقية، وتوفّي معاوية وعُقبة بالشام، فاستعمله يزيد على إفريقية في هذه السنة وأرسله إليها، فوصل إلى القيروان مجدّاً، وقبض أبا المهاجر أميرها، وأوثقه في الحديد، وترك بالقيروان جُنْداً مع الذّراري والأموال، واستخلف بها زُهَير بن قَيس البَلويّ[2]، وأحضر أولاده، فقال له: إنّي قد بِعتُ نفسي من الله، عزّ وجلّ، فلا أزال أجاهد من كفر بالله. وأوصى بما يفعل بعده.

ثمّ سار في عسكر عظيم حتّى دخل مدينة باغاية[3]، وقد اجتمع بها خلقٌ كثير من الروم، فقاتلوه قتالاً شديداً، وانهزموا عنه، وقتل فيهم قتلاً ذريعاً، وغنِم منهم غنائم كثيرة، ودخل المنهزمون المدينة وحاصرهم عُقْبة. ثمّ كره المُقام عليهم[4]، فسار إلى بلاد الزّاب، وهي بلاد واسعة، فيها عدّة مدن وقرى كثيرة، فقصد مدينتها العظمى، واسمها أَرَبَة[5]، فامتنع بها مَن هناك من الروم والنّصارى، وهرب بعضهم إلى الجبال، فاقتتل[6] المسلمون ومَنْ بالمدينة من النّصارى عدّة دفعات، ثمّ انهزم النّصارى، وقُتل كثير من فُرسانهم، (ورحل إلى تاهرت)[7].

فلمّا بلغ الرومَ خبرُه استعانوا بالبربر، فأجابوهم ونصروهم، فاجتمعوا في جمْعٍ كثيرٍ، والتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً، واشتدّ الأمر على المسلمين لكثرة العدوّ، ثمّ إن الله

---

(١) الطبري ٥/٤٧٩ ـ ٤٨١، نهاية الأرب ٢٠/٤٨٥ ـ ٤٨٧.

(٢) في فتوح مصر لابن عبد الحكم ١٩٨، ورياض النفوس للمالكي ٢٢ أن عقبة استخلف عمر بن علي القرشي، وزهيراً على القيروان.

(٣) باغاية: بالغين المعجمة، والياء المثنّاة. مدينة كبيرة في أقصى إفريقية بين مجّانة وقسنطينية الهواء. (معجم البلدان ١/٣٢٥).

(٤) البيان المغرب لابن عذاري ١/٢٤.

(٥) في (ر): «اربة»، والمثبت يتفق مع: معجم البلدان ١/١٤٠ وهي بالتحريك. وانظر: وصف إفريقية للبكري ١٤٤، وتحرّفت في تاريخ ابن خلدون ٤/٣٩٩، ورياض النفوس ٢٣ إلى «أذنة» و«أدنة».

(٦) في الأوربية: «فاقتتلوا».

(٧) ما بين القوسين زيادة من (ر).

تعالى نصرهم، فانهزمت الروم والبربر، وأخذهم السيف، وكثُر فيهم القتْل، وغنِم المسلمون أموالهم وسلاحهم[١].

ثمّ سار حتّى نزل على طَنْجَة، فلقِيه بِطْريق من الروم اسمه يليان، فأهدى له هديّة حسنة، ونزل على حُكمه، ثمّ سأله عن الأندلس، فعظّم الأمر عليه، فسأله عن البربر، فقال: هم كثيرون لا يعلم عددهم إلّا الله، وهم بالسوس الأدنَى، وهم كُفّار لم يدخلوا في النصرانيّة، ولهم بأس شديد.

فسار عُقْبة إليهم نحو السُّوس الأدنَى، وهي مغرب طَنْجة، فانتهى إلى أوائل البربر، فلقوه في جمعٍ كثير، فقتل فيهم قتلاً ذريعاً، وبعث خيله في كلّ مكانٍ هربوا إليه، وسار هو حتّى وصل إلى السُّوس الأقصى، وقد اجتمع له البربر في عالم لا يُحصَى، فلقِيهم وقاتَلَهم وهزمهم، وقتل المسلمون فيهم حتّى ملّوا، وغنِموا منهم وسَبَوا سبْياً كثيراً، وسار حتّى بلغ ماليان، ورأى البحر المحيط، فقال: يا ربّ، لولا هذا البحر لمضيتُ[٢] في البلاد مجاهداً في سبيلك[٣].

ثمّ عاد فنفر الروم والبربر عن طريقه خوفاً منه، واجتاز بمكانٍ يُعرَف اليوم بماء الفرس، فنزله، ولم يكن به ماءٌ، فلحِق الناسَ عطشٌ كثير، أشرفوا [منه] على الهلاك، فصلّى عُقْبة ركعتَين ودعا (فبحث فرس له الأرض بيديه، فكشف له عن صفاة)[٤] فانفجر الماء، فنادى عُقبة في الناس، فحفروا أحساء كثيرة وشربوا، فسُمّي ماء الفرس[٥].

فلمّا وصل إلى مدينة طُبْنة[٦]، وبينها وبين القيروان ثمانية أيّام، أمر أصحابه أن يتقدّموا فوجاً فوجاً، ثقةً منه بما نال من العدوّ، وأنّه لم يُبْقِ[٧] أحداً يخشاه، وسار إلى تَهُوذَة[٨]، لينظر إليها في نفرٍ يسير، فلمّا رآه الروم في قلّة طمعوا فيه، فأغلقوا باب الحصن وشتموه وقاتلوه، وهو يدعوهم إلى الإسلام، فلم يقبلوا منه[٩].

---

(١) نهاية الأرب ٢٤/٢٦، ٢٧، البيان المغرب ١/٢٤ باختصار.
(٢) في (ر): «أصبت».
(٣) نهاية الأرب ٢٤/٢٧، ٢٨، وانظر: البيان المغرب ١/٢٦ و٢٧.
(٤) في (ب): «ثم ضرب بدبوس في الأرض».
(٥) نهاية الأرب ٢٤/٢٨، ٢٩.
(٦) في الأصل «طيبة».
(٧) في الأوربية: «يثن».
(٨) في (ر): «يهودا»، وتَهُوذَة: بالفتح ثم الضم، وسكون الواو، والذال معجمة. اسم القبيلة من البربر بناحية إفريقية، لهم أرض تُعرف بهم. (معجم البلدان ٢/٦٤) وهي في البيان المغرب ١/٣٠ «تهودا» بالدال المهملة.
(٩) نهاية الأرب ٢٤/٢٩.

ذكر خروج كُسَيْلة بن لمزم[1] البربريّ على عُقْبة

هذا كُسَيْلة بن لمزم[1] البربريُّ كان قد أسلم لما وليَ أبو المهاجر إفريقية، وحسُن إسلامه، وهو من أكابر البربر وأبعدهم صوتاً[2]، وصحِب أبا المهاجر، فلمّا وليَ عُقْبَة عرّفه أبو المهاجر محلّ كسيلة، وأمره بحفظه، فلم يقبل واستخفّ به، وأتَى عُقبةُ بغنم، فأمر كسيلةَ بذَبْحها وسلخها مع السلاّخين، فقال كسيلة: هؤلاء فتياني وغلماني يكفونني المؤونة. فشتمه وأمره بسلْخها، ففعل، فقبّح أبو المهاجر هذا عند عُقْبة، فلم يرجع، فقال له: أوثِق الرجلَ، فإنّي أخاف عليك منه! فتهاون به عُقبة. فأضمر كسيلة الغدر، فلمّا كان الآن، ورأى الروم قلّة مَنْ مع عُقْبة أرسلوا إلى كسيلة، وأعلموه حاله، وكان في عسكر عُقبة مُضْمِراً للغدر، وقد أعلم الرومَ ذلك وأطمعهم. فلمّا راسلوه أظهر ما كان يضمره، وجمع أهله وبني عمّه، وقصد عُقبة، فقال أبو المهاجر: عاجِلْه قبل أن يقوى جمعُه. وكان أبو المهاجر موثَقاً في الحديد مع عُقبة. فزحف عُقبة إلى كسيلة، فتنحّى كسيلة عن طريقه ليكثُر جَمْعُه، فلمّا رأى أبو المهاجر ذلك تمثّل بقول أبي مِحْجَن الثقفيّ:

كفى حَزَناً أن تمرغ[3] الخيلُ بالقَنا ... وأُتْرَكَ مشدوداً عليّ وثاقيا
إذا قمتُ عنّاني الحديدُ وأُغْلِقتْ ... مَصارعُ من دوني تُصِمّ المناديا[4]

فبلغ عُقبة ذلك، فأطلقه، فقال له: الحقْ بالمسلمين وقُمْ بأمرهم، وأنا أغتنم الشهادة. فلم يفعل وقال: وأنا أيضاً أريد الشهادة. فكسر عُقبة والمسلمون أجفان سيوفهم، وتقدّموا إلى البربر وقاتَلوهم، فقُتل المسلمون جميعهم، لم يفلتْ منهم أحد[5]. وأسر محمد بن أوس الأنصاريُّ في نفرٍ يسير، فخلّصهم صاحب قَفْصة، وبعث بهم إلى القَيْروان[6]. فعزم زُهير بن قيس البلويُّ على القتال، فخالفه حَنَشٌ[7] الصنعانيُّ، وعاد إلى

---

(1) في (ب): «المرم» و«لمرم»، وفي طبعة صادر ١٠٧/٤ «كمرم»، والمثبت عن: الحلّة السيراء ٣٢٧/٢ في الحاشية (٣): وفي تاريخ خليفة ٢٥١ «كيزم».

(2) في الأوربية: «صوبا».

(3) في الحلّة السيراء «تُقرع»، وفي نهاية الأرب: «تمزع».

(4) في الأوربية: «مناديا». والبيتان في: الحلّة السيراء ٣٢٨/٢، ورياض النفوس للمالكي ٢٧/١، والأغاني ١٣٩/٢١، ومعالم الإيمان للدباغ ٤٩/١، ونهاية الأرب ٣١/٢٤، وديوان أبي محجن (طبعة بريل ١٨٨٧) - ص ١٦.

(5) إلى هنا في: نهاية الأرب ٣١/٢٤.

(6) إلى هنا في: الحلّة السيراء ٣٢٨/٢.

(7) في طبعة صادر ١٠٨/٤ «جيش»، وهو تصحيف، والتصويب من: الحلّة السيراء ٣٣١/٢، والبيان المغرب ٣١/١.

مصر، فتبعه أكثر الناس، فاضطرّ زُهَير إلى العَوْد معهم، فسار إلى بَرْقة وأقام بها[١].

وأمّا كُسَيلة فاجتمع إليه جميع أهل إفريقية، وقصد إفريقية، وبها أصحاب الأنفال والذّراري من المسلمين، فطلبوا الأمان من كسيلة فآمنهم، ودخل القيروان واستولى على إفريقية، وأقام بها إلى أن قوي أمر عبد الملك بن مروان، فاستعمل على إفريقية زُهَيرَ بن قيس البلويَّ، وكان مقيماً ببرقة مرابطاً[٢].

ذكر ولاية زُهَير بن قيس إفريقية وقتْله وقتل كسيلة

لما ولي[٣] عبد الملك بن مروان، ذُكر عنده مَنْ بالقَيروان من المسلمين، وأشار عليه أصحابه (بإنفاذ الجيوش إلى)[٤] إفريقية لاستنقاذهم، فكتب إلى زهير بن قيس البلويّ بولاية إفريقية، وجهّز له جيشاً كثيراً، فسار سنة تسعٍ وستّين إلى إفريقية[٥].

فبلغ خبره إلى كسيلة، فاحتفل وجمع وحشد البربر والروم، وأحضر أشراف أصحابه وقال: قد رأيتُ أن أرحل إلى ممش فأنزلها، فإنّ بالقيروان خلقاً كثيراً من المسلمين، ولهم علينا عهدٌ، فلا نغدر بهم، ونخاف إن قاتلنا زُهَيراً (أن يشبّ[٦] هؤلاء من ورائنا، فإذا نزلنا ممش أمِنّاهم وقاتلنا زهيراً)[٧]، فإن ظفرنا بهم تبعناهم إلى طرابلس وقطعنا أثرهم من إفريقية، وإن ظفروا بنا تعلّقنا بالجبال ونجونا. فأجابوه إلى ذلك، ورحل إلى مَمْش[٨]، وبلغ ذلك زهيراً، فلم يدخل القيروان، بل أقام ظاهرها ثلاثة أيّام، حتّى أراح واستراح، ورحل في طلب كُسَيْلة، فلمّا قاربه نزل، وعبّى أصحابه وركب إليه، فالتقى العسكران، واشتدّ القتال، وكثُر القتلُ في الفريقَين، حتّى آيس الناس من الحياة، فلم يزالوا كذلك أكثر النهار، ثمّ نصر اللّهُ المسلمين، وانهزم كسيلة وأصحابه، وقُتل هو وجماعة من أعيان أصحابه بمَمْش، وتبع المسلمون البربر والروم، فقتلوا مَنْ أدركوا منهم فأكثروا، وفي هذه الوقعة ذهب رجال البربر والروم وملوكهم وأشرافهم، وعاد زهير إلى القيروان[٩].

---

(١) نهاية الأرب ٣٢/٢٤، البيان المغرب ٣١/١.

(٢) الحلّة السيراء ٣٣١/٢، البيان المغرب ٣١/١، نهاية الأرب ٣٢/٢٤.

(٣) في (ر): «قوي أمر».

(٤) في (ب): «بتولية زهير بن قيس».

(٥) الحلّة السيراء ٣٣٠ و ٣٣١، نهاية الأرب ٣٣/٢٤، البيان المغرب ٣١/١.

(٦) في الأوربية: «يثبت».

(٧) ما بين القوسين من (ر).

(٨) يقال: ممش، وممس، بالمعجمة والمهملة، أنظر الحلّة السيراء ٣٢٨/٢ و ٣٣٠ وفي معجم البلدان ١٩٨/٥ «مَمْسَى» بالفتح ثم السكون والسين المهملة، مقصور، قرية بالمغرب.

(٩) الحلّة السيراء ٣٣٠/٢، رياض النفوس ٣٠/١، نهاية الأرب ٣٢/٢٤، ٣٣، البيان المغرب ٣١/١،

ثمّ إنّ زهيراً رأى بإفريقية مُلْكاً عظيماً، فأبى أن يقيم وقال: إنّما قدِمتُ للجهاد فأخاف أن أميل إلى الدنيا فأهلك.

وكان عابداً زاهداً، فترك بالقيروان عسكراً، وهم آمنون لخُلُوّ البلاد من عدوٍّ (أو ذي)[1] شوكة، ورحل في جمْعٍ كثير إلى مصر.

وكان قد بلغ الرومَ بالقسطنطينيّة مسيرُ زهير من بَرْقة إلى إفريقية لِقتال كسيلة، فاغتنموا خُلُوّها، فخرجوا إليها في مراكب كثيرة، وقوّة قويّة من جزيرة صقلّية، وأغاروا على بَرْقة، فأصابوا منها سبْياً كثيراً، وقتلوا ونهبوا، ووافق ذلك قدوم زهير من إفريقية إلى برقة، فأُخبر الخبر، فأمر العسكر بالسرعة والجدّ في قتالهم، ورحل هو ومَنْ معه، وكان الروم خلقاً كثيراً، فلمّا رآه المسلمون استغاثوا به، فلم يمكنه الرجوع، وباشر القتال، واشتدّ الأمر، وعظُم الخطبُ، وتكاثر[2] الروم عليهم، فقتلوا زهيراً وأصحابه، ولم ينجُ منهم أحد، وعاد الروم بما غنِموا إلى القسطنطينيّة[3].

ولما سمع عبد الملك بن مروان بقتل زهير، عظُم عليه واشتدّ، ثمّ سيّر إلى إفريقية حسّانَ بن النُّعمان الغسّانيَّ، وسنذكره سنة أربعٍ وسبعين، إن شاء الله.

وكان ينبغي أن نذكر ولاية زهير وقتْله سنة تسعٍ وستّين، وإنّما ذكرناه ههنا ليتّصل خبر كسيلة ومقتله، فإنّ الحادثة واحدة، وإذا تفرّقت لم تُعْلَم حقيقتها.

ذكر عدّة حوادث

حجّ بالناس هذه السنة الوليد بن عُتْبَة[4].

وفيها وُلد محمّد بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس[5] والد السفّاح والمنصور.

٣٢، وانظر: تاريخ خليفة ٢٥١.

(١) في (ر): «له» بدل «أوذي».

(٢) في الأوربية: «وتكاثروا».

(٣) الحلّة السيراء ٢/٣٣١، نهاية الأرب ٢٤/٣٣، البيان المغرب ١/٣٣، تاريخ ابن خلدون ٤/٤٤٠.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٥٣، المحبّر ٢١، تاريخ الطبري ٥/٤٨١، مروج الذهب ٤/٣٩٨ وفي تاريخ خليفة ٢٣٦، وتاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) - ص ٢٢ أقام الحج عثمان بن محمد بن أبي سفيان.

وقد علّق الحافظ ابن كثير على هذين القولين فقال: «قال ابن جرير: وحج بالناس في هذه السنة الوليد بن عتبة، كذا قال، وفيه نظر؛ فإنه إن كان في وفد أهل المدينة وقد رجعوا من عند يزيد فإنما وفد عثمان بن محمد بن أبي سفيان، وإن كان قد حج بالناس فيها الوليد، فما قدم وفد المدينة إلى يزيد إلّا في أول سنة ثلاث وستين، وهو أشبه، والله أعلم». (البداية والنهاية ٨/٢١٦).

وجاء في تاريخ حلب للعظيمي بتحقيق إبراهيم زعرور - ص ١٨٦: «وحج بالناس عبد الله بن الزبير، وقتل عثمان بن محمد»، وهذا وهْم.

(٥) في تاريخ الطبري ٥/٤٨١: «محمد بن عبد الله بن العباس».

[الوَفَيَات]

وفيها تُوُفّي عبد المطّلب بن ربيعة[1] بن الحارث بن عبد المطّلب بن هاشم الهاشميّ، وله صُحبة.

ومَسلمة بن مُخَلَّد[2] الأنصاريُّ، وكان عمره لما مات النبيُّ ﷺ، عشر سِنين. وتوفّي بمصر مسروق بن الأجدع[3]، وقيل: توفّي سنة ثلاثٍ[4] وستّين.

(مُخَلَّد، بضمّ الميم، وفتح الخاء المعجمة، وفتح اللّام وتشديدها).

---

(١) انظر عن (عبد المطّلب بن ربيعة) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) - ص ١٨٠ رقم ٦٧ وفيه مصادر ترجمته.

(٢) انظر عن (مسلمة بن مخلّد) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) - ص ٢٤٢ - ٢٤٤ رقم ١٠٠ وفيه مصادر ترجمته.

(٣) انظر عن (مسروق بن الأجدع) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) - ص ٢٣٥ - ٢٤٢ رقم ٩٩، وفيه مصادر ترجمته.

(٤) في (ر): «ثمان».

٦٣
ثم دخلت سنة ثلاث وستين

ذكر وقعة الحَرّة(١)

كان أوّل وقعة الحَرّة ما تقدّم من خلع يزيد، فلمّا كان هذه السنة أخرج أهلُ المدينة عثمان بن محمّد بن أبي سفيان عامل يزيد، وحصروا بني أميّـة، (بعد بيعتهم عبدَ الله بن حنظلة، فاجتمع بنو أميّـة)(٢) ومواليهم ومَن يـرى رأيهم في ألف رجـل، حتى نـزلـوا دار مـروان بن الحكَم، فكتبوا إلى يـزيد يستغيثـون به، فقـدِم الرسـول إليه وهـو جالسٌ على كرسيّ، وقد وضع قدمَيه في طشْتٍ فيه ماء لنُقْرُسٍ كان بهما(٣)، فلمّا قرأ الكتاب تمثّل:

لقـد بـدّلـوا(٤) الحِلْمَ الّـذي في سجيّتي ... فـبـدّلـتُ قـومـي غِـلظةً بـلِيـانِ(٥)

ثمّ قال: أما يكون بنو أميّة ألف رجل؟ فقال الرسـول: بلى والله، وأكثر. قـال: فما استطاعوا أن يقاتلوا ساعة من النهار! فبعث إلى عَمرو بن سعيد، فأقرأه الكتاب، وأمره أن يسير إليهم في الناس، فقال: قد كنتُ ضبطتُ لك الأمـور والبلاد، فـأمّا الآن إذ صـارت دماءُ قريش تُهرق بالصّعيد، فلا أُحبّ أن أتولّى ذلك.

---

(١) أنظر عن (وقعة الحَرَّة) في: تاريخ خليفة ٢٣٦ ـ ٢٥٠، والأخبار الطوال ٢٦٢ ـ ٢٦٩، وأنساب الأشراف ج ٤ ق ٢/ ٣٠ ـ ٤٦، والفتوح لابن أعثم ٥/ ٢٧٩ ـ ٣١٢، وتاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٥٠ ـ ٢٥٢، وتاريخ الطبري ٥/ ٤٨٢ ـ ٤٩٥، ومروج الذهب ٣/ ٧٩ ـ ٨١، وتاريخ العظيمي ١٨٦، ونهاية الأرب ٢٠/ ٤٨٧ ـ ٤٩٥، والطبقات الكبرى لابن سعد ٥/ ٦٦ ـ ٦٨، وأنساب الأشراف ج ٤ ق ١/ ٣١٩ ـ ٣٣٧، ومعجم البلدان ٢/ ٢٤٩، وتهذيب تاريخ دمشق ٧/ ٤١٤ ـ ٤٢٦ في ترجمة عبد الله بن الزبير، والمختصر في أخبار البشر ١/ ١٩٢، وتاريخ الإسلام (٦١١ ـ ٨٠ هـ.) ـ ص ٢٣ ـ ٣٢، والعقد الفريد ٤/ ٣٨٧ ـ ٣٩١، والبدء والتاريخ ٦/ ١٤ ـ ١٦، والبداية والنهاية ٨/ ٢١٧ ـ ٢٢٤، ومرآة الجنان ١/ ١٣٨، وشفاء الغرام ـ بتحقيقنا ـ ٢/ ٢٦٤، والمحاسن والمساوىء ٦٣ ـ ٦٧، والفخري ١١٥، ١١٦، وتاريخ الخلفاء ٢٠٩، وشذرات الذهب ١/ ٧٠، ٧١.

(٢) ما بين القوسين من (ب).

(٣) في الأوربية: «بها».

(٤) في (ر): «يدبر».

(٥) البيت في: تاريخ الطبري ٥/ ٤٨٣، والفخري ١١٦.

وبعث إلى عُبيد الله بن زياد، يأمره بالمسير إلى المدينة، ومحاصرة ابن الزُّبَيْر بمكّة، فقال: والله لا جمعتهما للفاسق، قتل ابن رسول الله وغزو الكعبة. ثمّ أرسل إليه يعتذر.

فبعث إلى مسلم بن عُقْبة المُرّيّ، وهو الذي سُمّي مُسْرِفاً، وهو شيخ كبير مريض، فأخبره الخبر، فقال: أما يكون بنو أميّة ألف رجل؟ فقال الرسول: بلى. قال: (فما استطاعوا)[1] أن يقاتلوا ساعة من النهار! ليس هؤلاء بأهل أن يُنْصروا، فإنّهم الأذِلّاء، دَعْهم يا أمير المؤمنين حتّى يَجْهدوا أنفسهم في جهاد عدوّهم، ويتبيّن لك مَنْ يقاتل على طاعتك، ومَن يستسلم. قال: ويحك! إنّه لا خير في العيش بعدهم، فاخرجْ بالناس.

وقيل: إنّ معاوية قال ليزيد: إنّ لك من أهل المدينة يوماً، فإنْ فعلوا، فارمِهم بمسلم بن عُقْبَة، فإنّه رجل قد عرفت نصيحته. فلمّا خلع أهلُ المدينة أمر مسلماً بالمسير إليهم، فنادى في الناس بالتّجهّز إلى الحجاز[2]، وأن يأخذوا عطاءهم ومعونة مائة دينار، فانتدِب لذلك اثنا عشر ألفاً، وخرج يزيد يعرضهم، وهو متقلّدٌ سيفاً، متنكّبٌ قوساً عربيّة، وهو يقول:

أبلِغْ أبا بكْرٍ إذا اللّيلُ سَرَى ... وهَبَطَ القَوْمُ على وادي القُرَى
أجَمْعَ سَكرانَ منَ القَوْمِ تَرَى ... أم جَمْعَ يَقظانَ نَفَى عنه الكَرَى
يا عَجَباً مِن مُلحدٍ يا عَجَباً ... مُخادعٍ بالدِّينِ يَعفو[3] بالعرَى[4]

وسار الجيش وعليهم مسلم، فقال له يزيد: إن حدث بك حدثٌ فاستخلف الحُصَين بن نُمَير السَّكونيّ، وقال له: ادعُ القوم ثلاثاً، فإن أجابوك وإلّا فقاتلْهم، فإذا ظهرتَ عليهم، فانهبْها ثلاثاً، فكلُّ ما فيها من مالٍ أو دابّةٍ أو سلاحٍ أو طعامٍ فهو للجُنْد، فإذا مضت الثلاث، فاكففْ عن الناس، وانظرْ عليّ بن الحسين، فاكففْ عنه واستوصِ به خيراً، فإنّه لم يدخل مع الناس، وإنّه قد أتاني كتابه.

وقد كان مروان بن الحكَم كلّم ابن عمر، لمّا أخرج أهلُ المدينة عاملَ يزيد وبني أميّة، في أن يغيّب[5] أهله عنده، فلم يفعل، فكلّم عليَّ بن الحسين، فقال: إنّ لي حُرَماً

---

(١) في الأوربية: «فاستطاعوا».
(٢) في (ب): «الجهاد».
(٣) في (ب): «نفقوا».
(٤) أنظر هذا الرجز باختلاف كثير في الألفاظ، في: تاريخ خليفة ٢٣٨، والأخبار الطوال ٢٦٥، وأنساب الأشراف ج ٤ ق ٣٢٢/١، وج ٤ ق ٣٣/٢، وتاريخ الطبري ٤٨٤/٥، والفتوح لابن أعثم ٢٩٣/٥، ومروج الذهب ٧٩/٣، والتنبيه والإشراف ٣٠٤، ٣٠٥ والبدء والتاريخ ١٤/٦، والبداية والنهاية ٢١٩/٨.
(٥) في (ب): «يبعث».

وحُرَمي تكون مع حُرَمك. فقال: أفعل، فبعث بامرأته، وهي عائشة ابنة عثمان بن عفّان، وحُرَمه إلى عليّ بن الحسين، فخرج عليّ بحُرَمه وحُرَم مروان إلى يَنْبع[1]. وقيل: بل أرسل حُرَم مروان، وأرسل معهم ابنه عبد[2] الله بن عليّ إلى الطائف.

ولما سمع عبد الملك بن مروان أنّ يزيد قد سيّر الجنود إلى المدينة قال: ليت السماء وقعت على الأرض، إعظاماً لذلك.

ثمّ إنّه ابتُلي بعد ذلك، بأن وجّه الحَجّاج، فحصر مكّة، ورمى الكعبة بالمنجنيق، وقتل ابن الزُّبير. وأمّا مسلم، فإنّه أقبل بالجيش، فبلغ أهلَ المدينة خبرُهم، فاشتدّ حصارهم لبني أُميّة بدار مروان، وقالوا: والله لا نكفّ عنكم حتّى نستنزلكم، ونضرب أعناقكم، أو تُعْطونا عهد الله وميثاقه أن لا تبغونا غائلةً، ولا تدلّوا لنا على عَورة، ولا تُظاهِروا علينا عدوّاً، فنكفّ عنكم ونُخْرجكم عنّا. فعاهدوهم على ذلك، فأخرجوهم من المدينة[3].

وكان أهل المدينة قد جعلوا في كلّ منهلٍ بينهم وبين الشام زقّاً من قطران وعُوّر، فأرسل الله السماء عليهم فلم يستقوا بدلوٍ حتّى وردوا المدينة.

فلمّا أخرج أهلُ المدينة بني أُميّة ساروا بأثقالهم حتّى لقوا مسلم بن عُقْبة بوادي القرى، فدعا بعَمْرو بن عثمان بن عفّان أوّل الناس، فقال له: خبّرْني ما وراءك وأشِرْ عليّ. فقال: لا أستطيع، قد أُخذ علينا العهود والمواثيق أن لا ندلّ على عورة، ولا نُظاهر عدوّنا. فانتهره وقال: والله لولا أنّك ابن عثمان لضربتُ عنقك، وايْمُ اللّهِ (لا أقيلها قرشيّاً)[4] بعدك! فخرج إلى أصحابه فأخبرهم خبره، فقال مروان بن الحكَم لابنه عبد الملك: ادخلْ قبلي لعلّه يجتزىء بك عنّي. فدخل عبد الملك فقال: هاتِ ما عندك. فقال: نعم، أرى أن تسير بمَن معك، فإذا انتهيت إلى ذي نَخْلة، نزلتَ، فاستظلّ الناس في ظلّه، فأكلوا من صَقْره[5]، فإذا أصبحتَ من الغد، مضيتَ وتركتَ المدينة ذاتَ اليسار، ثمّ دُرْتَ بها حتّى تأتيهم من قبل الحَرّة مشرِّقاً، ثمّ تستقبل القوم، فإذا استقبلتهم وقد أشرقت عليهم الشمس، طلعتْ بين أكتاف أصحابك، فلا تُؤذيهم ويُصيبهم أذاها، ويرون من ائتلاق بَيْضكم، وأسِنّة رماحكم وسيوفكم ودروعكم ما لا ترونه أنتم، ما داموا مغرِّبين، ثمّ قاتِلْهم واستَعِنِ اللّهَ عليهم.

---

(١) الطبري ٥/٤٨٥.

(٢) في (ب): «عبيد».

(٣) الطبري ٥/٤٨٥، أنساب الأشراف ج ٤ ق ١/٣٢٢ رقم ٨٣٤.

(٤) في (ب): «لو أقيلهم قريباً»، وفي الأوربية: «قريشاً».

(٥) الصّقر: الدبس، وهو عسل التمر وعُصارته.

فقال له مسلم: لله أبوك، أيَّ امرىءٍ وَلَدَ[1]!

ثمّ إنّ مروان دخل عليه فقال له: إيهٍ! فقال: أليس قد دخل عليك عبد الملك؟ قال: بلى، وأيّ رجل عبد الملك! قلّ ما كلّمتُ من رجال قريش رجلاً به شبيهاً. فقال مروان: إذا لقيتَ عبد الملك فقد لَقيتني. ثمّ (إنّه صار في كلّ مكان يصنع)[2] ما أمر به عبد الملك، فجاءهم من قِبَل المشرق، ثمّ دعاهم مسلم فقال: إنّ أمير المؤمنين يزعم أنّكم الأصل، وإنّي أكره إراقة دمائكم، وإنّي أؤجّلكم ثلاثاً، فمَنِ ارعوى[3] وراجع الحقّ قبِلنا منه، وانصرفتُ عنكم، وسرتُ إلى هذا المُحِلّ الذي بمكّة، وإن أبيتم كنّا قد أعذرنا[4] إليكم.

فلمّا مضت الثلاث قال: يا أهل المدينة ما تصنعون، أتُسالمون أم تحاربون؟ فقالوا: بل نحارب. فقال لهم: لا تفعلوا بل ادخلوا في الطّاعة، ونجعل جدّنا وشوكتنا على أهل هذا المُلْحد الّذي قد جمع إليه المُرّاق والفُسّاق من كلّ أوْب، يعني ابن الزُّبَيْر. فقالوا له: يا أعداء الله، لو أردتم أن تجوزوا إليه ما تركناكم، نحن ندعُكم[5] أن تأتوا بيت الله الحرام، فتُخيفوا أهله، وتُلْحدوا فيه، وتستحلّوا حُرمته! لا والله لا نفعل[6].

وكان أهل المدينة قد اتّخذوا خندقاً، وعليه جمْعٌ منهم، وكان عليه عبد الرحمن بن زُهير بن عبد عوف، وهو ابن عمّ عبد الرحمن بن عوف، وكان عبد الله بن مُطيع على رُبع آخر، وهم قريش في جانب المدينة، وكان مَعقِل بن سِنان الأشجعيُّ، وهو من الصّحابة، على رُبعٍ آخر، وهم المهاجرون، وكان أمير جماعتهم عبد الله بن حنظلة الغسيل الأنصاريُّ في أعظم تلك الأرباع، وهم الأنصار[7].

وصمد مسلم فيمَن معه، فأقبل من ناحية الحَرّة حتّى ضرب فُسطاطه على طريق الكوفة، وكان مريضاً، فأمر فوُضع له كرسيٌّ بين الصّفَّين وقال: يا أهل الشام قاتِلوا عن أميركم وادعوا. فأخذوا لا يقصدون رُبعاً من تلك الأرباع إلاّ هزموه، ثمّ وجّه الخيل نحو ابن الغسيل، فحمل عليهم ابن الغسيل فيمَنْ معه فكشفهم، فانتهوا إلى مسلم، فنهض في وجوههم بالرجال وصاح بهم، فقاتلوا قتالاً شديداً[8].

(١) أنظر نحوه في: أنساب الأشراف ج ٤ ق ١/٣٢٣ رقم ٨٣٦.
(٢) في (ر): «ارتحل من مكانه وصنع».
(٣) في (ب): «أذعن».
(٤) في الأوربية: «اعتذرنا».
(٥) في الأوربية: «نحن قد نعلم».
(٦) الطبري ٥/٤٨٧.
(٧) الطبري ٥/٤٨٧.
(٨) الطبري ٥/٤٨٧، ٤٨٨.

ثمّ إنّ الفضل بن عبّاس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطّلب جاء إلى ابن الغسيل، فقاتل معه في نحوٍ من عشرين فارساً قتالاً حسناً، ثمّ قال لابن الغسيل: مَنْ كان معك فارساً فليأتني فليقِفْ معي، فإذا حملتُ فليحملوا، فَوَاللّٰهِ لا أنتهي حتّى أبلغ مسلماً، فأقتله أو أُقْتَل دونه. ففعل ذلك وجمع الخيل إليه، فحمل بهم الفضل على أهل الشام فانكشفوا، فقال لأصحابه: احملوا أخرى جُعلتُ فِداكم، فَوَاللّٰهِ لئن عاينتُ أميرهم لأقتلنّه أو أُقتَل دونه. إنّه ليس بعد الصّبر إلاّ النّصر! ثمّ حمل وحمل أصحابه، فانفرجت[1] خيلُ الشام عن مسلم بن عُقْبة، ومعه نحو خمسمائة راجل جُثاة على الرُّكَب، مُشْرعي الأسنّة نحو القوم، ومضى الفضل كما هو نحو راية مسلم، فضرب رأس صاحبها، فقطّ المِغْفَر، وفلق هامته وخرّ ميتاً[2]، وقال: خذها منّي وأنا ابن عبد المطّلب! وظنّ أنّه مسلم، فقال: قتلتُ طاغية القوم وربِّ الكعبة! فقال: أخطأتِ استُك الحُفْرَةَ[3]!

وإنّما كان ذلك غلاماً روميّاً، وكان شجاعاً، فأخذ مسلم رايته وحرّض أهل الشام وقال: شدّوا مع هذه الراية. فمشى برايته، وشدّت تلك الرجال أمام الراية، فصُرع الفضل بن عبّاس، فقُتل وما بينه وبين أطناب مسلم بن عُقْبة إلاّ نحو من عشرة أذرع، وقُتل معه زيد بن عبد الرحمن بن عوف[4].

وأقبلتْ خيل مسلم ورَجّالته نحو ابن الغسيل، وهو يحرّض أصحابه ويذمّ أهل المدينة، ويُقْدم الخيلَ[5] إلى ابن الغسيل [وأصحابه]، فلم تقدم[6] عليهم للرماح الّتي بأيديهم والسيوف، وكانت تتفرّق عنهم، فنادى مسلمٌ الحُصَينَ بن نُمَير وعبد الله بن عِضاه الأشعريّ، وأمرهما أن ينزلا في جُندهما، ففعلا وتقدّما إليهم، فقال ابن الغسيل لأصحابه: إنّ عدوّكم قد أصاب وجه القتال الذي كان ينبغي أن يقاتلكم به، وإنّي قد ظننتُ ألّا يلبثوا إلاّ ساعةً، حتّى يفصل الله بينكم وبينهم، إمّا لكم وإمّا عليكم، أما إنّكم أهل النُّصرة ودار الهجرة، وما أظنّ ربّكم أصبح عن أهل بلدٍ من بلدان المسلمين بأرضى منه عنكم، ولا على أهل بلدٍ من بلدان العرب بأسخط منه على هؤلاء الّذين يقاتلونكم، وإنّ لكلّ امرىء منكم مِيتة هو ميّتٌ بها لا محالة، ووالله ما [من] مِيتةٍ أفضل من مِيتة الشهادة، وقد ساقها الله إليكم فاغتنموها[7].

---

(١) في الأوربية: «فانفجرت».

(٢) في (ر): «مغشياً».

(٣) مجمع الأمثال للميداني ١/٤٤٤، تاريخ الطبري ٥/٤٨٨،

(٤) وقُتل معه إبراهيم بن نعيم العدوي. (الطبري ٥/٤٨٩).

(٥) في الأوربية: «أصحابه».

(٦) في الأوربية: «يقدم».

(٧) الطبري ٥/٤٩٠.

ثمّ دنا بعضهم من بعض، فأخذ أهل الشام يرمونهم بالنَّبل، فقال ابن الغسيل لأصحابه: علامَ[1] تستهدفون لهم! مَنْ أراد التعجيل إلى الجنّة، فلْيلزمْ هذه الراية. فقام إليه كلّ مستميت، فنهض بعضهم إلى بعض، فاقتتلوا أشدّ قتال رؤي لأهل هذا القتال، وأخذ ابن الغسيل يُقَدِّم بنيه واحداً واحداً، حتّى قُتلوا بين يديه، وهو يضرب [بسيفه] ويقول:

بُعداً لمنْ رامَ الفسادَ وطَغى[2] وجانَبَ الحقّ وآياتِ الهدى
لا يُبعِدِ الرّحمنُ إلاّ مَن عَصى[3]

ثمّ قُتل وقُتل معه أخوه لأمّه محمّد بن ثابت بن قيس بن شَمّاس، فقال: ما أُحبّ أن الدَّيلم قتلوني مكان هؤلاء القوم! وقُتل معه عبد الله بن زيد بن عاصم، ومحمّد بن عَمْرو بن حزم الأنصاريُّ. فمرّ به مروان بن الحكَم فقال: رحِمك الله! رُبَّ ساريةٍ[4] قد رأيتُك تُطيل القيام في الصّلاة إلى جنْبها. وانهزم الناس، وكان فيمَن انهزم محمّد بن سعد بن أبي وقّاص بعدما أبلى.

وأباح مسلم المدينة ثلاثاً، يقتلون الناس ويأخذون المتاع والأموال، فأفزع ذلك من بها من الصّحابة. فخرج أبو سعيد الخُدْريُّ حتّى دخل في كهف الجبل، فتبعه رجلٌ من أهل الشام، (فاقتحم عليه الغار، فانتضى أبو سعيد سيفه يخوّف به الشاميَّ)[5]، فلم ينصرف عنه، فعاد أبو سعيد وأغمد سيفه وقال: ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾[6]. فقال: من أنت؟ قال: أنا أبو سعيد الخُدْريُّ. قال: صاحب رسول الله ﷺ؟ قال: نعم. فتركه ومضى[7].

وقيل: إنّ مسلماً لما نزل بأهل المدينة (خرج إليه أهلُها)[8] بجموع كثيرة وهيئةٍ حسنة، فهابهم أهلُ الشام، وكرهوا أن يُقاتلوهم، فلمّا رآهم مسلم، وكان شديد الوجع، سبّهم وذمّهم وحرّضهم، فقاتلوهم.

---

(١) في الأوربية «عليهم».
(٢) في الأوربية: «بعد المنّ دام الفساد وطغى».
(٣) الرجز في: أنساب الأشراف ج ٤ ق ١/٣٢٦، والسمهودي ٩٣ باختلاف في الألفاظ، وتاريخ الطبري ٥/٤٩٠.
(٤) في الأوربية: «السارية».
(٥) ما بين القوسين من (ب).
(٦) سورة المائدة ٥، الآية ٢٨.
(٧) الطبري ٥/٤٩١، أنساب الأشراف ج ٤ ق ١/٣٣٥ رقم ٨٦٤.
(٨) ما بين القوسين من (ب).

فبينما الناس في قتالهم، إذ سمعوا تكبيراً من خلفهم في جوف المدينة، وكان سببه أنّ بني حارثة أدخلوا أهل الشام المدينة، فانهزم الناس، فكان مَن أُصيب في الخندق أكثر ممّنْ قتل.

ودعا مسلم الناس إلى البيعة ليزيد، على أنّهم خَوَل له، يحكم في دمائهم وأموالهم وأهليهم مَنْ شاء، فمَن امتنع من ذلك قتلَه، وطُلب الأمان ليزيد بن عبد الله بن ربيعة بن الأسود، ولمحمّد بن أبي الجَهم بن حُذَيْفة، ولمَعْقِل بن سِنان الأشجعيّ، فأُتي بهم بعد الوقعة بيوم، فقال: بايعوا على الشرط.

فقال القُرَشيّان: نبايعك على كتاب الله وسُنّة رسوله. فضرب أعناقهما. فقال مروان: سبحان الله! أتقتل رجلَين من قريش أتيا بأمان؟ فطعن بخاصرته بالقضيب، فقال: وأنتَ والله لو قلتَ بمقالتهما لقتلتُك! [1]

وجاء معقل بن سِنان، فجلس مع القوم، فدعا بشراب ليُسقَى، فقال [له] مسلم: أيّ الشراب أحبّ إليك؟ قال: العسل. قال: اسقوه، فشرب حتّى ارتوى، فقال له: أرويتَ؟ قال: نعم. قال: والله لا تشرب بعدها شربة إلّا في نار جهنّم. فقال: أنشُدك اللّهَ والرَّحِم! فقال له: أنت الذي لقيتني بطبريّة ليلةَ خرجتَ من عند يزيد فقلتَ: سرنا شهراً، ورجعنا شهراً، وأصبحنا صفْراً، نرجع إلى المدينة، فنخلع هذا الفاسق ابن الفاسق، ونبايع لرجلٍ من المهاجرين (أو الأنصار! فيمَ غطفان وأشجع من الخلق والخلافة! إنّي آليتُ بيمينٍ لا ألقاك في حرب أقدر منه على قتلك إلّا فعلتُ) [2]. ثمّ أمر به فقُتل [3].

وأُتي بيزيد بن وهْب، فقال له: بايِعْ. قال: أبايعك على الكتاب والسُّنّة. قال: اقتلوه. قال: أنا أبايعك! قال: لا والله، فتكلّم فيه مروان لصِهرٍ كان بينهما، (فأمر بمروان فَوُجِئتْ عنقه) [4]، ثمّ قُتل يزيد [5].

ثمّ أتى مروان بعليّ بن الحسين، (فجاء يمشي بين مروان وابنه عبد الملك) [6] حتّى جلس بينهما عنده، فدعا مروان بشراب ليتحرّم [7] بذلك [من مسلم]، فشرب منه يسيراً،

(١) الطبري ٤٩٢/٥ وفيه: «لو قلت بمقالتهما ما رأيت السماء إلّا برقة».

(٢) ما بين القوسين من (ب).

(٣) أنساب الأشراف ج ٤ ق ٣٢٨/١، ٣٢٩، الأخبار الطوال ٢٦٦.

(٤) العبارة بين القوسين ليست في الطبعة الأوربية، ومكانها: أنفه».

(٥) العبارة في (ب): «فلم يقبل وأمر بقتله فقتل».

(٦) ما بين القوسين من (ر).

(٧) في الأوربية: «ليحترم».

ثمّ ناوله عليّ بن الحسين، فلمّا وقع في يده قال له مسلم: لا تشرب من شرابنا! فارتعدت كفه، ولم يأمنه على نفسه، وأمسك القدح، فقال له: أجئتَ تمشي بين هؤلاء لتأمن عندي؟ والله لو كان إليهما أمر لقتلتك! ولكنّ أمير المؤمنين أوصاني بك، وأخبرني أنّك كاتبته، فإنْ شئتَ فاشربْ. فشرب ثمّ أجلسه معه على السرير، ثمّ قال له: لعلّ أهلك فزعوا؟ قال: إي والله. فأمر بدابّة فأسرجتْ له، فحمله عليها، فردّه ولم يُلزمه بالبيعة ليزيد، على ما شرط على أهل المدينة[1].

وأُحْضر عليّ بن عبد الله بن عبّاس ليبايع، فقال الحُصَين بن نُمَير السَّكونيّ: لا يبايع ابن أختنا إلّا كبيعة عليّ بن الحسين، وكانت أمّ عليّ بن عبد الله كِنديّة، فقامت كِندة مع الحُصَين، فتركه مسلم، فقال عليٌّ:

أَبي العَبّاسُ قَرمُ بني قُصَيٍّ[2] وأخوالي المُلوكُ بنو وَليعَهْ
هُمُ مَنعوا ذِماري يَوْمَ جاءتْ كتائبُ مُسرِفٍ وبنو[3] اللكيعَهْ
أرادوني[4] التي لا عزّ[5] فيها فحالَتْ دونَهُ أيْدٍ سريعَهْ[6]

يعني بقوله مسرف: مسلمَ بنَ عُقْبة، فإنّه سُمّي بعد وقعة الحَرّة مُسرِفاً، وبنو وَلِيعة بطن من كِنْدة، منهم أمّه، واللّكيعة أمّ أمّه.

وقيل: إنّ عمرو بن عثمان بن عفّان لم يكن فيمَنْ خرج من بني أُميّة، فأُتي به يومئذ إلى مسلم فقال: يا أهل الشام تعرفون هذا؟ قالوا: لا. قال: هذا الخبيث ابن الطيّب، هذا عَمرو بن عثمان، هيه يا عمرو، إذا ظهر أهل المدينة قلتَ: أنا رجل منكم، وإنْ ظهر أهل الشام، قلتَ: أنا ابن أمير المؤمنين عثمان. فأمر به فنُتفتْ لحيته، (ثمّ قال: يا أهل الشام إنّ أمّ هذا كانت تُدخل الجُعَل في فيها ثمّ تقول: يا أمير المؤمنين حاجيتك ما في فمي؟ وفي فمها ما شاها وباها[7]. وكانت من دَوْس)[8]. ثمّ خلّى سبيله[9].

(١) الطبري ٥/٤٩٣، ٤٩٤.
(٢) في أنساب الأشراف: «لؤيّ»، وكذا في: مروج الذهب.
(٣) في الأنساب، والمروج: «وبني».
(٤) في (ب): «الزموني»، وفي الأنساب: «أراد بي». وفي المروج: «أرادني».
(٥) في (ب): «عذر».
(٦) في (ب): «الشريعة»، وفي الأنساب: «رفيعه»، وفي المروج «أيدي ربيعة». والأبيات في: أنساب الأشراف ج ٤ ق ١/ ٣٣٠ وبه زيادة بيتين، وج ٤ ق ٢/ ٤٠، ومروج الذهب ٣/ ٨٠، وأخبار العباس ١٣٧، والبيت الثاني فقط في: لسان العرب ١٠/ ١٩٩.
(٧) في الطبري: «ما ساءها وناءها».
(٨) ما بين القوسين من (ب) و (ر) وقد كتبت: «دَوْس»: «دوس» (مهملة).
(٩) الطبري ٥/ ٤٩٤، أنساب الأشراف ج ٤ ق ١/ ٣٢٩.

وكانت وقعة الحَرّة لليلتين بقِيتا من ذي الحجّة سنة ثلاثٍ وستّين [1].

قال محمّد بن عمّارة: قدِمتُ الشام في تجارةٍ، فقال لي رجل: من أين أنت؟ فقلتُ: من المدينة. فقال: خبيثة. فقلت: يسمّيها رسول الله ﷺ، طَيْبة، وتسمّيها خبيثة! فقال: إنّ لي ولها لشأناً، لما خرج الناس إلي وقعة الحَرّة، رأيتُ في المنام أنّي قتلتُ رجلاً اسمه محمد أدخُلُ بقتله النار، فاجتهدتُ في أنّي لا أسير معهم، فلم يُقْبَل منّي، فسرتُ معهم، ولم أُقاتل حتّى انقضت الوقعة، فمررتُ برجل في القتلى به رَمَق فقال: تَنَحَّ [2] يا كلب! فأنِفتُ من كلامه وقتلته، ثمّ ذكرتُ رؤياي، فجئتُ برجلٍ من أهل المدينة يتصفّح القتلى، فلمّا رأى الرجل الذي قتلتُهُ قال: إنّا لله، لا يدخل قاتل هذا الجنّة. قلتُ: ومَن هذا؟ قال: هو محمّد بن عمرو بن حَزْم، وُلد على عهد رسول الله ﷺ، فسمّاه محمّداً، وكنّاه أبا عبد الملك؛ فأتيتُ أهلَه فعرضتُ عليهم أن يقتلوني، فلم يفعلوا، وعرضتُ عليهم الديةَ، فلم يأخذوا.

وممّنْ قُتل بالحَرّة عبد الله (بن عاصم الأنصاريُّ، وليس بصاحب الأذان، ذاك) [3] ابن زيد بن ثعلبة. وقُتل أيضاً فيها عبيد الله (بن عبد الله بن موهب. ووهْب بن عبد الله بن زَمْعة بن الأسود. وعبد الله بن عبد الرحمن بن حاطب. وزُبير بن عبد الرحمن بن عوف. وعبد الله) [4] بن نَوْفل بن الحارث بن عبد المطّلب.

ذكر عدّة حوادث

وفي هذه السنة تُوُفّي الربيع بن خُثَيْم [5] الكوفيُّ الزاهد [6].

وحجّ بالناس هذه السنة عبد [7] الله بن الزبير [8]، وكان يسمّى يومئذ العائذ [9]، ويرون

(١) الطبري ٥/٤٩٤، أنساب الأشراف ج ٤ ق ١/٣٣٢.
(٢) في الأوربية: «تنحب».
(٣) من (ب).
(٤) من (ب).
(٥) في الأوربية: «خيثم».
(٦) أنظر عن (الربيع بن خثيم) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ١١٥ رقم ٣٢ وفيه مصادر ترجمته.
(٧) في الأوربية: «عبيد».
(٨) تاريخ خليفة ٢٥١، المحبّر ٢١، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٦٨، تاريخ الطبري ٥/٤٩٤، مروج الذهب ٤/٣٩٨، تاريخ العظيمي ١٨٦، نهاية الأرب ٢٠/٤٩٦، البداية والنهاية ٨/٢٢١، شفاء الغرام ٢/٣٤٠، تاريخ دمشق ٤٥٤ و ٤٥٥.
(٩) في الأوربية: «العَابد».

الأمر شورى، وأتاه الخبر بوقعة الحَرَّة هلال المحرّم مع [سعيد مولى] المِسْوَر بن مَخْرمة، (فجاءه أمر عظيم، فاستعدَّ هو وأصحابه، وعرفوا)[1] أنّ مسلماً نازل بهم[2]

(١) العبارة في الأوربية: «فاستعدّ فجاؤوه بأمر عظيم، فأعدّ هو وأصحابه واستعاروا وعرفوا».
(٢) الطبري ٥/٤٩٤.

٦٤
ثم دخلت سنة أربع وستين

ذكر مسير مُسْلم لحصار ابن الزُّبَير وموته

فلمّا فرغ مُسْلم من قتال أهل المدينة ونهبها، شخص بمَن معه نحو مكّة يريد[١] ابنَ الزُّبير ومن معه، واستخلف على المدينة رَوْحَ بن زِنْباع الجُذاميَّ، وقيل: استخلف عَمرَو بن مَخْرَمة الأشجعيَّ، فلمّا انتهَى إلى المُشَلَّل[٢] نزل به الموتُ، وقيل: مات بثنيّة هَرْشَى[٣]، فلمّا حضره الموت أحضر الحُصَين بن النُّمَير[٤] وقال له: يابن بَرْذَعة الحمار! لو كان الأمر إليّ ما ولّيتُك هذا الجُنْد، ولكنّ أمير المؤمنين ولاّك. خذ عنّي أربعاً: اسرع السير، وعجِّل المناجزة، [وعمِّ الأخبارَ]، ولا تمكّنْ قُرَشيّاً[٥] من أُذنك. ثمّ قال: اللهم إنّي لم أعمل قطّ بعد شهادة أنْ لا إله إلاّ الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله عملاً أحبَّ إليّ من قتلي أهل المدينة، ولا أرجى عندي في الآخرة[٦].

فلمّا مات سار الحُصَين بالناس، فقدِم مكّة لأربعٍ بقين من المحرّم سنة أربعٍ وستّين، وقد بايع أهلُها وأهلُ الحجاز عبدَ الله بن الزبير، واجتمعوا عليه، ولحِق به المنهزمون من أهل المدينة، وقدِم عليه نَجْدة بن عامر الحنفيُّ في الناس من الخوارج يمنعون البيت، وخرج ابن الزُّبيرِ إلى لقاء أهل الشام، ومعه أخوه المُنذر، فبارز المُنذرُ رجلاً من أهل الشام، فضرب كلّ واحدٍ منهما صاحبه ضربةً مات منها، ثمّ حمل أهلُ الشام عليهم حملةً انكشف منها أصحابُ عبد الله، وعثرتْ بغلة عبد الله فقال: تَعْساً! ثمّ

---

(١) في (ر): «لقتال».

(٢) المُشَلَّل: بضم أوله، وفتح ثانيه، وفتح اللام وتشديدها، وهي ثنيّة مشرفة على قُديد. (معجم ما استعجم ٤/١٢٣٣).

(٣) ثنيّة هَرْشَى: بالفتح ثم السكون، وشين معجمة، والقصر. وهي ثنيّة في طريق مكة قريبة من الجحفة يُرى منها البحر. (معجم البلدان ٥/٣٩٧).

(٤) في (ب): «المنذر».

(٥) في الأوربية: «قريشاً».

(٦) الطبري ٥/٤٩٦، ٤٩٧.

نزل فصاح بأصحابه، فأقبل إليه المِسْوَر بن مَخْرَمة، ومُصْعَب بن عبد الرحمن بن عوْف، فقاتلا حتّى قُتلا جميعاً، وضاربهم[1] ابنُ الزّبير إلى الليل، ثمّ انصرفوا عنه.

هذا في الحصر الأوّل، ثمّ أقاموا عليه يقاتلونه بقيّة المحرّم وصفر كلّه، حتّى إذا مضتْ ثلاثة أيّام من شهر ربيع الأوّل سنة أربعٍ وستّين رموا البيت بالمجانيق، وحرّقوه بالنار، وأخذوا يرتجزون ويقولون:

خطّارةٌ مثْلُ الفنيق[2] المزبدِ نرمي بها أعوادَ هذا المسجدِ[3]

وقيل: إنّ الكعبة احترقت من نارٍ كان يوقدها أصحاب عبد الله حول الكعبة، وأقبلت شَرَرَةٌ هبّت بها الريح، فاحترقت ثيابُ الكعبة، واحترق خشبُ البيت[4]. والأوّل أصحّ، (لأنّ البخاريَّ قد ذكر في «صحيحه» أنّ ابن الزّبير ترك الكعبة ليراها الناس محترقةً، يحرّضهم على أهل الشام)[5].

وأقام أهل الشام يحاصرون ابن الزُّبير، حتّى بلغهم نعي يزيد بن معاوية لهلال ربيع الآخر[6].

ذكر وفاة يزيد بن معاوية

وفي هذه السنة تُوُفّي يزيد بن معاوية بحُوَّارين[7] من أرض الشام، لأربع عشرة خلتْ من شهر ربيع الأوّل، وهو ابن ثمانٍ وثلاثين سنة، (في قول بعضهم، وقيل: تسع وثلاثين، وكانت ولايته ثلاث سنين وستّة أشهر)[8]، وقيل: ثمانية أشهر. وقيل: تُوُفّي في ربيع الأوّل سنة ثلاثٍ وستّين، وكان عمره خمساً وثلاثين سنة، وكانت خلافته سنتين وثمانية أشهر، والأوّل أصحّ. وأمّه مَيْسون بنت بَحْدَل بن أُنَيف الكلبيّة[9].

---

(١) في (ر): «وصابر».
(٢) في نسخة المتحف البريطانية «التفتيق»: والفنيق هو الفحل المكرم من الإبل، والخطّارة: الناقة تخطر بذَنَبها في السير نشاطاً.
(٣) تاريخ الطبري ٥/٤٩٨، أنساب الأشراف ج ٤ ق ١/٣٣٩، نهاية الأرب ٢٠/٤٩٧، العقد الفريد ٤/٤١٧، الأخبار الطوال ٣١٤ وفيه:
خطّارة مثل الفنيق المُلْبِدِ نرمي بها عُوَّاذ أهل المسجد
(٤) الطبري ٥/٤٩٨، أنساب الأشراف ج ٤ ق ١/٣٤٥ رقم ٨٩٢ و ١/٣٤٨ رقم ٨٩٨.
(٥) ما بين القوسين من (ر).
(٦) نهاية الأرب ٢٠/٤٩٧.
(٧) في الأوربية: «بحوران».
(٨) ما بين القوسين من (ب).
(٩) الطبري ٥/٤٩٩.

وكان له من الولد معاوية، وكنيته أبو عبد الرحمن وأبو ليلى، وهو الـذي وليَ بعده، وخالد ويكنّى أبا هاشم، يقال إنّه أصـاب[1] عمل[2] الكيميـا، ولا يصحّ ذلـك لأحد، وأبـو سفيـان، وأمّهم أمّ هاشم بنت [أبي هـاشم بن] عُتْبَة بن ربيعـة، تزوّجهـا بعـده مـروان بن الحكَم؛ وله أيضاً عبد الله بن يزيـد، كان أرْمى العـرب، وأمّه أمّ كلثـوم بنت عبد الله بن عـامـر، (وهـو الأسـوار، وعبـد الله الأصغـر، وعمـر)[3]، وأبـو بكـر، وعُتْبـة، وحـرب، وعبد الرحمن، ومحمّد، لأمّهات شتّى[4].

ذكر بعض سيرته وأخباره

قال محمّد بن عُبيد الله بن عَمرو العُتْبيُّ: نـظر معاويـة ومعه امـرأته ابنـة قَرَظـة إلى يزيد وأمّه تُرَجِّله[5]، فلمّا فرغت منه قبّلته، فقالت ابنةُ قَرَظة: لعن الله سـواد ساقَيْ أمّـك! فقال معاوية: أما واللَّهِ لما تفرّجتْ عنه وِرْكاها خيرٌ ممّا تفرّجتْ عنه وِرْكاك! وكان لمعاويـة من ابنة قَرَظَة: عبد الله، وكان أحمق، فقالت: لا والله، ولكنّك تؤثر هذا. فقال: سـوف أبيّن لـكِ ذلـك، فـأمر فـدُعي لـه عبـد الله، فلمّـا حضـر قـال: أي بنيَّ، إنّي أردتُ أن أعطيكَ[6] مـا أنتَ أهله، ولستَ بسائـلٍ شيئاً إلاّ أجبتـكَ إليه. فقـال: حاجتي أن تشتـري [لي] كلْباً فارهاً وحماراً. فقال: أي بنيَّ، أنتَ حمار وأشتري لك حماراً! قُم فاخـرجْ. ثمّ أحضر يزيد وقال له مثل قـوله لأخيـه، فخرّ سـاجداً، ثمّ قـال حين رفع رأسـه: الحمد لله الذي بلّغ أمير المؤمنين هـذه المدّة، وأراه فيَّ هـذا الرأي، حـاجتي أن تُعتِقني من النار، لأنّ مَن ولي أمر الأمّة ثلاثة أيّام أعتقه الله من النار، فتعقد لي العهد بعدك، وتـولّيني العام الصائفةَ، وتأذن لي في الحجّ إذا رجعتُ، وتولّيني الموسم، وتزيد لأهل الشام كـلّ رجلٍ عشرة دنانير، (وتفرض لأيتـام بني جُمَح[7]، وبني سَهْم، وبني عـديّ، لأنّهم حُلفائي)[8]. فقـال معاويـة: قد فعلتُ، وقبّـل وجهه. فقـال لامرأتـه ابنة قَـرَظَـة: كيف رأيتِ؟ قـالت: أوصِه[9] به يا أمير المؤمنين. ففعل.

---

(١) في (ب): «الباحث».

(٢) في الأوربية: «على».

(٣) ما بين القوسين من (ب)، وفي طبعة صادر ٤/١٢٥ «عمرو» وهو غلط، والمثبت عن الطبري ٥/٥٠٠، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ١١٢، وأنساب الأشراف ج ٤ ق ١/٣٥٥.

(٤) الطبري ٥/٥٠٠.

(٥) في (ب): «أخذ برجله».

(٦) في (ر): «أردت أن أصنع بك».

(٧) في الأوربية: «جميح».

(٨) ما بين القوسين من (ب) وفيها: «خلفائي».

(٩) في الأوربية: «أوصيه».

وقال عمر بن شَبَّة: حجّ يزيد في حياة أبيه، فلمّا بلغ المدينة جلس على شرابٍ له، فاستأذن عليه ابن عبّاس والحسين، فقيل له: إنّ ابن عبّاس إنْ وجد ريحَ الشراب (عرفه، فحَجَبَه وأذِن للحسين، فلمّا دخل وجد رائحة الشراب)[1] مع الطِّيب، فقال: لله درّ طيبك ما أطيبه! فما هذا؟ قال: هو طِيبٌ يُصْنَع بالشام، ثمّ دعا بقدح فشربه، ثمّ دعا بآخر فقال: اسقِ أبا عبد الله. فقال له الحسين: عليك شرابك أيّها المرء، لا عينَ عليك منّي، فقال يزيد:

ألا يا صاحِ لَلْعجبْ   دعوتُك ولم تُجبْ
إلى الفتياتِ والشّهوا   تِ والصّهباء والطّرَبْ
باطية[2] مُكَلّلَه   عليها سادَةُ العرَبْ
وفيهنّ الّتي تبلَتْ   فؤادَكَ ثمّ لم تشبْ

فنهض الحسين وقال: بل فؤادك يا ابن معاوية تبلت.

وقال شقيق بن سَلَمَة[3]: لما قُتل الحسين ثار عبدُ الله بن الزُّبير، فدعا ابنَ عبّاس إلى بيعته، فامتنع وظنّ يزيد أنّ امتناعه تمسّك منه ببيعته، فكتب إليه: أمّا بعد، فقد بلغني أنّ الملحد ابن الزّبير دعاك إلى بيعته، وأنّك اعتصمتَ ببيعتنا وفاءً منك لنا، فجزاك الله من ذي رحِمٍ (خيرَ ما يجزي الواصلين لأرحامهم، الموفين بعهودهم، فما أنسَ من الأشياء)[4]، فلستُ بناسٍ برّك وتعجيل صِلتك بالّذي أنت له أهل، فانظرْ مَن طلع عليك من الآفاق، ممّن سحرهم ابن الزّبير بلسانه، فأعلمهم بحاله، فإنّهم منك أسمع الناس، ولك أطْوَع منهم للمُحِلّ.

فكتب إليه ابنُ عبّاس: أمّا بعدُ، فقد جاءني كتابك، فأمّا تَرْكي بيعة ابن الزَبير، فواللّهِ ما أرجو بذلك بِرّك ولا حمْدك، ولكنّ الله بالّذي أنوي عليمٌ، وزعمتَ أنّك لستَ بناسٍ بِرّي، فاحبسْ أيّها الإنسان برّك عنّي، فإنّي حابسٌ عنك برّي[5]، وسألتَ أن أحبّب الناسَ إليك وأبغّضهم، وأخذّلهم لابن الزّبير، فلا، ولا سرور ولا كرامة، كيف وقد قتلت حسيناً وفتيان عبد المطّلب مصابيحَ الهُدى، ونجوم الأعلام، غادرَتْهم خيولك بأمرك في صعيدٍ واحد، مرمَّلين بالدّماء، مسلوبين بالعراء، (مقتولين بالظّماء؛ لا مكفّنين ولا

---

(١) ما بين القوسين من (ب).
(٢) في الأصل: «وباطية».
(٣) في (ر): «مسلمة».
(٤) ما بين القوسين من (ب).
(٥) في (ب): «وِدي».

موسَّدين)[1]، تسفي عليهم الرياح، وينشى بهم عَرْج البطاحِ، حتّى أتاح الله بقومٍ لم يشركوا في دمائهم، كفّنوهم وأجنّوهم، وبي وبهم لو عززت وجلستَ مجلسك الّذي جلستَ، فما أنسَ من الأشياء، فلستُ بناسٍ اطّرادك حُسيناً من حرم رسول الله ﷺ، إلى حرمِ الله، وتسييرك الخيول إليه، فما زلتَ بذلك حتّى أشخصْتَه إلى العراق، فخرج خائفاً يترقّب، فنزلت به خيلُك عداوةً منك لله ولرسوله، ولأهل بيته الّذين أذهبَ الله عنهم الرِّجس وطهّرهم تطهيراً، فطلب إليكم الموادعة، وسألكم الرجعة، فاغتنمتم قلّة أنصاره، واستئصال أهل بيته، وتعاونتم عليه، كأنّكم قتلتم أهلَ بيتٍ من الشِّرْك[2] والكُفْر، فلا شيء أعجب عندي من طلْبتك ودّي، وقد قتلتَ ولد أبي، وسيفك يقطر من دمي، وأنت أحد ثاري، ولا يعجبك أن ظفرتَ بنا اليوم، فلنظفرنّ بك يوماً، والسلام.

(قال الشريف أبو يَعْلَى حمزة بن محمد بن أحمد بن جعفر العلويُّ، وقد جرى عنده ذكر يزيد: أنا لا أُكفّر يزيد لقول رسول الله ﷺ: إنّي سألتُ الله أن لا يسلّط على بنيّ[3] أحداً من غيرهم، فأعطاني ذلك)[4].

ذكر بيعة معاوية بن يزيد بن معاوية وعبد الله بن الزُّبَير

في هذه السنة بويع لمعاوية بن يزيد بالخلافة بالشام، ولعبد الله بن الزُّبير بالحجاز، ولما هلك يزيد بلغ الخبر عبد الله بن الزبير بمكّة قبل أن يعلم الحُصَين بن نُمير، ومَن معه من عسكر الشام، وكان الحصار قد اشتدّ من الشاميّين على ابن الزّبير، فناداهم ابن الزّبير وأهل مكّة: علامَ تقاتلون وقد هلك طاغيتكم؟ فلم يصدّقوهم.

فلمّا بلغ الحصينَ خبرُ موته بعث إلى ابن الزّبير فقال: موعد[5] ما بيننا الليلة الأبْطح؛ فالتقيا وتحادثا، فراثَ فَرَس الحُصَين، فجاء حمام الحَرَم يلتقط رَوْث الفرس، فكفّ الحُصَين فرسه عنهنّ وقال: أخاف أن يَقتل فرسي حمامَ الحَرَم. فقال ابن الزّبير: تتحرّجون من هذا، وأنتم تقتلون المسلمين في الحرم؟ فكان فيما قال له الحصين: أنت أحقّ بهذا الأمر، هلُمّ فلْنُبايعك، ثمّ اخرجْ معنا إلى الشام، فإنّ هذا الجُنْد الذين معي هم وجوه الشام وفُرسانهم، فوالله لا يختلف عليك اثنانِ، وتؤمِّن الناس، وتُهْدر هذه الدماء الّتي كانت بيننا وبينك وبين أهل الحرم[6]. فقال له: أنا لا أُهدر الدماء، والله لا

(١) ما بين القوسين من (ر).
(٢) في الأوربية: «الترك».
(٣) في الأوربية: «ابني».
(٤) ما بين القوسين من (ر).
(٥) في الأوربية: «يوعد».
(٦) في (ب): «الحرة».

أرضى[1] أن أقتل بكلّ رجل منهم عشرة منكم. وأخذ الحُصَين يكلّمه سرّاً، وهو يجهر ويقول: والله لا أفعل. فقال له الحصين: قبّح الله من يَعُدُّكَ بعدُ (داهياً وأريباً)[2]، قد كنتُ أظنّ أنّ لك رأياً، وأنا أكلّمك سرّاً وتكلّمني جَهْراً، وأدعوك إلى الخلافة (وأنت لا تريد إلّا)[3] القتل والهَلَكة. ثمّ فارقه ورحل هو وأصحابه نحو المدينة، وندِم ابن الزّبير على ما صنع، فأرسل إليه: أمّا المسير إلى الشام فلا أفعله، ولكن بايعوا لي هناك، فإنّي مؤمّنكم وعادل فيكم. فقال الحُصَين: إنْ لم تقدم بنفسك لا يتمّ الأمر، فإنّ هناك ناساً من بني أُميّة يطلبون هذا الأمر.

وسار الحُصَين إلى المدينة، فاجترأ أهل المدينة على أهل الشام، فكان لا ينفرد منهم أحد إلّا أُخذتْ دابّته، فلم يتفرّقوا، وخرج معهم بنو أميّة من المدينة إلى الشام، ولو خرج معهم ابن الزُّبير لم يختلف عليه أحد.

فوصل أهل الشام دمشق، وقد بويع معاوية بن يزيد، فلم يمكث إلّا ثلاثة أشهر حتّى هلك، وقيل: بل ملك أربعين يوماً ومات. وعمره إحدى وعشرون سنة وثمانية عشر يوماً[4].

ولما كان في آخر إمارته أمر فنُودي: الصلاة جامعة، فاجتمع الناسُ، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أمّا بعدُ، فإنّي ضعفتُ عن أمركم فابتغيتُ لكم مثلَ عمر بن الخطّاب حين استخلفه أبو بكر فلم أجده، فابتغيتُ ستّة مثل [ستّة] الشورى، فلم أجدهم، فأنتم أَوْلَى بأمركم، فاختاروا له مَنْ أحببتم. ثمّ دخل منزله وتغيّب حتّى مات[5].

وقيل: إنّه مات مسموماً، وصلّى عليه الوليد بن عُتْبَة بن أبي سفيان، ثمّ أصابه الطاعون من يومه فمات أيضاً[6]، وقيل: لم يمُت، وكان معاوية أوصى أن يصلّي الضحّاك بن قيس بالناس، حتّى يقوم لهم خليفة، وقيل لمعاوية: لو استخلفتَ؟ فقال: لا أتزوّد مرارتها، وأترك لبني أميّة حلاوتها[7].

---

(١) في الأوربية: «لأرضى».

(٢) في (ب): «هذا». وفي الأوربية: «ذاهباً وآتياً».

(٣) في (ر): «وقعدني إلى»؛ والقول في: مروج الذهب ٣/٩١.

(٤) الطبري ٥/٥٠١ ـ ٥٠٣ وفيه: وتوفي وهو ابن ثلاث عشرة سنة وثمانية عشر يوماً.

(٥) نهاية الأرب ٢٠/٥٠٠، وانظر: تاريخ اليعقوبي ٢/٢٥٤.

(٦) مروج الذهب ٣/٨٢.

(٧) مروج الذهب ٣/٨٢.

ذكر حال ابن زياد بعد موت يزيد

لما مات يزيد، وأتَى الخبرُ عُبيدَ الله بن زياد مع مولاه حُمران، وكان رسوله إلى معاوية بن أبي سفيان، ثمّ إلى يزيد بعده، فلمّا أتاه الخبر أسرّه إليه، وأخبره باختلاف الناس في الشام، فأمر فنودي: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس، وصعِد المنبر، فنعى يزيد (وثلّبه[١])، فقال الأحنف: إنّه قد كانت ليزيد في أعناقنا بيعة، ويقال في المثل: أَعْرِض عن ذي فَنَن[٢]، وأعرِضَ عنه عُبيد الله)[٣]، وقال: يا أهل البصرة، إنّ مُهاجَرنا إليكم، ودارنا فيكم، ومولدي فيكم، ولقد وليتُكم، وما يُحْصي ديوان مقاتلتكم إلاّ سبعين ألفاً، ولقد أحصى اليوم مائة[٤] ألف، وما كان يُحصي ديوان عمّالكم إلاّ تسعين ألفاً، ولقد أحصى اليوم مائة وأربعين ألفاً، وما تركتُ لكم ذا ظِنّةٍ[٥] أخافه عليكم، إلاّ وهو في سجنكم، وإنّ يزيد قد توفّي، وقد اختلف الناس بالشّام، وأنتم اليوم أكثر الناس عدداً، وأعرضهم فِناءً[٦] وأغناهم[٧] عن الناس، وأوسعهم بلاداً، فاختاروا لأنفسكم رجلاً ترضونه لدينكم وجماعتكم، (فأنا أوّل راضٍ مَنْ رضيتموه، فإنِ اجتمع أهلُ الشام على رجلٍ ترضَوْنه لِدِينكم وجماعتكم)[٨]، دخلتم فيما دخل فيه المسلمون، وإن كرهتم ذلك كنتم (على جديلتكم حتى تُعْطَوا)[٩] حاجتكم، فما بكم إلى أحد من أهل البلدان حاجة، ولا يستغني الناس عنكم. فقام خُطباء أهل البصرة وقالوا: قد سمعنا مقالتك، وما نعلم أحداً أقوى عليها منك، فهلُمّ فلْنبايعك. فقال: لا حاجة لي في ذلك. فكرّروا عليه، فأبَى عليهم ثلاثاً، ثمّ بسط يده فبايعوه، ثمّ انصرفوا، ومسحوا أيديهم بالحيطان وقالوا: أيظنّ ابن مَرجانة أنّنا ننقاد[١٠] له في الجماعة والفُرقة!

فلمّا بايعوه أرسل إلى أهل الكوفة مع عَمْرو بن مِسْمع، وسعد بن القرحاء[١١] التميميّ يُعْلم أهلَ الكوفة ما صنع أهل البصرة، ويدعوهم إلى البيعة له، فلمّا وصلا إلى الكوفة،

---

(١) في الأوربية: «وثلّثه».
(٢) في الأوربية: «فترة».
(٣) ما بين القوسين من (ب).
(٤) في (ر): «ثمانين».
(٥) في الأوربية: «لكم قاطنة».
(٦) في (ب) «غناء»، وفي الأوربية «قناء».
(٧) في الأوربية: «وأغنى».
(٨) ما بين القوسين من (ر).
(٩) في الأوربية: «على أحد يليكم حتى تقضوا». (والجديلة: الطريقة والشاكلة).
(١٠) الطبري ٥/٥٠٥ «تستقاد».
(١١) في (ب): «القرظ».

وكان خليفته عليها عَمْرو بن حُرَيْث، جمع النـاس وقام الـرسولان فخـطبا أهـل الكوفـة، وذكرا لهم ذلك، فقام يزيد بن الحارث بن يزيد الشيبانيُّ، وهو ابن رُوَيْم، فقـال: الحمد لله الـذي أراحنا من ابن سُمَيّـة! أنحن نبايعـه؟ لا ولا كرامـة! وحصبهما أوّل النـاس، ثمّ حصبهما الناس بعده، فشرّفت تلك الفعلة يزيد بن رُوَيْم في الكوفة ورفعته.

ورجع الرسولان إلى البصرة فأعلماه الحال، فقال أهل البصرة: أيخلعه أهل الكوفة ونولّيه نحن! فضعُف سلطانـه عندهم، فكـان يأمـر بالأمـر فلا يُقضَى، ويـرى الرأي فيُـردّ عليه، ويأمر بحبس المخطىء، فيُحال بين أعوانه وبينه[1].

ثمّ جاء إلى البصرة سَلِمة بن ذُؤيب الحنظليُّ التميميُّ، فوقف في السوق وبيده لواءٌ وقـال: أيّها النـاس هلمّوا إليّ، إنّي أدعـوكم إلى ما لم يـدعُكم إليـه أحـد، أدعـوكم إلى العائذ بالحرم، يعني عبد الله بن الزُّبَير. فاجتمع إليه ناس[2]، وجعلوا يصفّقون على يـديه يبايعونه. فبلغ الخبرُ ابنَ زياد، فجمع الناس فخطبهم، وذكر لهم أمره معهم، وأنّه دعاهم إلى مَن يرتضونه، فبايعـه منهم[3] أهل البصـرة، وأنّهم أبَوا غيـره، وقال: إنّي بلغني أنّكم مسحتم أكُفَّكم بالحيطان وباب الدار، وقلتم ما قلتم، وإنّي آمر بالأمر، فلا ينفذ ويُرَدّ عليّ رأيي، ويُحـال بين أعواني وبين طَلَبتي، ثمّ إنّ هـذا سَلِمة بن ذُؤيب يـدعـو إلى الخـلاف عليكم، ليفرّق جماعتكم، ويضرب بعضكم رِقاب بعض بالسيف.

فقـال الأحنف والناس: نحن نـأتيك بسَلِمـة، فأَتَـوه بسَلِمة، فـإذا جمعُه قـد كُثف، والفتْق قد اتّسع، فلمّا رأوا ذلك قعـدوا عن ابن زياد، فلم يـأتوه. فـدعا عُبيـدُ الله رؤساء محاربة السلطان[4]، وأرادهم ليقاتلوا معه، قالوا: إن أمرَنا فؤآدُنا فعلنا. فقال له إخوته: ما من خليفة فتقاتل عنه[5]، فإن هُزمتَ رجعتَ إليه فأمدّك، ولعلّ الحـرب تكون عليـك (وقد اتّخذنا بين هؤلاء القوم أموالاً)[6]، فإن ظفروا بنا أهلكونا وأهلكوها، فلم تبقَ لك بقيّة.

فلمّا رأى ذلك أرسل إلى الحارث بن قيس بن صهباء الجَهْضَميّ الأزديّ فأحضـره، وقال له: يا حارث، إنّ أبي أوصاني أنّي إن احتجتُ إلى الهرب[7] يوماً أن أختاركم. فقال الحارث: إنّ قومي قد اختبروا أباك، فلم يجدوا عنده مكاناً، ولا عندك مكـافأة، ولا أردّك

(١) نهاية الأرب ٥٠٢/٢٠، ٥٠٣، الطبري ٥٢٤/٥، ٥٢٥،
(٢) الطبري ٥٠٧/٥ «فتجمّع إليه نُوَيس».
(٣) في (ر): «معهم».
(٤) تحرّفت في نسخة المتحف البريطاني إلى «الشيطان».
(٥) في الأوربية: «ما لنا خليفة فنقاتل عنه».
(٦) ما بين القوسين من (ب).
(٧) في الأوربية «العرب».

إذا اخترتنا[1]، وما أدري كيف أماني لك، إن أخرجتُك نهاراً أخاف أن تُقْتَل وأُقتَل، ولكنّي أقيم معك إلى الليل، ثمّ أُردفك خلفي لئلاّ تُعْرَف. فقال عُبيد الله: نِعْمَ ما رأيتَ. فأقام عنده فلمّا كان الليل حمله خلفه.

وكان في بيت المال تسعة[2] عشر ألف ألف، ففرّق ابنُ زياد بعضها في مواليه، وادّخر الباقي، فبقي لآل زياد.

وسار الحارث بُعبيد الله بن زياد، فكان يمرّ به على الناس وهم يتحارسون مخافة الحَرُوريّة، وعُبيد الله يسأله: أين نحن؟ والحارث يُخبره، فلمّا كانوا في بني سُلَيم قال: أين نحن؟ قال: في بني سُلَيم. قال: سلِمنا إن شاء الله. فلمّا أتى بني ناجية قال: أين نحن؟ قال: في بني ناجية. قال: نجونا إن شاء الله[3]. فقال بنو ناجية: مَنْ أنت؟ قال: الحارث بن قيس، وكان يعرف رجلٌ منهم عُبيد الله، فقال: ابن مَرْجانة! وأرسل سهماً فوقع في عمامته.

ومضى به الحارث، فأنزله في دار نفسه في الجهاضم، فقال له ابن زياد: يا حارث، إنّك أحسنتَ فاصنع ما أشيرُ به عليك، قد علمت منزلة مسعود بن عَمرو في قومه وشرفه وسنّه، وطاعة قومه له، فهل لك أن تذهب بي إليه، فأكون في داره، فهي في وسط الأزد، فإنّك إن لم تفعل[4] فرّق عليك أمر قومك. فأخذه الحارث فدخلا على مسعود، ولم يشعر وهو جالس يصلح خُفّاً له، فلمّا رآهما عرفهما فقال للحارث: أعوذ بالله من شرّ طرقتَني به! قال: ما طرقتُك إلاّ بخير، (قد علمتَ أنّ قومك أنجوا زياداً ووفوا له، فصارت مكرُمة يفتخرون بها على العرب)[5]، وقد بايعتم عُبيد الله بيعةَ الرِّضى عن مشورة، وبيعة أخرى قبل هذه، يعني بيعة الجماعة. قال مسعود: أترى لنا أن نعادي أهل مِصْرنا في عُبيد الله، ولم نجد من أبيه مكافأة ولا شكراً فيما صنعنا معه؟ قال الحارث: إنّه لا يعاديك[6] أحد على الوفاء على بيعتك، حتّى تبلّغه مأمنه، أفتُخْرجه من بيتك بعدما دخله عليك؟

وأمره مسعود فدخل بيت أخيه عبد الغافر بن عَمرو، ثمّ ركب مسعود من ليلته ومعه الحارث وجماعة من قومه، فطافوا في الأزد فقالوا: إنّ ابن زياد فُقد، وإنّا لا نأمن أن

---

(١) في (ب): «اختبرتنا». والخبر في تاريخ الطبري ٥/٥٠٨ ـ ٥١٠.
(٢) في الطبري ٥/٥١١ «ستة»، والمثبت يتفق مع: نهاية الأرب ٢٠/٥٠٤.
(٣) أنظر: الأخبار الطوال ٢٨٢.
(٤) في الأوربية: «يفعل».
(٥) ما بين القوسين من (ر).
(٦) في (ب): «يقارضك».

تُلْحظوا به. فأصبحوا في السلاح. وفقد الناس ابن زياد فقالوا: ما هو إلّا في الأزد.

وقيل: إنّ الحارث لم يكلّم مسعوداً بل أمر عُبيدَ الله، فحمل معه مائة ألف، وأتى بها أمّ بِسْطام امرأة مسعود، (وهي بنت عَمْرو بن الحارث، ومعه عُبيد الله، فاستأذن عليها، فأذِنت له، فقال لها: قد أتيتُك بأمر تسودين[1] به نساء العرب، وتتعجّلين به الغِنى. وأخبرها الخبر[2]، وأمرها أن تُدْخل ابن زياد البيت، وتُلْبسه ثوباً من ثياب مسعود، ففعلت، ولما جاء مسعود أخذ برأسها يضربها، فخرج عُبيد الله والحارث عليه وقال له: قد أجارتني، وهذا ثوبك عليّ، وطعامك في بطني. وشهد الحارث وتلطّفوا به حتّى رضي[3]، فلم يزل ابن زياد في بيته حتّى قُتل مسعود، فسار إلى الشام.

ولما فُقد ابن زياد بقي أهل البصرة في غير أمير، فاختلفوا فيمَن يؤمّرون عليهم، ثمّ تراضوا بقيس بن الهيثم السُّلَميّ، وبالنُّعمان بن سُفيان الراسبيّ الحرميّ، ليختارا مَنْ يرضيان لهم، وكان رأي قيس في بني أميّة، ورأي النُّعمان في بني هاشم، فقال النُّعمان: ما أرى أحداً أحقّ بهذا الأمر من فلان، لرجلٍ من بني أميّة، وقيل: بل ذكر له عبدَ الله بن الأسود الزُّهْريَّ، وكان هوى قيسٍ فيه، وإنّما قال النّعمان ذلك خديعةً ومكراً بقيس، فقال قيس: قد قلّدتك أمري، ورضيتُ مَن رضيتَ، ثمّ خرجا إلى الناس، فقال قيس: قد رضيتُ من رضي النُّعمان[4].

ذكر ولاية عبد الله بن الحارث البصرة

لما اتّفق قيس والنُّعمان، ورضي قيس بمن يؤمّره النُّعمان، أشهد عليه النُّعمانُ بذلك، وأخذ على قيس وعلى الناس العهود بالرِّضى، ثمّ أتى عبدَ الله بن الأسود، وأخذ بيده واشترط عليه (حتّى ظنّ الناس أنّه بايعه، ثمّ تركه وأخذ بيد عبد الله بن الحارث بن نَوْفل بن الحارث بن عبد المطّلب الملقّب ببَبَّة واشترط عليه)[5] مثل ذلك، ثمّ حمد الله وأثنى عليه، وذكر النبيَّ ﷺ، وحقّ أهل بيته وقرابته وقال: أيّها الناس ما تنقمون من رجل من بني عمّ نبيّكم، وأمّه هند بنت أبي سفيان قد كان الأمر فيهم، فهو ابن أختكم، ثمّ أخذ بيده وقال: رضيتُ لكم به، فنادوه: قد رضينا، وبايعوه وأقبلوا به إلى دار الإمارة حتّى نزلها، وذلك أوّل جُمادى الآخرة سنة أربعٍ وستّين. وقال الفرزدق في بيعته:

---

(١) في الأوربية «تؤسدين».

(٢) ما بين القوسين من (ر).

(٣) الطبري ٥/٥١٣.

(٤) الطبري ٥/٥١٣، ٥١٤ نهاية الأرب ٢٠/٥٠٥.

(٥) ما بين القوسين من (ر).

وبـايعتُ أقـوامـاً وفـيتُ بـعهـدِهـم وبَبَّـة قـد بـايَعتُـه غيـر نـادِمِ[1]

ذكر هرب ابن زياد إلى الشام

ثمّ إنّ الأزد وربيعة جدّدوا الحلف الذي كان بينهم وبين الجمـاعة، وأنفق ابنُ زيـاد مـالاً كثيـراً فيهم، حتّى تمّ الحلف، وكتبوا بـذلـك بينهم كتـابَين، فكـان أحـدهمـا عنـد مسعود بن عَمْرو. فلمّا سمع الأحنف أن الأزد طلبت إلى ربيعة ذلك، قال: لا يزالون لهم أتباعاً إذا أتوهم. فلمّا تحـالفوا اتّفقـوا على أن يردّوا ابن زيـاد إلى دار الإمارة، فسـاروا، ورئيسهم مسعود بن عَمْرو، وقـالوا لابن زيـاد: سِرْ معنـا، فلم يفعل، وأرسـل معه مـواليه على الخيـل، وقال لهم: لا تتحـدّثوا[2] بخيـر ولا بشرّ إلاّ أتيتمـوني به، فجعـل مسعود لا يأتي سكّة ولا يتجاوز قبيلة إلاّ أتى بعضُ أولئك الغلمان ابنَ زياد بالخبر، وسـارت ربيعة، وعليهم مالك بن مِسْمَـع، فأخـذوا سِكّة المِـرْبد، وجـاء مسعود فـدخل المسجـد، فصعِد المنبر وعبدُ الله بن الحارث في دار الإمارة، فقيل له: إنّ مسعـوداً وأهل اليمن وربيعـة قد ساروا، وسيُهَيَّج بين الناس شرٌّ، فلو أصلحتَ بينهم، أو ركبت[3] في بني تميم [عليهم]. فقـال: أبعدهم الله، لا والله لا أُفسـدنّ نفسي في إصلاحهم! وجعـل رجـل من أصحـاب مسعود يقول:

لأُنْـكِـحَـنَّ بَـبَّـهْ[4] جـاريَـةً فـي قـبَّـهْ[5]
تـمـشُطُ رأس لـعـبـهْ[6]

هذا قول الأزد، وأمّا قول مُضَر فيقولون: إنّ أمّه كانت ترقّصه[7]، وتقول هذا.

وصعِد مسعود المنبر، وسار مالك بن مِسْمع نحو دُور بني تميم حتّى دخل سكّة بني العدويّة، فحـرَّق دُورهم لِما في نفسـه لاستعراض[8] ابن خـازم[9] ربيعة بهَـرَاة. وجاء بنـو

---

(١) تاريخ الطبري ٥/٥١٤، أنساب الأشراف ج ٤ ق ١/٤٠٥، نقـائض جرير والفرزدق ١١٢ و ٧٣٧، لسـان العرب ١/٢١٥.

(٢) في (ب): «يتحدثون».

(٣) في الأوربية: «وركبت».

(٤) في الأوربية: «لئن ينكحن بَبّهْ».

(٥) في نسخة الأستانة «حدبه».

(٦) الطبري ٥/٥١٧، أنسـاب الأشـراف ج ٤ ق ١/٤٠٧، الاشتقـاق لابن دريـد ٤٤، الصحـاح للجـوهـري ١/٣٢، لسان العرب ١/٣١٥ و ٣٣٥ و ٣٧٧، تاج العروس ١/١٥٢.

(٧) في (ر): «توقظه».

(٨) في (ب): «لاستغراق».

(٩) في الأوربية: «بني حازم».

تميم إلى الأحنف فقالوا: يا أبا بحر، إنّ ربيعة والأزد قد تحالفوا، وقد ساروا إلى الرَّحَبة فدخلوها. فقال: لستم بأحقّ بالمسجد منهم. فقالوا: قد دخلوا الدّار. فقال: لستم بأحقّ بالدّار منهم. فأتته امرأة بمِجْمَر وقالت له: ما لك وللرياسة، إنّما أنت امرأة تتجمّر! فقال: استُ المرأة[1] أحقّ بالمِجْمَر، فما سُمِع منه كلمة أسوأ[2] منها، ثمّ أتوه فقالوا: إنّ امرأة منّا قد سُلبت[3] خلخالها[4]، وقد قتلوا الصَّبّاغ الذي على طريقك وقتلوا[5] المُقْعَد الذي على باب المسجد، وقد دخل مالك بن مِسمع سكّة بني العدويّة فحرّق. فقال الأحنف: أقيموا البيّنة على هذا، ففي دون هذا ما يحلّ قتالهم. فشهدوا عنده على ذلك. فقال الأحنف: أجاء عبّاد بن الحُصَين؟ قالوا: لا، وهو عبّاد بن الحصَين بن يزيد بن عَمرو بن أوْس من بني عَمْرو بن تميم، ثمّ قال: أجاء عبّاد؟ قالوا: لا. قال: أهاهنا عبس[6] بن طلْق بن ربيعة الصُّرَيْميُّ من بني سعد بن زيد مَناة بن تميم؟ قالوا: نعم، فدعاه فانتزع مِعْجراً في رأسه، فعقده في رُمحٍ، ثمّ دفعه إليه وقال: سِرْ، فلمّا ولّى قال: اللهمّ لا تُخزِها اليومِ، فإنّك لم تُخْزها[7] فيما مضى، وصاح الناس: هاجت زبراء[8]! وهي أمَة للأحنف[9] كنوا بها عنه[10].

فسار عبس إلى المسجد، فلمّا سار عبس جاء عبّاد فقال: ما صنع الناس؟ فقيل: سار بهم عبس. فقال: لا أسير تحت لواء عبس، وعاد إلى بيته ومعه ستّون فارساً. فلمّا وصل عبس إلى المسجد قاتل الأزد على أبوابه، ومسعود على المِنْبر يحضّض الناس، فقاتل غطفانُ بن أُنيف التميميُّ وهو يقول:

يالَ تَميمٍ إنّها مَذكورَهْ　　إنْ فاتَ[11] مسعودٌ بها مشهورَهْ
فاستمسِكوا بجانبِ المَقصُورَهْ[12]

---

(١) في الأوربية: «لستُ امرأة».
(٢) في الأوربية: «سواء»، وفي أنساب الأشراف ج ٤ ق ٣٩٨/١ «أرفث».
(٣) في الأوربية: «نزعت».
(٤) في نسخة الأستانة: «جلالة خيلها».
(٥) في الأوربية: «وقد قفلوا الضباع الذي على طريقك وقفلوا».
(٦) تحرّفت في (ب) إلى «عيسى».
(٧) في الأوربية: «اللهمّ إن لم تخرها اليوم فإنّك لم تخرها».
(٨) في (ر) بياض.
(٩) في الأوربية: «هاجت زيرا وهي أمّ الأحنف».
(١٠) أنساب الأشراف ج ٤ ق ٤٠٨/١.
(١١) في (ب): «خاف».
(١٢) الطبري ٥٢٠/٥.

أي لا يهرب [فيفوت]. وأتوا مسعوداً وهو على المنبر، فاستنزلوه فقتلوه، وذلك أوّل شوّال سنة أربعٍ وستّين، وانهزم أصحابه، وهربَ أشْيَم بن شَقيق بن ثَوْر، فطعنه أحدهم فنجا بها، فقال الفرزدق:

لَوْ أنّ أشْيَمَ لم يَسبقْ أسِنَّتَنا ... وأخطأ البابَ إذْ نيرانُنا تَقِدُ
إذاً لَصاحَبَ مسعوداً وصاحبَهُ ... وقد تهافَتت الأعفاجُ والكَبِدُ[1]

ولما صعِد مسعود المِنْبر أُتيَ ابنُ زياد، فقيل له ذلك، فتهيّأ ليجيء إلى دار الإمارة، فأتوه وقالوا له: إنّه قُتل مسعود، فركب ولحِق بالشام[2].

فأمّا مالك بن مِسمع فأتاه ناس من مُضر، فحصروه في داره وحرّقوا داره.

ولما هرب ابنُ زياد تبِعوه، فأعجزهم، فنهبوا ما وجدوا له، (ففي ذلك يقول واقد بن خليفة التميميُّ:

يا رُبَّ جبّار شديد كَلَبُهْ ... قد صار فينا تاجُهُ وسَلَبُهْ
منهم عُبيدُ الله يومَ نسلُبُهْ ... جيادَه وبَزَّه وننهَبُهْ[3]
يوْمَ التَقَى مِقْنَبُنا ومِقْنَبُهْ[4] ... لولم يُنَجّ ابنَ زيادٍ هرَبُهْ)[5]

وقد قيل في قتل مسعود ومسير ابن زياد غير ما تقدّم، وهو أنّه لما استجار ابنُ زياد بمسعود بن عَمْرو أجاره، ثمّ سار ابن زياد إلى الشام، وأرسل معه مسعود مائة من الأزد، حتّى قدِموا به إلى الشام. فبينما هو يسير ذات ليلة قال: قد ثقل عليّ ركوب الإبل، فوطّئوا لي على ذي حافر؛ فجعلوا له قطيفةً على حمار، فركبه ثمّ سار، وسكت طويلاً.

قال مُسافر بن شُرَيح اليشكريُّ: فقلتُ في نفسي: لئن كان نائماً لأُنَغِّصَنّ[6] عليه نومه، [فدنوتُ منه] فقلتُ: أنائمٌ أنت؟ قال: لا، كنتُ أحدّث نفسي. قلتُ[7]: أفلا

---

(١) في ديوان الفرزدق ١٩٣: «كلاهما خارج الأعفاج والكبد». والبيتان عند الطبري ٥/٥٢٠، والبلاذري في أنساب الأشراف ج ٤ ق ٤٠٩/١، وفيه: «وقد تماءت له الأعفاج والكبد».
(٢) أنساب الأشراف ج ٤ ق ٤٠٩/١.
(٣) في الأوربية: «تسلبه... وتنهبه».
(٤) في الأوربية: «مقبتنا ومقبته». (والمقنب، جمعها مقانب: جماعة من الخيل تجتمع للغارة».
(٥) ما بين القوسين من (ب).
والبيت الأول في: أنساب الأشراف ج ٤ ق ٤١٢/١، وكلها في تاريخ الطبري ٥/٥٢١، والنقائض ٧٣٥، وعند الطبري أن القائل هو «وافد» بالفاء، والمثبت يتفق مع بقية المصادر، ونهاية الأرب ٥٠٨/٢٠.
(٦) في الأوربية: «لأيقظنّ».
(٧) في (ب) قال. والمثبت من (ر).

أحدّثك بما كنتَ تحدّث به نفسك؟ قال: هات. قلتُ[1]: كنتَ تقول: ليتني كنتُ لم أقتل حسيناً. قال: وماذا؟ قلتُ: تقول: ليتني لم أكن قتلتُ مَنْ قتلتُ. قال: وماذا؟ قلتُ: تقول: ليتني لم أكن بنيتُ[2] البيضاء. قال: وماذا؟ قلتُ: تقول: ليتني لم أكن استعملتُ الدهاقين. قال: وماذا؟ قلتُ: تقول: ليتني كنتُ أسخى ممّا كنتُ.

قال: أمّا قتلي الحسين، فإنّه أشار إليّ يزيد بقتله أو قتلي، فاخترتُ قتله، وأمّا البيضاء فإنّي اشتريتها من عبد الله بن عثمان الثقفيّ، وأرسل إليّ يزيد بألف ألف، فأنفقتها عليها، فإن بقيتُ فلأهلي، وإن هلكتُ لم آسَ عليها، وأمّا استعمال الدّهاقين فإنّ عبد الرحمن بن أبي بَكْرة (وزاذان فرّوخ وقعا فيّ عند معاوية [حتى ذكرا قشور الأرزّ] فبلغا بخراج[3] العراق مائة ألف ألف فخيّرني معاوية[4] بين العزل والضمان، فكرهتُ العزل، فكنتُ إذا استعملتُ العربيَّ كسر الخراج، فإنْ أغرمتُ عشيرته أو طالبتُهُ أوغرت صدورهم، وإن تركته تركتُ مال الله، وأنا أعرف مكانه، فوجدتُ الدّهاقين أبصر بالجباية، وأوفى بالأمانة، وأهون بالمطالبة منكم، مع أنّي قد جعلتكم أُمناء عليهم[5] لئلّا يظلموا أحداً. وأمّا قولك في السخاء فما كان لي مال فأجود به عليكم، ولو شئتُ لأخذتُ بعضَ مالكم، فخصصتُ به بعضكم دون بعض، فيقولون: ما أسخاه. وأمّا قولك: ليتني لم أكن قتلتُ من قتلتُ، فما عملتُ بعد كلمة الإخلاص عملاً هو أقرب إلى الله عندي من قتل مَنْ قتلتُ من الخوارج، ولكنّي سأخبرك [بما حدّثتُ به نفسي]، قلتُ: ليتني كنتُ قاتلتُ أهل البصرة، فإنّهم بايعوني طائعين، ولقد حرصتُ على ذلك، ولكنّ بني زياد قالوا: إن قاتلتهم فظهروا عليك لم يُبْقوا منّا أحداً، وإن تركتَهم تغيّب الرجل منّا عند أخواله وأصهاره، فوقعتَ بهم، فكنتُ أقول: ليتني أخرجت أهل السجن فضربتُ أعناقهم، وأمّا إذ فاتت هاتان، فليتني أقدم الشام ولم يُبرموا أمراً.

قال: فقدِم الشام ولم يُبرموا أمراً، [فكأنّما] كانوا معه صبياناً[6]، وقيل: بل قدِم وقد أبرموا، فنقض عليهم ما أبرموا[7].

فلمّا سار من البصرة استخلف مسعوداً عليها، فقال بنو تميم وقيس: لا نرضى به،

---

(١) في (ب) قال.
(٢) في نسخة الأستانة (آ) و(ب): «زاد في الخراج ومقامي».
(٣) في الأوربية: «أراد أنّ فرّوخ وقع فيّ عند معاوية وبلغ خراج».
(٤) في (ب): «يزيد».
(٥) في الأوربية: «عليه».
(٦) في الأوربية: «فكانوا معه صبيان».
(٧) الطبري ٥/٥٢٢، ٥٢٣، أنساب الأشراف ج ٤ ق ١/٤١٠، ٤١١.

ولا نولّي إلّا رجلاً ترضاه جماعتنا. فقال مسعود: قد استخلفني ولا أدع ذلك أبداً.

وخرج حتّى انتهَى إلى القصر ودخله، واجتمعت تميم إلى الأحنف فقالوا له: إنّ الأزد قد دخلوا المسجد. قال: إنّما هو لهم ولكم. قالوا: قد دخلوا القصر، وصعِد مسعود المنبر، وكانت خوارج قد خرجوا، فنزلوا نهر الأساورة حين خرج عُبيد الله إلى الشام، فزعم الناس أنّ الأحنف بعث إليهم أنّ هذا الرجل الذي قد دخل القصر هو لنا ولكم عدوٌّ، فما يمنعكم عنه! فجاءت عصابة منهم حتّى دخلوا المسجد، ومسعود على المنبر يبايع مَن أتاه، فرماه عِلْجٌ يقال له مسلم من أهل فارس، دخل البصرة فأسلم، (ثمّ دخل في الخوارج، فأصاب قلبه)[1] فقتله، فقال الناس: قتله الخوارج، فخرجت الأزد إلى تلك الخوارج، فقتلوا منهم وجرحوا، فطردوهم عن البصرة.

ثمّ قيل للأزد: إنّ تميماً قتلوا مسعوداً، فأرسلوا يسألون، فإذا ناس من تميم تقوله: فاجتمعت الأزد عند ذلك، فرأسّوا عليهم زياد بن عَمْرو أخا مسعود بن عَمْرو، ومعهم مالك بن مِسْمع في ربيعة، وجاءت تميم إلى الأحنف يقولون: قد خرج القوم، وهو يتمكّث لا يخفّ للفتنة، فجاءته امرأة بمِجْمَر فقالت: اجلسْ على هذا، أي إنّما أنت امرأة[2].

فخرج الأحنف في بني تميم، ومعهم مَنْ بالبصرة من قيس، فالتقوا، فقُتل بينهم قتلى كثيرة، فقال لهم بنو تميم: اللّهَ اللّهَ يا معشر الأزد في دمائنا ودمائكم! بيننا وبينكم القرآن ومَنْ شئتم من أهل الإسلام، فإنّ لكم علينا بيّنة، فاختاروا أفضل رجل فينا فاقتلوه، وإن لم تكن لكم بيّنة، فإنّا نحلف بالله ما قتلنا ولا أمرنا، ولا نعلم له قاتلاً، وإن لم تريدوا ذلك، فنحن نَدِي صاحبكم بمائة ألف درهم. وأتاهم الأحنف واعتذر إليهم ممّا قيل، وسفر بينهم عمر[3] بن عُبيد الله بن مَعْمر، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فطلبوا عشر دِيات، فأجابهم إلى ذلك واصطلحوا عليه[4].

وأمّا عبد الله بن الحارث بَبَّةُ، فإنّه أقام يصلّي بهم حتّى قدِم عليهم عمر بن عُبيد الله بن مَعْمر أميراً من قِبل ابن الزّبير[5]. وقيل: بل كتب ابن الزُّبير إلى عمر بعهده على البصرة، فأتاه الكتاب وهو متوجّه إلى العُمْرة، فكتب عمر إلى أخيه عُبيد الله يأمره أن يصلّي بالناس، فصلّى بهم حتّى قدِم عمر، فبقي عمر أميراً شهراً حتّى قدِم

---

(١) ما بين القوسين من (ب).

(٢) أنساب الأشراف ج ٤ ق ١/٤٠٨، الطبري ٥/٥٢٦.

(٣) في (ر): «عمرو».

(٤) الطبري ٥/٥٢٦.

(٥) الطبري ٥/٥٢٧.

الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزوميُّ بعزله، ووُلّيها الحارث، وهو القُباع[1].

وقيل: اعتزل عبد[2] الله بن الحارث بَبَّةُ أهل البصرة بعد قتْل مسعود، بسبب العصبيّة وانتشار الخوارج، فكتب أهل البصرة إلى ابن الزُّبير، فكتب ابن الزّبير إلى أنس بن مالك يأمره أن يصلّي بالناس، فصلّى بهم أربعين يوماً، وكان عبد الله بن الحارث يقول: ما أُحبّ أن أُصلح الناس بفساد نفسي، وكان يتديّن[3].

وفي أيّامه سار نافع بن الأزرق إلى الأهواز من البصرة[4].

وأمّا أهل الكوفة فإنّهم لما ردّوا رُسُل ابن زياد، على ما ذكرناه قبلُ، عزلوا خليفته عليهم، وهو عَمْرو بن حُرَيث، واجتمع الناس وقالوا: نؤمّر علينا رجلاً، إلى أن يجتمع الناس على خليفة، فاجتمعوا على عمر بن سعد، فجاءت نساء همدان يبكين الحسين، ورجالهم متقلّدو السيوف، فأطافوا بالمنبر، فقال محمّد بن الأشعث: جاء أمرٌ غير ما كنّا فيه. وكانت كِنْدة تقوم بأمر عمر بن سعد، لأنّهم أخواله، فاجتمعوا على عامر بن مسعود بن أُميّة بن خَلَف بن وهْب بن حُذافة الجُمحيّ، فخطب أهلَ الكوفة فقال: إنّ لكلّ قوم أشرِبة ولذّات، فاطلبوها في مظانّها، وعليكم بما يحلّ ويحمد، واكسروا[5] شرابكم بالماء، وتواروا عنّي بهذه الجدران؛ فقال ابن همّام:

اشرَبْ شرابك وانعمْ غير محسودِ ... واكسرْه[6] بالماء لا تعصِ ابن مسعود
إنّ الأميرَ له في الخمر مأربةٌ ... فاشرَبْ هنيئاً مريئاً غيرَ مرْصُودِ[7]
(مَنْ ذا يحرّمُ ماءَ المُزْنِ خالَطَهُ ... في قعرِ خابيةٍ ماءُ العناقيدِ
إنّي لأكرهُ تشديد الرُّواةِ لَنا ... فيها، ويعجبني قولُ ابن مَسعودِ[8]

ولما بايعه أهل الكوفة وكتبوا بذلك إلى ابن الزّبير أقرّه[9] عليها، وكان يلقّب

---

(١) الطبري ٥/٥٢٧.
(٢) في الأوربية: «عبيد».
(٣) الطبري ٥/٥٢٨، أنساب الأشراف ج ٤ ق ١/٤٠٧.
(٤) الطبري ٥/٥٢٨.
(٥) في الأوربية: «وأكثر».
(٦) في الأوربية: «وأكثره».
(٧) في نهاية الأرب ٢٠/٥١١ «تصريد».
(٨) ما بين القوسين من (ب): والأبيات في: نهاية الأرب ٢٠/٥١١، ٥١٢، وفيه قال النويري: «وكثير من الناس يظن أن ابن مسعود المذكور في هذا الشعر هو عبد الله بن أم عبد صاحب رسول الله ﷺ، وليس كذلك.
(٩) في الأوربية: «فأقرّه».

دُحْرُوجَة الجُعَل[1]، وكان قصيراً، فمكث ثلاثة أشهر من مهلك يزيد بن معاوية، ثمّ قدِم عليهم عبد الله بن يزيد الخَطْميُّ الأنصاريُّ على الصلاة، وإبراهيم بن محمّد بن طَلْحة على الخراج من عند ابن الزُّبير، واستعمل محمّد بن الأشعث بن قيس على الموصل، فاجتمع لابن الزّبير أهلُ الكوفة والبصرة، ومَنْ بالقِبلة من العرب وأهل الجزيرة وأهل الشام، إلّا أهل الأردنّ في إمارة عمر بن عُبيد الله بن مَعْمَر[2].

وكان طاعون الجارف بالبصرة، فماتت أمّه، فما وُجد لها مَنْ يحملها، حتّى استأجروا لها أربعة أعلاج، فحملوها.

ذكر خلاف أهل الرّيّ[3]

في هذه السنة بعد موت يزيد خالف أهلُ الريّ، وكان عليهم الفرُّخان الرّازيّ، فوجّه إليهم عامرُ بن مسعود، وهو أمير الكوفة، محمّدَ بن عُمَير بن عُطارد بن حاجب بن زُرارة بن عُدَس التّميميَّ، فلقِيه أهلِ الرّيّ، فانهزم محمّد، فبعث إليهم عامرٌ عتّابَ بن ورقاء الرياحيَّ التميميَّ، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقُتل الفرُّخان وانهزم المشركون، وكان هذا محمد بن عُمَير مع عليّ بصِفّين على تميم الكوفة، ثمّ عاش بعد ذلك، فلمّا ولِيَ الحجّاجُ الكوفةَ فارقها، وسار إلى الشام لكراهته[4] ولاية الحجّاج[5].

ذكر بيعة مروان بن الحكَم

في هذه السنة بويع مروان بن الحكَم بالشام.

وكان السبب فيها أنّ ابن الزّبير لما بويع له بالخلافة ولّى عبيدَة[6] بن الزبير المدينة، وعبدَ الرحمن بن جَحْدَم الفِهْريَّ مصر، وأخرج بني أميّة ومروان بن الحكَم إلى الشام، وعبد الملك بن مروان يومئذ ابن ثمانٍ وعشرين سنة، فلمّا قدِم الحُصَين بن نُمَير ومَنْ معه إلى الشام، أخبر مروان بما كان بينه وبين ابن الزُّبير، وقال له ولبني أميّة: نراكم في اختلاط، فأقيموا أميركم قبل أن يدخل عليكم شأمكم[7]، فتكون فتنة عمياء صمّاء. وكان

---

(١) وفيه يقول عبد الله بن همّام السلولي:

اشدُد يديك بزيدٍ إنْ ظفِرتَ به ... واشفِ الأرامِلَ من دُحروجَة الجُعَلِ

(الطبري ٥/٥٢٩).

(٢) الطبري ٥/٥٢٩، ٥٣٠، نهاية الأرب ٢٠/٥١٢.

(٣) العنوان من (ب).

(٤) في الأوربية: «لإكراهه».

(٥) أنظر الخبر باختصار في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) - ص ٣٨، ٣٩.

(٦) في الأوربية: «عبيد الله».

(٧) في الأوربية: «شانكم».

من رأي مروان أن يسير إلى ابن الزّبير، فيبايعه بالخلافة، فقدِم ابن زياد من العراق، وبلغه ما يريد مروان أن يفعل، فقال له: قد استحييتُ لك من ذلك، أنت كبير قريش وسيّدها تمضي إلى أبي خُبَيْب فتُبايعه، يعني ابن الزّبير، لأنّه كان يكنّى بابنه خُبَيْب! فقال: ما فات شيء بعدُ، فقام معه[1] بنو أميّة ومواليهم، وتجمّع إليه أهل اليمن، فسار إلى دمشق وهو يقول: ما فات شيء بعدُ، فقدِم دمشق والضّحّاك بن قيس قد بايعه أهلها على أن يصلّي بهم، ويقيم لهم أمرهم حتّى يجتمع الناس، وهو يدعو إلى ابن الزّبير سرّاً[2].

وكان زُفَر بن الحارث الكلابيُّ[3] بِقِنّسرين يبايع لابن الزّبير، والنُّعمان بن بشير بحمص يبايع له أيضاً، وكان حسّان بن مالك بن بَحْدل الكلبيُّ بفلسطين عاملاً لمعاوية، ولابنه يزيد، وهو يريد بني أميّة، فسار إلى الأردنّ، واستخلف على فلسطين رَوْح بن زِنْباع الجُذاميَّ، فثار ناتل بن قيس بِرَوح، فأخرجه من فلسطين، وبايع لابن الزّبير[4].

وكان حسّان في الأردنّ يدعو إلى بني أُميّة، فقال لأهل الأردنّ: ما شهادتكم على ابن الزُّبير وقَتْلى الحَرّة؟ قالوا: نشهد أنّه منافق، وأنّ قتلى الحَرّة في النار. قال: فما شهادتكم على يزيد وقتلاكم بالحَرّة؟ قالوا: نشهد أنّه على الحقّ، وأنّ قتلانا في الجنّة. قال: فأنا أشهد لئن كان يزيد وشِيعته على حقّ، إنّهم اليوم على حقّ، ولئن كان ابن الزُّبير وشيعته على باطل، إنّهم اليوم عليه. قالوا له: صدقتَ، نحن نبايعك على أن نقاتل مَنْ خالفك وأطاع ابن الزّبير، على أن تُجَنِّبنا هذين الغلامَين، يعنون ابنَيْ يزيد: عبدَ الله وخالداً، فإنّا نكره أن يأتينا الناس بشيخ، ونأتيهم بصبيّ[5].

وكتب حسّان إلى الضّحَاك كتاباً يعظّم فيه حقّ بني أميّة وحُسن بلائهم عنده، ويذمّ ابن الزّبير، وأنّه خلع خليفتَين، وأمره أن يقرأ كتابه على الناس، وكتب كتاباً آخر وسلّمه إلى الرسول، واسمه باغضة[6]، وقال له: إن قرأ كتابي على الناس، وإلاّ فاقرأ هذا الكتاب عليهم. وكتب حسّان إلى بني أميّة يأمرهم أن يحضروا ذلك، فقدِم باغضة[6]، فدفع كتاب الضّحّاك إليه وكتاب بني أميّة إليهم، فلمّا كانت الجمعة صعِد الضّحَاك المنبر، فقال له باغضة[6] ليقرأ كتاب حسّان على الناس. فقال له الضّحّاك: اجلسْ، فقام

(١) في الأوربية: «فأقام إليه».
(٢) الطبري ٥/٥٣٠.
(٣) في طبعة صادر ٤/١٤٥ «الكلائي».
(٤) الطبري ٥/٥٣١.
(٥) الطبري ٥/٥٣١، ٥٣٢.
(٦) الطبري ٥/٥٣٢ «ناغضة».

إليه الثانية والثالثة وهو يقول له: اجلسْ، فأخرج باغضة الكتاب، وقرأه على الناس، فقال الوليد بن عُتْبَة بن أبي سفيان: صدق حسّان وكذب ابن الزبير، وشتمه.

وقيل: كان الوليد قد مات بعد موت معاوية بن يزيد، وقام يزيد بن أبي الغمس[1] الغسّانيُّ، وسُفيان بن الأبرد الكلبيُّ، فصدّقا حسّاناً وشتما ابن الزُّبير، وقام عَمْرو بن يزيد الحكميُّ، فشتم حسّاناً وأثنى على ابن الزّبير، فأمر الضحّاكُ بالوليد ويزيد بن أبي الغمس[1] وسُفيان فحبُسوا، وجال الناس، ووثبت كلْب على عَمْرو بن يزيد الحكميّ، فضربوه ومزّقوا[2] ثيابه، وقام خالد بن يزيد فصعِد مرقاتَين من المنبر، وسكّن الناس، ونزل الضّحّاك فصلّى الجمعة، ودخل القصر. فجاءت كلب فأخرجوا سُفيان، وجاءت غسّان فأخرجوا يزيد، وجاء خالد بن يزيد وأخوه عبد الله، معهما أخوالهما من كلب، فأخرجوا الوليد بن عُتْبَة، وكان أهل الشام يسمّون ذلك اليوم يوم جَيرون الأوّل[3].

ثمّ خرج الضّحّاك إلى المسجد، فجلس فيه، وذكر يزيد بن معاوية فسبّه، فقام إليه شابٌ من كلب، فضربه بعصاً، فقام الناس بعضهم إلى بعض فاقتتلوا، قيس تدعو إلى ابن الزّبير ونُصرة الضّحّاك، وكلب تدعو إلى بني أُميّة، ثمّ إلى خالد بن يزيد لأنّه ابن أختهم.

ودخل الضّحّاك دار الإمارة، ولم يخرج من الغد إلى صلاة الفجر، وبعث إلى بني أُميّة، فاعتذر إليهم، وأنّه لا يريد ما يكرهون، وأمرهم أن يكتبوا إلى حسّان، ويكتب معهم ليسير من الأردنّ إلى الجابية، ويسيرون هم من دمشق فيجتمعون معه بالجابية، ويبايعون لرجل من بني أُميّة، فرضوا وكتبوا إلى حسّان، وسار الضّحّاك وبنو أُميّة نحو الجابية، فأتاه ثَور بن مَعن السُّلَميُّ فقال: دعوتَنا إلى ابن الزّبير فبايعناك على ذلك، وأنت تسير إلى هذا الأعرابيّ من كلب تستخلف ابن أخته خالد بن يزيد! قال الضّحّاك: فما الرأي؟ قال: الرأي أن تُظْهر ما كنّا نكتم، وتدعو إلى ابن الزُّبير.

فرجع الضّحّاك ومَن معه من الناس، فنزل بمرج راهط ودمشق بيده، واجتمع بنو أميّة وحسّان وغيرهم بالجابية، فكان حسّان يصلّي بهم أربعين يوماً، والناس يتشاورون، وكان مالك بن هُبَيرة السَّكونيُّ يهوى خالد بن يزيد، (والحُصَين بن نُمَير يميل إلى مروان، فقال مالك للحصين: هل نبايع هذا الغلام الذي نحن ولدنا أباه، وقد عرفت منزلتنا)[4]

(١) في (ب): «النمس».
(٢) في (ر) والطبري ٥/٥٣٣ «وخرّقوا».
(٣) الطبري ٥/٥٣٣.
(٤) ما بين القوسين من (ب).

من أبيه، فإنّه يحملنا على رقاب العرب غداً؟ يعني خالداً. فقال الحُصَين: لا والله لا تأتينا العرب بشيخ ونأتيها بصبيّ. فقال مالك: واللّهِ لئن استخلفت مروان ليحسدك على سوطك، وشِراك نَعْلك، وظلّ شجرةٍ تستظلّ بها، إنّ مروان أبو عشيرة وأخو عشيرة، فإنْ بايعتموه كنتم عبيداً لهم، ولكنْ عليكم بابن أختكم، فقال الحصين[1]: إنّي رأيتُ في المنام قنديلاً معلّقاً من السماء، وأنّ مَن يلي الخلافة يتناوله، فلم ينلْهُ أحد إلّا مروان، والله لنستخلفنّه.

وقام رَوْح بن زِنباع الجُذاميُّ فقال: أيّها الناس إنّكم تذكرون عبدَ الله بن عمر، وصُحْبته وقِدَمه في الإسلام، وهو كما تذكرون، ولكنّه ضعيف، وليس بصاحب أمّة محمد الضعيفُ، وتذكرون ابن الزُّبير، وهو كما تذكرون أنّه ابن حواريّ رسول الله ﷺ، وأنّه ابن ذات النطاقَين، ولكنّه منافق قد خلع خليفتَين: يزيدَ وابنَهُ معاويةَ، وسفك الدّماء، وشقّ عصا المسلمين، وليس المنافق بصاحب أمّة محمد، وأمّا مروان بن الحكَم فوالله ما كان في الإسلام صَدْعٌ إلّا كان ممّن يشعبه، وهو الذي قاتل عليّ بن أبي طالب يوم الجمل، وإنّا نرى للناس أن يبايعوا الكبير ويستشيروا[2] الصغير، يعني بالكبير مروان، وبالصغير خالد بن يزيد.

فاجتمع رأيهم على البيعة لمروان بن الحكَم، ثمّ لخالد بن يزيد، ثمّ لعَمرو بن سعيد بن العاص من بعد خالد، على أنّ إمرة دمشق لعَمرو، وإمرة حِمْص لخالد بن يزيد.

فدعا حسّان خالداً فقال: يا ابن أختي إنّ الناس قد أَبَوْك لحداثة سنّك، وإنّي والله ما أريد هذا الأمر إلّا لك ولأهل بيتك، وما أبايع مروان إلّا نظراً لكم. فقال خالد: بل عجزتَ عنّا. قال: والله ما عجزتُ عنكم، ولكنّ الرأي لك ما رأيت.

ثمّ بايعوا مروان لثلاثٍ خَلَوْن من ذي القعدة سنة أربعٍ وستّين؛ وقال مروان حين بويع له:

لـمّـا رأيـتُ الأمـرَ أمـراً نَـهْـبـا ... يَـسَّـرْتُ غَـسَّـانَ[3] لـهُـمْ وكـلْـبـا
والـسَّـكـسـكـيّـيـنَ رجـالاً غُـلْـبـا ... وطَـيّـئـاً تـأبـاهُ إلّا ضَـرْبـا[4]

---

(١) في الأصل: «فقال ابن الحصين».
(٢) في (ر) «ويستنبوا».
(٣) في الأوربية: «سرتُ عناة».
(٤) في الأوربية: «وطيّباً يأبا إلّا ضرْبا».

والقَين تمشي في الحديد نُكُبَا ... ومن تَنوخَ مُشمَخِرّاً[1] صَعبَا
لا يأخذونَ المُلكَ إلّا غَصْبَا ... فإنْ دنتْ قيسٌ فقلْ لا قُربَا[2]

(خُبَيْب: بضمّ الخاء المعجمة، وفتح الباء الموحّدة، وسكون الياء تحتها نقطتان، وآخره باء موحدة).

ذكر وقعة مرج راهط وقتْل الضّحّاك والنُّعمان بن بشير

ثمّ إنّ مروان لما بايعه الناس سار من الجابية إلى مرج راهط، وبه الضّحّاك بن قيس، ومعه ألف فارس، وكان قد استمدّ الضّحّاكُ النعمانَ بن بشير وهو على حِمْص، فأمدّه بشُرَحْبيل بن ذي الكَلاع، واستمدّ أيضاً زُفَر بن الحارث وهو على قِنّسرين، فأمدّه بأهل قِنّسرين، وأمدّه ناتل بأهل فلسطين، فاجتمعوا عنده، واجتمع على مروان كلب وغسّان والسَّكاسك والسَّكون، وجعل على ميمنته عَمرو بن سعيد، وعلى ميسرته عُبيد الله بن زياد، وكان يزيد بن أبي الغمس[3] الغسّاني مختفياً بدمشق لم يشهد الجابية، فغلب على دمشق، وأخرج عامل الضّحّاك بن قيس، وغلب على الخزائن وبيت المال، وبايع لمروان وأمدّه بالأموال والرجال والسلاح، فكان أوّل فتْحٍ على بني أميّة.

وتحارب مروان والضّحّاك بمرج راهط عشرين ليلة، واقتتلوا قتالاً شديداً، فقُتل الضّحّاك، قتله دِحْية بن عبد الله، وقُتل معه ثمانون رجلاً من أشراف أهل الشام، وقُتل أهل الشام مقتلةً عظيمة، وقُتلت قيس مقتلة لم يُقتل مثلها في موطن قطّ، وكان فيمَنْ قُتل هانىء بن قَبيصة النُّميريُّ سيّد قومه، كان مع الضّحّاك، قتله وازع بن ذؤالة الكلبيُّ، (فلمّا سقط جريحاً قال:

تَعِستَ ابن ذات النَّوْف أجهِزْ على فتًى[4] ... يرَى الموْتَ خَيراً مِن فرارٍ وألْزَمَا
ولا تترُكَنّي بالحُشاشةِ إنّني ... صَبورٌ إذا [ما] النِّكس مثلكَ أحجَمَا

فعاد إليه وازع فقتله)[5].

---

(١) في الأوربية: «مشمخرّ».
(٢) الأبيات من (ب)، وهي عند الطبري ٥/٥٣٨، وفي مروج الذهب ٣/٩٦ باختلاف واضح.
(٣) في (ب): «النمس».
(٤) في الأوربية: «فيء».
(٥) ما بين القوسين من (ب)، والبيتان في: أنساب الأشراف ٥/١٣٧ هكذا:
ألا يا ابن ذات النوف أجهز على امرىءٍ ... يرى الموت خيراً من فرارٍ وأكرما
ولا تتركنّي بالحُشاشة أنّني ... أكُرُّ إذا ما الناس مثلُك أحجما

وكانت الوقعة في المحرّم سنة خمس وستّين، وقيل: بل كانت في آخر سنة أربعٍ وستّين[1].

ولما رأى مروان رأس الضحّاك ساءه ذلك وقال: الآن حين كَبِرتْ سنّي، ودقّ عظمي، وصرتُ في مثل ظِمْء[2] الحمار، أقبلتُ بالكتائب أضرب بعضها ببعض![3]

ولما انهزم الناس من المرج لحِقوا بأجنادهم، فانتهى أهلُ حِمْص إليها وعليها النُّعمان بن بَشير، فلمّا بلغه الخبر خرج هارباً ليلاً ومعه امرأته نائلة بنت عُمارة الكلبيّة وثَقَله وأولاده، فتحيّر ليلته كلّها، وأصبح أهل حمص فطلبوه، وكان الذي طلبه عَمرو بن الجليّ[4] الكَلاعيُّ، فقتله، وردّ أهله والرأس معه، وجاءت كلب من أهل حمص، فأخذوا نائلة وولدها معها.

ولما بلغت الهزيمةُ زُفَرَ بن الحارث الكلابيَّ بقِنّسرين، هرب منها فلحِق بقَرْقِيسيا، وعليها عِياض الحَرَشيُّ[5]، وكان يزيد ولّاه إيّاها، فطلب منه أن يدخل الحمّام، ويحلف له بالطّلاق والعتاق، على أنّه حينما[6] يخرج من الحمّام لا يقيم بها، فأذِن له، فدخلها فغلب عليها وتحصّن بها، ولم يدخل حمّامها، فاجتمعت إليه قيس.

وهرب ناتل بن قيس الجُذاميُّ عن فلسطين، فلحِق بابنَ الزُّبير بمكّة، واستعمل مروانُ بعده على فلسطين رَوْح بن زِنْباع، واستوثَق[7] الشام لمروان، واستعمل عمّاله عليها[8].

وقيل: إنّ عبيد الله بن زياد إنّما جاء إلى بني أُميّة وهم بتَدْمُر، ومروان يريد أن يسير إلى ابن الزّبير ليبايعه، ويأخذ منه الأمان لبني أميّة، فردّه عن ذلك، وأمره أن يسير بأهل تدمر إلى الضّحّاك فيقاتله، ووافقه عَمْرو بن سعيد، وأشار على مروان بأن يتزوّج أمّ خالد بن يزيد، ليسقط من أعيُن الناس، فتزوّجها، وهي فاختة ابنة أبي هاشم بن عُتْبة، ثمّ جمع بني أُميّة فبايعوه، وبايعه أهل تدمر، وسار إلى الضّحّاك في جمْعٍ عظيم، فخرج الضّحّاك إليه فتقاتلا، فانهزم الضّحّاك ومَنْ معه، وقُتل الضّحّاك[9].

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/٤١١.

(٢) في الأوربيـة: «طمّ». (أي لم يبقَ من عمره إلّا اليسير، يقال إنّه ليس شيء من الدوابّ أقصر ظمأً من الحمار).

(٣) الطبري ٥/٥٣٥ ـ ٥٣٨.

(٤) في (ر): «الجبل»، وفي تاريخ الطبري ٥/٥٣٩ «الخليّ».

(٥) الطبري «الجُرَشي»، والمثبت يتفق مع تاريخ اليعقوبي ٢/٢٥٦.

(٦) في الأوربية: «لما».

(٧) في (ر): «واستوسق»، ومعناها: اجتمع.

(٨) الطبري ٥/٥٣٩، ٥٤٠، وانظر تاريخ اليعقوبي ٢/٢٥٦، ٢٥٧.

(٩) الطبري ٥/٥٤٠، ٥٤١.

وسار زُفر بن الحارث إلى قَرقيسيا، واجتمعت عليه قيس، وصَحِبه في هزيمته إلى قرقيسيا شابّان من بني سُلَيم، فجاءت خيل مروان تطلبهم، فقال الشابّان لزُفر: انجُ بنفسك، فإنّا نحن نُقْتَل، فمضى زُفَر وتركهما فقُتلا؛ (وقال زُفَر في ذلك:

أرينـي سـلاحـي لا أبـا لـكِ إنّنـي — أرى[1] الحـرْبَ لا تـزدادُ إلّا تمـادِيَـا
أتـانـيَ عـن مـروانَ بـالـغيـبِ أنّـهُ — مُـقيـدٌ دمـي أوْ قـاطـعٌ مِـن لِسـانِيَـا
ففي العِيس[2] منجـاةٌ وفي الأرض مهرَبٌ — إذا نـحـنُ رَفَّعنـا لـهـنّ الـمَثـانِيَـا[3]
فـلا تـحسِبـوني إنْ تَـغَيّبتُ غـافِـلاً — ولا تَفـرَحـوا إنْ جئتُكم بـلِقـائِيَـا
فقـد ينبتُ المـرعى عـلى دِمَن الثّـرَى — لـه وَرَقٌ مـن تحتِـهِ الشّـرُّ بـادِيَـا
ونَـمضي ولا يـبقى عـلى الأرض دمنـةٌ — وتبقى حـزازاتُ النّفـوس كمـا هِـيَـا[4]
لَـعَمْـري لـقـد أبـقـتْ وقـيعـةُ راهِطٍ — لـحسّـانَ صَـدْعـاً بَيّنـاً مُتَنـائِيَـا[5]
فـلم تُـرَ منّـي نَـبـوَةٌ[6] قـبـلَ هـذهِ — فِـراري وتَـرْكـي صـاحبَـيّ ورائِـيَـا
عَشيّـةَ أدعـو فـي القـرانِ[7] فـلا أرى — مـنَ النّـاسِ إلّا مَـن عَـليّ وَلا لـيَـا
أيَـذهَـبُ يـوْمٌ واحـدٌ إنْ أسـأتُـهُ — بـصـالـحِ أيّـامي وحُسـنِ بَـلائِـيَـا
فـلا صُلْحَ حتى تَنْحِطَ[8] الخيلُ بـالقَنـا — وتثـأرَ مـن نسـوان كلْبٍ نِسـائِيَـا
ألا لَيتَ شِعْـري هـل تُصِيبَنّ غـارَتي — تَنُـوخـاً وَحَيَّيْ طيّءٍ مـن شِفـائِيَـا[9]

---

(١) في الأوربية: «إذا».
(٢) في الأوربية: «العيش».
(٣) في الأوربية: «المبانيا».
(٤) في تاريخ الطبري:
فـقـد ينبـت المـرعى على دِمَن الثـرى — وتـبقى حـزازات النـفـوس كمـا هِيـا
أتـذهـب كـلبٌ لـم تـنـلْها رِمـاحـنـا — وتـتـرك قـتـلى راهط هـي مـاهـيـا
(٥) في الأوربية: «مُتَبائِنا»، وفي الطبري بيت بعده:
أَبَـعْـد ابـن عمـرٍو وابـن معنٍ تـتـابعـا — ومـقـتـل هـمّـامٍ أُمَـنّـي الأمـانـيـا
(٦) في العقد الفريد: «زلّة».
(٧) الطبري: «عشيّة أعدو بالقِران»، وفي الحماسة بشرح التبريزي «عشية أجري بالصعيد ولا أرى».
(٨) في الأوربية: «شحط».
(٩) في الأوربية:
ألا لـيـت شعـري هـل تـفـتـنـين غـارتي — مـنـوحـاً وأحـبـي طـيّء مـن سقـائـيـا
والأبيات في: تاريخ الطبري ٥/٥٤١، ٥٤٢، وفي تهذيب تاريخ دمشق ٥/٣٨٠ تسعة أبيات، وثلاثة أبيات في الجزء السابع ـ ص ٤١٥، وأربعة أبيات في الأغاني ١٩/١٩٦، ١٩٧، وثمانية أبيات في مروج الذهب ٣/٩٦، وسبعة في التنبيه والإشراف ٢٦٨، وهي في: «ديوان الحماسة» بشرح التبريزي ١/١٥٣. وتاريخ خليفة ٢٦٠، والعقد الفريد ٤/٣٩٧، وثلاثة أبيات في: تاريخ دمشق ٤٧٥، وكلها في =

فأجابه جَوّاس بن القَعْطَل[1]:

لَعَمْري لقد أبقَتْ وقيعةُ راهِطٍ ... على زُفَرٍ مُرّاً مِنَ الدّاءِ باقِيَا[2]
مقيماً ثَوَى بينَ الضّلوعِ مَحَلّهُ ... وبينَ الحشا أعيا الطّبيبَ المداوِيَا
تُبَكّي على قَتْلَى سُلَيْمٍ وعامِرٍ ... وذُبْيانَ مَعذوراً[3] وتُبْكي البَواكِيَا
دعا بالسّلاحِ[4] ثمّ أحجَمَ إذْ رَأى ... سيوفَ جنابٍ والطُّوالَ المذاكِيَا
علَيها كأُسْدِ الغابِ فِتيانُ نَجْدَةٍ ... إذا شرَعوا نحوَ الطِّعانِ[5] العوالِيَا[6]

وقال عَمْرو بن الجليّ الكلبيُّ:

بكى زُفَرُ القَيْسيُّ[7] من هُلْكِ قومِهِ ... بعَبرَةِ عَينٍ ما يَجِفّ سُجُومُها
يُبكّي[8] على قَتْلَى أُصيبَتْ براهِطٍ ... تجاوِبُهُ هامُ القِفارِ وبُومُهَا
أبَحْنا[9] حِمًى للحَيِّ قيسٍ براهِطٍ ... وولّتْ شِلالاً واستُبيحَ حَريمُهَا
يُبكّيهمُ حرّانَ تجري دُمُوعُهُ ... يُرجّيْ[10] نِزاراً أن تؤوبَ حُلومُهَا
فمُتْ كَمَداً أوْ عِشْ ذَليلاً مهضّماً ... بحسرَةِ نَفسٍ لا تَنامُ هُمومُهَا

في أبيات[11].

(يزيد بن أبي الغمس[12]: بالسّين المهملة، وقيل بالشين المعجمة، وكان قد ارتدّ

= نهاية الأرب ٢١/٩٢، ٩٣ وسبعة أبيات في أنساب الأشراف ٥/١٤١، ١٤٢.
(١) في الأغاني: ابن المِخْلاة الكلبي.
(٢) في: تاريخ الطبري، والتنبيه والإشراف، والأغاني:
على زُفَر داءً من الداء بساقيا
(٣) في الأغاني «مغروراً».
(٤) الطبري: دعا بسلاح، وكذا في: التنبيه والإشراف.
(٥) في الأوربية: «الطوال».
(٦) في التنبيه والإشراف: «إذا ما انتضوا عند النزال العواليا»، والأبيات عند الطبري ٥/٥٤٢، ٥٤٣، وكلها ما عدا الثالث في: التنبيه والإشراف ٢٦٨، والبيتان الأول والثالث في الأغاني ١٩/١٩٧، وكلها في نهاية الأرب ٢١/٩٣، وفي أنساب الأشراف ٥/١٤٢ دون الثاني.
(٧) في الأوربية: «لقيس».
(٨) في الأوربية: «نُبكّي».
(٩) في الأوربية: «أيحيي».
(١٠) في الأوربية: تُبكّيهم حرّان تجري دموعها ... تُرَجّى
(١١) الطبري ٥/٥٤٢، ٥٤٣ وفيه بيتان آخران.
(١٢) في (ب): «النمس».

عن الإسلام ودخل الرومَ مع جَبَلة بن الأيْهم، ثمّ عاود الإسلام، وشهد صِفّين مع معاوية، وعاش إلى أيّام عبد الملك بن مروان وناتل: بالنّون، والتّاء المعجمة من فوق باثنتين).

ذكر فتح مروان مصر

فلمّا قُتل الضّحّاك وأصحابه، واستقرّ الشام لمروان سار إلى مصر، فقدِمَها وعليها عبد الرحمن بن جَحْدم القُرَشيّ يدعو إلى ابن الزُّبير، فخرج إلى مروان فيمَن معه، وبعث مروان عَمْرو بن سعيد من ورائه حتّى دخل مصر، فقيل لابن جَحْدَم ذلك، فرجع وبايع الناس مروان ورجع إلى دمشق. فلمّا دنا منها بلغه أنّ ابن الزّبير قد بعث إليه أخاه مُصْعَباً في جيش، فأرسل إليه مروان عَمْرو بن سعيد قبل أن يدخل الشام، فقاتله، فانهزم مُصْعَب وأصحابه، وكان مُصْعَب شجاعاً. ثمّ عاد مروان إلى دمشق واستقرّ بها[1].

وقد كان الحُصَين بن نُمَير، ومالك بن هُبَيرة قد اشترطا على مروان شروطاً لهما ولخالد بن يزيد، فلمّا توطّن مُلْكه قال ذات يوم ومالك عنده: إنّ قوماً يدّعون شروطاً، منهم عطّارة مكحلة، يعني مالكاً، وكان يتطيّب ويتكحّل[2]، فقال مالك: هذا ولمّا تَرِدِي تِهامة ويبلغ الحِزامُ الطُّبْيَين. فقال مروان: مهلاً يا أبا سليمان، إنّما داعبناك! فقال: هو ذاك[3].

ذكر بيعة أهل خُراسان سَلْم[4] بن زياد وأمر عبد الله بن خازم

ولما بلغ سَلْمَ بن زياد، وهو بخُراسان، موتُ يزيد كتم ذلك؛ (فقال ابن عَرادة:

يا أيّها الملكُ المغلِّقُ بابَهُ ... حَدَثَتْ أُمورٌ شأنُهُنّ عَظيمُ
قَتْلَى بحَرّةَ[5] والذينَ بكابُلٍ ... ويزيدُ أُعْلِنَ شأنُهُ[6] المَكتومُ
أَبَني أُمَيّةَ إنّ آخرَ مَلْكِكُمْ ... جَسَدٌ بحُوّارِينَ ثَمّ مُقيمُ
طَرَقَتْ مَنِيّتُهُ وعندَ وِسادِهِ ... كُوبٌ وزِقٌّ راعِفٌ مرثومُ[7]

---

(١) نهاية الأرب ٢١/٩٤.
(٢) في الطبري: «ويكتحل».
(٣) الطبري ٥/٥٤٤.
(٤) العنوان حتى هنا من نسخة (شفر) ورقة ٩٥.
(٥) الطبري: «بجُنْزَة».
(٦) في الأوربية: «أغلق بابه».
(٧) في الأوربية: «مرقوم».

ومُـرِنَّـةٌ[1] تَـبكـي على نَشـوانِـهِ بـالصّبـح تقعـدُ مـرّةً[2] وتَـقومُ[3]

فلمّا أظهر شِعره أظهر سلْمٌ مـوتَ يزيـد بن معاويـة وابنه معـاوية بن يـزيد[4]، ودعـا الناس إلى البيعة على الرضى حتى يستقيم أمر الناسِ على خليفة، فبايعوه ثمّ نكثوا به بعد شهـرين، وكان مُحسِناً إليهم محبوبـاً فيهم، فلمّا خُلع عنهم استخلف عليهم المهلّب بن أبي صُفْرة، ولما كان بسَرْخَس لقِيه سليمان بن مَرْثَد، أحـد بني قيس بن ثعلبة بن ربيعـة، فقال له: ضاقتْ عليك نـزار حتّى خلّفتَ على خُراسـان رجلاً من اليمن؟ يعني المهلّب، وكـان أزْدياً والأزْد من اليمن، فـولّاه مَرْوَ الـرُّوذ والفاريـاب والطّالَقـان والجُوزَجـان، وولّى أوْس بن ثعلبة بن زُفَر، وهو صاحب قصر أوس بالبصـرة، هَراة، فلمّـا وصلَ إلى نَيْسـابور لقِيه عبد الله بنِ خازم فقال: مَنْ ولّيتَ خراسان؟ فأخبره، فقال: أما وجـدتَ في المصر[5] من تستعمله حتّى فـرّقتَ خُراســان بين بكـر بن وائـل واليمن[6]؟ اكتبْ لي عهـداً على خُراسان. فكتب له وأعطاه مائة ألف درهم.

وسـار ابن خازم إلى مَـرْو، وبلغ خبـرُه المهلّبَ، فـأقبـل واستخلف رجـلاً من بني جُشَم بن سعد بن زيد مَناة بن تميم، فلمّا وصلها ابن خازم منعه الجُشَميُّ، وجرتْ بينهمـا مناوشة، فأصابت الجُشَميَّ رميةٌ بحجر في جبهته، وتحاجـزوا، ودخلها ابن خـازم، ومات الجُشَميُّ بعد ذلك بيومَين[7].

ثمّ سار ابن خازم إلى سليمان بن مَرْثَد بمَرْو الرُّوذ، فقاتلـه أيّامـاً فقُتل سليمـان، ثمّ سار إلى عَمْرو بن مَـرْثد وهـو بالـطّالَقان، فـاقتتلوا طويـلاً، فقُتل عَمْـرو بن مَرْثـد، وانهزم أصحابه، فلحِقوا بهَرَاة بأوْس بن ثعلبة، ورجع ابن خازم إلى مَـرْو، وهرب مَنْ كـان بمَرْو الـرُّوذ من بكر بن وائـل إلى هَراة، وانضمّ إليهـا مَنْ كان بكُـوَر خُراسـان من بكـر، وكثُـر جَمْعُهم، وقـالوا لأوْس بن ثعلبـة: نبايعـك على أن تسير إلى ابن خـازم وتُخْرج مُضَـر من خُراسان، فأبَى عليهم، فقال له بنو صُهَيب، وهم موالي بني جَحْدم: لا نـرضى أن نكون نحن ومُضَر في بلدٍ واحد، وقد قتلوا سليمان وعَمراً ابنَيْ مَرْثـد، فإمّـا أن تبايْعنـا على هذا وإلّا بـايعنا غيـرك. فأجـابهم، فبايعـوه، فسار إليهم ابن خـازم، فنزل على وادٍ بينـه وبين

---

(١) في الأوربية: «ومرمّة».
(٢) الطبري: «بالصُّنْج تقعد تارةً».
(٣) الطبري ٥/٥٤٥، نهاية الأرب: ٥١٢/٢، ٥١٣.
(٤) العبارة في (ب): «وبعد مدة أظهر موت يزيد وابنه معاوية».
(٥) الطبري ٥/٥٤٦ «في مُضر».
(٦) الطبري: «ومَزُون عمان».
(٧) الطبري ٥/٥٤٦، نهاية الأرب ٥١٣/٢٠.

هَراة، فأشار البكريّون بالخروج من هَراة وعَمَل خندق، فقال أوْس: بل نلزم المدينة، فإنّها حصينة، ونطاول ابن خازم ليضْجَر ويُعطينا ما نريد. فأَبَوا عليه، فخرجوا وخندقوا خندقاً، وقاتلهم ابن خازم نحو سنة[1]، وقال له هلال الضَّبّيُّ: إنّما تقاتل إخوتك وبني أبيك، فإنْ نلتَ منهم الّذي تريد فما في العيش خير، فلو أعطيتَهم شيئاً يرضون به وأصلحتَ هذا الأمر. قال: والله لو خرجنا لهم من خُراسان ما رضوا. قال هلال: والله لا أقاتل معك أنا ولا رجل، أو تُطيعني حتّى تعتذر إليهم. قال: فأنت رسولي إليهم فأرضِهم.

فأتى هلالٌ أوسَ بن ثعلبة، فناشده اللّهَ والقرابةَ في نزار، وأن يحفظ ولاءها[2]. فقال: هل لقيتَ بني صُهَيْب؟ قال: لا. قال: فالقَهم. قال: فخرج فلقي جماعة من رؤساء أصحابه، فأخبرهم ما أتَى له. فقالوا له: هل لقيت بني صُهيب؟ فقال: لقد عظُم أمر بني صُهَيب عندكم، فأتاهم فكلّمهم، فقالوا: لولا أنّك رسول لقتلناك. قال: فهل يرضيكم شيء؟ قالوا: واحدة من اثنتَين: إمّا أن تخرجوا من خُراسان، وإمّا أن تقيموا وتخرجوا لنا عن كلّ سلاحٍ وكُراعٍ وذهب وفضّة.

فرجع إلى ابن خازم، فقال: ما عندك؟ فأخبره. فقال: إنّ ربيعة لم تزل غِضاباً على ربّها منذ بعث نبيّه من مُضر[3]. وأقام ابن خازم يقاتلهم، فقال يوماً لأصحابه: قد طال مُقامنا، وناداهم: يا معشر ربيعة أرَضِيتم من خراسان بخندقكم! فأحفظهم ذلك، فتنادوا للقتال، فنهاهم أوْس بن ثعلبة عن الخروج بجماعتهم، وأن يقاتلوا كما كانوا يقاتلون، فعَصَوْه. فقال ابن خازم لأصحابه: اجعلوه يومكم، فيكون الملك لمَن غلب، وإذا لقيتم الخيل فاطعنوها في مناخرها. فاقتتلوا ساعة، وانهزمت بكر بن وائل حتّى انتهوا إلى خندقهم، وتفرّقوا يميناً وشمالاً، وسقط الناس في الخندق، وقُتلوا قتلاً ذريعاً، وهرب أوْس بن ثعلبة إلى سِجِسْتان، فمات بها أو قريباً منها، وقُتلِ من بكر يومئذٍ ثمانية آلاف، وغلب ابن خازم على هَراة، واستعمل عليها ابنَه محمّداً، وضمّ إليه شمّاس بن دِثار العُطارديَّ، وجعل بُكَير بن وَسّاج الثّقفيَّ على شُرطته، ورجع ابن خازم إلى مَرْو.

وأغارت التُّرْك على قصر اسغاد، وابن خازم على هَراة، وكان فيه ناس من الأزد، فحصروهم، فأرسلوا إلى ابن خازم، فوجّه إليهم زُهَيرَ بن حَيّان في بني تميم، وقال له: إيّاك ومناوأة التُّرْك، إذا رأيتموهم فاحملوا عليهم. فوافاهم في يومٍ بارد، فلمّا التقوا حمل

(١) الطبري ٥/٥٤٦ ـ ٥٤٨.
(٢) في (ر): «دماءها».
(٣) الطبري ٥/٥٤٨، نهاية الأرب ٢٠/٥١٤، ٥١٥.

عليهم، فانهزمت التُّركُ، واتّبعوهم حتّى مضى عامّة اللّيل، فرجع زهير وقد يبست يده على رُمحه من البرد، فجعلوا يسخنون الشَّحْم، فيضعه على يده ودهنوه، وأوقدوا له ناراً، فانتفخت يده، ثمّ رجع إلى هَراة؛ (فقال في ذلك ثابت قُطْنَة[1]:

فَدَتْ نَفسي فوارِسَ من تَميمٍ ... على ما كان من ضَنْكِ المُقامِ
بقَصرِ الباهليّ وقَد أراني ... أُحامي حينَ قَلّ بهِ المُحامي
بسَيفي بَعدَ كسرِ الرُّمْح فيهمْ ... أذودُهُمُ بذي شُطَبٍ حُسامِ
أكُرُّ عليهمُ اليَحمومَ كَرّاً ... ككَرّ الشَّرْبِ آنيَةَ المُدامِ
فلَوْلا اللَّهُ ليسَ لهُ شَريكٌ ... وضَرْبي قَوْنَسَ[2] المَلكِ الهُمَامِ
إذاً فاظتْ[3] نِساءُ بَني دِثَارٍ ... أمامَ التُّرْكِ باديةَ الخِدامِ[4])[5]

ذكر أمر التوّابين

قيل: لما قُتل الحسين ورجع ابن زياد من معسكره بالنُّخَيْلَة ودخل الكوفة تلاقت[6] الشيعة بالتّلاوم والتندُّم[7]، ورأت أن قد أخطأت خطأً كبيراً بدعائهم الحسين، وتركهم نُصْرته وإجابته، حتّى قُتل إلى جانبهم، ورأوا أنّه لا يغسل عارهم والإثم عليهم إلاّ قتْل مَنْ قتله أو القتل فيهم، فاجتمعوا بالكوفة إلى خمسة نفرٍ من رؤساء الشيعة: إلى سليمان بن صُرَد الخُزاعيّ، وكانت له صُحبة، وإلى المُسيّب بن نَجَبة الفزاريّ، وكان من أصحاب عليّ، وإلى عبد الله بن سعد بن نُفَيْل[8] الأزديّ، وإلى عبد الله بن والٍ التَّيميّ، تيم بكر بن وائل، وإلى رِفاعة بن شدّاد البَجَليّ، وكانوا من خيار أصحاب عليّ، فاجتمعوا في منزل سليمان بن صُرَد الخزاعيّ، فبدأهم المسيّب بن نَجَبة فقال بعد حمد الله:

أمّا بعدُ فإنّا ابتُلينا بطول العُمر، والتعرُّض لأنواع الفِتَن، فنرغب إلى ربّنا أن لا يجعلنا ممّنْ يقول له غداً: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾[1]، فإنّ أمير المؤمنين

(١) في الأوربية: «ثابت بن قطبة».
(٢) في نسخة (آ): «قيرنس».
(٣) في الأوربية: «فاضت».
(٤) في الأوربية: «الخدام».
(٥) ما بين القوسين من (ب)، والأبيات عند الطبري ٥/٥٤٩، ٥٥٠.
(٦) في الأوربية: «تلاقته».
(٧) في الأوربية: «والمنادمة»، وفي مروج الذهب ٣/١٠٠ «والتنادم»؛ وفي الفتوح لابن أعثم ٦/٤٧ «الندم».
(٨) في (ب): نوفل.
(٩) سورة فاطر، الآية ٣٧.

علياً قال: العُمر الذي أعذر اللّـهُ فيه إلى ابن آدم ستّـون سنة، وليس فينـا رجل إلاّ وقـد بلغه، وقد كنّا مُغْرَمين[1] بتزكية أنفسِنا، فوجَدَنا اللّهُ كـاذبين في كلّ مـوطنٍ من مواطن ابن بنت نبيّه[2] ﷺ، وقد بلغنا[3] قبل ذلك كُتُبه ورُسُله، وأعذر إلينا، فسألنا[4] نصره عَوْداً وبدءاً وعلانيةً[5]، فبخِلْنا عنه بأنفسنا، حتّى قُتل إلى جانبنا، لا نحن نصرناه بأيدينا، ولا جادلْنا[6] عنه بألسنتنا، ولا قوّيناه بأموالنا، ولا طلبنا له النُّصْرة إلى عشائرنا، فمـا عُذرنـا عند ربّنـا، وعند لقاء نبيّنا، وقد قُتـل فينا ولـد حبيبه[7]، وذُرّيّتـه ونسله؟ لا واللّهِ لا عُذْر دون أن تقتلوا قاتله والمُوالين عليه، أو تُقْتَلوا في طلب ذلك، فعسى ربّنا أن يرضى عنّا عند ذلـك، (ولا أنا[8] بعد لقائه لعقوبته بـآمن)[9]. أيّها القـوم ولّوا عليكم رجـلاً منكم، فإنّـه لا بدّ لكم من أميرٍ تفزعون إليه، وراية تحفّون بها[10].

وقام رِفاعـة بن شدّاد وقـال: أمّا بعـدُ، فإنّ الله قـد هداك لأصـوب القول، وبـدأتَ بأرشد الأمور[11] بدُعائك إلى جهاد الفاسقين، وإلى التّـوبة من الـذّنْب العظيم، فمسمـوعٌ منك، مستجابٌ إلى قولك[12]، وقلتَ: ولّوا أمركم رجـلاً تفزعـون إليه، وتحفّـون برايتـه، وقد رأينا مثل الذي رأيتَ، فإن تكن أنتَ ذلك الرجل تكن عندنا مـرضيّاً، وفينـا منتصحاً، وفي جماعتنا محبوباً[13]، وإن رأيتَ ورأى[14] أصحابنا ذلـك، ولّينا هـذا الأمر شيـخَ الشّيعة وصـاحبَ رسول الله ﷺ، وذا السّـابقة والقَـدَم سليمان بن صُـرَد الخزاعيَّ، المحمـود في بأسه ودينه، الموثوق[15] بحزمه[16].

---

(١) في الأوربية: «معزمين».
(٢) الطبري ٥/٥٥٢ «ابن ابنة نبيّنا».
(٣) الطبري «بلغتنا».
(٤) الطبري: «يسألنا».
(٥) زاد الطبري: «وسرّاً».
(٦) في (ر): «خذلنا».
(٧) الطبري: «ولده وحبيبه».
(٨) في (آ): «ولما أتى»، و (ر): «ولا أنار».
(٩) ما بين القوسين من (ب).
(١٠) الطبري ٥/٥٥٢، ٥٥٣.
(١١) الطبري: «ودعوت إلى أرشد الأمور».
(١٢) الطبري: «مستجاب لك، مقبول قولك».
(١٣) الطبري: «محبّاً».
(١٤) الطبري: «وإن رأيت رأى».
(١٥) في (ر): «الموقوف».
(١٦) الطبري ٥/٥٥٣.

وتكلّم عبد الله بن سعد بنحو ذلك، وأثنيا على المسيّب وسليمان. فقال المسيّب: قد أصبتم، فولّوا أمرَكم سليمان بن صُرَد.

فتكلّم سليمان، فقال بعد حمد الله: أمّا بعدُ، فإنّي لخائف ألّا يكون آخرنا إلى هذا الدّهر الذي نكدتْ فيه المعيشة، وعظُمت فيه الرّزيّة، وشَمِل فيه الجورُ أولي الفضل من هذه الشيعة لما هو خير، إنّا كنّا نمدّ أعناقنا إلى قدوم آل بيت نبيّنا ﷺ، نُمنّيهم النصر، ونحثّهم على القدوم، فلمّا قدِموا ونينا[1] وعجزنا، وأدهنّا[2]، وتربّصنا حتّى[3] قُتل فينا وَلدُ نبيّنا وسُلالته وعُصارته[4] وبَضْعةٌ من لحمه ودمه، إذ جعل يستصرخ[5]، ويسأل النَّصَف فلا يُعْطى[6]، اتّخذه الفاسقون غرضاً[7] للنَّبل، ودريئة[8] للرماح حتى أقصدوه، وعَدَوْا عليه (فسلبوه. ألا)[9] انهضوا، فقد سخِط عليكم ربّكم، ولا ترجعوا إلى الحلائل والأبناء حتّى يرضى الله، واللّهِ ما أظنّه راضياً دون أن تناجِزوا مَنْ قتله[10]، ألا لا تهابوا[11] الموت، فما هابه أحدٌ قطّ[12] إلّا ذلّ، وكونوا كبني إسرائيل[13]، إذ قال لهم نبيّهم: ﴿**إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ**﴾ ﴿**فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ**﴾[14] ففعلوا، وجَثَوْا على الرُّكب، ومدّوا الأعناق[15] حين علموا أنّهم لا يُنْجيهم من عظيم الذّنب إلّا القتل[16]، فكيف بكم لو دُعيتم إلى ما دُعوا[17] أحدّوا[18] السيوف، وركّبوا الأسنّة ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ**

---

(١) في (ب): «أو بنيا»، وفي الأوربية «وثبنا».
(٢) في الأوربية: «وأذهلنا».
(٣) الطبري: «وانتظرنا ما يكون حتى».
(٤) في (ب): «عصابته».
(٥) الطبري: «يستصرخ فلا يُصرخ».
(٦) الطبري: «يعطاه».
(٧) في الأوربية: «عرضاً».
(٨) الطبري: «ودريّة».
(٩) في الأوربية: «فسابّوه النَّصَف إلى أن».
(١٠) زاد الطبري: «أوتبيروا».
(١١) في الأوربية: «تهابون».
(١٢) الطبري: «فوالله ما هابه امرو قط».
(١٣) الطبري: «وكونوا كالأولى من بني إسرائيل».
(١٤) سورة البقرة ٢، الآية ٥٤.
(١٥) زاد الطبري: «ورضوا بالقضاء حتى».
(١٦) الطبري: «إلا الصبر على القتل».
(١٧) الطبري: «لو دُعيتم إلى مثل ما دُعي القوم إليه».
(١٨) الطبري: «اشحذوا».

﴿قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الخَيْلِ﴾[1] حتّى تُدْعَوا وتُستنفروا.

فقال خالد بن سعد بن نُفَيْل: أمّا أنا فواللهِ لو أعلم أنّه يُنْجيني من ذنبي ويُرضي ربّي عنّي قتْلي نفسي لقتلتُها، وأنا أُشهد كلّ مَنْ حضر أنّ كلّ ما أصبحتُ أملكه سوى سلاحي الذي أقاتل به عدوّي صدقةٌ على المسلمين، أقوّيهم به على قتال الفاسقين[2]. قال أبو المعتمر بن حنش[3] بن ربيعة الكِنانيُّ مثل ذلك. فقال سليمان: حسبكم، مَنْ أراد من هذا شيئاً فليأتِ به عبدَ الله بن والٍ التَّيْميّ، فإذا اجتمع عنده كلُّ ما تريدون إخراجه جهّزنا به ذوي الخَلّة والمَسْكنة من أشياعكم.

وكتب سليمان بن صُرَد إلى سعد بن حُذَيفة بن اليمان يُعْلمه بما عزموا عليه، ويدعوه إلى مساعدتهم ومَنْ معه من الشيعة بالمدائن، فقرأ سعد بن حُذَيفة الكتابَ على مَن بالمدائن من الشيعة، فأجابوا إلى ذلك، فكتبوا إلى سليمان بن صُرَد يُعْلمونه أنّهم على الحركة إليه والمساعدة له.

وكتب سليمان أيضاً كتاباً إلى المثنّى بن مُخَرِّبَة العبديّ بالبصرة مثل ما كتب إلى سعد بن حُذَيفة، فأجابه المثنّى: إنّنا معشر الشيعة حمدْنا الله على ما عزمتم عليه، ونحن موافوك[4] إن شاء الله للأجل الذي ضربتَ. وكتب في أسفل الكتاب:

تبَصَّرْ كأنّي قد أتيتُكَ مُعلِماً ... على أتْلَعِ الهادي أجَشَّ هزيمِ[5]
طويلِ القَرا نَهْدِ الشَّواةِ مُقلِّصٍ ... مُلِحٍّ على فأسِ اللِّجامِ أزُومِ[6]
بكلِّ فتًى لا يَملأُ الرَّوْعُ قلْبَهُ ... مِحَشٍّ لنارِ الحرْبِ غيرِ سَؤومِ[7]
(أخي ثقةٍ يَنوي[8] الإلهَ بسَعيهِ ... ضَرُوبٍ بنَصْلِ السّيفِ غيرِ أثيمِ)[9]

فكان أوّل ما ابتدأوا به أمرهم بعد قتل الحسين سنة إحدى وستّين، فما زالوا بجمع

---

(١) سورة الأنفال، الآية ٦٠.
(٢) الطبري ٥/٥٥٤، ٥٥٥ وفيه زيادة يسيرة في قول ابن نُفَيل.
(٣) في (ر): «حسن»، وفي طبعة صادر ٤/١٦١ «أبو المعتمر بن حبس»، والمثبت عن: الفتوح لابن أعثم ٦/٥١.
(٤) في (ر): «موافقون».
(٥) في الأوربية: «ألا أبلغ الهادي أحَشّ هذيم».
(٦) في الأوربية:
طويل القَرى يهدأ حقّ مقلّص ... مُلاح على قاس اللّجام أروم»
(٧) في الأوربية: «مجشّ لنار الحرب غير مسموم». والطبري: «نحره ... محسّن لعضّ الحرب غير سئوم».
(٨) في الأوربية: «يثوي».
(٩) البيت الأخير من (ب)، والأبيات عند الطبري ٥/٥٥٨.

آلـة الحرب ودعـاء الناس في السـرّ إلى الطّلب بـدم الحسين، فكـان يُجيبهم النفـرُ، ولم يزالوا على ذلك إلى أن هلك يزيد بن معاوية سنة أربع وستّين، فلمّا مـات يزيـد جاء إلى سليمـان أصحابـه فقالـوا: قد هلك هـذا الطاغيـة، والأمرُ ضعيف، فـإن شئتَ وثَبنـا على عَمْرو بن حُرَيث، وكـان خليفة ابن زيـاد على الكوفـة، ثمّ أظهرنـا الطلب بـدم الحسين، وتتبّعنا قَتَلَتَه، ودعونا الناس إلى أهل هذا البيت المستأثَر عليهم، المدفوعين عن حقّهم.

فقـال سليمان بن صُـرَد: لا تُعجّلوا، إنّي قد نـظرتُ فيمـا ذكـرتم، فـرأيتُ أنّ قَتَلَة الحسين هم أشـراف الكوفـة، وفُرسـان العرب، وهم المـطالَبون بـدمه، ومتى علمـوا مـا تريدون كانوا أشدّ الناس عليكم، ونـظرتُ فيمن تبِعَني منكم، فعلمتُ أنّهم لو خـرجوا لم يدركوا ثأرهم، ولم يَشْفوا[1] نفوسهم، وكانـوا جَزَراً لعـدوّهم، ولكن بُثّوا دُعـاتكم، وادعوا إلى أمركم. ففعلوا واستجاب لهم ناس كثير بعد هلاك يزيد[2].

ثمّ إنّ أهـل الكوفـة أخرجـوا عُمـرو بن حُـرَيث، وبـايعـوا لابن الـزّبيـر، وسليمـان وأصحابُه يدعون الناس.

فلمّـا مضت ستّة أشهـر بعد هـلاك يزيـد، قدِم المختـار بن أبي عُبيـد الكـوفـةَ في النصف من رمضـان، (وقدِم عبـد الله بن يزيـد الأنصاريّ أميـراً على الكوفـة من قِبَل ابن الـزّبير، لثمـانٍ بقين من رمضان)[3]، وقـدِم إبراهيم بن محمّـد بن طَلْحة معـه على خـراج الكـوفة. فـأخذ المختـار يـدعـو النـاس إلى قتـال قَتلَة الحسين ويقـول: جئتُكم من عنـد المهديّ محمّد بن الحنفيّة وزيراً أميناً. فرجـع إليه طـائفةٌ من الشيعـة، وكان يقـول: إنّما يـريد سليمـان أن يخرج فيقتـل نفسه ومَنْ معـه، وليس لـه بَصَـرٌ بـالحـرب. وبلغ الخبـرُ عبدَ الله بنَ يزيد بالخروج عليه بالكوفة في هذه الأيّام، وقيل له ليحبسه[4]، وخُـوِّف عاقبـة أمره إن تركه.

فقال عبد الله: إنْ هم قـاتلونا قـاتلناهم، وإن تـركونـا لَمْ نطلبهم. إنّ هؤلاء القـوم يـطلبـون بـدم الحسين بن عليّ، فـرحِم اللَّهُ هؤلاء القـوم، [إنّهم] آمنـون، فلْيخـرجـوا ظـاهرين، وليسيـروا إلى مَن قاتَـل الحسين، فقد أقبـل إليهم، يعني ابن زيـاد، وأنـا لهم ظهير، هذا ابن زياد قاتل الحسين وقاتل أخياركم وأماثلكم[5] قد توجّه إليكم، وقـد فارقـوه

---

(١) في (ر): «يستبقوا».

(٢) الطبري ٥/٥٥٨، ٥٥٩.

(٣) ما بين القوسين من (ب).

(٤) في (ر): «ليجنبه».

(٥) في الأوربية: «وأمثالكم».

على ليلةٍ من جسر مَنْبج، فقتاله[1] والاستعداد إليه أَوْلى من أن تجعلوا بأسكم بينكم، فيقتل بعضكم بعضاً، فيلقاكم عدوّكم وقد ضعفتم[2]، وتلك أمنيته، وقد قدِم عليكم أعدى خلْق الله لكم، مَنْ ولي عليكم هو وأبوه سبْعَ سِنين، لا يُقلعان عن قتل أهل العفاف والدّين، (هو الذي قتلكم)[3]، ومن قِبَله أتيتم، والذي قتل مَن تنادون بدمه قد جاءكم)[4] فاستقبلوه بحدّكم وشوكتكم، واجعلوها به، ولا تجعلوها بأنفسكم، إنّي لكم ناصحٌ[5].

وكان مروان قد سيّر ابن زياد إلى الجزيرة، ثمّ إذا فرغ منها سار إلى العراق.

فلمّا فرغ عبد الله بن يزيد من قوله، قال إبراهيم بن محمد بن طلحة: أيّها الناس لا يغرنّكم من السيف والغشم مقالةُ هذا المداهن[6]، والله لئن خرج علينا خارجٌ لَنَقتُله[7]، ولئن استيقنّا أن قوماً يريدون الخروج علينا لنأخُذَنّ الوالد بولده، والمولود بوالده، والحميمَ بالحميم، والعريف بما في عرافته، حتّى يدينوا للحقّ، ويذلّلوا[8] للطاعة.

فوثب إليه المسيّب بن نَجَبة، فقطع عليه مَنطقه، ثمّ قال: يا ابن الناكثين[9]! أنت تهدّدنا بسيفك وغشمك! أنتَ والله أذلّ من ذلك! إنّا لا نلومك على بَغضنا، وقد قتلنا أباك وجَدّك، وأمّا أنتَ أيّها الأمير فقد قلتَ قولاً سديداً.

فقال إبراهيم: والله لتُقْتَلَنّ وقد أدهن[10] هذا، يعني عبد الله بن يزيد. فقال له عبد الله بن وال: ما اعتراضك فيما بيننا وبين أميرنا؟ ما أنت علينا بأمير، إنّما أنت أمير هذه الجِزْية، فأقبِلْ على خراجك، ولئن أفسدتَ أمر هذه الأمّة فقد أفسده والداك، وكانت عليهما دائرة السَّوْء! فشتمهم جماعةٌ ممّن مع إبراهيم فشاتموه، فنزل الأمير من على المنبر، وتهدّده إبراهيم بأنّه يكتب إلى ابن الزّبير يشكوه. فجاءه عبد الله في منزله واعتذر إليه، فقبِل عُذْره. ثمّ إنّ أصحاب سليمان خرجوا ينشرون[11] السلاح ظاهرين ويتجهّزون[12].

---

(1) في الأوربية: «فقتال».

(2) في (ر): «رفعتم».

(3) في الأوربية: «قبله».

(4) ما بين القوسين من (ب).

(5) الطبري ٥/٥٦٢: «إني لم آلُكم نُصحا».

(6) في الأوربية: «الداهن».

(7) الطبري: «لنقتلنّه».

(8) الطبري: «ويذلّوا».

(9) في الأوربية: «الساكنين».

(10) في الأوربية: «أوهن».

(11) في الأوربية «يشترون».

(12) الطبزي ٥/٥٦٢، ٥٦٣.

ذكر فراق الخوارج عبدَ الله بن الزّبَير وما كان منهم

وفي هذه السنة فارق الخوارج الذين كانوا قدموا مكّة عبدَ الله بن الزُّبير، وكانـوا قد قاتلوا معه أهل الشام.

وكان سبب قدومهم عليه أنّهم لما اشتدّ عليهم ابنُ زياد بعد قتل أبي بـلال اجتمعوا فتذاكروا ذلك، فقال لهم نافع بن الأزْرق: إنّ الله قد أنزل عليكم الكتاب، وفرض عليكم الجهاد، واحتجّ عليكم [بالبيان]، وقد جرّد أهلُ الظلم فيكم السيـوفَ، فاخـرجوا بنـا إلى هذا الذي قد ثار بمكّة، فإنْ كان على رأينا جاهدنا معه، وإن يكن على غيـر رأينا دافعنـاه عن البيت. وكان عسكر الشام قد سار نحو ابن الزّبير.

فسار الخوارج حتّى قدِموا على ابن الزّبير، فسُرّ بمقدمهم، وأخبـرهم أنّه على مثـل رأيهم من غير تفتيش. فقاتلوا معه أهلَ الشام حتّى مات يـزيد بن معـاوية، وانصـرف أهل الشام.

ثمّ إنّهم اجتمعـوا وقالـوا: إنّ الذي صنعتم أمس لَغيـر رأي، تقاتلون مـع رجـلٍ لا تـدرون لعلّه ليس على مثل رأيكم، وقـد كان أمس يقـاتلكم هو وأبـوه وينادي: يـا ثاراتِ عثمان! فأتوه واسْألوه عن عثمان، فإنْ بريء منه كان وليّكم، وإن أبَى كان عدوّكم. فـأتوه فسألوه، فنظر فإذا أصحـابه حـوله قليـل، فقال: إنّكم أتيتمـوني حين أردتُ القيام، ولكن روحوا [إليّ] العشيّة حتى أُعلمكم.

فـانصرفـوا، وبعث إلى أصحابـه، فجمعهم حـولـه بـالسـلاح، وجـاءت الخـوارج وأصحابه حوله وعلى رأسه، وبأيديهم العَمَد، فقال ابن الأزرق لأصحابـه: إنّ الرجـل قد أزمع خلافكم، فتقدّم إليه نافع بن الأزرق وعُبَيدة بن هلال، فقال عُبَيدة بعد حمد الله:

أمّا بعد، فإنّ الله بعث محمّداً يدعو إلى عبـادته وإخـلاص الدّين[1] لـه، فدعـا إلى ذلك، فأجـابه المسلمـون، فعمل فيهم بكتـاب الله حتّى قبضه الله، واستخلف النـاس أبا بكـر، واستخلف أبو بكـر عمَر، فكـلاهمـا عمـل بكتـاب الله وسُنّـة نبيّـه، ثمّ إنّ النـاس استخلفوا عثمان، فحمى الأحماءَ، وآثر القربَى، واستعمل الفتى[2]، ورفع الدِّرّة، ووضـع السَّـوْط، ومزّق الكتـاب، وضرب مُنْكـر[3] الجور، وآوى طـريد رسـول الله ﷺ، وضرب السّـابقين بالفضـل[4]، وحـرمهم، وأخـذ فَيْءَ الله الـذي أفـاء عليهم، فقسّمـه في فُسّـاق

(١) في الأوربية: «الذي».

(٢) في الأوربية: «الغنيّ».

(٣) الطبري ٥/٥٦٥، ٥٦٦: «وحقّر المسلم وضرب مُنكري»

(٤) زاد الطبري: «وسيّرهم».

قريش، ومُجّان العرب، فسارت إليه طائفة فقتلوه[1]، فنحن لهم أولياء، ومن ابن عفّان وأوليائه بُرَآء، فما تقول أنتَ يا ابن الزُّبير؟ فقال: قد فهمتُ الّذي ذكرتَ به النبيّ ﷺ، فهو فوق ما ذكرتَ وفوق ما وصفتَ، وفهمتُ ما ذكرتَ به أبا بكر وعمر، وقد وُفّقتَ وأصبتَ، وفهمتُ الذي ذكرتَ به عثمان، وإنّي لا أعلم مكان أحدٍ من خلق الله اليوم أعلم بابن عفّان وأمره منّي، كنتُ معه حيث نقم [القومُ] عليه، واستعتبوه، فلم يدع شيئاً إلّا أعتبهم، ثمّ رجعوا إليه بكتابٍ له يزعمون أنّه كتبه يأمر فيه بقتلهم، فقال لهم: ما كتبتُه، فإنْ شئتم فهاتوا بيّنتكم، فإن لم تكن حلفتُ لكم، فواللّهِ ما جاؤوه ببيّنة، ولا استحلفوه، ووثبوا عليه فقتلوه، وقد سمعتُ ما عتبته[2] به، فليس كذلك، بل هو لكلّ خيرٍ أهل، وأنا أُشهدكم ومن حضرني أنّي وليٌّ لابن عفّان، وعدوّ أعدائه، فبرىء الله منكم.

وتفرّق القوم، فأقبل نافع بن الأزرق الحنظليُّ، وعبد الله بن الصّفّار السّعديُّ، وعبد الله بن إباض، وحنظلة بن بَيْهس، وبنو الماحوز: عبد الله، وعُبَيد الله، والزّبير من بني سَليط بن يربوع، وكلّهم من تميم، حتّى أتوا البصرة، وانطلق أبو طالوت[3]، من بني بكر بن وائل، وأبو فُدَيك[4] عبد الله بن ثَوْر بن قيس بن ثعلبة، وعطيّة بن الأسود اليشكُريّ إلى اليمامة، فوثبوا بها مع أبي طالوت، ثمّ أجمعوا بعد ذلك على نَجْدة بن عامر الحنفيّ، وتركوا أبا طالوت[5].

فأمّا نافع وأصحابه، فإنّهم قدِموا البصرة وهم على رأي أبي بلال، واجتمعوا وتذاكروا فضيلة الجهاد، فخرج نافع على ثلاثمائة، وذلك عند وثوب الناس بابن زياد، وكسر الخوارج باب السجن، وخرجوا، واشتغل الناس عنهم بحرب الأزد وربيعة وتميم، فلمّا خرج نافع تبعوه، واصطلح أهل البصرة على عبد الله بن الحارث، فتجرّد الناس للخوارج وأخافوهم، فلحِق نافع بالأهواز في شوّال سنة أربعٍ وستّين، وخرج مَنْ بقي منهم بالبصرة إلى ابن الأزرق، إلّا من لم يُرِد الخروج يومه ذلك، منهم: عبد الله بن الصّفّار، وعبد الله بن إباض، ورجال معهما على رأيهما، ونظر نافع فرأى أنّ ولاية مَنْ تخلّف عن الجهاد من الذين قعدوا من الخوارج لا تحلّ له، وأنّ مَنْ تخلّف عنه لا نجاة له، فقال لأصحابه ذلك، ودعاهم إلى البراءة منهم وأنّهم لا يحلّ لهم مُناكحتهم ولا أكْل ذبائحهم،

---

(١) الطبري: «فسارت إليه طائفة من المسلمين أخذ الله ميثاقهم على طاعته، لا يبالون في الله لومة لائم، فقتلوه».

(٢) الطبري ٥/٥٦٦ «عِتْبه».

(٣) في الأصل: «طالب».

(٤) في (ب): «قدميك».

(٥) في الأصل «طالب».

ولا يجوز قبول شهادتهم، وأخْذ عِلم الدّين عنهم، ولا يحلّ ميراثهم، ورأى قتلَ الأطفال والاستعراض، وأنّ جميع المسلمين كُفّار مثل كُفّار العرب، لا يُقبل منهم إلّا الإسلام أو القتل.

فأجابه إلى ذلك بعضهم، وفارقه بعضهم، وممّنْ فارقه نَجْدةُ بن عامر، وسار إلى اليمامة، فأطاعه الخوارج الذين بها، وتركوا أبا طالوت، فكتب نافع إلى ابن إباض وابن الصّفّار يدعوهما ومَنْ معهما إلى ذلك، فقرأ ابن الصّفّار الكتابَ، ولم يقرأه على أصحابه خشية أن يتفرّقوا ويختلفوا، فأخذه ابن إباض فقرأه، فقال: قاتله الله أيّ رأي رأى! صدق نافع، لو كان القوم مشركين كان أصوب الناس رأياً، وكانت سيرته[1] كسيرة [النبيّ ﷺ] في المشركين، ولكنّه قد كذب فيما يقول، إنّ القوم بُرَآء من الشرك، ولكنّهم كفّار بالنِّعم والأحكام، ولا يحلّ لنا إلّا دماؤهم، وما سوى ذلك فهو حرام علينا.

فقال له ابنُ الصّفّار: بريء الله منك فقد قصرتَ، وبريء الله من ابن الأزرق فقد غلا. فقال الآخر: بريء الله منك ومنه.

فتفرّق القوم، واشتدّت شوكةُ ابن الأزرق وكثُرت جموعه، وأقام بالأهواز يجبي الخراجَ ويتقوّى به، ثمّ أقبل نحو البصرة، حتّى دنا من الجسر، فبعث إليه عبدُ الله بن الحارث مسلمَ بن عُبَيْس بن كُرَيْز بن ربيعة من أهل البصرة[2].

(عُبَيْس: بالعين المهملة المضمومة، والباء الموحّدة، والياء المعجمة المثنّاة من تحت، وبالسين المهملة وعُبَيْدة بن بلال: بضمّ العين المهملة، والباء الموحّدة).

ذكر قدوم المختار الكوفة

كانت الشيعة تسبّ المختار وتعيبه لِما كان منه في أمر الحسن بن عليّ حين طُعن في ساباط، وحُمل إلى أبيض المدائن، حتّى [إذا] كان زمن الحسين، بعث الحسينُ مسلمَ بن عَقيل إلى الكوفة، وكان المختار في قرية له تُدعَى لفغا[3]، فجاءه خبرُ ابن عَقيل عند الظُّهر أنّه قد ظهر، ولم يكن خروجه عن ميعادٍ كما سبق، فأقبل المختار في مواليه، فانتهى إلى باب الفيل بعد المغرب، وقد أقعد عبيدُ الله بن زياد عَمرَو بن حُرَيث بالمسجد ومعه راية، فوقف المختار لا يدري ما يصنع، فبلغ خبره عَمراً، فاستدعاه وآمنه، فحضر عنده.

---

(١) في الأوربية: «سيرة».

(٢) الطبري ٥/٥٦٣ - ٥٦٩، نهاية الأرب ٢٠/٥٢١ - ٥٢٣.

(٣) في (ر): «لقفا»!

فلمّا كان الغد ذكر عُمارة بن الوليد بن عُقْبَة أمره لعبيد الله، فأحضره فيمَنْ دخل وقال له: أنت المقبل في الجموع لتنصر ابن عَقيل؟ قال: لم أفعلْ، ولكنّي أقبلتُ ونزلت تحت راية عَمرو، فشهد له عَمْرو، فضرب وجه المختار فشتر عينه وقال: لولا شهادة عَمرو لقتلتك! ثمّ حبسه حتّى قُتل الحسين.

ثمّ إنّ المختار بعث إلى عبد الله بن عمر بن الخطّاب يسأله أن يشفع فيه[1]، وكان ابن عمر تزوّج أخت المختار صفيّة بنت أبي عُبَيد، فكتب ابنُ عمر إلى يزيد يشفع فيه، فأرسل يزيد إلى ابن زياد يأمره بإطلاقه، فأطلقه وأمره أن لا يقيم غير ثلاث[2].

فخرج المختار إلى الحجاز، فلقِيه ابنُ العِرْق وراء واقصة، فسلّم عليه وسأله عن عينه، فقال: خبطها ابنُ الزّانية بالقضيب، فصارت كما ترى، ثمّ قال: قتلني الله إن لم أقطعْ أنامله وأعضاءه إرْباً إرْباً! ثمّ سأله المختار عن ابن الزّبير، فقال: إنّه عائذ بالبيت، وإنّه يبايع سرّاً، ولو اشتدّتْ شوكته وكثرتْ رجاله لَظَهَر.

فقال المختار: إنّه رجل العرب اليوم، وإن اتَّبع رأيي أكفِه أمر الناس. إنّ الفتنة أرعدت وأبرقت، وكأنْ قد انبعثت[3]، فإذا سمعتَ بمكانٍ قد ظهرتُ به، [فقُل إنّ المختار] في عصابة من المسلمين يطلب[4] بدم الشهيد المظلوم المقتول بالطَّفّ، سيّد المسلمين وابن بنت سيّد المرسلين وابن سيّدها، الحسين بن عليّ، فوربّك لأقتلنّ بقتله عدّة مَن قُتل على دم يحيى بن زكريّاء.

ثمّ سار وابن العِرْق يَعجب من قوله، قال ابن العِرْق: فوالله لقد رأيتُ ما ذكره، وحدّثتُ به الحجّاج بن يوسف، فضحِك وقال: لله درّه أيّ رجل ديناً، ومِسعر حرب، ومقارع أعداء كان!

ثمّ قدِم المختار على ابن الزُّبير، فكتم عنه ابنُ الزُّبير أمرَه، ففارقه وغاب عنه سنة، ثمّ سأل عنه ابنُ الزُّبير، فقيل إنّه بالطّائف، وإنّه يزعم أنّه صاحب الغضب ومسيّر الجبّارين. فقال ابن الزّبير: ما له قاتله الله؟ لقد انبعث[5] كذّاباً متكهّناً، إن يُهْلك الله الجبّارين يكن المختار أوّلهم.

فهو في حديثه إذ دخل المختار المسجد، فطاف وصلّى ركعتين وجلس، فأتاه

---

(١) انظر نص كتابه في: الفتوح لابن أعثم ٧٦/٦.
(٢) انظر الفتوح ٧٦/٦، ٧٧.
(٣) في الأوربية: «انبعث».
(٤) في الأوربية: «أطلب».
(٥) في الأوربية: «اتبعت».

معارفُه يحدّثونه، ولم يأتِ ابن الزُّبير، فوضع[1] ابنُ الزّبير عليه عبّاسَ بن سَهْل بن مِسْعَر، فأتاه وسأله عن حاله ثمّ قال له: مثلك يغيب عن الذي قد اجتمع عليه الأشراف من قريش والأنصار وثَقيف! لم تبقَ قبيلة إلاّ وقد أتاه زعيمُها، فبايع هذا الرجل. فقال: إنّي أتيتُهُ العام الماضي، وكتم عنّي خبره، فلمّا استغنى عنّي أحببتُ أن أُرِيَه أنّي مستغنٍ عنه، فقال له العبّاس: القَهُ الليلةَ وأنا معك. فأجابه إلى ذلك، ثمّ حضر عند ابن الزّبير بعد العتمة، فقال المختار: أبايعك على أن لا تقضي الأمور دوني، وعلى أن أكون أوّل داخل، وإذا ظهرتَ استعنتَ بي على أفضل عملك. فقال ابن الزّبير: أبايعك على كتاب الله وسُنّة رسوله. فقال: وشرّ غلماني تُبايعه على ذلك، والله لا أبايعك أبداً إلاّ على ذلك.

فبايعه، فأقام عنده، وشهد معه قتال الحُصَين بن نُمَير، وأبلى أحسن بلاء، وقاتل أشدّ قتال، وكان أشدّ الناس على أهل الشام.

فلمّا هلك يزيد بن معاوية، وأطاع أهلُ العراق ابنَ الزُّبير أقام عنده خمسة أشهر، فلمّا رآه لا يستعمله جعل لا يَقْدَم عليه أحدٌ من أهل الكوفة إلاّ سأله عن حال الناس، فأخبره هانيء بن جبة الوَداعيُّ باتّساق أهل الكوفة على طاعة ابن الزّبير، إلاّ أنّ طائفةً من الناس هم عدد أهلها لو كان لهم مَنْ يجمعهم على رأيهم أكل بهم الأرض إلى يومٍ [ما].

فقال المختار: أنا أبو إسحاق، أنا والله لهم أن أجمعهم على الحقّ، وألقى بهم رُكبان الباطل، وأُهلك بهم كلّ جبّارٍ عنيد. ثمّ ركب راحلته نحو الكوفة، فوصل إلى نهر الحيرة يوم الجمعة، فاغتسل ولبس ثيابه، ثمّ ركب فمرّ مسجد السَّكون وجبّانة كِندة، لا يمرّ على مجلسٍ إلاّ سلّم على أهله وقال: أبشِروا بالنُّصرة والفَلْج، أتاكم ما تحبّون.

ومرّ ببني بَدَاء[2] فلقي عُبيدة بن عَمْرو البَدّيّ من كِندة، فسلّم عليه وقال له: أبشِر بالنصر والفَلْج، إنّك أبا عَمرٍو على[3] رأيٍ حَسَن، لن يدع الله لك معه إثماً إلاّ غفره لك، ولا ذنباً إلاّ ستره. وكان عُبيدة من أشجع الناس وأشعرهم، وأشدّهم تشيّعاً وحُبّاً لعليّ، وكان لا يصبر عن الشراب، فقال له: بشّرك الله بالخير! فهل أنت مُبينٌ[4] لنا؟ قال: نعم، القَني الليلة.

ثمّ سافر ببني هند، فلقي إسماعيلَ بن كَثير، فرحّب به وقال له: القَني أنتَ وأخوك

---

(١) في (ب): «فأرسل إليه».

(٢) في الأوربية: «بدء».

(٣) في الأوربية: «أبو عمر وعلي».

(٤) في الأوربية: «متين».

الليلة، فقد أتيتُكم بما تحبّون. ومرّ على حلقة من هَمْدان فقال: قد قدِمتُ عليكم بما يَسُرُّكم. ثمّ أتَى المسجد، واستشرف له الناس، فقام إلى ساريةٍ، فصلّى عندها حتى أقيمت الصلاة، وصلّى مع الناس، ثمّ صلّى ما بين الجمعة والعصر، ثمّ انصرف إلى داره، واختلف إليه الشيعة، وأتَى إسماعيلُ بن كَثير وأخوه وعُبيدة بن عَمْرو، فسألهم[1]، فأخبروه خبر سليمان بن صُرَد، وأنّه على المنبر، فحمد الله ثمّ قال: إنّ المهديَّ ابن الوصيّ بعثني إليكم أميناً ووزيراً ومنتخباً[2] وأميراً، وأمرني بقتل المُلحدين، والطّلب بدم أهل بيته، والدَّفْع عن الضعفاء، فكونوا أوّل خلق الله إجابةً.

فضربوا على يده وبايعوه؛ وبعث إلى الشيعة، وقد اجتمعتْ عند سليمان بن صُرَد، وقال لهم نحو ذلك، وقال لهم: إنّ سليمان ليس له بصر بالحرب، ولا تجربة بالأمور، وإنّما يريد أن يُخْرِجكم، فيقتلكم ويقتل نفسه، وأنا أعمل على مثالٍ مُثِّل لي، وأمرٍ بُيِّن لي عن وليّكم، وأقتل عدوّكم وأشفي صدوركم، فاسمعوا قولي وأطيعوا أمري، ثمّ انتشروا[3].

وما زال بهذا ونحوه حتّى استمال طائفةً من الشيعة، وصاروا يختلفون إليه ويعظّمونه، وعظماء الشيعة مع سليمان لا يعدلون به أحداً، وهو أثقل خلق الله على المختار، وهو ينظر إلى ما يصير أمر سليمان.

فلمّا خرج سليمان نحو الجزيرة قال عمر بن سعد، وشَبَث بن رِبعيّ، وزيد بن الحارث بن رُوَيْم لعبد الله بن يزيد الخَطَميّ، وإبراهيم بن محمد بن طلحة: إنّ المختار أشدّ عليكم من سليمان، إنّما خرج يقاتل عدوّكم، وإنّ المختار يريد أن يثب عليكم في مصركم، فأوثقوه واسجنوه حتّى يستقيم أمر الناس.

فأتوه فأخذوه بغتةً، فلمّا رآهم قال: ما لكم؟ فوالله ما ظفرتْ أكفُّكم! فقال إبراهيم بن محمّد بن طلحة: شدّه كتافاً ومَشِّه حافياً. فقال عبد الله: ما كنتُ لأفعلٍ هذا برجلٍ لم يُظهر لنا غدره[4]، إنّما أخذناه على الظنّ. فقال إبراهيم: ليس هذا بعُشِّكِ فادرُجي[5]. ما هذا الذي بَلَغَنا عنك يا ابن أبي عُبيد؟ فقال: ما بلغك عنّي إلاّ باطل، وأعوذ بالله من غشٍّ كغشّ أبيك وجدّك!

---

(١) في الأوربية: «فسائلهم».
(٢) في الأوربية: «ومشيخاً».
(٣) في (ر): «أبشروا».
(٤) في (ب): «عداوة».
(٥) الأوربية: يغشّك فادرني. (مثَل يُضرب لمن يتعاطى ما لا ينبغي له).

ثمّ حُمل إلى السجن غير مقيَّد، وقيل: بل كان مقيَّداً، فكان يقول في السجن: أمَا وربِّ البحار، والنخيل والأشجار، والمَهامِه والقفار، والملائكة الأبرار، والمصطَفين الأخيار، لأقتلنّ كلّ جبّار، بكلّ لَدْن خَطّار، ومُهنّد بتّار[١]، بجموع الأنصار، ليسوا بمِيل أغمار، ولا بعُزّل[٢] أشرار؛ حتّى إذا أقمتُ عمود الدين، وزايلتُ[٣] شَعب صَدْع المسلمين، وشفيتُ غليل صدور المؤمنين، وأدركتُ ثأر النبيّين، لم يكبُر عليّ زوال الدنيا، ولم أحفل[٤] بالموت إذا أتى[٥].

وقيل في خروج المختار إلى الكوفة وسببه غير ما تقدّم، وهو أنّ المختار قال لابن الزّبير وهو عنده: إنّي لأعلم قوماً لو أنّ لهم رجلاً له فقه[٦] وعلم بما يأتي ويذر، لاستخرج لك منهم جُنْداً تقاتل بهم أهل الشام. قال: مَنْ هم؟ قال: شيعة عليّ بالكوفة. قال: فكنْ أنت ذلك الرجل. فبعثه إلى الكوفة، فنزل ناحية منها يبكي على الحسين ويذكر مصابه حتّى لَقَوْه وأحبّوه، فنقلوه إلى وسط الكوفة، وأتاه منهم بَشَر كثير، فلمّا قوي أمره سار إلى ابن مُطيع[٧].

ذكر عدّة حوادث

حجّ بالناس هذه السنة عبد الله بن الزّبير[٨]، وكان عامله على المدينة فيها أخوه عُبيدة بن الزبير، وعلى الكوفة عبد الله بن يزيد الخَطميُّ، وعلى قضائها هشام بن هُبَيرة[٩]، وعلى البصرة عمر بن عُبيد الله بن عمر التيميُّ، وعلى خُراسان عبد[١٠] الله بن خازم[١١].

---

(١) الأوربية: ثبّار.
(٢) الأوربية: ليس بمثل أغمار، ولا يعزل.
(٣) في (ر): «ورأيت».
(٤) الأوربية: لم يكثر... ولم أجفل.
(٥) الطبري ٥/٥٦٩ - ٥٨٢.
(٦) في الأوربية: «وفق».
(٧) في (ر) زيادة: «مداهن قد أرسل عبد الملك بن مروان فأخرجه من الكوفة».
(٨) المحبّر ٢١، ٢٢، تاريخ اليعقوبي ٢/٣٦٨، تاريخ الطبري ٥/٥٨٢، مروج الذهب ٤/٣٩٨، تاريخ العظيمي ١٨٧، البداية والنهاية ٨/٢٥١، نهاية الأرب ٢١/٥٩، تاريخ دمشق ٤٥٤ و ٤٥٥.
(٩) الطبري ٥/٥٨٢ «سعيد بن نمران».
(١٠) في طبعة صادر ٤/١٧٤ «عبيد»، والتصويب من: أنساب الأشراف ج ٤ ق ١/٣٥٣، وتاريخ الطبري ٥/٥٨٢، ونهاية الأرب ٢١/٥٩.
(١١) في (ر) زيادة: «بن هامان».

[الوَفَيات]

وفيها مات شدّاد بن أوس[1] بن ثابت، وهو ابن أخي حسّان بن ثابت.

وفيها توفّي المِسْوَر بن مَخْرمة[2] بمكّة، في اليوم الذي ورد فيه خبر موت يزيد بن معاوية، وكان سبب موته أن أصابته فلقة حجر منجنيق في جانب وجهه، فمرض أيّاماً ومات.

(وفيها توفّي أبو بَرْزة الأسلميّ[3] بخُراسان.

وفيها توفّي الوليد بن عُتْبَة[4] بن أبي سفيان في قول.

وفي أيّام يزيد مات أبو ثعلبة الخُشَنيُّ[5]، وقيل: مات سنة خمسٍ وسبعين، له صُحْبَة.

وفي أيّامه أيضاً مات عائذ بن عَمرو[6] المُزَنيُّ بالبصرة، وشهد بيعة الرضوان)[7].

وفي أيّام ابن زياد بالكوفة مات قيس بن خَرَشة[8]، وهو صحابيٌّ، وخبر موته عجيب مع ابن زياد، لأنّه كان قوّالاً بالحقّ.

(وفي أيّامه مات نوفل بن معاوية[9] بن عَمْرو الدِّئليُّ.

وفي أيّامه)[10] مات أبو خَيْثمة الأنصاريُّ[11]، شهِد أُحُداً، وذِكْره في تَبُوك مشهور.

وفي أيّامه مات عِتْبان بن مالك[12]، وهو بدْريٌّ.

وفي هذه السنة تُوُفّي شَقيق بن ثَوْر[13] السَّدوسيُّ[14].

---

(١) انظر عن (شدّاد بن أوس) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ١٢٤ رقم ٣٩ وفيه مصادر ترجمته.

(٢) انظر عن (المسور بن مخرمة) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) - ص ٢٤٤ - ٢٤٨ رقم ١٠١.

(٣) في طبعة صادر ١٧٤/٤ «الأشهلي»، والتصحيح من: تاريخ الصحابة لابن حبّان ٢٥٢ رقم ١٣٩٥، وأسد الغابة ١٤٦/٥، واسمه: «نضلة بن عُبيد».

(٤) انظر عن (الوليد بن عتبة) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) - ص ٢٦٦ رقم ١٢٠ وفيه مصادر ترجمته.

(٥) انظر عن (أبي ثعلبة) في: أسد الغابة ١٥٤/٥، ١٥٥، وقيل اسمه: جرهم، وقيل: جرثوم، وقيل: عمرو بن جرثوم، وغيره.

(٦) انظر عن (عائذ بن عمرو) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) - ص ١٤٣ رقم ٤٨ وفيه مصادر ترجمته.

(٧) ما بين القوسين من (ب).

(٨) انظر عن (قيس بن خرشة) في: أسد الغابة ٢١٢/٤.

(٩) انظر عن (نوفل بن معاوية) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) - ص ٢٦٢ رقم ١١٦ وفيه مصادر الترجمة.

(١٠) ما بين القوسين من (ب).

(١١) انظر عن (أبي خيثمة الأنصاري) في: أسد الغابة ١٨٢/٥، ١٨٣.

(١٢) انظر عن (عتبان بن مالك) في: تاريخ الصحابة لابن حبّان ١٩٧ رقم ١٠٥٤.

(١٣) في الأصل «ثور» والتصحيح من: الاشتقاق لابن دُريد ٢١٢، وتاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) - ص ١٢٤ رقم ٤١ وفيه مصادر ترجمته.

(١٤) هذه الجملة من (ب).

٦٥

ثم دخلت سنة خمس وستين

ذكر مسير التّوّابين وقتلهم

لمّا أراد سليمان بن صُـرَد الخُزاعيُّ الشُّخـوصَ سنة خمسٍ وستّين بعث إلى رؤوس أصحابه فأتَوه، فلمّا أَهَلَّ ربيعِ الآخر خـرج في وجوه أصحـابه، وكـانوا تـواعدوا للخـروج تلك الليلة، فلمّا أتى النُّخَيْلَة دار في الناس، فلم يُعْجبه عددهم، فأرسل حَكيمَ بن مُنْقـذ الكِنديَّ، والوليدَ بن عصير[1] الكِنانيَّ، فناديا في الكوفة: يا لَثارات[2] الحسين! فكانـا أوّل خلق الله دعَوَا[3]: يا لثارات الحسين.

فأصبح من الغد وقد أتاه نحوُ ممّا في عسكره، ثمّ نظر في ديوانه فوجدهم ستّة عشر ألفاً ممّن بايعه، فقال: سبحان الله! ما وافانا من ستّة عشر ألفاً إلّا أربعة آلاف. فقيـل له: إنّ المختار يثبّط الناس عنك، إنّه قد تبِعه ألفان. فقال: قـد بقي عشرة آلاف، أمـا هؤلاء بمؤمنين؟ أمـا يذكـرون الله والعهود والمـواثيق؟ فأقـام بالنّخَيْلة ثـلاثاً يبعث إلى مَنْ تخلّف عنه، فخرج إليه نحوُ من ألف رجل. فقام إليه المسيّب بن نَجَبة فقال: رحِمك الله! إنّه لا ينفعك الكاره، ولا يقاتل معك إلّا مَنْ أخرجتْـه النّيّة، فـلا تنتظر أحـداً وجدّ في أمـرك[4]. قال: نِعْمَ ما رأيت.

ثمّ قام سليمان في أصحابه فقال: أيّها الناس مَنْ كان خرج يريـد بخروجـه وجه الله والآخرة، فذلك[5] منّا، ونحن منه، فرحمة الله عليه حيّاً وميتاً، ومَنْ كان إنّما يريد الـدنيا، فواللّهِ ما نأتي[6] فَيْئاً نأخذه، وغنيمة نغنمها، ما خلا رضوان [الله]، وما معنـا من ذهب ولا

---

(١) في (ب): «عصدين» و (ر) «عضين» و (آ) «عصين».
(٢) الأوربية: يا آل ثارات.
(٣) الأوربية: دعا.
(٤) في تاريخ الطبري ٥/٥٨٥: «فلا تنتظرنّ أحداً واكْمُش في أمرك».
(٥) في الأوربية: ذلك.
(٦) في الأوربية: يأتي.

فضّة ولا متاع، وما هي[1] إلّا سيوفنا على عواتقنا، وزادُ قدر البُلغة، فمَنْ كان ينوي غير هذا فلا يَصْحَبْنا. فتنادى أصحابه من كلّ جانب: إنّا لا نطلب الدنيا، وليس لها خرجْنا، إنّما خرجنا نطلب التّوبة والطّلب بدم ابن بنت رسول الله نبيّنا ﷺ.

فلمّا عزم سليمان على المسير، قال له عبد الله بن سعد بن نُفَيْل: إنّي قد رأيتُ رأياً إن يكن صواباً، فالله الموفّق، وإن يكن ليس صواباً، فمن قِبَلي؛ إنّا خرجنا نطلب بدم الحسين، وقَتَلتُه كلّهم بالكوفة، منهم عمر بن سعد، ورؤوس الأرباع والقبائل، فأين نذهب ها هنا وندع الأوتار؟ فقال أصحابه كلّهم: هذا هو الرأي.

فقال سليمان: لكنْ أنا لا أرى ذلك، إنّ الذي قتله، وعبّأ الجنود إليه، وقال: لا أمان له عندي دون أن يستسلم، فأُمضي فيه حكمي، هذا الفاسق ابن الفاسق عُبيد الله بن زياد، فسيروا إليه على بركة الله، فإنْ يُظهرْكم الله عليه رجَونا أن يكون مَنْ بعده أهون علينا منه، ورجونا أن يدين لكم أهلُ مصركم في عافية، فينظرون إلى كلّ مَنْ شرك في دم الحسين، فيقتلونه ولا يغشموا[2]، وإن تُستشهدوا، فإنّما قاتلتم المُحِلّين، وما عند الله خير للأبرار، إنّي لا أحبّ أن تجعلوا جدّكم بغير المحلّين، ولو قاتلتم أهل مصركم ما عدم رجلٌ أن يرى رجلاً قد قتل أخاه وأباه وحميمه، ورجلاً يريد قتله، فاستخيروا الله وسيروا.

وبلغَ عبدَ الله بن يزيد، وإبراهيمَ بن محمد بن طلحة خروجُ ابن صُرَد، فأتياه في أشراف أهل الكوفة، ولم يصحبْهم مَنْ شرك في دم الحسين خوفاً منه، وكان عمر بن سعد تلك الأيّام يبيت في قصر الإمارة خوفاً منهم. فلمّا أتياه قال عبد الله بن يزيد: إنّ المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يغشّه، وأنتم إخواننا وأهل بلدنا، وأحبّ أهل مصر خلقه الله إلينا، فلا تفجعونا بأنفسكم، ولا تُنقصوا عددنا بخروجكم من جماعتنا، أقيموا معنا حتّى نتهيّأ، فإذا سار عدوّنا إلينا خرجنا إليه بجماعتنا فقاتلناه.

وجعل لسليمان وأصحابه خراج جُوخى إن أقاموا. وقال إبراهيم بن محمّد مثله؛ فقال سليمان لهما: قد محضتما النّصيحة واجتهدتما في المشورة، فنحن بالله وله، ونسأل الله العزيمة على الرُّشْد، ولا نرانا[3] إلّا سائرين. فقال عبد الله: فأقيموا حتّى (نعبّي معكم جريداً كثيفاً)[4]، فتلقَوا عدوّكم بجمعٍ كثيف. وكان قد بلغهم إقبال عُبيد الله بن

---

(١) في الأوربية: ما هو.
(٢) في الأوربية: يفشوا، وفي تاريخ الطبري ٥/٥٨٦ «فتقاتلونه ولا تغشموا».
(٣) في الأوربية: «ترانا».
(٤) في (ب): «يجبي معكم جمع كثيف».

زياد من الشام في جنود. فلم يقم سليمان، فسار عشيّة الجمعة لخمسٍ مضين من ربيع الآخر سنة خمس وستّين، فوصل دار الأهواز[1]، وقد تخلّف عنه ناسٌ كثير، (فقال: ما أحبّ أن [مَنْ] تخلّف[2] [عنكم] معكم، ولو خرجوا فيكم ما زادوكم إلاّ خبالاً، إنّ الله كره انبعاثكم، فثبّطهم واختصّكم[3] بفضل ذلك)[4].

ثمّ ساروا فانتهوا إلى قبر الحسين، فلمّا وصلوا صاحوا صيحةً واحدة، فما رُئي أكثر باكياً من ذلك اليوم، فترحّموا عليه، وتابوا عنده من خذلانه وترك القتال معه، وأقاموا عنده يوماً وليلة يبكون ويتضرّعون، ويترحّمون عليه وعلى أصحابه، (وكان من قولهم عند ضريحه: اللهمّ ارحم حسيناً الشهيد ابن الشهيد، المهديَّ ابن المهديّ، الصِّدِّيق ابن الصِّدِّيق، اللهمّ إنّا نُشهدك أنّا على دينهم وسبيلهم، وأعداء قاتليهم[5]، وأولياء محبّيهم، اللهمّ إنّا خذلنا ابن بنت نبيّنا ﷺ، فاغفرْ لنا ما مضى منّا وتُبْ علينا وارحمْ[6] حسيناً وأصحابه الشهداء الصِّدِّيقين، وإنّا نُشهدك[7] أنّا على دينهم وعلى ما قُتلوا عليه، وإن لم تغفرْ لنا وترحمْنا لنكوننّ من الخاسرين! وزادهم النظر إليه حنقاً)[8].

ثمّ ساروا بعد أن كان الرجل يعود إلى ضريحه كالمودّع له، فازدحم الناس عليه أكثر من ازدحامهم على الحجر الأسود، ثمّ أخذوا[9] على الأنبار، وكتب إليهم عبد الله بن يزيد كتاباً، منه: يا قومنا لا تطيعوا عدوّكم، أنتم في أهل بلادكم خيار كلّكم، ومتى يُصبكم عدوّكم يعلموا أنّكم أعلام مِصركم، فيُطمعهم ذلك فيمَن وراءكم، يا قومنا ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً﴾[10]، يا قوم إنّ أيدينا وأيديكم واحدة، وعدوّنا وعدوّكم واحد، ومتى تجتمع كلمتنا على عدوّنا نظهرْ على عدوّنا، ومتى تختلف تهُنْ شوكتنا على مَنْ خالفنا، يا قومنا لا تستغشّوا نُصحي، ولا تخالفوا أمري، وأقبلوا حين يُقرأ كتابي عليكم. والسلام.

---

(١) في (ر): «الأعوار».
(٢) في الأوربية: «تتخلّف».
(٣) في الأوربية: «وأخصكم».
(٤) ما بين القوسين من (ب).
(٥) في الأوربية: قاتلهم.
(٦) في الأوربية: فارحم.
(٧) في الأوربية: نشهد لنا.
(٨) ما بين القوسين من (ب).
(٩) في الأوربية: ساروا.
(١٠) سورة الكهف ١٨، الآية ٢٠.

فقال سليمان وأصحابه: قد أبينا[1] هذا، ونحن في مِصرنا، فحين وطّنّا[2] أنفسنا على الجهاد، ودنونا من أرض عدوّنا، ما هذا برأي. فكتب إليه سليمان يشكره ويُثني عليه ويقول: إنّ القوم قد استبشروا ببيعهم أنفُسَهم من ربّهم، وإنّهم قد تابوا من عظيم ذنبهم، وتوجّهوا إلى الله، وتوكّلوا عليه، ورضوا بما قضى الله عليهم.

فلمّا جاء الكتاب إلى عبد الله قال: استمات القوم، أوّل خبرٍ يأتيكم عنهم قتْلهم، والله ليُقْتَلُنّ كراماً مسلمين.

ثمّ ساروا حتّى انتهوا إلى قَرْقِيسيا على تَعْبية، وبها زُفَر بن الحارث الكلابيُّ، قد تحصّن بها منهم، ولم يخرج إليهم، فأرسل إليه المسيّب بن نَجَبة يطلب إليه أن يُخْرِج إليه سَوْقاً، فأتى المسيّب إلى باب قَرْقِيسيا، فعرّفهم نفسه، وطلب الإذْن على زُفَر، فأتى هُذَيْل بن زُفَر أباه فقال: هذا رجل حسن الهيئة، اسمه المسيّب بن نَجَبة، يستأذن عليك. فقال أبوه: أما تدري يا بنيّ مَنْ هذا؟ هذا فارس مُضَر الحمراء كلّها، إذا عُدّ من أشرافها عشرة كان أحدهم هو، وهو بَعْدُ[3] رجل ناسك له دِين، إيذنْ له. فأذِن له، فلمّا دخل عليه أجلسه إلى جانبه وسأله، فعرّفه المسيّب حالَه وما عزموا عليه، فقال زُفَر: إنّا لم نغلق أبواب المدينة إلّا لنعلم إيّانا تريدون أم غيرنا، وما بنا عجْزٌ عن الناس، وما نحبّ قتالكم، وقد بَلَغنا عنكم صلاح وسيرة جميلة.

ثمّ أمرَ ابنَه فأخرج لهم سوقاً، وأمرَ للمسيّب بألف درهم وفرس، فردّ المال وأخذ الفرس وقال: لعليّ أحتاج إليه إن عرج فرسي. وبعث زُفَر إليهم بخبز كثير، وعلف ودقيق، حتّى استغنى الناس عن السوق، إلّا إن كان الرجل يشتري سَوطاً أو ثوباً.

ثمّ ارتحلوا من الغد، وخرج إليهم زفرُ يشيّعهم، وقال لسليمان: إنّه قد سار خمسة أمراء من الرَّقّة هم[4] الحُصَيْن بن نُمَيْر، وشُرَحْبيل بن ذي الكَلاع، وأدهم بن مُحْرِز، وجَبَلَة بن عبد الله الخَثعميّ، وعُبيد الله بن زياد[5] في عددٍ كثيرٍ مثل الشوك والشجر، فإنْ شئتم دخلتم مدينتنا، وكانت أيدينا واحدة، فإذا جاءنا هذا العدوّ قاتلناهم جميعاً. فقال سليمان: قد طلب أهل مِصرنا ذلك منّا، فأبينا عليهم.

قال زُفَر: فبادروهم إلى عين الوردة، وهي رأس عين، فاجعلوا المدينة في

---

(١) الأوربية: أتانا.
(٢) الأوربية: وطئنا.
(٣) الأوربية: يتعدّ.
(٤) في الأوربية: فيهم.
(٥) لم يذكره الطبري، بل ذكر أيضاً: «أبو مالك بن أدهم، وربيعة بن المخارق». (ج ٥/٥٩٤).

ظهوركم، ويكون الرستاق والماء والمادّة في أيديكم، وما بيننا وبينكم فأنتم آمنون منه، فاطْوُوا المنازل، فوالله ما رأيتُ جماعةً قطّ أكرم منكم، فإنّي أرجو أن تسبقوهم، وإن قاتلتموهم فلا تقاتلوهم في فضاءٍ تُرامونهم وتُطاعنونهم، فإنّهم أكثر منكم، ولا آمن أن يحيطوا بكم، فلا تقفوا لهم فيصرعوكم، ولا تصفّوا لهم، فإنّي لا أرى معكم رَجّالة، ومعهم الرَّجّالة والفرسان، بعضهم يحمي بعضاً، ولكن القوهم في الكتائب والمقانب، ثمّ بُثّوها فيما بين ميمنتهم وميسرتهم، واجعلوا مع كلّ كتيبة أخرى إلى جانبها، فإنْ حُمل على إحدى الكتيبتَين رحلت الأخرى فنفّست عنها، ومتى شاءت كتيبة ارتفعت، ومتى شاءت كتيبة انحطّت، ولو كنتم صفّاً واحداً، فزحفتْ إليكم الرَّجّالة، فدفعتم عن الصّفّ انتقض، فكانت الهزيمة. ثمّ ودّعهم ودعا لهم، ودعوا له، وأثنوا عليه.

ثمّ ساروا مُجدّين، فانتهوا إلى عين الوردة، فنزلوا غربيَّها، وأقاموا خمساً، فاستراحوا وأراحَوا.

وأقبل أهل الشام في عساكرهم، حتّى كانوا من عين الوردة على مسيرة يومٍ وليلة، فقام سليمان في أصحابه، وذكر الآخرة ورغّب فيها، ثمّ قال: أمّا بعد فقد أتاكم عدوّكم الذي دأبتم إليه في السير آناء الليل والنهار، فإذا لقيتموهم فاصدقوهم القتال، واصبروا إنّ الله مع الصابرين، ولا يولِّيَنّهم امرءٌ دُبُرَه إلّا متحرّفاً لقتال، أو متحيّزاً إلى فئة، ولا تقتلوا مُدْبِراً، ولا تُجْهِزوا على جريح، ولا تقتلوا أسيراً من أهل دعوتكم، إلّا أن يقاتلكم بعد أن تأسروه، فإنّ هذه كانت سيرة عليّ في أهل هذه الدعوة.

ثمّ قال: إن أنا قُتلتُ، فأميرُ الناس مسيّب بن نَجَبة، فإنْ قُتل، فالأمير عبد الله بن سعد بن نُفيل، فإنْ قُتل، فالأمير عبد الله بن وال، فإنْ قُتل، فالأمير رِفاعة بن شدّاد، رحِم الله امرأً صدق ما عاهد الله عليه.

ثمّ بعث المسيّبَ في أربعمائة فارس، ثمّ قال: سرْ حتّى تلقى أوّل عساكرهم، فشنّ عليهم [الغارة]، فإنْ رأيتَ ما تحبّه وإلّا رجعتَ، وإيّاك أن تنزل[1] [أو تدع] أحداً من أصحابك [ينزل] أو يستقبل آخر ذلك، حتّى لا تجد[2] منه بُدّاً. فسار يومه وليلته، ثمّ نزل السَّحَر. فلمّا أصبحوا أرسل أصحابه في الجهات، ليأتوه بمن يلقَون، فأتوه بأعْرابيّ، فسأله عن أدنَى العساكر منه، فقال: أدنَى عسكر من عساكرهم منك عسكر شُرَحْبيل بن ذي الكَلاع، وهو منك على رأس ميل، وقد اختلف هو والحُصَين، ادّعى الحُصَين أنّه على الجماعة، وأبى شُرَحْبيل ذلك، وهما ينتظران أمرَ ابن زياد.

(١) في الأوربية: «تترك».
(٢) في الأوربية: «يجد».

فسار المسيّب ومن معه مسرعين، فأشرفوا عليهم وهم غارّون، فحملوا في جانب عسكرهم، فانهزم العسكر، وأصاب المسيّب منهم رجالاً، فأكثروا فيهم الجراح، وأخذوا الدوابّ، وخلّى الشاميّون عسكرهم وانهزموا، فغنم منه أصحابُ المسيّب ما أرادوا، ثمّ انصرفوا إلى سليمان موفورين.

وبلغ الخبرُ ابنَ زياد، فسرّح الحُصَين بن نُمَير مسرعاً حتّى نزل في اثني عشر ألفاً، فخرج أصحابُ سليمان إليه لأربعٍ بقين من جُمادَى الأولى، وعلى ميمنتهم عبد الله بن سعد، وعلى ميسرتهم المسيّب بن نَجَبة، وسليمان في القلب، وجعل الحصينُ على ميمنته جملةَ[1] بن عبد الله، وعلى ميسرته ربيعة بن المخارق الغَنَويَّ، فلمّا دنا بعضهم من بعض دعاهم أهلُ الشام إلى الجماعة على عبد الملك بن مروان، ودعاهم أصحابُ سليمان إلى خلع عبد الملك، وتسليم عُبيد الله بن زياد إليهم، وأنّهم يُخْرِجون مَنْ بالعراق من أصحاب ابن الزّبير، ثمّ يُردّ الأمرُ إلى أهل بيت النبيّ ﷺ. فأبَى كلّ منهم، فحملت ميمنةُ سليمان على ميسرة الحُصَين، والميسرةُ أيضاً على الميمنة، وحمل سليمان في القلب على جماعتهم، فانهزم أهلُ الشام إلى عسكرهم، وما زال الظَّفَر لأصحاب سليمان، إلى أن حجز بينهم الليل.

فلمّا كان الغد، صبّح الحصينَ جيشٌ مع ابن ذي الكَلاعِ ثمانية آلاف، أمدّهم بهم عُبيد الله بن زياد، وخرج أصحابُ سليمان، فقاتلوهم قتالاً لم يكن أشدّ منه جميع النهار، لم يحجز بينهم إلاّ الصلاة، فلمّا أمسوا تحاجزوا، وقد كثُرت الجراحُ في الفريقَين، وطاف القُصّاص على أصحاب سليمان يحرّضونهم.

فلمّا أصبح أهلُ الشام أتاهم أدْهم بن مُحرز الباهليُّ في نحوٍ من عشرة آلاف من ابن زياد، فاقتتلوا يوم الجُمْعَة قتالاً شديداً إلى ارتفاع الضُحَى، ثمّ إنّ أهل الشام كثروهم، وتعطّفوا عليهم من كلّ جانب، ورأى سليمان ما لقي أصحابه، فنزل ونادى: عبادَ الله، مَنْ أراد البكورَ إلى ربّه، والتوبة من ذنبه[2]، فإليّ! ثمّ كسر جفنة[3] سَيفه، ونزل معه ناس كثير، وكسروا جفون سيوفهم ومشَوا معه، فقاتلوهم، فقُتل من أهل الشام مقتلة عظيمة، وجرّحوا فيهم فأكثروا الجراح. فلمّا رأى الحُصَيْنُ صبْرهم وبأسهم بعث الرَّجّالة ترميهم بالنَّبل، واكتنفتهم[4] الخيل والرجال، فقُتل سليمان، رحمه الله، رماه يزيد بن الحُصَين بسهم فوقع، ثمّ وثب ثمّ وقع.

---

(١) في (ب): «حمل».

(٢) زاد الطبري ٥/٥٩٩: «والوفاء بعهده».

(٣) الطبري: «جفن».

(٤) في (ب): «وأكشفتهم».

فلمّا قُتل سليمان أخذ الرايةَ المسيّبُ بن نَجَبَة، وترحّم على سليمان، ثمّ تقدّم فقاتلٍ بها ساعةً، ثمّ رجع، ثمّ حمل، فعل ذلك مراراً، ثمّ قُتل، رحمه الله، بعد أن قتل رجالاً.

فلمّا قُتل أخذ الرايةَ عبدُ الله بن سعد بن نُفَيل، وترحّم عليهما، ثمّ قرأ: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾[1]. وحفّ به مَنْ كان معه من الأزد. فبينما هم في القتال أتاهم فرسانٌ ثلاثة من سعد بن حُذَيْفَة، يُخْبرون بمسيرهم في سبعين ومائة من أهل المدائن، ويُخْبرون أيضاً بمسير أهل البصرة مع المثنّى بن مُخَرِّبَة العَبْديّ في ثلاثمائة، (فسُرّ[2] الناس)[3] فقال عبدُ الله بن سعد: ذلك لو جاؤونا ونحن أحياء.

فلمّا نظر الرسُلِ إلى مَصَارع إخوانهم ساءهم ذلك، واسترجعوا وقاتلوا معهم، وقُتل عبد الله بن سعد بن نُفَيل، قتله ابنُ أخي ربيعة بن مخارق، وحمل خالد بن سعد بن نُفَيل على قاتل أخيه، فطعنه بالسيف، واعتنقه الآخر، فحمل أصحابُه عليه، فخلّصوه بكثرتهم وقتلوا خالداً، وبقيت الراية ليس عندها أحد، فنادوا عبد الله بن والٍ، فإذا هو قد اصطلى الحربَ في عصابةٍ معه، فحمل رِفاعة بن شدّاد، فكشف أهل الشام عنه، فأتَى فأخذ الراية وقاتل مليّاً، ثمّ قال لأصحابه: مَنْ أراد الحياة التي ليس بعدها موت، (والراحة الّتي ليس بعدها نَصَب، والسرور الذي ليس بعده حزْن)[4]، فلْيتقرّب إلى الله بقتال هؤلاء المُحِلّين، والرواح إلى الجنّة، وذلك عند العصر، فحمل هو وأصحابه فقتلوا رجالاً وكشفوهم.

ثمّ إنّ أهل الشام تعطّفوا عليهم من كلّ جانب حتّى ردّوهم إلى المكان الذي كانوا فيه، وكان مكانهم لا يؤتَى إلّا من وجهٍ واحد، فلمّا كان[5] المساء تولّى قتالهم أدهم بن مُحرز الباهليّ، فحملِ عليهم في خيله ورَجْله، فوصل ابن محرز إلى ابن والٍ وهو يتلو: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً﴾[6] الآية؛ فغاظ ذلك أدهمَ بنَ محرز، فحمل عليه فضرب يده فأبانها، ثمّ تنحّى عنه وقال: إنّي أظنّك وددتَ أنّك عند أهلك. قال ابن والٍ: بئس ما ظننتَ، واللهِ ما أحبّ أن يدكَ مكانها، إلّا أن يكون لي من الأجر مثل ما في يدي، ليعظم وِزرُك، ويعظم أجري. فغاظه ذلك أيضاً، فحمل عليه وطعنه

(١) سورة الأحزاب، الآية ٢٣.
(٢) في الأوربية: «فسرّوا».
(٣) من (ب).
(٤) ما بين القوسين من (ب).
(٥) في الأوربية: «عند».
(٦) سورة آل عمران، الآية ١٨٩.

فقتله، وهو مقبل ما يزول. وكان ابن والٍ من الفُقهاء العُبّاد.

فلمّا قُتل أتوا رِفاعةَ بنَ شدّاد البجليَّ وقالوا: لتأخذ الراية. فقال: ارجعوا بنا، لعلّ الله يجمعنا ليوم شرّهم. فقال له عبد الله بن عوف بن الأحمر: هلكنا والله، لئن انصرفتَ ليركبُنَّ أكتافنا، فلا نبلغ فرسخاً حتّى نهلك عن آخرنا، وإنْ نجا منّا ناجٍ أخذتْه العربُ يتقرّبون به إليهم، فقُتل صبراً، هذه الشمس قد قاربت الغروبَ فنقاتلهم على خيلنا، فإذا غسق الليل ركِبْنا خيولَنا أوّل الليل، وسرنا حتّى نصبح ونسير على مهلٍ، ويحمل الرجلُ صاحبَه وجريحه، ونعرف الوجه الذي نأخذه. فقال رِفاعة: نعم ما رأيتَ! وأخذ الراية وقاتلهم قتالاً شديداً، ورام أهل الشام إهلاكهم قبل اللّيل، فلم يصلوا إلى ذلك لشدّة قتالهم، وتقدّم عبدُ الله بن عزير الكِنانيُّ، فقاتل أهلَ الشام، ومعه ولده محمّد وهو صغير، فنادى بني كِنانة من أهلِ الشام، وسلّم ولده إليهم ليوصلوه إلى الكوفة، فعرضوا عليه الأمان، فأبَى ثمّ قاتلهم حتّى قُتل.

وتقدّم كرِبُ بنُ يزيد[1] الحِمْيريُّ عند المساء في مائة من أصحابه، فقاتلهم أشدّ قتال، فعرض عليه وعلى أصحابه ابن ذي الكَلاع الحِمْيريُّ الأمان، قال: قد كنّا آمنين في الدنيا، وإنّما خرجنا نطلب أمانَ الآخرة. فقاتلوهم حتّى قُتلوا. وتقدّم صخر بن هلال المُزَنيُّ في ثلاثين من مُزَيْنة، فقاتلوا حتّى قُتلوا.

فلمّا أمسَوا رجع أهل الشام إلى معسكرهم، ونظر رِفاعةُ إلى كلّ رجل قد عُقر به فرسُه وجُرح، فدفعه[2] إلى قومه، ثمّ سار بالناس ليلته، وأصبح الحُصَين ليلتقيهم، فلم يرهم، فلم يبعث في آثارهم، وساروا حتّى أتوا قَرْقِيسِيا، فعرض عليهم زُفَر الإقامة، فأقاموا ثلاثاً، فأضافهم ثمّ زوّدهم، وساروا إلى الكوفة.

ثمّ أقبل سعد بن حُذيفة بن اليمان في أهل المدائن، فبلغ هِيتَ، فأتاه الخبرُ، فرجع فلقي المثنّى بن مُخَرِّبة العبديّ في أهل البصرة بصَنْدَوْداء[3] فأخبره، فأقاموا حتّى أتاهم رِفاعة فاستقبلوه، وبكى بعضهم إلى بعض، وأقاموا يوماً وليلة، ثمّ تفرّقوا، فسار كلّ طائفة إلى بلدهم.

ولما بلغ رِفاعةُ الكوفةَ كان المختار محبوساً، فأرسل إليه: أمّا بعدُ فمرحباً بالعُصْبة

---

(١) في (ر): «يزيد بن كريب». و(ب): «كريب».

(٢) الأوربية: فرسه فقد جُرح ودفعه.

(٣) الأوربية بصدود. وصَنْدَوْداء: بفتح الصاد المهملة، وسكون النون، وفتح الدال المهملة، وسكون الواو، ودال مهملة ثانية، وآخر الحروف همزة. وهي نسبة إلى صندوداء ابنة لخم بن عدي بن الحارث بن مُرَّة بن أُدَ. (معجم البلدان ٣/٤٢٥).

الذين عظّم الله لهم الأجر حين انصرفوا، ورضي فِعْلهم حين قُتلوا، أمَا وربِّ البيت، ما خطا خاطٍ منكم خطوةً، ولا رَبا ربوة[1]، إلاّ كان ثواب الله له أعظَم من الدنيا[2]! إنّ سليمان قد قضى ما عليه وتوفّاه الله (وجعل وجهه[3] مع أرواح النّبيّين والصِّدّيقين والشهداء والصالحين)[4]، ولم يكن بصاحبكم الذي به تُنصرون، إنّي أنا الأمير المأمور، والأمين المأمون[5]، وقاتل الجبّارين، والمنتقم من أعداء الدّين، المقيّد من الأوتار[6]، فأعدّوا واستعدّوا وأبشِروا[7]، أدعوكم إلى كتاب الله، وسُنّة نبيّه، والطلب بدم[8] أهل البيت، والدفع عن الضُّعفاء، وجهاد المُحِلّين، والسلام[9].

(وكان قتلُ سليمان ومَنْ معه في شهر ربيع الآخر)[10].

ولما سمع عبد الملك بن مروان بقتل سليمان وانهزام أصحابه صعِد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه وقال: أمّا بعدُ فإنّ الله (قد أهلك من رؤوس أهل العراق ملقح فتنةٍ، ورأسَ ضلالةٍ سليمانَ بن صُرَد، ألاَ وإنّ السيوف تركن رأس المسيّب خَذَاريفَ، وقد قتل الله)[11] منهم رأسَين عظيمَين ضالَّين مضلَّين: عبد الله بن سعد الأزديَّ، وعبد الله بن والٍ البكريَّ، ولم يبقَ بعدهم من عنده امتناع، وفي هذا نظر، فإنّ أباه كان حيّاً، قال أعشى همدان في ذلك، وهي ممّا يُكتّم ذلك الزمان:

أَلَمّ خَيَالٌ مِنْكِ يا أُمَّ غالِبِ ... فحُيّيتِ عَنّا مِنْ حَبيبٍ مُجانِبِ
وَما زِلْتُ في شَجْوٍ[12] وما زِلتُ مُقْصَداً ... لِهَمٍّ عَرَاني[13] مِنْ فِراقِكِ ناصِبِ
فما أنسَ لا أنسَ انفتالَكِ[14] في الضُّحَى ... إلَيْنا مَعَ البِيضِ الحِسانِ[15] الخَرَاعِبَ

---

(١) الطبري ٥/٦٠٦ «رتا رتوة».
(٢) الطبري: «أعظم من ملك الدنيا».
(٣) الطبري: «روحه».
(٤) ما بين القوسين من (ر)، وفي (ب): «وتوفاه الله شهيداً».
(٥) زاد الطبري بعدها: «وأمير الجيش».
(٦) في الأوربية: «الأوتاد».
(٧) زاد الطبري: «واستبشروا».
(٨) الطبري: «وإلى الطلب بدماء».
(٩) الطبري ٥/٥٨٣ - ٦٠٦.
(١٠) من (ر). (الطبري ٥/٦٠٩).
(١١) ما بين القوسين من (ب).
(١٢) الطبري: «لي شجواً».
(١٣) في الأوربية: «لهم غير أني».
(١٤) الأوربية: انتقالك.
(١٥) الطبري: «الوسام».

تَراءَتْ لنا هَيفاءَ مَهضُومةَ الحَشَا ... لَطيفَةَ طَيِّ الكَشْحِ رَيّا الحَقائبِ
مُبَتَّلَةً غرّاءَ، رُؤْدٌ شَبَابُهَا[1] ... كشمسِ الضُّحى تَنْكَلُّ بينَ السَّحائبِ
فلمّا تَغشّاها السَّحابُ وحَوْلَهُ ... بَدا حاجبٌ منها وضَنّتْ بحاجبِ[2]
فتلكَ الهوَى[3] وَهْيَ الجَوَى ليَ والمُنَى ... فأحْبِبْ بها مِنْ خُلّةٍ لم تُصاقِبِ
وَلا يُبعدِ اللَّهُ الشَّبابَ وذِكْرَهُ ... وحُبَّ تصافي المُعصِراتِ الكَوَاعبِ
ويَزدادُ ما أحبَبْتُهُ[4] من عتابنا ... لُعاباً وسُقياً للخَدِينِ المُقارِبِ
فإنّي وإنْ لم أنْسهنّ لَذاكرٌ ... رزيئةَ مِخْباتٍ[5] كَريمِ المَناصِبِ
توَسّلَ بالتّقوَى إلى اللّهِ صادقاً[6] ... وتَقوَى الإلٰه خَيرُ تَكسابِ كاسِبِ
وخلّى عَنِ الدّنيا فلم يَلْتَبِسْ بها ... وتابَ[7] إلى اللّهِ الرّفيعِ المَراتبِ
تخَلّى عنِ الدّنيا وقالَ اطّرَحْتُها ... فَلَسْتُ إلَيها ما حَييتُ[8] بِآيبِ
وما أنا فيما يَكرَهُ[9] النّاسُ فَقدَهُ ... ويَسعى لَهُ[10] السّاعونَ فيها براغِبِ
فوَجّهَهُ نحْوَ الثَّوِيّةِ سائراً ... إلى ابنِ زِيادٍ في الجُموعِ الكَتائِبِ[11]
بقَوْمٍ هُمُ أهلُ التّقيّةِ والنُّهَى ... مَصاليتُ أنجادٌ سُراةٌ مَناجِبِ
مضَوْا تاركي رأيِ ابنِ طَلحةَ حِسبةً[12] ... ولم يَسْتَجيبُوا للأميرِ المُخاطِبِ
فساروا وهمْ ما بينَ مُلتَمِسِ التُّقَى ... وآخَرَ ممّا جَرّ بالأمسِ تائِبِ
فلاقَوْا بعَينِ الوَرْدَةِ الجيشَ فاصِلاً[13] ... إلَيهمْ فحَسُّوهمْ ببِيضٍ قواضِبِ
يَمانيَةٍ تذري[14] الأكفّ وتارَةً ... بخَيْلٍ عِتاقٍ مُقرَباتٍ سَلاهِبِ

---

(١) الأوربية: مشيلة غزار ودسا بهائها.
(٢) الأوربية: وظَنّتْ بجانبِ.
(٣) الأوربية: النّوى.
(٤) الأوربية: فاحْسَبْ.
(٥) الأوربية: رؤية مخبأة.
(٦) الأوربية: صارفاً.
(٧) الأوربية: وخلّ عن الدنيا فلا تلتبس بها وباب.
(٨) الأوربية: حبيب.
(٩) الطبري: «يُكبرُ» و (آ): يكثر.
(١٠) الأوربية: لها.
(١١) الطبري: «الكباكب».
(١٢) الطبري: «حَسْبُهُ».
(١٣) الأوربية: فاضلاً.
(١٤) الأوربية: ثمانية تدري.

فَجـاءهُمْ جمـعٌ مـنَ الشّـامِ بَعـدَهُ ... جُمُـوعٌ كمَوْجِ البَحـرِ من كلِّ جـانِبِ
فمـا بَـرحـوا حتّى أُبيـدَتْ سُـراتُـهمْ ... فلَمْ يَنجُ منهُمْ ثَمّ غيـرُ عَصـائِبِ
وغُـودِرَ أهلُ الصّبرِ صَرْعى فـأصْبحـوا ... تَعـاوَرهمْ[1] رِيـحُ الـصَّبـا والـجَنـائِـبِ
فـأضْحى الخُـزاعيُّ الـرَّئيسُ[2] مُجـدَّلاً ... كـأنْ لـم يُـقـاتِـلْ مـرّةً ويُـحـارِبِ
ورَأسُ بَـنـي شَـمْـخٍ وفـارِسُ قـوْمـه ... شَنُـوءةَ والـتّيـمـيُّ هـادي الـكَتـائـبِ
وعَـمـرُو بنُ بِشْـرٍ والـوَلـيـدُ وخـالـدٌ ... وزيـدُ بـنُ بَكْـرٍ والحُلَيسُ بـنُ غـالِـبِ
وضـارِبُ مِـنْ هَـمْـدانَ كـلّ مـشيّـع ... إذا شـدّ لم ينكـلْ كـريمُ الـمكـاسِـبِ
ومن كـلّ قـوْمٍ قَـد أُصِيبَ[3] زَعيـمُهُـمْ ... وذو[4] حَسَبٍ في ذُرْوَةِ المَجـد ثـاقِـبِ
أبَـوْا غيـرَ ضَـرْبٍ يَفلِقُ الهـامَ وَقْـعُـهُ ... وطَـعـنٍ بـأطـرافِ الأسِـنّـةِ صـائِبِ
وإنّ سَـعـيـداً يـوْمَ يَـدْمُـرُ عـامـراً ... لأشجَـعُ من لَيثٍ بـدَرْبٍ[5] مُـواثِـبِ[6]
فيـا خَيـرَ جَيشٍ بـالـعـراقِ[7] وأهـلِهِ ... سُقيتُمْ رَوايـا كـلّ أسحَـمَ[8] سـاكِـبِ
فـلا يَبْعَـدنْ فـرسـانُـنـا وحُـمـاتُـنـا ... إذا البِيضُ أبـدتْ عن خِدامِ الكـواعِبِ
ومـا قُـتِلوا حـتّى أثـاروا عـصـابَـةً ... مُحِلّينَ[9] نوراً كالشُّموسِ[10] الضّوارِبِ[11]

وقيل: قُتل سليمان ومَن معه في شهر ربيع الآخر[12].

* * *

الخُزاعيُّ الذي هو في هذا الشِّعر هو سليمان بن صُرَد الخزاعيُّ. ورأس بني شمخ هو المسيّب بن نَجَبَة الفزاريُّ. ورأس شَنُوءة هو عبد الله بن سعد بن نُفَيل الأزديُّ أزد

(١) الأوربية: تغاورهم.
(٢) الأوربية: المرئس.
(٣) الأوربية: أصبت.
(٤) الأوربية: وذي.
(٥) الطبري ٥/٦٠٩ «بذُرْلى».
(٦) في (ب): «موايب».
(٧) الطبري: «للجيش».
(٨) في الأوربية: «أسجم»، والاسم: السحاب الداكن.
(٩) في (ب): «محيين».
(١٠) الطبري: «كالليوث»، ومثله في: مروج الذهب ٣/ ٨٠٤.
(١١) الأبيات في: ديوان الأعشى ٣١٥ - ٣١٧، وتاريخ الطبري ٥/٦٠٨، ٦٠٩، وفي مروج الذهب ٣/١٠٣، ١٠٤ (١٤) بيتاً.
(١٢) الطبري ٥/٦٠٩.

شَنُوءة. والتَّيميُّ هو عبد الله بن والٍ التَّيميُّ من تَيْم الّلات بن ثعلبة بن عُكابة بن صَعْب بن عليّ بن بكر بن وائل. والوليد [هو] ابن عصير الكِنانيُّ. وخالد هو خالد بن سعد بن نُفَيْل أخو عبد الله.

(نَجَبَة بالنون، والجيم، والباء الموحّدة المفتوحات).

ذكر بيعة عبد الملك وعبد العزيز ابنَيْ مروان بولاية العهد

في هذه السنة أمر مروان بن الحَكَم بالبيعة لابنيه عبد الملك وعبد العزيز.

وكان السبب في ذلك أنّ عَمْرو بن سعيد بن العاص لما هزم مُصْعبَ بن الزّبير حين وجّهه أخوه عبد الله إلى فلسطين، رجع إلى مروان وهو بدمشق، قد غلب على الشام ومصر، فبلغ مروانَ أنّ عَمراً يقول: إنّ الأمر لي بعد مروان، فدعا مروانُ حسّانَ بن مالك بن بَحْدل[1]، فأخبره أنّه يريد أن يبايع لابنَيْه عبد الملك وعبد العزيز، وأخبره بما بلغه عن عَمرو، فقال: أنا أكفيك عَمراً؛ فلمّا اجتمع الناسُ عند مروان عشيّاً، قام حسّان فقال: إنّه قد بلغنا أنّ رجالاً يتمنّون أمانيَ، قوموا فبايعوا لعبد الملك وعبد العزيز من بعده، فبايعوا عن آخرهم[2].

ذكر بعث ابن زياد وحُبَيْش

في هذه السنة سيّر مروان بن الحكَم بعثَين: أحدهما مع عُبَيد الله بن زياد إلى الجزيرة، ومحاربة زُفَر بن الحارث بقَرْقِيسِيا، واستعمله على كلّ ما يفتحه، فإذا فرغ من الجزيرة توجّه لقصد العراق وأخْذه من ابن الزبير، فلمّا كان بالجزيرة بلغه موت مروان، وأتاه كتاب عبد الملك بن مروان يستعمله على ما استعمله عليه أبوه، ويحثّه على المسير إلى العراق.

والبعث الآخر إلى المدينة مع حُبَيش بن دَلَجة القينيّ[3]، فسار بهم حتى انتهى إلى المدينة، وعليها جابر بن الأسود بن عَوْف ابن أخي عبد الرحمن بن عوف من قِبَل ابن الزُّبير، فهرب منه جابر.

ثمّ إنّ الحارث بن أبي ربيعة، وهو أخو عَمرو بن أبي ربيعة، وجّه جيشاً من البصرة، وكان والياً عليها، لابن الزُّبير وجعل عليهم الحُنَيْف بن النحف التَّيميّ لحرب

---

(١) في الأوربية: «حسّان بن ثابت بن نجدا».

(٢) الطبري ٥/٦١٠.

(٣) في (ب): «العيسي»، و (آ): «القتيبي».

حُبَيش، فلمّا سمع بهم حُبَيش سار إليهم من المدينة، وأرسل عبدُ الله بن الزُّبير العبّاسَ بن سَهْل بن سعد الساعديّ إلى المدينة أميراً، وأمره أن يسير في طلب حُبيش حتّى يوافي الجُنْد من أهل البصرة الذين عليهم الحُنَيف، فأقبل عبّاس في آثارهم حتّى لحِقهم بالرَّبَذة، فقاتلهم حُبَيش، فرماه يزيد بن سِنان[1] بسهم فقتله، وكان معه يومئذ يوسف بن الحَكَم وابنه الحجّاج، وهما على جملٍ واحد، وانهزم أصحابه، فتحرّز منهم خمسمائة بالمدينة، فقال العبّاس بن سهل: انزلوا على حُكمي، فنزلوا، فقتلهم، ورجع فَلّ حُبيش إلى الشام، ولما دخل يزيد بن سنانٍ[1] المدينة كان عليه ثياب بِيض، فاسودّت ممّا مسحه الناس، وممّا صبّوا عليه من الطِّيب[2].

ذكر موت مروان بن الحكَم[3] وولاية ابنه عبد الملك

في شهر رمضان من هذه السنة مات مروان بن الحكَم.

وكان سبب موته أنّ معاوية بن يزيد لما حضرته الوفاة لم يستخلفْ أحداً، وكان حسّان بن بَحْدَل يريد أن يجعل الأمر من بعده في أخيه خالد بن يزيد، وكان صغيراً، وحسّان خال أبيه يزيد، فبايع حسّانُ مروانَ بن الحكَم، وهو يريد أن يجعل الأمر بعده لخالد، فلمّا بايعه هو وأهل الشام قيل لمروان: تزوّجْ أمّ خالد، وهي بنت أبي هاشم بن عُتْبَة، حتّى يصغر شأنه، فلا يطلب الخلافة، فتزوّجها، فدخل خالد يوماً على مروان وعنده جماعة، وهو يمشي بين صفّين، فقال مروان: والله إنّك لأحمق! تعالَ يا ابن الرَّطْبة الاست! يُقَصِّر به لِيُسْقطه[4] من أعيُن أهل الشام[5].

فرجع خالد إلى أمّه فأخبرها، فقالت له: لا يعلمنّ ذلك منك إلاّ أنا، أنا أكفيكه. فدخل عليها مروان فقال لها: هل قال لك خالد فيّ شيئاً؟ قالت: لا، إنّه أشدّ لك تعظيماً من أن يقول فيك شيئاً. فصدّقها ومكث أيّاماً، ثمّ إنّ مروان نام عندها يوماً، فغطّتْه بوسادةٍ حتّى قتلتْه، فمات بدمشق وهو ابن ثلاثٍ وستّين سنة[6]، وقيل: إحدى وستّين[7]. وأراد عبد الملك قتل أمّ خالد، فقيل له: يظهر عند الخلق أن امرأة قتلتْ أباك، فتركها.

---

(١) في (ب): «سياه».

(٢) الطبري ٥/٦١١، ٦١٢.

(٣) انظر عن (مروان بن الحكم) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ) - ص ٢٢٧ - ٢٣٤ رقم ٩٧ وفيه مصادر ترجمته.

(٤) في الأوربية: «تقصّر به لتسقطه».

(٥) الطبري ٥/٦١٠ - ٦١١، مروج الذهب ٣/٩٧، ٩٨.

(٦) مروج الذهب ٣/٩٨.

(٧) الطبري ٥/٦١١.

ولما توفّي مروان قام (بأمر الشام)[1] بعده ابنه عبد الملك، (وكان بمصر ابنه عبد العزيز بطاعة أخيه عبد الملك.

وكان عبد الملك)[2] وُلد لسبعة أشهر، فكان الناس يذمّونه لذلك، قيل: إنّه اجتمع عنده قومٌ من الأشراف، فقال لعُبيد الله بن زياد بن ظبْيان البكريّ: بلغني أنّك لا تشبه أباك، فقال: بلى والله، إنّي لأشبه به من الماء بالماء، والغُراب بالغُراب[3]، ولكن إن شئتَ أخبرتُك بمَنْ لم تُنْضِجه الأرحام، ولم يولد بالتمام، ولم يشبه الأخوال والأعمام[4]. قال: مَنْ ذلك؟ قال: سُوَيْد بن مَنْجُوف، فلمّا خرج عُبيد الله، وسويد قال له سُوَيد: ما سرّني بمقالتك له حُمر النَّعم. فقال عُبَيد الله: وما سرّني والله باحتمالك إيّاي، وسكوتك سودُها.

ذكر صفته ونسبه وأخباره

هو مروان بن الحَكَم بن أبي الحَكَم بن أبي العاص بن أُمَيّة بن عبد شمس، وأمّه آمنة بنت علقمة بن صفوان بن أميّة من[5] كِنانة، وكان مولده سنة اثنتين من الهجرة، وكان أبوه قد أسلم عام الفتح، ونفاه رسول الله ﷺ[6]، إلى الطائف لأنّه يتجسّس عليه، ورآه النبيُّ ﷺ، يوماً يمشي ويتخلّج في مشْيه كأنّه يحكيه، فقال له: كنْ كذلك، فما زال كذلك حتّى مات.

ولما تُوُفّي رسول الله ﷺ، كلّم عثمانُ أبا بكر في ردّه، لأنّه عمّه، فلم يفعل، فلمّا توفّي أبو بكر ووليَ عمر كلّمه أيضاً في ردّه فلم يفعل، فلمّا وليَ عثمان ردّه وقال: إنّ رسول الله ﷺ، وعدني أن يردّه إلى المدينة، فكان ذلك ممّا أنكر الناس عليه.

وتُوُفّي في خلافة عثمان فصلّى عليه، وقد رُويتْ أخبار كثيرة في لعنه ولعن [مَنْ] في صُلبه، رواها الحافظ، في أسانيدها كلام.

وكان مروان قصيراً، أحمر، أوْقص[7]، يُكنّى أبا الحكَم، وأبا عبد الملك، وأعتق

---

(١) في (ب): «بالأمر».
(٢) ما بين القوسين من (ب).
(٣) في الأوربية: «والفرات بالفرات».
(٤) في الأوربية: «والأعوام».
(٥) في (ر): «بن محرث بن».
(٦) زاد في (ر): «وردّه».
(٧) أوْقص: قصير العنق.

في يـوم واحدٍ مـائة رَقَبـة، ووليَ المدينـة لمعاويـة مرّات، فكـان إذا وليَ يبالـغ في سبّ عليّ، وإذا عُزل ووليَ سعيد بن العاص كفّ عنه، (فسُئِل عنه محمّـد بن عليّ الباقـر وعن سعيد، فقال: كان مروان خيراً لنا في السرّ، وسعيد خيراً لنا في العلانية.

وقد أُخرج حديث مروان في الصحيح، وكان الحسن والحسين يصلّيـان خلفه، ولا يعيدان الصلاة[1]. وهو أوّل مَن قدّم الخطبة في صلاة العيد وقبل الصلاة.

ولما مات بويع لولده عبد الملك بن مروان في اليوم الذي مات فيه، وكـان يقال لـه ولولده بنو الزّرقاء، يقول ذلـك مَنْ يريـد ذمّهم وعيبهم، وهي الزّرقـاء بنت موهب، جـدّة مروان بن الحكَم لأبيه، وكانت من ذوات الرايات[2] التي يُستدلّ بهـا على بيوت[3] البغـاء، فلهذا كانوا يذمّـون بها، ولعـلّ هذا كـان منها قبـل أن يتزوّجهـا أبو العـاص بن أميّة والـد الحكَم، فإنّه كان من أشراف قريش، لا يكون هذا من امرأةٍ له وهي عنده، والله أعلم.

(حُبَيْش بن دَلَجَة، بضم الحاء المهملة، وفتـح الباء المـوحّدة المفتـوحة، ثمّ اليـاء لمثنّاة من تحت، وآخره شين معجمة، ودَلَجَة: بفتح الدال واللام).

ذكر مقتل نافع بن الأزرق

في هذه السنة اشتدّت شوكـة نافـع بن الأزرق، وهو الـذي ينتسب إليه الأزارقـة من الخوارج.

وكـان سبب قوّتـه اشتغال أهـل البصرة واختـلافهم بسبب مسعـود بن عَمْـرو وقتْله، وكثـرتْ جموعـه وأقبل نحـو الجسر، فبعث إليـه عبد الله بن الحـارث مسلِمَ بن عُبَيس بن كُرَيز بن ربيعة، فخرج إليـه فرفعـه عن أرض البصرة حتّى بلغ دولاب من أرض الأهـواز، فـاقتتلوا هناك، وجعـل مسلم بن عُبَيس على ميمنتـه الحجّـاجَ بن بـاب الحِمْيـريَّ، وعلى ميسـرته حـارثة بن بـدر الغُدانيَّ، وجعـل ابنُ الأزرق على ميمنته عبيـدةَ بن هلال، وعلى ميسرته الزُّبير[4] بن الماحوز التميميَّ، واشتدّ قتالهم، فقُتل مسلم أمير أهـل البصرة، وقُتـل نافع بن الأزرق أميرُ الخوارج في جُمَـادى الآخرة، فـأمّر أهـل البصرة عليهم الحجّـاج بن باب الحِمْيريَّ، وأمّرت الخوارج عبـد الله بن المـاحـوز التميميَّ، واقتتلوا، فقُتل عبـد الله

(١) تـاريخ دمشق (مخطوطة الظاهريـة) ١٦/١٧٥ أ. تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) - ص ٢٣٢، البـداية والنهاية ٨/٣٥٨.

(٢) في الأوربية: «الروايات».

(٣) في الأوربية: «ثبوت».

(٤) في الأوربية: «الزمن».

والحجّاج، فأمّر أهل البصرة عليهم ربيعة بن الأجرم التميميَّ، وأمّرت الخوارج عُبيدَ الله بن الماحوز التميميَّ، ثمّ عادوا فاقتتلوا حتّى أمسوا، وقد كره بعضُهم بعضاً، وملّوا القتال.

فإنّهم كذلك متواقفون متحاجزون، إذ جاءت الخوارجَ سريّةٌ مستريحةٌ لم تشهد القتال، فحملت على الناسِ من ناحية عبد القيس، فانهزم الناسُ، وقُتِل أميرُ أهل البصرة ربيعةُ، بعد أن قُتل أيضاً دَغْفَل بن حنظلة الشيبانيُّ النسّابة، وأخذ الراية حارثة بن بدر[1]، فقاتل ساعةً، وقد ذهب الناس عنه، فقاتلَ وحمى الناسَ ومعه جماعةٌ من أهل البصرة، ثمّ أقبل حتّى نزل بالأهواز، وبلغ ذلك أهلَ البصرة فأفزعهم، وبعث عبدُ الله (بن الزبير الحارثَ بن أبي ربيعة[2]) وعزل عبدَ الله بن الحارث، فأقبلت الخوارج نحو البصرة[3].

ذكر محاربة المهلّب الخوارج

لما قَرُبتِ الخوارج من البصرة أتَى أهلُها الأحنفَ بن قيس، وسألوه أن يتولّى حربَهم، فأشار بالمهلّب بن أبي صُفْرَة، لِما يعلم فيه من الشجاعة والرأي والمعرفة بالحرب، وكان قد قدِم من عند ابن الزُّبير، وقد ولّاه خُراسان، فقال الأحنف: ما لهذا الأمر غير المهلّب.

فخرج إليه أشراف أهل البصرة فكلّموه، فأبَى، فكلّمه الحارث بن أبي ربيعة، فاعتذر بعهده[4] على خُراسان، فوضع الحارث وأهل البصرة كتاباً إليه عن ابن الزّبير، يأمره بقتال الخوارج، وأتَوْه بالكتاب، فلمّا قرأه قال: والله لا أسير إليهم إلّا أن تجعلوا لي ما غلبتُ عليه، وتُقطعوني من بيت المال ما أقوّي به مَنْ معي.

فأجابوه إلى ذلك وكتبوا له به كتاباً، وأرسلوا إلى ابن الزّبير فأمضاه، فاختار المهلّبُ من أهل البصرة ممّنْ يعرف نجدته وشجاعتَه اثني عشر ألفاً، منهم: محمّد بن واسع، وعبد الله بن رياح الأنصاريُّ، ومعاوية بن قُرّة[5] المُزَنيُّ، وأبو عِمران الجَوْنيُّ، وخرج المهلّب إلى الخوارج وهم عند الجسر الأصغر، فحاربهم وهو في وجوه الناس وأشرافهم، فدفعهم عن الجسر، ولم يكن بقي إلّا أن يدخلوا، فارتفعوا إلى الجسر الأكبر، فسار إليهم في الخيل والرجال. فلمّا رأوه قد قاربهم ارتفعوا فوق ذلك.

---

(١) في الأوربية: «زيد».

(٢) في (ب): «ابن ربيعة».

(٣) الطبري ٥/٦١٣ ـ ٦١٥.

(٤) في (ب): «بولايته».

(٥) في (ر): «مرة».

ولما بلغ حارثةَ بن بدر[1] تأميرُ المهلّب على قتال الأزارقة قال لمن معه [من] الناس:

كَرْنِبوا ودَوْلِبوا حيثُ شئتُم فاذهَبُوا[2]

فأقبل بمن معه نحو البصرة، فردّ الحارثَ بن أبي ربيعة إلى المهلّب، وركب حارثة في سفينة في نهر دُجَيل يريد البصرة، فأتاه رجل من تميم وعليه سلاحه والخوارج وراءه، فصاح التّميميُّ بحارثة يستغيث به ليحمله معه، فقرّب السفينة إلى شاطىء النهر، وهو جُرف، فوثب التّميميُّ إليها، فغاصت بجميع من فيها فغرقوا.

وأمّا المهلّب، فإنّه سار حتّى نزل بالخوارج، وهم بنهر تِيرى[3]، وتنحّوا عنه إلى الأهواز، وسيّر المهلّب إلى عسكرهم الجواسيس تأتيه بأخباره، فلمّا أتاه خبرهم سار نحوهم، واستخلف أخاه المعارك بن أبي صُفْرَة على نهر تِيرَى، فلمّا وصل الأهواز قاتلتِ الخوارج مقدّمته، وعليهم ابنه المغيرة بن المهلّب بن أبي صُفْرة، فجال أصحابه ثمّ عادوا.

فلمّا رأى الخوارج صبرهم ساروا عن سوق الأهواز إلى مَناذر، فسار يريدهم، فلمّا قاربهم سيّر الخوارج جمعاً، عليهم واقد مولى أبي صُفْرة إلى نهر تِيرى، وبها المعارك، فقتلوه وصلبوه، وبلغ الخبر إلى المهلّب، فسيّر ابنَه المغيرة إلى نهر تِيرى، فأنزل عمّه المعارك ودفنه، وسكّن الناس، واستخلف بها جماعةً، وعاد إلى أبيه وقد نزل سُولاف[4].

وكان المهلّب شديد الاحتياط والحذر، لا ينزل إلّا في خندق، وهو على تعبية، ويتولّى الحرسَ بنفسه، فلمّا نازل الخوارجَ بسولاف ركبوا ووقفوا له، واقتتلوا قتالاً شديداً صبر فيه الفريقان، ثمّ حملت الخوارج حملةً صادقةً على المهلّب وأصحابه، فانهزموا وقُتل منهم، وثبت المهلّب، وأبلى ابنه المغيرة يومئذٍ بلاءً حسناً، ظهر فيه أثره، ونادى المهلّب أصحابه، فعادوا إليه معهم جمع كثير نحو أربعة آلاف فارس، فلمّا كان الغد أراد القتال بمن معه، فنهاه بعضُ أصحابه لضعفهم، وكثرة الجراح فيهم، فترك القتال، وسار وقطع دُجَيْل، ونزل بالعاقول، لا يؤتَى إلّا من جهة واحدة، (وفي يوم سُولاف يقول ابن قيس الرُّقيّات:

---

(١) في الأوربية: «زيد».

(٢) الطبري ٥/٦١٧ وزاد «قد أُمِّرَ المهلّبُ».

(٣) في (ر): «تبرا»، و(ب): «برى»، و(ش): «جرى».

(٤) سولاف: بضم أوله وسكون ثانيه، قرية في غربي دُجيل من أرض خوزستان قرب مناذر الكبرى. (معجم البلدان ٣/٢٨٥).

ألا طـرقَـتْ مِـنْ آلِ مَـيّـةَ[1] طـارِقَـهْ　　على أنّهـا مَعشُـوقـةُ الـدَّلّ عـاشـقَـهْ
تميسُ[2] وأرضُ السّـوسِ بَيني وبَينَهـا　　وسُـولافُ رستـاقٌ حـمَـتـهُ الأزارِقَـهْ
إذا نـحنُ شـتّى صـادفـتْنـا[3] عـصـابَـةٌ　　حَـرُورِيّـةٌ أضحتْ مـنَ الـدّين مـارقَـهْ
أجـازت[4] إلَينـا العسكـرَينِ كـلَيهِمـا　　فبـاتَتْ لَـنـا دونَ اللّحـافِ مُـعـانِقَـهْ[5]

وقال فيه بعض الخوارج:

وكـائنْ تـركْنـا يـوْمَ سُـولافَ منهُمُ　　أسارَى وقتلى في الجحيمِ مَصِيرُها

وأكثرَ الشعراءُ فيه.

فلمّا وصل المهلّب إلى العاقول نزل فيه)[6]، وأقام ثلاثة أيّام، ثمّ ارتحل وسار نحو الخوارج، وهم بسِلّى وسِلَّبْرَى[7]، فنزل قريباً منهم، وكان كثيراً ما يفعل أشياء يحدّث بها الناس، لينشطوا إلى القتال، فلا يرون لها أثراً، (حتّى قال الشاعر:

أنـتَ الـفَـتـى كـلّ الـفَـتـى　　لـو[8] كـنـتَ تـصـدق مـا تـقـول)[9]

وسمّاه بعضهم: الكذّاب، وبعض الناس يظنّ أنّه كذّاب في كلّ حال، وليس كذلك، إنّما كان يفعل ذلك مكايدة للعدوّ.

فلمّا نزل المهلّب قريباً من الخوارج وخندق عليه، وضع المسالح، وأذكى العيونَ والحرسَ، والناس على راياتهم ومواقفهم، وأبواب الخندق محفوظة، فكان الخوارج إذا أرادوا بَياته وغِرّته وجدوا أمراً محكماً فرجعوا، فلم يقاتلْهم إنسان كان أشدّ عليهم منه.

ثمّ إنّ الخوارج أرسلوا عُبيدة بن هلال، والزّبير بن الماحوز في عسكر ليلاً إلى عسكر المهلّب ليبيّتوه، فصاحوا بالناس عن يمينهم ويسارهم، فوجدوهم على تعبية قد

---

(١) في الكامل في اللغة والأدب «بَيْبَة».
(٢) في الأوربية: تميتُ؛ و (آ): «تبيست»، وفي الكامل للمبرّد: «تبيت».
(٣) في الأوربية: شنّا صادقتنا؛ وفي الكامل «شتنا».
(٤) في الأوربية: «أحادتْ».
(٥) الأبيات الثلاثة الأولى في الكامل للمبرّد ٢/ ١٣٩.
(٦) ما بين القوسين من (ب).
(٧) سِلّى وسِلِّبْرَى: بكسر أوله وثانيه وتشديده وقصر الألِف. وقيل: سلى بالضم وفتح اللام، وهو جبل بمناذر من أعمال الأهواز. (الفتوح لابن أعثم ٦/ ١٧) ووردت: سليرى في: الكامل للمبرّد ٢/ ٢٣٦.
(٨) في (آ): «أن».
(٩) ما بين القوسين من (ب).

حـذروا، فلم ينالـوا منهم شيئاً، وأصبـح المهلّب، فخـرجَ إليهم في تعبيـة، وجعـل الأزدَ وتميمـاً ميمنةً، وبكـرَ بن وائلٍ وعبـدَ القيس ميسرةً، وأهـل العـاليـة في القلب، وخـرجت الخوارج وعلى ميمنتهم عبيدةُ بن هـلال اليشكُريُّ، وعلى ميسـرتهم الزُّبيـرُ بن الماحـوز، وكانوا أحسن عـدّة وأكرم خيـلاً[1] من أهل البصـرة لأنّهم مخروا الأرض وجـرّدوها مـا بين كَرْمان إلى الأهواز، فالتقى الناس واقتتلوا أشدّ قتال، وصبر الفريقان عـامّة النهـار، ثمّ إنّ الخـوارج شدّتْ على النـاس شدّةً منكـرةً، فأجفلوا وانهـزموا لا يلوي أحـد [على أحدٍ]، حتى بلغت الهزيمةُ البصرة، وخاف أهلُها السباءَ.

وأسرعَ المهلّب حتّى سبق المنهزمين إلى مكان مرتفـع[2]، ثمّ نادى: إليّ عبـادَ الله! فاجتمع إليه ثلاثـةُ آلاف أكثرهم من قـومه من الأزد، فلمّـا رآهم رضي عدّتهم، فخـطبهم وحثّهم على القتـال، ووعدهم النصـر، وأمرهم أن يـأخذ كـلّ رجل منهم عشـرة أحجار، وقـال: سيـروا بنـا نحـو عسكـرهم، فـإنّهم الآن آمنـون، وقـد خـرجتْ خيلهم في طلب إخـوانكم، فوالله إنّي لأرجـو أن لا يرجـع إليهم خيلهم حتّى تستبيحوا عسكـرهم، وتقتلوا أميرهم. فأجابوه، فأقبل بهم راجعاً، فما شعرت الخوارج إلاّ والمهلّب يقاتلهم في جانب عسكرهم، فلقِيهم عبد الله بن المـاحوز والخـوارج، فرمـاهم أصحاب المهلّب بـالأحجار حتّى أثخنوهم، ثمّ طعنوهم بالرماح وضربوهم بالسيوف، فاقتتلوا ساعة، فقُتل عبد الله بن المـاحوز وكثيـرٌ من أصحابـه، وغَنِم المهلّب عسكـرهم، وأقبـل من كـان في طلب أهـل البصرة راجعاً، وقد وضع المهلّب لهم خيلاً ورجالاً تختـطفهم وتقتلهم، وانكفأوا راجعين مذلولين مغلوبين، فارتفعوا إلى كَرمان وجانب أصبهان.

(قال بعض الخوارج لما رأى قتال أصحاب المهلّب بالحجارة.

أتـانـا بـأحـجـارٍ لـيـقـتـلَنـا بـهـا ... وهـل تُقتل الأقـران ويحك بـالحجرْ)[3]

ولما فرغ المهلّب منهم أقام مكانَه حتّى قدِم مُصْعَب بن الـزّبير على البصـرة أميراً، وعزل الحارثَ بن أبي ربيعة؛ (وفي هذا اليوم يقول الصَّلَتان[4] العبديُّ:

بـسِـلّى وسِـلَّبْـرَى مَصـارعُ فـتـيَـةٍ ... كـرامٍ وقتلى[5] لم تُـوَسَّـدْ خـدودُهـا[6]

---

(١) في الأوربية: «خيل».
(٢) الطبري ٥/٦١٨ «إلى مكان يَفاع».
(٣) ما بين القوسين من (ب).
(٤) في الأوربية: «الصلبان».
(٥) في الأوربية: «كرام وجرحى».
(٦) الطبري ٥/٦١٩.

فلما قُتل عبد الله بن الماحوز)[1] استخلف الخوارجُ الزُّبَيرَ بن الماحوز.

وكتب المهلّب إلى الحارث بن أبي ربيعة يعرّفه ظفره، فأرسل الحارثُ الكتابَ إلى ابن الزّبير بمكّة ليقرأه على الناس هناك، وكتب الحارث إلى المهلّب: (أمّا بعدُ، فقد بلغني كتابُك تذكر فيه نصرَ الله وظفرَ المسلمين، فهنيئاً لك يا أخا الأزد شرف الدنيا وعزّها، وثواب الآخرة وفضلها. فلمّا قرأ المهلّب كتابه ضحك وقال: أما يعرفني إلّا بأخي الأزد! ما هو إلّا أعرابيّ جافٍ)[2].

وقيل: إنّ عثمان بن عُبيد الله بن مَعْمر قاتل الخوارج ونافع بن الأزرق قبل مسلم، فقُتل عثمان وانهزم أصحابُه بعد أن قُتل من الخوارج خلقٌ كثير، (فسُيِّر إليهم من البصرة بعده حارثة بن بدر الغُدانيُّ[3]، فلمّا رآهم عرف أنّه لا طاقة له بهم، فقال لأصحابه:

كَرْنِبوا ودَولِبوا كَيفَ شِئتُم فاذْهَبُوا[4]

يعني ما شاء؛ ثمّ سار بعده مسلم بن عُبَيْس)[5].

وقيل: إنّ المهلّب لما دفع الخوارج من البصرة إلى ناحية الأهواز أقام بقيّة سنته يَجْبي كُوَر دجلة، ورَزَق أصحابه، وأتاه المدد من البصرة حتّى بلغ أصحابه ثلاثين ألفاً.

فعلى هذا تكون هزيمة الخوارج سنة ستّ وستّين.

ذكر نَجْدَة بن عامر الحنفيّ

هو نَجْدَة بن عامر بن عبد الله بن ساد بن المفرّج الحنفيُّ، وكان مع نافع بن الأزرق، ففارقه لإحداثه في مذهبه ما تقدّم ذكره، وسار إلى اليمامة، ودعا أبا طالوت إلى نفسه، فمضى إلى الخضارم[6] فنهبها، وكانت لبني حنيفة، فأخذها منهم معاوية بن أبي سفيان، فجعل فيها من الرقيق ما عدّتهم وعدّة أبنائهم ونسائهم أربعة آلاف، فغنم ذلك وقسّمه بين أصحابه، وذلك سنة خمسٍ وستّين، فكثُر جمْعه.

ثمّ إنّ عِيراً خرجتْ من البحرين، وقيل من البصرة، تحمل مالاً وغيره يُراد بها ابن

---

(١) ما بين القوسين من (ب).

(٢) ما بين القوسين من (ب)، وفي تاريخ الطبري ٥/٦٢٠ «أما تظنّونه يعرفني إلّا بأخي الأزد، ما أهل مكة إلا أعراب».

(٣) في الأوربية: «حارثة بن يزيد العبداني».

(٤) تقدّم مثله قبل قليل.

(٥) ما بين القوسين من (ب).

(٦) في طبعة صادر ٤/٥٤ «الحضارم» بالحاء المهملة، والخضارم: وادٍ باليمامة.

الزّبير، فاعترضها نَجْدة، فأخذها وساقها حتّى أتَى بها أبا طالوت بالخضارم، فقسّمها بين أصحابه، وقال: اقتسموا هذا المال، ورُدّوا هؤلاء العبيد، واجعلوهم يعملون الأرض لكم، فإنّ ذلك أنفع. فاقتسموا المالَ وقالوا: نجدة خير لنا من أبي طالوت؛ فخلعوا أبا طالوت وبايعوا نَجدة وبايعه أبو طالوت، وذلك في سنة ستٍّ وستّين، ونجدة يومئذ ابن ثلاثين سنة.

ثمّ سار في جمْعٍ إلى بني كعب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعة، فلقِيهم بذي المجاز، فهزمهم وقتلهم قتلاً ذريعاً، وصبر كِلاب وعطيف ابنا قُرّة بن هبيرة القُشيريّان، وقاتلا حتّى قُتلا، وانهزم قيس بن الرقاد الجَعْديُّ، فلحِقه أخوه لأبيه معاوية، فسأله أن يحمله رِدْفاً، فلم يفعل.

ورجع نجدة إلى اليمامة، فكثُر أصحابه، فصاروا ثلاثة آلاف، ثمّ سار نجدة إلى البحرين سنة سبْعٍ وستّين، فقالت الأزد: نجدة أحبّ إلينا من وُلاتنا، لأنّه يُنْكر الجُور ووُلاتنا يجوّزونه، فعزموا على مُسالَمته، واجتمعتْ عبد القيس ومَن بالبحرين غير الأزد على محاربته، فقال بعض الأزد: نجدة أقرب إليكم منه إلينا، لأنّكم كلّكم من ربيعة فلا تحاربوه! وقال بعضهم: لا نَدَعُ نجدة وهو حَرُوريٌّ مارق تجري علينا أحكامه. فالتقوا بالقطيف، فانهزمت عبدُ القيس، وقُتل منهم جمعٌ كثير، وسبَى نجدة مَنْ قدر عليه من أهل القطيف؛ (فقال الشاعر:

نصَحتُ لعبدِ القيسِ يومَ قَطيفِها وما نَفْعُ نُصْحٍ، قيل، لا يُتَقَبَّلُ)[1]

وأقامَ نجدةُ بالقَطيف، ووجّه ابنَه المطرّحَ في جمع إلى المنهزمين من عبد القيس، فقاتلوه بالثُّوَيْر، فقُتل المطرّح بن نجدة وجماعة من أصحابه.

وأرسل نجدةُ سريّةً إلى الخط فظفر بأهله، وأقام نجدة بالبحرين، فلمّا قدِم مُصْعَب بن الزّبير إلى البصرة سنة تسعٍ وستّين بعث إليه عبدَ الله بن عُمَير الليثيَّ الأعور في أربعة عشر ألفاً، (فجعل يقول: اثبتْ نجدة فإنّا لا نفرّ)[2]، فقدِم ونجدة بالقَطيف، فأتَى نجدة إلى ابن عُمَير، وهو غافل، فقاتلهم طويلاً وافترقوا، وأصبح ابنُ عمير، فهاله ما رأى في عسكره من القتلى والجرحى، وحمل عليهم نجدة، فلم يلبثوا أن انهزموا، فلم يُبْقِ عليهم نجدة، وغَنِم ما في عسكرهم، وأصاب جواري فيهنّ أمّ ولد لابن عُمَير، فعرض عليها أن يرسلها إلى مولاها فقالت: لا حاجة بي إلى من فرعني وتركني.

---

(١) ما بين القوسين من (ب).
(٢) ما بين القوسين من (ب).

وبعث نجدةُ أيضاً بعد هزيمة ابن عُمَير جيشاً إلى عُمان، واستعمل عليهم عطيّةَ بن الأسود الحنفيَّ، وقد غلب عليها عَبّاد بن عبد الله، وهو شيخ كبير، وابناه سعيد وسليمان يعشّران السفن ويَجبيان البلاد، فلمّا أتاهم عطيّةُ قاتلوه، فقُتل عبّاد، واستولى عطيّةُ على البلاد، فأقام بها أشهراً، ثمّ خرج منها واستخلف رجلاً يُكَنّى أبا القاسم، فقتله سعيد وسليمان ابنا عبّاد وأهل عُمان.

ثمّ خالف عطيّةُ نجدةَ، على ما نذكره إن شاء الله، فعاد إلى عُمان، فلم يقدر عليها، فركب في البحر وأتى كَرْمان وضرب بها دراهم سمّاها العَطَويّة، وأقام بكَرمان. فأرسل إليه المهلّب جيشاً، فهرب إلى سِجِسْتان ثمّ إلى السِّند، فلقِيه خيلُ المهلّب بقَنْدابيل[1] فقتله، وقيل: قتله الخوارج.

ثمّ بعث نجدةُ إلى البوادي بعد هزيمة ابن عُمَير أيضاً مَنْ يأخذ من أهلها الصدقةَ، فقاتل أصحابُه بني تميم بكاظمة، وأعان أهلُ طُوَيْلع بني تميم، فقتلوا من الخوارج رجلاً، فأرسل نجدةُ إلى أهل طُوَيْلع مَنْ أغار عليهم وقتل منهم نيّفاً وثلاثين رجلاً وسبى. ثمّ إنّه دعاهم بعد ذلك فأجابوه، فأخذ منهم الصدقة، ثمّ سار نجدةُ إلى صنعاء في خِفّ[2] من الجيش، فبايعه أهلها وظنّوا أن وراءه جيشاً كثيراً، فلمّا لم يرَوا مَدَداً يأتيه ندموا على بيعته، وبلغه ذلك فقال: إن شئتم أقلتكم بَيعتكم، وجعلتكم في حِلّ منها وقاتلتكم. فقالوا: لا نستقيل بيعتنا. فبعث إلى مخاليفها، فأخذ منهم الصدقة، وبعث نجدةُ أبا فُدَيْك إلى حضرموت، فجبَى صدقات أهلها.

وحجّ نجدةُ سنة ثمانٍ وستّين، وقيل: سنة تسعٍ وستّين، وهو ثمانمائة وستّين رجلاً، وقيل في ألفَيْ رجل وستّمائة رجل، وصالح ابنَ الزّبير على أن يصلّي كلّ واحد بأصحابه ويقف بهم، ويكفّ بعضهم عن بعض.

فلمّا صدر نجدة عن الحجّ سار إلى المدينة، فتأهّب أهلُها لقتاله، وتقلّد عبدُ الله بن عمر سيفاً، فلمّا كان نجدة بنَخل أُخْبِر بلبْس ابن عمر السلاح، فرجع إلى الطائف، وأصاب بنتاً لعبد الله بن عَمرو بن عثمان كانت عند ظِئرٍ لها، فضمّها إليه، فقال بعضُ أصحابه: إنّ نجدة ليتعصّب لهذه الجارية فامتحنوه، فسأله بعضهم بيعها[3] منه، فقال: قد أعتقتُ نصيبي منها، فهي حرّة. قال: فزوّجني إيّاها. قال: هي بالغ وهي

---

(١) قندابيل: بالفتح ثم السكون والدال المهملة وبعد الألف باء موحّدة مكسورة ثم ياء بنقطتين من تحت ولام. مدينة بالسند قصبة لولاية. (مراصد الإطلاع).

(٢) الخِف: بالكسر، الجماعة: القليلة.

(٣) في الأوربية: «ببيعها».

أَمْلَكُ بنفسها، فأنا أستأمرها؛ فقام من مجلسه ثمّ عاد، قال: قد استأمرتُها وكرهت الزواج[1].

فقيل: إنّ عبد الملك، أو عبد الله بن الزُبير كتب إليه: واللّهِ لئنْ أحدثتَ فيها حَدثاً لأطأنّ بلادك وطأة لا يبقى معها بِكْرِيٌّ.

وكتب نجدة إلى ابن عمر يسأله عن أشياء، فقال: سلوا ابن عبّاس، فسألوه، ومُساءلة ابن عبّاس مشهورة.

ولما سار نجدة من الطائف أتاه عاصم بن عُرْوَة بن مسعود الثقفيُّ، فبايعه عن قومه، ولم يدخل نجدةُ الطّائف، فلمّا قدِم الحَجّاج الطائفَ لمحاربة ابنِ الزُّبير قال لعاصم: يا ذا الوَجْهين بايعتَ نجدة! قال: إي والله وذو عشرة أوجُه، أعطيتُ نجدة الرّضى، ودفعته عن قومي وبلدي.

واستعمل الحاروقَ، وهو حرّاق، على الطائف وتَبالة والسَّراة، واستعمل سعدَ الطلائع على ما يلي نَجْران، ورجع نجدةُ إلى البحرين، فقطع المِيرة عن أهل الحرمَين منها ومن اليمامة، فكتب إليه ابن عبّاس: إنّ ثُمامة بن أثال لما أسلم قطع الميرة عن أهل مكّة وهم مشركون، فكتب إليه رسول الله ﷺ: إنّ أهل مكّة أهل الله فلا تمنعْهم الميرة، فجعلها لهم، وإنّك قطعتَ الميرةَ عنّا ونحن مسلمون. فجعلها نجدةُ لهم.

ولم يزلْ عمّال نجدة على النواحي حتّى اختلف عليها أصحابه[2]، فطمع فيهم الناس؛ فأمّا الحاروق فطلبوه[3] بالطّائف فهرب، فلمّا كان في العَقَبة في طريقه، لحِقه قومٌ يطلبونه، فرموه بالحجارة حتّى قتلوه.

ذكر الاختلاف على نَجْدَة وقتله وولاية أبي فُدَيْك

ثمّ إنّ أصحاب نجدة اختلفوا عليه لأسباب نقموها منه، فمنها: أنّ أبا سِنان حيّ بن وائل أشار على نجْدة بقتل مَنْ أجابه تَقِيّة، فشتمه نجدة، فهَمّ بالفتك به، فقال له نجدة: كلّف الله أحداً علم الغيب؟ قال: لا. قال: فإنّما علينا أن نحكم بالظاهر. فرجع أبو سِنان إلى نجدة.

ومنها: أنّ عطيّة بن الأسود خالف على نجدة، وسببه أن نجدة سيّر سريّةً بحراً

(١) في الأوربية: «الزوج».
(٢) نهاية الأرب ٢١/٥٤ ـ ٥٧.
(٣) الأوربية: «فطالبوه».

وسريّةً برّاً، فأعطى سريّة البحر أكثر من سريّة البرّ، فنازعه عطيّةُ حتّى أغضبه، فشتمه نجدة، فغضب عليه وألّب الناس عليه. وكُلّم نجدة في رجلٍ يشرب الخمر في عسكره فقال: هو رجل شديد النكاية على العدوّ، وقد استنصر رسول الله ﷺ، بالمشركين وكتب عبد الملك إلى نجدة يدعوه إلى طاعته ويولّيه[1] اليمامة، ويُهْدر له ما أصاب من الأموال والدماء، فطعن عليه عطيّة وقال: ما كاتبه عبد الملك حتّى علم منه دهاناً في الدّين، وفارقه إلى عُمان.

ومنها أنّ قوماً فارقوا نجدة واستنابوه، فحلف أن لا يعود، ثمّ ندِموا على استنابته وتفرّقوا، ونقموا عليه أشياء أُخَر، فخالف عليه عامّة مَنْ معه، فانحازوا عنه وولّوا أمرهم أبا فُدَيك عبد الله بن ثَوْر، أحد بني قيس بن ثعلبة، واستخفى نجدةُ، فأرسل أبو فُدَيْك في طلبه جماعةً من أصحابه وقال: إنْ ظفرتم به فجيئوني به. وقيل لأبي فُدَيك: إن لم تقتل نجدة تفرّق الناس عنك، فألحّ في طلبه. وكان نجدة مستخفياً في قرية من قرى حجر، وكان للقوم الذين اختفى عندهم جاريةٌ يخالف إليها راعٍ لهم، فأخذت الجارية من طِيب كان مع نجدة، فسألها الراعي عن أمرَ الطِّيب، فأخبرتْهُ، فأخبر الراعي أصحاب أبي فُدَيْك بنجدة، فطلبوه، فنذِر بهم، فأتَى أخوالَه من بني تميم، فاستخفى عندهم. ثمّ أراد المسير إلى عبد الملك، فأتَى بيته ليعهد إلى زوجته، فعلم به الفُدَيكيّة وقصدوه، فسبق إليه رجلٌ منهم فأعلمه، فخرج وبيده السيف، فنزل الفُدَيكيّ عن فرسه وقال: إنّ فرسي هذا لا يُدْرَك فاركبْه، فلعلّك تنجو عليه. فقال: ما أُحبّ البقاء، ولقد تعرّضتُ للشهادة في مواطن ما هذا بأحسنها[2]، وغشِيه أصحاب أبي فُدَيك فقتلوه، وكان شجاعاً كريماً، (وهو يقول:

وإن جرّ مَوْلانا علَينا جريرَةً صَبرْنا لها إنّ الكرامَ الدّعائِمُ)[3]

ولما قُتل نجدة سخّط قتلُه قوماً من أصحاب أبي فُدَيْك ففارقوه، وثار به مِسلم بن جُبَير، فضربه اثنتي عشرة[4] ضربة بسكّين، فقُتل مسلم، وحُمل أبو فُديك إلى منزله فبرأ[5].

---

(١) في الأوربية: «وتولية».

(٢) في (ب): «باخسها».

(٣) ما بين القوسين من (ب).

(٤) في الأوربية: «اثني عشر».

(٥) نهاية الأرب ٢١/ ٥٨.

ذكر استعمال مُصْعَب على المدينة

في هذه السنة عزل عبدُ الله بن الزبير أخاه عُبَيْدة بن الزُّبير عن المدينة، واستعمل أخاه مُصْعباً.

وسبب ذلك أنّ عُبيدة خطب الناس فقال لهم: قد ترون ما صنع الله بقومٍ في ناقةٍ قيمتها خمسة دراهم، فسُمّي مقوِّم الناقة، فبلغ ذلك أخاه عبد الله، فعزله واستعمل مُصعَباً[1].

ذكر بناء ابن الزّبَير الكعبة

لما احترقت الكعبةُ حين غزا أهلُ الشام عبدَ الله بن الزبير أيّام يزيد، تركها ابن الزبير، يشنّع بذلك على أهلِ الشام، فلمّا مات يزيد واستقرّ الأمرُ لابن الزّبير شرع في بنائها، فأمر بهدمها حتّى أُلحِقت بالأرض، وكانت قد مالت حيطانها من حجارة المنجنيق، وجعل الحجر الأسود عنده، وكان الناس يطوفون من وراء الأساس، وضرب عليها السُّور، وأدخل فيها الحِجْر، (واحتجّ بأنّ رسول الله ﷺ، قال لعائشة: «لولا حدثان عهد قومك بالكُفْر لرددْتُ الكعبة على أساس إبراهيم وأزيد فيها الحِجْر)[2].

فحفر ابنُ الزُّبير، فوجد أساساً أمثال الجِمال، فحرّكوا منها صخرةً، فبرقت بارقة فقال: أقِرّوها على أساسها وبنائها، وجعل لها بابَين يُدْخل من أحدهما ويُخرج من الآخر.

وقيل: كانت عمارتها سنة أربعٍ وستّين[3].

---

(١) نهاية الأرب ٢١/٥٩.

(٢) ما بين القوسين من (ب).

والحديث صحيح، عن عائشة رضي الله عنها، أخرجه البخاري في العلم ١/١٩٨ و ١٩٩ باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهْم بعض الناس عنه فيقعوا في أشدّ منه، وفي الحج، باب فضل مكة وبنيانها، وفي الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿**واتخذ الله إبراهيم خليلاً**﴾؛ وفي تفسير سورة البقرة، باب قوله تعالى: ﴿**وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت**﴾، وفي التمنّي، باب ما يجوز من الله.

وأخرجه مسلم في الحج (١٣٣٣) باب نقض الكعبة وبنائها.

(٣) أنظر عن بناء الكعبة في: تاريخ خليفة ٢٦١، وتاريخ اليعقوبي ٢/٢٦٠، وأنساب الأشراف ج ٤ ق ١/٣٤٩ رقم ٩٠٠، وتاريخ الطبري ٥/٦٢٢، وأخبار مكة للأزرقي ٢/٦٩ - ٧١، ومروج الذهب ٣/٩٢، والأخبار الطوال ٢٨٧، ٢٨٨، وتاريخ العظيمي ١٨٧، ونهاية الأرب ٢١/٦٠، ٦١، والأغاني ٣/٢٧٧، وتاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ) ص ٣٩، ٤٠، والبداية والنهاية ٨/٢٥٠، ٢٥١، وشفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ١/٣٤٢، ومآثر الإنافة ١/١٢٣.

ذكر الحرب بين ابن خازم وبني تميم

في هذه السنة كانت الحرب بين ابن خازم السُّلَميّ وبني تميم بخُراسان.

وسبب ذلك أنّ مَنْ كان بخُراسان من بني تميم أعانوا ابن خازم على مَنْ بها من ربيعة، وقد تقدّم ذكر ذلك، فلمّا صفتْ له خُراسان جفا بني تميم، وكان قد جعل ابنه محمّداً على هَراة، وجعل على شُرطته بُكَير بن وَسَّاج، وضمّ إليه شمّاس بن دِثار العُطارديّ، وكانت أمّ محمد تميميّة، فلمّا جفا ابن خازم بني تميم أتوا ابنه محمّداً بهَراة، فكتب ابن خازم إلى ابنه محمّد وإلى بُكير وشمّاس يأمرهم بمنعهم عن هَراة، فأمّا شمّاس فصار مع بني تميم، وأمّا بُكير فإنّه منعهم، فأقاموا ببلاد هَراة، فأرسل بُكَير إلى شمّاس: إنّي أعطيتُك ثلاثين ألفاً، فأعطِ كلّ رجلٍ من بني تميم ألفاً على أن ينصرفوا.

فأَبَوا عليه، وأقاموا يترصّدون محمّداً، فخرج يتصيّد، فأخذوه وشدّوه وثاقاً، وشربوا ليلتهم، وجعلوا يبولون عليه كلّما أرادوا البَوْل، فقال لهم شمّاس: أما إذ بلغتم هذا منه فاقتلوه بصاحبَيْكما اللّذين قتلهما بالسِّياط. وكان قد ضرب رجلَين من تميم بالسّياط حتّى ماتا. فقاموا إليه ليقتلوه، فنهاهم عنه جَيْهان بن مَشْجَعَة[1] الضّبّيُّ، وألقى نفسه عليه، فلم يقبلوا منه وقتلوا محمّداً. فشكر ابن خازم لجَيْهان ذلك، [فلم] يقتله[2] فيمَنْ قتل [يومَ] فَرْتنا[3].

وكان الذي تولّى قتل محمّد رجلان، اسم أحدهما عجلة، واسم الآخر كُسَيب. فقال ابن خازم: بئس ما اكتسب كُسيب لقومه، ولقد عجّل عَجَلة لقومه شرّاً[4].

وأقبلت تميم إلى مَرْو، وأمّروا عليهم الحَريش بن هلال القُرَيعيَّ، وأجمع أكثرهم على قتال ابن خازم، فقاتل الحَريشُ بن هلال عبدَ الله بن خازم سنتَين، فلمّا طالت الحربُ خرج الحَريش فنادى ابنَ خازم وقال له: طالت الحرب بيننا، فعلامَ تقتل قومي وقومك؟ ابرزْ إليّ فأيّنا قتلَ صاحبه صارت الأرض لهُ.

فقال له ابن خازم: قد أنصفتَ. فبرز إليه فتضاربا وتصاولا تصاول الفحلَين، لا يقدر أحدهما على صاحبه، ثمّ غفل ابن خازم، فضربه الحَريش على رأسه، فألقى فروةَ رأسه على وجهه، وانقطع ركابُ الحَريش وانتزع السيف، ولزم ابنُ خازم عنق فرسه

---

(١) في الأوربية: «حيّان بن مشجة».

(٢) في الأوربية: «بقتله».

(٣) في الأوربية: «قريباً». وفَرْتَنا: فَرْتَنَى: بفتح أوله، وسكون ثانيه، وتاء مثنّاة من فوق، ونون مفتوحة، مقصور. هو قصر بمرو الروذ.

(٤) الطبري ٥/٦٢٣، ٦٢٤.

راجعاً إلى أصحابه، ثمّ غاداهم القتال، فمكثوا بذلك بعد الضربة أيّاماً، ثمّ ملَّ الفريقان، فتفرّقوا ثلاث فِرَق: فرقة إلى نَيْسابور مع بَحير بن ورقاء، وفرقة إلى ناحيـة أخرى، وفـرقة فيها الحَريش إلى مرو الرُّوذ، فاتّبعه ابن خـازم إلى قريـة تسمّى الملحمة، والحَـريش في اثني عشر رجلاً، وقـد تفرّقتْ عنـه أصحابـه، وهم في خربـة، فلمّا انتهى إليـه ابن خازم خرج إليه في أصحابه، فحملَ مولًى لابن خازم على الحَريش، فضـربه فلم يصنـع شيئاً، فقال الحَريش لرجل معه: إنّ سيفي لا يصنع في سلاحه شيئـاً، فأعـطِني خشبة، فـأعطاه عوداً من عُنّاب، فحمل على المولى فضربه، فسقط وقيذاً، ثمّ قال لابن خـازم: ما تـريد منّي وقدخلّيتُك والبلاد؟ قال: إنّك تعود إليها. قال: لا أعود، فصالحه على أن يخرج من خُـراسان، ولا يعـود إلى قتالـه، فأعـطاه ابن خازم أربعين ألفـاً، وفتح لـه الحَـرِيش بـاب القصر، فدخله ابن خازم، وضمن له وفاء دَيْنه، وتحدّثا طويلاً.

وطارت قطنةٌ عن الضّربة التي برأس ابن خازم، فأخذها الحَرِيش ووضعها مكـانها، فقـال له ابن خـازم: مسُّك اليـوم ألْين من مسّك أمس. فقـال الحَـرِيش: معـذرة إلى الله وإليـك، أما والله لـولا [أنّ] ركابي انقـطع[1] لخـالط السيف رأسـك، (قـال الحَـرِيش في ذلك:

أزالَ عُـظْمَ ذراعـي[2] عَـن مُـرَكَّـبـهِ حمـلُ الـرُّدينيِّ في الإدلاجِ بـالسَّحَـرِ[3]
حَـوْلَينِ مـا اغتَمَضَتْ عَيني بمنـزِلَـةٍ إلاّ وكَـفّي وِسـادٌ لـي عـلى حَـجَـرِ
بَـزِّي[4] الحَـديـدُ وسرْبـالي إذا هجَعتْ عنّي العيونُ مِحال القـارح[5] الـذَّكَـرِ)[6]

* * *

(بَحِيـر بن ورقاء: بفتـح الباء المـوحّدة، والحـاء المهملة المكسـورة. والحَـريش: بالحاء والراء المهملتَين، والشين المعجمة).

---

(١) في الأوربية: «انقطعوا».
(٢) الطبري ٥/٦٢٦ «يميني».
(٣) الطبري: «والسحر».
(٤) في الأوربية: «يرى».
(٥) في الأوربية: «مجال القالح».
(٦) ما بين القوسين من (ب)، والأبيات في: تاريخ الطبري ٥/٦٢٦.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة وقع طاعون الجارف بالبصرة[1]، وعليها عُبيد الله بن مَعْمَر، فهلك به خلق كثير، فماتت أمّ عُبيد الله، فلم يجدوا لها من يحملها حتّى استأجروا مَنْ حملها[2]، وهو الأمير.

وحجّ بالناس عبد الله بن الزّبير[3]. وكان على المدينة مُصْعَب، وعلى الكوفة ابن مُطيع، وعلى البصرة الحارث بن أبي ربيعة[4] المخزوميُّ، وعلى خُراسان عبد الله بن خازم.

[الوَفَيات]

وفيها توفّي عبد الله بن عمرو بن العاص[5] السَّهْميُّ، وكان قد عَمِي آخر عمره، وكانت وفاته بمصر، وقيل: توفّي سنة ثمانٍ وستّين.

---

(١) يذكر خليفة خبر الطاعون في حوادث سنة ٦٩ هـ. تاريخ خليفة ٢٦٥، وكذلك البلاذري في: أنساب الأشراف ج ٤ ق ١/٤٦٥، وتاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) - ص ٦٦.

(٢) نهاية الأرب ٢١/٦٣ البداية والنهاية ٨/٢٦٢.

(٣) تاريخ خليفة ٢٦١، المحبّر ٢٢، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٦٨، المعرفة والتاريخ ٣/٣٣١، مروج الذهب ٤/٣٩٨، تاريخ العظيمي ١٨٨، نهاية الأرب ٢١، ٦٣، البداية والنهاية ٨/٢٦٣، شفاء الغرام ٢/٣٤٠، الذهب المسبوك للمقريزي ٢٥، تاريخ دمشق ٤٥٤ و ٤٥٥، مآثر الإنافة ١/١٢٣.

(٤) في طبعة صادر ٤/٢١٠ «الحارث بن ربيعة»، والتصويب من: الأخبار الطوال ٢٧٣، ونهاية الأرب ٢١/٦٣.

(٥) انظر عن (عبد الله بن عمرو) في: تاريخ الإسلام (٦١-٨٠ هـ.) ص ١٦ رقم ٥٥ وفيه مصادر ترجمته.

٦٦
ثم دخلت سنة ستٍّ وستين[1]

ذكر وثوب المُخْتار بالكوفة

في هذه السنة رابع عشر ربيع الأوّل وثب المختارُ بالكوفة، وأخرج عنها عبدَ الله بن مُطيع عامل عبد الله بن الزّبَير.

وسبب ذلك أنّ سليمان بن صُرَد لما قُتل قدِم من بقي من أصحابه الكوفةَ، فلمّا قدِموا وجدوا المختار محبوساً قد حبسه عبد الله بن يزيد الخَطْميُّ، وإبراهيم بن محمّد بن طلحة، وقد تقدّم ذكر ذلك، فكتب إليه من الحبس يُثني عليهم ويمنّيهم الظفر، ويعرّفهم أنّه هو الذي أمره محمّد بن عليّ، المعروف بابن الحنفيّة، بطلب الثأر، فقرأ كتابَه رِفاعة بن شدّاد، والمُثَنّى بن مُخَرِّبة العبديُّ، وسعد بن حُذَيْفة بن اليَمان، ويزيد بن أَنَس، وأحمر بن شُمَيط الأحمسيّ، وعبد الله بن شدّاد البَجَليُّ، وعبد الله بن كامل، فلمّا قرأوا كتابه بعثوا إليه ابن كامل يقولون له: إنّنا بحيث يسرّك، فإنْ شئتَ أن نأتيك ونُخْرجك من الحبس فعلنا. فأتاه فأخبره، فسُرّ بذلك وقال لهم: إنّي أخرج في أيّامي هذه[2].

وكان المختار قد أرسل إلى ابن عمر يقول له: إنّني قد حُبستُ مظلوماً، ويطلب إليه أن يشفع فيه إلى عبد الله بن يزيد، وإبراهيم بن محمّد بن طلحة، فكتب إليهما ابنُ عمر في أمره، فشفّعاه وأخرجاه من السجن وضمناه، وحلّفاه أنّه لا يبغيهما غائلةً، ولا يخرج عليهما ما كان لهما سلطان، فإنْ فعل فعليه ألف بَدَنة ينحرها عند الكعبة، ومماليكه أحرار ذَكَرُهم وأنثاهم.

فلمّا خرج نزل بداره، فقال لمن يثق به: قاتلهم الله ما أحمقهم حين يرَون أنّي أفي لهم! أمّا حلفي بالله، فإنّني إذا حلفتُ على يمين، فرأيتُ خيراً منها (كفّرتُ عن)[3]

---

(١) من هنا يبدأ الجزء الرابع من نسخة باريس (ب/ أ).

(٢) الطبري ٦/٧، ٨.

(٣) في الأوربية: «أن أكفّر من».

يميني، وخروجي عليهم خير من كفّي عنهم، وأمّا هدي البُدْن وعتْق المماليك فهو أهون عليّ من بصقة، فوددتُ أن تمّ لي أمري، ولا أملك بعده مملوكاً أبداً.

ثمّ اختلفتْ[1] إليه الشيعةُ، واتّفقوا على الرضى به، ولم يزل أصحابه يكثرون، وأمرُه يقوى حتّى عزل ابنُ الزبير عبدَ الله بن يزيد الخَطميَّ، وإبراهيم بن محمّد بن طلحة، واستعمل عبدَ الله بن مطيع على عملهما بالكوفة، فلقِيه بَحير بن ريسان[2] الحِمْيريُّ عند مسيره إلى الكوفة، فقال له: لا تَسِرِ الليلة، فإنّ القمر بالناطح فلا تَسِرْ، فقال له: وهل نطلب إلّا النطح! فلقي نطحاً كما يريد، فكان البلاء موكَّلاً بمنطقه، وكان شجاعاً.

وسار إبراهيم إلى المدينة، وكسر الخراج وقال: كانت فتنة، فسكت عنه ابنُ الزّبير.

وكان قدوم ابن مطيع في رمضان لخمس بقين منه، وجعل على شُرطته إياسَ بن مُضارب[3] العِجْليَّ، وأمره بحُسْن السيرة والشّدّة على المُريب، ولما قدِم صعِد المنبر، فخطبهم وقال: أمّا بعدُ، فإنّ أمير المؤمنين بعثني على مِصركم وثغوركم، وأمرني بجباية فَيْئكم، وأن لا أحمل فضل فَيْئكم عنكم إلّا برضى منكم، وأن أتبع وصيّة عمر بن الخطّاب الّتي أوصى بها عند وفاته، وسيرة عثمان بن عفّان، فاتّقوا الله واستقيموا[4] ولا تختلفوا، وخذوا على أيدي سفهائكم، فإن لم تفعلوا فلوموا أنفسكم [ولا تلوموني]، فوالله لأوقعنّ بالسقيم العاصي، ولأقيمنّ درء الأصعر[5] المرتاب.

فقام إليه السائب بن مالك الأشعريُّ فقال: أمّا حمل فيئنا برضانا، فإنّا نشهد أنّا لا نرضى أن يُحْمَل عنّا فضله، وأن لا يُقسم إلّا فينا، وأن لا يُسار فينا إلّا بسيرة عليّ بن أبي طالب التي سار بها في بلادنا هذه حتّى هلك، ولا حاجة لنا في سيرة عثمان في فَيئنا ولا في أنفسنا، ولا في سيرة عمر بن الخطّاب فينا، وإن كانت أهوَن السيرتَين علينا، وقد كان يفعل بالناس خيراً.

فقال يزيد بن أنس: صدق السائب وَبرّ.

فقال ابن مطيع: نسير فيكم بكلّ سيرة أحببتموها. ثمّ نزل.

---

(1) في (ب أ) «اجتمعت».
(2) في (ب): «ركيان»، و (ر): «ريسان». وفي طبعة صادر ٤/ ٢١٢ «رستان»، والمثبت عن الطبري.
(3) في الأوربية: «إياس بن أبي مضارب».
(4) في (ب أ) «واستعينوا».
(5) في الأوربية: «الأصغر».

وجاء إياس بن مُضارب إلى ابن مطيع فقال له: إنّ السائب بن مالك من رؤوس أصحاب المختار، فابعثْ إلى المختار فلْيأتك، فإذا جاء فاحبسْه حتّى يستقيم أمرُ الناس، فإنّ أمرَه قد استجمع له، وكأنّه قد وثب بالمِصْر.

فبعث ابن مطيع إلى المختار زائدةَ بن قُدامة، وحسين بن عبد الله البَرْسَميَّ من همدان، فقالا: أجبِ الأمير، فعزم على الذّهاب، فقرأ زائدة: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾[1] الآية؛ فألقى المختارُ ثيابَه وقال: ألقوا عليّ قطيفةً فقد وعكتُ، إنّي لأجد برداً شديداً، ارجعا إلى الأمير فأعلِماه حالي. فعادا إلى ابن مطيع فأعلماه، فتركه[2].

ووجّه المختار إلى أصحابه، فجمعهم حوله في الدُّور، وأراد أن يثب في الكوفة في المحرّم، فجاء رجلٌ من أصحاب شِبام، وشِبام حيّ من همدان. وكان شريفاً اسمه عبد الرحمن بن شُرَيْح، فلقي سعيدَ بن مُنْقذ الثّوْريَّ، وسِعْر بن أبي سِعْر الحَنَفيّ، والأسود بن جَرَاد الكِنْديّ، وقُدامة بن مالك الجُشَميّ، فقال لهم: إنّ المختار يريد أن يخرج بنا، ولا ندري أرسله ابنُ الحنفيّة أم لا، فانهضوا بنا إلى ابن الحنفيّة نخبره بما قدِم علينا به المختار، فإن رخّص لنا في اتّباعه تبِعناه، وإن نهانا عنه اجتنبناه، فوالله ما ينبغي أن يكون شيء من الدنيا آثر عندنا من سلامة دِيننا. قالوا له: أصبتَ.

فخرجوا إلى ابن الحنفيّة، فلمّا قدِموا عليه سألهم عن حال الناس، فأخبروه عن حالهم وما هم عليه، وأعلموه حال المختار وما دعاهم إليه، واستأذنوه في اتّباعه. فلمّا فرغوا من كلامهم قال لهم بعد أن حمد الله وأثنى عليه، وذكر فضيلة أهل البيت، والمصيبة بقتل الحسين، ثمّ قال لهم: وأمّا ما ذكرتم ممّنْ دعاكم إلى الطلب بدمائنا، فواللّهِ لوددتُ أنّ الله انتصر لنا من عدوّنا بمن شاء من خلقه، ولو كره لقال لا تفعلوا[3].

فعادوا وناس من الشيعة ينتظرونهم ممّنْ أعلموه بحالهم، وكان ذلك قد شقّ على المختار، وخاف أن يعودوا بأمرٍ يخذّل الشيعة عنه، فلمّا قدِموا الكوفةَ دخلوا على المختار قبل دخولهم إلى بيوتهم، فقال لهم: ما وراءكم فقد فُتنتم وارتبتم! فقالوا له: إنّا قد أُمرنا بنصرك. فقال: الله أكبر، اجمعوا إليّ الشيعة، فجمع مَنْ كان قريباً منهم، فقال لهم: إنّ نفراً قد أحبّوا أن يعلموا مصداق ما جئتُ به، فرحلوا إلى الإمام المهديّ، فسألوه عمّا قدِمتُ به عليكم، فنبّأهم أنّي وزيره وظهيره ورسوله، وأمركم باتّباعي وطاعتي فيما

(١) سورة الأنفال، الآية: ٣٠.
(٢) الطبري ٦/٧ ـ ١١.
(٣) الطبري ٦/١٢ ـ ١٤.

دعوتكم إليه من قتال المُحِلّين، والطّلب بدماء أهل بيت نبيّكم المصطفَين.

فقام عبد الرحمن بن شُرَيْح، وأخبرهم بحالهم ومسيرهم، وأنّ ابن الحنفيّة أمرهم بمظاهرته ومؤآزرته، وقال لهم: ليبلّغِ الشاهدُ الغائبَ، واستعدّوا وتأهّبوا. وقام جماعة من أصحابه، فقالوا نحواً من كلامه.

فاستجمعت له الشيعةُ، وكان من جملتهم الشّعْبيُّ وأبوه شراحيل، فلمّا تهيّأ أمره للخروج قال له بعض أصحابه: إنّ أشراف أهل الكوفة مجمعون على قتالكم مع ابن مُطيع، فإن أجابنا إلى أمرنا إبراهيم بن الأشتر رجَونا القوّة على عدوّنا، فإنّه فتًى رئيس، وابن رجل شريف، له عشيرة ذات عزّ وعدد.

فقال لهم المختار: فالقَوْه وادعوه. فخرجوا إليه ومعهم الشعبيُّ، فأعلموه حالهم، وسألوه مساعدتهم عليه، وذكروا له ما كان أبوه عليه من ولاء عليّ وأهل بيته. (فقال لهم: إنّي قد أجبتكم إلى الطّلب بدم الحسين وأهل بيته، على أن تولّوني الأمر)[1]. فقالوا له: أنت لذلك أهل، ولكن ليس إلى ذلك سبيل، هذا المختار قد جاءنا من قِبَل المهديّ وهو المأمور بالقتال، وقد أُمرنا بطاعته. فسكت إبراهيم ولم يُجِبْهم، فانصرفوا عنه فأخبروا المختار، فمكث ثلاثاً، ثمّ سار في بضعة عشر من أصحابه، والشعبيُّ وأبوه فيهم إلى إبراهيم، فدخلوا عليه، فألقى لهم الوسائد، فجلسوا عليها، وجلس المختار معه على فراشه، فقال له المختار: هذا كتاب من المهديّ محمّد بن عليّ أمير المؤمنين، وهو خير أهل الأرض اليوم وابن خير أهلها قبل اليوم بعد أنبياء الله ورُسُله، وهو يسألك أن تنصرنا وتؤآزرنا.

قال الشعبيُّ: وكان الكتاب معي، فلمّا قضى كلامه قال لي: ادفع الكتاب إليه، فدفعه إليه الشعبيُّ، فقرأه فإذا فيه: من محمّد المهديّ إلى إبراهيم بن مالك الأشتر، سلام عليك، فإنّي أحمد الله إليك الذي لا إله إلاّ هو، أمّا بعدُ، فإنّي قد بعثتُ إليكم وزيري وأميني الذي ارتضيتُهُ لنفسي، وأمرته بقتال عدوّي، والطلب بدماء أهل بيتي، فانهض معهم بنفسك وعشيرتك ومَنْ أطاعك، فإنّك إن نصرتني[2] وأجبتَ دعوتي كانت لك بذلك عندي فضيلة، ولك أعِنّة الخيل، وكلّ جيشٍ غازٍ، وكلّ مِصرٍ ومنبر وثغر ظهرتَ عليه فيما بين الكوفة وأقصى بلاد الشام.

فلمّا فرغ من قراءة الكتاب قال: قد كتب إليّ ابنُ الحنفيّة قبل اليوم، وكتبتُ فلم يكتب إليّ إلاّ باسمه واسم أبيه. قال المختار: إنّ ذلك زمان وهذا زمان. قال: فمَنْ يعلم

(١) ما بين القوسين من (ب).
(٢) في الأوربية: «تنصرني».

أن هذا كتابه [إليّ]؟ فشهد جماعة ممّنْ معه، منهم: يزيد بن أنس، وأحمر بن شميط، وعبد الله بن كامل، وجماعتهم إلاّ الشعبيّ.

فلمّا شهِدوا تأخّر إبراهيم عن صدر الفراش، وأجلس المختار عليه وبايعه، ثمّ خرجوا من عنده، وقال إبراهيم للشعبيّ: قد رأيتك لم تشهد مع القوم أنت ولا أبوك، أفترى هؤلاء شهدوا على حقّ؟ فقال له: هؤلاء سادة القرّاء ومشيخة المصر وفرسان العرب، ولا يقول مثلهم إلاّ حقّاً.

فكتب أسماءهم وتركها عنده، ودعا إبراهيم عشيرتَه ومَنْ أطاعه، وأقبل يختلف إلى المختار كلّ عشيّة عند المساء يدبّرون[1] أمورهم، واجتمع رأيهم على أن يخرجوا ليلة الخميس لأربع عشرة من ربيع الأوّل سنة ستٍّ وستين.

فلمّا كان تلك الليلة عند المغرب صلّى إبراهيم بأصحابه، ثمّ خرج يريد المختارَ، وعليه وعلى أصحابه السلاح، وقد أتَى إياس بن مُضارب عبدَ الله بنِ مُطيع فقال له: إنّ المختار خارج عليك بإحدى هاتين اللّيلتَين، وقد بعثتُ ابني إلى الكُناسة، فلو بعثتَ في كلّ جبّانة عظيمة بالكوفة رجلاً من أصحابك في جماعة من أهل الطّاعة لهاب المختارُ وأصحابُه الخروج عليك.

فبعث ابنُ مُطيع عبدَ الرحمن بن سعيد بن قيس الهمدانيّ إلى جبّانة السَّبيع، وقال: اكفِني قومك ولا تُحْدِثَنّ بها حَدَثاً. وبعث كعبَ بن أبي كعب الخَثْعَميَّ إلى جبّانة بِشْر، وبعث زَحْرَ بن قيس الجُعْفيَّ إلى جبّانة كِنْدة. وبعث عبدَ الرحمن بن مِخْنَف إلى جبّانة الصائديّين. وبعث شَمِرَ بن ذي الجَوْشَن إلى جبّانة سالم. وبعث يزيدَ بن رُوَيْم إلى جبّانة المُراد، وأوصى كلاًّ منهم أن لا يُؤتَى من قِبَله. وبعث شَبَث بن رِبْعيّ إلى السّبْخةِ وقال: إذا سمعتَ صوت القوم فوجّهْ نحوهم.

وكان خروجهم إلى الجَبَابين[2] يوم الاثنين، وخرج إبراهيم بن الأشتر يريد المختار ليلة الثلاثاء، وقد بلغه أنّ الجبَابين[2] قد مُلئت رجالاً، وأنّ إياس بن مضارب في الشُّرَط قد أحاط بالسوق والقصر، فأخذ معه من أصحابه نحو مائة دارع، وقد لبسوا عليها الأقبية، فقال له أصحابه: تجنّب الطريق. فقال: والله لأمرّنّ وسط السوق بجنب القصر، ولأرعبنّ عدوّنا، ولأرينّهم هوانَهم علينا.

فسار على باب الفيل، ثمّ على دار عَمرو بن حُرَيْث، فلقيهم إياس بن مضارب في

---

(١) في الأوربية: «المسائد يرون».
(٢) الأوربية: «الجبّانين».

الشُّرَط مُظهرين السلاح. فقال: مَنْ أنتم؟ فقال إبراهيم: أنا إبراهيم بن الأشتر. فقال إياس: ما هذا الجمع الذي معك وما تريد؟ لستُ بتاركك حتّى أتي بك الأمير. فقال إبراهيم: خلّ سبيلاً. قال: لا أفعل، وكان مع إياس بن مضارب رجل من همدان يقال له أبو قَطَن، وكان يُكْرمه، وكان صديقاً لابن الأشتر، فقال له ابن الأشتر: ادنُ منّي يا أبا قَطَن، فدنا منه، وهو يظنّ أنّ إبراهيم يطلب منه أن يشفع فيه إلى إياس، فلمّا دنا منه أخذ رمحاً كان معه، وطعن به إياساً في ثغرة نحره، فصرعه وأمر رجلاً من قومه، فاحتزّ[1] رأسه، وتفرّق أصحابُ إياس، ورجعوا إلى ابن مُطيع.

فبعث مكانَه ابنَه راشد بن إياس على الشُّرَط، وبعث مكان راشد إلى الكُناسة سُوَيدَ بن عبد الرحمن المنقريّ أبا القعقاع بن سُويد. وأقبل إبراهيم بن الأشتر إلى المختار وقال له: إنّا اتّعدنا للخروج القابلة، وقد جاء أمر لا بدّ من الخروج الليلة، وأخبره الخبر، ففرح المختار بقتل إياس وقال: هذا أوّل الفتح إن شاء اللّه تعالى! ثمّ قال لسعيد بن مُنقِذ: قم فأشعلِ النيران في الهوادي والقصب وارفعْها، وسرْ أنتَ يا عبد الله بن شدّاد فنادِ: يا منصور أمِتْ، وقمْ أنت يا سفيان بن ليلى وأنت يا قُدامة بن مالك فناديا: يا لثارات الحسين! ثمّ لبس سلاحه.

فقال له إبراهيم: إنّ هؤلاء الذين في الجبّابين[2] يمنعون أصحابنا من إتياننا، فلو سرتُ إلى قومي بمَنْ معي، ودعوتُ مَنْ أجابني، وسرتُ بهم في نواحي الكوفة، ودعوتُ بشعارنا لخرج إلينا مَنْ أراد الخروج ومَنْ أتاك حبستَهُ عندك إلى مَنْ معك، فإن عُوجلتَ كان عندك مَنْ يمنعك إلى أن آتيك. فقال له: افعلْ وعجّلْ وإيّاك أن تسير إلى أميرهم تقاتله، ولا تقاتل أحداً وأنت تستطيع أن لا تقاتله إلاّ أن يبدأك أحد بقتال.

فخرج إبراهيم وأصحابه حتّى أتَى قومه، واجتمع إليه جُلُّ مَنْ كان أجابه، وسار بهم في سكك المدينة ليلاً طويلاً، وهو يتجنّب المواضع التي فيها الأمراء الذين وضعهم ابن مطيع، فلمّا انتهى إلى مسجد السَّكون أتاه جماعة من خيل زَحْر بن قيس الجُعْفيّ، ليس عليهم أمير، فحمل عليهم إبراهيم، فكشفهم حتّى أدخلهم جبّانة كِندة وهو يقول: اللهمّ إنّك تعلم أنّا غضبنا لأهل بيت نبيّك، وثرنا لهم، فانصُرْنا على هؤلاء.

ثمّ رجع إبراهيم عنهم بعد أن هزمهم، ثمّ سار إبراهيم حتّى أتى جبّانة أُثير، فتنادَوا بشعارهم، فوقف فيها، فأتاه سُوَيد بن عبد الرحمن المِنْقَريُّ، ورجا أن يصيبهم، فيحظى بها عند ابن مطيع، فلم يشعر به إبراهيم إلاّ وهو معه، فقال إبراهيم لأصحابه: يا شُرطة

---

(١) الأوربية: «فأخذ».

(٢) في الأوربية: «الجبّانين».

الله انزلوا، فإنّكم أَوْلَى بالنصر من هؤلاء الفَسّاق الذين خاضوا في دماء أهـل بيت نبيّكم. فنـزلوا، ثمّ حمـل عليهم إبراهيم حتّى أخـرجهم إلى الصحراء فـانهزمـوا، فركب بعضهم بعضاً وهم يتلاومـون، وتبِعهم حتّى أدخلهم الكُناسـة، فقال لإبـراهيم أصحابُـه: اتبعْهم واغتنمْ مـا دخلهم من الرُّعب. فقـال: لا، ولكنْ نأتي صـاحبنـا يُؤمن الله[1] بنـا وحشتـه، ويعلم ما كان من نصرنا له، فيزداد هو وأصحابه قوّةً، مع أنّي لا آمن أن يكون قد أُتِيَ.

ثمّ سار إبراهيم حتّى أتَى باب المختار، فسمع الأصوات عاليةً والقوم يقتتلون، وقد جـاء شَبَث بن رِبْعِيّ من قِبَل السَّبْخـة، فعبّأ لـه المختارُ يـزيـدَ بن أنس. وجـاء حجّـار بن أبجر[2] العِجْليُّ، فجعل المختارُ في وجهه أحمـرَ بن شميط. فبينما النـاس يقتتلون إذ جاء إبراهيم من قِبَل القصر، فبلغ حجّاراً وأصحابه أنّ إبـراهيم قد أتـاهم من ورائهم، فتفرّقـوا في الأزقّـة قبل أن يـأتيهم، وجاء قيس بن طهفـة[3] النَّهْديُّ في قـريبٍ من مائـة، وهـو من أصحـاب المختار، فحمـل على شَبَث بن رِبْعيّ (وهو يقـاتـل يـزيـد بن أنس، فخلّى لهم الـطريق حتّى اجتمعوا وأقبـل شَبَث)[4] إلى ابن مـطيـع وقـال لـه: اجمـع الأمـراء الـذين بالجبّابين[5] وجميع الناس، ثمّ أنفِذْ إلى هؤلاء القوم فقـاتِلْهم، فإنّ أمـرهـم قد قـوي، وقد خرج المختار وظهر، واجتمع له أمره.

فلمّا بلغ قوله المختارَ خرج في جماعة من أصحابه، حتّى نزل في ظهر دَيْر هند في السبخة، وخرج أبو عثمان النَّهْديّ، فنادى في شاكر وهم مجتمعون في دِورهم يخافون أن يظهروا لقرب كعب الخَثْعَميّ منهم، وكان قد أخذ عليهم أفـواه السكك. فلمّـا أتاهم أبـو عثمان في جماعة[6] من أصحابه نادى: يـا لثارات الحسين! يـا منصور أمِتْ أمِتْ! يـا أيّها الحيّ المهتـدون، إنّ أمين آل محمّد ووزيـرهم قد خـرج فنـزل ديـر هنـد، وبعثني إليكم داعياً ومبشّراً، فاخرجوا رحِمكم الله! فخرجوا يتداعون: يا لثارات الحسين! وقاتلوا كعباً حتّى خلّى لهم الطريق، فأقبلوا إلى المختار فنزلوا معه، وخرج عبد الله بن قَتـادة في نحو من مائتَين، فنزل مـع المختار، وكـان قد تعـرّض لهم كعب، فلمّا عـرفهم أنّهم من قومـه خلّى عنهم.

وخـرجت شِبـام، وهم حيّ مـن هَمْـدان، مـن آخـر ليـلتهـم، فبـلغ خبـرهـم

---

(١) في (ب أ): «يانس».
(٢) في (ر): «الحر»، و (ب أ): «أمجر».
(٣) في الأوربية: «طهنة».
(٤) ما بين القوسين من (ب).
(٥) في الأوربية: «بالجبّانين».
(٦) في (ر) و (ب): «عصابة».

عبدَ الرحمن بن سعيد الهمدانيَّ، فأرسل إليهم: إن كنتم تريدون المختار فلا تمرّوا على جبّانة السَّبيع. فلحِقوا بالمختار، فتوافى إلى المختار ثلاثة آلاف وثمانمائة من اثني عشر ألفاً كانوا بايعوه، فاجتمعوا له قبل الفجر، فأصبح وقد فرغ من تعبيته، وصلّى بأصحابه بغَلَس.

وأرسل ابن مطيع إلى الجبَابين[1] فأمر مَنْ بها أن يأتوا المسجد، وأمر راشد بن إياس فنادى في الناس: برئت الذمّة من رجل لم يأتِ المسجد الليلة. فاجتمعوا، فبعث ابنُ مطيع شَبَثَ بنِ رِبْعيّ في نحو ثلاثة آلاف إلى المختار، وبعث راشدَ بن إياس في أربعة آلاف من الشُّرَط.

فسار شَبَث إلى المختار، فبلغه خبره وقد فرغ من صلاة الصبح، فأرسل عمّنْ أتاه بخبرهم، وأتى إلى المختار ذلك الوقت سِعْر بن أبي سِعْر[2] الحنفيُّ، وهو من أصحابه، لم يقدر على إتيانه إلّا تلك الساعة، فرأى راشدَ بن إياس في طريقه، فأخبر المختار خبره أيضاً، فبعث المختارُ إبراهيمَ بن الأشتر إلى راشد في سبع[3] مائة، وقيل في ستّمائة فارس وستّمائة راجل، وبعث نُعَيمَ بن هُبَيرة، أخا مَصْقَلة بن هبيرة، في ثلاثمائة فارس وستّمائة راجل، وأمره بقتال شَبَث بن رِبْعيّ ومَنْ معه، وأمرهما بتعجيل القتال، وأن لا يستهدفا لعدوّهما، فإنّه أكثر منهما، فتوجّه إبراهيم إلى راشد، وقدّم المختارُ يزيدَ بن أنس في موضع مسجد شَبَث بن رِبْعيّ في تسعمائة أمامه، فتوجّه نُعيم إلى شَبَث فقاتله قتالاً شديداً، فجعل نُعيمُ سِعْرَ بن أبي سِعْر[4] على الخيل، ومشى هو في الرَّجّالة، فقاتلهم حتّى أشرقت الشمس وانبسطت، فانهزم أصحابُ شَبَث حتّى دخلوا البيوت، فناداهم شَبَث وحرّضهم، فرجع إليه منهم جماعة، فحملوا على أصحاب نُعْيم وقد تفرّقوا، فهزمهم، وصبُر نُعيم فقُتل، وأسِر سِعْر بن أبي سِعْر[4] وجماعة من أصحابه، فأطلق العربَ وقتل الموالي، وجاء شبَث حتّى أحاط بالمختار، وكان قد وهن لقتل نُعيم.

وبعث ابنُ مُطيع يزيدَ بن الحارث بن رُوَيْم في ألفين، فوقفوا في أفواه السكك، وولّى المختارُ يزيدَ بن أنس خيلَه، وخرج هو في الرَّجّالة، فحملت عليه خيلُ شَبَث، فلم يبرحوا مكانهم، فقال لهم يزيد بن أنَس: يا معشر الشيعة إنّكم كنتم تُقتلون وتُقْطع أيديكم وأرجلكم، وتُسْمَل أعينكم، وتُرفَعون على جذوع النَّخل في حبّ أهل بيت نبيّكم، وأنتم مقيمون في بيوتكم وطاعة عدوّكم، فما ظنّكم بهؤلاء القوم إذا ظهروا عليكم اليوم؟ والله

(١) في الأوربية: «الجبّانين».
(٢) في (ر) و (ب أ) «شعر بن أبي شعر»، وفي (ب): «سعد بن أبي سعد».
(٣) في (ر) و (ب أ): «تسع».
(٤) في (ر) و (ب أ): «شعر بن أبي شعر»، وفي (ب): «سعد بن أبي سعد».

لا يـدَعـون منكم عينـاً تـطرف، وليقتلُنّكم صبـراً، ولتـرون منهم في أولادكم وأزواجكم وأموالكم ما الموت خير منه، والله لا يُنجيكم منهم إلّا الصدق والصبر، والطّعن الصّائب، والضَّرْب الدّراك[1]، فتهيّأوا للحملة. فتيسّروا ينتظرون أمره، وجَثوا على رُكَبهم.

وأمّـا إبراهيم بن الأشتـر فإنّـه لقي راشـداً، فـإذا معـه أربعـة آلاف، فقـال إبـراهيم لأصحابه: لا يهولنّكم كثرةُ هؤلاء، فوالله لرُبَّ رجلٍ خيرٌ من عشرة، واللَّهُ مع الصـابرين. وقدِم خُزَيمة بن نصر إليهم في الخيل، ونزل هو يمشي في الرَّجّالة، وأخـذ إبراهيم يقـول لصاحب رايته: تقدّمْ برايتك، امضِ بهؤلاء وبها.

واقتتل الناس قتـالاً شديـداً، وحمل خُـزَيمة بن نصـر العبسيُّ على راشد فقتله، ثمّ نـادى: قتلتُ راشداً وربِّ الكعبـة! وانهزم أصحـابُ راشد، وأقبـل إبراهيم وخُـزيمة ومَنْ معهما بعد قتل راشد نحـو المختار، وأرسـل البشير إلى المختـار بقتل راشـد، فكبّره هـو وأصحابه، وقويت نفوسُهم، ودخل أصحابَ ابن مُطيع الفشلُ.

وأرسـل ابنُ مُطيـع حسّانَ بن فـائـد بن بكـر العبسيَّ في جيشٍ كثيف نحـو ألفين، فـاعترض إبـراهيمَ ليردّه عَمَّنْ بـالسَّبْخة من أصحـاب ابن مُطيـع، فتقـدّم إليهم إبـراهيم، فانهزموا من غير قتال، وتأخّر حسّان يحمي أصحابه، فحمل عليه خُزَيمة، فعرفه فقال: يا حسّان لولا القرابة لقتلتُك، فانجُ بنفسكَ. فعثـر به فـرسُه فـوقع، فـابتدره النـاسُ، فقاتـل ساعةً، فقال له خُزَيمة: أنت آمن فلا تقتلْ نفسك، وكفّ عنه الناسَ وقال لإبـراهيم: هذا ابن عمّي وقد آمنتُه، فقال: أحسنتَ! وأمر بفرسه فأُحضر فأركبه وقال: الحقْ بأهلك.

وأقبل إبراهيم نحو المختار وشَبَثُ بنُ ربعيّ محيط به، فلقِيه يـزيد بن الحـارث وهو على أفـواه السكك التي تلي السَّبْخـة، فأقبـل إلى إبراهيم ليصـدّه عن شَبَث وأصحـابـه، فبعث إبراهيمُ إليه طائفةً من أصحابه مع خُزَيْمة بن نصر، وسار نحو المختـار وشبَث فيمن بقي معه، فلمّا دنـا منهم إبراهيم حمـلِ على شَبَث، وحمل يزيد بن أنَس، فـانهزم شبَث ومَنْ معـه إلى أبيات الكـوفة، وحمـل خُزَيمـة بن نصر على يـزيـد بن الحـارث فهـزمـه، وازدحموا على أفواه السكك وفوق البيوت، وأقبل المختار. فلمّا انتهى إلى أفـواه السّكك رمتْه الرّماةُ بالنبل، فصدّوه عن الدخول إلى الكوفة من ذلك الوجه.

ورجـع الناسُ من السَّبْخـة منهزمين إلى ابن مـطيع، وجـاءه قتل راشـد بن إيـاس، فسقط في يده، فقال له عَمْرو بن الحجّاج الزبيـديّ: أيّها الـرجل، لا تلقِ بيـدك، واخرجْ إلى الناس، واندبْهم إلى عـدوّك، فإنّ النـاس كثير، وكلّهم معـك، إلّا هذه الـطائفة التي خرجت واللَّهُ يُخزيها، وأنا أوّل منتدب، فانتدب معي طائفةً، ومع غيري طائفة.

---

(١) في الأوربية: «الدارك». والضرب الدراك: المتتابع.

فخرج ابن مُطيع، فقام في الناس ووبّخهم على هزيمتهم، وأمرهم بالخروج إلى المختار وأصحابه.

ولما رأى المختارُ أنّه قد منعه يزيدُ بن الحارث من دخول الكوفة عدل إلى بيوت مُزَيْنة وأحْمس وبارق، وبيوتهم منفردة، فسقوا أصحابه الماء، ولم يشرب هو، فإنّه كان صائماً، فقال أحمر بن شميط لابن كامل: أتراه صائماً؟ قال: نعم. قال: لو أفطر كان أقوى له. قال: إنّه معصوم، وهو أعلم بما يصنع. فقال أحمر: صدقتَ، أستغفر الله.

فقال المختار: نِعْمَ المكان للقتال هذا. فقال إبراهيم: إنّ القوم قد هزمهم اللّهُ، وأدخل الرعبَ في قلوبهم، سِرْ بنا، فوالله ما دون القصر مانع. فترك المختارُ هناك كلَّ شيخٍ ضعيف ذي علّة (ونقلهم)[1]، واستخلف عليهم أبا عثمان النهديَّ، وقدّمَ إبراهيمَ أمامه؛ وبعث ابنُ مُطيع عَمرَو بن الحجّاج (في ألْفَين، فخرج عليهم؛ فأرسل المختارُ إلى إبراهيم أن اطوِه ولا تقم[2] عليه؛ فطواه وأقام؛ وأمر المختارُ يزيدَ بن أنَس أن يواقِف عَمرَو بن الحجّاج)[3]، فمضى إليه، وسار المختار في أثر إبراهيم، ثمّ وقف في موضع مصلّى خالد بن عبد الله، ومضى إبراهيم ليدخل الكوفة من نحو الكُناسة، فخرج إليه شَمِرُ بن ذي الجَوْشَن في ألْفَين، فسرّح إليه المختارُ سعيدَ بن مُنْقذ الهمدانيَّ فواقعه، وأرسل إلى إبراهيم يأمره بالمسير، فسار حتّى انتهى إلى سكّة شَبَث، فإذا نوفل بن مُساحق في ألْفَين، وقيل خمسة آلاف، وهو الصحيح، وقد أمر ابنُ مُطيع منادياً، فنادى في الناس أن الحقوا بابن مُساحق.

وخرج ابنُ مطيع فوقف بالكُناسة، واستخلف شَبَثَ بن رِبْعيّ على القصر، فدنا ابنُ الأشتر من ابن مطيع، فأمر أصحابَه بالنزول وقال لهم: لا يهولنّكم أن يقال جاء شَبَث، وآل عُتَيْبَة بن النّهّاس، وآل الأشعث، وآل يزيد بن الحارث، وآل فلان، فسمّى بيوتات أهل الكوفة، ثمّ قال: إنّ هؤلاء لو وجدوا حرّ السيوف لانهزموا عن ابن مطيع انهزام المَعْزى من الذّئب. ففعلوا ذلك.

وأخذ ابن الأشتر أسفل قَبائه، فأدخله في منطقته، وكان القَباء على الدرع، فلم يلبثوا حين حمل عليهم أن انهزموا يركب بعضهم بعضاً على أفواه السكك وازدحموا، وانتهى ابن الأشتر إلى ابن مساحق، فأخذ بعنان دابّته، ورفع السيف عليه، فقال له: يا ابن الأشتر أنشدك الله، هل بيني وبينك من إحْنة أو[4] تطلبني بثأر؟ فخلّى سبيله، وقال:

---

(١) من (ر).

(٢) في الأوربية: «تغم».

(٣) ما بين القوسين من (ر).

(٤) في الأوربية: «أن».

اذكرها. فكان يذكرها له.

ودخلوا الكُناسة في آثارهم حتّى دخلوا السوقَ والمسجد، وحصروا ابن مُطيع ومعه الأشراف من الناس غير عَمرو بن حُرَيْث، فإنّه أتَى داره، ثمّ خرج إلى البرّ، وجاء المختار حتّى نزل جانب السوق. وولّى إبراهيمَ حصار القصر ومعه يزيد بن أنس وأحمر بن شميط، فحصروهم ثلاثاً، فاشتدّ الحصار عليهم، فقال شَبَثٌ لابن مطيع: (أنظرْ لنفسك ولمن معك، فوالله ما عندهم غَناء عنك ولا عن أنفسهم. فقال: أشيروا عليّ. فقال شَبَث)[1]. الرأي أن تأخذ لنفسك ولنا أماناً وتخرج، ولا تُهْلك نفسك ومَنْ معك. فقال ابن مُطيع: إنّي لأكره أن آخذ منه أماناً، والأمور لأمير المؤمنين مستقيمة بالحجاز والبصرة. قال: فتخرج ولا يشعر بك أحد، فتنزل بالكوفة عند مَنْ تثق به[2] حتّى تلحق بصاحبك.

وأشار بذلك عبد الرحمن بن سعيد، وأسماء بن خارجة، وابن[3] مِخْنَف وأشراف الكوفة، فأقام حتّى أمسى وقال لهم: قد علمتُ أنّ الذين صنعوا هذا بكم هم[4] أراذلكم وأخسّاؤكم، وأنّ أشرافكم وأهل الفضل منكم سامعون مطيعون، وأنا مُبلغٌ ذلك صاحبي، ومُعْلمه طاعتكم وجهادكم حتّى كان الله الغالب على أمره، فأثنوا عليه خيراً.

وخرج عنهم وأتَى دار أبي موسى، (فجاء ابنُ الأشتر ونزل)[5] القصر، ففتح[6] أصحابُه الباب وقالوا: يا ابن الأشتر آمنون نحن؟ قال: أنتم آمنون. فخرجوا فبايعوا المختار، ودخل المختار القصر فبات فيه، وأصبح أشراف الناس في المسجد وعلى باب القصر، وخرج المختار فصعِد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه فقال:

الحمد لله الذي وعد وليّه النصرَ وعدوّه الخُسر، وجعله فيه إلى آخر الدهر وعداً مفعولاً، وقضاءً مقضيّاً، وقد خابَ منِ افترى، أيّها الناس إنّا رُفعتْ لنا رايةٌ، ومُدّتْ لنا غاية، فقيل لنا في الراية أن ارفعوها، وفي الغاية أن اجروا إليها ولا تعدوها، فسمعنا دعوةَ الداعي، ومقالةَ الواعي، فكم من ناعٍ وناعية لقتلى في الواعية، وبُعْداً لمنْ[7] طغى وأدبر، وعصى وكذّب وتولّى، ألا فادخلوا أيّها الناس، وبايعوا بيعة هدى، فلا والذي

---

(١) ما بين القوسين من (ب).

(٢) في الأوربية: «إليه».

(٣) في (ر): «أبو».

(٤) في الأوربية: «أنهم».

(٥) في (ب): «وترك».

(٦) في الأوربية: «ففتحوا».

(٧) في الأوربية: «وبعد المنّ».

جعل السماء سقفاً مكفوفاً، والأرض فجاجاً سُبُلاً، ما بايعتم بعد بيعة عليّ بن أبي طالب وآل عليّ أهدى منها!

ثمّ نزل ودخل عليه أشرافُ الكوفة، فبايعوه على كتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ، والطلب بدماء أهل البيت وجهاد المُحِلّين، والدفع عن الضعفاء، وقتال مَنْ قاتلنا، وسِلْم مَن سالمنا.

وكان ممّنْ بايعه المُنْذر بن حسّان وابنه حسّان، فلمّا خرجا من عنده استقبله سعيد بن مُنْقذ الثّوْريُّ في جماعة من الشيعة، فلمّا رأوهما قالوا: هذان والله من رؤوس الجبّارين، فقتلوا المنذر وابنه حسّان، فنهاهم سعيد حتّى يأخذوا أمرَ المختار، فلم ينتهوا، فلمّا سمع المختارُ ذلك كرهه، وأقبل المختار يمنّي النّاسَ، ويستجرّ مودّة الأشراف، ويُحْسن السيرة.

وقيل له: إنّ ابن مُطيع في دار أبي موسى، فسكت، فلمّا أمسى بعث له بمائة ألف درهم وقال: تجهّزْ بهذه فقد علمتُ مكانك، وأنّك لم يمنعك من الخروج إلّا عدم النفقة. وكان بينهما صداقة.

ووجد المختارُ في بيت المال تسعة آلاف ألف، (فأعطى أصحابه الذين قاتل بهم حين حصر ابن مطيع في القصر، وهم ثلاثة [آلاف] وخمسمائة)[1]، لكلّ رجل منهم خمسمائة درهم، وأعطى ستّة آلاف من أصحابه أتوه بعدما أحاط بالقصر، وأقاموا معه تلك الليلة، وتلك الأيّام الثلاثة مائتين مائتَين، واستقبل الناس بخير، وجعل الأشراف جلساءه، وجعل على شُرطته عبد الله بن كامل الشاكريّ، وعلى حَرَسه كَيْسان أبا عَمْرة.

فقام أبو عَمْرة على رأسه ذات يوم وهو مقبل على الأشراف بحديثه ووجهه، فقال لأبي عمرة بعضُ أصحابه من الموالي: أما ترى أبا إسحاق قد أقبل على العرب[2] ما ينظر إلينا؟ فسأله المختار عمّا قالوا له، فأخبره، فقال: قلْ لهم لا يشقّ عليهم ذلك، فأنتم منّي وأنا منكم، وسكت طويلاً ثمّ قرأ: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾[3]. فلمّا سمعوها قال بعضهم لبعض: أبشِروا، كأنّكم والله قد قتلتم، يعني الرؤساء.

وكان أوّل راية عقدها المختار لعبد الله بن الحارث أخي الأشتر على أرمينية، وبعث محمّدَ بن عُمَير بن عُطارد على أذربيجان، وبعث عبدَ الرحمن بن سعيد بن قيس على الموصل، وبعث إسحاق بن مسعود على المدائن وأرض جُوخى، وبعث قُدامة بن

---

(١) العبارة التي بين القوسين من (ب) وبها زيادة: «فدفع».

(٢) زاد في (ب): «بحديثه».

(٣) سورة السجدة، الآية: ٢٢.

أبي عيسى بن زَمعة[1] النصريَّ حليف ثقيف على بِهْقُباذ الأعلى، وبعث محمدَ بن كعب بن قَرَظة على بِهْقُباذ الأوسط، وبعث سعدَ بن حُذَيفة بن اليمان على حُلْوان، وأمره بقتال الأكراد وإقامة الطُّرق.

وكان ابن الزّبير قد استعمل على الموصل محمّد بن الأشعث بن قيس، فلمّا وليَ المختار وبعث عبدَ الرحمن بن سعيد إلى الموصل أميراً سار محمد عنها إلى تَكْريت ينظر ما يكون من الناس، ثمّ سار إلى المختار فبايعه.

فلمّا فرغ المختار ممّا يريد صار[2] يجلس للناس ويقضي بينهم، ثمّ قال: إنّ لي فيما أحاول لشُغلاً عن القضاء؛ ثمّ أقام شُرَيحاً يقضي بين الناس، ثمّ خافهم شُرَيح فتمارض، وكانوا يقولون: إنّه عثمانيٌّ، وإنّه شهد على حُجْر بن عديّ، وإنّه لم يبلغ هانىء بن عُرْوَة ما أرسله به، وإنّ عليّاً عزله عن القضاء. فلمّا بلغ شُرَيحاً ذلك منهم تمارض، فجعل المختارُ مكانَه عبدَ الله بن عُتْبَة بن مسعود، ثمّ إنّ عبد الله مرض، فجعل مكانَه عبدَ الله بن مالك الطائيَّ[3].

ذكر قتل المختار قَتَلَة الحسين، عليه السلام

وفي هذه السنة وثب المختار بمن بالكوفة من قَتَلَة الحسين.

وكان سبب ذلك أنّ مروان بن الحكَم لمّا استوسق له الشام بعث جَيشَين: أحدهما إلى الحجاز عليه حُبَيش بن دَلَجة القَيْنيُّ، وقد ذكرنا أمرَه وقتله، والجيش الآخر إلى العراق مع عُبيد الله بن زياد، وقد ذكرنا ما كان من أمره وأمر التوّابين، وكان قد جعل لابن زياد ما غلب عليه، وأمره أن ينهب الكوفة ثلاثاً[4]، فاحتبس بالجزيرة وبها قَيس عَيْلان مع زُفَر بن الحارث على طاعة ابن الزّبير، فلم يزل عُبيد الله بن زياد مشتغلاً بهم عن العراق نحو سنة.

فتُوُفّي مروان، ووليَ بعده ابنُه عبد الملك بن مروان، فأقرّ ابنَ زياد على ما كان أبوه ولاّه، وأمره بالجدّ في أمره.

فلمّا لم يمكنه في[5] زُفَر ومَنْ معه من قيس شيء أقبل إلى الموصل، فكتب

---

(١) في (ب): «ربيعة».

(٢) في (ر) و(ب أ): «أقبل».

(٣) إلى هنا ينتهي المجلّد الثالث من نسخة باريس (ب). وهذه الأخبار في: تاريخ الطبري ٦/١٤ ـ ٣٥.

(٤) الطبري ٦/٣٨.

(٥) في الأوربية: «أمر».

عبد الرحمن بن سعيد عامل المختار إلى المختار يُخْبره بدخول ابن زياد أرضَ الموصل، وأنّه قد تنحّى له عن الموصل إلى تَكْريت. فدعا المختارُ يزيدَ بن أَنَس الأسديَّ، وأمره أن يسير إلى الموصل، فينزل بأداني أرضها حتّى يمدّه بالجنود، فقال له يزيد: خلّني أنتخب ثلاثة آلاف فارس، وخلّني ممّا توجّهني إليه، فإنِ احتجتُ كتبتُ إليك أستمدّك. فأجابه المختار، فانتخب له ثلاثة آلاف، وسار عن الكوفة، وسار معه المختار والناس يشيّعونه، فلمّا ودّعه قال له: إذا لقيتَ عدوّك فلا تُناظِرْهم، وإذا مكّنتك الفرصةُ فلا تؤخّرها، وليكن خبرك كلّ يوم عندي، وإن احتجتَ إلى مَدَدٍ فاكتبْ إليّ، مع أنّي ممدّك وإن لم تستمدّ، لأنّه أشدّ لعضُدك وأرعب لعدوّكَ. ودعا له الناس بالسلامة، ودعوا له، فقال لهم: اسألوا الله لي بالشهادة، فواللّهِ لئن فاتني النصر لا تفوتني الشهادة.

فكتب المختار إلى عبد الرحمن بن سعيد أن خلّ بين يزيد وبين البلاد، فسار يزيدُ إلى المدائن، ثمّ سار إلى أرض جُوخى والراذانات[١] إلى أرض الموصل، فنزل بباتلى[٢]، وبلغ خبرُه ابنَ زياد، فقال: لأبعثنّ إلى كلّ ألف ألفين، فأرسل ربيعةَ بن مخارق الغَنَويَّ في ثلاثة آلاف، وعبدَ الله بن جملة الخَثْعَميَّ في ثلاثة آلاف، فسار ربيعةُ قبل عبد الله بيوم، فنزل بيزيد بن أَنَس (بباتلى، فخرج يزيد بن أنس)[٣] وهو مريض شديد المرض، راكب على حمار يُمسكه الرجال، فوقف على أصحابه وعبّأهم وحثّهم على القتال وقال: إن هلكتُ فأميركم ورقاء بن العازب[٤] الأسديُّ، فإنْ هلك فأميركم عبد الله بن ضَمْرة العُذْريُّ، فإن هلك فأميركم سِعْر بن أبي سِعْر[٥] الحنفيُّ، وجعل على ميمنته عبدَ الله، وعلى ميسرته سِعراً[٥]، وعلى الخيل ورقاء، ونزل هو، فوُضع بين الرجال على سرير، وقال: قاتلوا عن أميركم إن شئتم أو فرّوا عنه، وهو يأمر الناس بما يفعلون، ثمّ يغمى عليه ثمّ يفيق.

واقتتل الناس عند فَلَق الصبح يوم عرَفة، واشتدّ قتالهم إلى ارتفاع الضُّحَى، فانهزم أهل الشام وأُخذ عسكرهم، وانتهى أصحابُ يزيد إلى ربيعة بن مخارق، وقد انهزم عنه أصحابه، وهو نازل ينادي: يا أولياء الحقّ أنا ابن مخارق، إنّما تقاتلون العبيد الأُبّاق ومَنْ ترك الإسلام وخرج منه! فاجتمع إليه جماعة، فقاتلوا معه، فاشتدّ القتال، ثمّ انهزم أهلُ الشام وقُتل ربيعة بن مخارق، قتله عبد الله بن ورقاء الأسديُّ، وعبد الله بن ضمرة

(١) الراذانات: راذان الأسفل وراذان الأعلى، كورتان بسواد بغداد تشتمل على قرى كثيرة. (معجم البلدان ٣/١٢).

(٢) وردت في الأصول: «ما يلى» و«ما تلى» و«باتلى».

(٣) ما بين القوسين من (ر).

(٤) في (ر) و(آ): «الضارب»، وفي (ب): «الغارب».

(٥) في (ر): «سعد بن أبي سعد»، وفي (ب): «شعر بن أبي شعر».

العُذْريُّ[1]، فلم يسر المنهزمون غير ساعة حتّى لقِيهم عبد الله بن جملة في ثلاثة آلاف فردّ معه المنهزمين.

ونزل يزيد بباتلى، فباتوا ليلتهم يتحارسون، فلمّا أصبحوا يوم الأضحى خرجوا إلى القتال، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثمّ نزلوا فصلّوا الظهر، ثمّ عادوا إلى القتال، فانهزم أهل الشام وترك[2] ابن جملة في جماعة، فقاتل قتالاً شديداً، فحمل عليه عبد الله بن قَراد[3] الخَثْعَميُّ فقتله، وحوى أهل الكوفة عسكرهم، وقتلوا فيهم قتلاً ذريعاً، وأسروا منهم ثلاثمائة أسير، وأمر يزيد بن أنس بقتلهم، وهو بآخر رمق، فقتلوا، ثمّ مات آخر النهار، فدفنه أصحابُه وسقُط في أيديهم.

وكان قد استخلف ورقاءَ بن عازب[4] الأسديَّ، فصلّى عليه ثمّ قال لأصحابه: ماذا ترون؟ إنّه قد بلغني أنّ ابن زياد قد أقبل إليكم في ثمانين ألفاً، وإنّما أنا رجل منكم، فأشيروا عليّ، فإنّي لا أرى لنا بأهل الشام طاقة على هذه الحال، وقد هلك يزيد، وتفرّق عنّا بعضُ مَنْ معنا، فلو انصرفنا اليوم من تلقاء أنفسنا لقالوا: إنّما رجعنا عنهم لموت أميرنا ولم يزالوا لنا هائبين، وإنْ لقيناهم اليوم كنّا مخاطرين، فإنْ هزمونا اليوم لم تنفعنا هزيمتنا إيّاهم بالأمس. فقالوا: نِعْمَ ما رأيتَ. فانصرفوا.

فبلغ ذلك المختارَ وأهلَ الكوفة، فأرجف الناسُ بالمختار وقالوا: إنّ يزيد قُتل، ولم يصدّقوا أنّه مات. فدعا المختارُ إبراهيمَ بن الأشتر، وأمّره على سبعة آلاف وقال له: سِرْ، فإذا لقيتَ جيشَ يزيد بن أنَس فأنتَ الأميرُ عليهم، فارْدُدْهم معك حتّى تلقى ابن زياد وأصحابه فتناجزَهم. فخرج إبراهيم فعسكر بحمّام أعْيَن وسار، فلمّا سار اجتمع أشرافُ الكوفة عند شبَث بن رِبْعيّ وقالوا: والله إنّ المختار تأمّر علينا بغير رِضى منّا، ولقد أدنى[5] موالِيَنا، فحملهم على الدوابّ وأعطاهم فَيْئنا. وكان شبَث شيخهم، وكان جاهليّاً إسلاميّاً، فقال لهم شبَث: دَعوني حتّى ألقاه.

فذهب إليه، فلم يدع شيئاً أنكروه إلّا ذكره له، فأخذ لا يذكر خصلة إلّا قال له المختار: أنا أرضيهم في هذه الخصلة، وآتي لهم كلَّ ما أحبّوا، وذكر له الموالي ومشاركتهم في الفَيْء، فقال له: إن أنا تركتُ مواليكم وجعلتُ فَيئكم لكم تقاتلون معي

(١) في (ر): «الغنوي».
(٢) في (ر): «ونزل».
(٣) في (ر): «مراد».
(٤) في (ر) و (آ): «الضارب»، وفي (ب): «الغارب».
(٥) في الأوربية: «أذى».

بني أميّة وابنَ الزّبير، وتُعطوني على الوفاء عهد الله وميثاقه، وما أطمئنّ إليـه من الأيمان؟ فقال شبَث: حتّى أخرج إلى أصحابي، فأذكر لهم ذلك. فخـرج إليهم، فلم يرجـع إليه، وأجمع رأيهم على قتاله.

فـاجتمع شَبَثُ بن رِبْعيّ، ومحمّـد بن الأشعث، وعبد الـرحمن بن سعيد بن قيس، وشَمِـر حتّى دخلوا على كعب بن أبي كعب الخَثْعَميّ، فكلّموه في ذلـك، فأجـابهم إليه، فخـرجوا من عنـده حتّى دخلوا على عبد الـرحمن بن مِخْنَف الأزديّ، فدعـوه إلى ذلـك، فقـال لهم: إن أطعتموني لم تخـرجوا. فقـالوا لـه: لِمَ؟ فقـال: لأنّي أخـاف أن تتفـرّقـوا وتختلفـوا، ومـع الـرجـل شُجعـانكم وفُرسـانكم[١] مثـل فـلان وفـلان، ثمّ معـه عبيـدكم ومواليكم، وكلمة هؤلاء واحـدة، ومواليكم أشـدّ حَنَقاً عليكم من عـدوّكم، فهم مقاتلوكم بشجاعة العرب وعداوة العجم، وإن انتظـرتموه قليلاً كُفِيتموه بقدوم أهل الشام (أو مجيء أهل البصرة، فتكونوا قد كُفيتموه)[٢] بغيركم، ولم تجعلوا بأسكم بينكم[٣]. فقالوا: ننشدك الله أن تخالفنا وتُفسد علينا رأينا وما أجمعنا عليه! فقـال: إنّما أنـا رجل منكم، فـإذا شئتم فاخرجوا.

فوثبوا بالمختار بعد مسير إبراهيم بن الأشتر، وخرجوا بالجبَابين[٤] كلّ رئيس بجبّانة. فلمّا بلغ المختارَ خروجُهم أرسل قاصداً مُجِدّاً إلى إبراهيم بن الأشتر، فلحِقه وهو بساباط يأمره بالرجـوع والسرعـة، وبعث المختار إليهم في ذلـك: أخبروني مـاذا تريـدون، فإنّي صانع كلّ ما أحببتم. قالوا: نريد أن تعتـزلنـا، فـإنّك زعمتَ[٥] أنّ ابنَ الحنفيّـة بعثك ولم يبعثك. قال: فأرسلوا إليه وفداً من قِبَلكم، وأرسلِ أنا إليه وفداً، ثمّ انظروا في ذلك حتّى يظهر لكم. وهو يريـد أن يريثهم بهـذه المقالـة حتّى يَقْدَم عليـه إبراهيم بن الأشتـر، وأمر أصحابه فكفّوا أيديهم، وقد أخذ عليهم أهل الكوفة بأفـواه السكك، فـلايصل إليهم شيء إلّا القليل. وخرج عبدُ الله بن سَبيع في الميدان، فقاتله بنـو شاكـر قتالاً شـديداً، فجـاءه عُقْبَة بن طارق الجُشَميُّ، فقاتل معه ساعة حتّى ردّهم عنه، ثمّ أقبل، فنزل عُقبة مع شَمِـر ومعـه قيس عَيلان في جبّـانة سَلول، ونـزل عبد الله بن سَبيـع مع أهـل اليمن في جبّـانـة السَّبيع.

ولما سار رسولُ المختار وصل إلى ابن الأشتر عشيّة يومـه، فرجـع ابن الأشتر بقيّـة

---

(١) في (ب) زيادة: «من أنفسكم».
(٢) ما بين القوسين ورد. في الأوربية: «ومِجيء أهل البصرة فيكفونه».
(٣) في الأوربية: «بينهم».
(٤) في الأوربية: «بالجبّانين».
(٥) في الأوربية: «عزمت».

عشيّته (تلك، ثمّ نزل حين)[1] أمسى، [فتعشّى أصحابُه]، وأراحوا دوابّهم قليلاً، ثمّ سار ليلته كلّها ومن الغد، فوصل العصر[2]، وبات ليلته في المسجد، ومعه من أصحابه أهل القوّة. ولما اجتمع أهلُ اليمن بجبّانة السَّبيع حضرت الصلاة، فكره كلّ رأس من أهل اليمن أن يتقدّمه صاحبه، فقال لهم عبد الرحمن بن مِخْنَف: هذا أوّل الاختلاف، قدّموا الرضى فيكم سيّد القرّاء رِفاعة بن شدّاد البَجَليَّ، ففعلوا، فلم يزل يصلّي بهم حتّى كانت الوقعة.

ثمّ إنّ المختار عبّأ أصحابه في السوق، وليس فيه بنيان، فأمر ابنَ الأشتر، فسار إلى مُضَر وعليهم شَبَث بن رِبْعيّ، ومحمّد بن عُمَير بن عُطارد، وهم بالكُناسة، وخشي أن يرسله إلى أهل اليمن، فلا يبالغ في قتال قومه. وسار المختارُ نحو أهلِ اليمن بجبّانة السَّبيع، ووقف عند دار عَمْرو بن سعيد، وسرّح بين يديه أحمر بن شُمَيْط البَجَليَّ، وعبدَ الله بن كامل الشاكريَّ، وأمر كلّاً منهما بلزوم طريقٍ ذكره له يخرج إلى جبّانة السَّبيع، وأسرّ إليهما أنّ شِباماً قد أرسلوا إليه يخبرونه أنّهم يأتون القومَ من ورائهم، فمضيا كما أمرهما.

فبلغ أهلَ اليمنِ مسيرُهما، فافترقوا إليهما، واقتتلوا أشدّ قتال رآه الناس، ثمّ انهزم أصحابُ أحمر بن شُمَيْط، وأصحاب ابن كامل، ووصلوا إلى المختار، فقال: ما وراءكم؟ قالوا: هُزمنا وقد نزل أحمر بن شُمَيْط ومعه ناس من أصحابه. وقال أصحاب ابن كامل: ما ندري ما فعل ابن كامل.

فأقبل بهم المختار نحو القوم حتّى بلغ دار أبي عبد الله الجَدَليّ، فوقف ثمّ أرسل عبدَ الله بن قُراد[3] الخثعميَّ في أربعمائة إلى ابن كامل وقال له: إن كان قد هلك فأنت مكانه وقاتِل القوم، وإن كان حيّاً، فاترك عنده ثلاثمائة من أصحابك، وامضِ في مائة حتّى تأتي جبّانة السَّبيع، فتأتي أهلها من ناحية حمّام قَطَن.

فمضى فوجد ابن كامل يقاتلهم في جماعة من أصحابه قد صبروا معه، فترك عنده ثلاثمائة رجل، وسار في مائةٍ حتّى أتَى مسجدَ عبد القيس، وقال لأصحابه: إنّي أُحبّ أن يظهر المختار، وأكره أن تهلك أشرافُ عشيرتي اليوم، ووالله لأن أموت أحبّ إليّ من أن يهلكوا على يديّ، ولكن قفوا، فقد سمعتُ أن شِباماً يأتونهم من ورائهم، فلعلّهم يفعلون ذلك، ونُعافَى نحن منه. فأجابه إلى ذلك، فبات عند مسجد عبد القيس.

---

(١) في الأوربية: «تلك اللّيلة ثمّ نزل حتى».

(٢) في (ر): «القصر».

(٣) في (ر): «مراد».

وبعث المختارُ مالك بن عَمْرو النّهديَّ، وكان شجاعاً، وعبد الله بن شَريك النَّهْديَّ في أربعمائة إلى أحمر بن شُمَيْط، فانتهوا إليه وقد علاه القومُ وكثروه، فـاشتدّ قتـالهم عند ذلك.

وأمّا ابنُ الأشتر، فـإنّه مضى إلى مُضَـر، فلقي شَبَث بن رِبْعيّ ومَنْ معه، فقـال لهم إبـراهيم: ويحكم انصرفوا، فما أُحبّ أن يُصـاب من مُضَر على يـديّ. فـأَبـوا وقـاتلوه، فهـزمهم، وجُرح حسّـان بن فائـد العبسيُّ[1]، فحُمل إلى أهله فمـات، فكـان مـع شَبَث، وجـاءت البشارة إلى المختـار بهزيمـة مُضر، فـأرسل إلى أحمـر بن شُمَيْط، وابن كـامـل يبشّـرهما، فاشتدّ أمرهما.

فاجتمع شِبام، وقد رأسّوا عليهم أبا القَلوص، ليأتوا [أهلَ] اليمن من ورائهم، فقال بعضهم لبعض: لو جعلتم جِدّكم على مُضَر وربيعة لكان أصوب، وأبـو القلوص ساكتٌ، فقالوا: ما تقول؟ فقـال: قال الله تعـالى: ﴿قَاتِلُوا الَّـذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الكُفَّارِ﴾[2]. فسـاروا معـه نحو أهـل اليمن، فلمّـا خـرجـوا إلى جبّـانـة السَّبيـع لقِيهم على فم السكّـة الأعسـرُ الشاكريُّ، فقتلوه ونادوا في الجبّانة، وقد دخلوهـا: يا لثـارات الحسين! فسمعها يـزيد بن عُمَير بن ذي مُرّان الهمدانيُّ فقال: يا لثارات عثمان! فقال لهم رِفاعة بنِ شدّاد: ما لنا ولعثمان! لا أقاتل مع قومٍ يبغون دم عثمان. فقال له ناس من قـومه: جئت بنـا وأطعناك، حتّى إذا رأينا قومنا تأخذهم السيوف، قلتَ: انصرفوا ودعوهم! فعطف عليهم وهـو يقول، شعر:

أنـا ابـنُ شَـدّاد عـلى ديـنِ عـلي ... لـستُ لـعـثـمـانَ بـن[3] أروَى بـوَلـي[4]
لأصْلِيـنّ الـيـوْم[5] فـيـمَـنْ يَـصـطلي ... بِـحَـرّ نـارِ الـحَـرْبِ غـيـر مؤتَـلِ[6]

فقاتل حتّى قُتل.

وكـان رِفـاعـةُ مـع المختـار، فلمّـا رأى كِـذبـه أراد قتله غيلةً، قـال: فمنعني قـولُ النبيّ ﷺ: مَن ائتمنه رجل على دمه فقتله فأنا منه بريءٌ.

---

(١) في (ر): «العتبي».
(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٥.
(٣) في الأوربية: «من».
(٤) في الفتوح: «لست لمروان ابن ليلى بولي».
(٥) في الفتوح: «لأصطلينّ الحرب».
(٦) الطبري ٦/ ٥٠، الفتوح لابن أعثم ٦/ ١٧٧ وفيه: «أحوص نار الحرب حتى تنجلي». أنساب الأشراف ٥/ ٢٣٣ وفيه: «غير مُلْتوي».

فلمّا كان هذا اليوم قاتل مع أهل الكوفة، فلمّا سمع يزيدَ بن عُمَير يقول: يا لثارات عثمـان، عاد عنهم، فقـاتلَ مـع المختار حتّى قُتـل؛ وقُتل يـزيد بن عُمَيـر بن ذي مُـرّان، والنُّعمان بن صُهْبان الجَرْميُّ، وكان ناسكاً، وقُتـل الفُرات بن زَحْـر بن قَيس، وجُرح أبـوه زَحْـر، وقُتل عبـد الله بن سعيد بن قيس، وقُتـل عمر بن مِخْنَف، وقـاتل عبـدُ الرحمن بن مِخْنَف حتّى جُرح، وحملته الرجال على أيديهم وما يشعر، وقاتـل حولـه رجالٌ من الأزد، وانهـزم أهلُ اليمن هـزيمةً قبيحـةً، وأخذ من دور الـوادعيّين خمسمائـة أسيـر، فـأُتَى بهم المختارَ مكتّفين، فأمر المختارُ بإحضارهم وعـرضهم عليه، وقـال: انظروا مَنْ شهـد منهم قَتْـلَ الحسين فأعْلِمـوني. فقتل كـلّ من شهد قتـلَ الحسين، فقتـل منهم مـائتَين وثمـانيـة وأربعين قتيلاً، وأخذ أصحابه يقتلون كلّ مَنْ كان يؤذيهم.

فلمّـا سمع المختـار بذلـك أمر بـإطـلاق كـلّ مَنْ بقي من الأسـارى، وأخـذ عليهم المواثيق أن لا يجامعوا عليه عدوّاً، ولايبغوه وأصحابَه غـائلة، ونادى منـادي المختار: مَنْ أغلق بابه فهو آمن إلاّ مَن شرِكَ في دماء آل محمّد ﷺ.

وكان عَمرو بن الحجّـاج الزُّبيـديُّ ممّنْ شهد قتـلَ الحسين، فركب راحلتـه، وأخذ طريق واقصة، فلم يُرَ له خبر حتّى الساعة. وقيل: أدركـه أصحابُ المختـار وقد سقط من شدّة العطش، فذبحوه وأخذوا رأسه.

ولما قُتل فـرات بن زَحْر بن قيس أرسلت عـائشة بنت خليفـة بن عبد الله الجُعْفِيّـة، وكانت امرأة الحسين، إلى المختار تسأله أن يأذن لها في دفنه، ففعل، فدفنته[1].

وبعث المختـار غـلامـاً لـه يُـدْعى زربَى[2] (في طلب شَمِـر بن ذي الجَـوْشن ومعـه أصحابه، فلمّا دنوا منه قال شَمِر لأصحابه: تباعدوا عنّي لعلّي يطمـع فيّ، فتباعـدوا عنه، فـطمع زربى[2] عن أصحـابه، ثمّ حمـل عليه شَمِـر فقتله، وسـار شَمِـر حتى نـزل (مسـاء ساتِيدَما[3]، ثمّ سار حتّى نزل)[4] منه قرية يقال لها الكلتـانيّة على شـاطىء نهرٍ إلى جـانب تلّ، ثمّ أرسل إلى أهل تلك القرية، فأخـذ منها عِلْجـاً فضربـه وقال: امضِ بكتـابي هذا إلى مُصْعَب بن الزّبير. فمضى العلجُ حتّى دخل قريـة[5] فيها أبـو عَمْرة صـاحب المختار، وكان قد أرسله المختار إلى تلك القرية ليكون مَسْلَحَةً بينه وبين أهل البصرة، فلقي ذلـك

---

(١) الطبري ٦/٥١، ٥٢.

(٢) في (ر): «زرقا»، وفي (ب): «زريا».

(٣) سـاتيدَمـا: بالتـاء المثنـاة من فـوق مكسـورة، ويـاء مثنّـاة من تحت، ودال مهملة مفتوحـة ثم ميم، وألف مقصورة، هو جبل بالهند لا يعدم ثلجه أبداً. (معجم البلدان ٣/١٦٨)، وفي الطبعة الأوربية «سدما».

(٤) ما بين القوسين من (ب).

(٥) في الأوربية: «القِرية».

العِلج عِلجاً آخر من تلك القرية، فشكا إليه ما لقي من شَمِر، فبينا هو يكلّمه إذ مرّ به رجلٌ من أصحاب أبي عَمْرة اسمه عبد الرحمن بن أبي الكَنُود، فرأى الكتاب وعنوانه: لمُصْعَب بن الزّبير من شَمِر، فقالوا للعلج: أين هو؟ فأخبرهم، فإذا ليس بينه وبينهم إلّا ثلاثة فراسخ، قال: فأقبلوا يسيرون إليه. وكان قد قال لشَمِر أصحابُه: لو ارتحلتَ بنا من هذه القرية، فإنّا نتخوّف بها. فقال: أَوَكلّ[1] هذا فزعاً من الكذّاب! والله لا أتحوّل منها ثلاثة أيّام، ملأ الله قلوبكم[2] رعباً. فإنّهم لَنِيام، إذ سُمع وقْع الحوافر، فقالوا في أنفسهم: هذا صوت الدِّبا، ثمّ اشتدّ، فذهب أصحابه لِيقوموا، فإذا بالخيل قد أشرفت من التلّ، فكبّروا وأحاطوا بالأبيات[3]، فولّى أصحابُه هاربين وتركوا خيولَهم، وقام شَمر وقد اتّزر ببُرد، وكان أبرص، فظهر بياض بَرَصه من فوق البُرد، وهو يطاعنهم بالرمح، وقد عجّلوه عن لبس ثيابه وسلاحه، وكان أصحابه قد فارقوه، فلمّا أبعدوا عنه سمعوا التكبيرَ وقائلاً يقول: قُتل الخبيثُ، قتله ابن أبي الكَنُود، وهو الذي رأى الكتاب مع العِلج، وألقيت جثّته للكلاب، قال: وسمعته بعد أن قاتلَنا بالرمح، ثمّ ألقاه وأخذ السيف، فقاتلَنا به وهو يرتجز، شعر:

نَبّهتمُ لَيثَ عَرينٍ باسِلا[4] جَهماً مُحَيّاهُ يدُقُّ الكاهِلا
لم يُرَ يَوْماً عن عدوٍّ ناكلا إلّا كَذا مُقاتلاً أوْ قاتِلا[5]
يُبرِحُهُمْ[6] ضَرْباً ويُروي العامِلا[7]

وأقبل المختار إلى القصر من جبّانة السَّبيع ومعه سُراقة بن مرداس البارقيّ أسيراً فناداه، شعر:

امننْ عليّ اليوْمَ يا[8] خيرَ مَعَدْ (وخيرَ مَن حلَّ بِشِحْرٍ[9] والجَنَدْ)[10]

---

(١) في الأوربية: «كلّ».
(٢) في الأوربية: «قلوبهم».
(٣) في (ب): «الأيات» وفي (ر): «الأيتان».
(٤) في الفتوح: «تيمّموا ليثاً هزبراً باسلا».
(٥) في الأوربية:
لم يُرَ لوماً عن عدوّنا كلّا إلّا كذا نقاتل أو قاتلا
وفي الفتوح: لم يك يوماً.
(٦) في الأوربية: «ينزحهم»، وفي البداية والنهاية ٢٧١/٨ «يزعجهم».
(٧) الطبري ٥٤/٦، الفتوح لابن أعثم ١٥٧/٦ وفيه: «يمنحكم طعناً وموتاً عاجلاً»، تهذيب تاريخ دمشق ٣٤٢/٦.
(٨) في الأوربية: «ما».
(٩) في الأوربية: «حِلّ شجر».
(١٠) ما بين القوسين من (ر).

وخَيرَ مَنْ لَبّى وحَيّا وسَجَدْ[1]

فأرسله المختار إلى السجن، ثمّ أحضره من الغد، فأقبل إليه وهو يقول، شعر:

ألا أبلغْ أبا إسحاقَ أنّا ... نَزَوْنا نَزْوَةً كانَتْ علَينَا
خرجنا لا نَرَى الضّعفاء شيئاً ... وكان خُرُوجنا بَطراً وحَيناً
لَقِينا منهُمُ ضَرْباً طِلَحْفاً[2] ... وطَعناً صائباً حتّى انثَنَيْنا
نُصِرْتَ على عدوّك كلّ يَوْمٍ ... بكلّ كتِيبَةٍ تَنْعى[3] حُسَينَا
كنصرِ محمّدٍ في يومِ بَدْرٍ ... ويومِ الشِّعبِ إذ لاقى حُنَيْنَا
فأسْجِحْ[4] إذ ملكتَ فلوْ ملَكنا ... لجُرْنا في الحكومةِ واعتَدَيْنَا
تقَبّلْ تَوْبةً منّي فإنّي ... سأشكرُ إنْ[5] جعلتَ النقد دَينَا[6]

قال: فلمّا انتهى إلى المختار قال: أصلح اللّهُ الأمير، أحلف بالله الذي لا إله إلاّ هو، لقد رأيتُ الملائكة تقاتل معك على الخيول البُلق بين السماء والأرض. فقال له المختار: اصعد المنبر فأعْلِم الناس. فصعِد، فأخبرهم بذلك ثمّ نزل، فخلا به [المختارُ] فقال له: إنّي قد علمتُ أنّك لم تَرَ شيئاً، وإنّما أردتَ ما قد عرفتُ أن لا أقتلك، فاذهبْ عنّي حيثُ شئتَ لا تُفْسِدْ عليّ أصحابي؛ فخرج إلى البصرة، فنزل عند مُصْعَب وقال، شعر:

ألا أبلِغْ[7] أبا إسحاقَ أنّي ... رأيتُ البُلْقَ دُهماً مُصمتَاتِ
كفرْتُ بوَحيكمْ وجعلتُ نَذراً ... عليَّ قتالَكُمْ حتى المَماتِ
أري عينيَّ ما لم تُبْصِراهُ ... كِلانا عالِمٌ بالتُّرّهاتِ[8]

---

(١) ديوان سراقة بن مرداس ٧٤، الطبري ٦/٥٤.
(٢) طِلَحْفاً: شديداً وجيعاً.
(٣) في الأوربية: «تبغي».
(٤) في الأوربية: «فاسمح».
(٥) في الأوربية: «إذ».
(٦) ديوان سراقة ٧٦ ـ ٧٧، الطبري ٦/٥٤ الفتوح لابن اعثم ٦/١٥٢، ١٥٣، تهذيب تاريخ دمشق ٦/٧١، البداية والنهاية ٨/٢٧١ باختلاف ألفاظ وأورد الدينوري في الأخبار الطوال ٣٠٣ البيتين الأولين فقط، مع اختلاف في الألفاظ.
(٧) في البداية والنهاية ٨/٢٧١ «أخبر».
(٨) ديوان سراقة ٧٨، الأخبار الطوال ٣٠٣، الطبري ٦/٥٥، الفتوح لابن أعثم ٦/١٥٤، البدء والتاريخ ٦/٢٢، تهذيب تاريخ دمشق ٦/٦٩، تاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨٠ هـ.) ص ٥٣، البداية والنهاية ٨/٢٧١، ٢٧٢، نهاية الأرب ٢١/٢٣٤.
وزاد الطبري بيتاً هو:
=

وقُتل يومئذ عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهَمْدانيّ، وادّعى قتله سِعْر بن أبي سِعْر، وأبو الزّبَير الشّباميُّ، وشِبام من هَمْدان، ورجل آخر، فقال ابن عبد الرحمن لأبي الزّبير الشباميّ: أتقتل أبي عبد الرحمن سيّد قومك؟ فقرأ: ﴿لا تَجِدُ قَوْماً يُؤمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾[1] الآية.

وانجلت الوقعة عن سبعمائة وثمانين قتيلاً من قومه، وكان أكثرُ القتلِ ذلك اليومَ في أهل اليمن. وكانت الوقعة لستّ ليالٍ بقين من ذي الحجّة سنة ستٍّ وستّين.

وخرج أشراف الناس فلحِقوا بالبصرة، وتجرّد المختار لقَتَلة الحسين، وقال: ما من ديننا أن نترك قتلةَ الحسين أحياء، بئس ناصر آل محمّد، ﷺ، أنا إذاً في الدنيا، أنا إذاً الكذّاب كما سمّوني، وإنّي أستعين بالله عليهم فسمّوهم لي، ثمّ اتبعوهم حتّى تقتلوهم، فإنّي لا يسوغ ليَ الطعام والشراب حتّى أطهّر الأرض منهم. فدُلّ على عبد الله بن أسيد الجُهَنيّ، ومالك بن بَشير البدّيّ، وحَمَل بن مالك المحاربيّ[2]، فبعث إليهم المختارُ، فأحضرهم من القادسيّة، فلمّا رآهم قال: يا أعداء الله ورسوله! أين الحسين بن عليّ؟ أدّوا إليّ الحسين، قتلتم مَن أُمرتم بالصلاة عليهم. فقالوا: رحِمك الله! بُعِثنا كارهين فامنُنْ علينا واستبقِنا. فقال لهم: هلاّ مننتم على الحسين ابن بنت نبيّكم، فاستبقيتموه وسقيتموه؟ وكان البدّيّ صاحب بُرْنُسِه، فأمر بقطع يدَيْه ورِجلَيه، وتُرك يضطّرب حتّى مات، وقتل الآخرين، وأمر بزياد بن مالك الضُّبَعيّ، وبعِمران بن خالد القُشَيريْ، وبعبد الرحمن بن أبي خشكارة[3] البَجَليّ، وبعبد الله بن قيس الخَوْلانيّ، فأُحضروا عنده، فلمّا رآهم قال: يا قَتَلَة الصالحين، وقَتَلَة سيّد شباب أهل الجنّة، قد أقاد الله منكم اليوم، لقد جاءكم الوَرْس في يوم نَحْس. وكانوا نهبوا من الورْس الذي كان مع الحسين. ثمّ أمر بهم فقُتلوا.

وأُحضر عنده: عبد الله وعبد الرحمن ابنا صلخت[4]، وعبد الله (بن وهْب بن عمرو)[5] الهمدانيُّ، وهو ابن عمّ أعشى همدان، فأمر بقتلهم، فقُتلوا، وأُحضر عنده: عثمان بن خالد بن أسيد الدُّهمانيّ الجُهَنيُّ، وأبو أسماء بِشْر بن شُمَيط القانصيُّ، وكانا قد اشتركا في قتل عبد الرحمن بن عَقيل وفي سلْبه، فضرب أعناقهما وأُحرقا بالنار.

= إذا قالوا أقول لهم كذبتم ... وإن خرجوا لبست لهم أداتي

(١) سورة المجادلة، الآية ٢٢.

(٢) في (ب): «المجازي».

(٣) في (ر): «حكارة».

(٤) في (ر): «فلان»، والطبري ٥٨/٦ «صلْخَب».

(٥) في (ر): «ابن عمرو بن وهب».

ثمّ أرسل إلى خَوَليّ بن يزيد الأصبحيّ، وهـو صاحب رأس الحسين، فـاختفى في مخرجه، فدخلِ أصحابُ المختار يفتّشون عنه[1]، فخرجت امرأتـه، واسمها العيـوف بنت مالك، وكانت تعاديه منذ جاء برأس الحسين، فقالت لهم: ما تـريدون؟ فقـالوا لهـا: أين زوجـك؟ قالت: لا أدري، وأشـارت بيدهـا إلى المخرج، فـدخلوا فوجـدوه وعلى رأسـه قَوْصَرَّة، فأخرجوه وقتلوه إلى جانب أهله، وأحرقوه بالنار.

ذكر مقتل عَمرو بن سعد وغيره ممّنْ شهد قتْل الحسين

ثمّ إنّ المختار قال يوماً لأصحابه: لأقتلنّ غداً رجلاً عظيم القدَمين، غـائر العينين، مشرف[2] الحاجبَين، يَسُرّ قتلُه المؤمنين والملائكةَ المقرّبين. وكان عنده الهيثم بن الأسـود النّخعيُّ، فعلم أنّـه يعني عَمْرو بن سعـد، فرجـع إلى منزلـه، وأرسل إلى عَمـرو مع ابنـه العُرْيان يعرّفه ذلـك، فلمّا قـاله لـه قال: جـزى اللّهُ أباك خيـراً، كيف يقتلني بعد العهـود والمـواثيق؟ وكان عبـد الله بن جَعْدة بن هُبَيـرة أكرم النـاس على المختار لقـرابتـه بعليّ، وكلّمه عَمرو بن سعد ليأخذ له أماناً من المختار، ففعل وكتب له المختار أماناً، وشرط فيه أن لا يحدث، وعنى بالحَدَث دخول الخلاء.

ثمّ إنّ عَمْرو بن سعد خرج من بيته بعد عَوْد العريان عنه، فأتَى حمّامه، فأخبر مولًى لـه بما كـان منه وبـأمانـه. فقال لـه مولاه: وأيّ حـدث أعظم ممّـا صنعتَ؟ تركتَ أهلك ورَحْلك وأتيتَ إلى ها هنا، ارجع ولا تجعل عليـك سبيلاً. فـرجع وأتى المختـارَ فأخبـره بانطلاقه[3]، فقال: كلّا، إنّ في عنقه سلسلة ستردّه. وأصبح المختـار فبعث إليه أبـا عَمْرة فأتاه وقال: أجبِ الأميرَ. فقام عَمرو فعثر في جُبّة له، فضربه أبو عَمْرة بسيفه، فقتله وأخذ رأسـه، فأحضـره عند المختـار. فقال المختـار لابنه حفص بن عَمـرو وهو جـالسٌ عنده: أتعرِف مَن هذا؟ قال: نعم ولا خير في العَيش بعده! فأمـر به فقُتـل، وقال المختـار: هذا بحسين، وهذا بعليّ بن الحسين، ولا سواء، والله لو قتلتُ به ثـلاثة أربـاع قريش مـا وفوا أنملة من أنامله[4].

وكـان السبب في تهيّـج المختـار على قتله أنّ يـزيـد بن شـراحيـل الأنصـاريَّ أتى محمّـدَ بن الحنفيّة، وسلّم عليـه، وجـرى الحـديث إلى أن تـذاكـرا المختـار، فقـال ابن الحنفيّة: إنّه يزعم أنّه لنا شيعة، وقَتَلة الحسين عنده على الكراسي يحدّثونه.

(١) في الأوروبية: «عليه».
(٢) الأوروبية: «مترف».
(٣) في الأوروبية: «بإطلاقه».
(٤) الطبري ٦/٦١، البداية والنهاية ٨/٢٧٣، ٢٧٤.

فلمّا عاد يزيد أخبر المختار بذلك، فقتل عَمرَو بن سعد، وبعث برأسه ورأس ابنه إلى ابن الحنفيّة، وكتب إليه يُعلِمُه أنّه قد قتل مَنْ قدر عليه، وأنّه في طلب الباقين ممّن حضر قتْل الحسين.

قال عبد الله بن شَريك: أدركتُ أصحاب الأردية[1] المعلّمة، وأصحاب البرانس السُّود من أصحاب السّواري، إذا مرّ بهم عَمرو بن سعد قالوا: هذا قاتل الحسين، وذلك قبل أن يقتله. وقال ابن سيرين: قال عليّ لَعمرو بن سعد: كيف أنتَ إذا قمتَ مقاماً تُخيّر فيه بين الجنّة والنار، فتختار النار؟

ثمّ إنّ المختار أرسل إلى حَكيم بن طُفَيل الطّائيّ، وكان أصاب سلَب العبّاس بن عليّ، ورمى الحسينَ بسهم، وكان يقول: تعلّق سهمي بسِرْباله وما ضرّه، فأتاه أصحابُ المختار فأخذوه، وذهب أهلُه فشفعوا بعديّ بن حاتم، فكلّمهم عديّ فيه، فقالوا: ذلك إلى المختار. فمضى عديّ إلى المختار ليشفع فيه، وكان المختار قد شفّعه في نفرٍ من قومه أصابهم يوم جبّانة السبيع، فقالت الشيعة: إنّا نخاف أن يشفّعه المختارُ فيه، فقتلوه رمياً بالسهام، كما رمى الحسينَ حتّى صار كأنّه القُنْفذ؛ ودخل عديّ بن حاتم على المختار، فأجلسه معه، فشفع فيه عديّ، فقال المختار: أتستحلّ أن تطلب في قتَلَة الحسين؟ فقال عديّ: إنّه مكذوبٌ عليه. قال: إذاً ندعُه لك.

فدخل ابن كامل فأخبر المختار بقتله، فقال: ما أعجلكم إلى ذلك؟ ألا أحضرتموه عندي؟ وكان قد سرّه قتلُه. فقال ابن كامل: غلبتْني عليه الشيعةُ. فقال عديّ لابن كامل: كذبتَ، ولكن ظننتَ أنّ مَنْ هو خير منك سيشفّعني فقتلتَهُ. فسبّه ابن كامل، فنهاه المختار عن ذلك.

وبعث المختار إلى قاتل عليّ بن الحسين، وهو مُرّة بن مُنقذ من عبد القيس، وكان شجاعاً، فأحاطوا بداره، فخرج إليهم على فرسه وبيده رمحه، فطاعنهم، فضُرب على يده، وهرب منهم فنجا، ولحِق بمُصعَب بن الزّبَير، وشُلّت يده بعد ذلك.

وبعث المختار إلى زيد بن رُقاد الجُنُبيّ[2]، كان يقول: لقد رميتُ فتًى منهم بسهمٍ وكفّه على جبهته (يتّقي النّبلَ، فأثبتُّ كفّه في جبهته، فما استطاع أن يُزيل كفّه عن)[3] جبهته، وكان ذلك الفتى عبد الله بن مسلم بن عَقيل، وإنّه قال حين رميتُهُ: اللهمّ إنّهم استقلّونا واستذلّونا، فاقتلْهم كما قتلونا! ثمّ إنّه رمى الغلام بسهم آخر، وكان يقول: جئتُهُ

---

(١) في الأوربية: «الأزدية».

(٢) في الأوربية: «الحبّاني».

(٣) ما بين القوسين من (ر).

وهو ميت، فنزعتُ[1] سهمي الذي قتلته به من جوفه، فلم أزل أُنضِنِضه[2] من جبهته حتّى أخذته وبقي النَّصلُ؛ فلمّا أتاه أصحاب المختار خرجٍ إليهم بالسيف، فقال لهم ابن كامل: لا تطعنوه ولا تضربوه بالسيف، ولكنِ ارموه بالنبل والحجارة. ففعلوا ذلك به، فسقط، فأحرقوه حيّاً[3].

وطلب المختارُ سِنانَ بن أنَس الذي كان يَدّعي قَتْلَ الحسين، فرآه قد هرب إلى البصرة، فهدّم داره[4].

وطلب عبدَ الله بن عُقْبَة الغَنَويَّ، فوجده قد هرب إلى الجزيرة، فهدّم داره، وكان قد قتل منهم غلاماً. وطلب آخر من بني أسد يقال له حَرْملة[5] بن الكاهن[6]، كان قد قتل رجلاً من أهل الحسين ففاته.

وطلب أيضاً رجلاً من خَثْعَم اسمه عبد الله بن عُرْوة الخثْعميّ، كان يقول: رميتُ فيهم باثني عشر سهماً؛ ففاته ولحِق بمُصْعَب بن الزّبير، فهدّم داره.

وطلب أيضاً عمرَو بن الصُّبَيْح الصُّدائيَّ، كان يقول: لقد طعنتُ فيهم وجرحتُ، وما قتلتُ منهم أحداً، فأتي ليلاً فأخذ، وأُحضر عند المختار، فأمر بإحضار الرماح، وطُعن بها حتّى مات[7].

وأرسل إلى محمد بن الأشعث، وهو في قريةٍ له إلى جَنْب القادسيّة، فطلبوه فلم يجدوه، وكان قد هرب إلى مُصْعَب، فهدم المختارُ داره، وبنى بلبِنها وطِينِها دار حُجْر بن عديّ الكِنْديّ، كان زياد قد هدمها[8].

(بَحِير بن ريسان[9]: بفتح الباء الموحدة، وكسر الحاء المهملة. شِبام: بكسر الشين المعجمة، والباء الموحّدة: بطن من هَمْدان؛ وهَمْدان: بسكون الميم، وبالدال المهملة. وسِعْر: بكسر السين المهملة. وأحمر بن شُمَيط: بالحاء المهملة، والراء المهملة، وشُمَيط بالشين المعجمة. وشَبَث: بفتح الشين المعجمة والباء الموحّدة. جبّانة أُثَير:

---

(١) في الأوربية: «فزعت».
(٢) أُنَضْنِضُه: أحرّكه.
(٣) الطبري ٦/٦٤، ٦٥.
(٤) الطبري ٦/٦٥.
(٥) في (ر): «خزيمة».
(٦) الطبري ٦/٦٥ «الكاهل».
(٧) الطبري ٦/٦٥.
(٨) الطبري ٦/٦٦.
(٩) في (ر): «رستان».

بضمّ الهمزة، وبالثاء المثلّثة، وبالياء المثنّاة من تحت، وبالراء المهملة. عُتَيْبَة بن النَّهاس: بالعين المهملة، وبالتاء المثنّاة من فوق، ثم بالياء المثنّاة من تحت، وبالياء الموحّدة. حسّان بن فائد: بالفاء).

ذكر بيعة المثنّى العبديّ للمختار بالبصرة

وفي هذه السنة دعا المثنّى بن مُخَرِّبة العَبديُّ بالبصرة إلى بيعة المختار، وكان ممّن شهد عين الوردة مع سليمان بن صُرَد، ثمّ رجع فبايع للمختار، فسيّره إلى البصرة يدعو بها إليه، فقدِم البصرةَ ودعا بها، فأجابه رجال من قومه وغيرهم، ثمّ أتى مدينة الرزق فعسكر عندها، وجمعوا الميرة بالمدينة، فوجّه إليهم القُبَاعُ[1] أميرُ البصرة، ودعا بها عَبّادَ بن حُصَين، وهو على شُرطته، وقيس بن الهيثم في الشُّرَط والمقاتلة، فخرجوا إلى السَّبْخة، ولزِم الناسُ بيوتهم، فلم يخرج أحد، وأقبل عبّاد فيمَن معه، فتواقف هو والمثنّى، فسار عبّاد نحو مدينة الرزق، وترك قيساً مكانه.

فلمّا أتَى عبّاد مدينة الرزق أصعد على سورها ثلاثين رجلاً وقال لهم: إذا سمعتم التكبير فكبّروا، ورجع عبّاد إلى قيس، وأنشبوا القتال مع المثنّى، وسمع الرجال الذين في دار الرزق التكبيرَ فكبّروا، وهرب مَنْ كان بالمدينة، وسمع المثنّى التكبير من ورائهم، فهرب فيمَن معه، فكفّ عنهم قيس وعبّاد ولم يتبعاهم.

وأتَى المثنّى قومَه عبدَ القيس، فأرسل القُباعُ عسكراً إلى عبد القيس ليأتوه بالمثنّى ومَنْ معه. فلمّا رأى زياد بن عَمرو العَتَكيُّ ذلك أقبل إلى القُباع فقال له: لتَرُدَّنّ خيلك عن إخواننا أو لنقاتلنّهم. فأرسل القباعُ الأحنفَ بن قيس، وعمر بن عبد الرحمن المخزوميَّ ليُصلحا بين الناس، فأصلح الأحنف الأمرَ على أن يخرج المثنّى وأصحابُه عنهم، فأجابوه إلى ذلك وأخرجوهم عنهم، فسار المثنّى إلى الكوفة في نفرٍ يسير من أصحابه[2].

(مُخَرِّبة: بضمّ الميم، وفتح الخاء المعجمة، وتشديد الراء وكسرها، ثمّ باء مفتوحة).

ذكر مكر المختار بابن الزبير

فلمّا أخرج المختارُ عاملَ ابن الزّبَير عن الكوفة، وهو ابن مُطيع، سار إلى البصرة،

---

(١) في (آ) و(ر): «القناع».

(٢) الطبري ٦/٦٦ - ٦٨.

وكَرِه أن يأتي ابنَ الزّبير مهزوماً، فلمّا استجمع للمختار أمرُ الكوفة أخذ يخادع ابن الزّبير، فكتب إليه: قد عرفتَ مناصحتي إيّاك وجهدي على أهل عداوتك، وما كنتَ أعطيتني إذا أنا فعلتُ ذلك [من نفسك]، فلمّا وفيتُ لك لم تفِ بما عاهدتني عليه، فإن تُرِدْ مراجعتي ومناصحتي فعلتُ، والسلام.

وكان قصدُ المختار أن يكفّ ابن الزّبير عنه ليتمّ أمره، والشيعة لا يعلمون بشيءٍ من أمره، فأراد ابن الزّبير أن يعلم أسِلْمٌ هو أم حَرْب، فدعا عمرَ بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزوميَّ، فولّاه الكوفة وقال له: إنّ المختار سامعٌ مطيع؛ فتجهّز بما بين ثلاثين ألف درهم إلى أربعين ألفاً، وسار نحو الكوفة. وأتَى الخبر إلى المختار بذلك، فدعا المختارُ زائدة بن قُدامة، وأعطاه سبعين ألف درهم وقال له: هذا ضعف ما أنفق عمر بن عبد الرحمن في طريقه إلينا، وأمره أن يأخذ معه خمسمائة فارس ويسير حتّى يلقاه بالطريق، ويعطيه النفقة ويأمره بالعود، فإن فعل وإلّا فلْيُرِه[1] الخيل.

فأخذ زائدةُ بن قُدامة المال، وسار حتّى لقي عمر، فأعطاه المالَ، وأمره بالانصراف، فقال له: إنّ أمير المؤمنين قد ولّاني الكوفة، ولا بدّ من إتيانها. فدعا زائدةُ الخيلَ، وكان قد كمّنها، فلمّا رآها قد أقبلتْ[2] أخذ المال، وسار نحو البصرة، فاجتمع هو وابن مطيع في إمارة الحارث بن أبي ربيعة، وذلك قبل وثوب المثنّى بن مُخَرِّبة العبديّ بالبصرة[3].

وقيل: إنّ المختار كتب إلى ابن الزبير: إنّي اتّخذتُ الكوفةَ داراً، فإن سوّغتني ذلك، وأمرتَ لي بألف ألف درهم سرتُ إلى الشام، فكفيتُك ابنَ مروان. فقال ابن الزّبير: إلى متى أماكر كذّاب ثقيف ويماكرني؟ ثمّ تمثّل[4]، شعر:

عاري الجواعرْ مَنْ ثَمودُ أصلُهُ   عَبدٌ ويَزْعُمُ أنّهُ مَنْ يَقْدمُ

وكتب إليه: والله ولا درهم:

ولا أمتري [عبدَ] الهوانِ ببدرتي   وإنّي لآتي الحتفَ[5] ما دمتُ أسمعُ[6]

---

(١) في الأوربية: «فأرِه».
(٢) في الأوربية: «أقللت».
(٣) الطبري ٦/٧١، ٧٢.
(٤) في الأوربية: «تماثل».
(٥) في (ر): «الخيف».
(٦) في الأوربية:
«ولا درهم ولا امتري الهون بدرتي   وإنّي لآتي الحنيف ما دمتُ أسمعُ»

ثمّ إنّ عبد الملك بن مروان بعث عبدَ الملك بن الحارث بن أبي الحكَم بن أبي العاص إلى وادي القرى، وكان المختار قد وادع ابن الزّبير ليكفّ عنه ليتفرّغ لأهل الشام. فكتبَ المختار إلى ابن الزّبير: قد بلغني أنّ ابن مروان قد بعث إليك جيشاً، فإن أحببتَ أمددتُك بمدد.

فكتب إليه ابن الزّبير: إن كنتَ على طاعتي فبايعْ لي الناس قِبَلك، وعجّلْ إنفاذ الجيش، ومُرْهم ليسيروا إلى مَنْ بوادي القرى من جُند ابن مروان فلْيقاتلوهم، والسّلام.

فدعا المختارُ شُرَحْبيل بن وَرس الهَمْدانيَّ، فسيّره في ثلاثة آلاف، أكثرهم من الموالي، وليس فيهم من العرب إلاّ سبعمائة رجل، وقال: سِرْ حتّى تدخل المدينة، فإذا دخلتَها فاكتبْ إليّ بذلك حتّى يأتيك أمري. وهو يريد إذا دخلوا المدينة أن يبعث عليهم أميراً، ثمّ يأمر ابن ورس بمحاصرة ابن الزّبير بمكّة. وخشي ابن الزّبير أن يكون المختار إنّما يكيده، فبعث من مكّة عبّاسَ بن سهلِ بن سعد في ألْفين، وأمره أن يستنفر الأعراب، وقال له: إن رأيتَ القوم على طاعتي، وإلاّ فكايدْهم حتّى تُهْلكهم.

فأقبل عبّاس بن سهل حتّى لقي ابن ورس بالرَّقيم، وقد عبّأ ابن ورس أصحابه، وأتى عبّاس وقد تقطّع أصحابُه، ورأى ابنَ ورس على الماء، وقد عبّأ أصحابه، فدنا منهم وسلّم عليهم، ثمّ قال لابن ورس سرّاً: ألستم على طاعة ابنِ الزّبير؟ قال: بلى. قال: فسِرْ بنا على عدوّه الذي بوادي القرى. فقال ابنُ ورس: ما أُمرتُ بطاعتكم، إنّما أُمرتُ أن آتي المدينة، فإذا أتيتُها رأيتُ رأيي. فقال له عبّاس: إن كنتم في طاعة ابن الزّبير فقد أمرني أن أسيّركم إلى وادي القرى. (فقال: لا أتبعك، أَقْدَم المدينة، وأكتب إلى صاحبي، فيأمرني بأمره. فقال عبّاس: رأيُك أفضل، وفطن لما يريد وقال: أمّا أنا فسائرٌ إلى وادي القرى)[1].

ونزل عبّاس أيضاً، وبعث إلى ابن ورس بجزائرَ وغَنَم مسلَّخة، وكانوا قد ماتوا جوعاً، فذبحوا واشتغلوا بها واختلطوا على الماء، وجمع عبّاس من أصحابه نحو ألف رجل من الشجعان، وأقبل نحو فُسطاط ابن ورس، فلمّا رآهم نادى في أصحابه، فلم يجتمع إليه مائة رجل حتّى انتهى إليه عبّاس، واقتتلوا[2] يسيراً، فقُتل ابن ورس في سبعين من أهل الحِفاظ، ورفع عبّاس راية أمانٍ لأصحاب ابن ورس، فأتوها إلاّ نحوٌ من ثلاثمائة رجل مع سليمان بن حِمْير الهمدانيّ وعبّاس بن جَعْدة الجدلي، فظفر ابنُ سهل منهم بنحو من مائتين فقتلهم، وأفلت الباقون فرجعوا، فمات أكثرهم في الطريق.

---

(١) ما بين القوسين من (ر).
(٢) في الأوربية: «ويقتتلوا».

وكتب المختار بخبرهم إلى ابن الحنفيّة يقول: إنّي أرسلتُ إليك جيشاً ليُذلّوا لك الأعداء، ويُحرزوا البلاد، فلمّا قاربوا طَيْبَةَ[١] فُعِلَ بهم كذا وكذا، فإن رأيتَ أن أبعث إلى المدينة جيشاً كثيفاً، وتبعث إليهم من قِبَلك رجلاً، حتّى يعلموا أنّي في طاعتك فافعلْ، فإنّك ستجدهم بحقّكم أعرف، وبكم أهل البيت أرأف منهم بآل الزّبير، والسّلام.

فكتب إليه ابن الحنفيّة: أمّا بعدُ، فقد قرأتُ كتابك، وعرفتُ تعظيمك لحقّي، وما تنويه من سروري، وإنّ أحبّ الأمور كلّها إليّ ما أطيع الله فيه، فأطِع الله ما استطعتَ، وإنّي لو أردتُ القتال، لوجدتُ النّاس إليّ سراعاً، والأعوانَ لي كثيراً، ولكن أعتزِلُكم وأصبر حتّى يحكم الله، وهو خير الحاكمين. وأمره بالكفّ عن الدّماء[٢].

ذكر حال ابن الحنفيّة مع ابن الزّبير ومسير الجيش من الكوفة

ثمّ إنّ ابن الزّبير دعا محمّد بن الحنفيّة ومَنْ معه من أهل بيته (وشيعته)[٣]، وسبعة عشر رجلاً من وجوه أهل الكوفة، منهم أبو الطُّفَيْل عامر بن واثلة، له صُحبة، ليبايعوه، فامتنعوا وقالوا: لا نبايع حتّى تجتمع الأمّة؛ فأكثَرَ الوقيعةَ في ابن الحنفيّة وذمَّه، فأغلظ له عبد الله بن هانيء الكِنديُّ وقال: لئن لم يضرّك إلّا تَرْكُنا بَيعتك لا يضرّك شيء، وإنّ صاحبنا يقول: لو بايعَتْني الأمّةُ كلّها غير سعدٍ مولى معاوية ما قبلتُهُ. وإنّما عرَّض بذكر سعد، لأنّ ابنَ الزّبير أرسل إليه فقتله، فسبّه عبدُ الله وسبّ أصحابَه، وأخرجهم من عنده، فأخبروا ابن الحنفيّة بما كان منهم، فأمرهم بالصبر، ولم يلحّ عليهم ابن الزّبير.

(فلمّا استولى المختار على الكوفة، وصارت الشيعة تدعو لابن الحنفيّة، خاف ابنُ الزّبير)[٤] أن يتداعى الناس إلى الرضا به، فألحّ عليه وعلى أصحابه في البيعة له، فحبسهم بزمزم، وتوعّدهم بالقتل والإحراق، وإعطاء الله عهداً إن لم يبايعوا أن ينفّذ فيهم ما توعّدهم به، وضرب لهم في ذلك أجلاً.

فأشار بعضُ مَن كان مع ابن الحنفيّة عليه أن يبعث إلى المختار يُعْلمه حالهم، فكتب إلى المختار بذلك، وطلب منه النجدة. فقرأ المختار الكتاب على الناس وقال: إنّ هذا مهديّكم وصريح أهل بيت نبيّكم، (وقد تُركوا محظوراً عليهم، كما يُحظر)[٥] على

---

(١) في الأوربية: «الطيبة».

(٢) الطبري ٦/٧٢ ـ ٧٥.

(٣) من (ر).

(٤) ما بين القوسين من (ر).

(٥) في الأوربية: قد تركوه محصوراً عليهم كما يحصر.

الغنم، ينتظرون القتل والتّحريق في الليل والنهار، لستُ أبا إسحاق إن لم أنصرهم نصراً مؤزّراً، وإن لم أسرّب الخيل في أثر الخيل كالسيل يتلوه السيل، حتّى يحلّ بابن الكاهليّة الويل[١]! يعني ابن الزبير.

وذلك أنّ أمّ خُوَيلد أبي العَوّام زُهْرة بنت عَمرو من بني كاهل بن أسد بن خُزَيْمة.

فبكى الناسُ وقالوا: سرّحْنا إليه وعجّلْ. فوجّه أبا عبد الله الجَدَليَّ في سبعين راكباً من أهل القوّة، ووجّه ظَبْيان بن عُمارة أخا بني تميم ومعه أربعمائة، وبعث معه لابن الحنفيّة أربعمائة ألف درهم، وسيّر أبا المعمّر في مائة، وهانىء بن قيس في مائة، وعُمَير بن طارق في أربعين، ويونس بن عِمران في أربعين. فوصلَ أبو عبد الله الجَدَليُّ إلى ذات عِرْق، فأقام بها حتّى أتاه عُمَير ويونس في ثمانين راكباً، فبلغوا مائةً وخمسين رجلاً، فسار بهم حتّى دخلوا المسجد الحرام، (ومعهم الرايات)[٢]، وهم ينادون: يا لثارات الحسين! حتّى انتهوا إلى زمزم، وقد أعدّ ابن الزّبير الحطب ليحرّقهم، وكان قد بقي من الأجل يومان، فكسروا الباب، ودخلوا على ابن الحنفيّة فقالوا: خلِّ بيننا وبين عدوّ الله ابن الزّبير! فقال لهم: إنّي لا أستحلّ القتال في الحَرَم. فقال ابن الزّبير: واعجبا لهذه الخشبيّة[٣]! ينعون الحسين كأنّي أنا قتلته، والله لو قدرتُ على قَتَلَته لقتلتهم.

وإنّما قيل لهم خشبيّة لأنّهم دخلوا مكّة وبأيديهم الخشب، كراهة شَهْرِ[٤] السيوف في الحرم، وقيل: لأنّهم أخذوا الحطب الذي أعدّه ابن الزّبير.

وقال ابن الزّبير: أتحسبون أنّي أخلّي سبيلهم دون أن يبايع ويبايعوا؟ فقال الجَدَليُّ: إي وربّ الركن والمقام، لَتُخلينّ سبيله، أو لنجالدنّك بأسيافنا جِلاداً[٥] يرتاب منه المبطلون! فكفّ ابنُ الحنفيّة أصحابه وحذّرهم الفتنة.

ثمّ قدِم باقي الجُنْد ومعهم المال حتّى دخلوا المسجد الحرام، فكبّروا وقالوا: يا لثارات الحسين! فخافهم ابن الزّبير، وخرج محمّد بن الحنفيّة ومَنْ معه إلى شِعب عليّ، وهم يسبّون ابنَ الزبير، ويستأذنون محمّداً فيه، فأبَى عليهم. فاجتمع مع محمّد في الشّعب أربعة آلاف رجل، فقسم بينهم المالَ وعَزّوا وامتنعوا[٦]. فلمّا قُتل المختار تضعضعوا واحتاجوا.

---

(١) الطبري ٦/٧٣ - ٧٦.

(٢) في (ب): «ومعه الكافركوبات».

(٣) في (ر): «الخبيثة».

(٤) الأوربية: «إشهار».

(٥) الأوربية: لنجادلنّك بأسيافنا جدالاً.

(٦) الطبري ٦/٧٦، ٧٧.

ثمّ إنّ البلاد استوثقت لابن الزّبير بعد قتل المختار، فأرسل إلى ابن الحنفيّة: ادخلْ في بيعتي وإلاّ نابذتُك. وكان رسوله عُرْوَة بن الزّبير. فقال ابن الحنفيّة: بؤساً لأخيك ما ألجّه فيما أسخط الله وأغفله عن ذات الله! وقال لأصحابه: إنّ ابن الزّبير يريد أن يثور بنا، وقد أذِنْتُ لمَنْ أحبّ الانصرافَ عنّا، فإنّه لا ذمام عليه منّا ولا لوم، فإنّي مقيم حتّى يفتح الله بيني وبين ابن الزّبير، وهو خير الفاتحين.

فقام إليه أبو عبد الله الجَدَليُّ وغيره، فأعلموه أنّهم غير مفارقيه. وبلغ خبرُه عبدَ الملك بن مروان، فكتب إليه يُعْلمه أنّه إن قدِم عليه أحسن إليه، وأنّه ينزل إلى الشام إن أراد حتّى يستقيم أمر الناس، فخرج ابن الحنفيّة وأصحابه إلى الشام، وخرج معه كُثيّر عَزّة، وهو يقول، شعر:

هُدِيتَ يا مهديّنا ابنَ المُهتَدي — أنتَ الذي نَرْضَى بهِ ونَرْتَجِي[1]
أنتَ ابنُ خَيرِ النّاسِ بعدَ النّبي — أنتَ إمامُ الحَقّ لَسنا نَمْتَري
يابنَ عليٍّ سِرْ ومَنْ مثلُ عَلي

فلمّا وصل مَدْيَن بلغه غدر عبد الملك بعَمرو بن سعيد، فندم على إتيانه وخافه، فنزل أَيْلة، وتحدّث الناس بفضل محمّد وكثرة عبادته وزُهده وحُسن هَدْيه. فلمّا بلغ ذلك عبدَ الملك ندم على إذنه له في قدومه بلده، فكتب إليه: إنّه لا يكون في سلطاني مَنْ لم يبايعني. فارتحلَ إلى مكّة ونزل شِعب أبي طالب، فأرسل إليه ابنُ الزّبير يأمره بالرحيل عنه، وكتب إلى أخيه مُصْعَب بن الزّبير يأمره أن يسيّر نساء مَنْ مع ابن الحنفيّة، فسيّر نساء، منهنّ امرأة أبي الطُّفيل عامر بن واثلة، فجاءت حتّى قدِمتْ عليه، فقال الطُّفَيل، شعر:

إنْ يَكُ سيّرها مُصعَبُ — فإنّي إلى مُصْعَب مُتْعَبُ
أقودُ الكتيبَةَ مُستَلئماً — كأنّي أخو عزّةٍ أحرَبُ

وهي عدّة أبيات.

وألحّ ابنُ الزّبير على ابن الحنفيّة بالانتقال إلى مكّة، فاستأذنه أصحابه في قتال ابن الزّبير، فلم يأذن لهم وقال: اللهمّ ألبِسْ ابنَ الزّبير لباس الذُّلّ والخوف، وسلّطْ عليه وعلى أشياعه مَنْ يسومهم الذي يسوم الناس.

ثمّ سار إلى الطّائف، فدخل ابن عبّاس على ابن الزّبير وأغلظ له، فجرى بينهما كلام كرهنا ذكره. وخرج ابن عبّاس أيضاً فلحِق بالطّائف، ثمّ تُوُفّي، فصلّى عليه ابن

---

(١) في الفتوح لابن أعثم ٦/٢٤١:
هديت يا مهدي يا ابن المهتدي — أنت الذي نرضى به ونقتدي

الحنفيّة وكبّر عليه أربعاً، وبقي ابن الحنفيّة حتّى حصر الحجّاجُ ابنَ الزّبير، فأقبل من الطّائف فنزل الشّعب، فطلبه الحجّاج ليبايع عبد الملك، (فامتنع حتّى يجتمع الناس.

فلمّا قُتل ابن الزّبير كتب ابنُ الحنفيّة إلى عبد الملك)[1] يطلب منه الأمان له ولِمَنْ معه، وبعث إليه الحجّاجُ يأمره بالبيعة، فأبَى وقال: قد كتبتُ إلى عبد الملك، فإذا جاءني جوابُه بايعتُ.

وكان عبد الملك كتب إلى الحجّاج يوصيه بابن الحنفيّة، فتركه، فلمّا قدِم رسولُ ابن الحنفيّة، وهو أبو عبد الله الجَدَليّ، ومعه كتاب عبد الملك بأمانه وبسطِ حقّه[2] وتعظيم أهله[3]، حضر عند الحجّاج، وبايع لعبد الملك بن مروان، وقدِم عليه الشام، وطلب منه أن لا يجعل للحجّاج عليه سبيلاً، فأزال حكمَ الحجّاج عنه.

وقيل: إنّ ابن الزبير أرسل إلى ابن عبّاس وابن الحنفيّة أن يبايعا، فقالا: حتّى يجتمع الناس على إمامٍ ثمّ نبايع، فإنّك في فتنة. فعظم الأمر بينهما، وغضب من ذلك، وحبس ابن الحنفيّة في زمزم، وضيّق على ابن عبّاس في منزله، وأراد إحراقهما، فأرسل المختارُ جيشاً، كما تقدّم، فأزال عنهما ضررَ ابن الزّبير.

فلمّا قُتل المختار قوي عليهما ابنُ الزّبير وقال: لا تجاوراني[4]. فخرجا إلى الطائف، وأرسل ابن عبّاس ابنَه عليّاً إلى عبد الملك بالشام وقال: لئن يربّني بنو عمّي أحبّ إليّ من أن يربّني رجلٌ من بني أسد؛ يعني ببني عمّه بني أميّة، لأنّهم جميعهم من ولد عبد مَنَاف، ويعني برجل من بني أسد ابنَ الزبير، فإنّه من بني أسد بن عبد العُزّى بن قُصَيّ. ولما وصل عليّ بن عبد الله بن عبّاس إلى عبد الملك، سأله عن اسمه وكنيته، فقال: اسمي عليّ، والكنية أبو الحسن. فقال: لا يجتمع هذا الاسم وهذه الكنية في عسكري، أنت أبو محمّد.

ولما وصل ابن عبّاس إلى الطّائف توفّي به، وصلّى عليه ابن الحنفيّة.

ذكر الفتنة بخراسان

في هذه السنة كان حصار عبد الله بن خازم مَنْ كان بخُراسان من بني تميم، بسبب قتلهم ابنه محمّداً، وقد تقدّم ذكره، فلمّا تفرّقت بنو تميم بخُراسان، على ما تقدّم، أتى

(١) ما بين القوسين من (ر).
(٢) في (ب): «أمله».
(٣) في (ب): «حقه».
(٤) في الأوربية: «تجاورا لي»، وفي (ب): «تجاوزا لي».

قصر فَرْتَنا[1] عدّة من فرسانهم ما بين السبعين إلى الثمانين، فولّوا أمرهم عثمان بن بِشْر بن المُحْتَفِز المازنيَّ، ومعه شُعْبَة بن ظَهير النَّهْشَليُّ، وورْد بن الفلق العنبريُّ، وزُهير بن ذُؤيب العَدَويُّ، وجَيْهان بن مَشْجَعَة الضّبّيُّ، والحجّاج بن ناشب[2] العَدَويُّ، ورقبة[3] بن الحُرّ، في فرسانٍ من تميم وشجعانهم، فحاصرهم ابنُ خازم، فكانوا يخرجون إليه فيقاتلونه، ثمّ يرجعون إلى القصر.

فخرج ابنُ خازم يوماً في ستّة آلاف، وخرج إليه أهل القصر، فقال لهم عثمان بن بِشْر: ارجعوا فلن تُطيقوه، فحلف زهير بن ذُؤيب بالطّلاق أنّه لا يرجع حتى ينقض[4] صفوفهم. فاستبطن نهراً قد يبس، فلم يشعر به أصحاب عبد الله حتّى حمل عليهم، فحطّ أوّلهم على آخرهم، واستدار وكرّ راجعاً، واتّبعوه يصيحون به، ولم يجسر أحد أن ينزل إليه حتّى رجع إلى موضعه، فحمل عليهم، فأفرجوا له حتّى رجع.

فقال ابن خازم لأصحابه: إذا طاعنتم زهيراً فاجعلوا في رماحكم كلاليب، ثمّ علّقوها في سلاحه. فخرج إليهم يوماً فطاعنهم، فأعلقوا فيه أربعة أرماح (بالكلاليب، فالتفت إليهم ليحمل عليهم، فاضطّربت أيديهم، وخلّوا رماحهم، فعاد يجرّ أربعة أرماح حتّى)[5] دخل القصر.

فأرسل ابنُ خازم إلى زُهير يضمن له مائة ألف ومَيْسان طعمة ليناصحه، فلم يُجبه. فلمّا طال الحصار عليهم أرسلوا إلى ابن خازم ليُمْكنهم من الخروج ليتفرّقوا، فقال: لا، إلّا على حكمي، فأجابوا إلى ذلك. فقال زهير: ثكِلتْكم أمّهاتكم! والله ليقتلنّكم عن آخركم، وإن طبتم بالموت نفساً فموتوا كراماً، اخرجوا بنا جميعاً، فإمّا أن تموتوا كراماً، وإمّا أن ينجو بعضكم ويهلك بعضكم، وايم الله، لئن شددتم عليهم شدّةً صادقةً ليفرجُنّ لكم، فإنْ شئتم كنتُ أمامكم، وإن شئتم كنتُ خلفكم. فأبوا عليه. فقال: سأريكم. ثمّ خرج هو ورقبة بن الحُرّ، وغلام تركيّ، وابن ظَهير، فحملوا على القوم حملةً منكرةً، فأفرجوا لهم، فمضوا، فأمّا زهير فرجع ونجا أصحابه.

فلمّا رجع زُهير إلى مَنْ بالقصر قال: قد رأيتم، أطيعوني. قالوا: إنّا نضعف عن[6] هذا ونطمع في الحياة. فقال: لا أكون أعجزكم عند الموت. فنزلوا على[7] حكم ابن

(١) في الأوربية: «قصره قريباً». وفي (ب): «فرسا».
(٢) في (ب): «ثابت».
(٣) في الأوربية: «ورقيّة».
(٤) الأوربية: «يتعرّض».
(٥) ما بين القوسين من (ر).
(٦) في الأوربية: «من».
(٧) في الأوربية: «عن».

خازم، فأرسل إليهم فقيّدهم وحُملوا إليه رجلاً رجلاً، فأراد أن يمنّ عليهم فأبى عليه ابنُه موسى وقال له: إنْ عفوتَ عنهم قتلتُ نفسي، فقتلهم إلّا ثلاثة: أحدهم الحجّاج بن ناشب، فشفع فيه بعض مَنْ معه، فأطلقه، والآخر جَيْهان بن مَشْجَعَة الضَّبّيُّ الذي ألقى نفسه على محمّد بن عبد الله، كما تقدّم، والآخر رجل من بني سعد من تميم، وهو الذي ردّ الناس عن ابن خازم يوم لحِقوه، وقال: انصرفوا عن فارس مُضَر.

وقال: ولما أرادوا حمل زهير بن ذُؤَيب وهو مقيّد أبى، واعتمد على رُمحه فوثب الخندق، ثمّ أقبل إلي ابن خازم يحجل في قيوده، فجلس بين يديه، فقال له ابنُ خازم: كيف شكرك إن أطلقتُك وأطعمتك مَيْسان؟ قال: لو لم تصنع بي إلّا حقْن دمي لشكرتُك. فلم يمكّنه ابنُه موسى من إطلاقه، فقال له أبوه: ويحك نقتل مثل زهير! مَنْ لقتال عدوّ المسلمين؟ مَنْ لحِمي نساء العرب؟ فقال: والله لو شركتَ في دم أخي لقتلتُك! فأمر بقتله. فقال زُهير: إنّ لي حاجة، لا تقتلْني ويخلط دمي بدماء هؤلاء اللئام، فقد نهيتُهم عمّا صنعوا، وأمرتهم أن يموتوا كراماً ويخرجوا عليكم مُصْلِتين، وايمِ الله، لو فعلوا لأذعروا بُنيّك هذا، وشغلوه بنفسه عن طلب ثأر أخيه، فأبوا، ولو فعلوا ما قُتل منهم رجل حتّى يقتل رجالاً. فأمر به ابن خازم فقُتل ناحيةً[1].

فلمّا بلغ الحَريشَ قتلُهم قال:

أعاذِلَ إنّي لم أُلِمْ في قتالهِمْ وقد عضّ سيفي كَبْشَهم ثمّ صمّما[2]
اعاذِلَ ما وليّتُ حتى تبدّدتْ[3] رجالٌ وحتى لم أجِدْ مُتَقَدِّما
أعاذِلَ أفناني السّلاحُ، ومَنْ يُطِلْ مقارَعةَ الأبطالِ يَرْجِعْ مُكَلَّما
أعَينيّ إنْ أنزَفتُما الدّمعَ فاسكُبا دماً لازِماً لي دون أن تسكُبا[4] دَمَا[5]
أبَعدَ زُهَيرٍ وابنِ بِشرٍ تَتَابعا[6] وَوَرْدٍ أُرَجّي[7] في خُراسانَ مَغنَمَا
أعاذلَ كم من يومِ حربٍ شَهِدتُه أكُرُّ إذا ما فارِسُ السُّوء أحجَمَا[8]

يعني زُهَير بن ذُؤَيْب، وابن بِشْر هو عثمان، وَوَرْد بن الفلق.

---

(١) نهاية الأرب ٢١/٦٤ - ٦٦.
(٢) في (ر): «صمصما».
(٣) في (ب): «تبدرت بي»، وفي الأوربية: «شردت بي».
(٤) في الأوربية: «سكبا».
(٥) في (ر): «أرسلهما الدما».
(٦) في (آ): «سايعا»، وفي الأوربية «متابعاً».
(٧) في (ر): «ان حيّ».
(٨) الطبري ٦/٨٠.

ذكر مسير ابن الأشتر إلى قتال ابن زياد

وفي هذه السنة لثمانٍ بقين من ذي الحجّة سار إبراهيم بن الأشتر لقتال عُبيد الله بن زياد، وكان مسيره بعد فراغ المختار من وقعة السَّبِيع بيومَين، وأخرج المختارُ معه فرسانَ أصحابه ووجُوهَهم[1] وأهلَ البصائر منهم ممّنْ له تجربة، وخرج معه المختار يشيّعه، فلمّا بلغ دَير عبد الرحمن بن أمّ الحكَم لقِيه أصحابُ المختار معهم الكرسيّ يحملونه على بغل أشهب، وهم يدعون الله له بالنصر ويستنصرونه، وكان سادنَ الكرسيّ حَوشبُ البَرْسميُّ، فلمّا رآهم المختارُ قال:

أمَا ورَبّ المُرْسَلاتِ عُرْفا ... لَنَقتلنّ بعد صفٍّ صفّا

وبعد ألفٍ قاسطين ألفا[2]

ثمّ ودّعه المختارُ وقال له: خذْ عنّي ثلاثاً: خَفِ الله، عزّ وجلّ، في سرّ أمرك وعَلانيتك، وعجّل السير، وإذا لقيتَ عدوّك فناجِزْهم ساعةَ تلقاهم.

ورجع المختارُ، وسار إبراهيم فانتهَى إلى أصحاب الكرسيّ، وهم عُكُوف عليه، قد رفعوا أيديهم إلى السماء يدعون الله، فقال إبراهيم: اللهمّ لا تؤآخِذْنا بما فعل السُّفهاء منّا، هذه سُنّة بني إسرائيل، والذي نفسي بيده، إذ عكفوا على عِجْلهم، ثمّ رجعوا وسار إلى قصده[3].

ذكر حال الكرسيّ الذي كان المختار يستنصر به

قال الطُّفَيْل بن جَعْدة بن هُبَيرة: أضقنا إضاقةً شديدة، فخرجتُ يوماً، فإذا جار لي زيّات عنده كرسيٌّ ركبه الوسخ، فقلتُ في نفسي: لو قلتُ للمختار في هذا شيئاً فأخذتُهُ من الزيّات وغسلتُهُ، فخرج عُود نُضار، قد شرب الدُّهْن وهو يَبِص[4]، قال فقلتُ للمختار: إنّي كنتُ أكتمُك شيئاً، وقد بدا لي أن أذكره لك، إنّ أبي جَعْدة كان يجلس على كرسيّ عندنا، ويروي أنّ فيه أثراً من عليّ. قال: سبحان الله أخّرْتَه إلى هذا الوقت! ابعثْ به، فأحضرتُه عنده وقد غُشّي[5]، فأمر لي باثني عشر ألفاً ثمّ دعا: الصلاة جامعة، فاجتمع الناسُ، فقال المختار:

---

(١) في الأوربية: «ووجّههم».

(٢) الطبري ٨١/٦.

(٣) الطبري ٨١/٦، ٨٢.

(٤) في الأوربية: «بيض».

(٥) في (ر): «سرعني».

إنّه لم يكن في الأمم الخالية أمر إلّا وهو كائن في هذه الأمّة مثله، وإنّه كان في بني إسرائيل التابوت، وإنّ هذا فينا مثل التابوت. فكشفوا عنه، وقامت السَّبَئِيَّةُ[1] فكبّروا.

ثمّ لم يلبثوا أن أرسل المختار الجُندَ لقتال ابن زياد، وخرج بالكرسيّ على بغل وقد غُشِّي، فقُتل أهل الشام مقتلةً عظيمة، فزادهم ذلك فتنة[2]، فارتفعوا حتّى تعاطوا الكفرَ، فندمتُ على ما صنعتُ، وتكلّم الناسُ في ذلك تعيبه.

وقيل: إنّ المختار قال لآل جَعْدَة بن هُبَيرة، وكانت أمّ جعدة أمّ هانىء أخت عليّ بن أبي طالب لأبوَيْه: إيتوني بكرسيّ عليّ. فقالوا: والله ما هو عندنا. فقال: لتكونُنّ حمقى، اذهبوا فأتوني به. قال: فظنّوا أنّهم لا يأتونه بكرسيّ إلّا قال: هذا هو، وقبِله منهم. فأتوه بكرسيّ، وقبضه منهم، وخرجتْ شِبام وشاكر ورؤوس أصحاب المختار وقد جعلوا عليه الحرير، وكان أوّلَ من سَدَنَه موسى بنُ أبي موسى الأشعريُّ، كان يُلِمّ بالمختار لأنّ أمّه أمّ كلثوم بنت الفضل بن العبّاس، فعتب الناسُ على موسى، فتركه وسَدَنه حَوْشَبُ البَرْسَميُّ حتّى هلك المختار. وقال أعشى همدان في ذلك، شعر:

شَهِدتُ عليكم أنّكُمْ سَبَئِيَّةٌ[3] ... وإنّي بكم يا شُرْطَةَ الشِّرْكِ عارِفُ
فأُقْسِمُ ما كُرْسِيُّكُم بسَكِينَةٍ[4] ... وإن كان قد لُفّتْ عليهِ اللّفائفُ
وأن ليس كالتّابوت فينا وإن سعتْ ... شِبامٌ حَوالَيهِ ونَهْدٌ وخارِفُ
وإنّي امرُؤٌ أحْبَبتُ[5] آلَ[6] محمّدٍ ... وتابعتُ وَحياً[7] ضُمّنَتهُ المَصاحِفُ[8]
وبايَعتُ عبدَ اللّهِ لما تَتابَعَتْ ... عليهِ قُرَيشٌ شُمطُها والغطارِفُ

وقال المتوكّل اللّيثيّ:

أبلغْ أبا إسحاقَ إنْ جئتَهُ ... أنّي بكُرْسيّكُمْ كافِرُ[9]

---

(١) في الأصول: «السبابية»، وفي الأوربية «السبائية».
(٢) في (آ) و(ر): «قتلة».
(٣) في الأصول: «السبابية»، وفي الأوربية «السبائية».
(٤) في (آ) و(ر): «بسفينة».
(٥) في (آ) و(ر): «بايعت».
(٦) في الأوربية: «أجبت إلى».
(٧) في (آ) و(ر): «أمراً».
(٨) إلى هنا في: أنساب الأشراف ٢٤٢/٥ وفيه: «وآثرت حياً» وزاد بيتاً بين الثالث والرابع.
(٩) في أنساب الأشراف ٢٤٢/٥:
أبلغ شِباماً وأبا هانىءٍ ... أنّي بكُرْسِيِّهم كافرُ
ولم يذكر غيره.

تَــرَوْا شِـبــامَ حَــوْلَ أعــوادِهِ وتـحـمِــلُ الــوَحـيَ لــهُ شــاكِـرُ
مُــحـمَــرَّةً أعــيُــنُــهــم حــوْلَــهُ كــأنّــهــنّ الــحِـمَّـصُ الــحــادِرُ[1]

ذكر عدّة حوادث

وحجّ بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزّبير[2].

وكان[3] على المدينة مُصْعَب بن الزبير عاملاً لأخيه عبد الله، وعلى البصرة عبدُ الله بن أبي ربيعة المخزوميُّ لابن الزُّبير أيضاً، وكان بالكوفة المختار متغلّباً عليها، وبخُراسان عبد الله بن خازم.

[الوَفَيَات]

وفي هذه السنة تُوُفّي أسماء بن حارثة[4] الأسلميُّ، وله صُحْبة، وهو من أصحاب الصُّفّة، وقيل: بل مات بالبصرة في إمارة ابن زياد.

وتوفّي جابر بن سَمُرَة[5] وهو ابن أخت سعد بن أبي وقّاص، وقيل: مات في إمارة بِشر بن هارون.

وتوفّي أسماء بن خارجة[6] بن حِصْن بن حُذَيْفة بن بدر الفزاريُّ سيّد قومه.

(حارثة: بالحاء المهملة، والثاء المثلّثة).

(١) في الأوربية: «الحامض الحازر»، والأبيات والخبر في: تاريخ الطبري ٦/٨٢ - ٨٤، والبداية والنهاية ٨/٢٧٩.

(٢) تاريخ خليفة ٢٦٣، المحبّر ٢٢، المعرفة والتاريخ ٣/٣٣١، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٦٨، مروج الذهب ٣/٣٩٨، تاريخ العظيمي ١٨٨، نهاية الأرب ٢١/٦٦، تاريخ دمشق ٤٥٤، ٤٥٥، مآثر الإنافة ١/١٢٣.

(٣) في (ر): «وكان تقدم».

(٤) انظر عن (أسماء بن حارثة) في: تاريخ أسماء الصحابة لابن حبّان ٣٧ رقم ٦٩، وترتيب أسماء الصحابة ٣٦ رقم ١٠، وأسد الغابة ١/٧٨، ٧٩، وغيره.

(٥) انظر عن (جابر بن سمرة) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٨٢ رقم ١٣، وفيه مصادر ترجمته.

(٦) انظر عن (أسماء بن خارجة) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) - ص ٧٢ رقم ٣، وفيه مصادر ترجمته.

٦٧
ثم دخلت سنة سبْعٍ وستّين

ذكر مقتل ابن زياد

ولما سار إبراهيم بن الأشتر من الكوفة أسرع السير ليلقوا ابن زياد قبل أن يدخل أرض العراق، وكان ابن زياد قد سار في عسكر عظيم من الشام، فبلغ الموصل وملكها، كما ذكرناه أوّلاً، فسار إبراهيم وخلّف أرض العراق، وأوغل في أرض الموصل، وجعل على مقدّمته الطُّفَيْل بن لَقيط النَّخَعيّ، وكان شجاعاً. فلمّا دنا ابنُ زياد عبّأ أصحابه، ولم يَسِرْ إلّا على تعبيةٍ واجتماع، إلّا أنّه يبعث الطُّفَيل على الطّلائع حتّى يبلغ نهر الخازر من بلد الموصل، فنزل بقرية بارشيا[1]. وأقبل ابنُ زياد إليه حتّى نزل قريباً منهم على شاطىء الخازر.

وأرسل عُميرُ بن الحُباب السُّلَميُّ، وهو من أصحاب ابن زياد، إلى ابن الأشتر أنِ القَني، وكانت قيس كلّها مضطّغنة على ابن مروان وقعةَ مرج راهط، وجُند عبد الملك يومئذ كلب. فاجتمع عُمير وابن الأشتر، فأخبره عُمير أنّه على ميسرة ابن زياد، وواعده أن ينهزم بالناس، فقال له ابن الأشتر: ما رأيك؟ أخَنْدِق عليّ وأتوقّف يومين أو ثلاثة؟ فقال عُمَير: لا تفعلْ، وهل يريدون إلّا هذا؟ فإنّ المطاولة خير لهم، هم كثير أضعافكم، وليس يطيق القليلُ الكثيرَ في المطاولة، ولكن ناجزِ القومَ، فإنّهم قد مُلئوا منكم رعباً، وإن هم شامُّوا أصحابك، وقاتلوهم يوماً بعد يوم ومرّة بعد مرّة أنِسوا بهم واجترأوا عليهم. وقال إبراهيم: الآن علمتُ أنّك لي مُناصح، وبهذا أوصاني صاحبي. قال عُمَير: أطِعْه فإنّ الشيخ قد ضرّسْته الحرب، وقاسى منها ما لم يُقاسِه أحد، وإذا أصبحتَ فناهضهم[2].

وعاد عُمير إلى أصحابه، وأذكى ابن الأشتر حرسه[3]، ولم يدخل عينَه غمضٌ، حتّى إذا كان السَّحَرُ الأوّل عبّأ أصحابه، وكتّب كتائبه، وأمّر أُمَراءه، فجعل سفيانَ بن يزيد

---

(١) في (ب): «برشيا».

(٢) الطبري ٦/٨٦، ٨٧.

(٣) في الأوربية: «ضرسه».

الأزديَّ على ميمنته، وعليّ بن مالك الجُشَميّ على ميسرته، وهو أخو الأَحْوَص، وجعل عبدَ الرحمن بن عبد الله، وهو أخو إبراهيم بن الأشتر لأمّه، على الخيل، وكانت خيله قليلة، وجعل الطُّفيل بن لقيط على الرَّجّالة، وكانت رايته مع مزاحم بن مالك. فلمّا انفجر الفجر صلّى الصبح بغَلَسٍ، ثمّ خرج فصفّ أصحابه، وألحق كلّ أمير بمكانه، ونزل إبراهيم يمشي ويحرّض الناس، ويُمنّيهم الظَّفَر، وسار بهم رويداً، فأشرف على تلٍّ عظيم مشرفٍ على القوم، وإذا أولئك القوم لم يتحرّك منهم أحد، فأرسل عبدَ الله بن زُهَير السَّلُوليَّ ليأتيه بخبر القوم، فعاد إليه وقال له: قد خرج القوم على دَهَش وفشل، لقيني رجلٌ منهم، وليس له كلام إلّا: يا شيعة أبي تراب! يا شيعة المختار الكذّاب! قال: فقلتُ له: الذي بيننا أجلّ من الشتْم.

وركب إبراهيم وسار على الرايات يحثّهم، ويذكر لهم فعلَ ابن زياد بالحسين وأصحابه وأهل بيته من السبْي والقتل ومنع الماء، وحرّضهم على قتله.

وتقدّم القومُ إليه، وقد جعل ابنُ زياد على ميمنته الحُصَينَ بن نُمَير السَّكُونيَّ، وعلى ميسرته عُمَير بن الحُباب السُّلَميَّ، وعلى الخيل شُرَحْبيل بن ذي الكَلاع الحِميريَّ. فلمّا تدانَى الصفّان حمل الحُصين بن نُمير في ميمنة أهل الشام على ميسرة إبراهيم، فثبت له عليّ بن مالك الجشميُّ فقُتل، ثمّ أخذ رايتَه قُرّة بن عليّ، فقُتل في رجال من أهل البأس وانهزمت الميسرة، فأخذ الراية عبد الله بن ورقاء بن جُنادة السّلوليُّ ابنُ أخي حُبْشيّ بن جنادة صاحب رسول الله ﷺ، فاستقبل المنهزمين، فقال: إليّ يا شُرطة الله. فأقبل إليه أكثرهم. فقال: هذا أميركم يُقاتل ابن زياد، ارجعوا بنا إليه. فرجعوا، وإذا إبراهيم كاشفٌ رأسه ينادي: إليّ شُرطةَ الله، أنا ابن الأشتر، إنّ خير فُرّاركم كُرّاركم، ليس مُسيئاً[1] من أعْتَبَ[2]. فرجع إليه أصحابُه. وحملت ميمنة إبراهيم على ميسرة ابن زياد، وهم يرجون أن ينهزم عُمَير بن الحُباب، كما زعم، فقاتلهم عُمير قتالاً شديداً وأَنِف من الفرار. فلمّا رأى ذلك إبراهيم قال لأصحابه: اقصدوا هذا السواد الأعظم، فوالله لو[3] هزمناه لانجفل مَنْ ترون يمنةً ويسرةً انجفال طير ذعرتَها. فمشى أصحابه إليهم فتطاعنوا، ثمّ صاروا إلى السيوف والعَمَد، فاضطّربوا بها مليّاً، وكان صوت الضّرب بالحديد كصوت القصّارين[4]، وكان إبراهيم يقول لصاحب رايته: انغمِس برايتك فيهم. فيقول: ليس لي متقدَّم. فيقول: بلى، فإذا تقدّم شدّ إبراهيم بسيفه، فلا يضرب [به] رجلاً إلّا صرعه،

(١) في الأوربية: «شيئاً».
(٢) في (آ): «أعسر».
(٣) في الأوربية: «لئن».
(٤) في (آ) و (ر): «القصابين».

وكـرد[1] إبراهيم الـرَّجّالـة [من] بين يديـه كأنّهم الحِمْـلان، وحمل أصحـابُه حملة رجـلٍ واحد. واشتدّ القتال، فانهزم أصحابُ ابن زياد، وقُتل من الفريقَين قتلى كثيرة[2].

وقيل: إنّ عُمير بن الحُباب أوّل من انهزم، وإنّما كان قتاله أوّلاً تعذيراً.

فلمّا انهزموا قال إبراهيم: إنّي قد قتلتُ رجـلاً تحت راية منفـردة على شاطىء نهـر الخازر، فالتمِسـوه، فإنّي شممتُ منـه رائحة المسـك، شرَّقت يـداه، وغرَّبت رِجْـلاه[3]. فـالتمسوه فـإذا هو ابن زِيـاد قتيلاً بضـربة إبـراهيم، فقد قـدّتْه بنصفَين وسقط، كمـا ذكـر إبراهيم، فأخذ رأسُه، وأحرقَتْ جثّته.

وحمـل شَـريـك بن جَـديـر التغلبيُّ على الحُصَين بن نُمَيـر السَّكـونيّ وهـو يـظنّـه عُبيد الله بن زياد، فاعتنق كلّ واحد منهما صاحبه، فنادى التغلبيُّ: اقْتلوني وابنَ الزّانيـة! فقتلوا الحُصَين[4].

وقيل: إنّ الذي قتل ابن زياد شَرِيك بن جَدِير، وكـان هذا شَـريك شهـد صِفّين مع عليّ، وأصيبت عينه، فلمّا انقضت أيّام عليّ لحِق شَرِيـك ببيتَ المقدس فـأقام بـه، فلمّا قُتل الحسين عاهد الله تعالى إن ظهر مَنْ يطلـب بـدمه ليقتلنّ ابنَ زيـاد، أو ليموتنّ دونـه. فلمّـا ظهر المختـار للطّلب بثأر الحسين، أقبـل إليه، وسـار مع إبـراهيم بن الأشتر، فلمّـا التقوا حمل على خيل الشام يهتكهـا صفّاً صفّـاً مع أصحـابه من ربيعـة، حتّى وصلوا إلى ابن زياد، وثار الرهج، فلا يُسمع إلاّ وقْـع الحديـد، فانفـرجت[5] عن الناس وهمـا قتيلان شَرِيك وابن زياد. والأول أصحّ. وشريك هو القائل:

كـلّ عـيشٍ قـد أراهُ بـاطِـلاً[6] غيـرَ رَكْـزِ[7] الـرّمـحِ في ظـلّ الفـرَسْ[8]

قال: وقتل شُرَحْبيل بن ذي الكَـلاع الحِمْيَرِيُّ، وادّعى قتله سفيـان بن يزيـد الأزديّ وورقاء بن عازب الأسديّ وعبيد الله بن زهير السُّلَميُّ، وكان عُيَيْنَة بن أسماء مع ابن زياد، فلما انهزم أصحابه حمل أخته هند بنت أسماء، وكانت زوجة عبيـد الله بن زياد، فـذهب بها وهو يرتجز:

---

(1) في الأوربية: «وكرّر»، والكرد: الطرد.
(2) الطبري ٦/٨٧ - ٩٠.
(3) الطبري ٦/٩٠.
(4) الطبري ٦/٩٠.
(5) في الأوربية: «فانفجر».
(6) الطبري: «قذرا».
(7) في الأوربية: «ذكر».
(8) الطبري ٦/٩١.

إنْ تـصـرمي حِـبـالَـنـا[1] فـرُبّـمـا أرديتُ في الـهـيـجـا الكميَّ الـمُعلِمَـا

ولما انهزم أصحابُ ابنِ زياد تبِعهم أصحابُ إبراهيم، فكان مَنْ غرق أكثر ممّنْ قُتل، وأصابوا عسكرهم وفيه من كلّ شيء.

وأرسل إبراهيم البشارةَ إلى المختار وهو بالمدائن، وأنفذ إبراهيمُ عمّاله إلى البلاد، فبعث أخاه عبد الرحمن بن عبد الله إلى نَصِيبين، وغلب على سِنْجار ودارا وما والاهما من أرض الجزيرة، فولّى زُفَر بن الحارث قَرْقِيسيا، وحاتم بن النُّعمان الباهليَّ حرّان، والرُّهاء، وسُمَيْساط، وناحيتها، وولّى عُمَير بن الحُباب السُّلَميَّ كَفرتُوثا وطور عَبْدِين[2].

وأقام إبراهيم بالموصل، وأنفذ رأس عُبَيد الله بن زياد إلى المختار ومعه رؤوس قوّاده، فأُلْقيت في القصر، فجاءت حيّة دقيقة، فتخلّلت الرؤوس حتّى دخلت في فم عُبيد الله بن زياد، ثمّ خرجت من منخره، ودخلت في منخره، وخرجت من فيه، فعلت هذا مراراً؛ أخرج هذا التِّرمِذيُّ في جامعه[3].

وقال المُغيرة: أوّل مَن ضرب الزُّيوف[4] في الإسلام عُبيد الله بن زياد، وقال بعض حُجّاب ابن زياد: دخلتُ معه القصر حين قُتل الحسين، فاضطّرم في وجهه ناراً، فقال بكمّه هكذا على وجهه وقال: لا تحدّثنّ بهذا أحداً.

وقال المغيرة: قالت مَرجانة لابنها عُبيد الله بعد قتل الحسين: يا خبيث قتلتَ ابنَ رسول الله ﷺ، لا ترى الجنّة أبداً! وقال ابن مفرّغ حين قُتل ابن زياد:

إنّ الـمَـنـايـا إذا مـا زُرْنَ طـاغـيَـةً هـتَّـكـنَ أسـتـارَ حُـجّـابٍ وأبـوابِ
أقـولُ بُعـداً وسُحقـاً عنـدَ مَصـرَعِـه لابنِ الخَبيثـةِ وابنِ الـكَـوْدَنِ الـكـابي[5]
لا أنـتَ زُوحِمْـتَ عَـن مُـلْكٍ فتمـنَـعَـهُ ولا مـتَـتَّ إلـى قـومٍ بـأسْـبـابِ[6]
لا مِـن نِـزارٍ ولا مـن جَـذْمِ ذي يـمـنٍ جُلْمـود ذا ألـقـيت مِـن بـيـنِ ألْـهـابِ
لا تَـقـبـلُ الأرْضُ مـوْتـاهـم إذا قُـبـرُوا وكـيـفَ تَـقـبـلُ رِجسـاً بَـيـنَ أثْـوابِ؟

---

(١) في الأوربية: «خيالنا».

(٢) طور عَبْدِين: بفتح العين، وسكون الباء ثم دال مكسورة وياء مثنّاة من تحت ونون. بُليدة من أعمال نصيبين في بطن الجبل المشرف عليها المتّصل بجبل الجوديّ. (معجم البلدان ٤/٤٨).

(٣) في (آ) و(ر): «صحيحه». والحديث في المناقب عند الترمذي (٣٨٦٩)، عن واصل بن عبد الأعلى، عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن عمارة بن عُمير، وقال: هذا حديث حسن صحيح. (٥/٣٢٥، ٣٢٦)، وانظر: المعرفة والتاريخ ٣/٣٢٩.

(٤) في (آ) و(ر): «الزبور».

(٥) في الأوربية: «الكوذر الطابي».

(٦) في الأوربية:

لأنت.زاحمتَ عن مُلكٍ فتمنعه ولا متنت إلى قومك بأسبابِ

وقال سُراقة البارقيُّ يمدح إبراهيم بن الأشتر:

أتـاكم غُـلامٌ مِن[1] عــرانينِ مَذْحِـجٍ جَـرِيٌّ على الأعــداء غيــر نَـكُــولِ
فيــا ابنَ زيـادٍ بُؤْ بــأعــظمِ مــالِـكٍ وذُقْ حــدّ مـاضي الشّفـرَتينِ صَقيـلِ
جــزَى اللّهُ خَيــراً شُــرْطَــةَ اللّهِ إنّهمْ شفَــوْا مِنْ عُــبيــد الـلهِ أمس غليـلي[2]

وقال عُمَير بن الحُباب السُّلَميُّ يذمّ جيش ابن زياد:

ومـا كان جيشٌ يجمـعُ الخمـرَ والـزّنـا مُـحِــلًّا إذا لاقَـى الـعــدوَّ لـيُـنْـصَـرَا

ذكر ولاية مُصْعَب بن الزُّبير البصرة

وفي هذه السنة عَـزل عبدُ الله بن الـزبير الحـارثَ بن أبي ربيعة، وهـو القُباع، عن البصـرة، واستعمل عليهـا أخاه مُصْعَبـاً. فقدِمَهـا مصعبٌ متلثّماً، ودخـل المسجد وصعِـد المنبر، فقال الناسُ: أمير أمير! وجاء الحـارث بن أبي ربيعة، وهـو الأميرُ، فسَفَـرَ مُصْعَب لِثامه فعرفوه، وأمر مصعبُ الحارث بالصّعود إليه، فأجلسه تحته بـدرجة، ثمّ قـام مُصْعب فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال:

بسم الله الـرحمن الـرحيم، ﴿طسم تِلْكَ آيَـاتُ الكِتَـابِ المُبِينِ نَتْلُو عَلَيْـكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالحَقِّ لِقَـوْمٍ يُؤمِنُونَ﴾ إلى قَـوْلِهِ ﴿مِنَ المُفْسِـدِينَ﴾[3]؛ فأشـار بيده نحـو الشـام؛ ﴿وَنُـرِيـدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّـذِينَ اسْتُضْعِفُــوا في الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّـةً وَنَجْعَلَهُمُ الـوَارِثِينَ﴾[4]؛ وأشار نحـو الحجاز؛ ﴿وَنُـرِيَ فِرْعَـوْنَ وَهَامَـانَ وَجُنُودَهُمَـا مِنْهُمْ مَا كَـانُوا يَحْذَرُونَ﴾[5]؛ وأشار نحو الكوفة، وقال: يا أهل البصرة بلغني أنّكم تلقّبون أُمراءكم، وقد لقّبتُ نفسي بالجزّار[6].

ذكر مسير مُصْعَب إلى المختار وقتل المختار

ولمـا هرب أشـرافُ الكوفـة من وقعة السَّبيـع أتَى جماعـةٌ منهم إلى مُصْعَب، فأتـاه شَبَثُ بن رِبْعيّ على بغلة قد قطع ذَنَبها وطَرَف أُذُنها، وشقّ قَباءَه وهـو ينادي: يـا غَزْوَتـاه! فرُفع خبره إلى مُصْعب، فقال: هـذا شبَث بن رِبعيّ، فأدخل عليه، فـأتاه أشـرافُ الكوفـة

(١) في (ر) و (آ): «أتاكم من الموالي».
(٢) الأبيات في ديوان سـراقة ٨١، وأنسـاب الأشراف ٢٥١/٥، وتـاريخ الـطبري ٩٢/٦، والبـداية والنهـاية ٢٨٣/٨.
(٣) سورة القصص، الآيات من ١ ـ ٤.
(٤) سورة القصص، الآية ٥.
(٥) سورة القصص، الآية ٦.
(٦) في (بَ): «بالجرار»، و (آ): «وبالخزاز»، و (ر): «بالجزاز». والخبر في تاريخ الطبري ٩٣/٦.

فـدخلوا عليه، وأخبـروه بما اجتمعـوا عليه، وسـألوه النصـرَ لهم، والمسيـر إلى المختـار معهم.

وقدِم عليه محمّـد بن الأشعث أيضاً واستحثّـه على المسير، فـأدناه مُصْعَب وأكـرمه لشرفه، وقال لأهل الكوفة حين أكثروا عليه: لا أسير حتّى يأتيني المهلّبُ بن أبي صُفْـرَة. وكتب إليه، وهو عامله على فارس، يستدعيه ليشهد معهم قتال المختار، فأبـطأ المهلّب، واعتـلّ بشيءٍ من الخراج لكـراهيـة الخـروج، فـأمـر مُصعبٌ محمّـدَ بن الأشعث أن يأتي المهلّبَ يستحثّه، فأتاه محمّد ومعـه كتاب مُصْعَب، فلمّـا قرأه قـال له: أمَـا وجد مُصْعب بريداً غيرك؟ فقال: ما أنا ببريدٍ لأحد، غير أن نساءنا وأبناءنا وحَرَمنا غلَبَنا عليهم عبيدنا.

فـأقبل المهلّب معـه بجموعٍ كثيـرة وأموال عـظيمة، فقـدِم البصـرة، وأمـر مُصْعب بالعسكر عند الجسر الأكبر، وأرسلَ عبدَ الرحمن بن مِخْنَف إلى الكوفة، فـأمره أن يُخـرِجَ إليـه مَنْ قدر عليـه، وأن يثبّط الناس عن المختـار، ويدعـوهم إلى بيعة ابن الـزّبير سـرّاً، ففعـل، ودخـل بيتـه مستتـراً، ثمّ سـار مُصْعب فقـدّم أمـامـه عبّـاد بن الحُصَين الحَـطَميَّ التميميَّ، وبعث عمرَ بن عُبيد الله بن مَعْمر على ميمنته، والمهلّبَ على ميسـرته، وجعـل مـالك بن مِسْمـع على بكر، ومـالك بن المُنْـذر على عبد القيس، والأحنف بن قيس على تميم، وزياد بن عَمْرو العَتَكيَّ على الأزد، وقيسَ بن الهَيْثم على أهل العالية.

وبلغ الخبرُ المختار، فقـام في أصحابـه فأعلمهم ذلـك، وندبهم إلى الخـروج مـع أحْمر بن شُمَيْط، فخرج وعسكر بحمّام أعْين، ودعـا المختار رؤوس الأربـاع الذين كـانوا مع ابن الأشتر، فبعثهم مـع أحمر بن شُمَيْط، فسـار وعلى مقدّمتـه ابنُ كامـل الشاكـريُّ، فـوصلوا إلى المَذار، وأتَى مُصْعَب فعسكـر قريبـاً منه، وعبّـأ كلّ واحـد منهما جُنـده، ثمّ تـزاحفا، فجعـل ابنُ شُمَيط ابنَ كـامـل على ميمنتـه، وعلى الميسـرة عبـد الله بن وُهَيب الجُشَميَّ، وجعل أبا عَمْرَة مولى عُرَيْنة على الموالي.

فجاء عبد الله بن وُهَيب الجُشَمِيُّ إلى ابن شُمَيط فقال له: إنّ الموالي والعبيد أولـو خور[1] عند المصدوقة، وإنّ معهم رجالاً كثيراً على الخيل وأنت تمشي، فمُرْهم فليمشـوا معك، فإنّي أتخوّف أن يطيروا[2] عليها ويسلّموك. وكان هذا غشّاً منه للموالي، لمـا كانـوا لقوا منهم بالكوفة، فأحبّ أن كانت عليهم الهـزيمة، وأن لا ينجـو منهم أحد. فلم يتّهمـه ابن شُمَيط، ففعل ما أشار به، فنزل الموالي معه.

وجـاء مُصْعب وقـد جعـل عبّـادَ بن الحُصَين على الخيـل، فـدنـا عبّـاد من أحمـر

(١) في الأوربية: «جور».
(٢) في (ر): «يطردوا».

وأصحابه، وقال: إنّا ندعوكم إلى كتاب الله وسنّة رسوله، وإلى بيعة[1] المختار، وإلى أن نجعل هذا الأمر شورى في آل الرسول. فرجع عبّاد فأخبر مُصْعباً، فقال له: ارجعْ فاحملْ عليهم. فرجع وحمل على ابن شُمَيط وأصحابه، فلم ينزل منهم أحد، ثمّ انصرف إلى موقفه، وحمل المهلّب على ابن كامل، فجال بعضهم في بعض، فنزل ابن كامل، فانصرف عنه المهلّب، ثمّ قال المهلّب لأصحابه: كرّوا عليهم كرّةً صادقةً، فحملوا عليهم حملةً منكرة، فولّوا، وصبر ابن كامل في رجال من هَمْدان ساعة ثمّ انهزم، وحمل عُمر بن عُبيد الله على عبد الله بن أنَس، فصبر ساعةً ثمّ انصرف، وحمل النّاسُ جميعاً على ابن شُمَيط، فقاتل حتّى قُتل، وتنادوا: يا معشر بَجيلة وخَثْعَم الصبرَ! فناداهم المهلّب: الفرار اليوم أنجى لكم، علامَ تقتلون أنفسكم مع هذه العبيد؟ ثمّ قال: والله ما أرى كثرة القتل اليوم إلاّ في قومي.

ومالت الخيل على رَجّالة ابن شُمَيط فانهزمت، وبعث مُصْعبُ عبّاداً على الخيل، فقال: أيّما أسيرٍ أخذته فاضربْ عنقه. وسرّح محمّدَ بن الأشعث في خيلٍ عظيمة من أهل الكوفة فقال: دونكم ثأركم. فكانوا أشدّ على المنهزمين من أهل البصرة، لا يدركون منهزماً إلاّ قتلوه، ولا يأخذون أسيراً فيعفون عنه، فلم ينجُ من ذلك الجيش إلاّ طائفة أصحاب الخيل، وأمّا الرجّالة فأُبيدوا إلاّ قليلاً.

قال معاوية بن قرّة المُزَنيُّ: انتهيتُ إلى رجل منهم، فأدخلتُ السنان في عينه، فأخذتُ أخضخض عينه به. فقيل له: أفعلتَ هذا؟ فقال: نعم، إنّهم كانوا عندنا أحلّ دماء من التُّرك والدّيلم. وكان معاوية هذا قاضي البصرة.

فلمّا فرغ مُصْعب منهم أقبل حتّى قطع من تلقاء واسط، ولم تكن بُنيتْ[2] بعد، فأخذ في كسكر، ثمّ حمل الرجالَ وأثقالهم والضعفاء في السفن، فأخذوا في نهر خرشاد، ثمّ خرجوا إلى نهر قُوسان، ثمّ خرجوا إلى الفرات.

وأتَى المختارَ خبرُ الهزيمة ومَنْ قُتل بها من فرسان أصحابه، فقال: ما من الموت بُدّ، وما من ميتة أموتها أحبّ إليّ من أن أموت ميتةَ ابن شُمَيط. فعلموا أنّه إن لم يبلغ ما يريد يقاتل حتّى يُقْتَل.

ولما بلغه أنّ مُصْعباً قد أقبل إليه في البرّ والبحر سار حتّى وصل السَّيْلَحِين، ونظر إلى مجتمع الأنهار: نهر الحيرة[3]، ونهر السيلحين، ونهر القادسيّة، ونهر يوسف[4]، فسكَر

(١) في (ر): «وإلى بيعة أمير المؤمنين».

(٢) في الأوربية: «يكن يبيت».

(٣) في الأوربية: «الخريرة».

الفرات، فذهب ماؤها في هذه الأنهار، وبقيت سفن أهل البصرة في الطّين، فلمّا رأوا ذلك خرجوا من السفن إلى ذلك السكْر، فأصلحوه وقصدوا الكوفة، وسار المختار إليهم فنزل حَرُوراء، وحال بينهم وبين الكوفة، وكان قد حصّن القصر والمسجد، وأدخل إليه عُدّة الحصار.

ويقبل مُصعَب وقد جعل على ميمنته المهلّب، وعلى ميسرته عمر بن عُبيد الله، وعلى الخيل عبّاد بن الحُصَين؛ وجعل المختارُ على ميمنته سُلَيم بن يزيد الكِنديّ، وعلى ميسرته سعيد بن مُنْقذ الهمدانيّ، وعلى الخيل عَمْرو بن عبد الله النهديّ، وعلى الرجال مالك بن عبد الله النَّهْديّ. وأقبل محمّد بن الأشعث فيمَنْ هرب من أهل الكوفة، فنزل بين مُصعب والمختار. فلمّا رأى ذلك المختارُ بعث إلى كلّ جيش من أهل البصرة رجلاً من أصحابه، وتدانَى الناس، فحمل سعيد بن منقذ على بكر وعبد القيس، وهم في ميمنة مُصْعب، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فأرسل مُصْعب إلى المهلّب ليحمل على مَنْ بإزائه، فقال: ما كنتُ لأجزُر الأزد خشيةَ أهل الكوفة حتّى أرى فرصتي.

وبعث المختارُ إلى عبد الله بن جَعدة بن هُبَيرة المخزوميّ، فحمل على مَنْ بإزائه، وهم أهل العالية، فكشفهم، فانتهوا إلى مُصْعب، فجثا مُصْعبٌ على رُكبتيه وبرك الناس عنده، فقاتلوا ساعةً وتحاجزوا.

ثمّ إنّ المهلّب حمل في أصحابه على مَنْ بإزائه، فحطموا أصحاب المختار حطمة منكرة فكشفوهم. وقال عبد الله بن عَمْرو النَّهْديُّ، وكان ممّن شهد صِفّين: اللهمّ إنّي على ما كنتُ عليه بصِفّين، اللهمّ أبرأ إليك من فعل هؤلاء، لأصحابه [حين انهزموا]، وأبرأ إليك من أنفُس هؤلاء، يعني أصحاب مُصْعب، ثمّ جالد بسيفه حتّى قُتل.

وانقصف[1] أصحاب المختار كأنّهم أجمة قصب فيها نار، وحمل مالك بن عَمْرو النَّهديُّ، وهو على الرَّجّالة، ومعه نحو خمسين رجلاً، وذلك عند المساء، على أصحاب ابن الأشعث حملةً منكرةً، فقُتل ابن الأشعث، وقُتل عامّة أصحابه.

وقاتل المختار على فم سكّة شَبَث عامّة ليلته، وقاتل معه رجالٌ من أهل البأس، وقاتلت معه هَمْدان أشدّ قتال، وتفرّق الناس عن المختار، فقال له مَنْ معه: أيّها الأمير اذهبْ إلى القصر، فجاء حتّى دخله، فقال له بعضُ أصحابه: ألم تكن وعدتَنا الظَّفَر وأنّا سنهزمهم[2]؟ فقال: أما قرأتَ في كتاب الله تعالى: ﴿**يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ**

(٤) في الأوربية: «رسف».

---

(١) في الأوربية: «وانقصت».

(٢) في الأوربية: «سنزهمهم».

الكِتَابِ﴾[1]. فقيل: إنّ المختار أوّل من قال بالبداء.

فلمّا أصبح مُصْعب أقبل يسير فيمَنْ معه نحو السّبْخة، فمرّ بالمهلّب، فقال له المهلّب: يا[2] له فتحاً، ما أهنأه لو لم يُقتل محمّد بن الأشعث. قال: صدقتَ. ثمّ قال مُصْعب للمهلّب: إنّ عُبيد الله بن عليّ بن أبي طالب قد قُتل، فاسترجع المهلّب، فقال مُصْعب: قد كنتُ أُحبّ أن يشهد هذا الفتح، أتدري مَن قتله؟ إنّما قتله مَنْ يزعم أنّه شيعة لأبيه.

ثمّ نزل السّبخة فقطع عنهم الماء والمادّة، وقاتلهم المختار وأصحابه قتالاً ضعيفاً، واجترأ الناس عليهم، فكانوا إذا خرجوا رماهم الناس من فوق البيوت، وصبّوا عليهم الماء القذِر، وكان أكثر معاشهم من النساء، تأتي المرأة متخفّية، ومعها القليل من الطّعام والشراب إلى أهلها. ففطن مُصْعَب بالنّساء فمنعهنّ، فاشتدّ على المختار وأصحابه العطش، وكانوا يشربون ماء البئر يعملون فيه العسل، فكان ذلك ما يروي بعضهم.

ثمّ إنّ مُصْعباً أمر أصحابه، فاقتربوا من القصر واشتدّ الحصار عليهم، فقال لهم المختار: ويحكم إنّ الحصار لا يزيدكم إلّا ضَعْفاً، فانزلوا بنا فنقاتل حتّى نُقتَل كراماً إن نحنُ قُتلنا، فوالله ما أنا بآيس إن صدقتموهم أن ينصركم الله. فضعفوا ولم يفعلوا. فقال لهم: أمّا أنا فوالله لا أعطي بيدي، ولا أحكّمكم في نفسي، وإذا خرجتُ فقُتلتُ لم تزدادوا إلّا ضعفاً وذلّاً، فإن نزلتم على حُكمهم، وثبت أعداؤكم فقتلوكم، وبعضكم ينظر إلى بعضٍ فتقولون: يا ليتنا أطعنا المختار، ولو أنّكم خرجتم معي كنتم إن أخطأتم الظفر مُتّم كراماً.

فلمّا رأى عبد الله بن جَعْدَة بن هُبَيرة ما عزم عليه المختار تدلّى من القصر، فلحِق بناسٍ من إخوانه، فاختفى عندهم سرّاً. ثمّ إن المختار تطيّب وتحنّط، وخرج من القصر في تسعة عشر رجلاً، منهم السائب بن مالك الأشعريُّ، وكانت تحته عُمْرَة بنت أبي موسى الأشعريّ، فولدت له غلاماً اسمه محمّد، فلمّا أُخذ القصر وُجد صبيّاً فتركوه.

فلمّا خرج المختار قال للسائب: ماذا ترى؟ قال: ما ترى أنت. قال: ويحك يا أحمق إنّما أنا رجل من العرب رأيتُ ابنَ الزّبير قد وثب بالحجاز، ورأيتُ ابنَ نَجْدة وثب باليمامة، ومروان بالشام، وكنت فيها كأحدهم، إلّا أنّي قد طلبتُ بثأر أهل البيت إذ نامت عنه العرب، فقاتلْ على حسبك إن لم يكن لك نيّة. فقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ما

---

(1) سورة الرعد، الآية ٣٩.

(2) في الأوربية: «ما».

كنتُ أصنع أن أُقاتل على حسبي. ثمّ تقدّم المختارُ فقاتل حتّى قُتل، قتله رجلان من بني حنيفة أخوان، أحدهما طَرَفة، والآخر طَرّاف، ابنا عبد الله بن دجاجة.

فلمّا كان الغد من قتله دعاهم بَحير بن عبد الله المسكيُّ[1] ومَن معه بالقصر إلى مَا دعاهم المختار، فأبَوا عليه، وأمكنوا[2] أصحاب مُصْعب من أنفسهم، ونزلوا على حكمه، فأخرجوهم مكتّفين، فأراد إطلاق العرب وقتل الموالي، فأبَى أصحابُه عليه، فعُرضوا عليه فأمر بقتلهم، وعُرض عليه بَحِير المسكيُّ[3]، فقال لمُصْعَب: الحمد لله الذي ابتلانا بالأسر، وابتلاك بأن تعفو عنّا، هما منزلتان: إحداهما رضاء الله، والأخرى سخطه، من عفا عفا الله عنه وزاد عزّاً، ومَنْ عاقب لم يأمن القصاص، يا ابن الزّبير نحن أهل قِبلتكم وعلى ملّتكم، ولسنا تُركاً ولا دَيْلَماً، فإنْ[4] خالفنا إخواننا من أهل مِصْرنا، (فإمّا أن نكون أصبنا وأخطأوا، وإمّا أن نكون أخطأنا وأصابوا)[5]، فاقتتلنا بيننا كما اقتتل أهلُ الشام بينهم، ثمّ اجتمعوا، وكما اقتتل أهلُ البصرة واصطلحوا واجتمعوا، وقد ملكتم فأسجحوا[6]، وقد قدرتم فاعفوا. فما زال بهذا القول حتّى رقّ لهم الناس ومُصْعب، وأراد أن يُخلّي سبيلهم.

فقام عبد الرحمن بن محمّد بن الأشعث فقال: أتُخلّي سبيلهم؟ اخترْنا أو اخترْهم. وقام محمّد بن عبد الرحمن بن سعيد الهَمْدانيُّ فقال مثله، وقام أشرافُ الكوفة فقالوا مثلهما، فأمر بقتلهم، فقالوا له: يا ابنَ الزبير (لا تقتلنا واجعلنا على مقدّمتك إلى أهل الشام غداً، فما بكم عنّا غنًى، فإنْ قُتلنا لم نُقتل)[7] حتّى نُضْعِفهم لكم، وإن ظفرنا بهم كان ذلك لكم. فأبَى عليهم. فقال بَحِير المسكيّ: لا تخلطْ دمي بدمائهم إذ عصَوْني. فقتلهم.

وقال مسافر بن سعيد بن نمران النّاعطيّ: ما تقول يا ابن الزّبير لربّك غداً وقد قتلتَ أُمّةً من المسلمين حكّموك في أنفسهم صبراً؟ اقتلوا منّا بعدّة مَنْ قتلنا منكم، ففينا رجال لم يشهدوا موطناً من حربنا يوماً واحداً، كانوا في السواد وجباية الخراج وحفْظ الطُّرق. فلم يسمع منه وأمر بقتله.

---

(١) في (ر): «السلمي».
(٢) في (ر): «وأمسكوا».
(٣) في (ر): «السلمي».
(٤) في الأوربية: «فإنما».
(٥) في الأوربية: «فإمّا أن يكن أصبنا أو أخطأنا».
(٦) في الأوربية: «فاسمحوا».
(٧) ما بين القوسين من (ب).

ولما أراد قتلهم استشار مُصْعبُ الأحنفَ بن قيس، فقال: أرى أن تعفو، فإنّ العفو أقرب للتقوى. فقال أشرافُ أهل الكوفة: اقتلهم، وضجّوا، فقتلهم. فلمّا قُتلوا قال الأحنف: ما أدركتم بقتلهم ثأراً، فليته لا يكون في الآخرة وبالاً.

وبعثت عائشةُ بنتُ طلحة امرأةَ مُصْعب إليه في إطلاقهم، فوجدهم الرسول قد قُتلوا.

وأمر مُصْعب بكفّ المختار بن أبي عُبيدة، فقُطعتْ وسُمّرت بمسمار إلى جانب المسجد، فبقيت حتّى قدِم الحجّاج، فنظر إليها وسأل عنها فقيل: هذه كفّ المختار، فأمر بنزعها.

وبعث مُصْعبُ عُمّالَه على الجبال والسواد، وكتب إلى إبراهيم بن الأشتر يدعوه إلى طاعته ويقول له: إن أطعتَني فَلَكَ الشامُ وأعِنّةُ الخيل، وما غلبتَ عليه من أرض المغرب ما دام لآل الزّبير سلطان، وأعطاه عهدَ الله على ذلك. وكتب عبد الملك بن مروان إلى ابن الأشتر يدعوه إلى طاعته ويقول: إن أنتَ أجبتني فلك العراقُ. فاستشار إبراهيمُ أصحابه فاختلفوا، فقال إبراهيم: لو لم أكن أصبتُ ابنَ زياد وأشراف الشام لأجبتُ عبد الملك، مع أنّي لا أختار على أهلِ مصري وعشيرتي غيرهم. فكتب إلى مُصْعب بالدخول معه. فكتب إليه مُصْعب أن أقبِلْ، فأقبل إليه بالطّاعة، فلمّا بلغ مُصْعباً إقباله إليه بعث المهلّب على عمله بالموصل والجزيرة وأرمينية وأذْرَبَيْجان.

ثمّ إنْ مُصْعباً دعا أمّ ثابت بنت سَمُرة بن جُنْدَب امرأة المختار، وعُمرة بنت النُّعمان بن بشير الأنصاريّة امرأته الأخرى، فأحضرهما وسألهما عن المختار. فقالت أمّ ثابت: نقول فيه بقولك أنت، فأطلقها، وقالت عُمرةُ: رحمه الله، كان عبداً لله صالحاً، فحبسها، وكتب إلى أخيه عبد الله بن الزّبير: إنّها تزعم أنّه نبيّ، فأمره بقتلها، فقُتلت ليلاً بين الكوفة والحيرة، قتلها بعضُ الشُّرَط، ضربها ثلاث ضربات بالسيف وهي تقول: يا أبتاه! يا عترتاه! فرفع رجل يده فلطم القاتل وقال: يا ابن الزّانية عذّبتَها! ثمّ تشحّطت فماتت، فتعلّق الشُّرطيُّ بالرجل، وحمله إلى مُصْعب، فقال: خلّوه فقد رأى أمراً فظيعاً. فقال عُمر[1] بن أبي ربيعة المخزوميُّ في ذلك:

إنّ مِن أعجبِ العجائبِ عندي ... قتلَ بيضاء حُرّةٍ عُطبولِ[2]

---

(١) في الأوربية: «عمرو».

(٢) هكذا في كل المصادر، عدا العقد الفريد ففيه «عَيْطَبُول»، وهي المرأة الفتية الجميلة الممتلئة الطويلة العنق:

والبيت في: الكامل للمبرّد:

إنّ من أعظم الكبائر عندي ... قتل حسناء غادةٍ عُطْبُولِ

قُتلتْ هكَذا على غَيرِ جُرْمٍ[1] إنّ للَّهِ درّها مِنْ قَتِيلِ[2]
كُتِبَ القَتلُ والقتالُ علَينا وعلى المُحصَناتِ[3] جَرُّ الذّيُولِ[4]

وقال سعيد بن عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت الأنصاريُّ في ذلك أيضاً:

أَتى راكبٌ بالأمر ذي النبإ[5] العجَبْ بقتلِ ابنةِ النُّعمانِ ذي الدّينِ والحسبْ
بقَتلِ فَتاةٍ ذاتِ دَلٍّ سَتيرَةٍ مهذّبةِ الأخلاقِ والخِيمِ[6] والنّسَبْ
مُطهَّرَةٍ مِن نَسلِ قومٍ أكارِمٍ مِنَ المُؤثرين[7] الخَيرَ في سالِفِ الحِقَبْ
خَليلُ النّبيّ المُصْطفى ونَصِيرُهُ وصاحِبُهُ في الحرْبِ والضرْبِ[8] والكُرَبْ
أتاني بأنّ المُلْحِدينَ تَوافَقُوا على قتْلِها، لا جُنِّبوا[9] القتل والسَّلَبْ
فلا هَنَأتْ آلَ الزّبَيرِ مَعيشَةٌ وذاقوا لباسَ الذلّ والخوْفِ والحرَبْ
كأنّهُمُ إذ أبرَزُوها وقُطّعَتْ بأسيافهم فازوا بمملكةِ العرَبْ
ألَمْ تعجَبِ الأقوامُ مِنْ قتْلِ حُرّةٍ مِنَ المُحصَناتِ[10] الدّينِ محْمودة الأدَبْ!
من الغافِلات المُؤمِناتِ، بَريئَةٍ من الذّمّ والبُهتانِ والشكّ والكذِبْ[11]
علَينا كتابُ[12] القتلِ والبأسِ واجِبٌ وهنّ العفافُ في الحِجالِ وفي الحُجُبْ[13]

---

(١) في الأخبار الطوال: «قتلوها بغير ذنب سَفاهاً». وفي الكامل للمبرّد، وفي العقد الفريد «قُتلت باطلاً على غير ذنبٍ»، وفي مروج الذهب: «قتلوها ظلماً على غير جرم»، وفي تاريخ اليعقوبي: «قتلوها بغير جرمٍ أتته».

(٢) البيت من (ب).

(٣) في العقد الفريد، ومروج الذهب، وتاريخ اليعقوبي والبدء والتاريخ: «الغانيات».

(٤) الأبيات في: ملحق ديوان عمر بن أبي ربيعة ٤٩٨، والأخبار الطوال ٣١٠، ونسبه لبعض الشعراء، وتاريخ اليعقوبي ٢/٢٦٤، وتاريخ الطبري ٦/١١٢، والفتوح لابن أعثم ٦/٢٠٠، والعقد الفريد ٤/٤٠٧، ومروج الذهب ٣/١٠٧، والبدء والتاريخ ٦/٢٣ وفيه البيت الأخير ونسبه إلى عبد الرحمن بن حسّان، والبداية والنهاية ٨/٢٨٩، والكامل في اللغة للمبرّد ٢/١٨١، وأنساب الأشراف ٥/٢٦٤.

(٥) في الأوربية: «البناء».

(٦) في الأوربية: «في الخيم».

(٧) في الأوربية: «الموتورين».

(٨) الطبري «النكب».

(٩) في الأوربية: «حسنوا».

(١٠) في الأخبار الطوال: «المخلصات».

(١١) في الأخبار الطوال:

«من الزور... ... والريب»

(١٢) في الأوربية: «ديات».

(١٣) في الأخبار الطوال:

عـلى دِيـنِ أجـدادٍ لـهـا وأُبُـوّةٍ ... كِـرامٍ مَضَتْ لم تُخْـزِ أهـلاً ولم تُـرِبْ
مِـنَ الـخَـفِـراتِ لا خَـروجٌ بَـذِيَّـةٌ (١) ... مـلائمَـةٌ تَبْغي على جـارِهـا الجُنُبْ (٢)
وَلا الجـارِ ذي القُرْبى ولم تـدرِ مـا الخَنا ... ولم تَـزْدَلِفْ يـوْمـاً بسـوءٍ ولم تـجبْ (٣)
عـجبتُ لهـا إذْ كُـتّفَـتْ (٤) وَهـيَ حيّـةٌ ... ألا إنّ هـذا الخَطبَ من أعجبِ العجبْ (٥)

وقيل: إنّ المختار إنّما أظهر الخلاف لابن الزُّبير عند قدوم مُصْعب البصرة، وإنّ مُصْعباً لما سار إليه فبلغه مسيره أرسل إليه أحمر بن شُمَيْط، وأمره أن يُواقعه بالمَذار، وقال: إنّ الفتح بالمذار، لأنّه بلغه أنّ رجلاً من ثَقيف يُفْتَح عليه بالمذار فتحٌ عظيم، فظنّ أنّه هو، وإنّما كان ذلك للحجّاج في قتال عبد الرحمن بن الأشعث.

وأمر مُصْعبٌ عَبّاداً الحَطَميَّ بالمسير إلى جمع المختار، فتقدّم وتقدّم معه عُبيدُ الله بن عليّ بن أبي طالب، وبقي مُصْعب على نهر البصريّين، وخرج المختار في عشرين ألفاً، وزحف مُصْعب ومَن معه، فوافوه مع الليل، فقال المختار لأصحابه: لا يبرحنّ أحد منكم حتّى يسمع منادياً ينادي: يا محمّد، فإذا سمعتموه فاحملوا.

فلمّا طلع القمر أمر منادياً فنادى: يا محمّد، فحملوا على أصحاب مُصْعب، فهزموهم وأدخلوهم عسكرهم، فلم يزالوا يُقاتلونهم حتّى أصبحوا، وأصبح المختار وليس عنده أحد، وأصحابه قد أوغلوا في أصحاب مُصْعب، فانصرف المختار منهزماً حتّى دخل قصر الكوفة، وجاء أصحابه حين أصبحوا، فوقفوا مليّاً، فلم يروا المختار فقالوا: قد قُتل، فهرب منهم مَن أطاق الهرب، فاختفوا بدُور الكوفة، وتوجّه منهم نحو القصر ثمانية آلاف، فوجدوا المختار في القصر، فدخلوا عليه، وكانوا قد قتلوا تلك الليلة من أصحاب مُصْعب خلقاً كثيراً، منهم محمّد بن الأشعث، وأقبل مُصْعب فأحاط بالقصر، وحاصرهم أربعة أشهر، يخرج المختار كلّ يوم فيقاتلهم في سوق الكوفة.

فلمّا قُتل المختار بعث مَن في القصر يطلب الأمان، فأبَى مُصْعب، فنزلوا على

= عـلينـا كـتـاب الله فـي الـقـتـل واجـب ... وهُنّ الضعـاف في الحجـال وفي الحُجُب

(١) في (ب): «بذمة».
(٢) البيت في الأوربية:
مـن الـخـفـرات لا خـروج بـرنّـةٍ ... بـلائـمـة تبقى عـلى جـارهـا الجنَـبْ
(٣) الطبري «تحب».
(٤) الطبري «كُفِّنَت».
(٥) الطبري ٦/١١٣، وقد وردت الأبيات من ٨ - ١٠ في: الأخبار الطوال للدينوري ص ٣١٠ مع ثلاثة أبيات أخرى لم ترد أعلاه، ومن ٧ - ٩ في أنساب الأشراف ٥/٢٦٤ باختلاف ألفاظ وتقديم وتأخير.

حكمه، فقُتل من العرب سبعمائة أو نحو ذلك، وسائرهم من العجم، وكان عدّة القتلى ستّة آلاف رجل[1].

ولما قُتل المختار كان عُمره سبعاً وستّين سنة، وكان قتله لأربع عشرة خلت من رمضان سنة سبْعٍ وستّين[2].

قيل: إنّ مُصْعَباً لقي ابنَ عمر فسلّم عليه وقال له: أنا ابن أخيك مُصْعب. فقال له ابن عمر: أنت القاتل سبعة آلاف من أهل القِبْلة في غداةٍ واحدة غير ما بدا لك. فقال مُصْعب: إنّهم كانوا كَفَرة فَجَرَة[3]. فقال: والله لو قتلتَ عدّتهم غنماً من تُراث أبيك لكان ذلك سَرَفاً.

وقال ابن الزّبير لعبد الله بن عبّاس: ألم يبلُغْك قتْلُ الكذّاب؟ قال: ومَن الكذّاب؟ قال: ابن أبي عُبيد. قال: قد بلغني قتل المختار. قال: كأنّك نكرتَ تسميته كذّاباً، ومتوجّعٌ له. قال: ذاك رجل قتل قَتَلَتنا، وطلب ثأرنا، وشفى غليلَ صدورنا، وليس جزاؤه منّا الشّتْمُ والشماتة.

وقال عُرْوة بن الزّبير لابن عبّاس: قد قُتل الكذّاب المختار، وهذا رأسه. فقال ابن عبّاس: قد بقيت لكم عَقَبةٌ كَؤُود، فإنْ صعِدتموها فأنتم أنتم، وإلاّ فلا، يعني عبد الملك بن مروان.

وكانت هدايا المختار تأتي ابنَ عمر وابنَ الحنفيّة فيقبلانها، وقيل: ردّ ابنُ عمر هديته.

ذكر عزل مُصْعَب بن الزّبَير وولاية حمزة بن عبد الله بن الزُّبير

وفي هذه السنة عزل عبدُ الله بن الزُّبير أخاه مُصْعباً عن العراق، بعد أن قتل المختار، وولّى مكانه ابنَه حمزة بن عبد الله، وكان حمزة جواداً مخلّطاً، يجود أحياناً حتّى لا يدع شيئاً يملكه، ويَمنعُ أحياناً ما لا يُمْنَعُ مثلُه، وظهر منه بالبصرة خِفّة وضعف، فيقال إنّه ركب يوماً، فرأى فَيْض البصرة فقال: إنّ هذا الغدير إن رفقوا به ليكفينّهم صيفهم[4]، فلمّا كان بعد ذلك رآه جازراً فقال: قد قلتُ لو رفقوا به لكفاهم. وظهر منه غير ذلك، فكتب الأحنف إلى أبيه، وسأله أن يعزله عنهم ويُعد مُصْعباً، فعزله، فاحتمل مالاً كثيراً

---

(١) الطبري ٦/١١٤ ـ ١١٦.
(٢) الطبري ٦/١١٦.
(٣) الطبري ٦/١١٣ «كفرة سحرة».
(٤) الأوربية: «ضيعتهم».

من مال البصرة، فعرض له مالك بن مِسمَع فقال له: لا ندعك تخرج بعطايانا. فضمن له عُبيد الله بن عبد الله العطاءَ، فكفّ عنه، وشخص حمزة بالمال، وأتى المدينة فأَوْدعه رجالاً، فجحدوه إلّا رجلاً واحداً فوفَى له، وبلغ ذلك أباه فقال: أبعده الله! أردتُ أن أباهي به بني مروان فنكص.

وقيل: إنّ مصعباً أقام بالكوفة سنةً بعد قتل المختار معزولاً عن البصرة، عزله أخوه عبد الله، واستعمل عليها ابنَه حمزة، ثمّ إنّ مُصْعباً وفد على أخيه عبد الله، فردّه على البصرة، وقيل: بل انصرف مُصْعب إلى البصرة بعد قتل المختار، واستعمل على الكوفة الحارث بن أبي ربيعة، فكانتا في عمله، فعزله أخوه عن البصرة واستعمل ابنه حمزة، ثمّ عزل حمزة بكتاب الأحنف وأهل البصرة وردّ مُصْعباً[١].

ذكر عدّة حوادث

حجّ بالناس [في هذه السنة] عبد الله بن الزّبير[٢]، وكان عامله على الكوفة والبصرة مَنْ تقدّم ذكره، وكان على قضاء الكوفة عبد الله بن عُتْبة بن مسعود، وعلى قضاء البصرة هشام بن هُبَيرة، وبالشام عبد الملك بن مروان، وبخُراسان عبد الله بن خازم[٣].

[الوَفَيات]

وفي هذه السنة مات الأحنف بن قيس[٤] بالكوفة مع مُصْعب، وقيل: مات سنة إحدى وسبعين بالكوفة لما سار مُصْعب إلى قتال عبد الملك بن مروان. وقُتل هُبَيرة بن مريم[٥] مولى الحسين بن عليّ بالخازَر، وهو من أصحاب المختار وثقات المحدّثين. وفيها توفي جُنادة بن أبي أميّة[٦]، وأدرك الجاهليّة، وليست له صُحْبة. وقتل مُصْعبُ عبدَ الرحمن[٧]، وعبدَ الربّ ابنَيْ حُجْر بن عديّ، وعِمرانَ بن حُذَيْفة بن اليمان، قتلهم صبراً بعد قتل المختار، وبعد قتل أصحابه.

---

(١) الطبري ١١٧/٦، ١١٨، نهاية الأرب ٦٧/٢١.

(٢) تاريخ خليفة ٢٦٤، المحبّر ٢٢، تاريخ اليعقوبي ٢٦٨/٢، المعرفة والتاريخ ٣٣١/٣، الطبري ١١٨/٦، مروج الذهب ٣٩٨/٣، تاريخ العظيمي ١٨٨، نهاية الأرب ٦٧/٢١، البداية والنهاية ٢٩٣/٨، تاريخ دمشق ٤٥٤ و ٤٥٥، مآثر الإنافة ١٢٣/١.

(٣) الطبري ١١٨/٦، نهاية الأرب ٦٧/٢١.

(٤) انظر عن (الأحنف بن قيس) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) - ص ٧١ رقم ١ وفيه مصادر ترجمته.

(٥) انظر عن (هبيرة بن مريم) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) - ص ٢٦٤ رقم ١١٧ وفيه مصادر ترجمته.

(٦) انظر عن (جُنادة بن أبي أميّة) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) - ص ٣٨٣ رقم ١٥٠ وفيه مصادر ترجمته.

(٧) انظر عن (مُصعب بن عبد الرحمن) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) - ص ٢٤٩ رقم ١٠٣ وفيه مصادر ترجمته.

٦٨
ثم دخلت سنة ثمان وستين

ذكر عزل حمزة وولاية مُصْعب البصرة

وفي هذه السنة ردّ عبد الله بن الزّبير أخاه مُصْعباً إلى العراق.

وسببه: أنّ الأحنف رأى من حمزة بن عبد الله اختلاطاً وحمقاً، فكتب إلى أبيه، فعزله وردّ مُصْعباً، واستعمل على الكوفة الحارث بن أبي ربيعة[١].

وقيل: كان سبب عزله حمزة أنّه قصر بالأشراف وبسط يده، ففزعوا إلى مالك بن مِسمع، فضرب خيمته على الجسر، ثمّ أرسل إلى حمزة: الحقْ بأبيك؛ وأخرجه عن البصرة، فقال العُدَيل العِجْليّ:

إذا ما خَشينا مِنْ أميرٍ ظُلامةً ... دعَوْنا أبا سُفيان[٢] يوْماً فعسكَرَا

ذكر حروب الخوارج بفارس والعراق

في هذه السنة استعمل مُصْعبٌ عمرَ بنَ عُبيد الله بن مَعْمر على فارس، وولّاه حرب الأزارقة، وكان المهلّب على حربهم أيّام مُصعب الأولى، وأيّام حمزة بن عبد الله بن الزّبير. فلمّا عاد مُصْعب أراد أن يولّي المهلّبَ بلادَ الموصل والجزيرة وأرمينيّة، ليكون بينه وبين عبد الملك بن مروان، فكتب إليه، وهو بفارس، في القدوم عليه، فقدِم واستخلف على عمله ابنَه المُغيرة، ووصّاه بالاحتياط، وقدِم البصرة، فعزله مُصْعب عن حرب الخوارج وبلاد فارس، واستعمل عليهما عمر بن عُبيد الله بن مَعْمَر. فلمّا سمع الخوارج به قال قَطَريّ بن الفُجاءة: قد جاءكم شجاعٌ وهو شجاع وبطَل، جاء يقاتل لدِينه وملكه بطبيعةٍ لم أرَ مثلها لأحد، ما حضر حرباً إلّا كان أوّل فارس يقتل قِرنه.

---

(١) الطبري ٦/١١٩.

(٢) في (ر): «غسان».

وكـان الخـوارج قـد استعملوا عليهم بعـد قتـل عُبيـد الله بن المـاحـوز الـزُّبيـرَ بنَ الماحوز، على ما ذكرناه سنة خمس وستّين، فجاءت الخوارج إلى إصطخر، فقدّم إليهم عمر ابنَه عُبيد الله فـي خيل، فاقتتلوا فقُتل عُبيد الله بن عمر، وأراد الـزّبير بن المـاحوز قتـال عمر، فقـال له قَـطَريّ: إنّ عمر مـأثور فـلا نقاتله، فـأبَى فقاتله، فقُتـل من فرسـان الخـوارج تسعون رجـلاً، وطعن عمرُ صـالحَ بن مخـارق فشتر عينـه، وضرب قَـطَريّاً على جبينه ففلقه، وانهزمت الخوارج وساروا إلى سابور، فعاد عمر ولقِيهم بها ومعه مُجّاعـة بن سِعْر، فقتل مُجّاعةُ بعمودٍ كان معه أربعة عشـر رجلاً من الخـوارج، وكاد عمـر يهلك في هذه الوقعة، فدافع عنه مجّاعة، فوهب له عمر تسعمائة ألف درهم[1]، فقيل في ذلك:

قــد ذُدتُ عــاديــةَ الكَتيبَــةِ عن فتًـى ... قــد كــادَ يُـتْـرَكُ لـحـمُــهُ أقــطاعَــا

وظهر عليهم فساروا وقطعوا قنطرةً بينهما ليمتنع من طلبهم، وقصدوا نحـو أصبهان، فأقاموا عندها حتّى قووا واستعدّوا، ثمّ أقبلوا حتى مرّوا بفـارس وبها عمـر، فقطعـوها في غير الموضع الذي هم به، أخذوا على سابور، ثمّ على أرّجان، حتّى أتوا الأهواز.

فقـال مُصْعَب: العجب لعمر! قـطع هذا العـدوُّ الـذي هـو بصـدد محـاربتـه أرض فـارس، فلم يقاتلهم، ولـو قاتلهم وفـرّ كـان أعـذر لـه[2]. وكتب إليـه: يـا ابن مَعمَـر مـا أنصفتني، تجبي الفَيْء وتَحِيد عن العدوّ، فاكفني أمرَهم.

فسـار عمر من فـارس في أثرهم مُجِـدّاً يرجـو أن يلحقهم قبل أن يـدخلوا العـراق، وخـرج مُصْعب فعسكر عنـد الجسـر الأكبـر، وعسكـر النـاس معـه، وبلغ الخـوارجَ وهم بـالأهواز إقبـالُ عمر إليهم، وأنّ مُصْعباً قد خـرج من البصرة إليهم، فقـال لهم الزُّبيـر بن الماحوز: من سوء الرأي وقوعكم بين هاتَين الشوكتَين، انهضوا بنـا إلى عدوّنـا نَلقَهم من وجهٍ واحد. فسار بهم فقطع بهم أرض جُوخى والنّهروانات، فأتَى المـدائن وبها كَـرْدم بن مَرْثَد القُراديُّ[3]، فشنّوا الغارة على أهل المدائن يقتلون الرجال والنساء والولدان، ويشقّون أجواف الحبالى. فهـرب كَرْدَم، وأقبلوا إلى سـاباط، ووضعـوا السيف في الناس يقتلون، وأرسلوا جماعة إلى الكرخ[4] فلقوا أبا بكر بن مِخْنَف، فقاتلهم قتالاً شديداً، فقُتل أبو بكـر وانهزم أصحابُه، وأفسد الخوارج في الأرض.

فأتَى أهلُ الكـوفة أميـرَهم، وهو الحـارث بن أبي ربيعة ولقَبُـه القُباع، فصـاحوا بـه

(١) الكامل للمبرّد ٢/٢٤٤.

(٢) المبرّد ٢/٢٤٥.

(٣) في (ب) و(آ): «الفراري».

(٤) في الأوربية: «الكرج».

وقالوا: اخرجْ، فإنّ العدوّ قد أظلَّ علينا[1] ليست له بقيّة. فخرج حتّى نزل النُّخَيْلة، فأقام أيّاماً، فوثب إليه إبراهيم بن الأشتر، فحثّه على المسير، فسار حتّى نزل دير عبد الرحمن، فأقام به حتّى دخل إليه شَبَث بن رِبْعيّ، فأمره بالمسير، فلمّا رأى الناسُ بُطءَ[2] مسيره رَجَزُوا به فقالوا:

سارَ بنا القُباعُ سَيراً نُكرَا[3] يَسيرُ يَوْماً ويُقيمُ شَهرَا[4]

فسار من ذلك المكان، فكان كلّما نزل منزلاً أقام به حتّى يصيح به الناسُ، فبلغ الفراتَ في بضعة عشر يوماً، فأتاها وقد انتهى إليها الخوارج، فقطعوا الجسرَ بينهم وبينه، وأخذوا رجلاً اسمه سِماك بن يزيد ومعه بنت له، فأخذوها ليقتلوها، فقالت لهم: يا أهلَ الإسلام! إنّ أبي مُصابٌ فلا تقتلوه، وأمّا أنا فجارية، والله ما أتيتُ فاحشةً قطّ، ولا آذيتُ جارةً لي، ولا تطلّعتُ ولا تشرّفت قطّ. فلمّا أرادوا قتلها سقطت ميتة، فقطّعوها بأسيافهم[5]، وبقي سِماك معهم حتّى أشرفوا على الصَّراة[6]، فاستقبل أهلَ الكوفة فناداهم: اعبروا إليهم فإنّهم قليل خبيث. فضربوا عُنقه وصلبوه[7].

فقال إبراهيم بن الأشتر للحارث: اندبْ معي الناس حتّى أعبر إلى هؤلاء الكلاب فأجيئك برؤوسهم. فقال شَبَث، وأسماء بن خارجة، ويزيد بن الحارث، ومحمّد بن عُمَير وغيرهم: أصلح الله الأمير، دَعهم فلْيذهبوا؛ وكأنّهم حسدوا إبراهيم[8].

فلمّا رأى الخوارج كثرة الناس قطعوا الجسر، واغتنم ذلك الحارثُ فتحبّس ثمّ جلس للناس فقال: أمّا بعدُ فإنّ أوّل القتال الرمية بالنَّبل وإشراع الرماح والطعن ثمّ الطعن شزراً ثمّ السَّلة آخر ذلك كلّه. فقال له رجل: قد أحسن الأمير الصفةَ ولكن متى نصنع هذا وهذا البحر بيننا وبينهم؟ فمرْ بهذا الجسر فليُعْقَدْ ثمّ عبّرْنا إليهم، فإنّ الله سيُريك ما تحبّ.

---

(١) في (ر): «أضلنا»، وفي الأوربية: «أبطلنا».

(٢) في (ب): «ثبط».

(٣) في الكامل للمبرّد:

«إنّ القُباع سار سيراً نُكراً»

(٤) أنساب الأشراف ٢٧٦/٥، الكامل للمبرّد ٢٤٥/٢، الطبري ١٢٣/٦، تاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨٠ هـ.) ـ ص ٦٤.

(٥) المبرّد ٢٤٥/٢، ٢٤٦.

(٦) في (ر) «الصراط»، وزاد في (ب): «الفرابة»، وهو وهْم. والصَّراة: بفتح الصاد المهملة، نهران ببغداد: الصَّراة الكبرى. والصَّراة الصغرى. (معجم البلدان ٣٩٩/٣).

(٧) الطبري ١٢٤/٦.

(٨) الطبري ١٢٤/٦.

فعقدَ الجسرَ وعبرَ الناسُ، فطاردَ الخوارجَ حتّى أتوا المدائن، وطاردت بعض خيلهم عند الجسر طراداً ضعيفاً فرجعوا، فأتبعهم الحارثُ عبدَ الرحمن بن مِخنَف في ستّة آلاف ليُخرجهم من أرض الكوفة، وقال له: إذا وقعوا في أرض البصرة فاتركْهم. فسار عبد الرحمن يتبعهم حتى وقعوا في أرض أصبهان، فرجع عنهم ولم يقاتلهم، وقصدوا الرّيّ وعليها يزيد بن الحارث بن رُوَيْم الشيبانيُّ، فقاتلهم، فأعان أهلُ الريّ الخوارجَ، فقُتل يزيد وهرب ابنه حَوْشب، ودعاه أبوه ليدفع عنه فلم يرجع، فقال بعضهم:

فلَوْ كان حُرّاً حَوْشَبٌ ذا حَفيظَةٍ ... رأى ما رأى في المَوْتِ عيسَى بن مُصْعَب

يعني أنّ عيسى بن مُصْعب لم يفرّ عن أبيه، بل قاتل عنه معه حتّى قُتل.

وقال بِشر بن مروان يوماً وعنده حَوْشب هذا وعِكْرمة بن رِبْعيّ: مَنْ يدلّني على فرس جواد؟ فقال عِكْرِمة: فرس حَوْشب، فإنّه نجا عليه يوم الريّ. وقال بِشْر أيضاً يوماً: مَنْ يدلّني على بغلةٍ قويّة الظّهر؟ فقال حَوْشب: بغلة واصل بن مسافر[1]، كان عِكْرِمة يُتّهم بامرأة واصل، فتبسّم بِشْر وقال: لقد انتصفتَ.

ولما فرغ الخوارج من الريّ انحطّوا إلى أصبهان، فحاصروها وبها عتّاب بن ورقاء، فصبر لهم، وكان يقاتلهم على باب المدينة ويرمون من السُّور بالنَّبل والحجارة. وكان مع عتّاب رجل من حَضْرَمَوت يقال له أبو هُرَيرة، فكان يحمل عليهم ويقول:

كيفَ تَرَوْنَ يا كلابَ النّارِ ... شَدَّ أبي هُرَيرَةَ الهَرّارِ

يهرّكم باللّيلِ والنّهارِ ... يا ابنَ أبي الماحوز والأشرارِ

كيفَ تَرَى حرْبي على المضْمارِ

فلمّا طال ذلك على الخوارج كمن له رجل منهم ذات يوم، فضربه بالسيف على حبل عاتقه فصرعه، فاحتمله أصحابُه وداووه حتّى برأ، وخرج إليهم على عادته.

ثمّ إنّ الخوارج أقامت عليهم أشهُراً حتّى نفدت أطعمتهم، واشتدّ عليهم الحصار، وأصابهم الجهدُ الشديدُ، فقال لهم عتّاب: أيّها الناس قد نزل بكم من الجهد ما ترون، وما بقي إلّا أن يموت أحدكم على فراشه، فيدفنه أخوه إن استطاع، ثمّ يموت هو فلا يجد من يدفنه ولا يصلّي عليه، والله ما أنتم بالقليل، وإنّكم الفرسان الصُّلَحاء، فاخرجوا بنا إلى هؤلاء وبكم قوّة وحياة، قبل أن تضعفوا عن الحركة من الجهد، فوالله إنّي لأرجو إن صدقتموهم أن تَظْفَروا بهم. فأجابوه إلى ذلك.

---

(١) في (آ): «مساور»، و(ب): «متبادر»!

ذكر قتل ابن الماحوز وإمارة قَطَريّ بن الفُجاءة

لما أمر عتّاب أصحابه بقتال الخوارج وأجابوه إلى ذلك جمعَ الناس وأمر لهم بطعام كثير، ثمّ خرج حين أصبح، فأتَى الخوارج وهم آمنون، فحملوا عليهم فقاتلوهم حتّى أخرجوهم من عسكرهم، وانتهوا إلى الزّبير بن الماحوز، فنزل في عصابة من أصحابه، فقاتل حتّى قُتل، وانحازت الأزارقة إلى قَطَرِيّ بن الفُجاءة المازنيّ، وكنيته أبو نعامة، فبايعوه، وأصاب عتّابٌ وأصحابه من عسكره ما شاؤوا، وجاء قطريّ فنزل في عسكر الزّبير، ثمّ سار عن أصبهان وتركها، وأتَى ناحية كَرمان وأقام بها حتّى اجتمعت إليه جموعٌ كثيرة، وجبى المالَ وقوي. ثمّ أقبل إلى أصبهان، ثمّ أتَى إلى أرض الأهواز، فأقام بها والحارث بن أبي ربيعة عامل مُصْعب على البصرة، فكتب إلى مُصْعب يخبره بالخوارج، وأنّهم ليس لهم إلاّ المهلّب. فبعث إلى المهلّب وهو على الموصل والجزيرة فأمره بقتال الخوارج، وبعث إلى الموصل إبراهيم بن الأشتر، وجاء المهلّب إلى البصرة وانتخب الناسَ وسار بهم نحو الخوارج، ثمّ أقبلوا إليه حتّى التقوا بسُولاف، فاقتتلوا بها ثمانية أشهر أشدّ قتالٍ رآه الناس.

ذكر حصار الرّيّ

وفيها أمر مُصْعب عَتّاب بن ورقاء الرياحيَّ، عاملَه على أصبهان، بالمسير إلى الريّ وقتال أهلها، لمساعدتهم الخوارج على يزيد بن الحارث بن رُوَيْم وامتناعهم من مدينتهم، فسار إليهم عتّاب، فنازلهم وقاتلهم وعليهم الفرُّخان، وألَحّ عليهم عتّاب بالقتال، ففتحها عَنوةً وغَنِم ما فيها، وافتتح سائر قلاع نواحيها(١).

وفيها كان بالشام قحْطٌ شديد، حتّى إنّهم لم يقدروا من شدّته على الغزو(٢).

وفيها عسكر عبد الملك بن مروان ببُطْنان [حَبيب]، وهو قريب [من] قنّسرين، وشتّى بها ثمّ رجع إلى دمشق(٣).

ذكر خبر عُبيد الله بن الحُرّ ومقتله

في هذه السنة قُتل عبيد الله بن الحُرّ الجُعْفيّ، وكان من خيار قومه صلاحاً وفضلاً واجتهاداً، فلمّا قُتل عثمان ووقعت الحرب بين عليّ ومعاوية قصد معاويةَ، فكان معه

(١) نهاية الأرب ٦٨/٢١.
(٢) تاريخ خليفة ٢٦٥، تاريخ الطبري ١٢٧/٦.
(٣) تاريخ الطبري ١٢٧/٦.

لمحبّته عثمان، وشهِد معه صِفّين هو ومالـك بن مِسمَع، وأقـام عُبيد الله عنـد معاويـة[1]. وكان له زوجة بالكوفة، فلمّا طالت غيبته زوّجها أخوها رجلاً يقال له عِكْرِمة بن الخبيص، وبلغ ذلك عُبيدَ الله، فأقبل من الشام، فخاصم عِكْرِمة إلى عليّ، فقال له: ظاهرتَ علينـا عدوّنا فغُلْتَ. فقال له: أيمنعني ذلك من عدلك؟ قال: لا، فقصّ عليـه قصّته، فـردّ عليه امرأته، وكـانت حبلى، فوضعهـا عند مَن يثق إليـه حتّى وضعت، فألحق الـولد بعِكـرِمة، ودفع المرأة إلى عُبيد الله، وعاد إلى الشـام فأقـام به حتّى قُتـل عليٌّ، فلمّا قُتـل أقبل إلى الكوفة فأتَى إخوانَه فقال: ما أرى أحداً ينفعـه اعتزالـه، كنّا بـالشام فكـان من أمر معـاوية كَيْت وكَيْت، فقالوا: وكان من أمر عليّ كَيْت وكَيْت، وكانوا يلتقون بذلك[2].

فلمّا مات معاوية وقُتـل الحسين بن عليّ لم يكن عُبيد الله فيمَنْ حضـر قتله، يغيب عن ذلـك تعمُّداً، فلمّـا قُتل جعـل ابن زيـاد يتفقّـد الأشـراف من أهـل الكـوفـة، فلم يـرَ عُبيدَ الله بن الحُرّ، ثمّ جـاءه بعد أيّـام حتّى دخل عليـه فقال لـه: أين كنتَ يا ابنَ الحُـرّ؟ قال: كنتُ مريضاً. قال: مـريض القلب أم مريض البـدن؟ فقال: أمّـا قلبي فلم يمرض، وأمّا بدني فقد مَنّ الله عليّ بالعـافية. فقـال ابن زياد: كـذبتَ، ولكنّك كنتَ مـع عدوّنـا. فقال: لو كنتُ معه لرأى مكاني.

وغفل عنه ابن زياد، فخرج فركب فرسه، ثمّ طلبه ابن زياد فقالـوا: ركب السـاعـة. فقال: عَلَيَّ به. فأحضر الشُّرَط خلفه، فقالوا: أجبِ الأمير. فقال: أبلغوه عنّي أنّي لا آتيه طائعاً أبداً. ثمّ أجرى فرسَه، وأتَى منزلَ أحمد بن زياد الطّائيّ، فاجتمع إليه أصحابُه، ثمّ خرج حتّى أتى كربلاء، فنظر إلى مَصارِع الحسين ومَنْ قُتل معه، فاستغفر لهم، ثمّ مضى إلى المدائن وقال في ذلك:

يـقـولُ أمـيـرٌ غـادرٌ وابـنُ غـادرٍ ... ألا كنتَ قـاتلتَ الحسينَ بنَ فـاطـمَـهْ[3]
ونَـفـسـي عـلى خِـذْلانِـهِ واعـتـزالِـهِ ... وبيعـةِ هـذا النّـاكثِ العهـد لائـمَـهْ[4]
فـيـا نَـدَمـي أن لا أكـونَ نـصـرْتُـهُ ... ألا كـلّ نَـفسٍ لا تـشـدّدُ[5] نـادِمَـهْ
وإنّـي لأنّـي لـم أكُـنْ مِـن حُـمـاتـه ... لـذو حَـسْـرةٍ أن لا تـفـارق لازمَـهْ[6]

---

(١) الطبري ١٢٨/٦.

(٢) الطبري ١٢٨/٦.

(٣) البيت في أنساب الأشراف ٢٩٢/٥:

يـقـول أبـو جـائـر حـقُّ جـائـرٍ ... ألا كنتَ قـاتلتَ الشهيـد ابن فـاطمـه

(٤) في الأنساب «العهد سادمه».

(٥) في (آ) وأنساب الأشراف «تسدد».

(٦) في الأوربية، ورد الشطر الثاني:

سقى اللهُ أرواحَ الذينَ تَبادرُوا[1] إلى نصرِهِ سحّاً[2] منَ الغيثِ دائمَهْ[3]
وقَفتُ على أجداثِهِمْ ومحالِّهِمْ فكادَ الحشا ينقضّ والعينُ ساجمَهْ
لَعَمْري، لقد كانوا مصاليتَ في الوَغى سراعاً إلى الهيجا حُماة خَضارِمَهْ
تأسَّوا على نصرِ ابنِ بنتِ نَبيِّهمْ بأسيافِهِم آساد غيلٍ ضراغِمَهْ
فإنْ يقتلوا في كلِّ نفسٍ بقيَّةً على الأرض قد أضحت لذلك واجمَهْ
وما إن رأى الرّاؤونَ أفضَلَ منهُمُ لدى الموْتِ سادات وزُهر قماقِمَهْ
يُقتِّلهمْ[4] ظلماً ويرْجو ودادَنا فدَعْ خطَّةً ليستْ لنا بملائمَهْ
لعمري لقد راغَمتمونا[5] بقَتلِهِمْ فكم ناقمٍ منّا عليكم وناقمَهْ
أهمُّ مراراً أن أسيرَ بجحْفَلٍ إلى فئَةٍ زاغَتْ عنِ الحقّ ظالمَهْ
فكُفّوا وإلاّ زِدتُكُم[6] في كتائبٍ أشدّ عليكم من زحوفِ الدّيالمَهْ[7]

وأقام ابن الحُرّ بمنزله على شاطىء الفرات إلى أن مات يزيد ووقعت الفتنة، فقال: ما أرى قريشاً تُنصِف[8]، أين أبناء الحرائر؟ فأتاه كلّ خليع، ثمّ خرج إلى المدائن، فلم يدَعْ مالاً قُدم به للسلطان إلاّ أخذ منه عطاءه وعطاء أصحابه، ويكتب لصاحب المال بذلك، ثمّ جعل يتقصّى[9] الكُوَرَ على مثل ذلك، إلاّ أنّه لم يتعرّض لمال أحدٍ ولا ذمّة[10]. فلم يزل كذلك حتّى ظهر المختارُ وسمع ما يعمل في السواد، فأخذ امرأته فحبسها، فأقبل عُبيد الله في أصحابه إلى الكوفة، فكسر باب السجن وأخرجها، وأخرج كلّ امرأةٍ فيه، وقال في ذلك:

ألم تَعلَمي يا أُمَّ تَوبَةَ أنّني أنا الفارِسُ الحامي حقائقَ مَذْحِجِ

لذي جيرة أن لا يفارق لازمه

(١) في (آ) «تبارزوا»، وفي أنساب الأشراف: «تآزّروا».
(٢) في (ب): «سقياً».
(٣) الشطر في أنساب الأشراف:
على نصره سَقْياً من الله دائمه
(٤) في الأوربية: «بقتلهم».
(٥) في الأوربية: «زاعمتمونا».
(٦) في الأوربية: «ذدتكم».
(٧) نهاية الأرب ٢١/٦٩، ٧٠، وفي أنساب الأشراف ٥/٢٩٢ (٤) أبيات ١ و٢ و٣ و٥.
(٨) في الأوربية: «ينصف».
(٩) في الأوربية: «يُنقِص».
(١٠) في نهاية الأرب ٢١/٧٠ «ولا دمِه».

وأنّي صَبَحتُ السِّجنَ في سَوْرة الضُّحى بكـلِّ فتًى حـامي الـذّمـارِ مُـدَجَّـجِ
فمـا إن بَـرِحْنـا[1] السجنَ حتّى بـدا لَنـا جَـبـينٌ كقـرْنِ الـشمسِ غيـرُ مُشنَّـجِ
وخَـدٌّ أسيـلٌ عـن فـتـاةٍ حَـبـيـبَـةٍ[2] إلَـينـا سَـقـاهـا كـلُّ دانٍ مُـشَجّـجِ[3]
فـمـا الـعَـيشُ إلاّ أنْ أزُورَكَ آمِـنـاً كعـادَتِـنـا مِن قبـلِ حَـرْبي ومُخـرَجي
ومـا زلتُ محبُـوسـاً لحبسِـكِ واجِـمـاً وإنّـي بـمـا تَـلْقَـيْـنَ مِـن بَـعـدِه شَـجِ

وهي طويلة[4].

وجعل يعبث[5] بعمّال المختار وأصحابه، فأُحْرقتْ بهَمَذان داره، ونهبوا ضيعته، فسار عُبيد الله إلى ضِياع همذان، فنهبها جميعها، وكان يأتي المدائنَ فيمرّ بعمّال جُوخى، فيأخذ ما معهم من المال، ثمّ يميل إلى الجبل، فلم يزل على[6] ذلك حتّى قُتل المختار[7].

وقيل: إنّه بايع المختار بعد امتناع، وأراد المختارُ أن يسطو به، فامتنع لأجل إبراهيم بن الأشتر. ثمّ سار مع ابن الأشتر إلى الموصل، ولم يشهد معه قتالَ ابن زياد، أظهر المرض. ثمّ فارق ابنَ الأشتر وأقبل في ثلاثمائة إلى الأنبار، فأغار عليها، وأخذ ما في بيت مالها. فلمّا فعل ذلك أمر المختار بهدْم داره وأخذ امرأته، ففعل ما تقدّم ذِكره. وحضر مع مُصْعب قتال المختار وقتْله، فلمّا قُتل المختار قال الناس لمُصعب في ولايته الثانية: إنّا لا نأمن أن يثِب ابن الحُرّ بالسواد كما كان يفعل بابن زياد والمختار، فحبسه، فقال:

فـمَـنْ مُـبلغُ الـفـتـيـانِ أنّ أخـاهُـمُ أتَـى دونَـهُ بـابٌ شـديـدٌ وحـاجِـبُـهْ
بـمَـنـزِلَـةٍ مـا كـانَ يَـرضَـى بمِـثـلِهـا إذا قـامَ عَـنّـتْـهُ كُـبـولٌ تُـجـاذِبُـهْ[8]
على الساق فوْق الكعبِ أسـوَدُ صـامتٌ شـديـدٌ يُـدانـي خَـطْوَهُ ويُـقـارِبُـهْ
ومـا كـان ذا من عُـظْمِ جُرْمٍ جَـرَمْتُـه[9] ولكن سعى السّـاعي بمـا هـوَ كـاذِبُـهْ

(١) الطبري: «برِحْن».
(٢) الطبري: «حيِّية».
(٣) في (آ): «متشحج».
(٤) انظر بقيّتها في: تاريخ الطبري ٦/ ١٢٩، ١٣٠.
(٥) في الأوربية: «يبعث».
(٦) في الأوربية: «عن».
(٧) نهاية الأرب ٢١/ ٧٠، ٧١.
(٨) الطبري: «تُجَاوِبُه».
(٩) الطبري: «جنيته».

وقد كان في الأرض العريضَةِ مسلكٌ وأيُّ امرىءٍ ضاقتْ عليهِ مذاهبُهْ[1]

وقال:

بأيّ بلاءٍ، أمْ بأيّة نعمةٍ تقدّم قبلي مسلمٌ والمهلّبُ؟

يعني مسلم بن عَمْرو والد قُتَيبة، والمهلّب بن أبي صُفْرَة.

وكلّم عُبيدُ الله قوماً من وجوه مَذحج ليشفعوا له إلى مُصْعب، وأرسل إلى فتيان مَذْحج وقال: البسوا السلاحَ واستروه، فإن شفَّعهم مُصْعب فلا تعترضوا لأحد، وإن خرجوا ولم يشفّعهم فاقصدوا السجن، فإنّي سأعينكم من داخل[2].

فلمّا شفع أولئك النفرُ فيه شفّعهم مُصْعب وأطلقه، فأتى منزله، وأتاه الناس يهنّئونه، فقال لهم: إنّ هذا الأمر لا يصلح إلّا بمثل الخلفاء الماضين الأربعة، ولم نرَ لهم فينا شبيهاً فنُلقي إليه أزِمّتنا، فإن كان مَنْ عزّ بزّ فعلامَ نعقد في أعناقنا بيعةً، وليسوا بأشجع منّا لقاءً ولا أعظمَ مناعةً، وقد قال رسول الله ﷺ: «لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الله تعالى»، وكلّهم عاصٍ مخالف قويّ الدنيا ضعيف الآخرة، فعلامَ تُستحلّ حُرمتنا ونحن أصحاب النُّخَيْلة والقادسيّة وجَلولاء ونهاوند، نلقى الأسِنّة بنُحورنا، والسيوف بجباهنا، ثمّ لا يُعْرَف حقّنا وفضلنا؟ فقاتلوا عن حريمكم، فإنّي قد قلبتُ ظهرَ المِجَنّ، وأظهرتُ لهم العداوة، ولا قوّة إلّا بالله، وخرج عن الكوفة وحاربهم وأغار.

فأرسل إليه مُصْعبُ سيفَ بن هانىء المراديَّ، فعرض عليه خراجَ بادوريا وغيرها، ويدخل في الطاعة، فلم يُجِب إلى ذلك، فبعث إليه مُصْعبُ الأبردَ بن قُرّة الرياحيّ فقاتله، فهزمه عُبَيد الله وضربه على وجهه، فبعث إليه أيضاً حُرَيثَ بن يزيد، فقتله عُبيد الله، فبعث إليه مُصْعبُ الحجّاجَ بن جارية الخَثْعميَّ، ومسلمَ بن عَمْرو، فلقِياه بنهر صَرْصَر، فقاتلهما فهزمهما، فأرسل إليه مُصْعب يدعوه إلى الأمان والصّلة، وأن يولّيه أيَّ بلدٍ شاء، فلم يقبل، وأتى نَرْسَى، ففرّ دِهْقانها بمال الفَلُّوجة، فتبِعه ابنُ الحُرّ حتى مرّ بعين تمر، وعليها بِسطام بن مَصْقلة بن هُبَيرة الشيباني، فالتجأ إليهم الدِّهْقان، فخرجوا إلى عُبيد الله فقاتلوه، ووافاهم الحجّاج بن جارية الخثعميّ، فحمل على عُبَيد الله، فأسره عُبيد الله، وأسر أيضاً بِسطامَ بن مَصْقَلة وناساً كثيراً، وبعث ناساً من أصحابه فأخذوا المال الذي مع الدِّهقان وأطلق الأسرى[3].

---

(١) الطبري ١٣١/٦ وزاد بيتاً:

وفي الدهر والأيام للمرء عِبرةٌ وفيما مضى إن ناب يوماً نوائبُهْ

(٢) نهاية الأرب ٧١/٢١.

(٣) الطبري ١٣١/٦، ١٣٢.

ثمّ إنّ عبيد الله أتَى تَكْرِيت، فأقام يجبي الخراج، فبعث إليه مُصْعبُ الأبـردَ بن قُرّة الـرّياحيَّ، والجَوْنَ بن كَعب الهَمْدانيَّ في ألف، وأمـدّهم المهلّب بيزيـد بن المغفَّل في خمسمائة، فقال لعُبيد الله رجلٌ من أصحابه: قد أتاك جمْعٌ كثير فلا تقاتلْهم. فقال:

يُخَـوّفُني بـالـقَتـلِ قَـوْمي وإنّـمـا ... أمـوتُ إذا جـاء الـكـتـابُ الـمُؤجَّـلُ
لعَـلّ القَنا تُـدني[1] بـأطـرافِها الغِنَى[2] ... فـنحيـا كـرامـاً أوْ نَكُـرّ فَـنُقْـتَـلُ[3]
ألـم تَـرَ أنّ الـفَـقـرَ يُـزري بـأهـلِهِ ... وأنّ الـغـنـى فـيـه الـعُلى والـتـجَـمُّـلُ
وإنّـكَ إلّا تـركـبِ الـنـهـولَ لا تـنَـلْ ... من المـالِ ما يُـرْضي الصّديقَ ويفضـلُ[4]

وقاتلهم عُبيد الله يومَين وهو في ثلاثمائة، ولما كان عند المسـاء تحاجـزوا، وخرج عُبيدُ الله من تِكْريت وقال لأصحابه: إنّي سائـر بكم إلى عبد الملك بن مـروان فتجهّزوا، وقال: إنّي خائفٌ أن أموتَ ولم أُذْعَرْ مُصْعباً وأصحابـه. وسار نحـو الكوفـة فبلغ كَسْكر، فـأخـذ بيتَ مـالهـا، ثمّ أتَى الكـوفـة فنزل بحمّام جـريـر، فبعث إليـه مُصْعبٌ عمـرَ بن عُبيد الله بن مَعْمَر فقـاتله، (فخرجَ إلى دَيْـر الأعور، فبعث إليـه مُصْعَبٌ حجّارَ بن أبْجـر، فـانهـزم حجّـار، فشتمه مُصْعبٌ، وضمّ إليـه الجَوْنَ بن كعب الهمـدانيَّ، وعمـر بن عُبيـد الله بن مَعْمَر، فقـاتلوه)[5] بأجمعهم، وكثُـرت الجـراحـات في عسكـر عُبيـد الله بن الحُرّ، وعُقرت خيولهم، فانهزم حجّار، ثمّ رجع فاقتتلوا قتالاً شديداً حتّى أمسوا، وخـرج ابن الحُرّ من الكوفة[6].

وكتب مُصْعَبٌ إلى يزيد بن الحارث بن رُوَيْم الشيبانيّ، وهو بالمدائن، يأمـره بقتال ابن الحُرّ، فقدّم ابنَه حَوْشبـاً، فلقِيه ببـاجِسْرى، فهـزمه عُبيـد الله وقتل فيهم، وأقبـل ابن الحُرّ إلى المدائن فتحصّنوا منه، فخرجَ عُبيد الله فـوجّه إليـه الجَوْنَ بن كَعب الهمـدانيَّ، وبِشْرَ بن عبد الله الأسديَّ، فنزل الجَوْنُ بحَوْلايـا، وقدم بِشْـر إلى تامَـرّا فلقي ابن الحرّ، فقتله ابن الحـرّ وهـزم أصحـابـه، ثمّ لقي الجَـوْنَ بن كعب بحَـوْلايـا، فخـرج إليـه عبـد الـرحمن بن عبـد الله، فقتله ابن الحـرّ وهـزم أصحـابـه، وخـرج إليـه بشيـر بن عبد الرحمن بن بشير العِجْليّ، فقاتله بسُوراء قتالاً شـديداً، فـرجع عنـه بشير، وأقـام ابنُ

---

(١) في الأوربية: «تدلي».
(٢) في (ر): «القنى».
(٣) في الأوربية: «فنجدي كراماً نجتدي ونُؤمّلُ»
(٤) أورد الطبري ١٣٣/٦ البيتين الأولين فقط. وهي في: أنساب الأشراف ٢٩٦/٥.
(٥) ما بين القوسين من (ب).
(٦) الطبري ١٣٤/٦.

الحُرّ بالسواد يُغير ويجبي الخراج[1].

ثمّ لحِق بعبد الملك بن مروان، فلمّا صار إليه أكرمه وأجلسه معه على السرير، وأعطاه مائة ألف درهم، وأعطى أصحابَه مالاً، فقال له ابن الحرّ ليوجّه معه جُنداً يقاتل بهم مُصْعباً، فقال له: سِرْ بأصحابك وادعُ مَنْ قدرتَ عليه، وأنا مُمِدُّك بالرجال.

فسار بأصحابه نحو الكوفة، فنزل بقريةٍ إلى جانب الأنبار، فاستأذنه أصحابُه في إتيان الكوفة، فأذِن لهم، وأمرهم أن يُخْبروا أصحابه بقدومه ليخرجوا إليه، فبلغ ذلك القيسيّةَ، فأتوا الحارث بن أبي ربيعة عامل ابن الزّبير بالكوفة، فسألوه أن يرسل معهم جيشاً يقاتلون عُبيد الله ويغتنمون الفرصة فيه بتفرّق أصحابه، فبعث معهم جيشاً كثيفاً، فساروا فلقوا ابن الحرّ، فقال لابن الحرّ أصحابه: نحن نفرٌ يسيرٌ، وهذا الجيش لا طاقة لنا فيه. فقال: ما كنتُ لأدعهم، وحمل عليهم وهو يقول:

يا لكَ يوْماً فاتَ فيه نَهبي وغابَ عني ثقتي وصحبي[2]

ثمّ عطفوا عليه فكشفوا أصحابه وحاولوا أن يأسروه، فلم يقدروا على ذلك، وأذِن لأصحابه في الذهاب، فذهبوا فلم يعرض لهم أحد، وجعل يقاتل وحده، فحمل عليه رجل من باهلة يكنّى أبا كدية فطعنه، وجعلوا يرمونه، ويكتّبون عليه، ولا يدنون منه، وهو يقول: أهذه نَبْلٌ أم مغازل؟ فلمّا أثخنته الجراح خاض إلى معبر هناك، فدخله ولم يدخل فرسه، فركب السفينة ومضى به الملاّح حتّى توسّط الفرات، فأشرفت عليه الخيلُ، وكان معه في السفينة نَبَطٌ، فقالوا لهم: إنّ في السفينة طَلِبة أمير المؤمنين، فإن فاتكم قتلناكم، فوثب ابن الحُرّ ليرمي نفسه في الماء، فوثب إليه رجل عظيم الخَلْق، فقبض على يديه وجراحاته تجري دماً، وضربه الباقون بالمجاذيف، فلمّا رأى أنّه يُقصَدُ به نحوَ القيسيّة قبض على الذي معه، وألقى نفسه معه في الماء فغرقا[3].

وقيل في قتله: إنّه كان يغشى مُصْعب بن الزّبير بالكوفة، فرآه يقدّم عليه غيره، فكتب إلى عبد الله بن الزّبير قصيدةً يعاتب فيها مُصْعباً ويخوّفه مسيره إلى ابن مروان يقول فيها:

أبلِغْ أميرَ المُؤمنينَ رِسالَةً فلَستُ على رَأيٍ قَبيحٍ أُوارِبُهْ

---

(١) الطبري ٦/١٣٤، ١٣٥، نهاية الأرب ٢١/٧٣.
(٢) نهاية الأرب ٢١/٧٤.
(٣) الطبري ٦/١٣٥، نهاية الأرب ٢١/٧٤.

أفي الحقّ أن أُجفى[1] ويَجعل مُصعبٌ[2] وزيراً له مَن كنتُ فيهِ أحارِبُهْ[3]
فكيفَ وقد آتيتُكم[4] حقّ بيعتي وحَقّي يُلوّى عندكم وأُطالِبُهْ
وأبليتُكُمْ ما لا[5] يُضيِّع مثلُهُ وآسيتُكم والأمرُ صَعبٌ مَراتبُهْ
فلمّا استنارَ الملكُ وانقادتِ العِدَى وأُدرِكَ من مَلْك[6] العراقِ رَغائبُهْ
جفا مُصْعبٌ عنّي ولوْ كان غيرهُ لأصبَحَ فيما بينَنا لا أُعاتِبُهْ
لقد رابني من مُصْعبٍ أنّ مُصْعَباً أرَى كلَّ ذي غِشّ لنا هوَ صاحبُهْ
وما أنا إنْ حَلأتُموني[7] بواردٍ على كَدَرٍ[8] قد غُصّ بالماء[9] شارِبُهْ
وما لامرِىءٍ إلاّ الّذي اللّهُ سائقٌ إليه وما قد خطّ في الزُّبْرِ كاتبُهْ
إذا قمتُ عند البابِ أدخلَ مسلماً[10] ويمنعني أن أدخلَ البابَ حاجبُهْ[11]

فحبسه مُصْعب، وله معه معاتبات من الحبس، ثمّ إنّه قال قصيدة يهجو فيها قيس عَيْلان، منها:

ألم تَرَ قيساً قيسَ عَيْلان بَرْقعَتْ لِحاها وباعَتْ نَبلَها بالمَغازِلِ[12]

فأرسل زُفَرُ بن الحارث الكلائيّ إلى مُصْعب: إنّي قد كفيتُك قتال ابن الزرقاء، يعني عبد الملك بن مروان، وابن الحُرّ يهجو قيساً، ثمّ إنّ نفراً من بني سُلَيْم أسروا ابنَ الحُرّ، فقال: إنّما قلتُ:

---

(١) في (آ) و (ر): «أخفى».
(٢) في (ب): «مصعباً».
(٣) الطبري:
«وزيره من قد كنت فيه أحاربه»
(٤) في (آ) و (ر): «أبليتكم»، وكذلك عند الطبري.
(٥) الطبري: «مالا».
(٦) في (ر) و (آ) والطبري: «مال».
(٧) في الأوربية: «خلّيتموني».
(٨) في (آ) و (ر): «قذر».
(٩) الطبري: «بالصفو».
(١٠) الطبري: «مسلم».
(١١) الطبري ١٣٦/٦، نهاية الأرب ٧٥/٢١، وورد السابع والأخير فقط في أنساب الأشراف ٨٧/٥، باختلاف الألفاظ.
(١٢) الطبري ١٣٧/٦، نهاية الأرب ٧٦/٢١.

ألـم تَــرَ قَيســاً قيسَ عَيــلانَ أقبَــلَتْ[1] وســارَتْ إلَينــا في القَنــا والقنــابــلِ[2]

فقتله رجلٌ منهم يقال له عيّاش[3].

ذكر عدّة حوادث

قيل: في هذه السنة وافى عرفات أربعةُ ألوية: لـواءٌ لابن الحنفيّة وأصحـابه، ولـواءٌ لابن الزّبير وأصحابه، ولواءٌ لبني أميّة، ولواءٌ لنجْدة الحَروريِّ، ولم يجرِ بينهم حـربٌ ولا فتنة، وكان أصحاب ابن الحنفيّة أسلم الجماعة[4].

وكان العامل لابن الزّبير على المدينة هذه السنة جابر بن الأسود بن عوف الزُّهْـريُّ، وعلى البصـرة والكوفـة مُصْعب أخوه، وعلى قضـاء الكوفـة عبد الله بن عُتْبة بن مسعود، وعلى قضــاء البصـرة هشــام بن هُبَيـرة، وعلى خُــراسـان عبـد الله بن خــازم، وكــان عبد الملك بن مروان بالشام مشاققاً لابن الزّبير[5].

[الوَفَيات]

ومات عبد الله بن عبّاس[6] سنة ثمان وستّين وعُمره أربـع وسبعون سنـة، وقيل غيـر ذلك وفيها مات عديّ بن حاتم[7] الطائيُّ، وقيل: سنة ستّ وستّين، وعُمره مائة وعشرون سنة. ومات أبو واقد الليثيُّ[8] واسمه الحارث بن مالك وفيهـا توفّي أبـو شُرَيْـح الخُزاعيّ[9] واسمه خُوَيْلد بن عَمْرو، وهو الكعبيُّ.

(شُرَيح: بالشين المعجمة).

---

(١) في هامش (آ) «برقعت».
(٢) الطبري ٦/١٣٧ وفيه:

إلـيـنـا وســارت بـالـقـنـا والـقـنـابـل

وفي الأوربية: «والقبائل».
(٣) في (ر) و (آ): «عباس».
(٤) تاريخ اليعقـوبي ٢/٢٦٨، الطبـري ٦/١٣٨، ١٣٩، نهايـة الأرب ٢١/٧٦، ٧٧، شفاء الغـرام ٢/٣٤٠ (حوادث سنة ٦٦ هـ.).
(٥) الطبري ٦/١٣٩، نهاية الأرب ٢١/٧٦، ٧٧.
(٦) انظر عن (عبد الله بن عباس) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ١٤٨ رقم ٥٤ وفيه مصادر ترجمته.
(٧) انظر عن (عديّ بن حاتم) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ١٨١ رقم ٦٩ وفيه مصادر ترجمته.
(٨) انظر عن (أبي واقد الليثي) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٢٩٩ رقم ١٣٤ وفيه مصادر ترجمته.
(٩) انـظر عن (أبي شريـح الخزاعي) في: تـاريخ الإسـلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٢٨٨ رقم ١٢٩ وفيـه مصـادر ترجمته.

وعبد الرحمن بن حاطب[1] بن أبي بَلْتعة، وقيل: إنّه وُلد زمن النبيّ ﷺ.

(حاطب: بالحاء المهملة. وبَلْتَعَة: بالباء الموحدة، والتّاء المثنّاة من فوق، والعين المهملة المفتوحات).

(۱) انظر عن (عبد الرحمن بن حاطب) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ١٧١ رقم ٦١ وفيه مصادر ترجمته.

٦٩
ثم دخلت سنة تسع وستين

ذكر قتل عَمْرو بن سعيد الأشْدق

في هـذه السنـة خـالف عَمـرُو بن سعيـد عبـدَ الملك بن مـروان وغلب على دمشق فقتله. وقيل: كانت هذه الحادثة سنة سبعين.

وكان السبب في ذلك أنّ عبد الملك بن مروان أقام بدمشق بعد رجوعـه من قِنَّسْرين ما شاء الله أن يقيم، ثمّ سار يريد قَرْقِيسيا وبها زُفَر بن الحارث الكـلائيُّ، وكان عَمْـرو بن سعيد مع عبـد الملك، فلمّا بلغ بُـطنان حبيب[1] رجـع عَمْرو ليـلاً ومعه حُمَيْـد بن حُرَيْث الكلبيُّ، وزُهَير بن الأبرد الكلبيُّ، فأتَى دمشق وعليها عبد الرحمن بن أمّ الحكم الثقفيّ قد استخلفه عبد الملك، فلمّا بلغه رجوع عَمرو بن سعيد هرب عنها، ودخلها عَمْـرو، فغلب عليهـا وعلى خزائنهـا[2]، وهدم دار ابن أمّ الحكَم، واجتمـع الناس إليـه فخَطَبَهم ومنّـاهم ووعدهم.

وأصبح عبد الملك وفقد عَمراً، فسأل عنه فـأُخبر[3] خبـره، فرجـع إلى دمشق فقاتله أيّاماً، وكان عَمْرو إذا أخرج حُمَيْدَ بن حُريث على الخيل أخرج إليه عبدُ الملك سُفيانَ بن الأبْرد الكلبيَّ، وإذا أخرج عَمرٌو زُهَيرَ بن الأبرد أخرج إليه عبدُ الملك حَسّانَ بن مالـك بن بَحْدل.

ثمّ إنّ عبد الملك وعَمراً اصطلحا وكتبا بينهما كتاباً وآمنه عبد الملك، فخرج عَمْرو في الخيل إلى عبد الملك، فأقبل حتّى أوطأ فرسـه أطناب عبـد الملك، فانقـطعت وسقط السّرادق، ثمّ دخل على عبد الملك فاجتمعا.

ودخل عبد الملك دمشق يوم الخميس، فلمّا كان بعد دخول عبد الملك بأربعة أيّام

---

(١) في الأوربية: «حلب».
(٢) في الأوربية: «خزائنه». والخبر عند الطبري ٦/ ١٤٠.
(٣) في الأوربية: «فأخرجه».

أرسل إلى عَمْرو أن ائتني، وقد كان عبد الملك استشار كُرَيب[1] بن أبرهة[2] الحِمْيريَّ في قتل عَمْرو، فقال: لا ناقة لي في هذا ولا جمل، في مثل هذا هلكتْ حِمْير.

فلمّا أتى الرسولُ عَمراً يدعوه صادف عنده عبدَ الله بن يزيد بن معاوية، فقال لعَمْرو: يا أبا أميّة أنتَ أحبّ إليّ من سمعي ومن بصري، وأرى لك أن لا تأتيه. فقال عَمْرو: لِمَ؟ قال: لأنّ تُبيع ابن امرأة كعب الأحبار قال: إنّ عظيماً من ولد إسماعيل يرجع فيغلق أبواب دمشق، ثمّ يخرج منها، فلا يلبثْ أن يُقْتَل. فقال عَمْرو: والله لو كنت نائماً ما انتهبني ابن الزّرقاء ولا اجترأ عليّ، أما إنّي رأيتُ عثمان البارحة في المنام فألبسني قميصه. وكان عبد الله بن يزيد زوج ابنة عَمْرو. ثمّ قال عمرو للرسول: أنا رائح العشيّة.

فلمّا كان العشاء لبس عَمْرو درعاً، ولبس عليها القَباء، وتقلّد سيفه وعنده حُمَيْد بن حُرَيث الكلبيُّ، فلمّا نهض متوجّهاً عثر بالبساط، فقال له حُمَيد: والله لو أطعتني لم تأتِه. وقالت له امرأته الكلبيّة كذلك، فلم يلتفت ومضى في مائة من مواليه[3].

وقد جمع عبد الملك عنده بني مروان، فلمّا بلغ الباب أذِن له، فدخل، فلم يزل أصحابه يُحْبَسون عند كلّ باب حتّى بلغ قارعة[4] الدار، وما معه إلاّ وصيف[5] له، فنظر عَمْرو إلى عبد الملك وإذا حوله بنو مروان، وحسّان بن بَحْدل الكلبيُّ، وقَبيصة بن ذُؤيب الخُزاعيُّ، فلمّا رأى جماعتهم أحسّ بالشرّ، فالتفت إلى وصيفه وقال: انطلقْ إلى أخي يحيَى فقلْ له يأتِني، فلم يفهم الوصيف فقال له: لبّيكِ! فقال عَمرو: اغرُب عنّي في حرق الله وناره! وأذِن عبد الملك لحسّان وقَبيصة، فقاما فلقِيا عَمراً في الدار، فقال عَمْرو لوصيفه: انطلقْ إلى يحيَى فمُرْه أن يأتيني. فقال: لبّيك! فقال عَمرو: اغرُب عنّي.

فلمّا خرج حسّان وقَبيصة أُغْلِقت الأبواب ودخل عَمْرو، فرحّب به عبدُ الملك وقال: ها هنا ها هنا يا أبا أُميّة! فأجلسه معه على السرير، وجعل يحادثه طويلاً، ثمّ قال: يا غلام خذ السيف عنه. فقال عَمْرو: إنّا لله يا أمير المؤمنين. فقال عبد الملك: أتطمع أن تجلس معي متقلّداً سيفك؟ فأخذ السيف عنه، ثمّ تحدّثا، ثمّ قال له عبد الملك: يا أبا أميّة، إنّك حيث خلعتني أليتُ بيمينٍ إن أنا ملأتُ عيني منك وأنا مالكٌ لك أن أجعلك في جامعة. فقال له بنو مروان: ثمّ[6] تطلقه يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم، وما عسيت أن

(١) في الأوربية: «كرنب».
(٢) في (ر): «إبراهيم».
(٣) الطبري ٦/١٤١، ١٤٢، نهاية الأرب ٢١/١٠١.
(٤) في (ب): «قاعة».
(٥) في الأوربية: «وصيفاً».
(٦) في الأوربية: «لم».

أصنع بأبي أميّة؟ فقال بنو مروان: أبرّ قسم أمير المؤمنين. فقال عَمْرو: قد أبرّ الله قَسَمك يا أمير المؤمنين.

فأخرج من تحت فراشه جامعة وقال: يا غلام قمْ فاجمعه فيها. فقام الغلام فجمعه فيها. فقال عَمْـرو: أذكرك الله يـا أمير المؤمنين أن[1] تخـرجني فيها على رؤوس النـاس. فقال عبد الملك: أَمَكْراً يا أبا أميّة عند الموت؟ لا والله مـا كنّا لِنُخْـرِجَك في جـامعةٍ على رؤوس الناس. ثمّ جذبه جذبةً أصاب فمـه السريـر، فكسر ثنيَّتيـه[2]. فقال عمـروْ: أذكرك الله يـا أميـر المؤمنين كسْـرَ عـظْمٍ منّي، فـلا تـركب مـا هـو أعـظم من ذلـك. فقـال لـه عبد الملك: والله لو أعلم أنّك تُبقي عليّ [إنْ] أنا أبقيتُ عليك وتصلح قريش لأطلقتُـك، ولكن ما اجتمع رجلان في بلدةٍ قطّ على ما نحن عليه إلّا أخرج أحدهما صاحبه[3]. فلمّـا رأى عَمرو أنّـه يريد قتله قال: أَغَدْراً[4] يا ابن الزّرقاء!

وقيل: إنّ عَمراً لما سقطت ثنيّتاه جعل يمسّهمـا، فقال عبـد الملك: يا عَمْـرو أرى ثنيّتَيك قد وقعتا منك موقعاً لا تطيب نفسك بعده[5].

وأذّن المؤذّن العصر، فخرج عبد الملك يصلّي بالنـاس، وأمر أخـاه عبد العـزيز أن يقتله، فقـام إليه عبـد العزيـز بالسيف، فقـال عَمـرو: اذكـرك الله والـرحم أن تليَ قتلي، ليقتلني مَنْ هو أبعد رَحِماً منك. فألقى السيف وجلس، وصلّى عبد الملك صلاة خفيفة، ودخل وغُلّقت الأبواب. ورأى النـاس عبد الملك حين خـرج وليس معه عَمْـرو، فذكـروا ذلك ليحيَى بن سعيد، فأقبل في الناس ومعه ألف عبد لعَمرو، ونـاسٌ من أصحابـه كثير، فجعلوا يصيحون بباب عبد الملك: أَسمعنا صوتك يا أبا أميّة[6]! فأقبل مع يحيَى حُمَيْد بن حُرَيث، وزُهَير بن الأبـرد، فكسروا بـاب المقصورة، وضـربوا النـاسَ بالسيـوف، وضرب الوليد بن عبد الملك على رأسه، واحتمله إبراهيم بن عربيّ صاحب الديوان، فأدخله بيت القراطيس.

ودخل عبد الملك حين صلّى فرأى عَمراً بالحياة، فقـال لعبد العـزيز: مـا منعك أن نقتله؟ فقال: إنّه ناشدني الله والرَّحِم فرققتُ لـه. فقال لـه: أخزى الله أمّـك البوّالـة على

(١) في (ر): أن لا.
(٢) في أنساب الأشراف: «ثنيّته».
(٣) أنساب الأشراف ج ٤ ق ١/٤٤٧، ٤٤٨، البصائر والذخائر ١/٢١.
(٤) في الأوربية: «أعذر».
(٥) في الأوربية: «نفسك لي بعدها».
(٦) أنساب الأشراف ج ٤ ق ١/٤٤٥ رقم ١١٣٥.

عقبَيْها، فإنّك لم تُشبه غيرها! ثمّ أخذ عبد الملك الحربة، فطعن بها عَمراً فلم تجزْ، ثمّ ثنّى فلم تجزْ، فضرب بيده على عضُده، فرأى الدّرع فقال: ودرع أيضاً؟ إن كنت لمُعِدّاً! فأخذ الصمصامة وأمر بعَمرو فصُرع، وجلس على صدره فذبحه وهو يقول:

يـا عَمــرو إن لا تــدَعْ شَتْمي ومنقصتـي   أضـربْـكَ حيثُ تقـولُ الهـامـةُ اسقـوني[1]

وانتفض عبد الملك رِعدة، فحُمل عن صدره فوُضع على سريره، وقال: ما رأيتُ مثل هذا قطّ، قَتَله صاحبُ دنيا ولا طالب آخرة[2].

ودخل يحيَى ومَن معه على بني مروان يُخْرجهم ومَن كان من مواليهم، فقاتلوا يحيَى وأصحابه، وجاء عبدُ الرحمن بن أمّ الحكم الثقفيُّ، فدفع إليه الرأس، فألقاه إلى الناس، وقام عبد العزيز بن مروان وأخذ المال في البِدَر، فجعل يُلقيها إلى الناس، فلمّا رأى الناسُ الرأسَ والأموال (انتهبوا الأموالَ وتفرّقوا)[3]، ثمّ أمر عبد الملك بتلك الأموال فجُبيت[4] حتّى عادت إلى بيت المال.

وقيل: إنّ عبد الملك إنّما أمر بقتل عَمْرو حين خرج إلى الصلاة غلامَه أبا الزُّعَيْزِعَة[5]، فقتله وألقى رأسه إلى الناس، ورُميَ يحيَى بصخرة في رأسه، وأخرج عبدُ الملك سريره إلى المسجد، وخرج وجلس عليه، وفقد الوليد ابنه فقال: والله لئن[6] كانوا قتلوه لقد أدركوا ثأرهم. فأتاه إبراهيم بن عربي الكنانيّ، فقال: الوليدُ عندي، وقد جُرح وليس عليه بأس.

وأُتي عبد الملك بيحيَى بن سعيد، وأمر به أن يُقتَل، فقام إليه عبد العزيز بن مروان فقال: جُعلتُ فداك يا أمير المؤمنين! أتراك قاتلاً بني أميّة في يوم واحد! فأمر بيحيَى فحُبس. وأراد قتل عنبسة بن سعيد، فشفع فيه عبد العزيز أيضاً، وأراد قتل عامر بن الأسود الكلبيّ، فشفع فيه عبد العزيز، وأمر ببني عَمْرو بن سعيد فحُبسوا، ثمّ أخرجهم مع عمّهم يحيَى فألحقهم بمُصْعب بن الزّبير[7].

---

(١) القول لذي الإصبع، في المفضّليّات ٣١، وتاريخ الطبري ١٤٥/٦، ونهاية الأرب ١٠٤/٢١.
(٢) الطبري ١٤١/٦ ـ ١٤٥.
(٣) في الأوربية: «تفرّقوا وانتهبوا».
(٤) في الأوربية: «فجئت».
(٥) في طبعة صادر ٣٠١/٤ «ابن الزعيريّة»، والتصحيح من: تاريخ الطبري ١٤٥/٦، وأنساب الأشراف ج ٤ ق ٤٤٥/١ رقم ١١٣٥.
(٦) في الأوربية: «وإن».
(٧) الطبري ١٤٦/٦.

ثمّ بعث عبد الملك إلى امرأة عَمْرو الكلبيّة: ابعثي إليّ كتاب الصلح الذي كتبتُه لعَمرو. فقالت لرسوله: ارجع فأعْلمه أنّ ذلك الصلح معه في أكفانه ليخاصمك عند ربّه. وكان عبد الملك وعَمرو يلتقيان في النَّسَب في أميّة، هذا عبد الملك بن مروان بن الحَكَم بن أبي العاص بن أميّة، وذاك عَمْرو بن سعيد بن العاص بن أميّة، وكانت أمّ عَمْرو أمّ البنين بنت الحكَم عمّة عبد الملك.

فلمّا قتل عبدُ الملك مُصْعباً، واجتمع الناس عليه، دخل أولاد عَمْرو على عبد الملك، وهم أربعة: أميّة، وسعيد، وإسماعيل، ومحمّد، فلمّا نظر إليهم قال لهم: إنّكم أهل بيت لم تزالوا ترون لكم على جميع قومكم فضلاً لم يجعله الله لكم، وإنّ الذي كان بيني وبين أبيكم لم يكن حديثاً، ولكن كان قديماً في أنفس أوَّليكم على أوَّلينا[1] في الجاهليّة، فأقطع بأميّة، وكان أكبرهم، فلم يقدر أن يتكلّم.

فقام سعيد بن عَمْرو وكان الأوسط، فقال: يا أمير المؤمنين ما تَنْعَى[2] علينا أمراً كان في الجاهليّة، وقد جاء الله بالإسلام فهدم ذلك ووعد جنّةً وحذّر ناراً، وأمّا الذي كان بينك وبين عَمرو، فإنّه كان ابن عمّك، وأنتَ أعلم بما[3] صنعتَ، وقد وصل عَمرو إلى الله، وكفى بالله حسيباً، ولَعَمْري لئن أخذتنا بما[3] كان بينك وبينه لبطنُ الأرض خيرٌ لنا من ظهرها[4]. فرقّ لهم عبد الملك وقال: إنّ أباكم خيّرني بين أن يقتلني أو أقتله، فاخترتُ قتله على قتلي، وأمّا أنتم فما أرغبني فيكم وأوصلني لقرابتكم! وأحسن جائزتهم ووصلهم وقرّبهم[5].

وقيل: إنّ خالد بن يزيد قال لعبد الملك ذات يوم: عجبتُ كيف أصبتَ غِرّة عَمرو. فقال عبد الملك:

أدنيتُه منّي ليَسكن رُوعُهُ[6] ... فأصُولَ صَوْلَةَ حازمٍ مُسْتَمْكِنِ[7]
غضَباً ومَحمِيَةً لِديني إنّهُ ... ليس المُسيءُ سبيلُه كالمُحسنِ[8]

(١) في الأوربية: «أوليائكم على أوليائنا».
(٢) في الأوربية: «تبغي».
(٣) في الأوربية: «ما».
(٤) في الأوربية: «ظهره».
(٥) الطبري ١٤٧/٦، ١٤٨.
(٦) في تاريخ خليفة: «لآمَن مكره»، وفي أنساب الأشراف: «ليسكن نفْرُه».
(٧) في الأوربية:
آذيتُه مني ليسكن رُوعه ... وأصول صولة حازمٍ متمكّن
(٨) الطبري ١٤٨/٦، تاريخ خليفة ٢٦٦ (في حوادث سنة ٧٠ هـ.)، أنساب الأشراف ج ٤ ق ١/٤٤٧ و ٤٥١.

وقيل: إنّما خَلْعُ عَمْرٍو وقتْلُه حين سار عبد الملك نحو العراق لقتال مُصْعب، فقال له عَمْرو: إنّك تخرج إلى العراق، وقد كان أبوك جعل لي هذا الأمر بعده، وعلى ذلك قاتلتُ معه، فاجعلْ هذا الأمر لي بعدك، فلم يُجِبْه عبد الملك إلى ذلك، فرجع إلى دمشق، وكان من قتْله ما تقدّم.

وقيل: بل كان عبد الملك قد استخلف عَمراً على دمشق، فخالفه وتحصّن بها، والله أعلم.

ولما سمع عبد الله بن الزّبير بقتل عَمْرو قال: إنّ ابن الزّرقاء قتل لطيم الشيطان، ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[1]، وبلغ ذلك ابن الحنفيّة فقال: ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلى نَفْسِهِ﴾[2]، يُرفع له يوم القيامة لواءٌ على قدر غدرته.

ذكر عصيان الجراجمة بالشام

لما امتنع عَمْرو بن سعيد على عبد الملك خرج أيضاً قائدٌ من قوّاد الضواحي في جبل اللُّكّام، واتّبعه خلقٌ كثير من الجراجمة والأنباط وأبّاق عبيد المسلمين وغيرهم، ثمّ سار إلى لبنان[3]، فلمّا فرغ عبد الملك من عَمْرو أرسل إلى هذا الخارج عليه، فبذل له كلّ جُمْعَة ألفَ دينار، فركن إلى ذلك ولم يُفسد في البلاد، ثمّ وضع عليه عبدُ الملك سُحَيْمَ بن المهاجر، فتلطّف حتّى وصل إليه متنكّراً، فأظهر له ممالأته، وذمّ عبد الملك وشتمه، ووعده أن يدلّه على عوراته وما هو خير له من الصُّلح. فوثق به. ثمّ إنّ سُحَيْماً عطف عليه وعلى أصحابه وهم غارّون غافلون بجيش مع موالي عبد الملك وبني أميّة وجُنْدٍ من ثقات جُنده وشجعانهم كان أعدّهم بمكان خفيّ قريب، وأمر فنودي: مَنْ أتانا من العبيد، يعني الذين كانوا معه، فهو حرٌّ ويُثبَّت في الديوان، فانفضّ إليه خلقٌ كثير منهم، فكانوا ممّن قاتل معه، فقتل الخارج ومَن أعانه من الروم، وقُتل نفرٌ من الجراجمة والأنباط، ونادى المنادي بالأمان فيمن لقي منهم، فتفرّقوا في قُراهم وسدّ الخلل، وعاد إلى عبد الملك ووفى للعبيد[4].

---

(١) سورة الأنعام، الآية ١٢٩.

(٢) سورة الفتح، الآية ١٠.

(٣) في الأوربية: «البنان».

(٤) انظر خبر عصيان الجراجمة في: فتوح البلدان للبلاذري ١/١٩٠، وأنساب الأشراف، له ٥/٣٠٠، وبغية الطلب لابن العديم (المخطوط) ٢١٣/٧ و ٢١٩، ٢٢٠، وتاريخ دمشق لابن عساكر (مخطوطة التيمورية) ١٥/١٢٠ - ١٢٢ و١٢/٥٩٥، وتهذيب تاريخ دمشق ٦/٦٥، ٦٦، ونهاية الأرب للنويري ٢١/١٠٨، ١٠٩، وخطط الشام لمحمد كرد علي ١/١٤٩، ١٥٠، وتاريخ الأمة العربية للدكتور محمد أسعد طلس =

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة قُتل زُهير بن قيس[1] أمير إفريقية، وقد ذكرنا ذلك سنة اثنتين وستّين.

وفيها حكّم رجل من الخوارج بِمنًى وسلّ سيفه، وكانوا جماعة، فأمسك الله أيديهم، فقُتل ذلك الرجل عند الجمرة[2].

وحجّ بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزّبير[3]، وكان على البصرة والكوفة له أخوه مُصْعب، وعلى قضاء الكوفة شُرَيْح، وعلى قضاء البصرة هشام بن هُبَيرة، وعلى خُراسان عبد الله بن خازم[4].

[الوَفَيَات]

وفيها توفّي أبو الأسود الدُّؤَلي[5]، وله خمسٌ وثمانون سنة.

= ١٠٣، ١٠٤، والحدود الإسلامية البيزنطية لفتحي عثمان ١/٣٦٢، وكتابنا: تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور (الطبعة الثانية) ١/١٢٩ ـ ١٣٤، وكتابنا: لبنان من الفتح الإسلامي حتى سقوط الدولة الأموية ١٠٨ ـ ١١٥.

(١) انظر عن (زهير بن قيس) في: تاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨٠ هـ.) ـ ص ٤٠٤ رقم ١٧٠ وفيه مصادر ترجمته.

(٢) الطبري ٦/١٤٨، ١٤٩، نهاية الأرب ٢١/٧٧.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٦٨، المعرفة والتاريخ ٣/٣٣١، ٣٣٢، المحبّر ٢٢، تاريخ الطبري ٦/١٤٩، مروج الذهب ٣/٣٩٨، تاريخ العظيمي ١٨٩، نهاية الأرب ٢١/٧٧، البداية والنهاية ٨/٣١٢، شفاء الغرام ٢/٣٤٠، تاريخ دمشق ٤٥٤ و ٤٥٥، مآثر الإنافة ١/١٢٣.

(٤) الطبري ٦/١٤٩.

(٥) انظر عن (أبي الأسود الدؤلي) في: تاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨٠ هـ.) ص ٢٧٦ رقم ١٢٤ وفيه مصادر ترجمته.

٧٠

ثم دخلت سنة سبعين

في هـذه السنة اجتمعت الـروم واستجاشـوا على مَنْ بالشـام، فصالـح عبـد الملك ملكهم على أن يؤدّي إليه كلّ جمعة ألف دينار خوفاً منه على المسلمين[١].

وفيها شخص مصعبٌ إلى مكّة، في قول بعضهم، ومعه أموال كثيرة ودوابّ كثيـرة، قسمها[٢] في قومه وغيرهم، ونهض ونحر بُدناً كثيرة[٣].

وحجّ بالناس هذه السنة عبد الله بن الزبير[٤]، وكان عُمّاله فيها مَنْ تقدّم ذكرهم[٥].

ذكر يوم الجُفْرة

وفي هـذه السنـة سـار عبـد الملك بن مـروان يـريـد مُصْعَبـاً، فقـال لـه خـالـد بن عبد الله بن خالد بن أَسِيد: إن وجّهتَني إلى البصرة وأتبعتني خيلاً يسيـرة رجوتُ أن أغلب لـك عليها. فـوجّهه عبـد الملك، فقدِمَهـا مستخفياً في خـاصّته حتّى نـزل على عَمْرو بن أصمع[٦]، وقيل: نزل على عليّ بن أَصمع الباهليّ، فأرسل عَمرو إلى عَبّـاد بن الحُصَين، وهو على شُرطة ابن مَعْمَر، وكان مُصْعب قد استخلفه على البصرة، ورجـا ابن أصمع أن

(١) الطبري ٦/١٥٠، وانظر المصادر الأخرى التي حشدناها تحت خبر عصيان الجراجمة بالشام، الـذي تقدّم قبل قليل. مع تاريخ العظيمي ١٨٩، والمنتخب من تـاريخ المنبجي (بتحقيقنـا) ص ٧٨، ونهايـة الأرب ٢١/١٠٩، وتـاريخ الإسـلام (٦١ ـ ٨٠ هـ.) ـ ص ٦٩، والبداية والنهاية ٨/٣١٣، وأنسـاب الأشـراف ٥/٣٣٥.

(٢) في الأوربية: «قسم».

(٣) الطبري ٦/١٥٠، البداية والنهاية ٨/٣١٣.

(٤) تاريخ خليفة ٢٦٦، المعرفة والتاريخ ٣/٣٣٢، المحبّر ٢٢، تـاريخ اليعقـوبي ٢/٢٦٨، تاريخ الطبـري ٦/١٥٠، مروج الذهب ٣/٣٩٨، تاريخ العظيمي ١٨٩، نهايـة الأرب ٢١/٧٩، شفاء الغـرام ٢/٣٤٠، تاريخ دمشق ٤٥٤ و ٤٥٥.

(٥) الطبري ٦/١٥٠.

(٦) الطبري ٦/١٥٢.

يبايعه عبّاد بن الحُصَين وقال له: إنّي قد أجرْتُ خالداً، وأحببتُ أن تعلم ذلك لتكون ظهراً لي. فوافاه الرسول حين نزل عن فرسه، فقال عبّاد: قلْ له والله لا أضع لَبِد فرسي حتّى أتيك في الخيل. فقال ابن أصمع لخالد: إنّ عبّاداً يأتينا الساعة، ولا أقدر [أن] أمنعك عنه، فعليك بمالك بن مِسمَع[1].

فخرج خالد يركض، وقد أخرج رِجْلَيه من الركابَين حتّى أتَى مالكاً فقال: أجِرْني، فأجاره، وأرسل إلى بكر بن وائل والأزد، فكان أوّل راية أتته راية بني يَشْكر، وأقبل عبّاد في الخيل، فتواقفوا ولم يكن بينهم قتال.

فلمّا كان الغد عدوا[2] إلى جُفْرة نافع بن الحارث، ومع خالد رجال من تميم، منهم: صَعْصَعة بن معاوية، وعبد العزيز بن بِشر، ومُرّة بن مِحْكان، وغيرهم، وكان أصحاب خالد جُفريّة ينتسبون إلى الجُفرة، وأصحاب ابن مَعْمَر زُبيريّة، وكان من أصحاب خالد: عُبيد الله بن أبي بكرة، وحُمْران بن أبان، والمُغيرة بن المهلّب، ومن الزُّبيريّة: قيس بن الهَيْثم السُّلَميُّ[3].

ووجّه مُصعَبٌ زَحْرَ بن قيس الجُعْفيَّ مَدَداً لابن مَعمر في ألف، ووجّه عبدُ الملك عُبيدَ الله بن زياد بن ظَبْيان مَدَداً لخالد. فأرسل عُبيدُ الله إلى البصرة من يأتيه بالخبر، فعاد إليه فأخبره بتفرّق القوم، فرجع إلى عبد الملك. فاقتتلوا أربعة وعشرين يوماً، وأُصيبت عين مالك بن مِسْمع، وضجر من الحرب، ومشتْ بينهم السفراء، فاصطلحوا على أن يخرج خالد من البصرة، فأخرجه مالك[4]. ثمّ لحق مالك بثأج[5].

وكان عبد الملك قد رجع إلى دمشق، فلم يكن لمُصْعب هِمّة إلّا البصرة، وطمع أن يدرك بها خالداً، فوجده قد خرج، وسخط مُصْعبٌ على ابنَ مَعْمَر، وأحضر أصحاب خالد فشتمهم وسبّهم[6]، فقال لعُبيد الله بن أبي بكرة: يا ابنَ مسروح، إنّما أنت ابن كلبة تَعاورها الكلابُ، فجاءت بأحمر وأصفر وأسود من كلّ كلب بما يشبهه، وإنّما كان أبوك عبداً نزل إلى رسول الله ﷺ، من حصن الطائف، ثمّ ادّعيتم أنّ أبا سفيان زنَى بأمّكم، ووالله لئن بقيتُ لأُلحِقنّكم بنسبكم. ثمّ دعا حُمْرانَ فقال له: إنّما أنت ابنُ يهوديّة عِلج نَبَطيّ سُبيتَ من عين التَّمْر. وقال للحكَم بن المنذر بن الجارود، ولعبد الله بن فَضالة

---

(١) الطبري ٦/١٥٢.

(٢) في الطبري ٦/١٥٢، ونهاية الأرب ٢١/٧٨ «غدوا»، وفي أنساب الأشراف ج ٤ ق ١/٤٦٨ «بدروا».

(٣) الطبري ٦/١٥٢، ١٥٣، أنساب الأشراف ج ٤ ق ١/٤٦٧، ٤٦٨ رقم ١١٩١.

(٤) الطبري ٦/١٥٣، نهاية الأرب ٢١/٧٨، أنساب الأشراف ج ٤ ق ١/٤٦٨، ٤٦٩ رقم ١١٩٢.

(٥) في الأوربية: «بالنباج».

(٦) أنساب الأشراف: «أنبهم».

الـزُّهْرانيِّ، ولعليّ بن أصمـع، ولعبد العـزيـز بن بِشـر، وغيـرهم نحـو هـذا من التـوبيـخ والتقريع، وضـربهم مائـةً مائـة، وحلق رؤوسهم ولحاهم، وهـدم دُورهم وصحّرهم[1] في الشمس ثلاثاً، وحملهم على طـلاق نسائهم، وجمّـر[2] أولادهم في البعوث، وطـاف بهم في أقطار البصرة، وأحلفهم أن لا ينكحوا الحرائـر[3]، وهدم دار مـالك بن مِسمع وأخذ مـا فيها، فكان ممّا أخذ جارية ولدت له عَمْرو بن مُصْعب.

وأقام مُصْعب بالبصرة، ثمّ شخص إلى الكوفة، فلم يزل بها حتّى خرج إلى حـرب عبد الملك بن مروان[4].

المُغيـرة: بضم الميم، وبالغين، والـراء. خالـد بن أَسِيـد: بفتـح الهمـزة، وكسـر السين. والجُفْرة: بضمّ الجيم، وسكون الراء.

[وفاة عاصم بن عمر]

وفي هذه السنة مات عاصم بن عمـر بن الخطّاب[5]، وهـو جدّ عمـر بن عبد العـزيز لأمّه، ووُلد قبل موت النبيّ ﷺ، بسنتين.

ذكر مقتل عُمَير بن الحُباب بن جَعْدة السُّلَميّ

في هذه السنة قُتل عُمَير بن الحُباب بن جَعْدة السُّلَميُّ، ونحن نـذكر سبب الحـرب بين قيس وتَغْلب حتّى آل الأمرُ إلى قتل عُمير.

وكان سبب ذلك أنّه لما انقضى أمرُ مرجِ راهط وسـار زُفَر بن الحـارث الكلائيُّ إلى قَرْقِيسيا، على ما ذكرنـاه، وبايـع عُميرٌ مـروانَ بنَ الحكم، وفي نفسه مـا فيها بسبب قتـل قيس بالمرج، فلمّا سيّر مروان بن الحكَم عُبيدَ الله بن زياد إلى الجزيرة والعراق كان عميرٌ معه، فلقوا سليمان بن صُرَد بعين الوردة، وسار عُبيدُ الله إلى قَرْقِيسيا لقتال زُفـر، فثبَّطه[6] عُميرٌ، وأشار عليه بالمسير إلى الموصل قبل وصول جيش المختار إليها، وسار إليها ولقي إبراهيمَ بن الأشتر بالخازر، فمال عُميرٌ معه، فانهزم جيش عُبيد الله وقُتل هو، فـأتَى عُميرٌ قرقيسيا، وصار مع زُفَر، فجعلا يطلبان كلباً واليمانيّة بمن قتلوا من قيس، وكان معهما قوم من تغلب يقاتلون معهما ويدلّونهما.

---

(١) في (ر): «وصهرهم» وكذا في: تاريخ الطبري ١٥٥/٦، وأنساب الأشراف، ونقائض جرير والفرزدق.

(٢) في الأوربية: «وجمن».

(٣) الطبري ١٥٤/٦، ١٥٥.

(٤) النقـائض ٧٤٩ و ١٠٨٩، أنسـاب الأشـراف ج ٤ ق ٤٦٢/١ ـ ٤٦٤ رقم ١١٨٤، وص ٤٦٧، ٤٦٨، الطبري ١٥٦/٦، نهاية الأرب ٧٨/٢١، ٧٩.

(٥) انظر عن (عاصم بن عمر) في: تاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨٠ هـ.) ص ١٣٧ رقم ٤٥ وفيه مصادر ترجمته.

(٦) في الأوربية: «فثبّط».

وشُغل عبد الملك عنهما بمُصْعب، وتغلّب عُمَير على نَصِيبين. ثمّ إنّه ملّ المقام بقرقيسيا، فاستأمن إلى عبد الملك فآمنه، ثمّ غدر به فحبسه عند مولاه الرَّيّان، فسقاه عُمير ومَن معه من الحرس خمراً حتّى أسكرهم، وتسلّق في سُلّم من حبال، وخرج من الحبس، وعاد إلى الجزيرة، ونزل على نهر البَليخ بين حَرّان والرَّقّة، فاجتمعت إليه قيسٌ، فكان يغير بهم على كلب واليمانيّة، وكان مَنْ معه يستأوون جواري[1] تغلب ويسخرون مشايخهم من النصارى، فهاج ذلك بينهم شرّاً لم يبلغ الحرب، وذلك قبل مسير عبد الملك إلى مُصْعب وزُفَر.

ثمّ إنّ عُمَيراً أغار على كلب، ثمّ رجع فنزل على الخابور، وكانت منازل تغلب بين الخابور والفرات ودجلة. وكانت بحيث نزل عُمير امرأة من تميم ناكح في تغلب يقال لها أمّ دويل، فأخذ غلام من بني الحَرِيش أصحاب عُمَير عدداً[2] من غنمها، فشكتْ إلى عُمَير، فلم يمنع عنها، فأخذوا الباقي، فمانعهم قوم من تغلب، فقُتل رجل منهم يقال له مجاشع التغلبيّ، وجاء دويل فشكت أمّه إليه، وكان فارساً من فرسان تغلب، فسار في قومه وجعل يذكرهم ما تصنع بهم قيس، ويشكو إليهم ما أُخذ من غنم أمّه، فاجتمع منهم جماعة، وأمّروا عليهم شُعَيْث[3] بن مُلَيك التغلبيَّ، وأغاروا على بني الحَرِيش ومعهم قوم من نُمَير، فقتل فيهم التغلبيّون، واستاقوا ذَوداً لامرأة منهم يقال لها أمّ الهَيْثم، فمانعهم القيسيّون فلم يقدروا على منعهم، فقال الأخطل:

فإنْ تَسألونا بالحَريش فإنّنا مُنينا[4] بِنُوكٍ منهُمُ وفُجُورِ
غداةَ تحامتْنا الحَريشُ كأنّها كلابٌ بدتْ أنيابها لهريرِ
وجاؤوا بجمعٍ ناصري أمّ هيثمٍ فما رجعوا من ذَوْدِها ببَعيرِ[5]

يوم ماكسين

ولما استحكم الشرّ بين قيس وتغلب، وعلى قيس عُمَير، وعلى تغلب شُعَيْث[6]، غزا عُمير بني تغلب وجماعتهم بماكِسين من الخابور، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وهي أوّل

(١) في الأوربية: «جوار».
(٢) في الأوربية: «عيراً».
(٣) في (ب) «شعيب».
(٤) في أنساب الأشراف: «بُلينا».
(٥) الخبر والشعر في: أنساب الأشراف ٥/٣١٣ - ٣١٥، والخبر فقط في: نهاية الأرب ٢١/١١١.
(٦) في (ب): «شعيب».

وقعة لهم، فقُتل من بني تغلِب خمسمائة، وقَتل شُعيث، وكانت رِجْله قُطعتْ، فقاتل حتّى قُتل وهو يقول:

قد علمتْ قيسٌ ونحنُ نَعلَمْ ... أنّ الفتى يُقتلُ وهوَ أجذَمْ[1]

يوم الثَّرْثار الأوّل

والثرثار نهر أصلِ منبعه شرقيّ مدينة سنجار، وبالقرب من قرية يقال لها سُرَّق، ويفرغ في دجلة بين الكُحَيْل ورأس الأَيْل من عمل الفَرج.

لما قُتل بماكسين مَنْ ذكرنا استمدّت تغلب وحشدت، واجتمعت إليها النّمِر بن قاسط، وأتاها المشجّر بن الحارث الشيبانيُّ، وكان من ساداتهم بالجزيرة، وأتاها عُبيد الله بن زياد بن ظَبْيان مُنْجِداً لهم على قيس، فلذلك حقد عليه مُصْعب بن الزُّبير حتّى قتل أخاه النّابيء بن زياد، واستنجد عميرٌ تميماً وأسداً، فلم يُنجده منهم أحد. فالتقوا على الثَّرثار، وقد جعلت تغلِب عليها بعد شُعَيث زياد بن هوبر، ويقال: يزيد بن هوبر التغلبيّ، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزمت قيسٌ، وقَتَلتْ تغلبُ ومَن معها منهم مقتلةً عظيمةً، وبقروا بطون ثلاثين امرأة من بني سُلَيم، وقالت ليلى بنت الحارس التغلبيّة، وقيل هي للأخطل:

لمّا رأوْنا والصّليبَ طالعَا ... ومارَسرْجيسَ وسُمّاً ناقعَا[2]

والخَيلَ لا تحملُ إلّا دارِعَا ... والبِيضَ في أيمانِنا قَواطِعَا

خلَّوا لنا الثرثارَ والمزارِعَا ... وحِنطَة[3] طَيْساً وكرْماً يانِعَا[4]

يوم الثرثار الثاني

ثمّ إنّ قيساً تجمّعت واستمدّت واستعدّت وعليها عُمَير بن الحُباب، وأتاهم زُفَر بن الحارث من قَرْقِيسيا، وكان رئيس بني تغلب، والنّمِر ومعهما[5] ابن هوبر، فالتقوا بالثرثار،

---

(١) الخبر والشعر في أنساب الأشراف ٣١٦/٥، ٣١٧، نهاية الأرب ١١١/٢١، ١١٢.

(٢) في الأوربية:

ومارس جيش وسمّاً نقعا

(٣) في الأوربية: «وحنظة».

(٤) الخبر والشعر في: أنساب الأشراف ٣١٨/٥، ٣١٩ وفيه زيادة شطر:

«كأنّما كانوا غراباً واقعا»

والخبر في: نهاية الأرب ١١٢/٢١.

(٥) في الأوربية: «والنمر ومن معهما».

واقتتلوا أشدّ قتال اقتتله الناس، وانهزمت بنو عامر، وكانت على مجَنَّبة قيس، وصبرتْ سُلَيم وأعصرتْ حتّى انهزمت تغلب ومَنْ معها، وقُتل ابنا عبد يشوع[1] وغيرهما من أشراف تغلب، فقال عُمَير بن الحُباب:

فِداً لفَوارِسِ الثّرثارِ نَفسي وما جمّعتُ مِنْ أهلٍ ومالِ
وولّتْ عامرٌ عنّا فأجلَتْ وحَولي من رَبيعةَ كالجِبالِ
أكاوِحُهُمْ بدُهْمٍ منْ سُلَيْمٍ وأعْصِرُ كالمصاعيبِ النّهالِ

وقال زُفَر بن الحارث:

ألا مَنْ مُبلغٌ عنّي عُمَيراً رسالَةَ ناصحٍ وعلَيهِ زارِي[2]
أنَتْرِكُ[3] حيّ ذي يَمَنٍ وكلْباً ونجعلُ جدّنا بكْ[4] في نِزارِ
كمُعتمِدٍ على إحدَى يَدَيْهِ فخانَتْهُ بوَهْنٍ وانكِسارِ[5]

يوم الفُدَيْن

وأغار عُمَير بن الحُباب على الفُدَين، وهي قرية على الخابور، وقتل مَنْ بها من بني تغلب، فهزمهم، فقال نُفَيْع بن صفّار المُحاربيُّ:

لو تُسألِ الأرضُ الفضاءُ عليكمُ[6] شهدَ الفُدَيْنُ بهُلْكِكُمْ والصُّوَرُ[7]

والصُّور: قرية من الفُدَين.

يوم السُّكَيْر

وهو على الخابور، يسمّى سُكَير العبّاس.

ثمّ اجتمعوا والتقوا بالسُّكَير، وعلى قيس عُمَير بن الحُباب، وعلى تغلِب والنّمِر يزيد بن هَوْبر، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزمت تغلِب والنّمِر، وهرب عُمَير بن جَنْدَل، وهو من فُرسان تغلِب، فقال عُمير بن الحُباب:

---

(١) في أنساب الأشراف «يسوع» بالسين المهملة.
(٢) في الأنساب «زار».
(٣) في الأصول: «أترك». وفي الأنساب: «أنترك».
(٤) في الأنساب: «وتجعل حَدّ نابك».
(٥) الخبر والشعر في: أنساب الأشراف ٥/٣٢٠، والخبر في نهاية الأرب ٢١/١١٢.
(٦) في الأنساب: «بأمركم».
(٧) الخبر والشعر في: أنساب الأشراف ٥/٣٢١ وفيه بيت آخر، نهاية الأرب ٢١/١١٢.

وأفْلَتَنَا يومَ السُّكَير ابنُ جَنْدَلٍ   على سابحٍ عُوجٍ[1] اللَّبانِ مُثابِرِ
ونحنُ كررنا الخَيلَ قِدْماً شواذِباً[2]   دِقاقَ الهَوادي داميات الدّوائرِ

وقال ابن صفّار:

صَبَحْناكم بِهِنّ على سُكَيرٍ   ولاقَيتم هناكَ الأقْورِينَا[3]

يوم المعارك

والمعارك بين الحَضْر والعَتيق من أرض الموصل، اجتمعت تغلب بهذا المكان، فالتقوا هم وقيس، فاقتتلوا به فاشتدّ قتالهم، فانهزمت تغلِب، وقال ابن صفّار:

ولقد تركنا بالمعارِكِ منكُمُ   والحَضْرِ والثَرثارِ أجساداً جُثَا

فيقال: إنّ يوم المعارك والحضْر واحد، هزموهم إلى الحضْر، وقتلوا منهم بشراً كثيراً. وقال بعضهم: هما يومان كانا لقيس، والله أعلم[4].

[يوم لِبًّى]

والتقوا أيضاً بلِبًّى[5] فوق تَكْريت من أرض الموصل، فتناصفوا، فقيس تقول: كان لفضل لنا، وتغلب تقول: كان الفضل لنا[6].

يوم الشَّرعبيّة

ثمّ التقوا بالشَّرعبيّة، وعلى قيس عُمَير بن الحُباب، وعلى تغلِب وألفافها ابنُ هَوْبر، فكان بينهم قتال شديد، قُتل يومئذ عمّار بن المهزم السُّلَميُّ، وكان لتغلِب على قيس؛ قال الأخطل:

ولقد بكى الجَحّافُ لما أَوْقَعَتْ   بالشَّرْعبيّة إذ رَأى الأَهْوالا[7]

---

(١) في الأنساب: «غوج» بالغين المعجمة.
(٢) في الأوربية: «شواذيا».
(٣) الخبر والشعر في: أنساب الأشراف ٥/٣٢١، والخبر في نهاية الأرب ٢١/١١٣.
(٤) الخبر والشعر في: أنساب الأشراف ٥/٣٢١، ٣٢٢.
(٥) في (ب): «لبن».
(٦) أنساب الأشراف ٥/٣٢٢، نهاية الأرب ٢١/١١٣.
(٧) في (ر): «الأطفالا».

يعني أوقعت الخيلُ. والشَّرعبيّـة: من بلاد تغلب. والشَّـرعبيّة أيضـاً: ببلاد مَنْبِـج؛ فبعضهم يقول: إنّ هذه الوقعة كانت ببلاد منبج، وذلك خطأ[1].

يوم البَليخ

واجتمعتْ تغلب وسارت إلى البَليخ، وهناك عُمَير في قيس؛ والبَلِيخ نهر بين حَـرّان والـرَّقّة؛ فـالتقوا وانهـزمت تغلب وكثُر القتـلُ فيها، وبُقـرت بطون النسـاء كمـا فعلوا يـوم الثرثار، فقال ابن صفّار:

زُرْقُ الـرِّمـاحِ ووقْـعُ كـلِّ مُهنّـدٍ زَلْـزَلنَ قلبَـكَ بـالبَليـخِ فـزالا[2]

يوم الحَشّاك ومقتل عُمير بن الحُباب السُّلَميِّ وابن هَوْبر التغلبيّ

لما رأت تَغْلِب إلحاحَ عُمَير بن الحُباب عليها جمعت حاضـرتها وبـاديتها، وسـاروا إلى الحَشّـاك، وهو تـلّ[3] قريب من الشَّـرعبيّة، وإلى جنبـه بِراق[4]، ودلف إليـه عُمَير في قيس، ومعـه زُفَر بن الحـارث الكلائيّ، وابنـه الهُذَيْـل بن زُفَر، وعلى تغلِب ابن هَـوْبـر، واقتتلوا عند تلّ الحَشّاك أشدّ قتال وأبْرَحه، حتّى جنّ عليهم الليل، ثمّ تفـرّقوا واقتتلوا من الغد إلى الليل، ثمّ تحاجزوا.

وأصبحت تغلِب في اليوم الثالث، فتعاقدوا أن لا يفرّوا، فلمّا رأى عُمَير حدّهم وأنّ نساءهم معهم قال لقيس: يا قومِ أرى لكم أن تنصـرفوا عن هؤلاء فـإنّهم مستقتلون، فإذا اطمـأنّـوا وصـاروا إلى سَرْحهم وجّهنـا إلى كـلّ قـومٍ منهم مَنْ يُغير عليهم. فقـال لـه عبد العزيز بنِ حاتم بن النّعمـان الباهليُّ: قتلتَ فـرسانَ قيس أمس وأوّل أمـس، ثمّ مَليءَ سَحْرُك وجَبُنْتَ! ويقال: إنّ عُيَيْنة بن أسماء بن خـارجة الفـزاريَّ قال لـه ذلك، وكـان أتاه مُنْجِداً، فغضب عُمَير وقال: كأنّي بك وقد حَمِس الوغى أوّل فارّ! فنزل عُمَير وجعل يقاتل راجلاً وهو يقول:

أنـا عُـمَـيـرٌ وأبـو الـمُـغَـلَّسْ قـد أحبِسُ القـوْمَ بضَنْـكٍ فـاحبِسْ[5]

(١) أنساب الأشراف ٥/٣٢٢، نهاية الأرب ٢١/١١٣.

(٢) الخبر والشعر في: أنساب الأشراف ٢/٣٢٢، ٣٢٣، نهاية الأرب ٢١/١١٤.

(٣) في (ب) و(آ): «نهر»، وهو صـواب، ففي الأنساب: وهـو نهر يـأخذ من الهـرماس وعلى الحشّـاك تِلال وقور، ويقربه الشرعبية.

(٤) ويقال: بُراق..

(٥) في الأنساب: «المَحْبس».

وانهزم زُفَر يومئذٍ، وهو اليوم الثالث، فلحِق بقرقيسيا، وذلك أنّه بلغه أنّ عبد الملك بن مروان قد عزم على الحركة إليه بقرقيسيا، فبادر للتأهّب[1]، وقيل: إنّه ادّعى ذلك حين فرّ اعتذاراً، وانهزمت قيس وركبت تغلب ومَنْ معها أكتافهم وهم يقولون: أما تعلمون أنّ تَغْلِبَ تَغْلِبُ؟

وشدّ على عُمير جُمَيْل بن قيس من بني كعب بن زُهَير فقتله، وقيل: بل تغاوى[2] على عمير غلامان من بني تغلب فرمياه بالحجارة وقد أعيَا فأثخناه، وكرّ عليه ابن هَوْبر فقتله.

وأصابت ابنَ هَوْبر يومئذ جراحةٌ، فلمّا انقضت الحرب أوصى بني تغلب بأن يولّوا أمرهم مُرادَ بن علقمة الزُّهَيريَّ.

وقيل: خرج ابن هوبر في اليوم الثاني من أيّامهم هذه الثلاثة، وأوصى أنْ[3] يولّوا أمرَهم مُراداً[4]، ومات من ليلته، وكان مُراد[4] رئيسهم في اليوم الثالث، فعبّأهم على راياتهم، وأمر كلّ بني أب أن يجعلوا نساءهم خلفهم، فلمّا أبصرهم عُمير قال ما تقدّم ذكره، قال الشاعر:

أرِقْتُ بأثناء الفُراتِ وشَفّني ... نوائحُ أبكاها قَتيلُ ابنِ هوبرِ
ولم تَظلِمي إنْ نُحْتِ أُمَّ مُغَلِّسٍ ... قَتيلَ النّصارَى في نوائحَ حُسَّرِ

وقال بعض الشعراء يُنكر قتلَ ابن هوبر عُمَيراً:

وإنّ عُميراً يومَ لاقَتهُ تغلِبٌ ... قتيلُ جُمَيْل لا قتيلُ ابن هوبرِ

وكثُر القتلُ يومئذٍ في بني سُلَيم وغَنِيّ خاصّةً، وقُتل من قيس أيضاً يومئذٍ بشرٌ كثيرٌ، وبعثت بنو تغلِب رأس عُمير بن الحُباب إلى عبد الملك بن مروان بدمشق، فأعطى الوفدَ وكساهم. فلمّا صالح عبدُ الملك زُفَرَ بن الحارث، واجتمع الناسُ عليه قال الأخطل:

بني أميّةَ قد تناضَلتْ دونَكُمُ ... أبناءُ قَومٍ هُمُ آووا وهمْ نَصرُوا
وقيس عَيْلانَ حتّى أقبَلوا رَقَصاً ... فبايعوا لكَ قَسْراً بعدَما قُهِرُوا

---

(١) الخبر والشعر في: أنساب الأشراف ٥/٣٢٣، ٣٢٤.

(٢) في الأوربية: (تغاوى القومُ على فلان: تعاونوا عليه ليقتلوه)
وفي (آ) و(ب): «تعاون»، وفي أنساب الأشراف «تعاوى» بالعين المهملة.

(٣) في الأوربية: «أنهم».

(٤) في الأنساب «مرّاراً» و«مرّار».

ضَجّوا من الحرْب إذ عُضّت غَـوارِبُهُمْ وقيسُ عَيـلانَ من أخـلاقهـا الضَّجَـرُ[1]

في أبياتٍ كثيرة[2].

فلمّا قُتل عُمير بن الحُباب وقف رجل على أسماء بن خارجة الفزاريّ بالكوفة فقال: قتلتْ بنو تغلب عُمير بن الحُباب. فقال: لا بأس، إنّما قُتـل الرجـل في ديار القـوم مقبلاً غير مُدْبر؛ ثمّ قال:

يـدي[3] رَهْـنٌ عـلى[4] سُـلَيـم بـغـارَةٍ تَـشيـبُ لهـا أصـداغُ بكـرِ بـنِ وائـلِ
وتـتـرُكُ أوْلادَ الـفَـدَوْكَسِ عـالَـةً يَـتـامَى أيـامَـى نُهـزَةً[5] لـلقَـبـائِـلِ[6]

يوم الكُحَيْل

وهو من أرض الموصل في جانب دجلة الغربيّ.

وسببه أنّه لما قُتل عُمَيـر بن الحُباب السُّلَميُّ أتَى تَميمُ بن عُميـر زُفرَ بن الحـارث، فسأله أن يطلب له بثأره، فامتنع، فقال الهُـذَيل بن زُفَـر لأبيه: والله لئن ظفـرتْ بهم تغلب إنّ ذلك لعارٌ عليك، ولئن ظفروا بتغلب وقد خذلْتَهم إنّ ذلك لأشدّ. فـاستخلف زُفَرُ على قرقيسيا أخاه أوْسَ بن الحارث، وعزم على أن يغير على بني تغلب ويغزوهم، فوجّـه خيلاً إلى بني فَـدَوْكَس بطن من تغلب، فقتِـل رجالهم، واستبيحت أمـوالهم ونسـاؤهم حتّى لم يبقَ غير امرأة واحدة استجارت، فأجارها يزيد بن حُمْران.

ووجّـه زُفَرُ بن الحـارث ابنَه الهُـذَيل في جيش إلى بني كعب بن زُهَيـر، فقتل فيهم قتلاً ذريعاً، وبعث زُفَرُ أيضاً مُسْلمَ بن ربيعة العُقَيْليَّ إلى قوم تغلب مجتمعين، فأكثر فيهم القتلَ. ثمّ قصد زفرُ لبني تغلب وقد اجتمعوا بالعَقيق من أرض الموصل، فلمّـا أحسّت به ارتحلت تريد عبورَ دجلةَ، فلمّا صـارت بالكُحَيْـل لحِقهم زُفَرُ في القيسيّـة، فاقتتلوا قتـالاً شديداً، وترجّل أصحابُ زُفر أجمعون، وبقي زُفَر على بغل له، فقتلوهم ليلتهم، وبقـروا بطون نساء منهم، وغرق في دجلة أكثر مِمّن قُتل بالسّيف، فأتَى فلُّهم لِبّى، فوجّه زفرُ ابنَه الهُذَيل، فأوقع بهم إلاّ مَنْ عبر فنجا، وأسر زُفَر منهم مائتَين فقتلهم صبراً، فقال زُفَر:

---

(١) في الأوربية: «ضجروا».
(٢) انظر بقيّة الأبيات في: أنساب الأشراف ٥/٣٢٥، ٣٢٦.
(٣) في الأصول: «يدي لك»، وكذا في: أنساب الأشراف ٥/٣٢٧.
(٤) في أنساب الأشراف «عن».
(٥) في الأوربية: «نهرة».
(٦) الخبر والشعر في: أنساب الأشراف ٥/٣٢٦، ٣٢٧، والخبر في نهاية الأرب ٢١/١١٤ ـ ١١٦.

ألا يـا عَيـنِ بَكّي[1] بـانسكـابِ   وبَكّي عـاصِمـاً وابنَ الحُبـابِ
فـإنْ تـكُ تـغـلبٌ قـتلتْ عُـميـراً   ورَهـطاً من غَـنـيٍّ في الـحِـرابِ
فـقـد أفنى بـني جُشَم بـنِ بَكْـرٍ   ونَـمْـرَهُـمُ فـوارِسُ مـن كِـلابِ
قـتَلنـا منـهُـمُ مـائتَـيـنِ صَـبـراً   ومـا عـدلـوا عُميـرَ بن الحُبـابِ[2]

وقال ابن صفّار المحاربيُّ:

ألم تَـرَ حَـرْبَنـا تـركَتْ حُبَيْبـاً   مُحـالِفُهـا[3] المَـذَلّـةُ والصَّغـارُ
وقـد كـانـوا أُولي عـزٍّ فـأَضْحَـوْا   ولَـيسَ لهـمْ من الـذّلّ انـتـصـارُ

وأُسر القطاميّ التغلبيّ في يوم من أيّامهم وأُخذ مالـه، فقام زُفَـر بأمـره حتّى ردّ عليه ماله ووصله، فقال فيه:

إنّـي وإنْ كـانَ قَـوْمي لـيسَ بـيـنَـهُـمُ   وبَـيـنَ قـومِـكَ إلّا ضَـرْبـةُ الـهـادي
مُـثْنٍ[4] عَـلَيـكَ بمـا أوْلَـيتَ مـن حَـسَـنٍ   وقـد تَعـرّض [لي] من مَقتـلٍ بـادي[5]

(حُبَيْب الذي في الشعر هو بضمّ الحاء المهملة، وفتح الباء الموحّدة، وهو في نسب بني تغلب)[6].

يوم البِشْر

لمـا استقرّ الأمـر لعبد الملك واجتمـع المسلمون عليـه قدِم عليـه الأخطل الشاعـر التغلبيُّ، وعنـده الجَحّـاف بن حُكَيْم السُّلَمي[7]، فقـال لـه عبـد الملك: أتعـرف هـذا يـا أخطل؟ قال: نعم، هذا الذي أقول فيه:

ألا سـائـلِ الجَحّـافَ هـل هـوَ ثـائـرٌ   بـقـتلى أُصيبَتْ مـن سُلَيـمٍ وعـامـرِ

---

(١) في أنساب الأشراف: «جودي».
(٢) أنساب الأشراف ٥/٣٢٧، وفيه زيادة بيت:
فـقـتـلانـا نَـعُـدُّهـمُ كِـرامـاً   وقـتـلاهـم تُـعَـدّ مـع الـكـلابِ
(٣) في الأوربية: «مخالفها».
(٤) في الأوربية: «متن».
(٥) أنساب الأشراف ٥/٣٢٨ وفيه: «وقد تعرّض منّي مقتل بادي»، نهاية الأرب ٢١/١١٦، ١١٧.
(٦) ما بين القوسين من (ب).
(٧) في الأوربية: «السليمي».

وأنشد القصيدة حتّى فرغ منها[1]، وكان الجَحّاف يأكل رُطَباً، فجعل[2] النَّوى يتساقط من يده غيظاً، (وأجابه وقال:

بلَى سوْفَ نبكيهم بكُلّ مُهنّدٍ ونَنعى عُمَيراً بالرِّماحِ الشّواجرِ)[3]

ثمّ قال: يا ابنَ النصرانيّة، ما كنتُ أظنّ أن تجترىء عليّ بمثل هذا! فأُرْعِدَ الأخطلُ من خوفه، ثمّ قام إلى عبدِ الملك وأمسك ذيله وقال: هذا مقام العائذ بك. فقال: أنا لك مُجير[4]. ثمّ قام الجَحّافُ ومشى وهو يجرّ ثوبَه ولا يعقل به، فتلطّف لبعض كتّاب الدّيوان حتّى اختلق له عهداً على صدقات تغلب وبكر بالجزيرة، وقال لأصحابه: إنّ أمير المؤمنين قد ولّاني هذه الصدقات، فمَنْ أراد اللّحاق بي فليفعلْ[5].

ثمّ سار حتّى أتى رُصافةَ هشام، فأعلم أصحابه ما كان من الأخطل إليه، وأنّه افتعل كتاباً، وأنّه ليس بوالٍ، فمَن كان أحبّ أن يغسل عنّي العار وعن نفسي فلْيصحبني[6]، فإنّي قد أقسمتُ أن لا أغسل رأسي حتّى أوقع في بني تغلب. فرجعوا عنه غير ثلاثمائة قالوا له: نموت بموتك ونحيا بحياتك.

فسار ليلته حتّى صبّح الرَّحوب، وهو ماءٌ لبني جُشَم بن بكر من تغلب، فصادف عليه جماعةً عظيمة منهم، فقتل فيهم مقتلةً عظيمةً، وأسر الأخطل وعليه عَباءة وسِخةٌ، فظنّه الذي أسرَه عبداً، فسأله مَنْ هو، فقال: عبد. فأطلقه، فرمى بنفسه في جُبّ، فخاف أن يراه[7] مَنْ يعرفه فيقتله. فلمّا انصرف الجحّافُ خرج من الجُبّ[8]، وأسرفَ الجحّاف في القتل وبَقْرِ البطون عن الأَجِنّة، وفعل أمراً عظيماً، فلمّا عاد عنهم قدِم الأخطل على عبد الملك فأنشده قوله:

لقد أوقعَ الجحّافُ بالبِشْرِ وقعَةً إلى اللّهِ مِنها المُشْتكَى والمُعَوَّلُ[9]

فهرب الجحّاف، فطلبه عبد الملك، فلحِق ببلاد الروم، وقال بعد وقعة البِشر يخاطب الأخطل:

---

(١) أنساب الأشراف ٣٢٨/٥، ٣٢٩.
(٢) في (آ) و(ر): «فدعى».
(٣) ما بين القوسين من (ب) و(آ)، نهاية الأرب ١١٨/٢١.
(٤) في الأوربية: «جار».
(٥) أنساب الأشراف ٣٢٩/٥.
(٦) في الأوربية: «فليصحبن».
(٧) في الأوربية: «رآه».
(٨) أنساب الأشراف ٣٢٩/٥.
(٩) أنساب الأشراف ٣٣١/٥، الشعر والشعراء ٤٥٧/٢.

أبا[1] مالكٍ هل لُمتَني أوْ[2] حضضتَني ... على القتلِ أمْ هل لامَني كلُّ[3] لائِمِ
ألم أُفنِكُم قتلاً وأجدَعَ أنفكُمْ[4] ... بفتيانِ قَيسٍ والسّيوفِ الصّوارِمِ
بكلِّ فتًى يَنعى عُمَيراً بسَيْفِهِ ... إذا اعتَصَمتْ أيمانُهم بالقَوائِمِ
فإن تَطرُدوني تَطرُدوني وقد[5] جرَى ... بيَ الوِرْدُ يوْماً في دماء الأراقِمِ
نكَحتُ بسَيفي في[6] زُهَيرٍ ومالكٍ ... نِكاحَ اغتصابٍ لا نكاحَ دَراهمِ [7]

في أبيات[8].

ولم يزل الجحّاف يتردّد في بلاد الروم من طرابِزُنْدَة إلى قاليقَلا[9]، وبعث إلى بطانة عبد الملك من قيس حتّى أخذوا له الأمان، فآمنه عبد الملك، فقدِم عليه، فألزمه دِيات من قتل، وأخذ منه الكُفَلاء وسعيٍ فيها، فأتَى الحجّاجَ من الشام فطلب منه، فقال له: متى عهدْتني خائناً؟ فقال له: ولكنّك سيّد قومك ولك عمالة واسعة. فقال: لقد أُلهمت الصِّدْق، فأعطاه مائة ألف درهم، وجمع الدِّيات فأوصلها.

ثمّ تنسّك بعدُ وصلُح، ومضى حاجّاً، فتعلّق بأستار الكعبة، وجعل ينادي: اللهمّ اغفرْ لي وما أظنّ تفعل. فسمعه محمّد بن الحنفيّة فقال: يا شيخ قنوطك شرّ من ذنبك[10].

(وقيل: إنّ سبب عَوده كان أنّ الجحّاف أكرمه ملكُ الروم وقرّبه، وعرض عليه النصرانيّة، ويعطيه ما شاء، فقال[11]: ما أتيتُك رغبةً عن الإسلام. ولقي الروم تلك السنة عساكر المسلمين صائفةً، فانهزم المسلمون، وأخبروا عبدَ الملك أنّهم هزمهم الجَحّاف، فأرسل إليه عبدُ الملك يؤمِّنه، فسار وقصد البِشْر وبه حيّ من بِشر، وقد لبس أكفانه وقال: قد جئتُ إليكم أعطي القَوَدَ من نفسي. وأراد شبابُهم[12] قتله فنهاهم شيوخهم، فعفوا[13] عنه

---

(١) في الأوربية: «أيا».
(٢) في الأنساب: «إذ».
(٣) في الأوربية: «لك»، وكذا في أنساب الأشراف.
(٤) في الأنساب: «أنوفكم».
(٥) في الأوربية: «فقد»، وفي الأنساب: «يطردوني يطردوني».
(٦) في الأنساب: «من».
(٧) في الأنساب: «الدراهم».
(٨) انظر بقية الأبيات في أنساب الأشراف ٥/٣٣٠.
(٩) في (ب): «من طرابزنده إلى كماخ إلى قاليقلا»، وفي الأنساب ٥/٣٣٠: «أقام بطرابزنده ثم أتى كمخ ثم أتى قاليقلا».
(١٠) أنساب الأشراف ٥/٣٣٠، ٣٣١.
(١١) في الأوربية: «وقال».
(١٢) في الأوربية: «شابّهم».
(١٣) في الأوربية: «فغفر».

وحجّ، فسمعه عبد الله بن عمر وهو يطوف ويقول: اللهمّ اغفرْ لي وما أظنّك تفعل. فقال ابن عمر: لو كنتَ الجحّاف ما زدتَ على هذا. قال: فأنا الجحّاف)[1].

---

(١) ما بين القوسين من (ب). والخبر في أنساب الأشراف ٢١/١١٩.

٧١
ثم دخلت سنة إحدى وسبعين

ذكر مقتل مُصْعَب ومَلْك عبد الملك العراق

في هذه السنة قُتل مُصْعب بن الزّبير في جُمَادَى الآخرة، واستولى عبد الملك بن مروان على العراق.

وسبب ذلك أنّ عبد الملك بن مروان لما قتل عَمْرو بن سعيد بن العاص، كما تقدّم ذكره، وضع السيف فقتل مَنْ خالفَه، فصفا له الشام. فلمّا لم يبقَ له مخالف فيه أجمع المسير إلى مُصْعَب بن الزّبير بالعراق، فاستشار أصحابه في ذلك، فأشار يحيَى بن الحكَم بن أبي العاص عمّه بأن يقنع بالشام ويترك ابن الزّبير والعراق، وكان يقول عبد الملك: مَنْ أراد صواب الرأي فلْيخالفْ يحيَى. وقال بعضهم: إنّ العام جدب وقد غزَوتَ سنتين فلم تظفرْ، فأقمْ عامك هذا. فقال عبد الملك: الشام بلد قليل المال، ولا آمن نفاده، وقد كتب كثير من أشراف العراق يدعونني إليهم، وقال أخوه محمّد بن مروان: الرأي أن تطلب حقّك وتسير إلى العراق، فإني أرجو أنّ الله ينصرك. وقال بعضهم: الرأي أن تقيم وتبعث بعض أهلك وتمدّه بالجنود. فقال عبد الملك: إنّه لا يقوم بهذا الأمر إلاّ قرَشيٌّ له رأي، ولعلّي أبعث مَنْ له شجاعة ولا رأي له، وإنّي بصير بالحرب شجاع بالسيف إن احتجتُ إليه، ومُصْعب شجاع من بيت شجاعة، ولكنّه لا علم له بالحرب يحبّ الخفْض، ومعه من يخالفه، ومعي مَن ينصح لي.

فلمّا عزم على المسير ودّع زوجتَه عاتكة بنت يزيد بن معاوية، فبكت وبكى جواريها لبكائها، فقال: قاتل الله كثيّر عَزّة! لكأنّه يشاهدنا حين يقول:

إذا ما أرادَ الغَزْوَ[1] لم يَثْنِ هَمَّهُ حَصانٌ عَليها عِقدُ دُرٍّ يَزينُها
نَهَتهُ فلمّا لَمْ تَرَ النَّهْيَ عاقَهُ بكَتْ وبكى ممّا عَناها قَطينُها[2]

---

(١) في الأوربية: «العزّ».

(٢) البيتان في: الأغاني ٩/٢١.

وسار عبدُ الملك إلى العراق، فلمّا بلغ مُصْعباً مسيرُه وهو بالبصرة أرسل إلى المهلّب، وهو يُقاتل الخوارج، يستشيره، وقيل: بل أحضره عنده، فقال لمُصْعب: اعلم أنّ هل العراق قد كاتبوا عبد الملك وكاتبهم، فلا تُبْعِدْني عنك. فقال له مُصْعَب: إنّ أهل البصرة قد أبَوا (أن يسيروا حتّى أجعلك على قتال الخوارج، وهم قد بلغوا سوق الأهواز، وأنا أكره[1] إذ سار عبد الملك إليّ أن لا أسير إليه، فاكفِني هذا الثغر.

فعاد إليهم، وسار مُصْعب إلى الكوفة ومعه الأحْنف، فتوفّي بالكوفة، وأحضر مُصْعبٌ إبراهيمَ بن الأشتر، وكان على الموصل والجزيرة، فلمّا حضر عنده جعله على مقدّمته، وسار حتّى نزل باجُمَيْرَى[2]، وهي قريب [من] أوانا، وهي من مَسْكِن، فعسكر هناك[3].

وسار عبد الملك وعلى مقدّمته أخوه محمد بن مروان وخالد بن عبد الله بن خالد بن أسِيد، فنزلوا بقَرْقِيسيا، وحصروا زُفَر بن الحارث الكلائيَّ، ثمّ صالحهم، على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

وسيّر زُفَر ابنَه الهُذَيل مع عبد الملك، وكان معه، ثمّ لحِق بمُصْعب بن الزّبير. فلمّا اصطلحا سار عبد الملك ومَنْ معه، فنزلوا بمَسْكِن قريباً من عسكر مُصْعب، بين العسكرين ثلاثة فراسخ، ويقال: فرسخان، وكتب عبدُ الملك إلى أهل العراق مَنْ كاتبه ومَن لم يكاتبْه، وبذل لجميعهم أصبهان طُعمةً[4]، وقيل: إنّ كلّ مَنْ كاتبه طلب منه إمرة أصبهان، فقال: أيّ شيء هذه أصبهان حتّى كلّهم يطلبها!

فكلٌّ منهم أخفى كتابه، إلاّ إبراهيم بن الأشتر، فإنّه أحضر كتابه عند مُصْعب مختوماً، فقرأه مُصْعب، فإذا هو يدعوه إلى نفسه ويجعل له ولاية العراق، فقال له مُصْعب: أتدري ما فيه؟ قال: لا. قال: يعرض عليك كذا وكذا، وإنّ هذا لما يُرغب فيه. فقال إبراهيم: ما كنتُ لأتقلّد الغدر والخيانة، ووالله ما عند عبد الملك من أحد من الناس بأيأس منه منّي، ولقد كتب إلى أصحابك كلّهم مثل الذي كتب إليّ، فأطِعْني واضرب أعناقهم. قال: إذاً لا يناصحني عشائرهم. قال: فأوقِرْهم حديداً وابعثْ بهم إلى أبيض كسرى، واحبسْهم هناك، ووكّل بهم مَنْ إن غُلبتَ وتفرّقتْ عشائرهم عنك ضرب

---

(١) ما بين القوسين من (ر).
(٢) في الأوربية: «باخَمْرَى».
(٣) نهاية الأرب ٢١/١٢٠، ١٢١.
(٤) في الأوربية: «طمعة».

رقابهم، وإن ظهرتَ مَنَنْتَ[1] على عشائرهم بإطلاقهم[2]. فقال: إنّي لفي شُغُل عن ذلك، فرحِمَ الله أبا بحر، يعني الأحنف بنِ قيس، إن كان ليحذّرني غدر أهل العراق[3]، ويقول: هم كالمومسة تريد كلّ يوم بعلاً، وهم يريدون كلّ يوم أميراً.

فلمّا رأى قيسُ بن الهيثم ما عزم أهلُ العراق عليه من الغدر لمُصْعب قال لهم: ويحكم! لا تُدخِلوا أهل الشام عليكم! فوالله لئن يطعموا بعيشكم ليضيِّقُنّ عليكم منازلكم، والله لقد رأيتُ سيّدَ أهل الشام على باب الخليفة يفرح إن أرسله في حاجة، ولقد رأيتُنا في الصوائف[4]، وإنّ زادَ أحدنا على عدّة أجمال، وإنّ الرجل من وجوههم ليغزو على فرسه وزادُه خلفه، فلم يسمعوا منه.

فلمّا تدانَى العسكران أرسل عبدُ الملك إلى مُصْعب رجلاً من كلب وقال له: أقرىء ابن أختك السلام؛ وكانت أمّ مُصْعب كلبيّة؛ وقلْ له يدَع دعاءه إل أخيه، وأدَع دعائي إلى نفسي، ويجعل[5] الأمر شُورى. فقال له مُصْعب: قلْ له السيف بيننا.

فقدّم عبد الملك أخاه محمّداً، وقدّم مُصْعَب إبراهيم بن الأشتر، فالتقيا، فتناوش الفريقان، فقُتل صاحب لواء محمّد، وجعل مُصْعب يمدّ إبراهيم، فأزال محمّداً عن موقفه، فوجّه عبد الملك عبدَ الله بن يزيد إلى أخيه محمّد، فاشتدّ القتال، فقُتل مسلم بن عَمْرو الباهليّ والد قُتيبة، وهو من أصحاب مُصْعب، وأمدّ مُصْعبُ إبراهيمَ بعتّاب بن ورقاء، فساء ذلك إبراهيم وقال: قد قلتُ له لا تمدّني بعتّاب وضُرَبائه، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون! فانهزم عتّاب بالناس، وكان قد كاتب عبدَ الملك وبايعه، فلمّا انهزم صبر ابن الأشتر فقُتل[6]، قتله عُبيدُ بن مَيْسرة مولى بني عُذْرة، وحمل رأسه إلى عبد الملك.

وتقدّم أهل الشام فقاتلهم مُصْعَب، وقال لقَطن بن عبد الله الحارثيّ: قدّمْ خيلَك أبا عثمان. فقال: أكره أن تُقتَل مَذْحِج في غير شيء. فقال لحجّار بن أَبْجر: يا أبا أُسِيد قدّم خيلك. قال: إلى هؤلاء الأنتان[7]! قال: ما تتأخّر إليه أنتنُ! فقال لمحمّد بن عبد الرحمن بن سعيد مثل ذلك، فقال: ما فعل أحد[8] هذا فأفعله. فقال مُصْعب: يا

---

(١) في الأوربية: «منيت».

(٢) قارن هذا الخبر بما في: الأخبار الموفّقيّات ٥٥٧، ٥٥٨، وأنساب الأشراف ٥/٣٤٠، ٣٤١، والأغاني ١٩/١٢٣، ١٢٤، والأخبار الطوال ٣١٢.

(٣) تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) - ص ٣٠٣.

(٤) في الأوربية: «الضوائف».

(٥) في (ر): «وندع».

(٦) الأغاني ١٩/١٢٤، ١٢٥.

(٧) في (ب): «الأثمان»، وفي (آ): «الأمان».

(٨) في (ب): «أسيد».

إبراهيم ولا إبراهيم لي اليوم! ثمّ التفت فرأى عُرْوَةَ بن المغيرة بن شُعْبَة، فاستدناه فقال له: أخبرْني عن الحسين بن عليّ كيف صنع بامتناعه عن النزول على حكم ابن زياد وعزمه على الحرب، فأخبره، فقال:

إنّ الألى[1] بالطَّفّ من آلِ هاشمٍ تأسَّوا فسَنّوا للكرامِ التأسِّيا[2]

قال عُرْوَةُ: فعلمتُ أنّه لا يبرحُ حتّى يُقتل.

ثمّ دنا محمّد بن مروان من مُصْعب وناداه: أنا ابن عمّك محمّد بن مروان، فاقبلْ أمانَ أمير المؤمنين. فقال: أمير المؤمنين بمكّة، يعني أخاه عبد الله بن الزّبَير. قال: فإنّ القومَ خاذِلوك. فأبَى ما عرض عليه. فنادى محمد عيسى بن مُصْعب بن الزّبير له، فقال له مُصْعب: انظرْ ما يريد منك. فدنا منه، فقال له: إنّي لك ولأبيك ناصح، ولكما[3] الأمان. فرجع إلى أبيه فأخبره، فقال: إنّي أظنّ القوم يفون لك، فإن أحببتَ أن تأتيهم فافعلْ. فقال: لا تتحدّث نساء قريش أنّي خذلتُك ورغبتُ بنفسي عنك. قال: فاذهبْ أنتَ ومَن معك إلى عمّك بمكّة، فأخبره بما صنع أهل العراق، ودَعْني فإنّي مقتول. فقال: لا أخبر عنك قريشاً أبداً، ولكن يا أبه الحقْ بالبصرة، فإنّهم على الطّاعة أو الحقْ بأمير المؤمنين. فقال مُصْعَب: لا تتحدّث قريش أنّي فررتُ.

وقال لابنه عيسى: تقدّم إذن أحتسبك، فتقدّم ومعه ناس فقُتل وقُتلوا[4]؛ وجاء رجل من أهل الشام ليحتزّ رأس عيسى، فحمل عليه مصعبٌ فقتله وشدّ على الناس، فانفرجوا له، وعاد ثمّ حمل ثانية، فانفرجوا له، وبذل له عبد الملك الأمان وقال: إنّه يعزّ عليّ أن تُقتل، فاقبلْ أماني ولك حكمك في المال والعمل. فأبَى وجعل يضارب. فقال عبد الملك: هذا والله كما قال القائل:

ومُدَجَّج[5] كَرِهَ الكُماةُ نِزالَهُ لا مُمعِناً[6] هَرَباً ولا مُستَسلِما[7]

ودخل مُصْعبٌ سُرادَقه، فتحنّط ورمى السُّرادق وخرج فقاتل، فأتاه عُبيدُ الله بن

---

(١) في الأوربية: «ألا إنّ لي».

(٢) في الأوربية: «التأسا». والبيت في: الأخبار الطوال للدينوري ٣١١، والطبري ٦/١٥٦ وأنساب الأشراف ٥/٣٣٩، والأغاني ١٩/١٢٩، والفتوح لابن أعثم ٦/٢٦٤، ونهاية الأرب ٢١/١٢٤، وتاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ). ص ٣٠٦، والتذكرة الحمدونية ٢/٤٥٧، وشرح نهج البلاغة ٣/٢٩٨.

(٣) «ولكما» زيادة من (ب)، وفي (ر): «لكم».

(٤) الأغاني ١٩/١٢٥، تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٣٠٦، ٣٠٧.

(٥) في (آ): «ومذ حجّ»، وفي الأوربية: «مذحج».

(٦) في (آ): «وممتعن»، وفي (ر): «لأمعن»، وفي الأوربية: «وممعن».

(٧) في أنساب الأشراف ٥/٣٤٠ «مستسلم».

زِياد بن ظَبْيان، فدعاه إلى المبارزة، فقال له: يا كلب اعزَب! مثلي يبارز[1] مثلك! وحمل عليه مُصْعبٌ فضربه على البيضة، فهشمها وجرحه، فرجع وعصّب رأسه، وترك الناس مُصْعباً وخذلوه حتّى بقي في سبعة أنفُس، وأُثخن مُصْعب بالرمي، وكثُرت الجراحات فيه، فعاد إلى عُبيد الله بن زياد بن ظَبيان، فضربه مُصْعبٌ فلم يصنع شيئاً لضَعفه بكثرة الجراحات، وضربه ابن ظَبيان فقتله.

وقيل: بل نظر إليه زائدة بن قُدامة الثقفيُّ، فحمل عليه فطعنه وقال: يا لثارات[2] المختار! فصرعه، وأخذ عُبيدُ الله بن زياد رأسه، وحمله إلى عبد الملك، فألقاه بين يديه وأنشد:

نُعاطي الملوكَ الحقَّ ما قسطوا[3] لَنا ... ولَيسَ علَينا قتلُهم بمُحَرَّمِ

فلمّا رأى عبد الملك الرأس سجد. قال ابن ظَبيان: لقد هممتُ أن أقتل عبد الملك وهو ساجد، فأكون قد قتلتُ ملكَي العرب، وأرحتُ الناسَ منهما[4]. وقال عبد الملك: لقد هممتُ أن أقتل ابن ظَبيان، فأكون قد قتلتُ أفتك الناس بأشجع الناس.

وأمر عبد الملك لابن ظَبيان بألف دينار، فقال: لم أقتلْه على طاعتك، وإنّما قتلتُه على قتل أخي النّابيء بن زياد؛ ولم يأخذ منها شيئاً.

وكان قتل مُصْعب بدَير الجاثَليق عند نهر دُجَيل[5]، فأمر عبد الملك به وبابنه عيسى فدُفنا، وقال: كانت الحرمة بيننا قديمة ولكنّ المُلْك عقيمٌ[6].

وكان سبب قتل النّابيء أنّه قطع الطريق هو ورجل من بني نُمَير، فأُحضِرَا عند مُطَرِّف بن سَيْدان الباهليّ صاحب شُرطة مُصْعب، فقتل النّابيءَ، وضرب النُّميريَّ وأطلقه، فجمع عُبيد الله جمعاً، وقصد مطرِّفاً بعد أن عزله مُصْعب عن شُرطته وولاّه الأهواز، وسار عُبيد الله إلى المطرِّف فقتله، فبعث مُصْعب مُكْرَم بن مطرِّف في طلب عُبيد الله، فسار حتّى بلغ عسكر مُكْرَم، فنُسب إليه، ولم يلقَ عُبيدَ الله، كان قد لحِق بعبد الملك. وقيل في قتله غير ذلك.

---

(١) في الأوربية: «اعرب مثلي مبارز».

(٢) في الأوربية: «لثرات».

(٣) في (ر): «قصدوا».

(٤) المعرفة والتاريخ ٣/٣٣١، الأغاني ١٩/١٢٦، أنساب الأشراف ٥/٣٤٠، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٦٥، تاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨٠ هـ.) ص ٣٠٥، البداية والنهاية ٨/٣٢١.

(٥) المعرفة والتاريخ ٣/٣٣١.

(٦) مجمع الأمثال للميداني ٢/٦٨٥.

فلمّا أُتيَ[1] عبدُ الملك برأس مُصْعب نظر إليه وقال: متى تغذو[2] قُرشيّة مثلك! وكانا يتحدّثان إلى حُبّى وهما[3] بالمدينة، فقيل لها: قُتل مُصْعب. فقالت: تعِس قاتلُه! فقيل: قتله عبد الملك بن مروان. فقالت: وا بأبي القاتل والمقتول!

ثمّ دعا عبدُ الملك بن مروان جُند العراق إلى بيعته فبايعوه، وسار حتّى دخل الكوفة،، فأقام بالنُّخَيْلة أربعين يوماً، وخطب الناسَ بالكوفة، فوعد المُحْسنَ وتوعّد المُسيء، فقال: إنّ الجامعة التي وُضعت في عُنق عَمرو بن سعيد عندي، ووالله لا أضعها في عُنق رجلٍ فأنتزعها إلاّ صُعُداً، لا أفُكُّها[4] عنه فكّاً، فلا يُبْقِينّ[5] امرؤٌ إلاّ على نفسه، ولا يولغنّ دمه، والسلام.

ودعا الناس إلى البيعة فبايعوه، فحضرتْ قُضاعةُ، فقال لهم: كيف سلِمتُم وأنتم[6] قليل مع مُضَر؟ فقال عبد الله بن يَعْلى النَّهْديُّ: نحن أعزّ منهم وأمنع بك وبمن معك منّا. ثمّ جاءت مَذْحِج فقال: ما أرى لأحد مع هؤلاء بالكوفة شيئاً. ثمّ جاءتْ جُعفى فقال: إيتوني بابن أختكم، يعني يحيَى بن سعيد، وكانت أمّه مَذْحِجيّة، فقالوا: هو آمن؟ فقال: وتشترطون أيضاً! فقال رجل منهم: إنّا ما نشترط جهلاً بحقّك، ولكنّا نتسحّب عليك تسحّب الولد على الوالد. فقال: نِعْمَ أنتم الحيّ! إن كنتم لَفُرساناً في الجاهليّة [والإسلام]. ليحضرْ فهو آمِن. فأتوه به فبايعه. ثمّ أتته عدوان، فقدّموا بين أيديهم رجلاً جميلاً وسيماً، فقال عبد الملك:

عذيرَ الحيّ مِنْ عَدْوا ... نَ كانوا حَيّةَ الأرْضِ[7]
بغَى بعضُهم بَعضاً ... فلَم يَرْعُوا[8] على بَعضِ
ومنهُم كانتِ السّادا ... تُ والموفونَ بالقَرْضِ[9]

ثمّ أقبل على ذلك الرجل الجميل فقال: إيه! فقال: لا أدري. فقال مَعْبد بن خالد الجدليُّ، وكان خلفه:

---

(١) في الأوربية: «أوتي».
(٢) في الأوربية: «تعدو».
(٣) في الأصل: «وكانوا يتحدّثون إلى حبي وهم».
(٤) في الأوربية: «الا صعد إلاّ أفكّها».
(٥) في الأوربية: «يتّقنّ».
(٦) في الأوربية: «رأيتم».
(٧) يقال: هات عُذراً فيما فعل بعضهم ببعض من التباعد والتباغض والقتل بعدما كانوا حيّة الأرض التي يحذرها كل أحد، والعرب تقول للرجل الصعب المنيع الجانب: حيّة الأرض.
(٨) في الأغاني: فلم يُبْقوا.
(٩) في الأوربية: «بالفرض».

ومنهم حَكَمٌ يَقضِي فلا يُنقَضُ[1] ما يَقضِي
ومنهُم مَنْ يُجيزُ الحَجّ[2] بالسُّنَّةِ والفَرْضِ
وهمْ مُذ وُلِدوا شَبُّوا بِسرٍّ[3] النَّسَبِ المَحضِ[4]

فأقبل عبد الملك على ذلك الجميل فقال: مَنْ هو؟ فقال: لا أدري. فقال مَعْبد من ورائه: هو ذو الإصبع، فأقبل على الجميل فقال: لِمَ تُسمّى ذا الإصبع؟ فقال: لا أدري. فقال مَعْبد: لأنّ حيّة نهشت إصبعه فقطعتها. فأقبل على الجميل فقال: ما كان اسمه؟ قال: لا أدري. فقال مَعْبد: حَرْثان بن الحارث. فقال للجميل: من أيّكم هو؟ قال: لا أدري. فقال مَعْبد: من بني ناج. ثمّ قال للجميل: كم عطاؤك؟ قال: سبعمائة. قال لمعبد: كم عطاؤك؟ قال: ثلاثمائة. فقال لكاتبه: اجعلْ مَعْبداً في سبعمائة، وانقصْ من عطاء هذا أربعمائة، ففعل[5].

ثمّ جاءت كِندة فنظر إلى عبد الله بن إسحاق بن الأشعث، فأوصى به أخاه بِشر بن مروان. وأقبل داود بن قَحْذَم في جمْعٍ كثير من بكر بن وائل، عليهم الأقبية الداوديّة، وبه سُمّيت، فجلس مع عبد الملك على سريره، (فأقبل عليه عبد الملك)، ثمّ نهض ونهضوا معه، فقال عبد الملك: هؤلاء الفُسّاق، لولا أنّ صاحبهم جاءني ما أعطاني أحد منهم طاعة.

ثمّ ولّى قَطَنَ بن عبد الله الحارثيّ الكوفة، ثمّ عزله فاستعمل أخاه بِشْر بن مروان، ثمّ استعمل محمّد بن عُمير الهَمدانيّ على هَمَذان، ويزيد بن رُوَيْم عل الريّ، ولم يفِ لأحد شرط له أصبهان، وقال: عليّ بهؤلاء الفُسّاق الذين أنغلوا[6] الشام وأفسدوا العراق. فقيل: قد أجارهم رؤساء عشائرهم. فقال: وهل يجير عليّ أحد[7]؟

وكان عبد الله بن يزيد بن أسد والد خالد القَسْريّ قد لجأ إلى عليّ بن عبد الله بن عبّاس، ولجأ إليه أيضاً يحيى بن مَعْيوف الهمدانيُّ، ولجأ الهُذيل بن زُفر بن الحارث،

---

(1) في الأوربية: «ينقص».
(2) في الأغاني: «الناس» بدل «الحج».
(3) في (ر): «نسير».
(4) في الأوربية:
وهم من ولد واسنو لسير النسب المحض
والأبيات في: تاريخ الطبري ٦/١٦٣، والأغاني ٣/٨٩، ٩٠ باختلاف بيت عمّا هنا، وتقديم وتأخير.
(5) قارن برواية الأغاني ٣/٩٣ حيث يختلف عطاؤهما عمّا هنا. والمثبت يتفق مع الطبري ٦/١٦٣، ١٦٤.
(6) في الأوربية: «أمعلوا».
(7) الطبري ٦/١٦٤، نهاية الأرب ٢١/١٢٨.

وكان مع عبد الملك، على ما نذكره، وعَمْرو بن يزيد[1] الحكميُّ إلى خالد بن يزيد، فآمنهم عبد الملك فظهروا[2]. فصنع عَمرو بن حُرَيث لعبد الملك طعاماً كثيراً، وأمر به إلى الخَورنق، وأذِنَ إذناً عامّاً، فدخل الناس وأخذوا مجالسَهم، فدخل عَمرو بن حُريث، فأجلسه معه على سريره، ثمّ جاءت الموائد فأكلوا، فقال عبد الملك: ما ألذّ عيشنا لو دام، لوكنّا كما قال الأوّل:

وكلّ جديدٍ يا أُميمَ إلى بِلًى ... وكلّ امرىءٍ يصيرُ يوْماً إلى كانْ[3]

فلمّا فرغوا من الطعام طاف عبد الملك في القصر، وعَمرو بن حُرَيث معه وهو يسأله: لمن هذا البيت؟ ومَنْ بنى هذا البيت؟ وعَمرو يُخْبره، فقال عبد الملك:

اعمَلْ على مَهلٍ فإنّك مَيّتٌ ... واكدَحْ لنفسِكَ أيّها الإنسانْ
فكأنّ ما قد كان لم يكُ إذ مضى ... وكأنّ ما هو كائنٌ قد كانْ[4]

ولما بلغ عبدَ الله بن خازم مسيرُ مُصْعب لقتال عبد الملك قال: أَمَعَه عمر بن عُبيد الله بن مَعْمَر؟ قيل: لا، استعمله على فارس. قال: أَمَعَه المهلّب؟ قيل: لا، استعمله على الخوارج. قال: أَمَعَه عبّاد بن الحُصين؟ قيل: استخلفه على البصرة. قال: وأنا بخُراسان.

خُذيني فجُرّيني[5] جَعارِ[6] وأبشري ... بلَحمِ[7] امرىءٍ لم يشهَدِ اليوْمَ ناصرُهْ[8]

ولما قُتل مُصْعب بعث عبد الملك رأسه إلى الكوفة، أو حمله معه إليها، ثمّ بعث به إلى أخيه عبد العزيز بن مروان بمصر، فلمّا رآه وقد قطع السيف أنفه قال: رحِمك الله! أمَا والله لقد كنتَ من أحسنهم خلقاً وأشدّهم بأساً وأسخاهم نفساً. ثمّ سيّره إلى الشام فنُصب بدمشق، وأرادوا أن يطوفوا به في نواحي الشام، فأخذتْهُ عاتكةُ بنت يزيد بن

---

(١) الطبري: «زيد».
(٢) حتى هنا عند الطبري ١٦٤/٦.
(٣) الظبري ١٦٧/٦.
(٤) ابطبري ١٦٧/٦.
(٥) في (آ): «فحرني»، و(ب): «فحربني».
(٦) في تاريخ الإسلام «ضباع».
(٧) في الأوربية: «بلجم».
(٨) البيت والخبر في: أنساب الأشراف ٣٤٥/٥ و٣٤٨، والكامل في اللغة والأدب للمبرّد ٥/٣، وأمالي الشجري ١١٣/٢، وتاريخ الطبري ١٥٨/٦، وتاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٣٠٣، ٣٠٤، ولسان العرب، مادّة «جر» ومادّة «جرر».

معاوية زوجة عبد الملك بن مروان، وهي أمّ يزيد بن عبد الملك، فغسّلته ودفنته وقالت: أما رضيتم بما صنعتم حتّى تطوفوا به في المدن؟ هذا بغيٌ.

وكان عُمْر مُصْعب حين قُتل ستّاً وثلاثين سنة.

قال يوماً عبد الملك لجلسائه: مَنْ أشدّ النّاس[1]؟ قالوا: أمير المؤمنين. قال: اسلكوا غير هذا الطريق. قالوا: عُمَير بن الحُباب. قال: قبّح الله عميراً! لصّ، ثوبٌ ينازع عليه أعزّ عنده من نفسه ودينه. قالوا: فشَبيب. قال: إنّ للحَروريّة لطريقاً. قالوا: فمَنْ؟ قال: مُصْعب كان عنده عقيلتا قريش سُكَينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة، ثمّ هو أكثر الناس مالاً، جعلتُ له الأمان وولاية العراق، وعلم أنّي سأفي له للمودّة التي كانت بيننا، فحمى أنفاً وأبى وقاتل حتّى قُتل. فقال رجل: كان مُصْعب يشرب النّبيذ. قال: كان ذلك قبل أن يطلب المروءة، فأمّا مُذ طلبها فلو علم أنّ الماء يُنقص مروءته ما ذاقه. قال الأُقَيْشِر[2] الأسديُّ:

حمَى أنفَه أن يقبلَ الضّيمَ مصعبٌ ... فماتَ كريماً لم تُذَمَّ خلائقُهْ
ولو شاء أعطى الضّيم مَن رام هضمَه ... فعاشَ مَلوماً في الرّجال طرائقُهْ
ولكن مضَى والبرْقُ[3] يبرقُ خالُهُ ... يشاورُهُ[4] مَرّاً ومَرّاً يُعانِقُهْ
فولّى كريماً لم تَنَلهُ مذَمّةٌ[5] ... ولم يكُ رَغداً تَطَّبيهِ نَمارِقُهْ[6]

وقال عَرْفَجة بن شريك:

ما لابنِ مَروانَ أعمى اللّهُ ناظرَهُ ... ولا أصابَ رَغيباتٍ ولا نَفَلا
يرْجو الفلاحَ ابنُ مروان وقد قتلتْ ... خيلُ ابنِ مروانَ حرّاً[7] ماجداً بطَلا
يا ابنَ الحَواريّ كمْ من نعمةٍ لكمُ ... لو رامَ غيرُكمُ أمثالَها شُغِلا
حُمِّلتُمُ فحَمَلتُمْ كلَّ مُعْضِلَةٍ[8] ... إنّ الكَريمَ إذا حَمّلتَهُ حَمَلا[9]

---

(١) الأوربية: «البأس».

(٢) في طبعة صادر ٤/٣٣٣ «الأقشر»، وهو وهْم، والتصحيح من مصادر ترجمته، أنظر: معجم الشعراء للمرزباني ٣٦٩، والمؤتلف والمختلف للآمدي ٥٦، وسمط اللآلي ٢٦١، والأغاني ١١/٢٣٥، والشعر والشعراء ٢/٤٦٣، ومعاهد التنصيص ٣/٢٤٣، وخزانة الأدب ٢/٢٧٩، وغيره.

(٣) في أنساب الأشراف: «والموت».

(٤) في الأنساب: «يساوره» بالسين المهملة.

(٥) في الأنساب: «مذلّة».

(٦) أنساب الأشراف ٥/٣٤٣.

(٧) في الأوربية «حرفاً»، وفي أنساب الأشراف «خِرْقاً».

(٨) في الأوربية: «مفضلة».

وقال عبد الله بن الزَّبير الأسديّ في إبراهيم بن الأشتر، هذا الزَّبِير: بفتح الزّاي وكسر الباء:

سأبكي وإنْ لم تبكِ فِتيانُ مَذْحِجٍ فتاها إذا اللّيلُ[1] التِّمامُ[2] تأوَّبا
فتًى لم يكنْ في مِرَّةِ الحرْبِ جاهلاً ولا بمطيعٍ في الوَغى مَن تَهَيَّبا
أبانَ أُنوفَ الحيّ قَحطانَ قتْلُهُ وأنْفَ نِزارٍ قد أبانَ فأوعَبا[3]
فمَنْ يَكُ أمسَى خائناً[4] لأمِيرِهِ فما خانَ إبراهيمُ في الموْتِ مُصعبا[5]

وحين قُتل مُصْعب كان المهلّب يحارب الأزارقة بسُولاف، (بلد بفارس على شاطىء البحر)[6]، ثمانية أشهر، فبلغ قتله الأزارقة قبل المهلّب، فصاحوا بأصحاب المهلّب: ما قولكم في مُصْعب؟ قالوا: أميرُ هدى[7]، وهو ولّينا في الدنيا والآخرة، ونحن أولياؤه. قالوا: فما قولكم في عبد الملك؟ قالوا: ذاك ابنُ اللّعين، نحن نبرأ إلى الله منه، وهو أحلّ دماً منكم. قالوا: فإنّ عبد الملك قتل مُصعباً، وستجعلون غداً عبد الملك إمامكم. فلمّا كان الغد سمع المهلّب وأصحابه قتل مُصْعب، فبايع المهلّب الناس لعبد الملك بن مروان، فصاح بهم الخوارج: يا أعداء الله! ما تقولون في مُصْعب؟ قالوا: يا أعداء الله لا نُخْبركم. وكرهوا أن يكذّبوا أنفسهم. قالوا: وما قولكم في عبد الملك؟ قالوا: خليفتنا. ولم يجدوا بُدّاً[8] إذ بايعوه أن يقولوا ذلك. قالوا: يا أعداء الله! أنتم بالأمس تبرأون منه في الدنيا والآخرة، وهو اليوم إمامكم، وقد قتل أميركم الّذي كنتم تولّونه! فأيّهما المهتدي وأيّهما المُبْطِل؟ قالوا: يا أعداء الله رضينا بذلك إذ كان يتولّى أمرنا ونرتضي[9] بهذا. قالوا: لا والله ولكنّكم إخوان الشياطين وعبيد الدنيا.

وأمّا عبد الله بن الزّبير فلمّا انتهى إليه قتْل أخيه مُصْعب قام في الناس فخطبهم فقال:

---

(٩) أنساب الأشراف ج ٥/٣٤٣ وفيه: «احتملا».

---

(١) في (ب): «النبل».
(٢) في الأوربية: «النّمّام».
(٣) في الأوربية: «فأرعبا».
(٤) في الأوربية: «خائباً».
(٥) أنساب الأشراف، ج ٥/٣٤٢.
(٦) ما بين القوسين من (ب).
(٧) في (ب): «هدل».
(٨) الأوربية: «أبداً».
(٩) الأوربية: «ويرتضي».

الحمد لله الذي له الخلق والأمر، يُؤتي الملك مَنْ يشاء، ويَنْزِع الملك ممَّنْ يشاء، ويُعزّ مَنْ يشاء ويُذلّ مَن يشاء، ألا وإنّه لم يُذْلِـلِ اللَّهُ مَنْ كان الحقّ معه وإن كان فرداً، ولم يُعْزِزْ مَن كان وليُّه الشيطان وإن كان الناس معه طُرّاً[1]، ألا وإنّه قد أتانا من العراق خبرٌ أحزننا[2] وأفرحنا، أتانا قتْل مُصْعب، رحِمه الله، وأمّا الذي أفرحنا فعِلْمُنا أنّ قتله شهادة، وأمّا الذي أحزننا[2] فإنّ لفراق الحميم لوعة يجدها حميمه عند المصيبة، يرعوي بعدها ذوو الرأي الجميل إلى الصبر وكريم العزاء[3]، وما مُصْعب إلّا عبد من عبيد الله وعَوْنٌ من أعواني، ألا وإنّ أهل العراق أهل الغدر والنفاق، أسلموه وباعوه بأقلّ الثمن، فإن يُقْتَلْ[4] فَمَهْ! والله ما نموت على مضاجعنا كما يموت بنو أبي العاص! والله ما قُتل رجل منهم في زحف في الجاهليّة ولا في الإسلام، ولا نموت إلّا قَعْصاً[5] بالرماح وتحت ظلال السيوف، ألا إنّما الدنيا عاريّة من المَلِك الأعلى الذي لا يزول سلطانه، ولا يَبِيد مُلكه، فإن تُقبِل لا آخذها أخذ البَطِر[6]، وإن تُدبِر لم أبكِ عليها بكاء الضَّرِع[7] المَهِين، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم[8].

حَجّار بن أبجر: بفتح الحاء المهملة، وتشديد الجيم، وكنيته أبو أُسَيد بضمّ الهمزة، وفتح السين. وحُبّى: بضمّ الحاء المهملة، وبالياء الموحّدة المشدّدة الممالة، وآخره ياء مثنّاة من تحتها. وعبد الله بن خازم: بالحاء المعجمة والزاي.

ذكر ولاية خالد بن عبد الله البصرة

وفي هذه السنة تنازع ولاية البصرة حُمْران بن أبان وعُبيدُ الله بن أبي بَكرة، فقال ابن أبي بَكرة: أنا أعظم منك، كنت أنفق على أصحاب خالد يوم الجُفْرة. فقيل لحُمْران: إنّك لا تقوى على ابن أبي بَكرة فاستعِنْ بعبد الله بن الأهْيم[9]. فاستعان به،

---

(١) الطبري: «من كان وليّه الشيطان وحزبه وإن كان معه الأنام طُرّاً».
(٢) الطبري: «حَزَننا».
(٣) الطبري: «ثم يرعوي من بعدها ذو الرأي إلى جميل الصبر وكريم العزاء، ولئن أُصِبْت بمصعب لقد أصبت بالزبير قبله، وما أنا من عثمان بخِلْو مصيبة».
(٤) الأوربية: «يقبل».
(٥) القَعْص: الموت السريع.
(٦) الطبري: أخذ الأشِر البطِر.
(٧) الطبري «الحَرِق».
(٨) الطبري ١٦٦/٦، تاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨٠ هـ.) باختصار شديد، عيون الأخبار ٢٤٠/٢، ٢٤١، العقد الفريد ١٨٣/٢، مروج الذهب ١١٩/٣.
(٩) في الأصول: «الأهتم».

فغلب على البصرة وعبد الله على شُرَطها، وكان لحُمْران منزلة عند بني أميّة، وكانت هذه المنازعة بعد قتل مُصْعب.

فلمّا استولى عبد الملك على العراق بعد قتله استعمل على البصرة خالد بن عبد الله بن خالد بن أُسَيد، فوجّه خالدٌ عُبيدَ الله بن أبي بَكرة إليها خليفةً له، فلمّا قدِم على حُمران قال: أقد جئت لا جئت[1]! فكان عُبيد الله عليها حتّى قدِم خالد[2]، ولما فرغ عبد الملك من أمر العراق عاد إلى الشام.

ذكر أمر عبد الملك وزُفَر بن الحارث

قد ذكرنا في وقعة راهط مسير زُفَر إلى قَرْقِيسيا واجتماع قيس عليه، والسبب في استيلائه عليها وما كان منه بعد ذلك، وكان على بيعة ابن الزّبير وفي طاعته. فلمّا مات مروان بن الحكَم ووليَ ابنُه عبدُ الملك كتب إلى أبان بن عُقْبَة بن أبي مُعَيط وهو على حِمْص يأمره أن يسير إلى زُفَر، فسار إليه وعلى مقدّمته عبدُ الله بن زميت الطائيُّ، فواقع عبد الله زُفَر قبل وصول أبان، وكثُر في أصحابه القتل، قُتل منهم ثلاثمائة، فلامه أبان على عجلته، وأقبل أبان فواقع زُفَر، فقتل ابنه وكيع بن زُفر، وأدركت طيّء ثَقَل زُفَر ونساءه، فاستوهب محمّد بن حُصَين بن نُمَير النساء وألحقهنّ بزُفر بقرقيسيا، فقال زُفر:

عَلِقْنَ بحبَلٍ من حُصَينٍ لَوَ أنّهُ ... تغيّب حالتْ دونَهنّ المصائِرُ
أبُوكم أبونا في القَديمِ وإنّني ... لغابركم في آخرِ الدّهرِ شاكرُ

وكان يقال لزُفر إنّه من كِنْدة.

ثمّ[3] إنّ عبد الملك لما أراد المسير إلى مُصْعب سار إلى قرقيسيا، فحصر زُفر فيها ونصب عليها المجانيق، فأمر زُفر أن ينادى [في] عسكر عبد الملك: لِمَ نصبتم علينا المجانيق؟ قال: لنثلم ثلمةً نقاتلكم عليها. فقال زُفر: قولوا لهم فإنّا لا نقاتلكم من وراء الحيطان، ولكنّا نخرج إليكم. وثلمت المنجنيق من المدينة برجاً ممّا يلي حُرَيْث بن بَحْدل، فقال زُفر:

لقد تركتَني منجنيقُ ابنِ بَحْدَلٍ ... أحيدُ عنِ العُصفورِ حينَ يَطِيرُ[4]

---

(١) في الأوربية: «لا جبت».
(٢) الطبري ٦/١٦٥.
(٣) من هنا الخبر في: أنساب الأشراف.
(٤) الأوربية: «تطير».

وكان خالد بن يزيد بن معاوية مُجِدّاً في قتالهم، فقال رجل من أصحاب زُفَر من بني كلاب: لأقولنّ لخالد كلاماً لا يعود إلى ما يصنع. فلمّا كان الغد خرج خالد للمحاربة، فقال له الكلابيُّ:

ماذا ابتغاءُ خالدٍ وهمُّهُ إذْ سُلبَ المُلكَ ونيكتْ أُمُّهْ

فاستحيا وعاد، ولم يرجع يقاتلهم[1].

وقالت كلب[2] لعبد الملك: إنّا إذا لقينا زُفر انهزمت القيسيّة الذين معك، فلا تخلطْهم معنا. ففعل، فكتبت القيسيّة على نَبْلها: إنّه ليس يقاتلكم غداً مُضَرِيٌّ، ورموا النَّبل إلى قَرْقِيسيا، فلمّا أصبح زُفَر دعا ابنَه الهُذَيل، وبه كان يُكَنّى، وقيل: [كان] يكنّى أبا الكَوْثر[3]، فقال: اخرجْ إليهم فشُدَّ عليهم شدّةً لا ترجع حتّى تضرب فُسطاط عبد الملك، والله لئن رجعتَ دون أن تطأ أطناب فُسطاطه لأقتلنّك. فجمع الهُذَيل خيله وحمل عليهم، فصبروا قليلاً ثمّ انكشفوا، وتبِعهم الهُذَيلُ بخيله حتّى وطِئوا أطنابَ الفسطاط وقطعوا بعضها، ثمّ رجعوا، فقبّل زُفر رأس الهُذَيل وقال: لا يزال عبد الملك يحبّك بعدها أبداً. فقال الهُذَيل: والله لو شئتَ أن أدخل الفُسطاط لفعلتُ. فقال زُفر:

ألا لا أُبالي مَنْ أتاهُ حِمامُهُ إذا ما المَنايا عن هُذيلٍ تجلّتِ
تَراهُ أمامَ الخَيلِ أوّلَ فارسٍ ويضربُ في أعجازِها إنْ تولّتِ[4]

ولما ثُلِم برج قرقيسيا قال لعبد الملك بعضُ أهله: لو قاتلتَهم بقُضاعة لملكتَهم. ففعل وقاتلهم، فلمّا كان عند المساء انكشفت قُضاعة وكثُر القتل فيهم، وأقبل رَوْح بن زِنْباع الجُذاميُّ إلى برج منها، فسأل أهله وقال: نشدتكم اللَّهَ، كم قتلنا منكم؟ قالوا: والله لم يُقْتَل منّا أحد، ولم يُجْرح إلاّ رجل واحد، ولا بأسَ عليه، ثمّ قالوا: نشدناك الله، كم قُتل منكم؟ قال: عدّة فرسان، وجرحتم ما لا يُحْصَى، فلعن الله ابن بَحْدل!

ورجع رَوْح إلى عبد الملك وقال: إنّ ابن بَحْدلُ يمنّيك الباطل، فأعرِضْ عن هذا الرجل[5].

وكان رجل من كلب يقال له الذّيّال يخرج فيسبّ زُفَر فيُكْثر، فقال زُفر للهُذَيل ابنِه

---

(١) أنساب الأشراف ج ٥/٣٠١، ٣٠٢.
(٢) وردت في بعض الأصول: «الكلب» و«الكلبية».
(٣) والأول أثبت، كما في: أنساب الأشراف ٥/٣٠٢.
(٤) أنساب الأشراف ٥/٣٠٣.
(٥) أنساب الأشراف ج ٥/٣٠٢ ـ ٣٠٤.

أو لبعض أصحابه: أما تكفيني هذا؟ قال: أنا أجيئك به. فدخل عسكر عبد الملك ليلاً فجعل ينادي: مَنْ يعرف بغلاً من صفته كذا وكذا؟ حتّى انتهى إلى خباء الرجل وقد عرفه. فقال الرجلُ: ردّ الله عليك ضالّتك. فقال: يا عبد الله إنّي قد عييتُ[1]، فلو أذِنتَ لي فاسترحتُ قليلاً. قال: ادخلْ، فدخل والرجل وحده في خبائه، فرمى بنفسه ونام صاحب الخباء، فقام إليه فأيقظه وقال: والله لئن تكلّمتَ لأقتلنّك[2]. قال: قُتلت أو سلِمت، فماذا ينفعك قتلي؟ (قال: لئن)[3] سكَتّ وجئتَ معي إلى زُفَر، فلك عهدُ الله وميثاقه أن أردّك إلى عسكرك، بعد أن يصلك زُفَر ويُحْسن إليك. فخرجا وهو ينادي: مَنْ دلّ على بغلٍ من صفته كذا وكذا؟ حتّى أتَى زُفَر والرجل معه، فأعلمه أنّه قد آمنه، فوهب له زُفر دنانير، وحمله على رحالة النساء، وألبسه ثيابهنّ، وبعث معه رجلاً حتّى دنَوا من عسكر عبد الملك، فنادوا: هذه جارية قد بعث بها زُفَر إلى عبد الملك[4]. وانصرفوا، فلمّا نظر إليه أهل العسكر عرفوه، وأخبروا عبدَ الملك الخبر، فضحك وقال: لا يبعد الله رجلاً نصر، والله إنّ قتلهم لذُلّ، وإنّ تركهم لحسرة. وكفّ الرجل فلم يعُدْ يسبّ زُفر، وقيل: إنّه هرب من العسكر.

ثمّ إنّ عبد الملك أمر أخاه محمّداً أن يعرض على زُفر وابنه الهُذَيل الأمان على أنفسهما ومَن معهما ومالهم، وأن يُعطَيا ما أحبّا. ففعل محمّد ذلك، فأجاب الهُذَيل وكلّم أباه وقال له: لو صالحتَ هذا الرجل فقد أطاعه الناسُ، وهو خير لك من ابن الزّبير. فأجاب على أنّ له الخيار في بيعته سنةً، وأن ينزل حيث شاء، ولا يعين عبد الملك على قتال ابن الزُّبير. فبينا الرسُلُ تختلف بينهما[5] إذ جاءه رجل من كلب فقال: قد هُدم من المدينة أربعة أبراج. فقال عبد الملك: لا أصالحهم. وزحف إليهم، فهزموا أصحابه حتّى أدخلوهم عسكرهم. فقال: أعطوهم ما أرادوا. فقال زُفر: لو كان قبل هذا لكان أحسن. واستقرّ الصلح على أمان الجميع، ووضع الدّماء والأموال، وأن لا يبايع عبد الملك حتّى يموت ابن الزّبير للبيعة له في عُنقه، وأن يعطى مالاً يقسمه في أصحابه.

وخاف زُفَر أن يغدر به عبد الملك كما غدر بعَمْرو بن سعيد، فلم ينزل إليه، فأرسل إليه بقضيب النبيّ ﷺ، أماناً له، فنزل إليه، فلمّا دخل عليه أجلسه معه على سريره، فقال ابن عِضاة الأشعريُّ: أنا كنتُ أحقّ بهذا المجلس منه. فقال زُفر: كذبتَ هناك، إنّي

---

(١) أنساب الأشراف «أعييت».

(٢) في الأوربية: «أقتلنّك».

(٣) في الأوربية: إذا قتلت أنت، ولئن.

(٤) أنساب الأشراف ٥/٣٠٤.

(٥) في الأوربية: «بينهم».

عاديت فضررت، وواليت فنفعت[1].

ولما رأى عبد الملك قلّة مَنْ مع زُفر قال: لو علمتُ أنّه في هذه القلّة لحاصرتُه أبداً حتّى ينزل على حكمي. فبلغ قوله زُفَر فقال: إن شئتَ رجعنا ورجعتَ. فقال: بل نَفي لك يا أبا الهُذَيل.

وقال له عبد الملك يوماً: بلغني أنّك من كِنْدة. فقال: وما خيرُ مَن لا يبغي حسداً، ولا يدّعي رغبة!

وتزوّج مَسلمة بن عبد الملك الربابَ[2] بنت زُفَر، فكان يؤذن لأخويها الهُذَيل والكَوْثَر في أوّل الناس[3].

وأمر زُفر ابنَه الهُذَيل أن يسير مع عبد الملك إلى قتال مُصْعب، وقال له: أنت لا عهدَ عليك. فسار معه، فلمّا قارب مُصْعباً هرب إليه، وقاتل مع ابن الأشتر، فلمّا قُتل ابن الأشتر اختفى الهُذَيلُ بالكوفة حتّى استؤمن له من عبد الملك فآمنه[4]، كما تقدّم.

ذكر عدّة حوادث

وفي هذه السنة افتتح عبد الملك قَيساريّة، في قول الواقديّ[5]. وفيها نزع ابنُ الزُّبَير جابرَ بن الأسود بن عوْف عن المدينة، واستعمل عليها طلحة بن عُبيد الله بن عَوْف، وهو آخر والٍ[6] كان له على المدينة، حتّى أتاه طارق بن عَمْرو مولى عثمان، فهرب طلحةُ، وأقام طارق بها حتّى سار إلى مكّة لقتال ابن الزُّبير[7].

[الوَفَيات]

وفي إمارة مصعب مات البَراء بن عازب[8] بالكوفة. ويزيد بن مفرِّغ[9]، الحِمْيَريُّ

(1) أنساب الأشراف ٥/٣٠٦.
(2) في (آ) و (ر): «الريان».
(3) أنساب الأشراف ٥/٣٠٧.
(4) أنساب الأشراف ٥/٣٥٠.
(5) فتوح البلدان ١٦٩، الطبري ٦/١٦٧، تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٣٠١، نهاية الأرب ٢١/١٩٦.
(6) في الأوربية: «آل».
(7) الطبري ٦/١٦٦.
(8) انظر عن (البراء بن عازب) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٣٦٥ رقم ١٤٣ وفيه مصادر ترجمته.
(9) هو: يزيد بن زياد بن ربيعة بن مفرّغ، وانظر عنه في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٢٦٨ رقم ١٢١ وفيه مصادر ترجمته.

الشاعر بها أيضاً.

وعبد الله بن أبي حدْرد[1] الأسلميُّ، شهد الحُديبية وخَيبر.

وفي أيّامه مات شُتير بن شَكل[2] القيسيُّ الكوفيُّ، وهو من أصحاب عليّ وابن مسعود.

شُتَير: بضمّ الشين المعجمة، وفتح التاء فوقها نقطتان، وبعدها ياء تحتها نقطتان. وشَكل: بفتح الشين المعجمة، والكاف، وآخره لام.

(١) انظر عن (عبد الله بن أبي حدرد) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٤٣٢ رقم ١٨٨ وفيه مصادر ترجمته.

(٢) انظر عن (شتير بن شكل) في: تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ.) وفيه مصادر ترجمته.

٧٢
ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين

ذكر أمر الخوارج

لما استقرّ عبدُ الملك بالكوفة بعد قتل مُصْعب استعمل خالدَ بن عبد الله على البصرة، فلمّا قدِمَها خالد كان المهلّب يحارب الأزارقة، فجعله على خراج الأهواز ومعونتها، وسيّر أخاه عبد العزيز بن عبد الله إلى قتال الخوارج، وسيّر معه مُقاتلَ بن مِسمَع، فخرجا يطلبان الأزارقة، فأتت الخوارج من ناحية كَرمان إلى دارابجرد، وأرسل قَطَريٌّ بن الفُجاءة المازنيُّ مع صالح بن مُخارق تسعمائة فارس، فأقبل يسير بهم حتّى استقبل عبدَ العزيز وهو يسير مهلاً على غير تعبية، فانهزم بالناس، ونزل مُقاتل بن مِسمَع، [فقاتل] حتّى قُتل، وانهزم عبد العزيز، وأخذت امرأتُه ابنةُ المنذر بن الجارود، فأقيمت فيمن يزيد، فبلغت قيمتها مائة ألف، فجاء رجل من قومها من رؤوس الخوارج فقال: تنحّوا هكذا، ما أرى هذه المشركة إلاّ قد فتنتكم! وضرب عنقها، ولحِق بالبصرة، فرآه آل المنذر فقالوا: والله ما ندري أنحمدك أم نذمّك! فكان يقول: ما فعلته إلاّ غَيْرةً وحَمِيّة[1].

وانتهَى عبد العزيز إلى رامَهُرْمز، وأتَى المهلّبَ خبرُه، فأرسل إليه شيخاً من الأزد وقال له: إن كان منهزماً فعزِّه. فأتاه الرجل فرآه نازلاً في نحو ثلاثين فارساً كئيباً حزيناً، فأبلغه الرسالة، وعاد إلى المهلّب بالخبر، فأرسل المهلّبُ إلى أخيه خالد بن عبد الله يُخْبره بهزيمته. فقال للرسول: كذبتَ. فقال: والله ما كذبتُ، فإن كنتُ كاذباً فاضربْ عنقي، وإن كنتُ صادقاً فأعطني جُبّتك ومُطْرَفك[2]. قال: قد رضيتَ من[3] الخطر العظيم بالخطر اليسير. وحبسه وأحسن إليه حتّى صحّ خبر الهزيمة[4].

---

(١) الطبري ٦/١٦٨، ١٦٩.

(٢) في الأوربية: «ومطرقك».

(٣) الطبري ٦/١٧٠ «مع».

(٤) الطبري ٦/١٦٩، ١٧٠.

قال ابن قيس الرُّقيّات في هزيمة عبد العزيز وفراره عن امرأته:

عبدَ العزيزِ فضحتَ جيشكَ كلّهمْ	وتركتَهم صَرْعى بكُلّ سَبيلِ
من بين ذي عَطَشٍ يجودُ بنفسِهِ	ومُلَحَّبٍ[1] بينَ الرِّجالِ قَتيلِ
هَلاّ صَبرْتَ معَ الشَّهيدِ مُقاتِلاً	إذْ رُحتَ منتكثَ القُوَى[2] بأصيلِ
وتركتَ جَيشَكَ لا أميرَ عليهِمُ	فارجِعْ بعارٍ في الحَياةِ طَويلِ
ونَسيتَ عِرسَك إذ تُقادُ سبيّةً	تَبكي العيونُ برَنّةٍ وعَويلِ[3]

فكتب خالد إلى عبد الملك يُخْبره بذلك، فكتب إليه عبدُ الملك: قد عرفتُ ذلك، وسألتُ رسولَك عن المهلّب، فأخبرني أنّه عامل على الأهواز، فقبّح الله رأيك حين تبعث أخاك أعرابيّاً من أهل مكّة على القتال، وتدَعُ المهلّب يجبي الخراج، وهو الميمونُ النقيبة، المقاسي للحرب، ابنها وابن أبنائها، أرسلْ إلى المهلّب يستقبلهم، وقد بعثتُ إلى بِشْر بالكوفة ليُمِدّك بجيش، فسِرْ معهم، ولا تعملْ في عدوّك برأي حتّى يحضره المهلّب، والسّلام[4].

وكتب عبد الملك إلى بِشر أخيه بالكوفة يأمره بإنفاذ خمسة آلاف مع رجل يرضاه لقتال الخوارج، فإذا قضوا غزوتهم ساروا إلى الريّ، فقاتلوا عدوّهم، وكانوا مَسْلحةً. فبعث بِشْر خمسة آلاف، وعليهم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، فكتب له عهداً على الريّ عند الفراغ من قتاله.

وخرج خالد بأهل البصرة حتّى قدِم الأهواز، وقدِمَها عبد الرحمن بن محمّد في أهل الكوفة، وجاءت الأزارقة حتّى دنَوا من الأهواز، فقال المهلّب لخالد: إنّي أرى ها هنا سفناً كثيرة، فضُمّها إليك فإنّهم سيحرقونها، فلم يمضِ إلاّ ساعة حتّى أرسلوا إليها فأحرقوها.

وجعل خالدُ المهلّبَ على ميمنته، وعلى ميسرته داود بن قَحْذَم من بني قيس بن ثعلبة، ومرّ المهلّب على عبد الرحمن بن محمّد ولم يخندق عليه، فقال: ما يمنعك من الخندق؟ فقال: هم أهون عليّ من ضرطة[5] الجمل. قال: لا يهونوا عليك، فإنّهم سباع العرب[6].

---

(١) المُلَحَّب: الذي قطعه السيف.

(٢) في الأوربية: «القرى».

(٣) ديوان ابن قيس الرقيّات ١٩٠، الطبري ٦/١٧٣.

(٤) راجع نص الكتاب عند الطبري ٦/١٧١.

(٥) في الأوربية: «ضرط». وقوله في: مجمع الأمثال للميداني ٢/٤٠٩.

(٦) الطبري ٦/١٧١، ١٧٢.

ولم يبرح المهلّب حتّى خندق عبد الرحمن عليه، فأقاموا نحواً من عشرين ليلة، ثمّ زحف خالد إليهم بالناس، فرأوا أمراً هالهم من كثرة الناس، فكثُرت عليهم الخيل وزحفت إليهم، فانصرفوا كأنّهم على حامية وهم مولّون لا يرون طاقةً بقتال جماعة الناس، فأرسل خالد داود بن قَحْذَم في آثارهم، وانصرف خالد إلى البصرة، وسار عبد الرحمن إلى الريّ، وأقام المهلّب بالأهواز، وكتب خالد إلى عبد الملك بذلك.

فلمّا وصل كتابه إلى عبد الملك كتب إلى أخيه بِشر يأمره أن يبعث أربعة آلاف فارس من أهل الكوفة، مع رجلٍ بصيرٍ بالحرب إلى فارس في طلب الأزارقة، ويأمر صاحبه بموافقة داود بن قَحْذم إنْ اجتمعا. فبعث بِشر عتّاب بن ورقاء في أربعة آلاف فارس من أهل الكوفة، فساروا حتّى لحِقوا داود فاجتمعوا، ثمّ اتبعوا الخوارج حتّى هلكت خيولُ عامّتهم، وأصابهم الجوع والجهد، ورجع عامّة الجَيْشين مُشاة إلى الأهواز[1].

[خروج أبي فُدَيك الخارجيّ]

وفي هذه السنة كان خروج أبي فُدَيْك الخارجيّ، وهو من بني قيس بن ثعلبة، فغلب على البَحْرَين، وقتل نَجْدَة بن عامر الحَنَفيَّ، فاجتمع على خالد بن عبد الله نزول قَطَريّ الأهواز وأمرُ أبي فُدَيك، فبعث أخاه أميّة بن عبد الله في جُندٍ كثيف إلى أبي فُديك، فهزمه أبو فُديك، وأخذ جاريةً له فاتّخذها لنفسه، فكتب خالد إلى عبد الملك بذلك[2].

ذكر قتل عبد الله بن خازم

ولما قُتل مُصْعَب كان ابن خازم يُقاتل بَحِير بن ورقاء الصُّرَيْميَّ التّميميّ بنيسابور، فكتب عبد الملك إلى ابن خازم يدعوه إلى البيعة له ويُطْعِمه[3] خُراسان سبْع سنين، وأرسل الكتاب مع سوادة بن أشتم النُّميريّ، وقيل: مع مُكمّل الغَنَويّ فقال ابن خازم: لولا أن أُضرّب بين [بني] سُلَيم و[بني] عامر لقتلتك، ولكن كُلْ كتابك، فأكله[4].

وقيل: بل كان الكتاب مع سَوَادة بن عُبيد الله النُّمَيريّ، وقيل: مع مكمّل الغنويّ، فقال له ابن خازم: إنّما بعثك أبو الذِّبّان لأنّك من غَنِيّ، وقد علم أنّي لا أقتل رجلاً من قيس، ولكن كُلْ كتابه[5].

---

(١) الطبري ٦/١٧٢، ١٧٣.
(٢) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٧٣، الطبري ٦/١٧٤، تاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨٠ هـ.) ص ٣٠٧.
(٣) في (ر): «ويطمعه».
(٤) الطبري ٦/١٧٦.
(٥) الطبري ٦/١٧٦.

وكتب عبدُ الملك إلى بُكَير بن وَسَّاج، وكان خليفة ابن خازم على مَرْو، بعهده على خُراسان، ووعده ومنّاه، فخلع بُكَيرٌ عبدَ الله بن الزّبَير، ودعا إلى عبد الملك، فأجابه أهلُ مَرْو، وبلغ ابنَ خازم، فخاف أن يأتيه بُكَير فيجتمع عليه أهـلُ مَرو وأهـلُ نَيْسابـور، فترك بَحيراً وأقبل إلى مَرْو ويزيد ابنُه بتِرمِذ، فاتبعه بَحير، فلحِقه بقريةٍ على ثمـانية فـراسخ من مَرْو، فقاتله ابن خازم، فقُتل ابنُ خازم؛ وكان الذي قتله وَكيع بن عَمْرو القُرَيْعيّ، أعثره[1] وكيع، وبَحير بن ورقاء، وعمّار بن عبد العزيز، فطعنوه فصرعـوه، وقعد وكيـع على صدره فقتله. فقال بعضُ الولاة لوكيع: كيف قتلتَه؟ قال: غلبتُه بفضل القنا[2]، فلمّا صُرِعَ قعدتُ على صدره، فلم يقدر [أن] يقوم، وقلتُ: يا لثـارات دويلة[3]! وهو أخـو وكيع لأمّـه، قُتل في بعض تلك الحروب. قال وكيع: فتنخّم في وجهي وقال: لعنك الله! أتقتل كبْش مُضر بأخيك وهو لا يساوي كفّاً من نَوى؟ أو قال: من تراب. قال: فما رأيتُ أكثر ريقاً منه على تلك الحال عند الموت[4].

وبعث بَحِيرٌ ساعةَ قُتل ابنُ خازم إلى عبد الملك يُخبـره بقتله، ولم يبعث بالـرأس، وبعث بَحيرٌ بُكَيرَ بن وَسَّاج في أهل مَرْو، فوافاهم حين قُتل ابنُ خـازم، فأراد أخـذ الرأس وإنفـاذه إلى عبد الملك، فمنعـه بَحير، فضـربه بُكيـر بعمـود وحبسـه، وسيّـر الـرأس إلى عبد الملك، وكتب إليه يخبره أنّه هو الذي قتله. فلمّا قدِم الرأسُ دعا عبد الملك برسـول بَحير وقال: ما هذا؟ قال: لا أدري، وما فارقتُ القوم حتّى قُتل ابن خازم[5].

وقيل: إن ابن خازم إنّما قُتل بعد قتل عبد الله بن الزُّبَير، وإنّ عبد الملك أنفـذ إليه رأس ابن الزّبير ودعاه إلى نفسه، فغسـل الرأسَ وكفّنـه وبعثه إلى أهله بـالمدينـة، وأطعم الرسول الكتابَ، وقال: لولا أنّك رسول لقتلتك[6]. وقيـل: بل قـطع يديـه ورِجْليه وقتله، وحلف أن لا يطيع عبدَ الملك أبداً[7].

(بَحِير: بفتح الباء الموحّدة، وكسر الحاء المهملة).

---

(١) في الأوربية: «أعثروه».

(٢) في الأوربية: «بنصل القناء».

(٣) في الأوربية: «دويلة».

(٤) الطبري ٦/١٧٦، ١٧٧، تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٣٠٨.

(٥) الطبري ٦/١٧٧، تاريخ الإسلام ٣٠٨.

(٦) الطبري ٦/١٧٨، تاريخ الإسلام ٣٠٨، ٣٠٩.

(٧) الطبري ٦/١٧٨، نهاية الأرب ٢١/١٣٢، ١٣٣.

ذكر عدّة حوادث

كان العامل على المدينـة طارقـاً لعبد الملك، وعلى الكـوفة بِشـر بن مروان، وعلى قضائها عُبيـد الله بن عبد الله بن عُتْبَـة، وعلى البصرة خـالد بن عبـد الله، وعلى قضائهـا هشام بن هُبَيرة، وعلى خُـراسان، في قـول بعضهم: بُكَير بن وَسَّـاج، وفي قول بعضهم: عبد الله بن خازم(١).

[الوَفَيات]

وفي هذه السنة مات عَبِيدة السّلمانيُّ(٢)، وهو من أصحاب عليّ.

عَبِيدة: بفتح العين، وكسر الباء الموحدة.

---

(١) الطبري ٦/١٧٨.

(٢) انظر عن (عَبيدة السلماني) في: تاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨٠ هـ.) ص ٤٨٢ رقم ٢١٤ وفيه مصادر ترجمته.

٧٣
ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين

ذكر قتْل عبد الله بن الزّبَير

لما بُويع عبد الملك بالشام بعث إلى المدينة عُروة بن أُنَيف في ستّة آلاف من أهل الشام، وأمره أن لا يدخل المدينة، وأن يعسكر بالعَرْصة، وكان عامل عبد الله بن الزُّبير على المدينة الحارث بن حاطب بن الحارث بن مَعمَر الجُمَحيّ، فهرب الحارث، وكان ابن أُنيف يدخل ويصلّي بالناس الجُمعة، ثمّ يعود إلى معسكره، فأقام شهراً، ولم يبعث إليهم ابنُ الزُّبير أحداً.

وكتب إليه عبد الملك بالعَود إليه، فعاد هو ومَنْ معه، وكان يصلّي بالناس بعده عبد الرحمن بن سعد القُرَظيُّ، ثمّ عاد الحارث إلى المدينة، وبعث ابنُ الزبير سليمانَ بن خالد الزُّرَقيَّ الأنصاريَّ، وكان رجلاً صالحاً عاملاً على خَيبر وفَدَك، فنزل في عمله، فبعث عبدُ الملك عبدَ الواحد بن الحارث بن الحكَم، وقيل: اسمه عبد الملك، وهو أصحّ، في أربعة آلاف، فسار حتّى نزل وادي القُرى، وسيّر سريّةً عليها أبو القمقام في خمسمائة إلى سليمان، فوجدوه قد هرب، فطلبوه فأدركوه، فقتلوه ومن معه. فاغتمّ عبد الملك بن مروان لقتله وقال: قتلوا رجلاً مسلماً صالحاً بغير ذنْب.

وعزل ابنُ الزّبير الحارثَ واستعمل مكانَه جابر بن الأسود بن عوْف الزُّهْريَّ، فوجّه جابر أبا بكر بن أبي قيس في ستّمائة فارس وأربعين فارساً إلى خَيبر، فوجدوا أبا القمقام ومَن معهَ مقيمين بفَدَك يعسفون الناس، فقاتلوهم، فانهزم أصحابُ أبي القمقام، وأسر منهم ثلاثون رجلاً فقُتلوا صبراً. وقيل: بل قُتل الخمسمائة أو أكثرهم.

ووجّه عبدُ الملك طارقَ بن عَمْرو مولى عثمان وأمره أن ينزل بين أيْلة ووادي القرى، ويمنع عُمّالَ ابن الزّبير من الانتشار، ويسدّ خللاً إن ظهر له. فوجّه طارق إلى أبي بكر خيلاً، فاقتتلوا، فأُصيب أبو بكر في المعركة، وأُصيب من أصحابه أكثر من مائتيْ رجل.

وكان ابن الزبير قد كتب إلى القُباع أيّام كان عامله على البصرة يأمره أن يرسل إليه ألفَيْ فارس ليعينوا عامله على المدينة، فوجّه إليه ألفَيْ رجل، فلمّا قُتل أبو بكر أمر ابنُ الزّبير جابرَ بن الأسود أن يسيّر جيش البصرة إلى قتال طارق، فسار البصريّون عن المدينة، وبلغ طارقاً الخبرُ، فسار نحوه، فالتقيا، فقُتل مقدّم البصريّين، وقُتل أصحابه قتلاً ذريعاً، وطلب طارق مُدْبِرَهم، وأجهز على جريحهم، ولم يستبقِ أسيرهم[1].

ورجع طارق إلى وادي القرى، وكان عامل ابن الزّبير بالمدينة جابر بن الأسود، وعزل ابنُ الزّبير جابراً، واستعمل طلحةَ بن عُبيد الله بن عَوْف، الذي يُعْرَف بطلحة النَّدَى، سنة سبعين، فلم يزل على المدينة حتّى أخرجه طارق.

فلمّا قتل عبدُ الملك مُصْعَباً، وأتى الكوفة وجّه منها الحجّاجَ بن يوسف الثقفيَّ في ألْفين، وقيل: في ثلاثة آلاف، من أهل الشام لقتال عبد الله بن الزّبير. وكان السبب في تسييره دون غيره أنّه قال لعبد الملك: قد رأيتُ في المنام أنّي أخذتُ عبد الله بن الزّبير فسلخته، فابْعثني إليه وولّني قتاله. فبعثه وكتب معه أماناً لابن الزّبير ومَنْ معه إن أطاعوا، فسار في جُمادَى الأولى سنة اثنتَين وسبعين، ولم يعرض للمدينة، ونزل الطائف، وكان يبعث الخيلَ إلى عَرَفة، ويبعثُ ابنُ الزّبير أيضاً فيقتتلون بعَرَفة، فتنهزم خيل ابن الزبير في كلّ ذلك، وتعود خيلُ الحجّاج بالظَّفَر[2].

ثمّ كتب الحجّاج إلى عبد الملك يستأذنه في دخول الحَرَم وحصر ابن الزّبير، ويُخْبره بضعفه وتفرّق أصحابه ويستمدّه، فكتب عبد الملك إلى طارق يأمره باللّحاق بالحجّاج، فقدِم المدينة في ذي القعدة سنة اثنتَين وسبعين، وأخرج عاملَ ابن الزبير عنها، وجعل عليها رجلاً من أهل الشام اسمه ثعلبة، فكان ثعلبة يُخْرج[3] المُخّ وهو على مِنْبر النبيّ ﷺ، ثمّ يأكله ويأكل عليه التَمر ليغيظ أهلَ المدينة، وكان مع ذلك شديداً على أهل الزّبير[4]، وقدِم طارق على الحجّاج بمكّة في سَلْخ ذي الحجّة في خمسة آلاف.

وأمّا الحجّاج فإنّه قدِم مكّة في ذي القعدة، وقد أحرم بحَجّة، فنزل بئر ميمون، وحجّ بالناس تلك السنة الحَجّاج، إلاّ أنّه لم يَطُفْ بالكعبة، ولا سعى بين الصَّفا والمَرْوَة، منعه ابن الزّبير من ذلك، فكان يلبس السلاح، ولا يقرب النساء ولا الطّيب إلى أن قُتل ابن الزّبير، ولم يحجّ ابن الزّبير ولا أصحابه، لأنّهم لم يقفوا بعَرَفة، ولم يرموا الجِمار[5]،

(١) أنساب الأشراف ٥/٣٥٥ ـ ٣٥٧.
(٢) الأنساب ٥/٣٥٧.
(٣) في أنساب الأشراف: يَنْكُت.
(٤) أنساب الأشراف ٥/٣٥٩.
(٥) في الأوربية: «بالحجار».

ونحر ابنُ الزّبير بُدنه بمكّة.

ولما حصر الحجّاجُ ابنَ الزُّبير نصب المنجنيق على أبي قُبَيس، ورمى به الكعبة، وكان عبدُ الملك ينكر ذلك أيّام يزيد بن معاوية ثمّ أمر به، فكان الناس يقولون: خُذِل في دينه[1].

وحجّ ابن عمر تلك السنة، فأرسل إلى الحجّاج: أن اتّقِ الله واكففْ هذه الحجارة عن الناس، فإنّك في شهرٍ حرامٍ وبلدٍ حرام، وقد قدِمتْ وفود الله من أقطار الأرض، ليؤدّوا فريضة الله ويزدادوا خيراً، وإنّ المنجنيق قد منعهم عن الطّواف[2]، فاكففْ عن الرمي حتّى يقضوا ما يجب عليهم بمكّة. فبطل الرمي حتّى عاد الناسُ من عَرَفات، وطافوا وسَعَوا، ولم يمنع ابنُ الزّبير الحاجَّ من الطّواف والسَّعْي، فلمّا فرغوا من طواف الزيارة نادى منادي الحجّاج: انصرفوا إلى بلادكم، فإنّا نعود بالحجارة على ابن الزّبير الملحد[3].

وأوّل ما رُمي بالمنجنيق إلى الكعبة رعدت السماء وبرقت، وعلا صوت الرَّعد على الحجارة، فأعظم ذلك أهل الشام وأمسكوا أيديهم، فأخذ الحجّاج حجر المنجنيق بيده، فوضعه فيه ورمى به معهم، فلمّا أصبحوا جاءت الصّواعقُ، فقتلت من أصحابه اثني عشر رجلاً، فانكسر أهل الشام، فقال الحَجّاج: يا أهلَ الشام لا تُنكروا هذا، فإنّي ابنُ تِهامة وهذه صواعقُها، وهذا الفتح قد حضر، فأبشِروا. فلمّا كان الغد جاءت الصّاعقةُ، فأصابت من أصحاب ابن الزّبير عدّةً، فقال الحَجّاج: ألا ترون أنّهم يُصابون، وأنتم على الطاعة، وهم على خلافها[4]؟ وكان الحجر يقع بين يدي ابن الزّبير وهو يصلّي، فلا ينصرف، وكان أهل الشام يقولون:

يا ابن الزّبيرِ طالما عَصَيْكا[5] وطالما عنّيتنا[6] إلَيكا
لتُجزَيَن[7] بالذي أتَيْكا[8]

---

(١) أنساب الأشراف ٥/٣٦٠.

(٢) في الأوربية: «طواف».

(٣) أنساب الأشراف ٥/٣٦٠.

(٤) تاريخ الطبري ٦/١٨٧، أنساب الأشراف ٥/٣٦٣، والخبر باختصار في: تاريخ اليعقوبي ٢/٢٦٦ وتاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) - ص ٣١٣.

(٥) في (ر): «عصيناك».

(٦) في الأوربية: «عينتنا».

(٧) في الأوربية: «لتجرينّ».

(٨) أنساب الأشراف ٥/٣٦٢ وفيه زيادة شطر:
«لَنَضْرِبَنْ بسيفنا قَفَيْكا»

يعنون: عصيت وأتيت.

وقدِم عليه قومٌ من الأعراب فقالوا: قدِمنا للقتال[1] معك، فنظر فإذا مع كلّ امرئٍ منهم سيف كأنّه شَفْرة، وقد خرج من غمده فقال: يا معشر الأعراب، لا قرّبكم الله! فوالله إنّ سلاحكم لَرَثّ، وإن حديثكم لَغَثّ؛ وإنّكم لقتال في الجدْب، أعداء في الخِصْب. فتفرّقوا ولم يزل القتال بينهم دائماً، فغلت الأسعار عند ابن الزّبير، وأصاب النّاسَ مجاعةٌ شديدة حتّى ذبح فرسَه، وقسّم لحمها في أصحابه، وبيعت الدجاجة بعشرة دراهم، والمدّ الذُّرَة بعشرين درهماً، وإنّ بيوت ابن الزّبير لَمَملوءة قمحاً وشعيراً وذُرة وتمراً، وكان أهل الشام ينتظرون فَناء ما عنده، وكان يحفظ ذلك ولا ينفق منه إلاّ ما يمسك الرَّمَق، ويقول: أنفُس أصحابي قويّة ما لم يَفْنَ[2].

فلمّا كان قُبيل مقتله تفرّق النّاسُ عنه، وخرجوا إلى الحَجّاج بالأمان، خرج من عنده نحو عشرة آلاف، وكان ممّن فارقه ابناه حمزة وخُبَيب، أخذا لأنفسهما أماناً، فقال عبد الله لابنه الزّبير: خذْ لنفسك أماناً كما فعل[3] أخواك، فوالله إنّي لأحبّ بقاءكم. فقال: ما كنتُ لأرغب بنفسي عنك. فصبر معه فقُتل[4].

ولما تفرّق أصحابُه عنه خطب الحجّاجُ النّاسَ وقال: قد تروْن قلّة مَنْ مع ابن الزُّبير، وما هم عليه من الجَهْد والضّيق. ففرحوا واستبشروا، فتقدّموا فملأوا ما بين الحَجون إلى الأبواء[5]. فدخل على أمّه فقال: يا أمّاه قد خذلني النّاس حتّى ولدي وأهلي، ولم يبقَ معي إلاّ اليسير، ومَنْ ليس عنده أكثر من صبر ساعة، والقوم يُعطوني ما أردتُ من الدنيا، فما رأيك؟ فقالت: أنت أعلم بنفسك، إن كنتَ تعلم أنّك على حقّ وإليه تدعو فامضِ له، فقد قُتل عليه أصحابك، ولا تمكّنْ من رقبتك يتلعّب بها غلمان بني أميّة، وإن كنتَ إنّما أردتَ الدنيا، فبِئسَ العبدُ أنت أهلكتَ نفسك ومَنْ قُتل معك، وإن قلتَ كنتُ على حقّ، فلمّا وهن أصحابي ضعفتُ، فهذا ليس فعْلَ الأحرار ولا أهل الدّين، كم خلودك في الدّنيا! القتل أحسن! فقال: يا أُمّاه أخاف إن قتلني أهل الشام أن يمثّلوا بي ويصلبوني. قالت: يا بنيّ إنّ الشاة [إذا ذُبحت] لا تتألّم بالسّلخ، فامضِ على بصيرتك واستعِنْ بالله.

---

(١) في الأوربية: «لقتال».

(٢) في الأوربية: «يغن». والخبر في: أنساب الأشراف ٣٦١/٥.

(٣) في الأوربية: «فعلا».

(٤) الطبري ١٨٨/٦.

(٥) في الأوربية: «الأبواب».

فقبّل رأسَها وقال: هذا رأيي والذي (قمتُ به داعياً)[1] إلى يومي[2] هذا ما ركنتُ إلى الدنيا، ولا أحببتُ الحياة فيها، وما دعاني إلى الخروج إلاّ الغضب لله، وأن تُستَحلّ حُرُماته، (ولكنّي أحببتُ أن أعلم رأيك، فقد زِدْتِني بصيرة، فانظري يا أمّاه، فإني مقتولٌ في يومي هذا، فلا يشتدّ[3] حزنُك[4]، وسلّمي الأمر إلى الله، فإنّ ابنك لم يتعمّد إتيان[5] منكر، ولا عملاً بفاحشة، ولم يجُرْ في حكم الله، ولم يغدر في أمان، ولم يتعمّد ظلم مسلم أو معاهد، ولم يبلغني ظلم عن عُمّالي فرضيتُ به بل أنكرتُه، ولم يكن شيء آثر عندي من رضا ربّي، اللهمّ لا أقول هذا تزكيةً لنفسي، ولكنّي[6] أقوله تعزية لأمّي حتى تسلُوَ عنّي!

فقالت أمّه: [إنّي] لأرجو أن يكون عزائي فيك جميلاً، إن تقدّمتني احتسبتُك[7]، وإن ظفرتَ سُررتُ بظفرك، اخرجْ حتّى أنظر إلى ما يصير أمرك. فقال: جزاكِ الله خيراً، فلا تَدَعي الدعاء لي. قالت: لا أدعه لك أبداً، فمن قُتل على باطل فقد قُتلتَ على حقّ. ثمّ قالت: اللهمّ ارحم طول ذاك القيام في اللّيل الطويل وذلك النحيب[8] والظّمأ في هواجر مكّة والمدينة، وبرّه بأبيه وبي! اللهمّ قد سلّمته لأمرك فيه، ورضيتُ بما قضيتَ، فأثِبْني فيه ثواب الصابرين الشاكرين!

فتناول يديها ليقبّلهما فقالت: هذا وَداع فلا تَبْعَد. فقال لها: جئتُ مودّعاً لأنّي أرى هذا آخر أيّامي من الدنيا. قالت: امضِ على بصيرتك، وادْنُ منّي حتّى أودّعك. فدنا منها فعانقها وقبّلها، فوقعت يدها على الدرع فقالت: ما هذا صنيع مَنْ يريد ما تريد. فقال: ما لبسته إلاّ لأشدّ منك. قالت: فإنّه لا يشدّ منّي، فنزعها، ثمّ درج كُمّيه، وشدّ أسفل قميصه وجبّة خز تحت أثناء[9] السراويل، وأدخل أسفلها تحت المنطقة، وأمّه تقول له: البس ثيابك مشمّرة. فخرج وهو يقول:

إنّي إذا أعرفُ يومي أصبرْ وإنّما يعرفُ يومَهُ[10] الحُرّ

---

(١) في الأوربية: «خرجتُ به دائعاً».

(٢) في (آ) و (ر): «قومي».

(٣) في الأوربية: «اشتدّ».

(٤) ما بين القوسين من (ر).

(٥) في الأوربية: «يتعهّد إيثار».

(٦) في الأوربية: «ولكنّه».

(٧) في الأوربية: «أحتسبنّك».

(٨) في الأوربية: «النجيب».

(٩) في الأوربية: «ثناء».

(١٠) الطبري ٦/١٩٠ «يوميه»، وانظر: تاريخ دمشق ٤٨٣،

إذْ بعضُهم يَعرِفُ ثمّ يُنكِرْ

فسمعتْهُ فقالت: تصبر إن شاء الله، أبواك أبو بكر والزّبير، وأمّك صَفيّة بنت عبد المطّلب. فحملِ على أهل الشام (حملةً منكرةً، فقتل منهم، ثمّ انكشف هو وأصحابه، وقال له بعضُ أصحابه: لو لحِقتَ بموضع كذا. قال: بئس الشيخ أنا إذاً في الإسلام، لئن أوقعتُ قوماً فقُتلوا، ثمّ فررتُ عن مثل مصارعهم. ودنا أهل الشام)[1] حتى امتلأت منهم الأبواب، وكانوا يصيحون به: يا ابنَ ذات النّطاقَينِ[2]، فيقول:

وتلكَ شَكاةٌ ظاهِرٌ[3] عنكَ عارُها[4]

وجعل أهلُ الشام على أبواب المسجد رجلاً من أهل كلّ بلد، فكان لأهل حِمْص الباب الذي يواجه باب الكعبة، ولأهل دمشق باب بني شَيْبة، ولأهل الأردنّ باب الصَّفا، ولأهل فلسطين باب بني جُمَح، ولأهل قِنَّسْرين باب بني تميم، وكان الحجّاج وطارق من ناحية الأبطح إلى المَرْوة، فمرّة يحمل ابن الزُّبير في هذه الناحية ومرّة في هذه الناحية، فكأنّه أسد في أَجَمة ما يَقْدَم عليه الرجال، يعدو في أثر القوم حتّى يُخرجهم، ثمّ يصيح: أبا صفوان! ويل أمّه فتْحاً، لو كان له رجال[5]:

لو[6] كان قِرْني[7] واحداً كَفَيْتُه[8]!

فيقول أبو صفوان عبد الله بن صفوان بن أميّة بن خَلَف: إي والله وألف[9].

فلمّا رأى الحجّاج أنّ الناس لا يقدمون على ابن الزُّبير غضب وترجّل، وأقبل يسوقُ

---

(١) ما بين القوسين من (ب).

(٢) في الأوربية: «النّاطقَين».

(٣) في الأوربية: «ظاهراً».

(٤) أنساب الأشراف ٥/٣٦٦ وفيه الشطر الأول:

«وعيَّرها الواشون أنّي أُحِبُّها»

وانظر الحوار بين ابن الزبير وأمّه في: تاريخ الطبري ٦/١٨٨، ١٨٩؛ وبعضه في: أنساب الأشراف ٥/٣٦٤، وتاريخ اليعقوبي ٢/٢٦٧، وتاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) - ص ٣١٤، وتاريخ دمشق ٤٧٠، ٤٧١ والفخري ١٢٣.

(٥) الطبري ٦/١٩٠.

(٦) في طبعة صادر ٤/٣٥٥ «أو».

(٧) في الأوربية: «قربي».

(٨) طبقات الشعراء لابن سلام ٢٨، تاريخ الطبري ٦/١٩١، والقول لـدُوَيد بن زيد، تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٣١٤، تاريخ دمشق ٤٦٦ و٤٦٧.

(٩) الطبري ٦/١٩١.

الناس، ويصمد بهم صمد صاحب عَلَم ابن الزّبير وهو بين يديه. فتقدّم ابنُ الزّبير على صاحب عَلَمه وضاربهم وانكشفوا، وعرّج وصلّى ركعَتَين عند المقام[1]، فحملوا على صاحب عَلمه، فقتلوه عند باب بني شَيْبَة، وصار العَلَم بأيدي أصحاب الحَجّاج. فلمّا فرغ من صلاته تقدّم فقاتل بغير عَلَم، فضرب رجلاً من أهل الشام وقال: خُذْها وأنا ابن الحواريّ! وضرب آخر، وكان حبشيّاً[2]، فقطع يده وقال: اصبر أبا حُمَمَة، اصبر ابن حام. وقاتل معه عبد الله بن مُطيع وهو يقول:

أنا الذي فَرَرْتُ يومَ الحَرّهْ والحُرُّ لا يَفِرُّ إلّا مَرّهْ
واليومَ أجزي فَرّةً بكَرّهْ

وقاتل حتّى قُتل، وقيل: إنّه أصابته جِراح، فمات منها بعد أيّام[3].

وقال ابن الزُّبير لأصحابه وأهله يوم قُتل بعد صلاة الصُّبح: اكشفوا وجوهكم حتّى أنظر إليكم، وعليهم المَغَافر. ففعلوا. فقال: يا آل الزُّبير، لو طِبْتم بي نفساً[4] عن أنفسكم كنّا أهل بيت من العرب اصطلحنا[5] في الله، فلا يَرُعْكُم وقعُ السيوف، فإنّ ألم الدواء للجراح أشدّ من ألم وقْعِها، صونوا سيوفكم كما تصونون[6] وجوهكم، غضّوا أبصاركم من البارقة، ولْيشغلْ كلُّ امرىءٍ قِرنه، ولا تسألوا عنّي، فمَن كان سائلاً عنّي فإنّي في الرعيل الأوّل[7]، احملوا على بَرَكة الله. ثمّ حمل عليهم حتّى بلغ بهم الحَجون، فرُمي بآجرّة، رماه رجل من السَّكون، فأصابته في وجهه، فارعش لها ودمي وجهُه، فلمّا وجد الدم على وجهه قال:

فلَسنا على الأعقابِ تَدمى كُلومُنا ولكنْ على أقدامنا تقطرُ الدِّمَا[8]

وقاتلهم قتالاً شديداً، فتعاوروا[9] عليه، فقتلوه يوم الثلاثاء من جُمادَى الآخرة، وله

---

(١) الطبري ٦/١٩١.
(٢) في الأوربية: «جيشاً».
(٣) الخبر والرجز في: أنساب الأشراف ٥/٣٦٧، ونهاية الأرب ٢١/١٤٠.
(٤) في (ر): «نفسي»، وفي تاريخ الطبري ٦/١٩١ «طبتم لي نفساً».
(٥) الطبري: «اصطلمنا».
(٦) في الأوربية: «تصونوا».
(٧) الطبري ٦/١٩١.
(٨) البيت للحصين بن الحمام المري، في ديوان الحماسة بشرح المرزوقي ١/١٩٢، وتاريخ الطبري ٦/١٩٢، والأخبار الطوال ٣١٥، وأنساب الأشراف ٥/٣٦٥ وفيه إنه لخالد بن الأعلم خليف بني مخزوم، وقال بعضهم هو لأبي عزّة الجُمحي، والبيت أيضاً في: مروج الذهب ٣/١٢١، وتاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ) ص ٣١٥ وتاريخ دمشق ٤٦٧.
(٩) في الأوربية: «فعاودوا».

ثلاثٌ وسبعون سنة، وتولّى قتله رجلٌ من مُراد، وحملَ رأسه إلى الحجّاج فسجد، ووفَد السَّكونيّ والمراديّ إلى عبد الملك بالخبر، فأعطى كلّ واحد منهما خمسمائة دينار[1].

وسار الحجّاج وطارق حتّى وقفا عليه، فقال طارق: ما ولدت النساء أذكر من هذا. فقال الحجّاج: أتمدح مخالف أمير المؤمنين؟ قال: نعم هو أعذر لنا، ولولا هذا لما كان لنا عُذر، إنّا محاصروه منذ سبعة أشهر، وهو في غير جُنْدٍ ولا حصن ولا مَنَعة، فينتصف منّا بل يفضل[2] علينا. فبلغ كلامهما عبد الملك فصوّب طارقاً[3].

ولما قُتل ابن الزّبير كبّر أهلُ الشام فرحاً بقتله، فقال ابن عمر: انظروا إلى هؤلاء، ولقد كبّر المسلمون فرحاً بولادته، وهؤلاء يكبّرون [فرحاً] بقتله[4].

وبعث الحجّاج برأسه ورأس عبد الله بن صَفْوان ورأسِ عُمارة بن عَمْرو بن حزم إلى المدينة، ثمّ ذُهب بها إلى عبد الملك بن مروان[5]، وأخذ جثّته فصلبها على الثنيّة اليمنى بالحَجون. فأرسلت إليه أسماء: قاتلك الله! على ماذا صلبتَه؟ قال: استبقتُ أنا وهو إلى هذه الخشبة، وكانت له. فاستأذنْته في تكفينه ودفنه، فأبَى ووكّل بالخشبة مَنْ يحرسها، وكتب إلى عبد الملك يُخبره بصلبه، فكتب إليه يلومه ويقول: ألا خلّيت بينه وبين أمّه! فأذِن لها الحَجّاج، فدفنته بالحَجون، فمرّ به عبد الله بن عمر فقال: السلام عليك يا أبا خُبَيْب! أما والله لقد كنتُ أنهاك عن هذا، ولقد كنتَ صَوّاماً قوّاماً وَصولاً للرَّحِم، أما والله، إنّ قوماً أنت شرّهم لنِعْم القوم[6].

وكان ابن الزّبير قبل قتله بقي أيّاماً يستعمل الصَّبِر والمسك لئلاّ ينتن، فلمّا صُلب ظهرت منه رائحة المسك، (فقيل: إنّ الحجّاج صلب معه كلباً ميتاً، فغلب على ريح المسك[7]، وقيل: بل صلب معه سِنّوراً)[8].

ولمّا قُتل عبد الله ركب أخوه عُرْوة ناقةً لم يُرَ مثلها، فسار إلى عبد الملك، فقدِم الشام قبل وصول رسل الحَجّاج بقتل عبد الله، فأتَى بابَ عبد الملك، فاستأذن عليه فأذِن

---

(١) أنساب الأشراف ٥/٣٦٨.
(٢) في (ب): «يقفل».
(٣) الطبري ٦/١٩٢.
(٤) أنساب الأشراف ٥/٣٦٩، نهاية الأرب ٢١/١٤٠، ١٤١.
(٥) الطبري ٦/١٩٢.
(٦) أنساب الأشراف ٥/٣٦٨، ٣٦٩.
(٧) أنساب الأشراف ٥/٣٦٩.
(٨) ما بين القوسين من (ب)، وقيل: هرّة. (تاريخ دمشق ٤٧٣).

له، فلمّا دخل سلّم عليه بالخلافة، فردّ عليه عبدُ الملك، ورحّب به وعانقه وأجلسه على السرير، فقال عُرْوة:

مَـتَّـتُ[1] بـأرحـامٍ إلـيـكَ قـريـبَـةٍ ولا قُـربَ لـلأرحـامِ مـا لم تُقَـرَّبِ[2]

ثمّ تحدّثا حتى جرى ذِكر عبد الله، فقال عُـرْوَة: إنّه كـان، فقال عبد الملك: وما فعل؟ قال: قُتل، فخرّ ساجداً، فقال عُرْوة: إنّ الحجّاج صلبه، فهبْ جثّته لأمّه. قـال: نعم، وكتب إلى الحَجّاج يعظّم صلبه. وكان الحجّاج لما فُقد عُرْوة كتب إلى عبد الملك يقول له: إنّ عُروة كان مع أخيه، فلمّا قُتل عبد الله أخذ مالاً من مال الله فهرب. فكتب إليه عبد الملك: إنّه لم يهرب، ولكنّه أتاني مبايعاً، وقد آمنته وحلّلته ممّا كان، وهو قادم عليك فإيّاك وعُروة وعاد عُروة إلى مكّة، وكانت غيبته عنها ثلاثين يوماً.

فأنزل الحَجّاج جثّة عبد الله عن الخشبة، وبعث به إلى أمّه، فغسّلته، فلمّا أصابه الماء تقطّع، فغسّلته عُضْواً عُضْواً، فاستمسك، وصلّى عليه عُروة، فدفنته[3].

وقيل: إنّ عُروة لما كان غائباً عند عبد الملك كتب إليه الحَجّاج وعاوده في إنفاذ عُروة إليه، فهَمّ عبد الملك بإنفاذه، فقال عُروة: ليس الذليل مَنْ قتلتموه، ولكنّ الذليل مَن ملّكتموه، وليس بملوم مَن صبر فمات، ولكنّ الملوم مَنْ فرّ من الموت. فسمع مثل هذا الكلام، فقال عبد الملك: يا أبا عبد الله لن[4] تسمع منّا شيئاً تكرهه[5].

وإنّ عبد الله لم يصلّ عليه أحد، منع الحَجّاج من الصلاة عليه، وقال: إنّما أمر أمير المؤمنين بدفنه، وقيل: صلّى عليه غير عُروة، والّذي ذكره مسلم في «صحيحه[6]»: أنّ عبد الله بن الزّبير أُلقي في مقابر اليهود، وعاشت أمّه بعده قليلاً وماتت، وكانت قد أضرّت، وهي أمّ عُروة أيضاً.

فلمّا فرغ الحجّاج من أمر ابن الزّبير دخل مكّة، فبايعه أهلها لعبد الملك بن مروان، وأمر بكنس المسجد الحرام من الحجارة والدم، وسار إلى المدينة، وكان عبد الملك قد استعمله على مكّة والمدينة، فلمّا قدِم المدينة أقام بها شهراً أو شهرين، فأساء إلى أهلها واستخفّ بهم وقال: أنتم قتَلَة أمير المؤمنين عثمان، وختم أيدي جماعة من الصحابة بالرصاص استخفافاً بهم، كما يُفعل بأهل الذمّة[7]، منهم جابر بن عبد الله،

(١) في الأوربية: «نمّت»، وفي أنساب الأشراف: «نمتّ».
(٢) أنساب الأشراف ٥/٣٧٠، نهاية الأرب ٢١/١٤٢.
(٣) أنساب الأشراف ٥/٣٧٠، تاريخ دمشق ٥٠٢، نهاية الأرب ٢١/١٤٢.
(٤) في الأوربية: «لئن».
(٥) أنساب الأشراف ٥/٣٧١.
(٦) انظر صحيح مسلم (٢٥٤٥) باب ذكر كذّاب ثقيف ومبيرها.
(٧) أنساب الأشراف ٥/٣٧٣.

وأَنس بن مالك، وسهل بن سعد، ثمّ عاد إلى مكّة، فقال حين خرج منها: الحمد لله الذي أخرجني من (أمّ نتن)[1]، أهلها أخبث بلد، وأغشّه لأمير المؤمنين، وأحسدهم له على نعمة الله، والله لو ما كانت تأتيني كتب أمير المؤمنين فيهم لجعلتُها مثل جوف الحمار أعواداً يعودون بها، ورِمّة قد بَلِيت، يغولون[2] منبر رسول الله ﷺ، (وقبر رسول الله ﷺ)[3]. فبلغ جابرَ بن عبد الله قولُه فقال: إنّ وراءه ما يسوءُه، قد قال فرعون ما قال، ثمّ أخذه الله بعد أن أنظره[4].

وقيل: إنّ ولاية الحجّاج المدينة وما فعله بأصحاب رسول الله ﷺ، كان سنة أربع وسبعين في صفر.

(خُبَيْب بن عبد الله بن الزّبير: بضمّ الخاء المعجمة، وببائَين موحّدتين بينهما ياء مثنّاة من تحت، وكان عبد الله يكنّى به وبأبي بكر أيضاً).

ذكر عمر ابن الزّبير وسيرته

كان له من العمر حين قُتل اثنتان وسبعون سنة[5]، وكانت خلافته تسع سنين[6]، لأنّه بويع له سنة أربع وستّين، وكانت له جمّة مفروقة طويلة[7].

قال يحيَى بن وثّاب: كان ابن الزّبير إذا سجد وقعت العصافير على ظهره، تظنّه حائطاً لسكونه وطول سجوده[8]. وقال غيره: قسّم عبد الله الدّهرَ ثلاث حالات: فليلة قائمٌ حتّى الصباح، وليلة راكعٌ حتّى الصباح، وليلة ساجدٌ حتّى الصباح[9].

وقيل: أوّل ما عُلم من همّة ابن الزبير أنّه كان ذات يوم يلعب مع الصبيان وهو صبيٌّ، فمرّ به رجل فصاح عليهم ففرّوا، ومشى ابن الزّبير القَهْقَرى وقال: يا صبيان اجعلوني أميركم، وشدّوا بنا عليه، ففعلوا[10]. ومرّ به عمرُ بن الخطّاب وهو يلعب، ففرّ

(١) في (آ) و(ب): «بين».
(٢) في (آ): «تقولون».
(٣) ما بين القوسين من (ب) و(ر).
(٤) أنساب الأشراف ٥/٣٧٤.
(٥) أنساب الأشراف ٥/٣٧٥.
(٦) تاريخ دمشق ٣٨٧ و٤٩١.
(٧) تاريخ دمشق ٤٠٨، نهاية الأرب ٢١/١٤٣.
(٨) تاريخ دمشق ٤٠٩، تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ٤٣٩، نهاية الأرب ٢١/١٤٣.
(٩) تاريخ دمشق ٤٠٣، نهاية الأرب ٢١/١٤٣.
(١٠) تاريخ دمشق ٤٠٣، العقد الثمين لقاضي مكة ٥/١٥٤، نهاية الأرب ٢١/١٤٣.

الصبيان ووقف هو، فقال له عمر: ما لك لم تفرّ معهم؟ فقال: لم أُجْرِم فأخافك، ولم تكن الطريق ضيّقة فأوسع لك[1].

وقال قَطَن بن عبد الله: كان ابن الزُّبير يواصل من الجمعة إلى الجمعة. قال خالد بن أبي عِمران: كان ابن الزّبير يُفْطر في الشهر ثلاثة أيّام، ومكث أربعين سنة لم ينزع (ثيابه عن ظهره)[2].

وقال مُجاهد: لم يكن باب من أبواب العبادة يعجز عنه الناس إلاّ تكلّفه ابن الزّبير، ولقد جاء سيلٌ طبّق البيت، فجعل ابن الزّبير يطوف سباحةً[3]. قال هشام بن عُرْوة: كان أوّل ما أفصح به عمّي عبد الله بن الزّبير وهو صغير السيف، فكان لا يضعه من يده، فكان الزّبير يقول: والله ليكوننّ لك منه يوم وأيّام[4]. قال ابن سيرين: قال ابن الزّبير: ما شيء كان يحدّثنا به كعب إلاّ وقد جاء على ما قال، إلاّ قوله: فتى ثقيف يقتلني، وهذا رأسه بين يديّ، يعني المختار[5]، قال ابن سيرين: ولا يشعر ابن الزّبير أنّ الحَجّاج قد خُبِّيء له.

وقال عبد العزيز بن أبي جَميلة الأنصاريُّ: إنّ ابن عمر مرّ بابن الزُّبير وهو مصلوب بعد قتله فقال: رحِمك الله أبا خُبَيْب! إنّك كنت لصَوّاماً قوّاماً، ولقد أفلحت قريش إن كنتَ شرّها[6].

وكان الحجّاج قد صلبه، ثمّ ألقاه في مقابر اليهود، وأرسل إلى أمّه يستحضرها، فلم تحضر، فأرسل إليها: لتأتينّي، أو لأبعثنّ إليكِ من يسحبك بقرونك، فلم تأته، فقام إليها. فلمّا حضر قال لها: كيف رأيتِني صنعتُ بعبد الله؟ قالت: رأيتك أفسدتَ على ابني دنياه، وأفسد عليك آخرتك، فإنّ رسول الله ﷺ، حدّثنا أنّ في ثقيف (كذّاباً ومبيراً، فأمّا الكذّاب)[7] فقد رأيناه، تعني المختار، وأمّا المبير فأنت هو. وهذا حديث صحيح أخرجه مسلم في صحيحه[8].

---

(١) تاريخ دمشق ٤٠٣، نهاية الأرب ١٤٣/٢١، العقد الثمين لقاضي مكة ١٥٤/٥.

(٢) في (ب): «ثوبه عن صدره». والخبر في: تاريخ دمشق ٤١٥، ونهاية الأرب ١٤٥/٢١.

(٣) تاريخ دمشق ٤١٧، تاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨٠ هـ.) ٤٤٠.

(٤) تاريخ دمشق ٤٦٥.

(٥) تاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨٠ هـ.) ص ٤٤٦، نهاية الأرب ١٤٤/٢١.

(٦) تاريخ دمشق ٤٨٨، نهاية الأرب ١٤٤/٢١.

(٧) في الأوربية: كذّاباً مبيراً يأتيه هذا الكذّاب.

(٨) في فضائل الصحابة (٢٥٤٥) من حديث أسماء بنت أبي بكر. وأخرجه أحمد في المسند ٢٦/٢، والترمذي في الجامع الصحيح (٢٢٢٠) و(٣٩٤٤) من حديث ابن عمر، والحميدي في مسنده ١٥٦/١، ١٥٧ رقم ٣٢٦، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٨٩، والذهبي في تاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨٠ هـ.) ص ٢٢٦، والنويري في نهاية الأرب ١٤٤/٢١.

وقال ابن الزّبير لعبد الله بن جعفر: أتذكر يوم لقينا رسول الله ﷺ، أنا وأنت فأخذ ابني فاطمة؟ فقال: نعم فحملنا وتركك، ولو علم أنّه يقول له هذا ما سأله.

ذكر ولاية محمّد بن مروان الجزيرة وأرمينية

وفي هذه السنة استعمل عبد الملك أخاه محمّداً على الجزيرة وأرمينية، فغزا منها وأثخن [في] العدو[1]، وكانت بُحَيرة الطرّيخ الّتي بأرمينية مباحة لم يعرض لها أحدُ، بل يأخذ منها من شاء، فمنع من صيدها، وجعل عليها مَنْ يأخذه ويبيعه ويأخذ ثمنه، ثمّ صارت بعده لابنه مروان، ثمّ أُخذت منه لما انتقلت الدولة عنهم، وهي إلى الآن على هذه الحال من الحجْر، ومَنْ سنّ سُنّة سيئة كان عليه وِزرُها ووِزر مَن عمل بها إلى يوم القيامة، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء.

وهذا الطّريخ من عجائب الدنيا، لأنّ سمكه[2] صغير، له كلّ سنة موسم، يخرج من هذه البحيرة في نهر يصبّ إليها كثيراً، يُؤخذ بالأيدي والآلات المصنوعة له، فإذا انقضى موسمه لا يوجد منه شيء.

ذكر قتل أبي فُدَيْك الخارجيّ

قد ذكرنا سنة اثنتين وسبعين قتل نَجْدة بن عامر الخارجيّ وطاعة أصحابه أبا فُدَيْك، وثبت قدم أبي فديك إلى الآن، فأمر عبد الملك بن مروان عمرَ بن عبيد الله بن مَعْمَر أن يندب الناس من أهل الكوفة والبصرة، ويسير إلى قتاله، فندبهم وانتدب معه عشرة آلاف، فأخرج لهم أرزاقهم، ثمّ سار بهم، وجعل أهل الكوفة على الميمنة، وعليهم محمّد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله، وأهل البصرة على الميسرة، وعليهم عمر بن موسى بن عُبيد الله بن مَعْمَر، وهو ابن أخي عمر، وجعل خيله في القلب، وساروا حتّى انتهوا إلى البحرين، فالتقوا واصطفّوا للقتال، فحمل أبو فُديك وأصحابه حملة رجلٍ واحد، فكشفوا ميسرة عمر حتّى أبعدوا، إلاّ[3] المغيرة بن المهلّب، ومُجّاعة بن عبد الرحمن، وفرسان الناس، فإنّهم مالوا إلى صفّ أهل الكوفة بالميمنة، وجُرح عمر بن موسى.

فلمّا رأى أهلُ الميسرة أهلَ الميمنة لم ينهزموا رجعوا وقاتلوا، وما عليهم أمير، لأنّ

---

(١) فتوح البلدان ٢٤٢ رقم ٥٢٠، وتاريخ الطبري ١٩٤/٦، نهاية الأرب ١٩٦/٢١.

(٢) في الأوربية: «لأنّه سمك».

(٣) في الأوربية: «إلى».

أميرهم عمر بن موسى كان جريحاً، فحملوه معهم، واشتدّ قتالهم حتّى دخلوا عسكر الخوارج، وحمل أهلُ الكوفة من الميمنة ومَنْ معهم من أهل الميسرة حتّى استباحوا عسكرهم، وقتلوا أبا فُديك، وحصروا أصحابه بالمُشقَّر، فنزلوا على الحكم، فقُتل منهم نحو ستّة آلاف وأُسر ثمانمائة، ووجدوا جارية عبد الله بن أميّة حُبْلَى من أبي فُديك، وعادوا إلى البصرة[1].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة عزل عبدُ الملك خالدَ بن عبد الله عن البصرة وولّاها أخاه بِشْراً، في قول بعضهم، فاجتمع له المِصران الكوفة والبصرة، فسار بِشرٌ إلى البصرة، واستخلف على الكوفة عَمْرو بن حُريث[2]. وفيها غزا محمد بن مروان الروم صائفةً فهزمهم[3]. وفيها كانت وقعة عثمان بن الوليد بالروم من ناحية أرمينية في أربعة آلاف، والروم في ستّين ألفاً، فهزمهم وأكثر القتل فيهم[4].

وحجّ بالناس هذه السنة الحجّاج[5]، وكان على مكّة واليمن واليمامة. وكان على الكوفة والبصرة في قول بعضهم بِشر بن مروان، وقيل: كان على الكوفة بِشر، وعلى البصرة خالد بن عبد الله، وعلى قضاء الكوفة شُرَيْح بن الحارث، وعلى قضاء البصرة هشام بن هُبَيرة، وعلى خُراسان بُكير بن وَسَّاج[6].

[الوَفَيات]

وفي هذه السنة مات عبد الله بن عمر[7] بمكّة ودُفن بذي طَوًى، وقيل بفَخّ، وكان سبب موته أنّ الحجّاج أمر بعض أصحابه، فضرب ظهر قدمه بِزُجّ رمح مسموم، فمات منها، وعاده الحَجّاج في مرضه، فقال: مَنْ فعل بك هذا؟ قال: أنتَ، لأنّك أمرتَ بحمل السلاح في بلدٍ لا يحلّ حمْله فيه[8]. وكان موته بعد ابن الزّبير بثلاثة أشهر، وقيل غير

---

(١) الطبري ٦/١٩٣، نهاية الأرب ٢١/١٥٠، ١٥١.

(٢) الطبري ٦/١٩٤، البداية والنهاية ٨/٣٤٧، نهاية الأرب ٢١/٢٠٥.

(٣) الطبري ٦/١٩٤، البداية والنهاية ٨/٣٤٧.

(٤) الطبري ٦/١٩٤.

(٥) تاريخ خليفة ٢٦٩، الأخبار الطوال ٣١٦، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٨١، المحبّر ٢٢، تاريخ الطبري ٦/١٩٤، مروج الذهب ٤/٣٩٨، تاريخ العظيمي ١٩٠، البداية والنهاية ٨/٣٤٧، نهاية الأرب ٢١/٢٠٥.

(٦) الطبري ٦/١٩٤ وفيه «بكير بن وِشاح»، البداية والنهاية ٨/٣٤٧.

(٧) انظر عن (عبد الله بن عمر) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٤٥٣ رقم ١٩٩ وفيه مصادر ترجمته.

(٨) أخرجه البخاري في العيدين ٢/٣٧٩ باب: ما يكره من حمل السلاح في العيد والحرم، من طريق: =

ذلك، وكان عمره سبعاً وثمانين سنة.

وفيها مات سَلِمة بن الأكوع[1]. وأبو سعيد الخُدْريُّ[2]. ورافع بن خَديج[3]. ومالك بن مِسمَع[4] أبو غسّان البكريّ، وقيل: مات سنة أربع وستّين، ووُلد على عهد رسول الله ﷺ.

وتوفّي سلم[5] بن زياد[6] بن أبيه قبل بشر بن مروان. وأسماء بنت أبي بكر[7] بعد ابنها بقليل، وكانت قد عَميت، وكانت مطلّقة من الزّبير، قيل: إنّ ابنها عبد الله قال له: مثلي لا تُوطأ أمّه، فطلّقها.

وفيها مات عوف بن مالك[8] الأشْجَعيُّ، وكان أوّل مشاهده خَيبر. ومعاوية بن حُدَيْج[9] قبل ابن عمر بيسير.

وفيها مات مَعْبد بن خالد[10] الجُهنيُّ، وهو ابن ثمانين سنة، وله صُحْبة.

وفيها قُتل عبد الرحمن بن عثمان[11] بن عُبيد الله مع ابن الزّبير، وهو ابن أخي طلحة بن عُبيد الله، وله صُحْبة.

رافع بن خَديج: بفتح الخاء المعجمة، وكسر الدّال المهملة. ومعاوية بن حُدَيْج: بضمّ الحاء، وفتح الدّال المهملتَين، وآخره جيم.

= أحمد بن يعقوب، وأخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٤/١٨٦ من طريق الفضل بن دُكين، عن إسحاق بن سعيد، عن سعيد يعني أباه، وابن عساكر في تاريخ دمشق ١٥٦، والذهبي في تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٤٦٦، ونهاية الأرب ٢١/٢٠٥.

(١) انظر عن (سلمة بن الأكوع) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٤١٢ رقم ١٧٩ وفيه مصادر ترجمته.

(٢) انظر عن (أبي سعيد الخدري) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٥٥١ رقم ٢٧٠ وفيه مصادر ترجمته.

(٣) انظر عن (رافع بن خديج) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٤٠٠ رقم ١٦٦ وفيه مصادر ترجمته.

(٤) انظر عن (مالك بن مِسْمَع) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٥٢١ رقم ٢٤٥ وفيه مصادر ترجمته.

(٥) في (آ) و(ر): «مسلم».

(٦) انظر عن (سلم بن زياد) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٢٣ و ٤٤.

(٧) انظر عن (أسماء بنت أبي بكر) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٣٥٣ رقم ١٣٧ وفيه مصادر ترجمتها.

(٨) انظر عن (عوف بن مالك) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٥٠١ رقم ٢٣٢ وفيه مصادر ترجمته.

(٩) انظر عن (معاوية بن حُدَيج) في: تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ص ٣٠٤ وفيه مصادر ترجمته.

(١٠) انظر عن (معبد بن خالد) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٥٢٨ رقم ٢٥٠ وفيه مصادر ترجمته.

(١١) انظر عن (عبد الرحمن بن عثمان) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٤٧٣ رقم ٢٠٧ وفيه مصادر ترجمته.

٧٤
ثم دخلت سنة أربعٍ وسبعين

في هذه السنة عزل عبدُ الملك طارقاً عن المدينة واستعمل عليها الحَجّاج، فأقام بها شهراً، وفعل بالصَّحابة ما تقدّم ذكره، وخرج عنها معتمِراً[١].

وفيها هدَم الحجّاج بناء الكعبة الذي كان ابن الزّبير بناه، وأعادها إلى البناء الأوّلَ، وأخرج الحجر منها[٢]، وكان عبد الملك يقول: كذب ابن الزّبير على عائشة في أنّ الحجر من البيت، فلمّا قيل له: قال غير ابن الزّبير إنّها روتْ ذلك عن رسول الله ﷺ، قال: وددتُ أنّي تركته وما يُحمَّل[٣].

وفيها استقضى عبد الملك أبا إدريس الخَوْلانيّ[٤].

ذكر ولاية المهلّب حرب الأزارقة

لما استعمل عبدُ الملك أخاه بِشراً على البصرة سار إليها، فأتاه كتابُ عبد الملك يأمره أنْ يبعث المهلّب إلى حرب الأزارقة في أهل البصرة ووجوههم، وكان ينتخب منهم مَنْ أراد أن يتركه وراءه في الحرب، وأمره أن يبعث من أهل الكوفة رجلاً شريفاً معروفاً بالبأس والنجدة والتجربة في جيشٍ كثيف إلى المهلّب، وأمرهم أن يتبعوا الخوارج أين كانوا حتّى يُهْلكوهم.

فأرسل المهلّبُ جُدَيْعَ[٥] بن سعيد بن قَبيصةَ، وأمره أن ينتخب الناس من الديوان،

---

(١) الطبري ٦/١٩٥، نهاية الأرب ٢١/١٤٦.

(٢) الطبري ٦/١٩٥، تاريخ خليفة ٢٧١، الأخبار الطوال ٣١٦، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٧٢، تاريخ العظيمي ١٩١، نهاية الأرب ٢١/١٤٥، ١٤٦، البداية والنهاية ٩/٢، أنساب الأشراف ج ٤ ق ١/٣٤٩ رقم ٩٠٠.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٧٤.

(٤) الطبري ٦/١٩٥.

(٥) في نهاية الأرب ٢١/١٥١ «خَدِيج»، والمثبت يتفق مع الطبري.

وشقّ على بِشر أن إمرة[1] المهلّب جاءت من [قِبَل] عبد الملك، فأوغرت صدرَه عليه حتّى كأنّه أذنبَ إليه، فدعا عبدَ الرحمن بن مِخنَف فقال له: قد عرفتُ منزلتك عندي، وقد رأيتُ أن أولّيك هذا الجيش الذي أسيّره من الكوفة للّذي عرفتُه منك، فكنْ عند أحسن ظنّي بك، وانظر إليّ هذا الكذا كذا، يقع في المهلّب، فاستبِدَّ عليه بالأمر، ولا تقبلنّ له مشورة ولا رأياً، وتنقّصه.

قال عبد الرحمن: فترك أن يوصّيني بالجيش وقتال العدوّ والنظر لأهل الإسلام، وأقبل يغريني بابن عمّي كأنّي من السُّفَهاء، ما رأيتُ شخصاً مثلي طمع منه في مثل هذا، قال: فلمّا رأى أنّي لستُ بنشيطٍ إلى جوابه قال لي: ما لك؟ قلتُ: أصلحك الله، وهل يسعني إلّا إنفاذ أمرك فيما أحببتُ وكرهتُ!

وسار المهلّب حتّى نزل رامَهُرْمُز، فلقي بها الخوارج فخندق عليه، وأقبل عبدُ الرحمن في أهل الكوفة ومعه بِشر بن جَرير، ومحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس، وإسحاق بن محمّد بن الأشعث، وزَحر بن قيس، فسار حتّى نزل على ميل من المهلّب، حيث يتراءى العسكران برامَهُرْمُز، فلم يلبث العسكر إلّا عشراً[2] حتّى أتاهم نعيُّ بِشر بن مروان، تُوُفّي بالبصرة، فتفرّق ناسٌ كثير من أهل البصرة وأهل الكوفة، واستخلف بِشرٌ على البصرة خالدَ بن عبد الله بن خالد، وكان خليفته على الكوفة عَمْرو بن حُرَيْث.

وكان الّذين انصرفوا من أهل الكوفة زَحر بن قيس، وإسحاق بن محمّد بن الأشعث، ومحمّد بن عبد الرحمن بن سعيد، فأتوا الأهواز، فاجتمع بها ناسٌ كثير، فبلغ ذلك خالدَ بن عبد الله، فكتب إليهم يأمرهم بالرجوع إلى المهلّب، ويهدّدهم إن لم يفعلوا بالضَّرْب والقتل، ويحذّرهم عقوبة عبد الملك، فلمّا قرأ الرسولُ من الكتاب عليهم سطراً أو سطرين قال زَحر: أوجِزْ، فلمّا فرغ من قراءته لم يلتفت الناسُ إليه، وأقبل زَحر ومَن معه حتّى نزلوا إلى جانب الكوفة، وأرسل إلى عَمرو بن حُرَيْث: إنّ النفر لما بلغهم وفاةُ الأمير تفرّقوا، فأقبلنا إلى مصر وأحببنا أن لا ندخل إلّا بإذن الأمير. فكتب إليهم يُنكِر عليهم عَوْدهم، ويأمرهم بالرجوع إلى المهلّب، ولم يأذن لهم في دخول الكوفة، فانتظروا الليلَ، ثمّ دخلوا إلى بيوتهم، فأقاموا حتّى قدِم الحجّاج أميراً[3].

---

(١) في الأوربية: «امرأة».
(٢) في الأوربية: «غزا».
(٣) الطبري ٦/١٩٦ ـ ١٩٨، نهاية الأرب ٢١/١٥١، ١٥٢.

ذكر عزل بُكَير عن خراسان وولاية أُميّة بن عبد الله بن خالد

في هذه السنة عزل عبدُ الملك بُكيرَ بن وَسّاج[1] عن خُراسان، وولّاها أميّة بن عبد الله بن خالد بن أُسيد، وكانت ولاية بُكير سنتين.

وكان سبب عزْله أنّ تميماً اختلفت بها، فصارت مُقاعسِ والبطون يتعصّبون لبَحِير، ويطلبون بُكَيراً، وصارت عوْفُ والأبناء يتعصّبون لبُكير، وكلّ هذه بطون من بني تميم، فخاف أهلُ خُراسان أن تعود الحرب وتفسد البلاد ويقهرهم المشركون، فكتبوا إلى عبد الملك بذلك، وأنّها لا تصلح إلاّ على رجلٍ من قريش لا يحسدونه ولا يتعصّبون عليه، فاستشار عبد الملك فيمن يولّيه، فقال أميّة: يا أمير المؤمنين تَدَاركْهم برجلٍ منك. قال: لولا انهزامك عن أبي فُدَيك كنتَ لها. قال: يا أمير المؤمنين، والله ما انهزمت حتّى خذلني الناس، ولم أجد مقاتلاً، فرأيتُ أنّ انحيازي إلى فئةٍ أفضل من تعريضي[2] عصبةً بقيت من المسلمين للهلكة، وقد كتب إليك خالد بن عبد الله بعُذْري، وقد علم الناس ذلك. فولّاه خُراسان. وكان عبد الملك يحبّه، فقال الناس: ما رأينا أحداً عُوّض من هزيمةٍ ما عُوّض أميّة[3].

فلمّا سمع بُكَير بمسيره أرسل إلى بَحير، وهو في حبسه، وقد تقدّم ذكر ذلك في مقتل ابن خازم، يطلب منه الصلح، فامتنع بَحير وقال: ظنّ بُكَير أنّ خُراسان تبقى له في الجماعة. ومشت السفراء بينهم، فأبَى ذلك بَحير، فدخل عليه ضِرار بن حُصَين الضَّبّيّ فقال: أراك أحمق! يرسل إليك ابنُ عمّك يعتذر إليك، وأنتَ أسيره، والسيف بيده، ولو قتلك ما حبقتَ، فلا تقبل منه! اقبَلِ الصلح واخرجْ وأنت على رأس أمرك. فقبل منه وصالح بُكَيراً، فأرسل إليه بُكَير بأربعين ألفاً، وأخذ عليه ألاّ يقاتله، وخرج بَحير، فأقام يسأل عن مسير أميّة، فلمّا بلغه أنّه قد قارب نَيْسابور سار إليه، ولقِيه بها، فأخبره عن خُراسان وما يحسن به طاعة أهلها، ورفع على بُكَير أموالاً أخذها، وحذّره غدره، وسار معه حتّى قَدِم مَرْو، وكان أميّة كريماً، ولا يَعرض لبُكَير ولا لعُمّاله، وعرض عليه شُرطته فأبى، فولّاها بَحيرَ بن ورقاء، فلامَ بُكَيراً رجالٌ من قومه، فقال: كنتُ بالأمس أميراً تُحمل الحراب بين يديّ، فأصير اليوم أحمل الحربة!

ثمّ خيّر أميّةُ بُكَيراً أن يولّيه ما شاء من خُراسان، فاختار طَخارستان، قال: فتجهّز لها، فأنفق مالاً كثيراً. فقال بَحير لأميّة: إن أتَى طخارستان خلعك، وحذّره فلم يولّه[4].

---

(١) الطبري: «وشاح».

(٢) في الأوربية: «تعرّضي».

(٣) الطبري ٦/١٩٩، ٢٠٠.

(٤) الطبرى ٦/١٩٩ - ٢٠١، تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) - ص ٣١٨، البداية والنهاية ٩/٣.

أَسِيد: بفتح الهمزة، وكسر السّين. وبَحِير: بفتح الباء الموحّدة، وكسر الحاء.

ذكر ولاية عبد الله بن أميّة سجستان

لما وصل أميّة بن عبد الله إلى كَرمان استعمل ابنَه عبدَ الله على سِجِسْتان، فلمّا قدِمَها غزا رُتبيل الذي ملك بعد المقتول[1] الأوّل، وكان رتبيل هائباً للمسلمين، فلمّا وصل عبدُ الله إلى بُست أرسل رُتبيل يطلب الصلح، وبذل ألفَ ألفٍ، وبعث إليه بهدايا ورقيق، فأبَى عبد الله قبول ذلك وقال: إن ملأ لي هذا الرواق ذهباً، وإلّا فلا صُلْح. وكان غِرًّا[2]، فخلّى له رُتبيلُ البلاد حتّى أوغل فيها، وأخذ عليه الشِّعاب والمضايق[3]، وطلب أن يخلّي عنه وعن المسلمين، ولا يأخذ منه شيئاً، فأبَى رُتبيلُ وقال: بل يأخذ ثلاثمائة ألف درهم صُلحاً، ويكتب لنا به كتاباً، ولا يغزو بلادنا ما كنتُ أميراً، ولا يحرق ولا يخرب. ففعل، وبلغ ذلك عبدَ الملك فعزله[4].

ذكر ولاية حسّان بن النُّعْمان إفريقية

قد ذكرنا ولاية زُهَير بن قيس سنة اثنتين وستّين، وكان قتْله سنة تسعٍ وستّين، فلمّا علم عبد الملك قَتْله عظُمَ عليه وعلى المسلمين وأهمّه ذلك، وشغله عن إفريقية ما كان بينه وبين ابن الزّبير، فلمّا قُتل ابنُ الزُّبير، واجتمع المسلمون عليه، جهّز جيشاً كثيراً، واستعمل عليهم وعلى إفريقية حسّان بن النُعمان الغسّانيّ، وسيّرهم إليها في هذه السنة[5]، فلم يدخل إفريقية قطّ جيشٌ مثله.

فلمّا ورد القيروان تجهّز منها وسار إلى قرطاجنّة، وكان صاحبها أعظم ملوك إفريقية، ولم يكن المسلمون قطّ حاربوها، فلمّا وصل إليها رأى بها من الروم والبربر ما لا يُحْصَى كثرة، فقاتلهم وحصرهم وقتل منهم كثيراً، فلمّا رأوا ذلك اجتمع رأيهم على الهرب، فركبوا في مراكبهم، وسار بعضهم إلى صقلّية، وبعضهم إلى الأندلس، ودخلها حسّان بالسيف، فسبَى ونهب، وقتلهم قتلاً ذريعاً، وأرسل الجيوش فيما حولها، فأسرعوا إليه خوفاً، فأمرهم فهدموا من قرطاجنّة ما قدروا عليه[6].

---

(١) في (ب): «العقول».

(٢) في الأوربية: «غزا». وفي فتوح البلدان: «غَزّاءً».

(٣) العبارة في فتوح البلدان: «حتى إذا أوغل فيها أخذ عليه الشعاب والمضايق».

(٤) فتوح البلدان ٤٩١، وانظر: تاريخ اليعقوبي ٢/٢٧١، ٢٧٢.

(٥) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٧٧.

(٦) الحلّة السيراء ٢/٣٣١، نهاية الأرب ٢٤/٣٥، البيان المغرب ١/٣٤، ٣٥ (حوادث ٧٨ هـ.)، مآثر الإنافة ١/١٣٣.

ثمّ بلغه أنّ الروم والبربر قد اجتمعوا له في صَطْفورة[1] وبَنْزرت، وهما مدينتان، فسار إليهم وقاتلهم، ولقي منهم شدّةً وقوّة، فصبر لهم المسلمون، فانهزمت الروم، وكثُرَ القتل فيهم، واستولوا على بلادهم، ولم يترك حسّان موضعاً من بلادهم إلّا وطِئه، وخافه أهلُ إفريقية خوفاً شديداً، ولجأ المنهزمون من الروم إلى مدينة باجَة، فتحصّنوا بها، وتحصّن البربرُ بمدينة بُونة، فعاد حسّان إلى القيروان لأنّ الجراح قد كثُرت في أصحابه، فأقام بها حتّى صحُّوا[2].

ذكر تخريب إفريقية

لما صلح الناس قال حسّان: دلّوني على أعظم مَن بقي من ملوك إفريقية، فدلّوه على امرأة تملك البربر تُعرف بالكاهنة، وكانت تُخبرهم بأشياء من الغيب، ولهذا سُمّيت الكاهنة، وكانت بربريّة، وهي بجبل أوراس، وقد اجتمع حولها البربر بعد قتل كُسَيْلة، فسأل أهلَ إفريقية عنها، فعظّموا محلّها وقالوا له: إن قتلتَها لم تختلف البربر بعدها عليك. فسار إليها، فلمّا قارَبَها هدمت حصن باغاية ظنّاً منها أنّه يريد الحصون، فلم يعرِّج[3] حسّان على ذلك وسار إليها، فالتقوا على نهر نِيني[4]، واقتتلوا أشدّ قتال رآهُ الناس، فانهزم المسلمون وقُتل منهم خلقٌ كثير، وانهزم حسّان وأسر جماعة كثيرة أطلقتهم الكاهنة، سوى خالد بن يزيد القيسي، وكان شريفاً شجاعاً، فاتّخذته ولداً.

وسار حسّان حتّى فارق إفريقية، وأقام وكتب إلى عبد الملك يُعْلمه الحال، فأمره عبد الملك بالمُقام إلى أن يأتيه أمره. فأقام بعمل برقة خمس سِنين، فسُمّي ذلك المكان قصور حسّان إلى الآن، وملكت الكاهنةُ إفريقية كلّها، وأساءت السيرةَ في أهلها وعَسَفَتْهم وظلمتهم.

ثمّ سيّر إليه عبد الملك الجنود والأموال، وأمره بالمسير إلى إفريقية وقتال الكاهنة، فأرسل حسّان رسولاً سرّاً إلى خالد بن يزيد، وهو عند الكاهنة، بكتاب يستعلم منه الأمور، فكتب إليه خالد جوابه في رقعة يعرّفه تفرّق البربر، ويأمره بالسرعة، وجعل الرقعة في خُبْزة[5]، وعاد الرسول، فخرجت الكاهنةُ ناشرةً شعرها تقول: ذهب ملكهم فيما[6]

---

(١) صطْفورة: المرجّح أنها شبه الجزيرة الواقع شمال تونس، وفيه بَنزرت.
(٢) نهاية الأرب ٢٤/٣٥، البيان المغرب ١/٣٥.
(٣) في الأوربية: «يفرج».
(٤) نهرنيني: المرجّح أنه أحد النُهَيرات التي تصبّ في جرعة الطرف، قريباً من تبسة. (أنظر: فتح العرب للمغرب، للدكتور حسين مؤنس - ص ٢٤٧).
(٥) في الأوربية: «خبره».

يأكل الناس. فطُلب الرسول فلم يوجد، فوصل إلى حسّان وقد احترق الكتابُ بالنار، فعاد إلى خالد، وكتب إليه بما كتب أوّلاً، وأودعه قَربوس السَّرج.

فسار حسّان، فلمّا علمت الكاهنةُ بمسيره إليها قالت: إنّ العرب يريدون البلادَ والذهبَ والفضّة، ونحن إنّما نريد المزارع والمراعي، ولا أرى إلاّ [أن] أخرّب إفريقية حتّى ييأسوا[1] منها. وفرّقت أصحابها ليخرّبوا البلاد، فخرّبوها وهدموا الحصون ونهبوا الأموال، وهذا هو الخراب الأوّل لإفريقية.

فلمّا قرب حسّان من البلاد لقِيه جمْعٌ من أهلها من الروم يستغيثون من الكاهنة، ويشكون إليه منها، فسرّه ذلك وسار إلى قابس، فلقيه أهلها بالأموال والطّاعة، وكانوا قبل ذلك يتحصّنون من الأمراء، وجعل فيها عاملاً، وسار إلى قَفْصة ليتقرّب الطريق، فأطاعه مَنْ بها، واستولى عليها وعلى قَسْطِيلِيَة ونَفْزاوة.

وبلغ الكاهنةَ قدومُه، فأحضرت ولدين لها وخالد بن يزيد وقالت لهم: إنّني مقتولة، فامضوا إلى حسّان، وخُذوا لأنفسكم منه أماناً. فساروا إليه وبقوا معه، وسار حسّان نحوها، فالتقوا واقتتلوا، واشتدّ القتال وكثُر القتل حتّى ظنّ الناسُ أنّه الفناء، ثمّ نصر الله المسلمين، وانهزم البربر وقُتلوا قتلاً ذريعاً، وانهزمت الكاهنة، ثمّ أُدْركتْ فقُتلت.

ثمّ إنّ البربر استأمنوا إلى حسّان، فآمنهم وشرط عليهم أن يكون منهم عسكر مع المسلمين عدّتهم اثنا[2] عشر ألفاً يجاهدون العدوّ، فأجابوه إلى ذلك، فجعل على هذا العسكر ابنَي الكاهنة. ثمّ فشا الإسلامُ في البربر، وعاد حسّان إلى القَيروان في رمضان من السنة، وأقام لا ينازعه أحد إلى أن تُوُفّي عبد الملك.

فلمّا وليَ الوليدُ بن عبد الملك ولّى إفريقية عمّه عبد الله بن مروان، فعزل عنها حسّاناً، واستعمل موسى بن نُصَير سنة تسعٍ وثمانين، على ما نذكره إن شاء الله.

وقد ذكر الواقديُّ أنّ الكاهنة خرجت غضباً لقتل كُسَيْلة وملكت إفريقية جميعها، وعملت بأهلها الأفاعيلَ القبيحة، وظلمتهم الظلمَ الشنيع، ونال مَن بالقيروان من المسلمين أذًى شديدٌ بعد قتل زُهير بن قيس سنة سبْعٍ وستّين، فاستعمل عبدُ الملك على إفريقية حسّانَ بن النعمان، فسار في جيوشٍ كثيرة، وقصد الكاهنة، فاقتتلوا، فانهزم المسلمون وقُتل منهم جماعة كثيرة، وعاد حسّان منهزماً إلى نواحي برقة، فأقام بها إلى

---

(٦) في الأوربية: «فما».

---

(١) في الأوربية: «يأسوا».
(٢) في الأوربية: «اثني».

سنة أربعٍ وسبعين، فسيّر إليه عبد الملك جيشاً كثيفاً وأمره بقصد الكاهنة، فسار إليها وقاتلها فهزمها، وقتلها وقتل أولادها، وعاد إلى القَيروان[1].

وقيل: إنّه لما قتل الكاهنة عاد من فوره إلى عبد الملك، واستخلف على إفريقية رجلاً اسمه أبو صالح، إليه يُنسب فَحْص صالح.

ذكر عدّة حوادث

حجّ بالناس هذه السنة الحجّاج بن يوسف[2]، وكان على قضاء المدينة عبد الله بن قيس بن مَخرمة، وعلى قضاء الكوفة شُريح، وعلى قضاء البصرة هشام بن هُبَيرة[3].

وقيل: إنّ عبد الملك اعتمر هذه السنة، ولا يصحّ.

(وفيها غزا محمّد بن مروان الروم صائفةً، فبلغ أَندولية)[4].

[الوَفَيَات]

وفيها مات جابر بن سَمُرَة[5] السوائيُّ في إمارة بِشر بن مروان بالكوفة، وفي إمارته أيضاً مات أبو جُحَيفة[6] بالكوفة. وفيها مات عَمرو بن مَيمون[7] الأوْديُّ، وقيل: سنة خمس وسبعين، وكان قد أدرك الجاهليّة، وهو من المعمَّرين. وفيها مات عبد الله بن عُتْبَة[8] بن مسعود، وكان من عُمّال عمر، وقيل: مات سنة ثلاث وسبعين. وفيها مات

---

(١) نهاية الأرب ٢٤/٣٥ - ٣٨، البيان المغرب ١/٣٥ - ٣٨، تاريخ ابن خلدون ٤/٤٠١، رياض النفوس للمالكي ١/٣١ - ٣٤، والحلّة السيراء ٢/٣٣١، ٣٣٢ باختصار شديد، وفتوح مصر لابن عبد الحكم ٨٢، وفتح العرب للمغرب ٢٣١ وما بعدها.

(٢) تاريخ خليفة ٢٧٠، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٨١، المحبّر ٢٤ وفيه (يقال: عبد الملك)، تاريخ الطبري ٦/٢٠١، مروج الذهب ٤/٣٩٨، ٣٩٩، تاريخ العظيمي ١٩١، البداية والنهاية ٩/٣، نهاية الأرب ٢١/٢٠٦.

(٣) الطبري ٦/٢٠١.

(٤) ما بين القوسين من (ب)، والخبر في: تاريخ خليفة ٢٧٠ وفيه «أندرلية»، وفي معجم البلدان «أندرين»، ومثله في: معجم ما استعجم للبكري، وهي قرية من قرى الجزيرة. وذكر البلاذري غزوة لمحمد بن مروان في هذه السنة إلى الروم، ولم يحدّد مكانها. (فتوح البلدان ٢٢٤ رقم ٤٩٥).

(٥) انظر عن (جابر بن سمرة) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٨٢ رقم ١٣ وفيه مصادر ترجمته.

(٦) في الأوربية: «جُحَيفة». وانظر عن (أبي جُحَيفة) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٥٤٩ رقم ٢٦٧ وفيه مصادر ترجمته.

(٧) انظر عن (عمرو بن ميمون) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٤٩٦ رقم ٢٢٧ وفيه مصادر ترجمته.

(٨) انظر عن (عبد الله بن عتبة) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) - ص ٤٥٢ رقم ١٩٨ وفيه مصادر ترجمته.

عبد الرحمن بن عثمان[1] التَّيميُّ، وله صُحْبَة.

وفيها مات محمّد بنِ حاطب[2] بن الحارث الجُمَحيُّ، وكان مولده بأرض الحبشة، وأُتِي به النبيُّ ﷺ.

وفيها مات أبو سعيد بن مُعَلّى[3] الأنصاريُّ.

وفيها مات أوْس بن ضمعج[4] الكوفي.

ضمْعج: بالضاد المعجمة والجيم.

---

(١) انظر عن (عبد الرحمن بن عثمان) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٤٧٣ رقم ٢٠٧ وفيه مصادر ترجمته.

(٢) انظر عن (محمد بن حاطب) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٥٢٢ رقم ٢٤٧ وفيه مصادر ترجمته.

(٣) انظر عن (أبي سعيد بن المُعَلّى) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٥٥٤ رقم ٢٧٠ ب، وفيه مصادر ترجمته.

(٤) انظر عن (أوس بن ضمعج) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٣٦٤ رقم ١٤١ وفيه مصادر ترجمته.

٧٥
ثم دخلت سنة خمسٍ وسبعين

في هذه السنة غزا محمّد بن مروان الصائفة حين خرجت الروم من قِبَل مَرْعَش[١].

ذكر ولاية الحجّاج بن يوسف العراق

في هذه السنة ولّى عبدُ الملك الحجّاجَ بن يوسف العراقَ دون خُراسان وسِجِسْتان، فأرسل إليه عبد الملك بعهده على العراق وهو بالمدينة، وأمره بالمسير إلى العراق، فسار في اثني عشر راكباً على النّجائب حتّى دخل الكوفة حين انتشر النهار فجأةً، وقد كان بِشر بعث المهلّب إلى الخوارج، فبدأ الحَجّاج بالمسجد فصعد المنبر وهو متلثّم بعمامة خزّ حمراء فقال: عليّ بالناس، فحسبوه وأصحابه خارجيّةً، فهمّوا به وهو جالس على المنبر ينتظر اجتماعهم، فاجتمع الناسُ وهو ساكتٌ قد أطال السكوتَ، فتناول محمّد بن عُمَير حصباء وأراد [أن] يحصبه بها[٢] وقال: قاتله الله ما أغباه وأذمّه! والله إنّي لأحسب خبره كَرُوائه. فلمّا تكلّم الحجّاج جعلت الحصباء تنتثرُ من يده وهو لا يعقل به، قال: ثمّ كشف الحجّاج عن وجهه وقال:

أنا ابنُ جَلا وطَلاّعُ الثّنايا   متى أضعِ العِمامَةَ تَعرِفُوني[٣]

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٨١، تاريخ خليفة ٢٧١ وفيه خرجت الروم إلى الأعماق، فتوح البلدان ٢٢٤، تاريخ الطبري ٦/٢٠٢، تاريخ العظيمي ١٩١، تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٣٢٥، البداية والنهاية ٩/٧.

(٢) في الأوربية: «به».

(٣) البيت من قصيدة لسُحَيم بن وثيل الرياحي، رواها الأصمعي في: الأصمعيّات، طبعة لايبزغ - ص ٧٣، والبيان والتبيين ٢/٢٢٤، والبدء والتاريخ ٦/٢٩، وعيون الأخبار ٢/٢٤٣، وتاريخ الطبري ٦/٢٠٢، والفتوح لابن أعثم ٧/٥، والعقد الفريد ٤/١٢٠ و ٥/١٧، والأغاني ١٢ (طبعة بولاق)، وتاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٣٢١، والبداية والنهاية ٩/٨، ونهاية الأرب ٢١/٢٠٧، والتذكرة الحمدونية ١/٤٣٦.

أما والله إنّي لأحمل الشرّ محمله[1]، وأحذوه بنعله[2]، وأجزيه بمثله، وإنّي لأرى رؤوساً قد أينعت وقد[3] حان قِطَافُها[4]، إنّي لأنظر إلى الدّماء بين[5] العمائم واللّحى:

قد شمّرت عن ساقها تشميرا[6]

هذا أوانُ الحَرْبِ[7] فاشتدّى زِيَمْ   قد لفّها الليلُ بسوّاقٍ حُطَمْ
ليسَ براعي إبلٍ ولا غَنَمْ   ولا بجَزّارٍ على ظهرِ[8] وَضَمْ[9]

ثمّ قال:

قد لَفّها الليلُ بعَصْلَبيٍّ   أروعَ خرّاجٍ منَ الدَّوّيِّ
مُهاجرٍ لَيسَ بأعْرابيٍّ[10]

ليسَ أوان بكرةِ[11] الخِلاطِ   جاءتْ بهِ والقُلُص الأعلاطِ
تهوي هُويَّ سابق الغَطاطِ[12]

إنّي والله يا أهل العراق ما أُغمز كتغماز[13] التين، ولا يُقَعْقَع لي بالشِّنان[14]، ولقد فُرِرتُ[15] عن ذكاء[16] وجريتُ إلى الغايةِ القُصوى. ثمّ قرأ: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ

(١) في البيان والتبيين ٢/٢٢٤ «إني لاحتمل الشر بحمله».
(٢) في الأوربية: «وآخذه بفعله».
(٣) ليست في البيان والتبيين، وتاريخ الطبري.
(٤) في البيان زيادة بعدها: «وإني لصاحبها».
(٥) في البيان: «إلى الدماء ترقرق بين».
(٦) مجمع الأمثال للميداني ٢/٣٤٤، وفي البيان: «فشمرا»، وفي نهاية الأرب ٢١/٢٠٨ «فشدّوا».
(٧) في البيان، وتاريخ الطبري، وغيره «الشدّ».
(٨) في الأوربية: «لحم».
(٩) الرجز لرُوَيشد بن رُميض العنبري، وهو في: البيان والتبيين ٢/٢٢٤، والمخصّص لابن سيده ٥/٢٢، وتاريخ الطبري ٦/٢٠٣، والعقد الفريد ٤/١٢٠، والفتوح لابن أعثم ٧/٦، ومروج الذهب ٣/١٣٤، والأغاني ١٥/٢٥٤ و ٢٥٥ ونهاية الأرب ٢١/٢٠٨، وتاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٣٢١، والبدء والتاريخ ٦/٢٩، والتذكرة الحمدونية ١/٤٣٧، ونثر الدر ٥/١٣، والمستطرف ١/٥٠ - ٥٢.
(١٠) الرجز في: البيان والتبيين ٢/٢٢٤، وتاريخ الطبري ٦/٢٠٣، والعقد الفريد ٤/١٢١، ومروج الذهب ٣/١٣٤، ونهاية الأرب ٢١/٢٠٨، وتاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٣٢٢، ولسان العرب (مادّة عصلب)، والتذكرة الحمدونية ١/٤٣٧.
(١١) في تاريخ الطبري، ونهاية الأرب: «يكره».
(١٢) في الأوربية: «سائق العُطاط». والرجز في: تاريخ الطبري ٦/٢٠٣، ونهاية الأرب ٢١/٢٠٨.
(١٣) في الأوربية: «ما أغمزه بتغماز».
(١٤) الشِنان: القِرَب البالية، وكانوا يستحثّون بها الإبل على السير.
(١٥) فر: كشف عن أسنانه ليعرف عمره.

آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيها رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَها اللَّهُ لِبَاسَ الجُوعِ وَالخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[١]؛ وأنتم أولئك وأشباه أولئك، إنّ أمير المؤمنين عبد الملك نثر كِنانته، فعجم عِيدانَها[٢]، فوجدني أمَرّها عُوداً، وأصلبها مَكْسراً[٣]، فوجّهني إليكم ورمى بي في نُحُوركم، فإنّكم أهل بغيٍ وخلافٍ وشِقاق ونِفاق، فإنّكم طالما أوضعتم في الشرّ[٤]، وسننْتُم سُنَن الغيّ، فاستوثقوا[٥] واستقيموا، فواللّهِ لأُذيقنّكم الهوانَ ولأمرينّكم به حتّى تَدِرّوا، ولألحونّكم لحوَ العُود[٦]، ولأعصبنّكم عَصْبَ السَّلَمة حتّى تذلّوا[٧]، ولأضربنّكم ضربَ غرائب الإبل[٨] حتّى تَذَروا العصيان وتنقادوا، ولأقرعنّكم قرعَ المروة حتّى تلينوا.

إنّي والله ما أعِدُ إلاّ وفيتُ، ولا أخلق إلاّ فريتُ، فإيّاي وهذه الجماعات[٩]، فلا يركبنّ رجل إلاّ وحده، أُقسم بالله لَتُقْبِلُنّ[١٠] على الإنصاف، ولتدعُنّ الإرجاف، وقيلاً وقالاً وما تقول وما يقول وأخبرني فلان[١١]، أو لأدعنّ لكلّ رجلٍ منكم شغلاً في جسده! فيمَ أنتم وذاك؟ والله لتستقيمُنّ على الحقّ، أو لأضربنّكم بالسيف ضرباً يدَعُ النساء أيامى، والوِلدان يتامى، حتّى تذَروا السُّمَّهى[١٢]، وتُقلعوا عن هَا وهَا[١٣]، ألا إنّه لو ساغ لأهل المعصية معصيتهم ما جُبِيَ فَيْءٌ[١٤]، ولا قوتل عدوٌّ، ولعُطِّلت الثغور، ولولا أنّهم يُغْزَون كَرْهاً ما غزوا طَوْعاً!

وقد بلغني رفْضُكم المهلَّب، وإقبالُكم على مِصْركم عاصين[١٥] مخالفين، وإنّي

---

(١٦) ذكاء: نهاية الشباب.

---

(١) سورة النحل، الآية ١١٢.
(٢) في البيان: «كبّ كنانته ثم عجم عيدانها».
(٣) في البيان: «وأصلبها عوداً».
(٤) في البيان «في الفتن».
(٥) في (آ): «فاستوسقوا»، وهو صحيح أيضاً.
(٦) في البيان: «لحو العصا».
(٧) الطبري ٦/٢٠٤ «تنقادوا».
(٨) في (آ): «غرابيب الأثل».
(٩) في الأوربية: «الجمعات».
(١٠) في الطبعة الأوربية: «لتقلبُنّ».
(١١) الطبري: «ولتدعنّ الإرجاف، وكان وكان، وأخبرني فلان عن فلان».
(١٢) في الأوربية: «السّهمى».
(١٣) في الأوربية: «هواها».
(١٤) في الأوربية: «جيء فيئي».
(١٥) الطبري ٦/٢٠٤ «عُصاة».

أُقسم بالله لا أجد أحداً من عسكره بعد ثلاثة[1] إلاّ ضربتُ عنقه، وأنهبتُ داره[2]!

ثمّ أمر بكتاب عبد الملك، فقُرِئَ على أهل الكوفة، فلمّا قال القارىء: أمّا بعدُ، سلامٌ عليكم، فإنّي أحمدُ الله إليكم، قال له: اقطعْ، ثمّ قال: يا عَبِيد العصا، يسلّم عليكم أمير المؤمنين فلا يردّ رادٌّ منكم السلام! أما والله لأؤدبنّكم غير هذا الأدب! ثمّ قال للقارىء: اقرأ، فلمّا قرأ: سلامٌ عليكم، قالوا بأجمعهم: سلام الله على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته[3].

ثمّ دخل منزله لم يزدْ على ذلك، ثمّ دعا العُرَفاء وقال: أَلحقوا الناسَ بالمهلّب، وائتوني بالبراءآت بموافاتهم، ولا تغلقُنّ أبواب الجسر[4] ليلاً ولا نهاراً حتّى تنقضي هذه المدّة.

تفسير هذه الخطبة

قوله: أنا ابن جلا، فابن جلا[5] هو الصبح لأنّه يجلو الظُّلْمة. وقوله: فاشتدّي زِيَم، هو اسم للحرب، والحُطَم: الذي يحطِم كلّ ما مرّ به، والوَضَم: ما وقي به اللحم عن الأرض، والعصلبيّ الشديد، والأعلاط من الإبل التي لا أرسان عليها. وقوله: فعجم عِيدانها، أي عضها واختبرها. وقوله: لأعصبنّكم عصْب السَّلَمة، فالعَصْب القطْع، والسَّلَم شجر من العضاه[6]. وقوله: لا أخلق إلاّ فريت، فالخلق التقدير، ويقال: فريت الأديمَ إذا أصلحته. والسُّمّهى: الباطل، وأصله ما تسمّيه العامّة مُخاط الشيطان. والعُطّاط، بضمّ العين، وقيل بفتحها: ضرْبٌ من الطَّير.

فلمّا كان اليوم الثالث سمع تكبيراً في السوق، فخرج حتّى جلس على المنبر

---

(١) الطبري: «ثالثة».

(٢) في البيان: «من وجدت بعد ثالثة من بعث المهلّب سفكت دمه، وانتهبت ماله».

(٣) انظر خطبة الحجّاج في: البيان والتبيين ٢/ ٢٢٣ ـ ٢٢٥، وتاريخ الطبري ٦/ ٢٠٢ ـ ٢٠٦، وعيون الأخبار ٢/ ٢٤٣ وما بعدها، والفتوح لابن أعثم ٧/ ٤، والعقد الفريد ٤/ ١١٥، ومروج الذهب ٣/ ١٣٣ وما بعدها، والبدء والتاريخ ٦/ ٢٩، ٣٠، ونهاية الأرب ٢١/ ٢٠٧ ـ ٢١٠، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١/ ١١٤، وتاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨٠ هـ.) ص ٣٢٠ ـ ٣٢٣، وصبح الأعشى للقلقشندي ١/ ٢١٨، والبداية والنهاية ٩/ ٨، ٩، والكامل للمبرّد ١/ ٣٣٣ ـ ٣٤٠، والتذكرة الحمدونية ١/ ٤٣٦، ٤٣٧.

(٤) في (آ): «القصر».

(٥) مجمع الأمثال للميداني ١/ ٤٦.

(٦) في الأوربية: «الغضاة».

فقال: يا أهلَ العراق، وأهلَ الشِّقاق والنِّفاق، ومساوىء الأخلاق! إنّي سمعتُ تكبيراً ليس بالتّكبير الذي يُراد به وجه الله[1]، ولكنّه التّكبير الذي يُراد به التّرهيب، وقد عرفتُ أنها عَجاجةٌ تحتها قَصْف، يا بني اللّكيعة وعَبِيد العصا، وأبناء الأيامى، ألا يَرْبَع رجلٌ منكم على ظَلْعه[2]، ويُحْسن حَقْن دمه، ويعرف موضع قدمه! فأُقسم بالله لأوشكُ أن أوقع بكم وقعةً تكون نَكالاً لِما قبلها، وأدباً لما بعدها.

فقام عُمير بن ضابىء الحنظليُّ التّميميُّ[3] فقال: أصلح اللّهُ الأميرَ، أنا في هذا البعث، وأنا شيخ كبيرٌ عليل، وابني هذا أشبّ[4] منّي. فقال الحجّاج: هذا خيرٌ لنا من أبيه، ثمّ قال: ومَنْ أنتَ؟ قال: أنا عُمير بن ضابىء. قال: أسمعتَ كلامنا بالأمس؟ قال: نعم. قال: ألستَ الّذي غزا عثمان بن عفّان؟ قال: بلى. قال: يا عدوّ الله، أفلا إلى عثمان بُعِثتَ بدلاً؟ وما حملك على ذلك؟ قال: إنّه حبس أبي، وكان شيخاً كبيراً. قال: أوَلستَ القائل:

همَمتُ ولم أفعَلْ وكِدْتُ ولَيتَني ... تركتُ على عثمانَ تَبكي حَلائلُهْ

إنّي لأحسبُ أنّ في قتلك صلاح المِصْرَيْن. وأمر به، فضُربت رقبتُه، وأُنهِب مالُه[5].

وقيل: إنّ عنبسة بن سعيد بن العاص قال للحجّاج: أتعرف هذا؟ قال: لا. قال: هذا أحد قتَلَة عثمان. فقال الحجّاج: أي عدوّ الله! أفلا إلى أمير المؤمنين بُعثتَ بديلاً؟ ثمّ أمرَ به فضُربت عنقُه، وأمر منادياً فنادى: ألا إنّ عُمير بن ضابىء أتى بعد ثلاثة، وكان سمع النداء، فأمرنا بقتله، ألا إنّ ذمّة الله بريئة ممّن لم يأتِ[6] الليلة من جُنْد المهلّب.

فخرج الناسُ فازدحموا على الجسر، وخرج العُرفاء إلى المهلّب، وهو برامَهُرْمُز، فأخذوا كُتُبه بالموافاة. فقال المهلّب: قدِم العراقَ اليومَ رجلٌ ذكَر، اليومَ قُوتل العدوّ[7].

فلمّا قتل الحجّاج عُميراً لقي إبراهيمُ بن عامر الأسديُّ عبدَ الله بن الزّبير، فسأله عن الخبر، فقال:

---

(1) الطبري ٦/٢٠٦: «الذي يراد الله به في الترغيب».

(2) في الأوربية: «ظلفه».

(3) في الأوربية: «التيمي».

(4) في (ر): «أثبت» و (آ): «أشت».

(5) الطبري ٦/٢٠٦، ٢٠٧، نهاية الأرب ٢١/٢١١، مروج الذهب ٣/١٣٦، ١٣٧، التذكرة الحمدونية ١/٤٣٨، وفيات الأعيان ٢/٣٤.

(6) في (آ): «بات».

(7) الطبري ٦/٢٠٧، وفي (ب): «قوبل العذور».

أقـولُ لإبـراهـيـمَ لـمّـا لَـقِـيـتُـهُ أرَى الأمـرَ أضحى[1] مُنْصِبـاً مُتَشعِّبَـا
تجهّـزْ وأَسْـرِعْ فـالحقِ الـجيشَ لا أرَى سـوَى الجيش إلّا في المهالك مَـذهَبَـا
تـخَيّـرْ فـإمّـا أنْ تَـزُورَ ابـنَ ضـابـىءٍ عُـمَـيـراً وإمّـا أنْ تَـزُورَ الـمُـهَـلَّبَـا
همـا خُـطّتـا خسفٍ[2] نجاؤك[3] منهُمـا رُكـوبُـكَ حَـوْلـيّـاً منَ الثّلجِ أشـهَبَـا
فَـحـالَ ولـوْ كـانَـتْ خُـراسـانُ دونَـهُ رآهـا مـكـانَ الـسُّـوقِ أوْ هـيَ أقـرَبَـا
فكـائنْ تـرَى من مُكـره الغـزوِ[4] مسمـراً[5] تحمّم[6] حِنـوَ الـسَّـرْجِ حتّـى تحنّبَـا[7]

تحمّم: أي لزِمه حتّى صار كالحميم. وتحنّب: اعوجّ. والزَّبِيـر: ههنا بفتـح الزّاي وكسر الباء.

قيـل: وكان قـدوم الحَجّاج في شهـر رمضان، فـوجّه الحكَمَ بن أيّـوب الثقفيَّ على البصـرة أميراً، وأمـره أن يشتدّ على خـالـد بن عبـد الله، فبلغ خـالـداً الخبـرُ فخـرج عن البصرة، فنزل الجَلْحاء، وشيّعه أهل البصرة، فقسّم فيهم ألفَ ألفٍ[8].

فكان الحجّاجُ أوّل مَن عاقب بالقتل على التخلّف عن الوجه الذي يكتب إليـه[9].

قال الشعبيُّ: كان الرجل إذا أخلّ بوجهه الذي يكتب إليه زمن عمر وعثمان وعليّ نُزعت عمامته، ويقام للناس، ويشهر أمره، فلمّا وليَ مُصْعب قال: مـا هذا بشيء، وأضـاف إليه حَلْقَ الرؤوس واللِّحَى، فلمّا وليَ بِشر بن مروان زاد فيـه، فصار يُـرفع الـرجل عن الأرض ويُسْمَر في يديه مسماران في حـائط، فربّمـا مات، وربّمـا خرق المسمارُ كفّه[10]، فسلم، فقال شاعر:

لَـوْلا مَخافَـةُ بِشْـرٍ أوْ عقـوبَتِـه وأن يُـنَـوَّطَ فـي كـفّـيَّ مـسـمـارُ
إذاً لـعَـطّلتُ ثَغـري ثـمّ زُرْتـكُـمُ إنّ الـمُـحِـبَّ لـمَـنْ يَـهـواهُ زَوّارُ

فلمّا كان الحجّاج قال: هذا لعبٌ، أضرب عنق من يخلّ مكانَه من الثغر.

---

(١) الطبري: «أمسى».
(٢) الطبري: «خُطّتا كرهٍ».
(٣) في (ر): «بحائك»، وفي نسخة مكتبة بودليان «تجاءك»، وفي الطبعة الأوربية: «تحاول».
(٤) الطبري «العذو».
(٥) في (ر): «ميمن»، و(ب): «مسمنا»، وفي تاريخ الطبري: «مسمن».
(٦) في (ب): «تحمحم».
(٧) في (ب) ونسخة مكتبة بودليان: «تحببا»، والشعر في تاريخ الطبري ٦/٢٠٩، ونهاية الأرب ٢١/٢١٢.
(٨) الطبري ٦/٢٠٩.
(٩) نهاية الأرب ٢١/٢١٣.
(١٠) نهاية الأرب ٢١/٢١٣ وفيه «يده».

ذكر ولاية سعيد بن أسلم السند وقتله

في هذه السنة استعمل عبدُ الملك على السِّند سعيدَ بن أسلم بن زُرْعة، فخرج عليه معاوية ومحمد ابنا الحارث العلاقيّان[1]، فقتلاه وغلبا على البلاد، فأرسل الحجّاجُ مُجّاعة بن سِعْر التميميَّ إلى السِّند، فغلب على ذلك الثغر، وغزا وفتح أماكن من قَنْدابيل، ومات مُجّاعة بعد سنة بمُكران، فقيل فيه:

ما مِن مَشاهِدِكَ الّتي شاهدتَها ... إلّا يزيدُكَ[2] ذكرها مُجّاعَا[3]

ذكر وثوب أهل البصرة بالحجّاج

في هذه السنة خرج الحجّاج من الكوفة إلى البصرة، واستخلف على الكوفة عُرْوَة بن المُغيرة بن شُعْبَة، فلمّا قدِم البصرة خطبهم بمثل خطبته بالكوفة، وتوعّد مَنْ رآه منهم بعد ثلاثة، ولم يلحق بالمهلّب، فأتاه شَريك بن عَمْرو اليشكريّ، وكان به فتْق، وكان أعور يضع على عينه قطعةً، فلُقّب ذا الكُرْسُفة، فقال: أصلحَ اللَّهُ الأميرَ، إنّ بي فتْقاً، وقد رآه بِشْر بن مروان فعذرني، وهذا عطائي مردودٌ في بيت المال. فأمر به فضُربت عُنقه، فلم يبقَ بالبصرة أحد من عسكر المهلّب إلّا لحِق به. فقال المهلّب: لقد أتى العراقَ رجلٌ ذكَرٌ. وتتابع الناسُ مزدحمين إليه حتّى كثُر جَمْعه.

ثمّ سار الحَجّاج إلى رُسْتَقباذ[4]، وبينها وبين المهلّب ثمانية عشر فرسخاً، وإنّما أراد أن يشدّ ظهر المهلّب وأصحابه بمكانه، فقام برُسْتقباذ خطيباً حين نزلها فقال: يا أهلَ المصرَيْن! هذا المكان والله مكانكم شهراً بعد شهر وسنةً بعد سنة، حتّى يُهْلك الله عدوّكم هؤلاء الخوارج المطِلّين عليكم. ثمّ إنّه خطب يوماً فقال: إنّ الزيادة الّتي زادكم إيّاها ابنُ الزّبير إنّما هي زيادة مخسرة باطلة [من] ملحدٍ فاسقٍ منافقٍ، ولسنا نجيزها! وكان مُصْعَب قد زاد الناس في العطاء مائة مائة.

فقال عبد الله بن الجارود: إنّها ليست بزيادة ابن الزّبير، إنّما هي زيادة أمير المؤمنين عبد الملك قد أنفذها وأجازها على يد أخيه بِشْر[5]. فقال له الحجّاج: ما أنت

---

(١) في فتوح البلدان: «العلافيان» (بالفاء).
(٢) في الفتوح «يزينك».
(٣) فتوح البلدان ٥٣٣، ٥٣٤، نهاية الأرب ٢١/٢٢٢.
(٤) في الأوربية: «رستقاباذ».
(٥) حتى هنا في: تاريخ الطبري ٦/٢١٠، ٢١١.

والكلام! لتحسننّ حمل رأسك أو لأسلبنّك إيّاه! فقال: ولِمَ؟ إنّي لـك لناصـح، وإنّ هذا القول من ورائي.

فنزل الحجّاج ومكث أشهـراً لا يذكـر الزيـادة، ثمّ أعاد القـولَ فيها، فـردّ عليه ابنُ الجارود مثل ردّه الأوّل. فقام مَصْقلة بن كَرِب العبـديُّ أبو رقبـة بن مَصْقلة المحدّث عنـه فقال: إنّه ليس للرعيّة أن تردّ على راعيها، وقد سمعنا ما قـال الأميرُ، فسمعـاً وطاعـةً فيما أحببنا وكرهنا. فقال له عبد الله بن الجارود: يا ابنَ الجرمقانيّـة! ما أنت وهـذا! ومتى كان مثلك يتكلّم وينطق في مثل هذا؟

وأتى الوجوهُ عبدَ الله بن الجارود، فصـوّبوا رأيـه وقولـه، وقال الهُـذَيل بن عِمـران البُرْجميُّ، وعبد الله بن حكيم بن زياد المُجاشعيّ، وغيرهما: نحن معـك وأعوانـك، إنّ هذا الرجل غير كافٍ حتّى ينقصنا هذه الزيادة، فهلُمّ نبايعك على إخراجه من العراق، ثمّ نكتب إلى عبد الملك نسأله أن يولّي علينا غيره، فإن أبَى خلعناه، فإنّه هائب لنا مـا دامت الخـوارج. فبايعـه الناس سـرّاً وأعطوه المـواثيق على الوفـاء، وأخذ بعضهم على بعضهم العهود.

وبلغ الحجّـاجَ ما هم فيـه فـأحـرز بيتَ المـال واحتـاط فيـه. فلمّـا تمّ لهم أمـرهم أظهـروه، وذلـك في ربيـع الآخـر سنـة ستّ وسبعين[1]. وأخـرج عبـدُ الله بن الجـارود عبدَ القيس على راياتهم، وخـرج الناسُ معـه حتّى بقي الحَجّاج، وليس معـه إلّا خاصّتـه وأهـلُ بيته، فخـرجوا قبـل الظُّهـر، وقطع ابن الجـارود ومن معه الجسـرَ، وكانت خـزائن الحجّاج والسلاح من ورائه. فأرسـل الحجّاجُ أعْيَنَ، صـاحب حمّام أعْيَن بـالكوفـة، إلى ابن الجارود يستدعيه إليه، فقال ابنُ الجارود: ومَنِ الأمير! لا ولا كرامة لابن أبي رِغال[2]! ولكن ليخرجْ عنّا مذموماً مدحوراً، وإلّا قاتلناه! فقال أعْيَن: فإنّه يقـول لك: أتـطِيب نفساً بقتلك وقتـل أهل بيتـك وعشيرتـك؟ والذي نفسي بيـده لئن لم يأتني لأدعنّ قـومك عـامّة وأهلك خاصّة حديثاً للغـابرين. وكـان الحجّاج قـد حمّل أعْيَن هـذه الرسـالة. فقـال ابن الجارود: لولا أنّك رسولٌ لقتلتك يا ابن الخبيثة! وأمر فوُجىء في عنقه، وأُخْرج.

واجتمـع الناسُ لابن الجـارود، فأقبـل بهم زحفـاً نحـو الحجّـاج، وكـان رأيهم أن يُخْرجوه عنهم ولا يقاتلوه، فلمّا صاروا إليه نهبوه في فُسطاطه، وأخذوا مـا قدروا عليـه من متاعه ودوابّـه، وجاء أهـلُ اليمن، فأخـذوا امرأتـه ابنة النُّعمـان بن بشير، وجـاءت مُضَر، فأخذوا امرأته الأخرى أمّ سَلِمة بنت عبد الرحمن بن عَمْرو أخي سُهَيْل بن عَمْـرو. فخافـه

---

(١) نهاية الأرب ٢١/٢١٤، ٢١٥.

(٢) في الأوربية: «رعال».

السُّفَهاء، ثمّ إنّ القوم انصرفوا عن الحَجّاج وتركوه، فأتاه قومٌ من أهل البصرة، فصاروا معه خائفين من محاربة الخليفة.

فجعل الغضبان بن القَبَعْثَرى الشيبانيّ يقول لابن الجارود: «تعشّ بالجَدْي قبل أن يتغدّى بك»[1]، أما ترى من قد أتاه منكم؟ ولئن أصبح ليكثرنّ ناصره، ولتضعفنّ مُنّتُكم[2]! فقال: قد قرب المساء ولكنّا نعاجله بالغداة.

وكان مع الحجّاج عثمان بن قَطَن، وزياد بن عَمرو العَتَكيّ، وكان زياد على شُرطة البصرة، فقال لهما: ما تريان؟ فقال زياد: أن آخذ لك من القوم أماناً، وتخرج حتّى تلحق بأمير المؤمنين، فقد ارفضّ أكثر الناس عنك، ولا أرى لك أن تقاتل بمن معك. فقال عثمان بن قَطَن الحارثيُّ: لكنّي لا أرى ذلك، إنّ أميرَ المؤمنين قد شركك في أمرك، وخلطك بنفسه، واستنصحك، وسلّطك، فسرتَ إلى ابن الزُّبير، وهو أعظم الناس خطراً، فقتلتَهُ، فولّاك الله شرف ذلك وسناه، وولّاك أمير المؤمنين الحجاز، ثمّ رفعتَ فولّاك العراقَين، فحيث جريتَ إلى المدى، وأصبتَ الغرض الأقصى، تخرج على قَعود إلى الشام، والله لئن فعلتَ لا نلتَ من عبد الملك مثل الذي أنت فيه من سلطان أبداً، وليتّضعنّ شأنك، ولكنّي أرى أن نمشي بسيوفنا معك، فنقاتل حتّى نلقى ظَفَراً، أو نموت كراماً. فقال له الحجّاج: الرأيُ ما رأيتَ، وحفظ هذا لعثمان، وحقدها على زياد بن عَمْرو.

وجاء عامر[3] بن مِسمع إلى الحجّاج فقال: إنّي قد أخذتُ لك أماناً من الناس، فجعل الحَجّاج يرفع صوته ليسمع الناس ويقول: والله لا أؤمّنهم أبداً حتّى يأتوا[4] بالهُذَيل، وعبد الله بن حكيم[5]. وأرسل إلى عبيد بن كعب النُّمَيريّ يقول: هلمّ إليّ فامنعني. فقال: قلْ له إن أتيتني منعتُك. فقال: لا ولا كرامة! وبعث إلى محمد بن عُمَير بن عُطارد كذلك، فأجابه مثل الجواب الأوّل، فقال: لا ناقتي في هذا ولا جملي. وأرسل إلى عبد الله بن حكيم المُجاشعيّ، فأجابه كذلك أيضاً.

ومرّ عَبّاد بن الحُصَين الحَبَطيُّ بابن الجارود، وابن الهذيل، وعبد الله بن حكيم وهم يتناجون، فقال: أشْرِكُونا في نجواكم. فقالوا: هيهات أن يدخل في نجوانا أحدٌ من

---

(١) مجمع الأمثال ١/٢٣٧.
(٢) في الأوربية: «منكم».
(٣) في طبعة صادر ٤/٣٨٣ «عامل».
(٤) في الأوربية: «يؤتوا».
(٥) نهاية الأرب ٢١/٢١٧.

بني الحبط! فغضب وصار إلى الحَجّاج في مائة رجل، فقال له الحجّاج: ما أُبالي مَن تخلّف بعدك.

وسعى قُتيبَة بن مسلم في قومه في بني[1] أعصُر وقال: لا والله لا ندع قيساً يقتل ولا ينهب ماله، يعني الحَجّاج، وأقبل إلى الحَجّاج.

وكان الحجّاج قد يئس من الحياة، فلمّا جاءه هؤلاء اطمأنّ، ثمّ جاءه سَبْرة بن عليّ الكلابيُّ، وسعيد بن أسلم بن زُرْعة الكلابيُّ فسلّم، فأدناه منه، وأتاه جعفر بن عبد الرحمن بنِ مِخْنف الأزديُّ، وأرسل إليه مِسْمَع بن مالك بن مِسْمع: إن شئتَ أتيتُك، وإن شئتَ أقمتُ وثبّطتُ الناس عنك. فقال: أقِمْ وثبّط الناس عنّي.

فلمّا اجتمع إلى الحَجّاج جمعٌ يُمنع بمثلهم، خرج فعبّأ أصحابه، وتلاحق الناسُ به، فلمّا أصبح إذا حوله نحو ستّة آلاف، وقيل غير ذلك. فقال ابن الجارود لعُبيد الله بن زياد بن ظَبْيان: ما الرأي؟ قال: تركتَ الرأيَ أمس حين قال لك الغضبان تعشَّ بالجدي قبل أن يتغدّى بك، وقد ذهب الرأي وبقي الصبرُ.

فدعا ابن الجارود بدرعٍ، فلبسها مقلوبةً، فتطيّر. وحرّض الحجّاج أصحابه وقال: لا يهولنّكم ما ترون من كثرتهم. وتزاحف القوم وعلى ميمنة ابن الجارود الهُذَيْل بن عِمران، وعلى ميسرته عبد الله بن زياد بن ظَبيان؛ وعلى ميمنة الحَجّاج قُتَيبة بن مسلم، ويقال عبّاد بن الحُصَين، وعلى ميسرته سعيد بن أسلم؛ فحمل ابن الجارود في أصحابه حتّى جاز أصحابَ الحَجّاج، فعطف الحَجّاج عليه، ثمّ اقتتلوا ساعةً، وكاد ابن الجارود يظفر، فأتاه سهم غَرْب، فأصابه فوقع ميتاً. ونادى منادي الحَجّاج بأمان الناس، إلّا الهُذَيل، وعبد الله بن حكيم، وأمر أن لا يُتبع المنهزمون، وقال: الاتباع من سوء الغلبة. فانهزم عُبيد الله بن زياد بن ظَبيان، وأتى سعيدَ بن عياذ بن الجُلُنْدي الأزديَّ بعُمان، فقيل لسعيد: إنّه رجل فاتِك فاحذرْه، فلمّا جاء البِطّيخ بعث إليه بنصف بِطّيخةٍ مسمومة وقال: هذا أوّل شيءٍ جاء من البطيخ، وقد أكلتُ نصف بِطّيخة، وبعثت بنصفها، فأكلها عُبيد الله، فأحسّ بالشرّ فقال: أردتُ أن أقتله فقتلني.

وحُمل رأس ابن الجارود، وثمانية عشر رأساً من وجوه أصحابه إلى المهلّب، فنُصبتْ ليراها الخوارج، وييأسوا من الاختلاف[2].

وحبس الحجّاجُ عُبيدَ بن كعب، ومحمّد بن عُمَير، حيث قالا[3] للحجّاج: تأتينا

(١) في طبعة صادر ٤/٣٨٤ «يحيى».

(٢) في الأوربية: «ويتأسّوا لاختلاف».

(٣) في الأوربية: «قالوا».

لنمنعك. وحبس الغَضْبانَ بن القَبَعْثَرى وقال لـه: أنت القائـل: «تعشَّ بالجـدْي قبل أن يتغـدّى بـك»؟ فقـال: مـا نفعتُ من قيلتي لـه، ولا ضـررتَ من قيلتي فيـك. فكتب عبد الملك إلى الحجّاج بإطلاقه[1].

وقُتل مع ابن الجـارود عبد الله بن أَنَس بن مـالك الأنصـاريُّ، فقال الحجّـاج: ألا أرى أَنَساً يعين عليَّ! فلمّا دخل البصرة أخذ مالـه، فحين دخل عليـه أنس قال: لا مـرحباً ولا أهلاً بك يا ابن الخبيثة! شيخُ ضلالةٍ، جوّال[2] في الفِتَن، مرّة مع أبي تراب، ومرّة مع ابن الزّبير، ومرّة مع ابن الجـارود! أما والله لأَجْـردنّك جـرْدَ القضيب، ولأَعْصِبنّك عصْبَ السَّلَمة، ولأقلعنّك قلْع الصّمغة! فقال أنس: مَنْ[3] يعني الأميـر؟ قال: إيّـاك أعني، أصمّ الله صـداك! فرجـع أنس فكتب إلى عبد الملك كتـاباً يشكـو فيه الحجّاج وما صنـع بـه. فكتب عبد الملكِ إلى الحجّاج:

أمّـا بعدُ، يـا ابن أمّ الحجّاج، فـإنّك عبـد طَمَتْ بك الأمـور، فغَلوتَ[4] فيهـا حتّى عَدَوتَ طورك، وجاوزتَ قدرك، يا ابن المُسْتَفْرِمة[5] بعَجَم الزّبيب لأغمزنّك غمـزة كبعض غمزات اللّيوث الثعالب[6]، ولأخبطنّك خبطةً تـودّ لها أنّـك رجعتَ في مخرجـك من بطن أمّـك، أما تـذكر حـالَ آبائـك في الطّائف حيث كـانـوا ينقلون الحجـارةَ على ظهـورهم، ويحتفرون الآبار بأيديهم في أوديتهم ومياههم؟ أنسيتَ حال آبـائك في اللؤم والـدناءة في المروّة والخُلُق؟ وقد بلغ أميرَ المؤمنين الذي كان منك إلى أَنَس بن مالك جـرأة وإقدامـاً، وأظنّك أردتَ أن تَسبُر ما عند أمير المؤمنين في أمره، فتعلم إنكـاره ذلك وإغضـاءه عنك، فـإن سوّغـك ما كـان منك مضيتَ عليـه قُدُمـاً، فعليك لعنـة الله من عند أخفش العيْنَين، أصكّ الرِّجْلين[7]، ممسوح الجاعرتَين[8]! ولولا أنّ أميـر المؤمنين يظنّ أنّ الكـاتب أكثر في الكتابة عن الشيـخ إلى أمير المؤمنين فيـك لأرسل[9] مَنْ يسحبـك ظهراً لبـطن، حتى يأتي بك أَنساً فيحكم فيك، فأكرِمْ أنساً وأهل بيته، واعرِفْ له حقّه وخِدمته رسول الله ﷺ، ولا تقصّرنّ في شيء من حوائجه، ولا يبلغنّ أميرَ المؤمنين عنك خلاف ما تقدّم فيـه إليك من

(١) نهاية الأرب ٢١/٢١٧ - ٢١٩.
(٢) في الأوربية: «حوّال».
(٣) في الأوربية: «بمن».
(٤) في طبعة صادر ٤/٣٨٦ «فعلوت» بالعين المهملة.
(٥) في الأوربية: «المستعربة»، وفي (ر): «المستنفرة». والمستفرمة: التي تضع دواء تتضيق به.
(٦) في العقد الفريد: «للثعالب».
(٧) أصكّ الرِجلين: مضطرب الركبتين والعرقوبين. (القاموس المحيط).
(٨) الجاعرتان: حرفا الوركين المشرفين على الفخذين.
(٩) في الأوربية: «لا تألّ»، وفي نهاية الأرب ٢١/٢٢٠: «لأتاك».

أمر أنس، وبِرّه وإكرامه، فيبعث إليك مَنْ يضرب ظهرك، ويهتك سترك، ويُشْمت بك عدوّك، والقه في منزله متنصّلاً إليه، وليكْتُبْ إلى أمير المؤمنين برضاه عنك، إن شاء الله، والسلام.

وبعث بالكتاب مع إسماعيل بن عبد الله مولى بني مخزوم، فأتَى إسماعيلُ أنَساً بكتاب أمير المؤمنين إليه فقرأه، وأتَى الحَجّاجَ بالكتاب إليه، فجعل يقرأه ووجْهه يتغيّر ويتغبّر[1]، وجبينه يرشح عرَقاً ويقول: يغفر الله لأمير المؤمنين. ثمّ اجتمع بأنَس، فرحّب به الحجّاج واعتذر إليه وقال: أردتُ أن يعلم أهل العراق إذ كان من ابنك ما كان، وإذ بلغتُ منك ما بلغت أنّي إليهم بالعقوبة أسرع.

فقال أنس: ما شكوتُ حتّى بلغ منّي[2] الجهد، وحتّى زعمتَ أنّا الأشرار، وقد سمّانا اللّهُ الأنصار، وزعمتَ أنّا أهل النفاق، ونحن الذين تبوّأوا الدّار والإيمان، وسيحكم الله بيننا وبينك، فهو أقدر على التغيير، لا يشبه الحقُّ عنده الباطلَ، ولا الصدقُ الكذبَ، وزعمتَ أنّك اتّخذتني ذريعةً، وسلّماً إلى مساءة أهل العراق، باستحلال ما حرّم الله عليك منّي، ولم يكن لي عليك قوّة، فوكلتُك إلى الله، ثمّ إلى أمير المؤمنين، فحفظ من حقّي ما لم تحفظ، فوالله لو أنّ النصارى على كفرهم رأوا رجلاً خدم عيسى بن مريم يوماً واحداً، لعرفوا من حقّه ما لم تعرف أنتَ من حقّي، وقد خدمتُ رسول الله ﷺ، عشر سنين. وبعد فإن رأينا خيراً حمدنا الله عليه وأثنينا[3]، وإن رأينا غير ذلك صبرنا، والله المستعان. وردّ عليه الحجّاج ما كان أخذ منه[4].

ذكر شير زنجي والزنج معه

اجتمع الزنج بفرات البصرة في آخر أيّام مُصْعب بن الزّبَير، ولم يكونوا بالكثير، فأفسدوا وتناولوا الثمار، ووليَ خالد بن عبد الله بن خالد البصرة وقد كثُروا، فشكا الناس إليه ما نالهم منهم، فجمع لهم جيشاً، فلمّا بلغهم ذلك تفرّقوا، وأخذ بعضهم، فقتلهم وصلبهم.

فلمّا كان من أمر ابن الجارود ما ذكرنا، خرج الزنجُ أيضاً، فاجتمع منهم خلقٌ كثير بالفرات، وجعلوا عليهم رجلاً اسمه رباح، ويلقّب شير زنجي، يعني أسد الزّنج،

---

(١) في نهاية الأرب ٢١/٢٢١ «ويتمعّر».
(٢) في الأوربية: «من».
(٣) في الأوربية: «وأثنيناه».
(٤) نهاية الأرب ٢١/٢١٩ ـ ٢٢١.

فأفسدوا، فلمّا فرغ الحَجّاج من ابن الجارود أمر زيادَ بن عَمْرو، وهو على شُرطة البصرة، أن يرسل إليهم جيشاً يقاتلهم، ففعل وسيّر إليهم جيشاً عليه ابنه حفص بن زياد، فقاتلهم، فقتلوه وهزموا أصحابه، ثمّ أرسل إليهم جيشاً آخر، فهزم الزّنج وقتلهم، واستقامت البصرة[1].

ذكر إجلاء الخوارج عن رامَهُرْمُز وقتل ابن مِخْنف

لما أتَى كتابُ الحجّاج إلى المهلّب وابن مِخنف يأمرهما بمناهضة الخوارج، زحفوا إليهم، وقاتلوهم شيئاً من قتال، فانهزمت الخوارج كأنّهم على حامية، ولم يكن منهم قتال، وسار الخوارج حتّى نزلوا كازَرُون، وسار المهلّب وابن مِخْنف حتّى نزلوا بهم، وخندق المهلّب على نفسه، وقال لابن مخنف: إن رأيتَ أن تخندق عليك فافعلْ. فقال أصحابه: نحن خندقُنا سيوفُنا.

فأتَى الخوارجُ المهلّبَ ليبيّتوه، فوجدوه قد تحرّز، فمالوا نحو ابن مِخْنف، فوجدوه لم يخندق، فقاتلوه، فانهزم عنه أصحابه، فنزل فقاتل في أُناسٍ من أصحابه، فقُتل وقُتلوا [حولَه]، فقال شاعرهم:

لمنِ العسكَرُ المكلَّلُ بالصَّرعَى فهُمْ بينَ ميّتٍ وقَتيلِ
فتراهم تَسفي الرّياحُ عليهِمْ حاصِبَ[2] الرّملِ بعد جرّ الذّيولِ[3]

هذا قول أهل البصرة.

فأمّا أهل الكوفة فإنّهم ذكروا أنّه لما وصل كتابُ الحجّاج بمناهضة الخوارج ناهضهم المهلّب، وعبدُ الرحمن، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ومالت الخوارج إلى المهلّب، فاضطّروه إلى عسكره، فأرسل إلى عبد الرحمن يستمدّه، فأمدّه عبدُ الرحمن بالخيل والرجال، وكان ذلك بعد الظُّهر لعَشْرٍ بقين من رمضان.

فلمّا كان بعد العصر، ورأت الخوارج ما يجيء من عسكر عبد الرحمن من الرجال، ظنّوا أنّه قد خفّ أصحابه، فجعلوا بإزاء المهلّب مَنْ يشغله، وانصرفوا بجُنْدهم إلى عبد الرحمن، فلمّا رآهم قد قصدوه نزل، ونزل معه القُرّاء، منهم: أبو الأحْوص، صاحب ابن مسعود، وخُزَيْمة بن نصر أبو نصر بن خُزَيْمة العبْسيُّ، الذي قُتل مع زيد بن

(١) نهاية الأرب ٢١/٢٢٢، ٢٢٣.
(٢) في (آ) و(ر): «حاحب»، وبهامشهما: «صاحب».
(٣) الطبري ٦/٢١٢.

عليّ، وصُلب معه بالكوفة، ونزل معه من قومه أحد وسبعون رجلاً، وحملت عليهم الخوارج، فقاتلهم قتالاً شديداً، وانكشف الناسُ عنه، وبقي في عصابة من أهل الصبر ثبتوا معه، وكان ابنه جعفر بن عبد الرحمن فيمَن بعثه إلى المهلّب، فنادى في الناس ليتبعوه إلى أبيه، فلم يتبعه إلاّ ناسٌ قليل، فجاء حتّى دنا من أبيه، فحالت الخوارج بينهما، فقاتل حتّى جُرح. وقاتل عبدُ الرحمن ومَنْ معه على تلّ مشرف، حتّى ذهب نحوُ من ثُلُثَيِ الليل، ثمّ قُتل في تلك العصابة، فلمّا أصبحوا جاء المهلّب فدفنه، فصلّى عليه، وكتب بذلك إلى الحَجّاج، فكتب الحَجّاج إلى عبد الملك بذلك، فترحّم عليه، وذمّ أهل الكوفة.

وبعث الحجّاج إلى عسكر عبد الرحمن، عتّابَ بن ورقاء، وأمره أن يسمع للمهلّب، فساءه ذلك ولم يجد بُدّاً من طاعته، فجاء إلى العسكر، وقاتل الخوارج، وأمرُه إلى المهلّب وهو يقضي أموره، ولا يكاد يستشير المهلّب. فوضع عليه المهلّبُ رجالاً[1] اصطنعهم وأغراهم به، منهم بِسْطام بن مَصقلة بن هُبَيرة. وجرى بين عتّاب والمهلّب ذات يوم كلام، أغلظ كلٌّ منهما لصاحبه، ورفع المهلّب القضيب على عتّاب، فوثب إليه ابنُه المغيرةُ بن المهلّب، فقبض القضيب وقال: أصلحَ اللّهُ الأميرَ! شيخ من أشياخ العرب، وشريف من أشرافهم، إن سمعتَ [منه] بعضَ ما تكره، فاحتمله له، فإنّه لذلك أهل. ففعل، فافترقا، فأرسل عتّاب إلى الحجّاج يشكو المهلّب، ويسأله أن يأمره بالعَوْد إليه، فوافق ذلك حاجةً من الحجّاج إليه فيما لقي أشراف الكوفة من شبيب[2]، فاستقدمه وأمره أن يترك ذلك الجيش مع المهلّب، فجعل المهلّب عليهم ابنَه حبيباً[3].

وقال سُراقة بن مِرْداس البارقيُّ يرثي عبد الرحمن بن مِخْنف:

ثوَى سيّد الأزدَيْنِ[4] أزدِ شَنُوءةٍ	وأزدِ عُمانَ رهن رَمْسٍ[5] بكازِرِ
وضارَبَ حتّى ماتَ أكرَمَ مِيتَةٍ	بأبيضَ صافٍ كالعقيقَةِ[6] باتِرِ
وصُرِّعَ عند[7] التَّلِّ[8] تحتَ لوائِهِ	كِرامُ المَساعي من كِرامِ المعاشِرِ

(١) في الأصل: «رجلًا».
(٢) في الأوربية: «سببه».
(٣) الطبري ٢١٢/٦، ٢١٣.
(٤) في الأوربية: «الأزد ابن».
(٥) في الأوربية: «أمس».
(٦) في (ب) و(ر): «كالعتيقة».
(٧) الطبري: «حول».
(٨) في الأوربية: «تلّ».

قضَى نحبَه يومَ اللّقاء ابنُ مِخْنفٍ وأدبرَ عنهُ كلُّ ألوَث داثِرِ[1]
أمدّ ولم يُمدَدْ فراحَ مشَمّراً إلى اللّهِ لم يذهبْ بأثوابِ غادِرِ

وأقام المهلّب بسابور يقاتلهم نحواً[2] من سنة[3].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة تحرّك صالح بن مسرّح أحد بني امرىء القيس بن زيد مَناة من تميم، وكان يرى رأيَ الصُّفْريّة، وهو أوّل مَن خرج فيهم، وحجّ هذه السنة ومعه شَبيب بن يزيد، وسُوَيْد، والبَطِين، وأشباههم[4]، وحجّ في هذه السنة عبدُ الملك بن مروان، فهمّ شبيب أن يفتك به، فبلغه ذلك من خبرهم، فكتب إلى الحجّاج بن يوسف بعد انصرافه يأمره بطلبهم، وكان شيخاً صالحاً يأتي الكوفة، فيقيم بها الشهر ونحوه، فيلقى أصحابه ويُعِدّ ما يحتاج إليه، فلمّا طلبه الحجّاجُ نبتْ به الكوفةُ فتركها[5].

وفيها غزا محمّد بن مروان الصائفة عند خروج الروم إلى العَمْق[6] من ناحية مَرْعَش.

وحجّ بالناس عبد الملك[7]، فخطب الناسَ بالمدينة، فقال بعد حمد الله والثناء عليه: أمّا بعدُ، فإنّي لستُ بالخليفة المُستضعَف، يعني عثمان، ولا بالخليفة المداهِن، يعني معاوية، ولا بالخليفة المأفون، يعني يزيد، ألا وإنّي لا أداوي هذه الأمّة إلّا بالسيف حتّى تستقيم لي قناتُكم، وإنّكم تحفّظوننا[8] أعمال المهاجرين الأوّلين ولا تعملون مثل أعمالهم، وإنّكم تأمروننا بتقوى الله وتنسون ذلك من أنفسكم[9]، واللّهِ لا يأمرني أحدٌ

---

(١) في الأوروبية: «غادر».
(٢) في الأوروبية: «نحو».
(٣) الطبري ٦/٢١٤، ٢١٥، والأبيات في: ديوان سُراقة ٤٣.
(٤) الطبري ٦/٢١٥.
(٥) الطبري ٦/٢١٥.
(٦) في طبعة صادر ٤/٣٩١ «الغَنيق»، وهو وهْم، والصحيح ما أثبتناه، وهو مفرد «الأعماق» الذي ورد في تاريخ خليفة ٢٧١، وفتوح البلدان ٢٢٤، وتاريخ اليعقوبي ٢/٢٨١، وما أثبتناه عن: تاريخ خليفة ٧٢' والعَمْق: كورة قرب دابق بين حلب وأنطاكية. (معجم البلدان ١/ مادّة الأعماق).
وقد سبق وأورد المؤلّف ـ رحمه الله ـ هذا الخبر في أول حوادث هذه السنة، فليُراجع.
(٧) مختصر التاريخ ٨٩
(٨) في (ر): «تكلفون».
(٩) في الأوروبية: «أنفسهم».

بتقوى الله بعد مقامي هذا إلّا ضربتُ عنقه. ثمّ نزل[1].

[الوَفَيَات]

وفي هذه السنة مات العِرْباض بن سارية[2] السُّلَميُّ، وهو من أهل الصُّفّة، وقيل: بل مات بالشام في فتنة ابن الزّبير.

وفيها توفّي الأسود بن يزيد[3] النَّخَعيّ، وهو ابن أخي علقمة بن قيس.

---

(١) انظر: تاريخ اليعقوبي ٢/٢٧٤، والعقد الفريد ٤/٩٠، ٩١، ونهاية الأرب ٢١/٢٢٣، وتاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٣٢٥.

(٢) انظر عن (العرباض بن سارية) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٦٦٦ رقم ٢١٥ وفيه مصادر ترجمته.

(٣) أنظر عن (الأسود بن يزيد) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٣٥٩ رقم ١٣٨ وفيه مصادر ترجمته.

٧٦
ثم دخلت سنة ست وسبعين

ذكر خروج صالح بن مسرِّح

كان صالح بن مسرِّح التميميُّ رجلاً ناسكاً، مُصْفَرَّ الوجه، صاحب عبادة، وكان بِداراً وأرض الموصل والجزيرة، وله أصحاب يقرأ بهم القرآن والفقه، ويقصّ عليهم، فدعاهم إلى الخروج وإنكار الظُّلم، وجهاد المخالفين لهم، فأجابوه، وحثّهم عليهم، فراسل أصحابه بذلك وتلاقوا به[١]، فبينا هم في ذلك إذ قدِم عليه كتاب شَبيب يقول له: إنّك كنتَ تريد الخروجَ، فإن كان ذلك من شأنك اليوم، فأنتَ شيخ المسلمين، ولن نَعدِل بك أحداً، وإن أردتَ تأخير ذلك [اليوم] أعلمْني، فإنّ الآجال[٢] غادية ورائحة، ولا آمن أن تخترمني المنيّة ولم أجاهد الظالمين.

فكتب إليه صالح: إنّه لم يمنعني من الخروج إلاّ انتظارك، فأقبِلْ إلينا، فإنّك ممّنْ لا يُستغنى عن رأيه، ولا تُقضَى دونَه الأمور. فلمّا قرأ شبيب كتابه دعا نفراً من أصحابه، منهم: أخوه مُصَاد بن يزيد بن نُعَيْم الشيبانيُّ، والمحلِّل بن وائل اليَشكريُّ، وغيرهما، وخرج بهم حتّى قدِم على صالح بِدَارا، فلمّا لقِيه قال: اخرجْ بنا رحِمك الله، فوالله ما تزداد [السُّنّة] إلاّ دروساً، ولا يزداد المجرمون إلاّ طغياناً.

فبثّ صالح رُسُلَه، وواعد أصحابه الخروج[٣] إلى ذلك هلال صفر سنة ستٍّ وسبعين، فاجتمعوا عنده تلك الليلة، فسأله بعضهم عن القتال[٤] قبل الدّعاء أم بعده؟ فقال: بل ندعوهم، فإنّه أقطع لحجّتهم. فقال له: كيف ترى فيمَن قاتلنا فظفرنا به، ما تقول في دمائهم وأموالهم؟ فقال لهم: إن قتلنا وغنِمنا فلنا، وإن عفونا فموسَّع[٥] علينا.

---

(١) في الأوربية: «فيه».
(٢) في الأوربية: «الأجل».
(٣) في الأوربية: «بخروج».
(٤) في الأوربية: «القتل».
(٥) في الأوربية: «فوسع».

ثمّ وعظ أصحابه وأمرهم بأمره، وقال لهم: إنّ أكثركم رجّالة، وهذه دوابّ لمحمّد بن مروان، فابدأوا بها فاحملوا عليها رجالكم، وتقوّوا بها على عدوّكم.

فخرجوا تلك الليلة، فأخذوا الدوابّ فاحتملوا عليها، وأقاموا بأرض دارا ثلاث عشرة ليلة. وتحصّن[1] منهم أهلها وأهل نَصِيبين وسِنْجار، وكان خروجه وهو في مائة وعشرين، وقيل: وعشرة.

وبلغ محمّداً مخرجُهم، وهو أمير الجزيرة، فأرسل عديَّ بن عديّ الكِنْديَّ إليهم في ألف فارس، فسار من حَرّان، فنزل دَوْغان، وكانوا أوّل جيش سار إلى صالح، وسار عديّ وكأنّه يُساق إلى الموت. وأرسل إلى صالح يسأله أن يخرج من هذه البلاد، ويُعْلمه أنّه يكره قتاله، وكان عديّ ناسكاً، فأعاد صالح: إن كنتَ ترى رأينا خرجنا عنك، وإلاّ فنرى رأينا. فأرسل إليه عديّ: إنّي لا أرى رأيك، ولكنّي أكره قتالك وقتال غيرك. فقال صالح لأصحابه: اركبوا، فركبوا، وحبسَ الرسولَ عنده ومضى بأصحابه فأتى عديّاً وهو يصلّي الضُّحى، فلم يشعروا إلاّ والخيل طالعة عليهم، فلمّا رأوها تنادوا، وجعل صالح شبيباً في ميمنته، وسُوَيد بن سُلَيم في ميسرته، ووقف في القلب، فأتاهم وهم على غير تعبية، وبعضهم يجول في بعض، فحمل عليهم شبيب وسُوَيد فانهزموا، وأتي عديّ بن عديّ بدابّته فركبها وانهزم، وجاء صالح ونزل في معسكره، وأخذوا ما فيه.

ودخل أصحابُ عديّ على محمّد بن مروان، فغضب على عديّ، ثمّ دعا خالد بن جزء[2] السُّلَميَّ، فبعثه في ألف وخمسمائة، ودعا الحارثَ بن جَعْوَنة العامريَّ[3] فبعثه في ألف وخمسمائة، وقال: اخرجا إلى هذه المارقة وأغذّا السيرَ، فأيّكما سبق فهو الأمير على صاحبه. فخرجا متسانِدَيْن يسألان عن صالح، فقيل لهما: إنّه نحو آمِد، فقصداه، فوجّه صالح شبيباً في شطْرٍ من أصحابه إلى الحارث بن جَعْوَنة، وتوجّه هو نحو خالد، فاقتتلوا من وقت العصر أشدّ قتال، فلم تثبتْ خيل محمّد لخيل صالح، فلمّا رأى أميراهم ذلك ترجّلا، وترجّل معهما أكثر أصحابهما، فلم يقدر أصحابُ صالح حينئذٍ عليهم، وكانوا إذا حملوا استقبلتهم الرَّجّالة بالرماح، ورماهم الرُّماةُ بالنَّبل، وطاردهم خيّالتهم، فقاتلوهم إلى المساء، فكثُرَتِ الجراح في الفريقَين، وقُتل من أصحاب صالح نحو ثلاثين رجلاً، ومن أصحاب محمّد أكثر من سبعين.

فلمّا أمسَوا تراجعوا، فاستشار صالح أصحابه، فقال شبيب: إنّ القوم قد اعتصموا

---

(١) في الأوربية: «وتحصّنوا».

(٢) في (آ): «حزء»، و (ر): «خره».

(٣) في (ر): «الجاري».

بخندقهم، فلا أرى أن نقيم عليهم. فقال صالح: وأنا أرى ذلك. فخرجوا من ليلتهم سائرين، فقطعوا أرض الجزيرة وأرضَ الموصل، وانتهوا إلى الدّسْكَرة. فلمّا بلغ ذلك الحجّاجَ سرّح إليهم الحارثَ بن عميرة[1] بن ذي الشعار[2] في ثلاثة آلاف من أهل الكوفة، فسار حتّى دنا من الدَّسْكرة، وخرج صالح بن مُسرّح حتّى أتى قرية يُقال لها مدبج، على تخوم ما بين الموصل وجُوخى، وصالح في تسعين رجلاً، فلقِيهم الحارث لثلاث عشرة بقين من جُمادَى، فاقتتلوا، فانهزم سُوَيد بن سُلَيم في ميسرة صالح، وثبت صالح، فقُتل. وقاتل شبيب حتّى صُرع عن فرسه، فحمل عليهم راجلاً، فانكشفوا عنه، فجاء إلى موقف صالح فأصابه قتيلاً، فنادى: إليّ يا معشر المسلمين، فلاذوا به. فقال لأصحابه: ليجعلْ كلّ واحد منكم ظهره إلى ظهر صاحبه، ولْيُطاعن عدوّه حتّى يدخل هذا الحُصَين ونرى رأينا، ففعلوا ذلك ودخلوا الحُصَين جميعهم، وهم سبعون رجلاً، وأحاط بهم الحارث وأحرق عليهم الباب، وقال: إنّهم لا يقدرون على الخروج منه[3].

(مُسَرِّح: بضمّ الميم، وفتح السين المهملة، وتشديد الراء وكسرها، وبالحاء المهملة. وجَعْوَنة بفتح الجيم، وسكون العين المهملة، وفتح الواو، وآخره نون).

ذكر بيعة شَبيب الخارجي ومحاربة الحارث بن عميرة[4]

فلمّا أحرق الحارثُ البابَ على شبيب ومَنْ معه وقال: إنّهم لا يقدرون على الخروج منه، ونصبّحهم غداً فنقتلهم، وانصرف إلى عسكره، قال شبيب لأصحابه: ما تنتظرون؟ فواللّهِ لئن صبّحكم هؤلاء غدوة إنّه لَهَلاكُكُم. فقالوا: مُرْنا بأمرك. فقال: بايعوني أو مَنْ شئتم من أصحابكم، واخرجوا بنا حتّى نشدّ عليهم في عسكرهم، فإنّهم آمنون.

فبايعوا شبيباً، وهو شبيب بن يزيد بن نُعَيم الشيبانيُّ، وأَتَوا باللُّبود فبلّوها، وجعلوها على جمر الباب وخرجوا، فلم يشعر الحارث إلاّ وشبيب وأصحابه يضاربونهم بالسيوف في جوف العسكر، فصُرع الحارث، فاحتمله أصحابه وانهزموا نحو المدائن، وحوى شبيبٌ عسكرهم، وكان ذلك الجيش أوّل جيش هزمه شبيب[5].

---

(١) في (ب): «عمير».

(٢) في (ب): «المشعان»، وفي (آ): «المسعان».

(٣) الخبر في: تاريخ الطبري ٦/٢١٦ - ٢٢٣، ونهاية الأرب ٢١/١٦١ - ٦٤، وتاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) - ص ٣٢٧، ٣٢٨، والبداية والنهاية ٩/١٢، ١٣، وانظر: تاريخ خليفة ٢٧٤.

(٤) في (ب): «عمير».

(٥) الطبري ٦/٢٢٣، نهاية الأرب ٢١/١٦٤.

ذكر الحرب بين أصحاب شبيب وغيره

ثمّ إنّ شبيباً لقي سلامة بن سِنان التيميَّ، تيم شيبان، بأرض الموصل، فدعاه إلى الخروج معه، فشرط عليه سلامة أن ينتخب ثلاثين فارساً ينطلق بهم نحو عَنَزة، فيشفي نفسَه منهم، فإنّهم كانوا قتلوا أخاه فَضالة، وذلك أنّ فَضالة كان خرج في ثمانية عشر رجلاً حتّى نزل ماءً يقال له الشجرة، عليه أثلة عظيمة، وعليه عَنَزة نازلون، فلمّا رأوه قالوا: نقتل هؤلاء، ونغدو على أميرنا، فيُعْطينا شيئاً، فقال أخواله من بني نصر: لا نساعدكم على قتل ابن أخينا، فنهضتْ عَنَزَة فقتلوهم، وأتوا برؤوسهم عبد الملك بن مروان، فلذلك أنزلهم بانِقْيا وفرض لهم، ولم يكن لهم قبل ذلك فرائض إلّا قليلة، فقال سلامة أخو فَضالة يذكر قتل أخيه وخذْلان أخواله إيّاه:

وما خِلْتُ أخوالَ الفتى يُسلمونَه لِوَقْع السلاحِ قبلَ ما فَعَلَتْ نصرُ[1]

وكان خروج فَضالة قبل خروج صالح فأجابه شَبيب، فخرج حتّى انتهَى إلى عَنَزة، فجعل يقتل محلّة بعد محلّة، حتّى انتهَى إلى فريق منهم، فيهم خالته قد أكبّت على ابن لها، وهو غلام حين احتلم، فأخرجت ثدْيها وقالت: أنشدك برحِم هذا يا سلامة! فقال: والله ما رأيتُ فَضالة مُذْ أناخ بأصل الشجرة، يعني أخاه، لتقومِنّ عنه، أو لأجمعنّكما بالرمح! فقامت عنه فقتله[2].

ذكر مسير شَبيب إلى بني شيبان وإيقاعه بهم

ثمّ أقبل شبيب في خيله نحو راذان، فهرب منه طائفة من بني شيبان، ومعهم ناس من غيرهم قليل، حتّى نزلوا دَيْرَ خُرَّزاد[3] إلى جنب حَوْلايا، وهم نحو ثلاثة آلاف، وشبيب في نحو سبعين رجلاً أو يزيدون قليلاً، فنزل بهم فتحصّنوا منه.

ثمّ إنّ شبيباً سرى في اثني عشر رجلاً إلى أمّه، وكانت في صَفْح جبل ساتِيدَما، فقال: لآتينّ بها تكون[4] في عسكري لا تفارقني حتّى تموت أو أموت. فسار بهم ساعةً، وإذا هو بجماعة من بني شيبان في أموالهم مقيمين، لا يرون أن شبيباً يمرّ بهم ولا يشعر بهم، فحمل عليهم، فقتل ثلاثين شيخاً، فيهم حَوْثرة بن أسد، ومضى شبيب إلى أمّه فحملها، وأشرف رجل من الدَّير على أصحاب شبيب، وكان قد استخلف شبيب عليهم

(١) الطبري ٦/٢٢٤.

(٢) الطبري ٦/٢٢٤، ٢٢٥، نهاية الأرب ٢١/١٦٥.

(٣) في الأوربية: «دَيْراً خرِيباً»، وفي (ب): «جرداب».

(٤) في الأوربية: «بما يكون».

أخاه مُصاد بن يزيد، وهم قد حصروا مَنْ في الدير، فقال: يا قوم بيننا وبينكم القرآن، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾[1] فكُفّوا عنّا حتّى نخرج إليكم على أمان، وتعرضوا علينا أمركم، فإن قَبِلناه حرمتْ عليكم دماؤنا وأموالنا، وإن نحن لم نقبله رددتمونا إلى مأمننا، ثمّ رأيتم رأيكم. فأجابوهم، فخرجوا إليهم، فعرض عليهم أصحابُ شبيب قولهم، فقبلوه كلّه، ثمّ خالطوه ونزلوا إليهم، وجاء شبيب فأخبر بذلك، فقال: أصبتم ووُفّقتم[2].

ذكر الوقعة بين شبيب وسفيان الخثْعَميّ

ثمّ إنّ شبيباً ارتحل، فخرج معه طائفة وأقامت طائفة، وسار شبيب في أرض الموصل نحو أَذْرَبَيْجان، وكتب الحَجّاج إلى سفيان بن أبي العالية الخثعميّ يأمره بالقفول، وكان معه ألف فارس، يريد أن يدخل بها طبرستان. فلمّا أتاه كتاب الحَجّاج صالح صاحب طبرستان ورجع، فأمره الحَجّاج بنزول الدَّسكرة حتّى يأتيه جيش الحارث بن عُمَيرة الهمدانيّ، وهو الّذي قتل صالحاً، وحتّى[3] تأتيه خيل المناظر، ثمّ يسير إلى شبيب. فأقام بالدَّسكرة، ونودي في جيش الحارث: الحرب بالكوفة والمدائن، فخرجوا حتّى أتوا سفيان، وأتته خيل المناظر، عليهم سَوْرة بن الحُرّ[4] التّميميُّ، فكتب إليه سَوْرة بالتوقّف حتّى يلحقه، فعجّل سفيان في طلب شبيب، فلحِقَه بخانِقين، وارتفع شبيب عنهم حتّى كأنّه يكره قتالهم، وأكمن أخاه مُصاداً في هَزم[5] من الأرض في خمسين رجلاً فارساً، ومضى في سفح الجبل، فقالوا: هرب عدوّ الله، فاتبعوه، فقال لهم عديّ بن عُمَيرة الشيبانيّ: لا تعجّلوا حتّى نبصر الأرض لئلّا يكون قد كمّن فيها كميناً.

فلم يلتفتوا، فاتبعوه، فلمّا جازوا الكمين رجع عليهم شبيب، وخرج أخوه في الكمين، فانهزم الناس بغير قتال، وثبت سُفيان في نحو من مائتَيْ رجل، فقاتلهم قتالاً شديداً، وحمل سُوَيد بن سُلَيم على سفيان فطاعَنه، ثمّ تضاربا بالسيوف، واعتنق كلّ واحدٍ منهما صاحبه، فوقعا إلى الأرض. ثمّ تحاجزوا، وحمل عليهم شبيب فانكشفوا، وأتى سفيانَ غلامٌ له، فنزل عن دابّته وأركبه وقاتل دونه، فقُتل الغلام، ونجا سفيان حتّى انتهَى إلى بابل مهرُوذ، وكتب إلى الحجّاج بالخبر، ويعرّفه وصول الجُنْد إلّا سَوْرة بن

---

(١) سورة التوبة ٩، الآية ٦.

(٢) الطبري ٦/٢٢٥، ٢٢٦، نهاية الأرب ٢١/١٦٦.

(٣) في الأوربية: «حتى».

(٤) في (ر): «أبجر».

(٥) الأوربية: هرم. (والهزم: ما اطمأنّ من الأرض).

الحُرّ، فإنّه لم يشهد معي القتال، فلمّا قرأ الحجّاج الكتابَ أثنى عليه[1].

ذكر الوقعة بين شبيب وسَوْرة بن الحُرّ

فلمّا وصل كتاب سفيان إلى الحجّاج كتب إلى سَوْرة بن الحرّ يلومه ويتهدّده، ويأمره أن ينتخب من المدائن خمسمائة فارس، ويسير بهم وبمن معه إلى شبيب. ففعل ذلك سَوْرة وسار نحو شبيب، وشبيب يجول في جُوخى، وسَورة في طلبه، حتّى انتهى إلى المدائن، فتحصّنوا منه، وأخذ منها دوابّ، وقتل مَنْ ظهر له، فأتَى فقيل له: هذا سَوْرة قد أقبل، فخرج حتّى أتى النِّهروان، فصلّوا وترحّموا على أصحابهم الذين قتلهم عليّ، وتبرّأوا من عليّ وأصحابه. وأخبرت سَوْرةَ عيونُه بمنزل شبيب، فدعا أصحابه فقال: إنّ شبيباً لا يزيد على مائة رجل، وقد رأيتُ أن أنتخبكم فأسير في ثلاثمائة رجل من شجعانكم، فآتيه وهو آمن بَياتكم، فإنّي أرجو من الله أن يصرعهم. فأجابوه إلى ذلك، فانتخب ثلاثمائة، وسار بهم نحو النهروان، وبات شبيب وقد أذكى الحرس، فلمّا دنا أصحاب سَوْرة علموا بهم، فاستووا على خيولهم، وتعبّوا تعبيتهم للحرب، فلمّا انتهى إليهم سورة رآهم قد حذِروا، فحمل عليهم، فثبتوا له وضاربوهم، وصاح شبيب بأصحابه، فحملوا عليهم حتّى تركوا العَرْصَة، وشبيب يقول:

مَن يَنِكِ العَيرَ يَنِكْ نيّاكا[2] جَنْدَلَتانِ اصطكّتا اصطكاكا

فرجع سورةُ إلى عسكره وقد هُزم الفرسان وأهل القوّة، فتحمّل بهم، وأقبل نحو المدائن، واتبعه شبيبٌ يرجو[3] أن يدركه فيصيب عسكره. فوصل إليهم وقد دخلَ الناسُ المدائنَ، وخرج ابن أبي العُصَيْفر أميرُ المدائن في أهل المدائن، فرموا أصحاب شبيب بالنَّبل والحجارة، فارتفع شبيب عن المدائن، فمرّ على كَلواذى، فأصاب بها دوابَّ كثيرةً للحَجّاج، فأخذها ومضى إلى تَكريت، وأرجف الناسُ بالمدائن بوصول شبيب إليهم، فهرب مَنْ بها من الجُنْد نحو الكوفة، وكان شبيب بتَكريت، ولامَ الحجّاجُ سَوْرة وحبسه، ثمّ أطلقه[4].

(١) الطبري ٦/٢٢٦ ـ ٢٢٨، نهاية الأرب ٢١/١٦٧، ١٦٨.

(٢) في الأوربية: من نَيّك العير فنِكْ نيّاكا.

(٣) في الأوربية: «مرجوًا».

(٤) الطبري ٦/٢٢٨ ـ ٢٣٠، ونهاية الأرب ٢١/١٦٨، ١٦٩.

ذكر الحرب بين شبيب والجَزْل بن سعيد وقتل سعيد بن مُجالد

فلمّا قدِم الفَلُّ الكوفة سيّر الحجّاجُ الجَزْلَ بن سعيد بن شُرَحْبيل الكِنْديَّ، واسمه عثمان، نحو شبيب، وأوصاه بالاحتياط وتَرْك العجَلة، فقال له: لا تبعث معي من الجُنْد المهزوم أحداً، فإنّهم قد دخلهم الرعبُ، ولا ينتفع بهم المسلمون. قال: قد أحسنتَ. فأخرج معه أربعة آلاف، فساروا معه، فقدّم الجَزلُ بين يديه عياضَ بن أبي لُبْنة[1] الكِنْديَّ، فساروا في طلب شبيب، وجعل شبيبٌ يُريه الهيبةَ له، فيخرج من رُسْتاق إلى رُسْتاق، ولا يقيم إرادةَ أن يُفرِّقَ الجزلُ أصحابه، فيلقاه وهو على غير تعبية. فجعل الجزلُ لا يسير إلّا على تعبية، ولا ينزل إلّا خَنْدَقَ على نفسه.

فلمّا طال ذلك على شبيب دعا أصحابه، وكانوا مائة وستّين رجلاً، ففرّقهم أربع فِرَق، على كلّ أربعين رجل من أصحابه، فجعل أخاه مُصاداً في أربعين، وسُوَيد بن سُلَيم في أربعين، والمُحَلَّل بن وائل في أربعين، وبقي هو في أربعين، وأتته عيونُه فأخبروه أنّ الجزلَ بدَيْر[2] يزدجرد، فأمر شبيبٌ أصحابه فعلّقوا على دوابّهم، ثمّ سار بهم، وأمر كلّ رأس من أصحابه أن يأتي الجزل من جهة ذكرها له، وقال: إنّي أريد أن أبيّته؛ وأمرهم بالجدّ في القتال؛ فسار أخوه، فانتهى إلى دير الخَرّارة، فرأى للجزْل مَسْلَحةً مع ابن أبي لُبْنة[3]، فحمل عليهم مُصادٌ في أربعين رجلاً، فقاتلوه ساعةً، ثمّ اندفعوا بين يديه، وقد أدركهم شبيبٌ، فقال: اركبوا أكتافهم لتدخلوا عليهم عسكرهم إن استطعتم.

واتّبعوهم ملحّين، فانتهوا إلى عسكرهم، فمنعهم أصحابه من دخول خندقهم، وكان للجزْل مَسَالح أخرى، فرجعتْ فمنعتهم من دخول الخندق، وقال: انضحوا عنكم بالنَّبل. وجعل شبيبٌ يحمل على المسالح حتّى اضطّرهم إلى الخندق، ورشقهم أهل العسكر بالنَّبل. فلمّا رأى شبيبٌ أنّه لا يصل إليه قال لأصحابه: سيروا ودَعوهم. فمضى على الطريق، ثمّ نزل هو وأصحابه فاستراحوا، ثمّ أقبل بهم راجعاً إلى الجزل أيضاً على التعبية الأولى وقال: أطيفوا بعسكرهم. فأقبلوا وقد أدخل أهل العسكر مسالحهم إليهم (وقد أمنوا، فما شعروا إلّا بوقع حوافر الخيل، فانتهوا إليهم)[4] قبل الصبح، وأحاطوا بعسكرهم من جهاته الأربع فقاتلوهم.

---

(١) في تاريخ الطبري ٦/٢٣١، ونهاية الأرب ٢١/١٦٩ «لِيْنَة».

(٢) في نهاية الأرب ٢١/١٧٠ «يريد»، والمثبت يتفق مع الطبري.

(٣) الطبري، نهاية الأرب «لِينة».

(٤) ما بين القوسين من (ب).

ثمّ إنّ شبيباً أرسل إلى أخيه مُصَاد، وهو يقاتلهم من نحو الكوفة، أن أقبلْ إلينا وخلِّ لهم الطريق، ففعل، وقاتلوهم من الوجوه الثلاثة حتّى أصبحوا، فسار شبيبٌ وتركهم ولم يظفر بهم، فنزل على ميل ونصف، ثمّ صلّى الغداة، ثمّ سار إلى جَرْجرايا.

وأقبل الجزْلُ في طلبهم على تعبية ولا ينزل إلاّ في خندق. وسار شبيبٌ في أرض جُوخى وغيرها يكسر الخراج، فطال ذلك على الحَجّاج، فكتب إلى الجزل يُنكِر عليه إبطاءه، ويأمره بمناهضتهم، فجدّ في طلبهم، وبعث الحَجّاجُ سعيدَ بن مُجالد على جيش الجزل، وأمره بالجدّ في قتال شبيب وترْك المطاولة.

فوصل سعيدٌ إلى الجزل، وهو بالنهروان قد خندق عليه، وقام في العسكر ووبّخهم وعجّزهم، ثمّ خرج وأخرج معه الناس، وضمّ إليه خيول أهل العسكر ليسير بهم جريدة إلى شبيبٍ، ويترك الباقين مكانهم، فقال له الجزلُ: ما تريد أن تصنع؟ قال: أقدم على شبيب في هذه الخيل. فقال له الجزلُ: أقمْ أنت في جماعة الناس فارسهم وراجلهم وأبرز لهم، فوالله ليقدمنّ عليك، ولا تفرّقْ أصحابك. فقال: قفْ أنت، في الصفّ. فقال الجزلُ: يا سعيد ليس لي في ما صنعتَ رأي، أنا بريء منه.

ووقف الجزلُ فصفّ أهل الكوفة وقد أخرجهم من الخندق. وتقدّم سعيد بن مُجالد ومعه الناس، وقد أخذ شبيبٌ إلى قَطِيطيا فدخلها، وأمر دِهقاناً أن يُصلح لهم غذاءً، ففعلِ وأغلق الباب، فلم يفرغ من الغداء حتّى أتاه سعيد في ذلك العسكر، فأقبل الدِّهقانُ فأعلم شبيباً بهم، فقال: لا بأسَ، قرِّبِ الغداء، فقرّبه، فأكل[1] وتوضّأ وصلّى ركعتين، وركب بغلاً له[2] وخرج عليه، وسعيد على باب المدينة، فحمل عليهم فقال: لا حُكم إلاّ للحَكَم [الحَكيم]، أنا أبو مُدَلِّه[3]، اثبتوا إن شئتم.

وجعل سعيد يقول: هؤلاء إنّما هم أَكَلة رأس، وجعل يجمع خيله ويرسلها في أثر شبيب، فلمّا رأى شبيبٌ تفرُّقهم جمع أصحابه وقال: استعرضوهم، فوالله لأقتلنّ أميرَهم أو ليقتلني. وحمل عليهم مستعرضاً، فهزمهم، وثبت سعيد ونادى أصحابه، فحمل عليه شبيبٌ فضربه بالسيف فقتله، وانهزم ذلك الجيشُ، وقُتلوا [كلَّ قِتْلةٍ] حتى انتهوا إلى الجزل، فناداهم: أيّها الناس إليّ إليّ! وقاتل قتالاً شديداً حتّى حُمل من بين القتلى جريحاً، وقدِم المنهزمون الكوفة، وكتب الجزْلُ إلى الحَجّاج بالخبر ويُخبره بقتل سعيد وأقام بالمدائن، وكتب إليه الحَجّاج يُثْني عليه ويشكره، وأرسل إليه حَيّانَ بن أبْجَر ليداوي

(١) في الأوربية: «فأكلوا».

(٢) في الأوربية: «بغاله».

(٣) في الأوربية: «بدلة».

جـراحته، وألْفَيْ درهم لينفقهـا، وبعث إليه عبـد الله بن أبي عُصَيْفر بـألف درهم، فكـان يعوده ويتعاهده بالهديّة.

وسار شبيبُ نحو المـدائن، فعلم أنّه لا سبيـل [له] إلى أهلهـا مع المـدينة، فـأقبل حتّى انتهَى إلى الكـرخ، فعبر دجلةَ إليهـا، فأرسـل إلى سوق بغـداذ فآمنهم، وكـان يـوم سوقهم، وبلغه أنّهم يخافونه، واشترى أصحابه دوابّ وأشياء يريدونها[1].

ذكر مسير شبيب إلى الكوفة

ثمّ سار شبيبُ إلى الكوفة، فنزل عند حمّام عُمَير بن سعد، فلمّا بلغ الحجّاجَ مكانُه بعث سُوَيد بن عبد الرحمن السعديَّ في ألْفَيْ رجل إليه، وقال له: القَ شبيباً فـإنِ استطرد لك فلا تتبعه.

فخرج وعسكر بالسّبخة، فبلغه أنّ شبيباً قـد أقبل فسـار نحوه، فكـأنّما يُسـاقون إلى الموت، فأمـر الحجّاجُ عثمـانَ بن قَطَن، فعسكـر بالنـاس في السَّبْخة، وسـار سُويـد إلى زُرارة، فهو يعبّىء أصحابه إذ قيل قد أتاك شبيب، فنزل ونزل معه جُلّ أصحابه، فأخبر أنّ شبيباً قد تركك وعبر الفرات، وهو يريد الكوفة من وجهٍ آخـر، فنادى في أصحـابه فـركبوا في آثـارهم، وبلغ مَن بالسّبخـة مـع عثمـان إقبـالُ شبيب إليهم، فصـاح بعضهم ببعض، وهمّوا أن يدخلوا[2] الكوفة حتّى قيل لهم: إنّ سُوَيْداً في آثارهم قد لحِقهم وهو يقـاتلهم، وحمل شبيبُ على سُوَيـد ومَنْ معه حملةً منكـرة، فلم يقدر منهم على شيء، وأخـذ على بيوت الكوفة نحو الحيرة، وذلك عند المساء، وتبعه سُوَيدُ إلى الحيرة، فرآه قد ترك الحيرة وذهب، فتركه سُوَيد وأقام حتّى أُصبح، وأرسل إلى الحجّاج يُعْلمه بمسير شبيب[3].

ذكر محاربة شبيب أهل البادية

وكتب الحجّاج إلى سُوَيـد يأمـره باتبـاعه، فـاتّبعه، ومضى شبيبُ حتّى أغـار أسفل الفـرات على مَنْ وجد من قـومه، وارتفـع في البرّ وراء خَفّـان، فـأصـاب رجـالاً من بني الوِرْثة، فقتـل منهم ثلاثـة عشر رجـلاً، منهم حنظلة بن مـالك[4]، ومضى شبيب حتّى أتَى

(١) الطبري ٦/٢٣١ ـ ٢٣٦، نهاية الأرب ٢١/١٦٩ ـ ١٧٢.
(٢) في الأوربية: «يدخل».
(٣) الطبري ٦/٢٣٦، نهاية الأرب ٢١/١٧٢.
(٤) في (ب) زيادة: «ومالكُ بن حنظلة»، وكذا في: نهاية الأرب ٢١/١٧٣.

بني أبيه[1] على اللَّصَف[2]، وعلى ذلك الماء الفِزْر[3] بن الأسود، وهو أحد بني الصَّلت، وكان ينهَى شبيباً عن رأيه، وكان شبيبٌ يقول: لئن ملكتُ سبعة أعِنّة لأغزُونّ الفِـزْرَ، فلمّا بلغهم خبرُ شبيب ركب الفِزرُ فرساً، وخرج من وراء البيوت، وانهزم منه الرجال، ورجع وقد أخاف أهل البادية، فأخذ على القُطْقُطانة[4]، ثمّ على قصر بني مُقاتل، ثمّ على الحَصّاصة، ثمّ على الأنبار، ومضى حتّى دخل دَقُوقاء، ثمّ ارتفع إلى أداني أَذْرَبيْجان.

فلمّا أبعد سار الحَجّاج إلى البصرة، واستخلف على الكوفة عُرْوَة بن المغيرة بن شُعْبة. فما شعر الناسُ إلاّ وقد أتاهم كتابُ دِهقان بابل مَهْروذ إلى عُرْوة، يذكر له أن بعض جُباة الخراج أخبره أنّ شبيباً قد نزل خانيجار، وهو على قصْد الكوفة، فأرسل عُروةُ الكتابَ إلى الحجّاج بالبصرة، فأقبل مُجِدّاً نحو الكوفة يسابق شبيباً إليها[5].

ذكر دخول شبيب الكوفة

وأقبل شبيبٌ إلى قرية اسمها حَرْبَى، فقال: حربٌ يَصْلَى بها عدوّكم، ثمّ سار فنزل عَقْرقوف، فقال له سُوَيْد بن سُلَيم: يا أمير المؤمنين لَوْ[6] تحوّلتَ من هذه القرية المشؤومة الاسم. قال: وقد تطيّرْتَ أيضاً! والله لا أسير إلى عدوّي إلاّ منها، إنّما شؤمها على عدوّنا والعَقْر لهم، إن شاء الله.

ثمّ سار منها يبادر الحَجّاج إلى الكوفة، وكانت كتب عُروة ترِد عليه، أعني الحَجّاج، يحثّه على العَجَل إليهم، فطوى الحَجّاج المنازل، فنزلها الحَجّاج صلاة العصر، ونزل شبيبٌ بالسَّبخة صلاة المغرب، فأكلوا شيئاً، ثمّ ركبوا خيولَهم، فدخلوا الكوفة وبلغوا السوق، وضرب شبيب باب القصر بعموده، فأثّر فيه أثراً عظيماً، ثمّ وقف عند المصْطبة وقال:

عبدٌ دعيٌّ مِنْ ثمودٍ أصلُهُ ... لا بل يُقال أبو أبيهم يَقْدُمُ[7]

---

(١) في الأوربية: «أميّة».
(٢) في (ر): «النضف». واللَّصَف: بالتحريك، بركة في غربي طريق مكة. (مراصد الإطلاع).
(٣) في الأصول: «الفزر، والغرز، والفرز»، وضُبِطت في: نهاية الأرب: «الفَزْر»، بفتح الفاء وسكون الزاي.
(٤) القُطقُطانة: بالضم، ثم السكون، ثم قاف أخرى مضمومة، وطاء أخرى، وبعد الألف نون وهاء. موضع قرب الكوفة من جهة البرّية بالطّفّ. (مراصد الإطلاع).
(٥) الطبري ٦/٢٣٩، ٢٤٠، نهاية الأرب ٢١/١٧٣.
(٦) في الأوربية: «أو».
(٧) الطبري ٦/٢٤١، وفيه بيت قبله:
وكأنّ حافرها بكل خميلةٍ ... كَيْلُ يكيل به شحيحُ مُعْدِمُ

يعني الحَجّاج؛ فإنّ بعض الناس يقول: إنّ ثقيفاً بقايا ثمود، وبعضهم يقول: هم من نَسل يَقْدُم الإياديّ.

ثمّ اقتحموا المسجدَ الأعظم، وكان لا يزال فيه قوم يصلّون، فقتلوا عَقيل بن مُصْعب الوادعيَّ، وعديَّ بن عَمرو الثقفيَّ، وأبا ليث بن أبي سُلَيم، ومرّوا بدار حَوْشب، وهو على الشُّرَط، فقالوا: إنّ الأميرَ يطلبه، فأراد الركوبَ، ثمّ أنكرهم فلم يخرج إليهم، فقتلوا غلامه، ثمّ أتَى الجحّاف بن نبيط الشيبانيّ فقال له: انزل لنقضيك ثمن البَكْرة الّتي اشتريتُ منك بالبادية. فقال الجحّاف: أما ذكرتَ أمانتَك(١) إلّا والليل أظلم وأنت على فرسك يا سُوَيد؟ قبّح الله دَيناً لا يصلح إلّا بإراقة الدماء وقتْل القرابة.

ثمّ مرّوا بمسجد(٢) ذُهْل، فرأوا ذُهْل بن الحارث، وكان يُطيل الصلاة فيه، فقتلوه، ثمّ خرجوا من الكوفة، فاستقبلهم النَّضْر بن قَعْقاع بن شُور الذّهْليُّ، فقال له: السلامُ عليك أيّها الأمير. فقال له سُوَيد: أمير المؤمنين ويلك! فقال: أمير المؤمنين. فقال له شبيب: يا نضر، لا حُكمَ إلّا لله، وأراد يلعنه، فقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، فشدّ أصحابُ شبيب عليه فقتلوه، وكان قد أقبل مع الحجّاج من البصرة، فتخلّف عنه، وكانت أمّ النضر ناجية بنت هانىء بن قَبيصة الشيبانيّ، فأحبّ شبيب نجاته.

ثمّ خرجوا نحو المَرْدَمَة(٣) وأمر الحَجّاج منادياً فنادى: يا خيلَ الله اركبي، وهو فوق باب القصر، وعنده مصباح، فكان أوّل مَن أتاه عثمان بن قَطن بن عبد الله بن الحُصَين ذي الغُصّة(٤)، فقال: أعلِموا الأميرَ بمكاني. فقال له غلام للحجّاج: قِفْ بمكانك. وجاء الناس من كلّ جانب.

ثمّ إنّ الحجّاج بعث بِشر بن غالب الأسديَّ في ألفَيْ رجل، وزائدة بن قُدامة الثقفيَّ في ألفَيْ رجل، (وأبا الضُّرَيْس مولى بني تميم في ألفَيْ رجل)(٥)، وعبد الأعلى بن عبد الله بن عامر، وزياد بن عَمْرو العَتَكيَّ.

وكان عبدُ الملك بن مروان قد استعمل محمّد بن موسى بن طلحة بن عُبيد الله على سِجِسْتان، وكتب إلى الحجّاج ليجهّزه ويسيّره سريعاً في ألف رجل إلى عمله، فأقام يتجهّز، وحدث من أمر شبيب ما حدث، فقال له الحجّاج: تلقى شبيباً وهذه الخارجة

---

(١) في الأوربية: «ما ذكرتك أمانيك».
(٢) في: (ر): «بمسجد بنى».
(٣) في الأوربية: «الردمة».
(٤) في الأوربية: «ذي القصّة».
(٥) ما بين القوسين من (ب).

فتجاهدهم، ويكون الظفرُ لك ويطير اسمك، ثمّ تمضي إلى عملك. فسيّره معهم، وقال لهؤلاء الأمراء: إن كان حربٌ، فأميركم زائدة بن قُدامة. فسار هؤلاء الأمراء فنزلوا أسفل الفرات، فترك شبيبٌ الوجه الذي هم فيه، وأخذ نحو القادسيّة[1].

ذكر محاربة شبيب زَحْر بن قيس

ووجّه الحجّاج جريدة خيلٍ نقاوة ألف وثمانمائة فارس مع زَحْر بن قيس، وقال له: اتبعْ شبيباً حتّى تُواقعه أين أدركتَه، إلّا أن يكون ذاهباً، فاتركْه ما لم يعطف عليك أو يقيم. فخرج زَحْر حتّى انتهَى إلى السَّيْلحين، وأقبل شبيب نحوه، فالتقيا، فجمع شبيبٌ خيله، ثمّ اعترض بهم الصفّ حتّى انتهى إلى زَحْر، فقاتل زَحْر حتّى صُرع، وانهزم أصحابه وظنّوا أنّهم قتلوه، فلمّا كان السَّحَر وأصابه البرد قام يتمشّى حتّى دخل قريةً فبات بها، وحُمل منها إلى الكوفة، وبوجهه وبرأسه بضع عشرة[2] جراحة، فمكث أيّاماً، ثمّ أتَى الحجّاجَ فأجلسه معه على السرير، وقال لمن حوله: مَنْ أراد أن ينظر إلى رجلٍ من أهل الجنّة يمشي بين الناس وهو شهيد لينظرْ إلى هذا[3].

ذكر محاربة الأمراء المقدّم ذكرهم وقتْل محمّد بن موسى بن طلحة

فلمّا هُزم أصحابُ زَحْر قال أصحابُ شبيب لشبيب: قد هزمنا لهم جُنْداً، انصرفْ بنا الآن وافرين. فقال لهم: هذه الهزيمة قد أرعبت هؤلاء الأمراء والجنود الذين في طلبكم، فاقصدوا بنا نحوَهم، فواللّهِ لئن قاتلناهم فما[4] دون الحجّاج مانع ونأخذ الكوفة إن شاء الله تعالى. فقالوا: نحن لرأيك تَبَعٌ.

فسار وسأل عن الأمراء، فأُخبر أنّهم برُوذْبار على أربعةٍ وعشرين فرسخاً من الكوفة، فقصدهم، فأرسل إليهم الحجّاجُ يُعْلمهم بمسيره ويقول لهم: إنّ أميرَ الجماعة زائدة بن قُدامة.

وانتهَى إليهم شبيبٌ وقد تعبّأوا للحرب، فكان على ميمنة أهل الكوفة زياد بن عَمرو العَتَكيُّ، وفي ميسرتهم بِشر بن غالب الأسديُّ، وكلّ أمير واقفٌ في أصحابه، وأقبل

---

(١) الطبري ٦/٢٤٠ ـ ٢٤٣، نهاية الأرب ٢١/١٧٤، ١٧٥، البداية والنهاية ٩/١٣، ١٤.

(٢) في الأوربية: «بضعة عشر».

(٣) الطبري ٦/٢٤٣، ٢٤٤، نهاية الأرب ٢١/١٧٥، ١٧٦.

(٤) في الأوربية: «ما».

شبيبٌ على فرس كميت أغرّ في ثلاث كتائب، كتيبة فيها سُوَيد بن سُلَيْم، فوقف بإزاء الميمنة، وكتيبة فيها مُصَاد، أخو شبيب، فوقف بإزاء الميسرة، ووقف شبيبٌ مقابل القلب.

فخرج زائدة بن قُدامة يسير في الناس، ويحثّهم على الجهاد لعدوّهم والقتال، ويُطْمعهم في عدوّهم لقلّته وباطله وكثرتهم، وأنّهم على الحقّ، ثمّ انصرف إلى موقفه، فحمل سُوَيد بن سُلَيْم على زياد بن عَمْرو، فانكشفوا وثبت زياد في نحوٍ من نصف أصحابه، ثمّ ارتفع عنهم سُوَيد قليلاً، ثمّ حمل عليهم ثانيةً، فتطاعنوا ساعةً، وصبر زياد ساعةً، وقاتل زياد قتالاً شديداً، وقاتل سُوَيد أيضاً قتالاً شديداً، وإنّه لأشجع العرب، ثمّ ارتفع سُوَيدٌ عنهم، وإذا أصحابُ زياد يتفرّقون، فقال لسُوَيد أصحابه: ألا تراهم يتفرّقون؟ احملْ عليهم. فقال لهم شبيب: خلّوهم حتّى يخفّوا؛ فتركهم قليلاً، ثمّ حمل الثالثة فانهزموا، وأخذتْ زيادَ بن عَمْرو السيوفُ من كلّ جانب، فما ضرّه منها شيء للّبسة الّتي عليه، ثمّ إنّه انهزم وقد جُرح جراحةً يسيرة، وذلك عند المساء.

ثمّ حملوا على عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر فهزموه، ولم يقاتل كثيراً، ولحِق بزياد بن عَمْرو، فمضيا منهزمَين، وحملت الخوارج حتّى انتهت إلى محمّد بن موسى بن طلحة عند المغرب، فقاتلوه قتالاً شديداً وصبر لهم، ثمّ إنّ مُصَاداً أخا شبيب حمل على بِشر بن غالب وهو في ميسرة أهل الكوفة، فصبر بِشر ونزل، ونزل معه نحو خمسين رجلاً، فقاتلوا حتّى قُتلوا عن آخرهم وانهزم أصحابه.

وحملت الخوارج على أبي الضُّرَيْس مولى بني تميم، وهو يلي بِشر بن غالب، فهزموه، حتّى انتهى إلى موقف أَعْيَن فهزموهما، حتّى انتهوا بهما إلى زائدة بن قُدامة، فلمّا انتهوا إليه نادى: يا أهلَ الإسلام! الأرضَ الأرضَ، لا يكونوا على كفرهم أصبر منكم على إيمانكم. فقاتلهم عامّة الليل حتّى كان السَّحَر.

ثمّ إنّ شبيباً حمل عليه في جماعة من أصحابه، فقتله وقتل أصحابه، وتركهم رِبْضة حوله.

ولما قُتل زائدةُ دخل أبو الضُّرَيْس وأعْيَن جوسقاً عظيماً، وقال شبيب لأصحابه: ارفعوا السيف [عن النّاس] وادعوهم إلى البيعة. فدعوهم إلى البيعة عند الفجر فبايعوه. وكان فيمن بايعه أبو بُرْدَة بن أبي موسى، فقال شبيب لأصحابه: هذا ابن أحد الحَكَمَين. فأرادوا قتله، فقال شبيب: ما ذنْب هذا؟ وتركه، وسلّموا على شبيب بإمرة المؤمنين وخلّى سبيلهم، فبقوا كذلك حتّى انفرج الفجر، فلمّا ظهر الفجر أمر محمّد بن موسى مؤذّنه فأذّن، وكان لم ينهزم، فسمع شبيبٌ الأذان فقال: ما هذا؟ قالوا: محمّد بن موسى بن

طلحة لم يبرح. فقال: قد ظننتُ أنّ حُمقه وخُيَلاءه يحمله على هذا. ثمّ نزل شبيبٌ فأذّن هو وصلّى بأصحابه الصبحَ، ثمّ ركبوا فحملوا على محمّد وأصحابه، فانهزمت طائفةٌ منهم وثبتت معه طائفة، فقاتل حتّى قُتل، وأخذت الخوارج ما كان في العسكر، وانهزم الذين كانوا بايعوا شبيباً، فلم يبقَ منهم أحد.

ثمّ أتى شبيبٌ الجوسَقَ الذي فيه أَعْيَن، وأبو الضُّرَيس، فتحصّنوا منه، فأقام عليهم ذلك اليوم وسار عنهم. فقال أصحابه: ما دون الكوفة أحد يمنع، فنظر وإذا أصحابه قد جُرحوا، فقال لهم: ما عليكم أكثر ممّا فعلتم. فخرج بهم على نِفَّر، ثمّ على الصَّراة، فأتَى خانيجار فأقام بها. فبلغ الحجّاج مسيره نحو نِفّر، فظنّ أنّه يريد المدائن، وهي باب الكوفة، ومَنْ أخذها كان في يده من السواد أكثره[1]، فهال ذلك الحجّاجَ، فبعث عثمانَ بن قَطن أميراً على المدائن وجُوخى والأنبار، وعزل عنها عبد الله بن أبي عُصَيْفر، وكان بها الجَزْل يداوي جراحته، فلم يتعهّده[2] عثمان كما كان ابن أبي عُصَيْفر يفعل، فقال الجزل: اللهمّ زِدَ ابنَ أبي عُصَيفر جُوداً وفضلاً، وزدْ عثمان بن قَطن بخلاً وضيقاً[3].

وقد قيل في مقتل محمّد بن موسى غير هذا، والذي ذُكر من ذلك أنّ محمّد بن موسى كان قد شهد مع عمر بن عُبيد الله بن مَعْمَر قتال أبي فُدَيك، وكان شجاعاً ذا بأس، فزوّجه عمر ابنته، وكانت أخته تحت عبد الملك بن مروان، فولّاه سِجِسْتان، فمرّ بالكوفة وفيها الحجّاج فقيل له: إن صار هذا بسجستان مع صهره، لعبد الملك، فلجأ[4] إليه أحد ممّن تطلب منعك منه. فقال: وما الحيلة؟ قال: تأتيه وتسلّم عليه وتذكر نجدته وبأسه، وأنّ شبيباً في طريقه وأنّه قد أعياك وترجو أن يريح الله منه على يده، فيكون له ذِكره وفخره.

ففعل الحجّاج ذلك، فأجابه محمّد وعدل إلى شبيب، فأرسل إليه شبيب: إنّك مخدوع، وإنّ الحجّاج قد اتّقى[5] بك وأنت جارٌ لك حقّ، فانطلِق لما أُمرتَ به، ولك الله لا أُوذيك. فأبَى إلّا محاربته، فواقفه شبيبٌ وأعاد إليه الرسولَ، فأبَى وطلب البراز، فبرز إليه البَطِين بن قَعْنَب، وسُوَيد بن سُلَيم، فأبَى إلّا شبيباً، فقالوا ذلك لشبيب، فبرز شبيبٌ إليه وقال له: أنشدك الله في دمك، فإنّ لك جواراً، فأبَى، فحمل شبيبٌ عليه فضربه

---

(١) في الأوربية: «أكثر».

(٢) في الأوربية: «يتعمّده».

(٣) في الأوربية: «وشقّاً». والخبر في: تاريخ الطبري ٦/٢٤٣ ـ ٢٤٨، ونهاية الأرب ٢١/١٧٦ ـ ١٧٨ وفيه «عصيفير» بدل «عصيفر».

(٤) في الأوربية: «فجاء».

(٥) في (آ) ونسخة مكتبة بودليان «ابقى».

بعمود حديد وزنه اثنا عشر رطلاً بالشاميّ، فهشمَ البيضةَ ورأسه، فسقط ميتاً، ثمّ كفّنه ودفنه، وابتاع ما غنموا من عسكره، فبعثه إلى أهله واعتذر إلى أصحابه، وقال: هو جاري، ولي أن أهب ما غنمتُ لأهل الرِّدّة[1].

ذكر محاربة شبيب عبد الرحمن بن محمّد بن الأشعث وقتل عثمان بن قَطَن

ثمّ إنّ الحجّاج دعا عبد الرحمن بن محمّد بن الأشعث، وأمره أن ينتخب من الناس ستّة آلاف فارس، ويسير في طلب شبيب أين كان، ففعل ذلك وسار نحوه، وكتب الحجّاج إليه وإلى أصحابه يتهدّدهم بالقتل والتنكيد[2] إن انهزموا. فوصل عبد الرحمن إلى المدائن، فأتى الجزْل يعوده من جراحته، فأوصاه الجَزْل بالاحتياط، وحذّره من شبيب وأصحابه، وأعطاه فرساً كانت له تسمّى الفُسَيْفساء[3]، وكانت لا تُجارى، ثمّ ودّعه عبدُ الرحمن وسار إلى شبيب.

فسار شبيب إلى دَقُوقاء وشَهْرَزُور، فخرج عبد الرحمن في طلبه، حتّى إذا كان بالتخوم وقف وقال: هذه أرض الموصلِ فلْيقاتلوا عنها. فكتب إليه الحجّاجُ: أمّا بعدُ فاطلب شبيباً واسلكْ في أثره أين سلك حتّى تدركه فتقتله أو تنفيه، فإنّما السلطان سلطانُ أمير المؤمنين، والجُند جُنده، والسلام.

فخرج عبد الرحمن في أثر شبيب، [فكان شبيب] يدعه حتّى يدنو منه فيبيّته، فيجده قد خندق على نفسه وحَذر، فيتركه[4] ويسير، فيتبعه عبد الرحمن. فإذا بلغ شبيباً مسيرُه أتاهم وهم سائرون، فيجدهم على تعبية، فلا يصيب منه غِرّة، ثمّ جعل إذا دنا منه عبد الرحمن يسير عشرين فرسخاً أو ما يقاربها فينزل[5] في أرض خشنة غليظة ويتبعه عبد الرحمن، فإذا دنا منه فعل مثل ذلك، حتّى عذّب ذلك الجيش وشقّ عليه وأحْفى دوابّهم، ولقوا منه كلّ بلاء، ولم يزل عبد الرحمن يتبعه حتّى مرّ به على خانقين وجَلولاء وسامرّا، ثمّ أقبل إلى البَتّ، وهي من قرى الموصل، ليس بينها وبين سواد الكوفة إلّا نهر حَوْلايا، وهو في راذان الأعلى من أرض جُوخى، ونزل عبد الرحمن في عواقيل من النهر، لأنّها مثل الخندق.

(١) نهاية الأرب ٢١/١٧٨، ١٧٩.

(٢) في (ب): «والتنكيل».

(٣) في (ب): «الفتق» و(ر): «الفيسفا».

(٤) في الأوربية: «فتركه».

(٥) في الأوربية: «ونزل».

فأرسل شبيبٌ إلى عبد الرحمن يقول: إنّ هذه الأيّام عيدٌ لنا ولكم، يعني عيد النحر، فهل لك في الموادعة حتّى تمضي هذه الأيّام؟ فأجابه إلى ذلك، وكان يحبّ المطاولة، وكتب عثمان بن قَطَن إلى الحجّاج: أمّا بعدُ، فإنّ عبد الرحمن قد حفر جُوخَى كلّها خندقاً واحداً، وكسر خراجها، وخلّى شبيباً يأكل أهلها، والسلام. فكتب إليه الحجّاج يأمره بالمسير إلى الجيش، وجعله أميرهم، وعزل عنهم عبد الرحمن، وبعث الحجّاجُ إلى المدائن مُطَرّف بن المُغيرة بن شُعْبَة، وسار عثمان حتّى قدِم على عبد الرحمن وعسكر الكوفة، فوصل عشيّة الثلاثاء يوم التّروية، فنادى الناسَ وهو على بغلة: أيّها الناس اخرجوا إلى عدوكم. فوثب إليه الناس وقالوا: هذا المساء قد غشينا، والناس لم يوطّنوا أنفسهم على الحرب، فبتِ الليلةَ، ثمّ اخرجْ على تعبية، وهو يقول: لأناجزنّهم فلتكوننّ الفرصة لي أو لهم. فأتاه عبد الرحمن فأنزله.

وكان شبيب قد نزل ببيعة البتّ، فأتاه أهلُها فقالوا له: أنت ترحمُ الضعفاء وأهل الذّمّة، ويكلّمك مَنْ تلي عليه، ويشكون إليك فتنظر إليهم، وإنّ هؤلاء جبابرة لا يكلّمون ولا يقبلون العُذْر، والله لئن بلغهم أنّك مقيم في بيعتنا ليقتُلُنّنا إذا ارتحلتَ عنّا، فإن رأيتَ أن تنزل جانب القرية، ولا تجعلْ علينا مقالاً فافعلْ. فخرج عن البيعة فنزل جانب القرية.

وبات عثمان ليلته كلّها يحرّض أصحابه، فلمّا أصبح يوم الأربعاء خرج بالناس كلّهم، فاستقبلتهم ريحٌ شديدة وغبرة شديدة، فصاح الناس وقالوا له: ننشدك الله أن تخرج بنا والريح علينا. فأقام بهم ذلك اليوم، ثمّ خرج بهم يوم الخميس وقد عبّأ الناسَ، فجعل في الميمنة خالد بن نَهيك بن قيس، وفي الميسرة عَقيل بن شدّاد السلوليَّ، ونزل هو في الرَّجّالة، وعبر شبيب النهر إليهم، وهو يومئذٍ في مائةٍ وأحد وثمانين رجلاً، فوقف هو في الميمنة، وجعل أخاه مُصَاداً في القلب، وجعل سُوَيد بن سُلَيم في الميسرة، وزحف بعضهم إلى بعض.

وقال شبيب لأصحابه: إنّي حامل على ميسرتهم ممّا يلي النهر، فإذا هزمتُها فلْيحملْ صاحب ميسرتي على ميمنتهم، ولا يبرح صاحبُ القلب حتّى يأتيه أمري.

وحمل على ميسرة عثمان فانهزموا، ونزل عَقيل بن شدّاد فقاتل حتّى قُتل، وقُتل أيضاً مالك بن عبد الله الهمدانيّ عمّ عَيّاش بن عبد الله المنتوف، ودخل شبيب عسكرهم، وحمل سُويد على ميمنة عثمان، فهزمها وعليها خالد بن نَهيك، فقاتله قتالاً شديداً، وحمل شبيب من ورائه فقتله.

وتقدّم عثمان بن قَطَن وقد نزل معه العرفاء وأشراف الناس والفرسان نحو القلب، وفيه مُصاد أخو شبيب في نحو من ستّين رجلاً، فلمّا دنا منهم عثمان شدّ عليهم فيمَن

معه، فضاربوهم حتّى فرّقوا بينهم، وحمل شبيب بالخيل من ورائهم، فما شعر عثمان ومَنْ معه إلاّ والرماح في أكتافهم تكبّهم لوجوههم، وعطف عليهم سُوَيد بن سُلَيم أيضاً في خيله، ورجع مُصاد وأصحابه فاضطّربوا ساعةً، وقاتل عثمانُ بن قَطَن أحْسن قتال، ثمّ إنّهم أحاطوا به، وضربه مُصاد أخو شبيب ضربة بالسيف استدار لها وقال: ﴿**وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً**﴾[1]، ثمّ إنّ الناس قتلوه ووقع عبد الرحمن، فأتاه ابن أبي سبرة الجُعْفيُّ، وهو على بغله، فعرفه فأركبه معه ونادى في الناس: الحقوا بدير أبي مريم؛ ثمّ انطلقا ذاهبَيْن.

ورأى واصل السَّكونيُّ فرسَ عبد الرحمن التي أعطاه الجزْلُ تجول في العسكر، فأخذها بعضُ أصحاب شبيب، فظنّ أنّه قُتل، فطلبه في القتلى فلم يجده، فسأل عنه فأُعطي خبره، فاتبعه واصل على بِرْذَوْنه ومعه غلامه على بغل، فلمّا دنا منهما نزل عبد الرحمن، وابن أبي سَبرة ليقاتلا، فلمّا رآهما واصل عرفهما وقال: إنّكما تركتما النزول في موضعه فلا تنزلا[2] الآن! وحسر عمامته عن وجهه فعرفاه، وقال لابن الأشعث: قد أتيتك بهذا البِرْذَون لتركبه، فركبه وسار حتّى نزل دَيْر البقّار.

وأمر شبيب أصحابه فرفعوا السيف عن الناس، ودعاهم إلى البيعة فبايعوه.

وقُتل من كِنْدة يومئذٍ مائةٌ وعشرون، وقُتل معظم العُرفاء.

وبات عبد الرحمن بدير البقّار، فأتاه فارسان فصعِدا إليه، فخلا أحدهما بعبد الرحمن طويلاً ثمّ نزلا، فتبيّن أن ذلك الرجل كان شبيباً، وقد كان بينه وبين عبد الرحمن مكاتبة، وسار عبد الرحمن حتّى أَتَى دير أبي مريم، فاجتمع الناسُ إليه وقالوا له: إن سمع شبيب بمكانك أتاك فكنتَ له غنيمة. فخرج إلى الكوفة، واختفى من الحجّاج حتّى أخذ له الأمان منه[3].

ذكر ضرب الدراهم والدنانير الإسلاميّة

وفي هذه السنة ضرب عبد الملك بن مروان الدنانير والدراهم، وهو أوّل من أحدث ضربها في الإسلام، فانتفع الناسُ بذلك[4].

---

(١) سورة الأحزاب ٣٣، الآية ٣٧.

(٢) في الأوربية: «ينزلا».

(٣) الطبري ٦/٢٥٠ ـ ٢٥٦، نهاية الأرب ٢١/١٧٩ ـ ١٨٢.

(٤) انظر عن ضرب الدراهم والدنانير في: الأخبار الطوال للدينوري ٣١٦، وتاريخ الطبري ٦/٢٥٦، والأوائل لأبي هلال العسكري ١٧٤، وتاريخ اليعقوبي ٢/٢٨١ وفيه «وفي أيام عبد الملك نُقشت الدراهم والدنانير بالعربية، وكان الذي فعل ذلك الحجّاج بن يوسف»، ونهاية الأرب ٢١/٢٢٣، ٢٢٤، والبيان المغرب=

وكان سبب ضربها أنّه كتب في صدور الكتب إلى الروم: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[1]، وذكر النبيّ ﷺ، مع التاريخ، فكتب إليه ملك الروم: إنّكم قد أحدثتم كذا وكذا، فاتركوه وإلاّ أتاكم في دنانيرنا من ذِكر نبيّكم ما تكرهون. فعظُم ذلك عليه. فأحضر خالدَ بن يزيد بن معاوية فاستشاره فيه، فقال: حرِّمْ دنانيرهم، واضربْ للناس سكّةً فيها ذِكر الله تعالى. فضرب الدنانير والدراهم[2].

ثمّ إنّ الحجّاج ضرب الدراهم ونقش فيها: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[1]، فكرِه الناسُ ذلك لمكان القرآن، لأنّ الجُنُب والحائض يمسّها، ونهى أن يضرب أحد غيره، فضرب سمير اليهوديُّ، فأخذه ليقتله، فقال له: عيار درهمي أجود من دراهمك، فلِمَ تقتلني؟ فلم يتركه، فوضع للناس سنْج الأوزان ليتركه فلم يفعل، وكان الناس لا يعرفون الوزن، إنّما يزِنون بعضها ببعض، فلمّا وضع لهم سمير السّنْج كفّ بعضهم عن غَبْن بعض[3].

وأوّل من شدّد في أمر الوزن وخلّص الفضّة أبلغ من تخليص مَن قبله عمر بن هُبَيرة أيّام يزيد بن عبد الملك، وجوّد الدراهم، وخلّص العيار واشتدّ فيه. ثمّ كان خالد بن عبد الله القَسْريُّ أيّام هشام بن عبد الملك، فاشتدّ أكثر من ابن هُبَيرة. ثمّ وليَ يوسف بن عمر، فأفرط في الشدّة، فامتحن يوماً العيار، فوجد درهماً ينقص حبّة، فضرب كلّ صانع ألْف سَوْط. وكانوا مائة صانع، فضرب في حبّةٍ مائة ألف سوط[4]. وكانت الهُبَيريّةُ والخالديّة واليوسفيّة أجود نقود بني أميّة، ولم يكن المنصور يقبل في الخراج غيرها، فسُمّيت الدراهم الأولى مكروهة.

وقيل: إنّ المكروهة الدّراهم التي ضربها الحجّاج ونقش عليها: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[1]، فكرهها العلماء لأجل مسّ الجُنُب والحائض[5].

وكانت دراهم الأعجام مختلفة كباراً وصغاراً، وكانوا يضربون مثقالاً، وهو وزن عشرين قيراطاً، ومنها وزن اثني عشر قيراطاً، ومنها وزن عشرة قراريط، وهي أصناف

٣٤/١، وتاريخ الإسلام للذهبي (٦١ ـ ٨٠ هـ.) ٣٢٦ (حوادث سنة ٧٥ هـ.)، والنقود القديمة الإسلامية للمقريزي ٣٥، والبداية والنهاية ١٤/٩، ١٥، والمحاسن والمساوىء للبيهقي ٢٣٢/٢، ٢٣٣ طبعة نهضة مصر، بالقاهرة ١٩٦١، ومقدّمة تاريخ ابن خلدون ٢٦١، والنجوم الزاهرة ١٧٦/١، وفتوح البلدان ٣٣٦، وإغاثة الأمة بكشف الغُمَّة للمقريزي ٥٣، ٥٤، وتاريخ الخلفاء ٢١٨، ومآثر الإنافة ١٢٩/١، وفوات الوفيات ٤٠٣/٢، وآثار الأول للعباسي ٢٠٨، ومختصر التاريخ ٨٩.

(١) سورة الإخلاص ١١٢، الآية ١.

(٢) إغاثة الأمة ٥٤، ٥٥.

(٣) المحاسن والمساوىء ٢٣٥/٢، إغاثة الأمة ٥٤، النجوم الزاهرة ١٧٧/١.

(٤) النجوم الزاهرة ١٧٧/١.

(٥) نهاية الأرب ٢٢٣/٢١، ٢٢٤.

المثاقيل، فلمّا ضُرب الدراهم في الإسلام أخذوا عشرين قيراطاً واثني عشر قيراطاً وعشرة قراريط، فوجدوا ذلك اثنين وأربعين قيراطاً، فضربوا على الثلث من ذلك، وهو أربعة عشر قيراطاً، فوزن الدرهم العربي أربعة عشر قيراطاً، فصار وزن كلّ عشرة دراهم سبعة مثاقيل[1].

وقيل: إنّ مصعب بن الزّبير ضرب دراهم قليلة أيّام أخيه عبد الله بن الزّبير، ثمّ كُسِرت بعد ذلك أيّام عبد الملك[2].

والأوّل أصحّ في أنّ عبد الملك أوّل مَن ضرب الدراهم والدنانير.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة وفد يحيى بن الحكَم على عبد الملك[3]. وفيها ولّى عبد الملك المدينة أبان بن عثمان[4]. وفيها وُلد مروان بن محمّد بن مروان[5]. وأقام الحجّ للناس هذه السنة أبان بن عثمان، وهو أمير المدينة[6]. وكان على العراق الحجاج، وعلى خُراسان أميّة بن عبد الله بن خالد، وعلى قضاء الكُوفة شُرَيْح، وعلى قضاء البصرة زُرارة بن أوفى[7]. وفيها غزا محمّد بن مروان الروم من ناحية مَلَطْية[8].

[الوَفَيات]

وفيها مات حَبّة بن جُوَين[9] العُرَنيُّ صاحب عليّ.

(حَبّة: بالحاء المهملة، وبالباء الموحّدة، وهو منسوب إلى عُرنة، بالعين المهملة المضمومة، والراء المهملة، والنون).

---

(١) مختصر التاريخ لابن الكازروني ٨٩.

(٢) فتوح البلدان ٦٥٣، البداية والنهاية ٩/١٥.

(٣) الطبري ٦/٢٥٦.

(٤) الطبري ٦/٢٥٦، نهاية الأرب ٢١/٢٢٤.

(٥) الطبري ٦/٢٥٦، البداية والنهاية ٩/١٥، نهاية الأرب ٢١/٢٢٤.

(٦) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٨١، المحبّر ٢٥، تاريخ الطبري ٦/٢٥٦، مروج الذهب ٣/٣٩٩، تاريخ العظيمي ١٩١، نهاية الأرب ٢١/٢٢٤، البداية والنهاية ٩/١٥.

(٧) الطبري ٦/٢٥٦، نهاية الأرب ٢١/٢٢٤.

(٨) تاريخ خليفة ٢٧٢، وفي تاريخ اليعقوبي ٢/٢٨١، «سنة ٧٦ غزا يحيى بن الحكم الصائفة بمرج الشحم بين ملطية والمصّيصة»، نهاية الأرب ٢١/١٩٧.

(٩) انظر عن (حبّة بن جوين) في: تاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨٠ هـ.) ص ٣٩١ رقم ١٥٥ وفيه مصادر ترجمته.

٧٧
ثم دخلت سنة سبعٍ وسبعين

ذكر محاربة شبيب عتّاب بن ورقاء وزُهْرة بن حَوِيّة وقتلهما

وفي هذه السنة قتل شبيبٌ عتّابَ بنَ ورقاء الرّياحيّ، وزُهْرة بن حَويّة.

وسبب ذلك أنّ شبيباً لما هزم الجيش الذي كان وجّهه الحجّاج مع عبد الرحمن بن محمّد بن الأشعث، وقتل عثمان بن قَطَن، كان ذلك في حرّ شديد، وأتى شبيبٌ ماه بهراذان[1] فصيّف بها ثلاثة أشهر، وأتاه ناس كثير ممّن يطلب الدنيا، وممّن كان الحجّاج يطلبهم بمالٍ أو تبعات[2]. فلمّا ذهب الحرّ خرج شبيبٌ في نحو ثمانمائة رجل فأقبل نحو المدائن، وعليها مُطَرّف بن المغيرة بن شُعْبَة، فجاء حتّى نزل قناطر حُذَيْفة بن اليمان، فكتب عظيم بابل مهروذ إلى الحجّاج بذلك، فلمّا قرأ الكتاب قام في الناس فقال: أيّها الناس لتقاتلُنّ عن بلادكم وعن فَيْئكم، أو لأبعثنّ إلى قومٍ هم أطوع ويصبر على اللأواء والقيظ منكم، فيقاتلون عدوّكم ويأكلون فَيْئكم.

فقام إليه الناس من كلّ جانب ومكان فقالوا: نحن نقاتلهم ونعتب[3] الأمير، فلْيندبنا[4] الأمير إليهم. وقام إليه زُهْرة بن حَوِيّة، وهو شيخ كبير لا يستتمّ قائماً حتّى يُؤخذ بيده[5]، فقال [له]: أصلح اللّهُ الأميرَ، إنّما تبعث إليهم الناسَ متقطّعين، فاستنفر الناسَ إليهم كافّة، وابعثْ إليهم رجلاً شجاعاً مجرّباً ممّنْ يرى الفِرار هضْماً وعاراً، والصبرَ مجداً وكرماً. فقال الحجّاج: فأنتَ ذلك الرجل فاخرج. فقال زُهْرة: أصلحَ اللّهُ الأميرَ، إنّما يصلح الرجل يحمل الدرع والرمح، ويهزّ السيف، ويثبت على [متن] الفرس، وأنا لا أطيق من هذا شيئاً، وقد ضعُف بَصَري [وضعفتُ]، ولكنْ أخرجني مع الأمير في

---

(١) في تاريخ الطبري ٦/٢٥٧ «بهزاذان»، وماه بهراذان، قال ياقوت: وما أظنها إلّا ناحية الراذانين.

(٢) في الأوربية: «يتعات»، والطبري: «تباعات».

(٣) في الأوربية: «تعيّب».

(٤) في الأوربية: «فليندبنّا».

(٥) تاريخ خليفة ٢٧٥، تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٣٣٠.

الناس، فأكون معه وأشير عليه برأيي. فقال الحجّاج: جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله في أوّل أمرك وآخره، فقد نصحتَ. ثمّ قال: أيّها الناس سيروا بأجمعكم كافّة.

فانصرف الناس يتجهّزون ولا يدرون مَن أميرهم. وكتب الحجّاج إلى عبد الملك يُخْبره أنّ شبيباً قد شارف المدائن، وأنّه يريد الكوفة، وقد عجز أهل الكوفة عن قتاله في مواطن كثيرة، [في كلّها] يقتل أمراءهم ويهزم[1] جنودهم؛ ويطلب إليه أن يبعث إليه جُنداً من الشام يقاتلون الخوارج ويأكلون البلاد.

فلمّا أتى الكتابُ بعث إليه عبدُ الملك سفيانَ بن الأبرد الكلبيَّ في أربعة آلاف، وحَبيبَ بن عبد الرحمن الحكميَّ في ألفين. فبعث الحجّاجُ إلى عتّاب بن ورقاء الرياحيّ، وهو مع المهلّب، يستدعيه، وكان عتّاب قد كتب إلى الحجّاج يشكو من المهلّب، ويسأله أن يضمّه إليه، لأنّ عتّاباً طلب من المهلّب أن يرزق أهل الكوفة الذين معه من مال فارس، فأبَى عليه، وجرت بينهما منافرة، فكادتْ تؤدّي إلى الحرب، فدخل المغيرة بن المهلّب بينهما، فأصلح الأمرَ، وألزم أباه برزق أهل الكوفة، فأجابه إلى ذلك، وكتب يشكو منه.

فلمّا ورد كتابه سُرّ الحجّاج بذلك واستدعاه، ثمّ جمع الحجّاجُ أهلَ الكوفة، واستشارهم فيمن يولّيه أمرَ الجيش، فقالوا: رأيك أفضل. فقال: قد بعثتُ إلى عتّاب، وهو قادم عليكم الليلة أو القابلة. فقال زُهْرة: أيّها الأمير رميتَهم بحجرهم، والله لا نرجع إليك حتّى نظفر أو نُقْتَل.

وقال له قَبيصة بن والق: إنّ الناس قد تحدّثوا أنّ جيشاً قد وصل إليك من الشام، وأنّ أهل الكوفة قد هُزموا، وهان عليهم الفِرارُ، فقلوبهم كأنّها ليست فيهم، فإن رأيتَ أن تبعث إلى أهل الشام ليأخذوا حِذْرهم، ولا يبيتوا[2] إلاّ وهم محتاطون، فإنّك تحارب حُوَّلاً قُلَّباً، ظَعّاناً رَحّالاً، وقد جهّزتَ إليهم أهل الكوفة، ولستَ واثقاً بهم كلّ الثقة، وإنّ شبيباً بينا هو في أرض إذا هو في أخرى، ولا آمن أن يأتي أهلَ الشام وهم آمنون، فإن يهلكوا نهلك ويهلك العراق.

قال له: لله أبوك ما أحسن ما أشرتَ به! وأرسل إلى أهل الشام يحذّرهم ويأمرهم أن يأتوا على عين التمر، ففعلوا.

وقدم عَتّاب بن ورقاء تلك الليلة، فبعثه الحجّاج على ذلك الجيش، فعسكر بحمّام

(١) في الأوربية: بقتل أمرائهم وبهزم.
(٢) في الأوربية: «يثبتوا».

أعْيَن، وأقبل شبيبٌ حتّى انتهَى إلى كَلْواذى، فقطع فيها دجلة، (ثمّ سار حتّى نـزل مدينـة بَهُرَسير الدنيا، فصار بينه وبين مُطَرّف [جِسر] دجلة)[1]، وقـطع مطَرّفُ الجسـرَ وبعث إلى شبيب: أن ابعثْ إليّ رجالاً من وجوه أصحابك أدارسهم القرآن، وأنظر فيما يدعون إليه. فبعث إليه قَعْنَب بن سُوَيْد، والمُحَلِّل[2] وغيرهما، وأخذ منه رهائن إلى أن يعودوا، فأقـاموا عنده أربعة أيّـام، ثمّ لم يتّفقوا على شيء. فلمّـا لم يتبعه مـطرّف تهيّأ للمسيـر إلى عتّاب وقـال لأصحابـه: إنّي كنتُ عازمـاً أن آتي أهلَ الشـام جريـدةً، وألقاهم على غِـرّة قبل أن يتّصلوا بـأميرٍ مثـل الحجّاج، ومصـرٍ مثل الكـوفـة، فثبّـطني عنهم مـطرّف، وقـد جـاءتني عيوني، فأخبـروني أنّ أوائلهم قد دخلوا عين التمـر، فهم الآن قد شـارفوا الكـوفة، وقـد أخبروني أنّ عَتّاباً ومَنْ معه بالبصرة، فما أقرب ما بيننا وبينه، فتيسّروا للمسير إلى عتّاب.

وخـاف مـطرّفُ بن المغيـرة أن يبلغ خبـره مـع شبيب إلى الحجّـاج، فخـرج نحـو الجبال. فأرسل شبيبٌ أخاه مَصَاداً إلى المدائن وعقد الجسر، وأقبل عتّاب إليـه حتّى نزل بسوق حَكَمَة، وقد خرج معه من المقاتلة أربعون ألفاً، ومن الشباب والأتباع عشرة آلاف، فكانوا خمسين ألفاً، وكان الحجّاج قد قال لهم حين ساروا: إنّ للسائر المجتهـد الكرامـة والأثرة، وللهارب الهوان والجفوة، والذي لا إله غيرُه لئن فعلتم في هذه المواطن كفِعلكم في المواطن الأخـر لأولينّكم كنفاً خشناً، ولأعركنّكم بكلكل ثقيل.

فلمّا بلغ عتّابٌ سوقَ حكَمَة أتاه شبيبٌ، وكان أصحابه بالمدائن ألف رجل، فحثّهم على القتال، وسار بهم، فتخلّف عنه بعضهم، ثمّ صلّى الظهـر بسابـاط، وصلّى العصر، وسار حتّى أشرف على عتّاب وعسكره، فلمّا رآهم نزل فصلّى المغـرب، وكان عتّـابٌ قد عبّأ أصحابه، فجعل في الميمنة محمّد بن عبد الرحمن بن سعيـد بن قيس، وقال: يـا ابنَ أخي إنّك شريف صابر. فقال: والله لأصبرنّ مـا ثبت معي إنسان. وقـال لقبيصة بن والق التغلبيّ: اكفيني الميسرة. فقال: أنا شيخ كبير لا أستطيع القيام إلّا أن أُقام؛ فجعل عليها نُعَيْم بن عُلَيْم، وبعث حنظلةَ بن الحارث اليربوعيَّ، وهو ابن عمّه وشيخ أهل بيتـه، على الرَّجّالة، وصفّهم ثلاثـة[3] صفوف: صفّ فيهم أصحـاب السيوف، وصفّ فيهم أصحـاب الرماح، وصفّ فيهم الرُّماة، ثمّ سـار في الناس يحـرّضهم على القتال ويقصّ عليهم، ثمّ قال: أين القصّاص؟ فلم يُجِبْه أحد. ثمّ قال: أين مَنْ يروي شعر عنترة؟ فلم يُجِبْه أحد. فقال: إنّا لله، كأنّي بكم قد فررتم عن عتّاب بن ورقاء، وتركتموه تسفي في استه الريح!

---

(١) ما بين القوسين من (ب).

(٢) في (ر): «المجلل».

(٣) في الأوربية: «ثلاث».

ثمّ أقبل حتّى جلس في القلب ومعه زُهْرة بن حَوِيّة جالس، وعبد الرحمن بن محمّد بن الأشعث، وأبو بكر بن محمّد بن أبي جَهْم العَدَويُّ. وأقبل شبيبٌ وهو في ستّمائة وقد تخلّف عنه من أصحابه أربعمائة، فقال: لقد تخلّف عنّا مَنْ لا أُحبّ أن يُرى فينا، فجعل سُوَيدَ بن سُلَيم في مائتين في الميسرة، وجعل المُحَلِّل بن وائل في مائتين في القلب، ومضى هو في مائتين إلى الميمنة بين المغرب والعِشاء الآخرة حين أضاء القمر، فناداهم: لمَنْ هذه الرايات؟ فقالوا: رايات لربيعة. قال: طالما نصرتِ الحقّ وطالما نصرتِ الباطل، والله لأجاهدنّكم محتسباً، أنا شبيب، لا حُكم إلاّ لله، للحَكَم، اثبتوا إن شئتم! ثمّ حمل عليهم ففضّهم[1]، فثبت أصحاب رايات قَبيصة بن والق، وعُبَيد بن الحُلَيْس، ونُعَيْم بن عُلَيْم فقُتلوا، وانهزمت الميسرة كلّها، ونادى الناسُ من بني ثعلبة: قُتل قَبيصة! وقال شبيب: قتلتموه، ومثله كما قال الله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾[2]. ثمّ وقف عليه وقال: ويحك لَوْ[3] ثبتَّ على إسلامِك الأوّل سعدتَ! وقال لأصحابه: إنّ هذا أتى رسولَ الله ﷺ، فأسلم، ثمّ جاء يقاتلكم مع الفَسَقة[4].

ثمّ إنّ شبيباً حمل من[5] الميسرة على عتّاب، وحمل سُوَيد بن سُلَيْم على الميمنة، وعليهما محمّد بن عبد الرحمن، فقاتلهم في رجال من تميم وهمدان، فما زالوا كذلك حتّى قيل لهم قُتل عتّاب، فانفضّوا.

ولم يزل عتّاب جالساً على طنفسة في القلب، ومعه زُهْرَة بن حَوِيّة إذ غشيهم شبيب، فقال [له] عتّاب: يا زُهْرة هذا يوم كثر فيه العدد وقلّ فيه الغَناء، وَالهَفي على خمسمائة فارس من تميم من جميع الناس، ألاَ صابر لعدوّه؟ ألاَ مُواسٍ بنفسه؟ فانفضّوا عنه وتركوه، فقال [له] زُهرة: أحسنتَ يا عتّاب، فعلتَ فعلاً [لا يفعلُه] مثلك. أبشِر، فإنّي أرجو أن يكون الله، جلّ ثناؤه، قد أهدى إلينا الشهادة عند فناء أعمارنا.

فلمّا دنا منه شبيب وثب في عصابة قليلة صبرت معه وقد ذهب الناس، فقيل له: إنّ عبد الرحمن بن الأشعث قد هرب وتبِعه ناس كثير. فقال: ما رأيتُ ذلك الفتى ببالي ما صنع. ثمّ قاتلهم ساعة، فرآه رجل من أصحاب شبيب يقال له عامر بن عمر التغلبيُّ، فحمل عليه فطعنه، ووطئتِ الخيل زُهْرَة بن حَوِيّة، فأخذ يذبّ بسيفه لا يستطيع أن يقوم،

---

(١) في الأوربية: «فغضّتهم».
(٢) سورة الأعراف، الآية ١٧٥.
(٣) في الأوربية: «أو».
(٤) في (ب): «الكافرين».
(٥) في (ب): «على».

فجاءه الفضلُ بن عامر الشيبانيُّ فقتله، فانتهَى إليه شبيبٌ، فرآه صريعاً فعرفه فقال: هذا زُهرة بن حَوِيّة، أمَا والله لئن كنتَ قُتلتَ على ضلالة لرُبَّ يوم من أيّام المسلمين قد حسن فيه بلاؤك، وعظم فيه غَناؤك[1]! ولربَّ خيل للمشركين هزمتها، وقرية من قراهم جَمٍّ[2] أهلها قد افتتحتَها! ثمّ كان في علم الله أنّك تُقْتَل ناصراً[3] للظالمين. وتوجّع له. فقال لـه رجلٌ من أصحابه: إنّك لتتوجّع لرجل كافر. فقال: إنّك لستَ بأعرف بضلالتهم منّي، ولكنّي أعرف من قديمِ أمرِهم ما لا تعرف، ما لو ثبتوا[4] عليه لكانوا إخواننا.

فاستمسك شبيب من أهل العسكر والناس، فقال: ارفعوا السيف، ودعاهم إلى البيعة، فبايعه الناس وهربوا من تحت ليلتهم، وحوى ما في العسكر، وبعث إلى أخيه فأتاه من المدائن. وأقام شبيب بعد الوقعة[5] ببيت قرّة يومَين، ثمّ سار نحو الكوفة، فنزل بسورا وقتل عاملها.

وكان سفيان بن الأبرد وعسكر الشام قد دخلوا الكوفة، فشدّوا ظهر الحجّاج، واستغنى به وبعسكره عن أهل الكوفة، فقام على المنبر فقال: يا أهل الكوفة لا أعزّ الله مَنْ أراد بكم العزّ، ولا نصر مَن أراد بكم النصر، اخرجوا عنّا، فلا تشهدوا معنا قتال عدوّنا، انزلوا بالحيرة مع اليهود والنصارى، ولا يقاتلِ معنا إلاّ مَنْ لم يشهد قتال عتّاب[6].

ذكر قدوم شبيب الكوفة أيضاً وانهزامه عنها

ثمّ سار شبيب من سورا، فنزل حمّام أَعْيَن، فدعا الحجّاجُ الحارثَ بن معاوية الثقفيَّ، فوجّهه في ناس من الشُّرَط لم يشهدوا يوم عَتّاب وغيرهم، فخرج في نحو ألف، فنزل زُرارة، فبلغ ذلك شبيباً، فعجّل إلى الحارث بن معاوية، فلمّا انتهَى إليه حمل عليه فقتله وانهزم أصحابُه، وجاء المنهزمون فدخلوا الكوفة، وجاء شبيب فعسكر بناحية الكوفة وأقام ثلاثاً، فلم يكن في اليوم الأوّل غير قتلِ الحارث.

فلمّا كان اليوم الثاني أخرج الحجّاج مواليه، فأخذوا بأفواه السكك، وجاء شبيب فنزل السَّبْخة وابتنى بها مسجداً، فلمّا كان اليوم الثالث أخرج الحجّاج أبا الورد مولاه،

---

(١) في الأوربية: «عناؤك».
(٢) في الأوربية: «حمّ»، وفي (ب): «حمر».
(٣) في الأوربية: «ناصرٌ».
(٤) في الأوربية: «تثبّتوا».
(٥) في الأوربية: «وقعة».
(٦) الطبري ٦/٢٥٧ ـ ٢٦٧، نهاية الأرب ٢١/١٨٣ ـ ١٨٨، تاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨٠ هـ.) ص ٣٣١.

عليه تجفاف، ومعه غلمان له وقالوا: هذا الحجّاج، فحمل عليه شبيبٌ فقتله، وقال: إن كان هذا الحجّاج فقد أرَحْتكم منه.

ثمّ أخرج الحجّاج غلامه طهمان في مثل تلك العدّة والحالة، فقتله شبيب وقال: إن كان هذا الحجّاج فقد أرحتُكم منه.

ثمّ إنّ الحجّاج خرج ارتفاع النهار من القصر، فطلب بغلاً يركبه إلى السَّبْخة، فأُتي ببغل، فركبه ومعه أهل الشام، فخرج، فلمّا رأى الحجّاج شبيباً وأصحابه نزل، وكان شبيب في ستمائة فارس، فأقبل نحو الحجّاج، وجعل الحجّاجُ سَبْرَةَ بن عبد الرحمن بن مِخْنف على أفواه السكك في جماعة الناس، ودعا الحجّاجُ بكرسيّ فقعد عليه ثمّ نادى: [يا] أهل الشام أنتم أهل السمع والطاعة [والصَّبر] واليقين، فلا يغلبنّ باطل هؤلاء الأرجاس حقّكم، غُضّوا الأبصار، واجثوا على الرُّكب، واستقبلوهم[1] بأطراف الأسنّة. ففعلوا وأشرعوا الرماح، وكأنّهم حَرّة سوداء، وأقبل شبيب في ثلاثة كراديس، كتيبة معه، وكتيبة مع سُوَيْد بن سُلَيم، وكتيبة مع المحلَّل بن وائل، وقال لسُوَيد: أحملْ عليهم في خيلك، فحمل عليهم، فثبتوا له ووثبوا في وجهه بأطراف الرماح، فطعنوه حتّى انصرف هو وأصحابه.

وصاح الحجّاج: هكذا فافعلوا، وأمر بكرسيّه فقُدّم، وأمر شبيب المحلَّل فحمل عليهم، ففعلوا به كذلك، فناداهم الحجّاج: هكذا فافعلوا، وأمر بكرسيّه فقُدّم.

ثمّ إنّ شبيباً حمل عليهم في كتيبته، فثبتوا له وصنعوا به كذلك، فقاتلهم طويلاً، ثمّ إنّ أهل الشام طاعنوه حتّى ألحقوه بأصحابه، فلمّا رأى صبرهم نادى: يا سُويد احملْ عليهم بأصحابك على أهل هذه السكّة، لعلّك تُزيل أهلها، وتأتي الحجّاج من ورائه، ونحمل نحن عليه من أمامه. فحمل سُوَيد، فرُمي من فوق البيوت وأفواه السكك فرجع. وكان الحجّاج قد جعل عُرْوة بن المغيرة بن شُعْبَة في ثلاثمائة رجل من أهل الشام رِدْءاً له، لئلّا يُؤتَوا من خلفهم، فجمع شبيبٌ أصحابه ليحمل بهم، فقال الحجّاج: اصبروا لهذه الشَّدّة الواحدة ثمّ هو الفتح، فجثَوا على الرُّكب.

وحمل عليهم شبيبٌ بجميع أصحابه، فوثبوا في وجهه، وما زالوا يطاعنونه ويضاربونه قُدماً ويدفعونه وأصحابه حتّى أجازوهم مكانهم، وأمر شبيبٌ أصحابه بالنزول، فنزل نصفُهم، وجاء الحجّاج حتّى انتهى إلى مسجد شبيب ثمّ قال: يا أهل الشام هذا أوّل الفتح، وصعِد المسجد ومعه جماعة معهم النَّبل ليرموهم إن دنوا منه، فاقتتلوا عامّة النهار أشدّ قتالٍ رآه الناس حتّى أقرّ كلّ واحد من الفريقين لصاحبه.

(١) في الأوربية: «واستقتلوهم».

ثمّ إنّ خالد بن عتّاب قال للحجّاج: ائذنْ لي في قتالهم فإنّي موتور، فأذِن له، فخرج ومعه جماعة من أهل الكوفة، وقصد عسكرهم من ورائهم، فقتل مَصاداً أخا شبيب، وقتل امرأته غزالة، وحرّق في عسكره. وأتى الخبرُ الحجّاجَ وشبيباً، فكبّر الحجّاج وأصحابه، وأمّا شبيب فركب هو وأصحابه، وقال الحجّاج لأهل الشام: احملوا عليهم فإنّهم قد أتاهم ما أرعبهم. فشدّوا عليهم فهزموهم، وتخلّف شبيبٌ في حامية الناس. فبعث الحجّاج إلى خيله: أن دَعُوه، فتركوه ورجعوا، ودخل الحجّاج الكوفة فصعد المنبر ثمّ قال: والله ما قوتل شبيب قبلها، ولّى والله هارباً وترك امرأته يُكسر في استها القصب. ثمّ دعا حبيبَ بن عبد الرحمن الحكميَّ فبعثه في ثلاثة آلاف فارس من أهل الشام في أثر شبيب، وقال له: احذرْ بياته وحيث لقيتَه فانزل له[1]، فإنّ الله تعالى قد فلّ حدّه وقصم نابه.

فخرج في أثره حتّى نزل الأنبار، وكان الحجّاج قد نادى عند انهزامهم: مَنْ جاءنا منكم[2] فهو آمن. فتفرّق عن شبيب ناسٌ كثير من أصحابه. فلمّا نزل حبيب الأنبار أتاهم شبيب، فلمّا دنا منهم نزل فصلّى المغرب، وكان حبيب قد جعل أصحابه أرباعاً، وقال لكلّ ربع منهم: ليمنع كلّ ربع منكم جانبه، فإن قاتل هذا الربع فلا يُعِنْهم الربع الآخر، فإنّ الخوارج قريب[3] منكم، فوطِّنوا أنفسكم على أنّكم مبيَّتون ومقاتَلون.

فأتاهم شبيبٌ وهم على تعبية، فحمل على ربع فقاتلهم طويلاً، فما زالت قدم إنسان عن موضعها، ثمّ تركهم وأقبل إلى ربع آخر فكانوا كذلك، ثمّ أتى ربعاً آخر فكانوا كذلك، ثمّ الربع الرابع، فما برِح يقاتلهم حتّى ذهب ثلاثة أرباع الليل، ثمّ نازلهم راجلاً، فسقطت منهم الأيدي، وكثرت القتلى، وفُقئت الأعين، وقُتل من أصحاب شبيب نحو ثلاثين رجلاً، ومن أهل الشام نحو مائة، واستولى التعب والإعياء على الطائفتَين، (حتّى إنّ الرجل ليضرب بسيفه، فلا يصنع شيئاً)[4]، وحتّى إنّ الرجل ليقاتل جالساً، فما يستطيع أن يقوم من التعب.

فلمّا يئس شبيبٌ منهم تركهم وانصرف عنهم. ثمّ قطع دجلةَ وأخذ في أرض جُوخى، ثمّ قطع دجلةَ مرّة أخرى عند واسط، ثمّ أخذ نحو الأهواز، ثمّ إلى فارس، ثمّ إلى كَرمان ليستريح هو ومَنْ معه.

---

(١) في الأوربية: «فأنزله».
(٢) في الأوربية: «من جاء بأمنكم».
(٣) في الأوربية: «قريباً».
(٤) ما بين القوسين من (ب).

وقيل في هزيمته غير ذلك، وهو أنّ الحجّاج كان قد بعث إلى شبيب أميراً فقتله، ثمّ أميراً فقتله، أحدهما أَعْيَن صاحب حمّام أَعْيَن، ثمّ جاء شبيب حتّى دخل الكوفة ومعه زوجته غزالة، وكانت نذرت أن تصلّي في جامع الكوفة ركعَتَين تقرأ فيهما[1] البقرة وآل عمران، واتّخذ في عسكره أخصاصاً. فجمع الحجّاجُ ليلاً بعد أن لقي من شبيب الناسُ ما لقوا، فاستشارهم في أمر شبيب، فأطرقوا، وفصل قُتَيبة من الصفّ فقال: أتأذن لي في الكلام؟ قال: نعم. قال: إنّ الأمير ما راقب الله ولا أمير المؤمنين ولا نصح الرعيّة. قال: وكيف ذلك؟ قال: لأنّك تبعث الرجل الشريف، وتبعث معه رَعاعاً، فينهزمون ويستحيي أن ينهزم فيُقْتَل. قال: فما الرأي؟ قال: الرأي أن تخرج إليه فتحاكمه. قال: فانظر لي معسكراً.

فخرج الناس يلعنون عَنْبسة بن سعيد لأنّه هو الذي كلّم الحجّاج فيه حتّى جعله من صحابته، وصلّى الحجّاج من الغد الصبحَ، واجتمع الناسُ، وأقبل قُتَيبة وقد رأى معسكراً حسناً، فدخل إلى الحجّاج، ثمّ خرج ومعه لواء منشور، وخرج الحجّاج يتبعه، حتّى خرج إلى السَّبخة وبها شبيب، وذلك يوم الأربعاء، فتواقفوا، وقيل للحجّاج: لا تعرّفه مكانك، فأخفى مكانه، وشبَّه له أبا الورد مولاه، فنظر إليه شبيب، فحمل عليه فضربه بعمود فقتله، وحمل شبيب على خالد بن عتّاب ومَنْ معه وهو على ميسرة الحجّاج، فبلغ بهم الرّحبة، وحمل على مَطَر بن ناجية وهو على ميمنة الحجّاج فكشفه، فنزل عند ذلك الحجّاج، ونزل أصحابه، وجلس على عباءة ومعه عَنْبسة بن سعيد، فإنّهم على ذلك إذ تناول مَصْقَلَةُ بن مُهَلْهِل الضَّبّيُّ لجامَ شبيب وقال: ما تقول في صالح بن مسرّح، وبِمَ تشهد عليه؟ قال: أعلى هذه الحال؟ قال: نعم. قال: فبريء مِن صالح. فقال له مَصْقَلة: بريء الله منك، وفارقه إلاّ أربعين فارساً. فقال الحجّاج: قد اختلفوا، وأرسل إلى خالد بن عتّاب، فأتى بهم في عسكرهم فقاتلهم فقُتلت غزالة، ومرّ[2] برأسها إلى الحجّاج مع فارس، فعرفه شبيب، فأمر رجلاً فحمل على الفارس فقتله وجاء بالرأس، فأمر به فغسل ثمّ دفنه.

ومضى القوم على حاميتهم، ورجع خالد فأخبر الحجّاج بانصرافهم، فأمره باتباعهم، فاتبعهم يحمل عليهم، فرجع إليه ثمانية نفر، فقاتلوه حتّى بلغوا به الرّحبة، وأتي شبيب بخوط بن عُمَير السدوسيّ فقال: يا خوط لا حكم إلاّ لله. فقال: (إنّ خوطاً من أصحابكم، ولكنّه كان يخاف، فأطلقه؛ وأتي بعُمَير بن القَعْقاع فقال: يا عُمَير لا

(١) في الأوربية: «فيها».
(٢) في (ب): «وأمر».

حكمَ إلّا لله. فقال: في)[1] سبيل الله شبابي، فردّد عليه شبيب: لا حكم إلّا لله، فلم يفقه ما يريد، فقتله.

وقُتل مَصاد أخو شبيب، وجعل شبيب ينتظر الثمانية الذين اتبعوا خالداً، فأبطأوا ولم يَقْدَم أصحابُ الحجّاج على شبيب هيبةً له، وأتى إلى شبيب أصحابه الثمانية، فساروا واتّبعهم خالد وقد دخلوا إلى دَيْرٍ بناحية المدائن، فحصرهم فيه، فخرجوا عليه فهزموه نحو فرسخين، فألقوا أنفسهم في دجلة منهزمين، وألقى خالد نفسه فيها بفرسه ولواؤه بيده، فقال شبيب: قاتله الله هذا أسد الناس! فقيل: هو خالد بن عتّاب. فقال: مُعْرَقٌ[2] [له] في الشجاعة، ولو عرفتُه لأقحمتُ خلفه ولو دخل النار. ثمّ سار إلى كَرمان، على ما تقدّم ذكره، وكتب الحجّاج إلى عبد الملك يستمدّه، ويعرّفه عجز أهل الكوفة عن قتال شبيب، فسيّر سُفيان بن الأبرد في جيش إليه[3].

ذكر مهلك شبيب

وفي هذه السنة هلك شبيب.

وكان سبب ذلك أنّ الحجّاج أنفق في أصحاب سفيان بن الأبرد مالاً عظيماً بعد أن عاد شبيب عن محاربتهم، وقصد كَرمان بشهرين، وأمر سفيانَ وأصحابَه بقصد شبيب، فسار نحوه، وكتب الحجّاجُ إلى الحكم بن أيّوب زوج ابنته، وهو عامله على البصرة، يأمره أن يرسل أربعة آلاف فارس من أهل البصرة إلى سفيان، فسيّرهم مع زياد بن عَمرو العَتَكيّ، فلم يصل إلى سفيان حتّى التقى سفيان مع شبيب، وكان شبيب قد أقام بكرمان، فاستراح هو وأصحابه، ثمّ أقبل راجعاً، فالتقى مع سفيان بجسر دُجَيْل الأهواز، فعبر شبيبُ الجسرَ إلى سفيان، فوجد سفيانَ قد نزل في الرجال، (وجعل مهاصر بن سيف على الخيل. وأقبل شبيبٌ في ثلاثة كراديس فاقتتلوا أشدّ قتال، ورجع شبيب إلى المكان الذي كان فيه، ثمّ حمل عليهم هو وأصحابه أكثر من ثلاثين حملة، ولا يزول أهل الشام، وقال لهم سفيان: لا تتفرّقوا، ولْيزحف الرجال)[4] إليهم زحفاً. فما زالوا يضاربونهم ويطاعنونهم حتّى اضطّروهم إلى الجسر. فلمّا انتهى شبيبٌ إلى الجسر نزل، ونزل معه

---

(١) ما بين القوسين من (ب).
(٢) في الأوربية: «يُعرف».
(٣) الطبري ٦/٢٦٧ - ٢٧٦، نهاية الأرب ٢١/١٨٨ - ١٩٠، الفتوح لابن أعثم ٧/٨٥ - ٩٢، تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٣٣١ - ٣٣٥.
(٤) ما بين القوسين من (ب).

نحو مائة، فقاتلوهم حتّى المساء، وأوقعوا بأهل الشام من الضرب والطعن ما لم يروا مثله.

فلمّا رأى سفيانُ عجزه عنهم وخاف أن يُنصروا عليه أمر الرّماة أن يرموهم، وذلك عند المساء، وكانوا ناحيةً، فتقدّموا ورموا شبيباً ساعة، فحمل هو وأصحابه على الرّماة، فقتلوا منهم أكثر من ثلاثين رجلاً، ثمّ عطف على سفيان ومَنْ معه فقاتلهم حتّى اختلط الظلام، ثمّ انصرف، فقال سفيان لأصحابه: لا تتبعوهم.

فلمّا انتهَى شبيبٌ إلى الجسر قال لأصحابه: اعبروا، وإذا أصبحنا باكرناهم إن شاء الله. فعبروا أمامه وتخلّف في آخرهم، وجاء ليعبر وهو على حصان، وكانت بين يديه فرس أنثى، فنزا فرسه عليها وهو على الجسر، فاضطّربت الحِجْر تحته، ونزل حافر فرس شبيب على حرف السفينة فسقط في الماء، فلمّا سقط قال: ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً﴾[1]، وانغمس في الماء، ثمّ ارتفع وقال: ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ﴾[2]، وغرق.

وقيل في قتله غير ذلك، وهو أنّه كان مع جماعة من عشيرته، ولم تكن لهم تلك البصيرة النافذة، وكان قد قتل من عشائرهم رجالاً، فكان قد أوجع قلوبهم، وكان منهم رجل اسمه مقاتل من بني تيم بن شيبان، فلمّا قَتَلَ شبيبٌ من بني تيم أغار هو على بني مُرّة بن هَمّام رهط شبيب فقتل منهم، فقال له شبيب: ما حملك على قتلهم بغير أمري؟ فقال له: قتلتَ كفّار قومي، فقتلتُ كفّار قومك، ومن ديننا قَتْلُ من كان على غير رأينا، وما أصبتَ من رهطي أكثر ممّا أصبتُ من رهطك، وما يحلّ لك يا أمير المؤمنين أن تجد على قتل الكافرين. قال: لا أجد.

وكان معه أيضاً رجال كثير قد قتل من عشائرهم، فلمّا تخلّف في آخر الناس قال بعضهم لبعض: هل لكم أن نقطع به الجسر فندرك ثأرنا؟ فقطعوا الجسر، فمالت به السفن، فنفر به الفرس، فوقع في الماء فغرق. والأوّل أصحّ وأشهر.

وكان أهل الشام يريدون الانصراف، فأتاهم صاحب الجسر، فقال لسفيان: إنّ رجلاً منهم وقع في الماء، فنادوا بينهم: غرق أمير المؤمنين! ثمّ إنّهم انصرفوا راجعين وتركوا عسكرهم ليس فيه أحد، فكبّر سفيان وكبّر[3] أصحابه، وأقبل حتّى انتهَى إلى الجسر، وبعث إلى العسكر وإذا ليس فيه أحد، وإذا هو أكثر العساكر خيراً، ثمّ

---

(١) سورة الأنفال ٨، الآية ٤٢.

(٢) سورة الأنعام ٦، الآية ٩٦.

(٣) في الأوربية: «وكبّروا».

استخرجوا شبيباً، فشقّوا جوفه وأخرجوا قلبه، وكان صلباً كأنّه صخرة، فكان يُضرب به الصخرة فيثب[1] عنها قامةَ الإنسان.

قيل: وكان شبيب يُنعى إلى أمّه، فيقال[2]: قُتل: فلا تقبل ذلك، فلمّا قيل لها غرق صدّقت ذلك وقالت: إنّي رأيتُ حين ولدتُه أنّه خرج منّي شهاب نار، فعلمتُ أنّه لا يُطْفئه إلّا الماء. وكانت أمّه جارية روميّة قد اشتراها أبوه، فأولدها شبيباً منه سنة خمسٍ وعشرين يوم النحر، وقالت: إنّي رأيتُ فيما يرى النائمُ أنّه خرج من قُبُلي[3] شهاب نار، فذهب ساطعاً في السماء، وبلغ الآفاق كلّها، فبينما هو كذلك إذ وقع في ماء كثير فخبا[4]، وقد ولدته في يومكم هذا الذي تُهْريقون فيه الدماء، وقد أوَّلت ذلك أنّ ولدي يكون صاحب دماء، وأنّ أمره سيعلو فيعظم سريعاً. وكان أبوه يختلف به إلى اللَّصَف أرض قومه، وهو من بني شيبان[5].

ذكر خروج مطرّف بن المُغيرة بن شُعْبَة

قيل: إنّ بني المغيرة بن شُعبة كانوا صُلحاء أشرافاً بأنفسهم، مع شرف أبيهم ومنزلتهم من قومهم، فلمّا قدِم الحجّاج ورآهم علم أنّهم رجال قومهم، فاستعمل عُرْوَةَ على الكوفة، ومطرِّفاً على المدائن، وحمزة على هَمَذان، وكانوا في أعمالهم أحسن الناس سيرةً، وأشدّهم على المريب، وكان مطرّف على المدائن عند خروج شبيب وقربه منها، كما سبق، فكتب إلى الحجّاج يستمدّه، فأمدّه بسَبرة بن عبد الرحمن بن مِخْنف وغيره، وأقبل شبيبُ حتّى نزل بَهُرَسِير، وكان مُطرّف بالمدينة العتيقة، وهي التي فيها إيوان كسرى، فقطع مطرّفُ الجسرَ، وبعثَ إلى شبيبٍ يطلب إليه أن يرسل بعض أصحابه لينظر فيما يدعون، فبعث إليه عدّةً منهم، فسألهم مطرِّفُ عمّا يدعون إليه، فقالوا: ندعو إلى كتاب الله وسُنّة رسوله ﷺ، وإنّ الذي نقمنا[6] من قومنا الاستئثار بالفَيْء وتعطيل الحدود (والتسلّط بالجبريّة)[7].

فقال لهم مطرِّف: ما دعوتم إلّا إلى حقّ، وما نقمتم إلّا جَوراً ظاهراً، أنا لكم متابع

---

(١) في الأوربية: «فشبّت».

(٢) في الأوربية: «فقال».

(٣) في الأوربية: «قلبي».

(٤) في الأوربية: «فخبأ».

(٥) الطبري ٦/٢٧٩ ـ ٢٨٣، نهاية الأرب ٢١/١٩٠ ـ ١٩٢، تاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨٠ هـ.) ص ٣٣٣ ـ ٣٣٥، وانظر: تاريخ اليعقوبي ٢/٢٧٥، والفتوح لابن أعثم ٧/٩٢، ومروج الذهب ٣/١٤٧.

(٦) في (ب): «بعينا».

(٧) ما بين القوسين من (ب).

فتابعوني[1] على ما أدعوكم إليه، ليجتمع أمري وأمركم. فقالوا: اذكره، فإنْ يكن حقّاً نُجِبْك إليه. قال: أدعوكم إلى أن نقاتل هؤلاء الظَّلَمة على إحداثهم، وندعوهم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه، وأن يكون هذا الأمر شورى بين المسلمين، يؤمِّرون مَنْ يرتضون على مثل هذه الحال الّتي تركهم عليها عمر بن الخطّاب، فإنّ العرب إذا علمتْ أنّ ما يراد بالشورى الرضى من قريش رضوا، وكثُر تبعكم وأعوانكم. فقالوا: هذا ما لا نجيبك إليه، وقاموا من عنده وتردّدوا بينهم أربعة أيّام، فلم تجتمع كلمتهم، فساروا من عنده. وأحضر مطرِّفُ نُصَحاءه وثقاته، فذكر لهم ظلم الحجّاج وعبد الملك، وأنّه ما زال يؤثر مخالفتهم ومناهضتهم، وأنّه يرى ذلك ديناً لو وجد عليه أعواناً، وذكر لهم ما جرى بينه وبين أصحاب شبيب، وأنّهم لو تابعوه على رأيه لخلع[2] عبدَ الملك والحجّاجَ، واستشارهم فيما يفعل.

فقالوا له: اخفِ هذا الكلام ولا تُظهِرْه لأحد. فقال له يزيد بن أبي زياد، مولى أبيه المُغيرة بن شُعْبَة: والله لا يخفى على الحجّاج ممّا كان بينك وبينهم كلمة واحدة، ولَيُزادنّ على كلّ كلمة عشر أمثالها، ولو كنتَ في السحاب لالتمسك الحجّاج حتّى يُهْلكك، فالنجاءَ النجاءَ!

فوافقه أصحابُه على ذلك، فسار عن المدائن نحو الجبال، فلقيه قَبيصةُ بن عبد الرحمن الخَثْعَميّ بدير يزدجِرد، فأحسن إليه وأعطاه نفقةً وكسوةً، فصحِبه ثمّ عاد عنه، ثمّ ذكر مطرِّفُ لأصحابه بالدّسكرة ما عزم عليه، ودعاهم إليه، وكان رأيه خلع عبد الملك والحجّاج، والدّعاء إلى كتاب الله وسُنّة نبيّه، وأن يكون الأمر شورى بين المسلمين، يرتضون لأنفسهم مَنْ أحبّوه. فبايعه البعضُ على ذلك، ورجع عنه البعض.

وكان ممّن رجع عنه سَبرة بن عبد الرحمن بن مِخْنف، فجاء إلى الحجّاج وقاتل شبيباً مع أهل الشام.

وسار مُطرِّفُ نحو حُلْوان، وكان بها سُوَيد بن عبد الرحمن السعديُّ من قِبَل الحجّاج، فأراد هو والأكراد منعه ليعذر عند الحجّاج، فجازه مطرِّف بمواطأة منه، وأوقع مطرِّف بالأكراد، فقتل منهم وسار، فلمّا دنا من هَمَذان وبها أخوه حمزة بن المغيرة تركها ذات اليسار، وقصد ماه دينار، وأرسل إلى أخيه حمزة يستمدّه بالمال والسلاح، فأرسل إليه سرّاً ما طلب. وسار مطرّفُ حتّى بلغ قُمّ وقاشان، وبعث عُمّاله على تلك النواحي،

---

(١) في الأوربية: «فبايعوني».
(٢) في الأوربية: «يخلع».

وأتاه الناس، وكـان ممّن أتاه: سُوَيْد بن سِرْحان الثّقفيُّ، وبُكَيـر بن هارون النَّخَعيُّ، من الريّ في نحو مائة رجل.

وكتب البراء بن قَبيصة، وهو عامل الحجّاج على أصبهـان، إليه يعـرّفه حـالَ مطرّف ويستمدّه، فأمدّه بالـرجال بعـد الرجـال على دوابّ البريـد، وكتب الحجّاج إلى عـديّ بن زياد عامل الريّ يأمره بقصد مطرّف، وأن يجتمع هو والبراء على محاربته، فسار عديّ من الريّ، فاجتمع هو والبراء بن قبيصة، وكان عديّ هو الأمير، فاجتمعوا في نحـو ستّة آلاف مقاتل، وكـان حمزة بن المغيـرة قد أرسـل إلى الحجّاج يعتـذر، فأظهـر قبول عـذره وأراد عزله، وخاف أن يمتنع عليـه، فكتب إلى قيس بن سعد العِجْليّ، وهـو على شُرطـة حمزة بهمذان، بعهده على همذان، ويأمره أن يقبض على حمزة بن المغيرة.

وكـان بهمذان من عِجْـل وربيعة جمـعٌ كثيـر، فسـار قيس بن سعـد إلى حمـزة في جماعة من عشيرته، فأقرأه العهد بولايـة هَمَذان، وكتـابَ الحجّاج بـالقبض عليه، وقـال: سمعاً وطاعـة. فقبض قيسٌ على حمزة وجعله في السجن، وتـولّى قيسٌ هَمَذان، وتفـرّغ قلبُ الحجّاج من هذه الناحية لقتال مطرّف، وكـان يخاف مكـانَ حمزة بهمـذان لئلّا يمـدّ أخاه بالمال والسلاح، ولعلّه ينجده بالرجال.

فلمّـا قبض عليه سكن قلبـه وتفرّغ بـالـه، ولمـا اجتمـع عـديّ بن زيـاد الإيـاديُّ، والبراء بن قَبيصة سارا[1] نحو مطرّف فخندقا[2] عليه، فلمّا دنَوا منه اصطفّوا للحرب واقتتلوا قتـالاً شديـداً، فانهـزم أصحابُ مـطرّف، وقُتل مـطرّفٌ وجماعـة كثيرة من أصحـابه، قتله عُمَير بن هُبَيرة الفزاريُّ، وحمل رأسه فتقدّم بـذلك عنـد بني أُميّة، وقـاتل ابنُ هُبَيـرة ذلك اليوم، وأبلى بلاءً حسناً.

وقُتل يزيد بن أبي زياد مولى المغيرة، وكان صاحب راية مطرِّف، وقُتل من أصحابه عبدُ الرحمن بن عبد الله بن عفيف الأزديُّ، وكان ناسكاً صالحاً.

وبعث عديُّ بن زياد إلى الحجّاج أهلَ البلاء، فأكـرمهم وأحسن إليهم، وآمن عديٌّ بُكَيـرَ بن هارون، وسُـوَيْدَ بن سـرحان، وغيـرهما، وطُلب منـه الأمان للحجّـاج بن حارثـة الخَثْعَميّ، فبعث إليهم كتاب الحجّاج يأمره بإرساله إليه إن كان حيّاً، فـاختفى ابنُ حارثـة حتّى عُزل عديّ، ثمّ ظهر في إمارة خالد بن عتّاب بن ورقاء.

وكان الحجّاج يقول: إنّ مطرِّفاً ليس بولد للمغيرة بن شُعْبَة، إنّما هـو ولد مَصْقلة بن

---

(١) في الأوربية: «ساروا».

(٢) في الأوربية: «فخندق».

سَبرة الشيبانيّ، وكان مَصْقلة والمغيرة يدّعيانه، فأُلحق بالمغيرة وجُلد مَصْقلة الحدّ، فلمّا أظهر رأي الخوارج قال الحجّاج ذلك، لأنّ كثيراً من ربيعة كانوا من خوارج، ولم يكن منهم أحد من قيس عَيْلان(١).

ذكر الاختلاف بين الأزارقة

قد ذكرنا مسير المهلّب إلى الأزارقة ومحاربتهم إلى أن فارقه عتّاب بن ورقاء الرياحيُّ ورجع إلى الحجّاج، وأقام المهلّب بعد مسير عتّاب عنه يقاتل الخوارج، فقاتلهم على سابور نحو سنة قتالاً شديداً. ثمّ إنّه زاحفهم يوم البستان فقاتلهم أشدّ قتال، وكانت كَرمان بيد الخوارج، وفارس بيد المهلّب. فضاق على الخوارج مكانُهم لا يأتيهم من فارس مادّة، فخرجوا حتّى أتوا كرمان، وتبِعهم المهلّبُ بالعساكر حتّى نزل بجِيرَفْت، وهي مدينة كرمان، فقاتلهم قتالاً شديداً. فلمّا صارت فارس كلّها في يد المهلّب أرسل الحجّاج العمّال عليها، فكتب إليه عبد الملك يأمره أن يترك بيد المهلّب فَسَا، ودرابجَرْد(٢)، وكورة إصْطَخْر، تكون له معونةً على الحرب، فتركها له، وبعث الحجّاجُ إلى المهلّب البَراءَ بن قَبيصة ليحثّه على قتال الخوارج ويأمره بالجدّ، وأنّه لا عُذر له عنده.

فخرج المهلّب بالعساكر، فقاتل الخوارج من صلاة الغداة إلى الظهر، ثمّ انصرفوا والبراءُ على مكان عالٍ يراهم، فجاء إلى المهلّب فقال: ما رأيتُ كتيبة ولا فرساناً أصبر ولا أشدّ من الفرسان الذين يقاتلونك. ثمّ إنّ المهلّب رجع العصر، فقاتلهم كقتالهم أوّل مرّة، لا يصدّ كتيبة عن كتيبة، وخرجت كتيبةٌ من كتائب الخوارج لكتيبة من أصحاب المهلّب، فاشتدّ بينهمُ القتالُ إلى أن حجز بينهم الليل، فقالت إحداهما للأخرى: مَنْ أنتم؟ فقال هؤلاء: نحن من بني تميم. وقال هؤلاء: نحن من بني تميم. وانصرفوا عند المساء. فقال المهلّب للبراء بن قَبِيصة: كيف رأيتَ قوماً ما يعينك عليهم إلّا الله جلّ ثناؤه؟ فأحسن المهلّبُ إلى البراءِ، وأمر له بعشرة آلاف درهم. وانصرف البراء إلى الحجّاج، وعرّفه عُذر المهلّب.

ثمّ إنّ المهلّب قاتلهم ثمانية عشر شهراً، لا يقدر منهم على شيء. ثمّ إنّ عاملاً لقَطَريّ على ناحية كَرْمان يُدعى المُقَعْطَر الضبّيَّ قتل رجلاً منهم، فوثبت الخوارج إلى قَطَريّ، وطلبوا منه أن يقيدهم من المقعطر، فلم يفعل وقال: إنّه تأوّل فأخطأ التأويل، ما

(١) نهاية الأرب ٢١/١٩٣ ـ ١٩٦.

(٢) في طبعة صادر ٤/٤٣٧: «دار بجرد».

أرى أن تقتلوه، وهو من ذوي السابقة فيكم، فوقع بينهمُ الاختلاف[1].

وقيل: كان سبب اختلافهم أنّ رجلاً كان في عسكرهم يعمل النصولَ المسمومة، فيرمي بها أصحاب المهلّب، فشكا أصحابُه منها، فقال: أكفيكُموه، فوجَّه رجلاً من أصحابه ومعه كتاب، وأمره أن يلقيه في عسكر قَطَريّ ولا يراه أحد، ففعل ذلك، ووقع الكتاب إلى قَطَريّ، فرأى فيه: أمّا بعد فإنّ نصالك وصلت، وقد أنفذْتُ إليك ألف درهم. فأحضر الصانعَ فسأله فجحد، فقتله قطريّ، فأنكر عليه عبد ربّه الكبير قتْله واختلفوا.

ثمّ وضع المهلّب رجلاً نصرانيّاً، وأمره أن يقصد قَطَريّاً ويسجد له، ففعل ذلك، فقال له الخوارج: إنّ هذا قد اتّخذك إلهاً. ووثب بعضهم إلى النصرانيّ فقتله، فزاد اختلافهم، وفارق بعضهم قَطَريّاً، ثمّ ولّوا عبد ربّه الكبير وخلعوا قَطَريّاً، وبقي مع قَطَريّ منهم نحو من رُبْعهم أو خمسهم، واقتتلوا فيما بينهم نحواً من شهر.

وكتب المهلّب إلى الحجّاج بذلك. فكتب إليه الحجّاج يأمره أن يقاتلهم على حال اختلافهم قبل أن يجتمعوا، فكتب إليه المهلّب: إنّي لستُ أرى أن أقاتلهم ما دام يقتل بعضهم بعضاً، فإن تمّوا على ذلك فهو الذي نريد وفيه هلاكهم، وإن اجتمعوا لم يجتمعوا إلّا وقد رقّق بعضهم بعضاً، فأناهضهم حينئذ، وهم[2] أهون ما كانوا وأضعفه شوكةً إن شاء الله تعالى، والسلام. فسكت عنه الحجّاج، وتركهم المهلّب يقتتلون شهراً لا يحرّكهم، ثمّ إنّ قَطَريّاً خرج بمَنْ اتّبعه نحو طَبَرِسْتان، وبايع الباقون عبد ربّه الكبير[3].

ذكر مقتل عبد ربّه الكبير

لما سار قَطَريّ إلى طَبَرِسْتان وأقام عبد ربّه الكبير بكَرمان نهض إليهم المهلّبُ، فقاتلوه قتالاً شديداً، وحصرهم بجِيرَفْت، وكرّر قتالهم وهو لا ينال منهم حاجته. ثمّ إنّ الخوارج طال عليهم الحصار، فخرجوا من جيرَفْت بأموالهم وحُرَمهم، فقاتلهم المهلّب قتالاً شديداً حتّى عُقرت الخيل، وتكسّر[4] السلاح[5] وقُتل الفرسان فتركهم[6]، فساروا،

---

(١) الطبري ٦/٣٠٠ - ٣٠٣.
(٢) في الأوربية: «وهو».
(٣) الطبري ٦/٣٠٣، ٣٠٤، نهاية الأرب ٢١/١٥٥، ١٥٦.
(٤) في الأوربية: «وتكسرت».
(٥) في (ب): «الروح».
(٦) في الأوربية: «فيتركهم».

ودخل المهلّب جيرَفْت، ثمّ سار يتبعهم إلى أن لحِقهم على أربعة فراسخ من جيرَفْت، فقاتلهم من بُكرة إلى نصف النهار وكفّ عنهم، وأقام عليهم.

ثمّ إنّ عبد ربّه جمع أصحابه وقال: يا معشر المهاجرين! إنّ قَطَريّاً ومَنْ معه هربوا طلب البقاء ولا سبيل إليه، فالقَوا عدوَّكم وهبوا أنفسكم لله. ثمّ عاد للقتال، فاقتتلوا قتالاً شديداً أنساهم ما قبله، فبايع جماعةٌ من أصحاب المهلّب على الموت، ثمّ ترجّلت الخوارج وعقروا دوابّهم، واشتدّ القتال وعظُم الخطْبُ حتّى قال المهلّب: ما مرّ بي مثل هذا. ثمّ إنّ الله تعالى أنزل نصره على المهلّب وأصحابه، وهزم الخوارج وكثُر القتلى فيهم، وكان فيمَنْ قُتل: عبد ربّه الكبير، وكان عدد القتلى أربعة آلاف قتيل، ولم ينجُ منهم إلاّ قليل، وأُخذ عسكرهم وما فيه وسبُوا، لأنّهم كانوا يسبون نساء المسلمين. وقال الطُّفَيْل بن عامر بن واثلة يذكر قتل عبد ربّه الكبير وأصحابه:

لقد مسّ منّا عبدَ ربٍّ وجُندَه ... عِقابٌ فأمسَى سَبْيُهُمْ في المَقاسِمِ
سمَا لهُمُ بالجَيشِ حتّى أزاحَهم ... بكرمانَ[1] عن مثوًى من الأرض ناعمِ
وما قَطَريُّ الكُفرِ إلاّ نَعامَةٌ ... طَريدٌ يُدوّي لَيلَهُ غَيرَ نائِمِ
إذا فرّ منّا هارباً كانَ وَجهُهُ ... طريقاً سوَى قصدِ الهُدى والمَعالمِ
فليسَ بمنجيهِ الفرارُ[2] وإنْ جرَتْ ... به الفُلكُ في لُجٍّ منَ البحرِ دائمِ[3]

وهي أكثر من هذا تركناها لشهرتها.

وأحسن الحجّاج إلى أهل البلاء وزادهم، وسيّر المهلّبُ إلى الحجّاج مبشّراً، فلمّا دخل عليه أخبره عن الجيش وعن الخوارج، وذكر حروبهم، وأخبره عن بني المهلّب فقال: المغيرة فارسهم وسيّدهم، وكفى بيزيد فارساً شجاعاً، وجوادهم وسخيّهم قَبيصة، ولا يستحيي الشجاع أن يفرّ من مُدركة، وعبد الملك سمٌّ ناقع، وحَبيب موتٌ زُعاف، ومحمّد ليث غاب، وكفاك بالمفضّل نجدة، قال: فأيّهم كان أنجد؟ قال: كانوا كالحلقة المفرغة لا يُعرَف طرفها. فاستحسن قوله وكتب إلى المهلّب يشكره، ويأمره أن يولّي كَرمان مَنْ يثق به[4]، ويجعل فيها مَنْ يحميها ويقدم إليه. فاستعمل على كرمان يزيدَ ابنَه، وسار إلى الحجّاج، فلمّا قدِم عليه أكرمه وأجلسه إلى جانبه وقال: يا أهل العراق أنتم عبيد المهلّب. ثمّ قال له: أنتَ كما قال لَقيط بن يَعْمر الإياديُّ في صفة أمراء الجيوش:

---

(١) في (آ) و (ر): «بكرٍ وفر».
(٢) في الأوربية: «القرار».
(٣) الطبري ٦/٣٠٨.
(٤) في الأوربية: «إليه».

وقلِّدوا أمركُم[1] لـلّهِ دَرُّكُم رَحْبَ الذّراع بأمرِ الحرْبِ مُضْطَلِعا
لا مُترَفاً إنْ رَخاءُ العيش ساعَدَه ولا إذا عضّ مكروهٌ به خشعَا
مُسهَّد النّوم تعنيه[2] ثغورُكُم يَرومُ منها إلى الأعداء مُطّلَعا
[ما] انفكَّ يَحْلبُ هذا الدّهرَ أشْطُرَهُ يكونُ متّبعاً طوراً ومُتّبِعَا[3]
ولَيسَ يَشغلهُ مالٌ يثمّرُهُ عنكم ولا وَلَدٌ يَبغي له الرِّفَعَا
حتّى استمَرّتْ على شَزْرٍ مريرَتُه مستحكم السّنّ لا قَحْماً ولا ضرَعَا[4]

وهي قصيدة طويلة هذا هو الأجود[5] منها.

ذكر قتل قَطريّ بن الفُجاءة وعبيدة بن هلال

قيل: وفي هذه السنة كانت هلكة قَطَرِيّ، وعُبَيدة بن هلال، ومَنْ [كان] معهما من الأزارقة.

وكان السبب في ذلك أنّ أمرهم لما تشتّت بالاختلاف الذي ذكرنا، وسار قَطريّ نحو طَبَرِستان، وبلغ خبرُه الحجّاجَ، سيّر إليه سُفْيانَ بن الأبرد في جيش عظيم. وسار سفيان واجتمع معه إسحاق بن محمّد بن الأشعث في جيش لأهل الكوفة بطبرستان، فأقبلوا في طلب قطريّ، فلحِقوه في شِعب من شِعاب طَبرستان فقاتلوه، فتفرّق عنه أصحابه ووقع عن دابّته، فتدهدى[6] إلى أسفل الشّعب، وأتاه عِلْجٌ من أهل البلد، فقال له قَطريّ: اسقِني الماء. فقال العِلج: أعطِني شيئاً. فقال: ما معي إلاّ سلاحي وأنا أعطيكه[7] إذا أتيتني بالماء. فانطلق العلجُ حتّى أشرف على قطريّ، ثمّ حدّر عليه حجراً من فوقه، فأصاب وِرْكه فأوهنه، فصاح بالناس، فأقبلوا نحوه، ولم يعرفه العِلْجُ، غير أنّه يظنّ أنّه من أشرافهم لكمال سلاحه وحُسن هيئته، فجاء إليه نفرٌ من أهل الكوفة فقتلوه، منهم: سَوْرة بن الحُرّ[8] التميميّ، وجعفر بن عبد الرحمن بن مِخْنَف، والصَّبّاح بن محمّد بن الأشعث، وباذان مولاهم، وعمر بن أبي الصَّلت، وكلّ هؤلاء ادّعى قتله.

(١) في (آ): «لعزكم».
(٢) في (ب): «تعبيه»، وفي الأوربية: «بعينيه».
(٣) في (آ) «ومقسفا»، و(ر): «ومتبغا»، وفي نهاية الأرب: «متَبعا».
(٤) الشعر والشعراء ١٥٢/١، مختارات ابن الشجري ٣، نهاية الأرب ١٥٨/٢١.
(٥) في (ب): «المقصود».
(٦) في الأوربية: «فتدهده».
(٧) في الأوربية: «أُعطيك».
(٨) في (ر): «أبجر».

فجاء إليهم أبو الجَهْم بن كِنانة فقال لهم: ادفعوا رأسه إليّ حتّى تصطلحوا، فدفعوه إليه، فأقبل به إلى إسحاق بن محمّد وهو على الكوفة، فأرسله معه إلى سفيان، فسيّر سفيانُ الرأسَ مع أبي الجَهْم إلى الحجّاج، فسيّره الحجّاج إلى عبد الملك، فجعل عَطاءه في ألْفين.

ثمّ إنّ سفيان سار إليهم فأحاط بهم، ثمّ أمر مناديه فنادى: مَنْ قتل صاحبه وجاء إلينا فهو آمن؛ فقال عُبيدة بن هلال في ذلك:

لَعَمْري لقد قامَ الأصَمُّ بخطبَةٍ ... لذي[1] الشكّ منها في الصّدورِ غليلُ
لَعَمْري لئن أعطيتُ سفيانَ بَيعتي ... وفارَقْتُ ديني إنّني لجَهولُ
إلى اللّهِ أشكُو ما ترَى بجيادِنا ... تَساوُكُ[2] هزْلَى مُخّهنّ قليلُ
تَعاوَرَها القُذّافُ من كلّ جانبٍ ... بقُومِسَ حتّى صَعْبهنّ ذَلولُ
فإنْ يكُ أفناها الحصارُ فرُبّما ... تَشَحّطَ فيما بينَهنّ قَتيلُ
وقد كنّ ممّا إن يُقَدْنَ على الوَجى ... لهنّ بأبوابِ القِبابِ صَهيلُ[3]

وحصرهم سفيان حتّى أكلوا دوابّهم، ثمّ خرجوا إليه فقاتلوه، فقتلهم وبعث برؤوسهم إلى الحجّاج. ثمّ دخل سفيان دُنْباوَنْد وطَبَرِسْتان، فكان هناك حتّى عزله الحجّاج قبل الجماجم[4].

وقال بعض العلماء: وانقرضت الأزارقة بعد مقتل قَطَريّ وعُبيدة، إنّما كانوا دفعة متّصلة أهل عسكر واحد، وأوّل رؤسائهم نافع بن الأزرق، وآخرهم قَطَريّ وعبيدة، واتّصل أمرهم بضْعاً وعشرين سنة، إلّا أنّي أشكّ في صُبَيح المازنيّ التميميّ مولى سوار بن الأشعر الخارج أيّام هشام، قيل: هو من الأزارقة أو الصُّفْريّة، إلّا أنّه لم تطُلْ أيّامه، بل قُتل عُقَيْب خروجه.

ذكر قتل بُكَيْر بن وسّاج[5]

في هذه السنة قتل أميّةُ بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العِيص بن أميّة بُكَيرَ بن وسّاج[5].

---

(١) في الأوربية: «لدى».
(٢) التساوك: السير الضعيف.
(٣) الطبري ٦/٣١١.
(٤) الطبري ٦/٣٠٨ ـ ٣١١، نهاية الأرب ٢١/١٥٩، ١٦٠.
(٥) في تاريخ الطبري ٦/٣١١ «وشاح».

وكان سبب ذلك أنّ أميّة بن عبد الله، وهو عامل عبد الملك بن مروان على خُراسان، أمر بُكيراً بالتجهيز لغزو ما وراء النهر، وقد كان قبل ذلك ولّاه طَخارستان، فتجهّز له، فوشى به بَحير بن ورقاء إلى أميّة، فمنعه عنها، فلمّا أمره بغزو ما وراء النهر تجهّز، وأنفق نفقةً كثيرة وادّان فيها، فقال بحير لأميّة: إن صار بينك وبينه النهر خلع الخليفة. فأرسل إليه أميّة: أن أقمْ لعلّي أغزو فتكون معي. فغضب بُكير وقال: كأنّه يضارّني. وكان عُقاب ذو اللِّقْوة الغُدانيُّ استدان ليخرج مع بُكَير، فأخذه غرماؤه، فحُبس حتّى أدّى عنه بُكير.

ثمّ إنّ أميّة تجهّز للغزو إلى بخارى، ثمّ يعود منها إلى موسى بن عبد الله بن خازم بترمِذ، وتجهّز الناسُ معه وفيهم بُكَير، وساروا، فلمّا بلغوا النهرَ وأرادوا قطعَه قال أميّة لبُكَير: إنّي قد استخلفتُ ابني على خُراسان، وأخاف أنّه لا يضبطها لأنّه غلام حدَث، فارجعْ إلى مَرْو فاكفِنِيها[1] فإنّي قد ولّيتكها، فقمْ بأمر ابني.

فانتخبَ بُكَير فرساناً كان عرفهم ووثق بهم ورجع، ومضى أميّة إلى بخارى للغزاة. فقال عُقاب ذو اللِّقوة لبُكير: إنّا طلبنا أميراً من قريش، فجاءنا أمير يلعب بنا ويحوّلنا من سجن إلى سجن، وإنّي أرى أن تحرق[2] هذه السفن ونمضي إلى مرو، ونخلع أميّة ونقيم بمرو ونأكلها إلى يوم ما. ووافقه الأحنف بن عبد الله العنبريُّ على هذا. قال بُكَير: أخافُ أن يهلك هؤلاء الفرسان الذين معي. قال: إن هلك هؤلاء فأنا[3] آتيك من أهل مرو بما شئتَ. قال: يهلك المسلمون. قال: إنّما يكفيك أن ينادي منادٍ: مَنْ أسلم رفعنا عنه الخراج، فيأتيك خمسون ألفاً أسمع من هؤلاء وأطوع. قال: فيهلك أميّة ومَنْ معه. قال: ولِمَ يهلكون ولهم عدد وعدّة ونجدة وسلاح ظاهر، ليقاتلوا عن أنفسهم حتّى يبلغوا الصين! فحرق بُكيرٌ السفن ورجع إلى مَرْو، فأخذ ابنَ أميّة بحبسه وخلع أميّةَ.

وبلغ أميّةَ الخبرُ فصالح أهلَ بخارى على فدية قليلة، ورجع وأمر باتّخاذ السفن، وعبر وذكر للنّاس إحسانه إلى بُكَير مرّة بعد أخرى، وأنّه كافأه بالعصيان، وسار إلى مَرْو، وأتاه موسى بن عبد الله بن خازم، وأرسل أميّةُ شَمّاسَ بن دِثار[4] في ثمانمائة، فسار إليه بُكَير وبيّته فهزمه وأمر أصحابه أن لا يقتلوا منهم أحداً، فكانوا يأخذون سلاحهم ويطلقونهم، وقدِم أميّة فتلقّاه شمّاس، فقدّم أميّةُ ثابتَ بت قُطْبَة، فلقيه بُكَير فأسر ثابتاً وفرّق جمعه، ثمّ أطلقه ليدٍ كانت لثابت عنده.

(١) في الأوربية: «فاكفيها».
(٢) في (ب) و(ر): «تخرق».
(٣) في الأوربية: «أنا».
(٤) في (ر): «دبار».

وأقبلَ أميّة وقاتله بُكير، فانكشف يوماً أصحابه، فحماهم بُكَير، ثمّ التقوا يوماً آخر، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثمّ التقوا يوماً آخر، فضرب بُكَيرٌ ثابتَ بن قُطْبَة على رأسه، فحمل حُرَيْثُ بن قُطْبَة أخو ثابت على بُكير، فانحاز بُكَير وانكشف أصحابه، واتبع حُرَيْثُ بُكيراً حتّى بلغ القنطرة، وناداه: إلى أين يا بُكَير؟ فرجع، فضربه حُريث على رأسه، فقطع المِغفَر، وعضّ السيفُ رأسه فصُرع، واحتمله أصحابه فأدخلوه المدينة، وكانوا يقاتلونهم.

فكان أصحاب بُكَير يغدون في الثياب المصبغة من أحمر وأصفر، فيجلسون يتحدّثون وينادي مناديهم: مَنْ رمى بسهمٍ رمينا إليه برأس رجلٍ من ولده وأهله، فلا يرميهم أحد.

وخاف بُكير إن طال الحصار أن يخذله الناس، فطلب الصلح، وأحبّ ذلك أيضاً أصحابُ أميّة، فاصطلحوا على أن يقضي أميّة عنه أربعمائة ألف، ويصل أصحابه، ويولّيه أيّ كُوَر خُراسان شاء، ولا يسمع قول بَحِير فيه، وإنْ رابه رَيبٌ فهو آمن أربعين يوماً.

ودخلَ أميّة مدينة مرو ووفَى لبُكَير وعاد إلى ما كان من إكرامه، وأعطى أميّةُ عُقاباً عشرين ألفاً.

وقد قيل: إنّ بُكَيراً لم يصحبْ أميّة إلى النهر، كان أميّة قد استخلفه على مرو، فلمّا سار أميّة وعبر النهر خلعه، فجرى الأمر بينهما على ما ذكرناه.

وكان أميّة سهلاً ليّناً سخيّاً، وكان مع ذلك ثقيلاً على أهل خُراسان، وكان فيه زهو شديد، وكان يقول: ما تكفيني خُراسان لمطبخي.

وعزل أميّةُ بَحيراً عن شُرطته، وولّاها عطاء بن أبي السائب. وطالب أميّةُ الناسَ بالخراج واشتدّ عليهم، وكان بُكَير يوماً في المسجد وعنده الناس فذكروا شدّة أميّة وذمّوه، وبَحِير، وضرار بن حُصَين، وعبد الله بن جارية بن قُدامة في المسجد، فنقل بَحير ذلك إلى أميّة، فكذّبه، فادّعى شهادة هؤلاء، فشهد مُزاحم بن أبي المُجشّر السُّلَميُّ أنّه كان يمزح فتركه أميّة.

ثمّ إنّ بَحيراً أتى أميّة وقال له: والله إن بُكيراً قد دعاني إلى خلعك وقال: لولا مكانك لقتلتُ هذا القرشيّ وأكلتُ خُراسان، فلم يصدّقه أميّة، فاستشهد جماعةً ذكر بُكير أنّهم أعداؤه[1]، فقبض أميّة على بُكير، وعلى بدل، وشمردل ابنَيْ أخيه، ثمّ أمر أميّة

(١) في الأوربية: «ادعاؤه».

بعض رؤساء مَنْ معه بقتل بُكَير، فامتنعوا، فأمر بَحيراً بقتله فقتله، وقتل أميّـةُ ابنَيْ[1] أخي بُكير[2].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة عبر أميّة نهر بلْخ للغزو، فحُوصر حتّى جُهِد هو وأصحـابه، ثمّ نجَـوا بعدما أشرفوا على الهلاك، ورجعوا إلى مَرْو[3].

وحجّ هذه السنة بالنـاس أبانُ بن عثمـان، وهو أميـر المدينـة[4].

وكان على الكـوفة والبصرة الحجّاج، وعلى خُراسان أميّة[5].

وغزا هذه السنة الصائفة الوليد بن عبد الملك[6].

[الوَفَيات]

وفيها مات جابر بن عبد الله[7] بن عَمرو الأنصاري.

---

(١) في الأوربية: «ابن».
(٢) الطبري ٦/٣١١ ـ ٣١٦، نهاية الأرب ٢١/٢٢٤ ـ ٢٢٧.
(٣) الطبري ٦/٣١٧، نهاية الأرب ٢١/١٩٧.
(٤) تـاريخ خليفـة ٢٧٦، المحبّر ٢٥، تـاريخ اليعقـوبي ٢/٢٨١، تاريـخ الطبـري ٦/٣١٨، مـروج الـذهب ٤/٣٩٩، تاريخ العظيمي ١٩٢، تاريخ الإسلام (٦١ ـ ٨٠ هـ.) ص ٣٣٥.
(٥) الطبري ٦/٣١٨.
(٦) الطبري ٦/٣١٨، نهاية الأرب ٢١/١٩٧.
(٧) انـظر عن (جابـر بن عبـد الله) في: تـاريـخ الإسـلام (٦١ ـ ٨٠ هـ.) ص ٣٧٧ رقم ١٤٨ وفيـه مصـادر ترجمته.

٧٨
ثم دخلت سنة ثمان وسبعين

ذكر عزل أميّة بن عبد الله وولاية المهلّب خراسان

في هذه السنة عزل عبدُ الملك بن مروان أميّةَ بن عبد الله بن خالد عن خُراسان وسِجِسْتان(١) وضمّهما إلى أعمال الحجّاج بن يوسف، ففرّق عمّاله فيهما، فبعث المهلّبَ بن أبي صُفْرة على خُراسان(٢)، وقد فرغ من الأزارقة، ثمّ قدِم على الحجّاج وهو بالبصرة، فأجلسه معه على السرير، ودعا أصحابَ البلاء من أصحاب المهلّب، فأحسن إليهم وزادهم. وبعث عُبيدَ الله بن أبي بَكرة على سجستان(٣). وكان الحجّاج قد استخلف على الكوفة عند مسيره إلى البصرة المُغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل، فلمّا استعمل المهلّبَ على خُراسان سيّر ابنه حبيباً إليها، فلمّا ودّع الحجّاجَ أعطاه بغلةً خضراء، فسار عليها وأصحابه على البريد، فسار عشرين يوماً حتّى وصل خُراسان، فلمّا دخل باب مرو لقِيه حمْل حَطَب، فنفرت البغلةُ، فعجبوا من نفارها بعد ذلك التّعب وشدّة السير. فلمّا وصل خُراسان لم يعرض لأميّة ولا لعُمّاله، وأقام عشرة أشهر حتّى قدِم عليه المهلّب سنة تسعٍ وسبعين(٤).

ذكر عدّة حوادث

وحجّ بالناس هذه السنة أبان بن عثمان(٥)، وكان أمير المدينة. وكان أمير الكوفة

---

(١) فتوح البلدان ٤٩١.
(٢) تاريخ خليفة ٢٧٧، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٧٦، تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٣٣٦.
(٣) فتوح البلدان ٤٩١، تاريخ خليفة ٢٧٧، تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٣٣٦.
(٤) الطبري ٦/٣١٩ - ٣٢١، نهاية الأرب ٢١/٢٢٨.
(٥) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٨١، المحبّر ٢٥ ويقال عبد الملك بن مروان، مروج الذهب ٤/٣٩٩، نهاية الأرب ٢١/٢٢٨، أما عند الطبري ٦/٣٢١، وتاريخ خليفة ٢٧٧، وتاريخ الإسلام للذهبي (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٣٣٧ فإن الذي حجّ بالناس هذا العام هو الوليد بن عبد الملك.
وفي شفاء الغرام لقاضي مكة (بتحقيقنا) ٢/٣٤٠ فالذي حج هو الخليفة عبد الملك بن مروان.

والبصرة وخُراسان وسجستان وكَرمان الحجّاج بن يوسف، وكان نائبه بخُراسان المهلّب، وبسَجِسْتان عُبيد الله بن أبي بَكرة، وكان على قضاء الكوفة شُرَيْح، وعلى قضاء البصرة موسى بن أنَس، فيما قيل[1].

[الوَفَيات]

في هذه السنة مات عبد الرحمن بن عبد الله[2] القاريّ وله ثمان وسبعون سنة، ومسح النبيّ ﷺ، برأسه.
(القاريّ بالياء المشدّدة).

وفيها مات زيد بن خالد[3] الجُهَنيُّ، وقيل غير ذلك.

وتوفّي عبد الرحمن بن غَنْم[4] الأشعريُّ، أدرك الجاهليّة، وليست له صُحْبَة.

---

(١) الطبري ٦/٣٢١، نهاية الأرب ٢١/٢٢٨.

(٢) انظر عن (عبد الرحمن بن عبد الله) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٤٧٢ رقم ٢٠٦ وفيه مصادر ترجمته.

(٣) انظر عن (زيد بن خالد) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٤٠٥ رقم ١٧٢ وفيه مصادر ترجمته.

(٤) انظر عن (عبد الرحمن بن غنم) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٤٧٦ رقم ٢٠٩ وفيه مصادر ترجمته.

٧٩
ثم دخلت سنة تسعٍ وسبعين

ذكر غزو عُبيد الله بن أبي بَكرة رُتبيل

لمّا ولّى الحجّاجُ عُبيدَ الله بن أبي بَكرة سجستان، وذلك سنة ثمانٍ وسبعين، مكث سنة لم يغزُ، وكان رُتْبيل مصالحاً، وكان يؤدّي الخراج، وربّما امتنع منه.

فبعث الحجّاجُ إلى عُبيد الله بن أبي بَكرة يأمره بمناجزته، وأن لا يرجع حتّى يستبيح بلاده ويهدم قلاعه ويقيّد رجاله.

فسار عُبيدُ الله في أهل البصرة وأهل الكوفة، وكان على أهل الكوفة شُرَيْح بن هانىء، وكان من أصحاب عليّ، ومضى عُبيد الله حتّى دخل بلاد رُتبيل، فأصاب من الغنائم ما شاء، وهدم حصوناً، وغلب على أرض من أراضيهم، وأصحاب رُتبيل من الترك يتركون[١] لهم أرضاً بعد أرض، حتّى أمعنوا في بلادهم ودَنَوا من مدينتهم، وكانوا منها على ثمانية عشر فرسخاً، فأخذوا على المسلمين العقاب والشعاب، فسُقط في أيدي المسلمين، فظنّوا أن قد هلكوا، فصالحهم عُبيدُ الله على سبعمائة ألف درهم يوصلها إلى رُتبيل[٢] ليُمْكن المسلمين من الخروج من أرضه، فلقِيه شُرَيْح فقال له: إنّكم لا تصالحون على شيء إلاّ حسبه السلطان من أعطياتكم، وقد بلغتُ من العمر طويلاً، وقد كنتُ أطلب الشهادة منذ زمان، وإن فاتتني اليوم الشهادةُ ما أُدركها حتّى أموت. ثمّ قال شُرَيح: يا أهل الإسلام تعاونوا على عدوّكم. فقال له ابن أبي بَكرة: إنّك شيخ قد خرِفتَ. فقال له شُرَيح: إنّما حسبك أن يقال بستان عُبيد الله وحمّام عُبيد الله. يا أهلَ الإسلام مَنْ أراد منكم الشهادة فإليّ. فاتّبعه ناس من المتطوّعة غير كثير، وفرسان الناس، وأهل الحفّاظ، فقاتلوا حتّى أُصيبوا إلاّ قليلاً، وجعل شُرَيح يرتجز ويقول:

---

(١) في الأوربية: «ينزلون».

(٢) هكذا هنا وعند الطبري ٦/٣٢٣، أما عند البلاذري في فتوح البلدان ٤٩١ فالأمر مختلف، حيث يقول: «ولحقهم رتبيل، فصالحهم عبيد الله على أن يعطوه خمس مئة ألف درهم، ويبعث إليه بثلاثة من ولده: نهار، والحجاج، وأبي بكرة رُهناء..».

أَصْبَحْتُ ذا بثّ أُقاسي الكِبَرَا	قد عِشتُ بَينَ المشركينَ أعصُرَا
ثمّيةَ أدركْنا[1] النبيَّ المنذِرَا	وَبَعْدَهُ صِدّيقَه وَعُمَرَا
ويومَ مِهرانَ ويومَ تُسْتَرا	وَالجَمعَ في صِفّينهم وَالنّهَرَا
وَباجُمَيراتٍ[2] معَ المُشَقَّرَا	هيهات ما أطوَلَ هذا عُمُرَا[3]

وقاتل حتّى قُتل في ناس من أصحابه، ونجا مَن نجا منهم، فخرجوا من بلاد رُتبيل، فاستقبلهم الناس بالأطعمة، فكان أحدهم إذا أكل وشبع مات، فحذر الناس، وجعلوا يطعمونهم[4] السمن قليلاً قليلاً حتّى استمرؤوا، وبلغ ذلك الحجّاجَ، فكتب إلى عبد الملك يعرّفه ذلك ويُخْبره أنّه قد جهّز من أهل الكوفة وأهل البصرة جيشاً كثيفاً، ويستأذنه في إرساله إلى بلاد رُتْبيل[5].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة أصاب أهلَ الشام طاعونٌ شديد حتّى كادوا يَفْنَوْن، فلم يغزُ تلك السنة أحد فيما قيل[6]. وفيها أصاب أهلُ الروم أهلَ أنطاكية وظفروا بهم[7] وفيها استعفى شُرَيح بن الحارث عن القضاء، فأعفاه الحجّاجُ واستعمل على القضاء أبا بُرْدة بن أبي موسى[8].

وحجّ بالناس في هذه السنة أبان بن عثمان، وكان على المدينة[9]، وكان على العراق والشرق كلّه الحجّاج بن يوسف. وكان على قضاء البصرة موسى بن أنس[10].

---

(١) الطبري: «أدركت».

(٢) في الأوربية: «وما جميرات».

(٣) الطبري ٦/٣٢٣، نهاية الأرب ٢١/١٩٨.

(٤) في الأوربية: «يطعمونه».

(٥) الطبري ٦/٣٢٢ - ٣٢٤، وانظر: تاريخ خليفة ٢٧٧، وفتوح البلدان ٤٩١، ٤٩٢، نهاية الأرب ٢١/١٩٧.

(٦) الطبري ٦/٣٢٢، نهاية الأرب ٢١/١٩٩، تاريخ العظيمي ١٩٢.

(٧) الطبري ٦/٣٢٢، نهاية الأرب ٢١/١٩٩، وفي تاريخ العظيمي ١٩٢ «وظفر أهل أنطاكية بالروم»!

(٨) الطبري ٦/٣٢٤.

(٩) تاريخ خليفة ٢٧٩، المحبّر ٢٥ وفيه عبد الملك، ويقال: أبان، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٨١، تاريخ الطبري ٦/٣٢٤، مروج الذهب ٤/٣٩٩، تاريخ العظيمي ١٩٢.

(١٠) الطبري ٦/٣٢٤.

[الوَفَيات]

وفيها مات محمود بن الربيع، وكنيته أبو إبراهيم[1]، ووُلد على عهد رسول الله ﷺ.

وعبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود[2].

---

(١) لم أجد من اسمه: محمود بن الربيع وكنيته: أبو إبراهيم، بل يوجد: محمود بن الربيع بن سُراقة الأنصاري الخزرجي الذي يُكنى: أبا نُعيم، وقيل: أبا محمد، وهو عقل مجّة مجّها رسول الله ﷺ من دلوٍ في بئرهم وحفظ ذلك وله أربع سنين وقيل: خمس سنين، وتوفي سنة تسع وتسعين، وقيل: سنة ست وتسعين، (أسد الغابة ٤/٣٣٢).
فاسمه واسم أبيه واحد، ولكن كنيته وتاريخ وفاته مختلفان. فلْيُتَأمّل.

(٢) انظر عن (عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٤٧١ رقم ٢٠٥ وفيه مصادر ترجمته.

٨٠
ثم دخلت سنة ثمانين

في هذه السنة أتَى سيلٌ بمكّة فذهب بالحُجّاج، وكان يحمل الإبل عليها الأحمال والرجال ما لأحد فيهم حيلة، وغرقت بيوت مكّة، وبلغ السيلُ الركنَ فسُمّي ذلك العام الجُحاف[1].

وفي هذه السنة وقع بالبصرة طاعون الجارف[2].

ذكر غزوة المهلّب ما وراء النهر

في هذه السنة قطع المهلّب نهر بلْخ، ونزل على كِشّ[3]، وكان على مقدّمته أبو الأدهم الزمانيُّ في ثلاثة آلاف، وهو في خمسة آلاف، وكان أبو الأدهم يُغْني غَناء ألْفَين في البأس والتدبير والنصيحة، فأتى المهلّبَ وهو نازل على كشّ ابنُ عمّ ملك الخُتّل فدعاه إلى غزو الخُتّل، فوجّه معه ابنَه يزيد، وكان اسم ملك الختّل الشبل، فنزل يزيد ونزل ابن عمّ الملك ناحية، فبيّته الشبلُ وأخذه فقتله، وحصر يزيد قلعة الشبل، فصالحوه على فديةٍ حُملت إليه، ورجع يزيد عنهم، ووجّه المهلّب ابنَه حبيباً فوافى صاحبَ بخارى في أربعين ألفاً، فنزل جماعة من العدوّ قرية، فسار إليهم حبيب في أربعة آلاف فقتلهم وأحرق القرية، فسُمّيت المحترقة، ورجع حبيب إلى أبيه.

وأقام المهلّب بكشّ سنتين، فقيل له: لو تقدّمتَ إلى ما وراء ذلك. فقال: ليت حظّي من هذه الغزاة سلامة هذا الجُند وعَودهم سالمين.

---

(١) الطبري ٦/٣٢٥، تاريخ العظيمي ١٩٣، تاريخ اليعقوبي ٢/٣٧٧، تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٣٤٢، أخبار مكة للأزرقي ٢/١٦٨، البداية والنهاية ٩/٣١.

(٢) الطبري ٦/٣٢٥، البداية والنهاية ٩/٣١ وقال ابن كثير: والمشهور أنه كان في سنة تسع وستين كما تقدّم. وذكر خليفة في تاريخه ٢٧٩ أن أهل الشام أصابهم طاعون شديد، فلم يكن لهم ذلك العام غزو، تاريخ العظيمي ١٩٣.

(٣) وردت في الأصول: «كس» و«كش» و«كيس».

ولمّـا كان المهلّب بكشّ أتـاهم قومٌ من مُضَـر، فحبسهم بها ،فلمّـا رجع أطلقهم، فكتب إليـه الحجّاج: إن كنتَ أصَبْتَ بحبْسهم فقـد أخطأتَ بـإطلاقهم، وإن كنتَ أصبتَ بـإطـلاقهم، فقــد ظلمتهم إذ حبستهم. فكتب المهلّب: خفتُهم وحبستهم، فلمّـا أمنتهم خلّيتهم. وكان فيمَنْ حُبس عبد الملك بن أبي شيخ القُشَيريُّ.

وصالَح المهلّبُ أهلَ كشّ على فِديةٍ يأخـذها منهم، وأتـاه كتاب ابن الأشعث بخلع الحجّاج ويدعوه إلى مساعدته، فبعث بكتابه إلى الحجّاج وأقام بكشّ[1].

ذكر تسيير الجنود إلى رُتبيل مع عبد الرحمن ابن محمّد بن الأشعث

قد ذكرنا حال المسلمين حين دخل بهم ابنُ أبي بَكرة بلاد رُتبيل، واستأذن الحجّاجُ عبدَ الملك في تسيير الجنود نحو رُتبيل، فأذِن له عبد الملك في ذلك، فأخذ الحجّاج في تجهيز الجيش، فجعل على أهلِ الكوفـة عشرين ألفـاً، وعلى أهل البصرة عشرين ألفـاً، وجدّ في ذلك، وأعطى الناس أعـطياتهم كَمَـلاً، وأنفق فيهم ألْفَيْ ألف سوى أعـطياتهم، وأنجدهم بالخيل الرائقة والسلاح الكامل، وأعطى كلّ رجل يوصف بشجاعة وغَناء، منهم عُبيد بن أبي مِحْجَن الثقفيُّ، وغيره.

فلمّا فرغ من أمـر الجُندَيْن بعث عليهم عبـد الرحمن بن محمّـد بن الأشعث، وكان الحجّاج يبغضه ويقول: ما رأيتُه قطّ إلاّ أردتُ قتله. وسمع الشعبيّ ذلك من الحجّاج ذات يوم فأخبر عبد الرحمن به، فقال: والله لأحاولنّ أن أُزيـل الحجّاجَ عن سلطانـه. فلمّا أراد الحجّاج أن يبعث عبد الرحمن على ذلك الجيش أتـاه إسماعيـل بن الأشعث فقال لـه: لا تبعثْهُ، فوالله ما جاز جسر الفرات فـرأى لوالٍ عليـه طاعـة[2]، وإنّي أخاف خـلافه. فقـال الحجّاج: هو أهْيَبُ[3] لي من أن يخالف أمري. وسيّره على ذلك الجيش، فسار بهم حتّى قدِم سِجِسْتان، فجمع أهلَها فخطبهم ثمّ قال: إنّ الحجّـاج ولاّني ثغركم، وأمـرني بجهاد

(١) الطبـري ٦/٣٢٥، ٣٢٦، تـاريخ خليفـة ٢٧٩، تـاريخ اليعقـوبي ٢/٢٧٦، وجـاء في «فتـوح البلدان» ص ٥١٤ بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد أن الحجّاج بن يـوسف ولّى خراسـان المهلّب بن أبي صفرة سنة تسع وتسعين، فغزا مغازي كثيرة، وفتح الخُتّل. . .
ويقول خادم العلم وطالبه المعتني بهذا الكتاب «عمر عبد السـلام تدمـري»: إن التأريخ وهْم، والصحيح «سنة تسـع وسبعين» حيث تـوفي المهلّب سنـة ٨٣ هـ. والـذي بقي إلى سنـة ٩٩ هـ. هـو ابنـه يـزيـد. فليُصحَّح.

(٢) في الأوربية: «طاعته».

(٣) في الأوربية: «أهيبه».

عدوّكم الذي استباح بلادكم، فإيّاكم أن يتخلّف منكم أحد، فتمسّه العقوبة.

فعسكروا مع الناس وتجهّزوا، وسار بأجمعهم، وبلغ الخبرُ رُتبيلَ، فأرسل يعتذر ويبذل الخراج، فلم يقبل منه، وسار إليه ودخل بلاده، وترك له رُتبيل أرضاً أرضاً، ورُستاقاً رُستاقاً، وحصناً حصناً، وعبد الرحمن يحوي ذلك، وكلّما حوى بلداً بعث إليه عاملاً، وجعل معه أعواناً[1]، وجعل الأرصاد على العِقاب والشّعاب، ووضع المسالح بكلّ مكان مَخوفٍ، حتّى إذا جاز من أرضه [أرضاً] عظيمة، وملأ الناس أيديهم من الغنائم العظيمة، منع الناس من الوغول في أرض رُتْبيل، وقال: نكتفي بما قد أصبناه العام من بلادهم حتّى نجبيها[2] ونعرفها، ويجترىء المسلمون على طرقها، وفي العام المقبل نأخذ ما وراءها إن شاء الله تعالى، حتّى نقاتلهم في آخر ذلك على كنوزهم وذراريهم وأقصى بلادهم، حتّى يُهْلكهم الله تعالى. ثمّ كتب إلى الحجّاج بما فتح الله عليه، وبما يريد أن يعمل[3].

وقد قيل في إرسال عبد الرحمن غير ما ذكرنا، وهو أنّ الحجّاج كان قد ترك بكرمان هِمْيان بن عديّ السدوسيَّ يكون بها مسلحةً إن احتاج إليه عامل سجستان والسِّند، فعصى هِمْيان، فبعث إليه الحجّاجُ عبدَ الرحمن بن محمّد، فحاربه فانهزم هميان، وأقام عبد الرحمن بموضعه. ثمّ إنّ عُبيد الله بن أبي بَكرة مات وكان عاملاً على سجستان، فكتب الحجّاج لعبد الرحمن عهده عليها وجهّز إليه هذا الجيش، فكان يسمّى جيش الطواويس لحسنه[4].

ذكر عدّة حوادث

وحجّ بالنّاس هذه السنة أبان بن عثمان[5]، وكان أمير المدينة. وكان على العراق والمشرق الحجّاج، وكان على خُراسان المهلّب من قِبَل الحجّاج، وكان على قضاء البصرة موسى بن أنَس، وعلى قضاء الكوفة أبو بُرْدة[6].

---

(١) في الأوربية: «عواناً».

(٢) في الأوربية: «نجيها».

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٧٧.

(٤) الطبري ٦/٣٢٦ ـ ٣٢٩، التنبيه والإشراف ٢٧١، نهاية الأرب ٢١/٢٤٩، البداية والنهاية ٩/٣١، ٣٢.

(٥) تاريخ خليفة ٢٨٠، المحبّر ٢٥، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٨١، تاريخ الطبري ٦/٣٢٩، مروج الذهب ٤/٣٩٩، تاريخ العظيمي ١٩٣، نهاية الأرب ٢١/٢٢٨، البداية والنهاية ٩/٣٢.

(٦) الطبري ٦/٣٢٩.

[الوَفَيات]

وفي هذه السنة مات أَسْلم مولى عمر بن الخطّاب[1]. وفيها توفّي أبو إدريس الخَوْلاني[2]. وفيها مات عبد الله بن جعفر[3] بن أبي طالب، وقيل سنة أربع، وقيل سنة خمس، وقيل سنة ستٍّ وثمانين، وقيل سنة تسعين. وفيها قُتل مَعْبد بن عبد الله[4] بن عُكَيْم[5] الجُهَنيُّ الذي يروي حديث الدَّبّاغ، وهو أوّل من قال بالقَدَر في البصرة، قتله الحجّاج، وقيل: قتله عبد الملك بن مروان بدمشق. وفيها توفّي محمّد بن عليّ بن أبي طالب[6]، وهو ابن الحنفيّة. وفيها توفّي جُنادة بن أبي أميّة[7]، وله صُحْبة، وكان على غزو البحر أيّام معاوية كلّها. وفيها مات السائب بن يزيد[8] بن أخت النَّمر، وقيل: سنة ستّ وثمانين، وُلد على عهد النبيّ ﷺ. وفيها توفّي سُوَيْد بن غَفَلة[9]، (بفتح الغين المعجمة، والفاء).

وفيها توفّي عبد الله بن أبي أَوْفَى[10]، وهو آخر مَنْ مات من الصحابة بالكوفة.

وجُبَير بن نُفَير[11] بن مالك الحضرميُّ، أدرك الجاهليّة، وليس له صُحْبَة.

---

(1) انظر على (أسلم مولى عمر) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٣٦١ رقم ١٣٩ وفيه مصادر ترجمته.

(2) انظر عن (أبي إدريس الخولاني) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٥٤٢ رقم ٢٦٣ وفيه مصادر ترجمته.

(3) انظر عن (عبد الله بن جعفر) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٤٢٨ رقم ١٨٧ وفيه مصادر ترجمته.

(4) انظر عن (معبد بن عبد الله) في: تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ.) ص ١٩٩ رقم ١٤٧ وفيه مصادر ترجمته.

(5) في طبعة صادر ٤/٤٥٦ «عُليم»، وهذا تصحيف.

(6) انظر عن (محمد بن علي) في: تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ.) ص ١٩٩ رقم ١٤٧ وفيه مصادر ترجمته.

(7) انظر عن (جُنادة بن أبي أميّة) في: تاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ.) ص ٣٨٣ رقم ١٥٠ وفيه مصادر ترجمته.

(8) انظر عن (السائب بن يزيد) في: تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ.) ص ٣٦٣ رقم ٢٧٤ وفيه مصادر ترجمته.

(9) انظر عن (سويد بن غفلة) في: تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ.) ص ٧٥ رقم ٤١ وفيه مصادر ترجمته. وقد ضُبط في طبعة صادر ٤/٤٥٦ «غَفْلة» بسكون الفاء، وهو وهْم، والصحيح بالتحريك، كما نصّ المؤلّف بعد الاسم مباشرة إذ قال: سويد بن غفلة، بفتح الغين المعجمة والفاء.

(10) انظر عن (عبد الله بن أبي أوفى) في: تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ.) ص ٩٨ رقم ٦١ وفيه مصادر ترجمته.

(11) انظر عن (جُبير بن نفير) في: تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ.) ص ٣٨١ رقم ١٤٩ وفيه مصادر ترجمته.

٨١
ثم دخلت سنة إحدى وثمانين

في هذه السنة سيّر عبدُ الملك بن مروان ابنَه عُبيد الله ففتح قالِيقَلا[١].

ذكر مقتل بَحِير بن ورقاء

وفي هذه السنة قُتل بحير بن ورقاء الصُّرَيْميُّ.

وكان سبب قتله أنّه لما قُتل بُكَير بن وسّاج[٢]، وكلاهما تميميّان، بأمر[٣] أميّة بن عبد الله بن خالد إيّاه بذلك، كما تقدّم ذكره، قال عثمان بن رجاء بن جابر أحد بني عَوْف بن سعد من الأبناء يحرّض بعض آل بُكَير من الأبناء، والأبناء عدّة بطون من تميم سُمّوا بذلك:

لَعَمْري لقد أغضَيتَ عيناً على القَذَى وبِتَّ بَطِيناً من رَحيقٍ مُرَوَّقِ[٤]
وخلّيتَ[٥] ثأراً طُلَّ واختَرْت نَوْمَةً ومَن يشربِ[٦] الصّهباءَ بالوِتْرِ يُسبقِ
فلَوْ كنتَ من عَوْفِ بن سعدٍ ذؤابَةً تركتَ بَحِيراً في دَمٍ مُترَقرِقِ
فقل لبَحيرٍ نَمْ وَلا تخشَ ثائراً ببَكْرٍ[٧] فعَوْفٌ أهل شاءٍ[٨] حبَلَّقِ[٩]
دَعِ[١٠] الضّأنَ يوْماً قد سُبِقتم بوِتْركمْ وَصرْتمْ حديثاً بينَ غرْبٍ ومشرِقِ

---

(١) الطبري ٦/٣٣١، البداية والنهاية ٩/٣٤، نهاية الأرب ٢١/٢٠٢.
(٢) الطبري «وشاح».
(٣) في الأوربية: «يأمر».
(٤) في معجم الشعراء للمرزباني «معتق».
(٥) في المعجم: «وخيلت».
(٦) الطبري: «شرب».
(٧) في المعجم، والطبري: «بعَوْفٍ».
(٨) الطبري: «شاةٍ».
(٩) الحَبَلَّق: صغار الغنم.
(١٠) في الأوربية: «دعوا».

وهُبّوا فلَوْ أمسَى بُكَيرٌ كعَهدِهِ لَغاداهُمُ زحفاً[1] بجأواءَ[2] فَيْلَقِ[3]

وقال أيضاً:

فلوْ كانَ بَكْرٌ بارزاً في أداتِهِ وذي العرْشِ لم يُقْدِمْ عليهِ بَحِيرُ
ففي الدّهرِ إن أبقانيَ الدّهرُ مَطْلَبٌ[4] وَفي اللّهِ طَلاّبٌ بذاكَ جَديرُ[5]

فبلغ بَحيراً أنّ رهط بُكير من الأبناء يتوعّدونه فقال:

توعّدني الأبْناءُ جَهلاً كأنّما يرَوْنَ فِنائي مُقْفِراً من بني كَعبِ
رفعتُ لَه كَفّي بعَضْبٍ[6] مُهَنّدٍ حُسامٍ[7] كلوْن الثّلج[8] ذي رَونق عَضْبِ[9]

فتعاقد سبعة عشر رجلاً من بني عَوْف على الطلب بدم بُكَيْر، فخرج فتًى منهم يُقال له شَمَرْدل[10] من البادية حتّى قدِم خُراسان، فرأى بَحيراً واقفاً فحمل عليه، فطعنه فصرعه وظنّ أنّه قد قتله، فقال الناس: خارجيّ، وراكَضَهُم، فعثر به فرسُه فسقط عنه فقُتل.

وخرج صَعْصَعة بن حرب العَوْفيّ من البادية، وقد باع غُنيمات له، ومضى إلى سِجِسْتان فجاور قرابةً لبحير مدّة، وادّعى إلى بني حنيفة من اليمامة، وأطال مُجالستهم حتّى أنِسوا به، ثمّ قال لهم: إنّ لي بخُراسان ميراثاً، فاكتبوا لي إلى بَحير كتاباً ليُعِينني على حقّي. فكتبوا له، وسار فقدِم على بَحِير وهو مع المهلّب في غزوته، فلقي قوماً من بني عَوف، فأخبرهم أمره، ولقِي بَحيراً فأخبره أنّه من بني حنيفة من أصحاب ابن أبي بكرة، وأنّ له مالاً بسجستان وميراثاً بمرو، وقدِم ليبيعه ويعود إلى اليمامة. فأنزله بَحير وأمر له بنفقة ووعده، فقال صعصعة: أقيم عندك حتّى يرجع الناس؛ فأقام شهراً يحضر معه باب المهلّب، وكان بَحيرٌ قد حذِر، فلمّا أتاه صعصعة بكتاب أصحابه وذكر أنّه من حنيفة آمنه.

---

(١) الطبري: «صحيحاً لغاداهم».
(٢) كتيبة جأواء: بيّنة الجأي. وهي التي يعلوها لون السواد لكثرة الدروع. (لسان العرب).
(٣) في الأوربية: «لعاداهم زحفاً بجاء وأفلق»، والأبيات في: معجم الشعراء للمرزباني ٩١، وتاريخ الطبري ٣٣١/٦، ونهاية الأرب ٢٢٩/٢١، ٢٣٠.
(٤) في الأوربية: «فطلب».
(٥) الطبري ٣٣١/٦، ٣٣٢، نهاية الأرب ٢٣٠/٢١.
(٦) في الأوربية: «بسيف»، والطبري: «بحدّ».
(٧) في (ر): «خيام».
(٨) في الأوربية: «حتام كلون السلح»، والطبري، ونهاية الأرب «الملح».
(٩) الطبري ٣٣٢/٦، نهاية الأرب ٢٣٠/٢١، ٢٣١.
(١٠) الطبري: «الشمردل».

فجاء يوماً صعصعة وبحير عند المهلّب عليه قميص ورداء، فقعد خلفه، ودنا منه كأنّه يكلّمه، فوجأه بخنجرٍ معه في خاصرته، فغيّبه في جوفه، ونادى: يا لثارات بُكَير! فأُخذ وأتي به المُهلّب، فقال له: بؤساً لك! ما أدركتَ بثأرك وقتلتَ نفسك، وما على بَحِير بأس. فقال: لقد طعنتُه طعنةً لو قُسّمتْ بين الناس لماتوا، ولقد وجدتُ ريح بطنه في يدي. فحبسه، فدخل عليه قومٌ من الأبناء فقبّلوا رأسه. ومات بَحِير من الغد، فقال صعصعة لمّا مات بَحِير: اصنعوا الآن ما شئتم، أليس قد حلّت نُذور أبناء بني عوف وأدركتُ بثأري؟ والله لقد أمكنني منه خالياً غير مرّة فكرهتُ أن أقتله سرّاً. فقال المهلّب: ما رأيتُ رجلاً أسخى نفساً بالموت من هذا. وأمر بقتله فقُتل.

وقيل: إنّ المهلّب بعثه إلى بَحِير قبل أن يموت، فقتله، ومات بَحِير بعده.

وعظُم موته على المهلّب، وغضبت عوْف والأبناء وقالوا: علامَ قُتل صاحبنا وإنّما أخذ بثأره؟ فنازعهم مُقاعس والبطون، وكلّهم بطون من تميم، حتّى خاف الناس أن يعظُم الأمر، فقال أهل الحِجَى: احملوا دم صعصعة، واجعلوا دم بَحير ببُكَير، فودَوا صَعصعة؛ فقال رجل من الأبناء يمدح صعصعة:

لـلّهِ دَرُّ فـتًـى تـجاوَزَ هَـمُّـهُ ... دونَ الـعـراقِ مَـفـاوزاً وبـحُـورَا
مـا زالَ يُـدئـبُ[1] نَـفـسَـه وركـابَـهُ[2] ... حتّى تَنـاوَلَ في الـحـرُوبِ[3] بَحيـرَا[4]

ذكر دخول الدَّيْلم قزوين وما كان منهم

كانت قَزْوين ثغر المسلمين من ناحية دَيْلم، فكانت العساكر لا تبرح مُرابِطةً بها، يتحارسون ليلاً ونهاراً، فلمّا كان هذه السنة كان في جماعة من رابط بها محمّد بن أبي سَبْرَة الجُعْفيُّ، وكان فارساً شجاعاً عظيم الغَناء في حروبه، فلمّا قدِم قَزوينَ رأى الناس يتحارسون فلا ينامون الليل، فقال لهم: أتخافون أن يدخل عليكم العدوّ مدينتكم؟ قالوا: نعم. قال: لقد أنصفوكم إن فعلوا، افتحوا الأبواب ولا بأسَ عليكم، ففتحوها.

وبلغ ذلك الديلم فساروا إليهم وبيّتوهم وهجموا إلى البلد، وتصايح الناسُ، فقال ابن أبي سَبْرة: أغلِقوا أبواب المدينة علينا وعليهم، فقد أنصفونا وقاتِلوهم. فأغلقوا

---

(١) الطبري «يدأب».
(٢) الطبري «ويكُدُّها».
(٣) الطبري «خرون»، نهاية الأرب «الحُزُون».
(٤) الطبري ٦/٣٣٤، نهاية الأرب ٢١/٢٣٢.

الأبواب وقاتلوهم، وأبلى ابن أبي سبرة بلاءً عظيماً، وظفر بهم المسلمون، فلم يُفلت من الدَّيلم أحد، واشتهر اسمه بذلك، ولم يَعُد الدَّيلم بعدها يقدمون على مفارقة أرضهم. فصار محمّد فارس ذلك الثغر المشار إليه، وكان يدمن شرب الخمر، وبقي كذلك إلى أيّام عمر بن عبد العزيز، فأمر بتسييره إلى زُرارة، وهي دار الفُسّاق بالكوفة، فسُيّر إليها، فأغارت الدّيلم ونالت من المسلمين، وظهر الخلل بعده، فكتبوا إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن أمير الكوفة يسألونه أن يردّ عليهم ابن أبي سبرة، فكتب بذلك إلى عمر، فأذِن له في عَوْده إلى الثغر، فعاد إليه وحماه.

ولمحمّد أخٌ يُقال له خُثَيمة بن عبد الرحمن، وهو اسم أبي سَبْرة، وكان من الفقهاء[1].

ذكر خلاف عبد الرحمن بن محمّد بن الأشْعث على الحجّاج

وفي هذه السنة خالف عبدُ الرحمن بن محمّد بن الأشعث ومَنْ معه من جُند العراق على الحجّاج، وأقبلوا إليه لحربه، وقيل: كان ذلك سنة اثنتين وثمانين. وكان سبب ذلك أنّ الحجّاج لمّا بعث عبدَ الرحمن بن محمّد على الجيش إلى بلاد رُتبيل، فدخلها وأخذ منها الغنائم والحصون كتب إلى الحجّاج يعرّفه ذلك، وأنّ رأيه أن يتركوا التوغّل في بلاد رُتبيل حتّى يعرفوا طريقها ويجبوا خراجها، على ما سبق ذكره.

فلمّا أتَى كتابه إلى الحجّاج كتب جوابَه: إنّ كتابك كتاب امرىء يحبّ الهُدْنة ويستريح إلى الموادعة، قد صانع عدوّاً قليلاً ذليلاً، قد أصابوا [من] المسلمين[2] جُنداً كان بلاؤهم حسناً وغَناؤهم عظيماً، وإنّك حيث تكفّ عن ذلك العدوّ بجندي وحدّي لسخيٌّ[3] النفس بمن أُصيب[4] من المسلمين، فامضِ لما أمرتُك به من الوُغول في أرضهم والهدم لحصونهم، وقتل مقاتلتهم[5] وسبْي ذراريّهم، ثمّ أردفه كتاباً آخر بنحو ذلك، وفيه: أمّا بعدُ فمُرْ مَنْ قِبَلك من المسلمين فلْيحرقوا وليقيموا بها، فإنّها دارهم حتّى يفتحها الله عليهم. ثمّ كتب إليه ثالثاً بذلك، ويقول له: إن مضيت لما أمرتُك وإلاّ فأخوك إسحاق بن محمّد أمير الناس.

---

(١) نهاية الأرب ٢١/٢٠٢.
(٢) في الأوربية: «المسلمون».
(٣) في الأوربية: «تسخى».
(٤) في الأوربية: «أصبت».
(٥) في الأوربية: «مقاتلهم».

فدعا عبدُ الرحمن الناسَ وقال لهم: أيّها النّاس إنّي لكم ناصح ولصلاحكم محبّ، ولكم في كلّ ما يحيط بكم نفعه[1] ناظرٌ، وقد كان رأيي فيما بيني وبين عدوّي بما رضيه ذوو[2] أحلامكم وأولو التجربة منكم، وكتبتُ بذلك إلى أميركم الحجّاج، فأتاني كتابه يعجّزني ويضعّفني، ويأمرني بتعجيل الوغول بكم في أرض العدوّ، وهي البلاد الّتي هلك فيها إخوانكم بالأمس، وإنّما أنا رجل منكم أمضي إذا مضيتم، وآبَى إذا أبيتم.

فثار[3] إليه الناس وقالوا: بل نأبَى على عدوّ الله، ولا نسمع له ولا نطيع. فكان أوّل مَنْ تكلّم أبو الطُّفيل عامر بن واثلة الكِنانيُّ، وله صُحْبة، فقال بعد حمد الله: أمّا بعد فإنّ الحجّاج يرى بكم ما رأى القائل الأوّل: احمل عبدك على الفرس، فإن هلك هلك[4]، وإن نجا فلك. إنّ الحجّاج ما يبالي أن يخاطر بكم فيقحمَكم بلاداً[5] كثيرة، ويغشى اللُّهوب واللُّصوب[6]، فإن ظفرتم وغنمتم أكل البلاد وحاز المال، وكان ذلك زيادة في سلطانه، وإنْ ظفر عدوّكم كنتم[7] أنتم الأعداء البُغَضاء الذين لا يبالي عَنَتَهم ولا يبقي عليهم. اخلعوا عدوّ الله الحجّاج وبايعوا الأمير عبد الرحمن، فإنّي أشهدكم أنّي أوّل خالع. فنادى الناس من كلّ جانب: فعلنا فعلنا، قد خلعنا عدوّ الله.

وقام عبد المؤمن بن شَبَث بن رِبْعيّ فقال: عبادَ الله! إنّكم إن أطعتم الحجّاج جعل هذه البلاد بلادكم ما بقيتم، وجمّركم تجمير فرعون الجنودَ، فإنّه بلغني أنّه أوّل من جَمّر البعوث، ولن تُعاينوا الأحبّة أو يموت أكثركم فيما أرى، فبايعوا أميركم وانصرفوا إلى عدوّكم الحجّاج فانفوه عن بلادكم. فوثب الناس إلى عبد الرحمن، فبايعوه على خلع الحجّاج ونفيْه من أرض العراق وعلى النُّصرة له، ولم يُذْكَر عبد الملك.

وجعل عبدُ الرحمن على بُسْت عياضَ بن هِمْيان الشيبانيَّ، وعلى زَرَنْج عبدَ الله بن عامر التميميَّ، وصالح رُتبيلَ على أنّ ابن الأشعث إنْ ظهر فلا خراج عليه أبداً ما بقي، وإن هُزم فأراد مَنَعه. ثمّ رجع إلى العراق، فسار بين يديه أعشى همدان وهو يقول:

---

(١) في الأوربية: «به نفعكم».
(٢) في الأوربية: «ذو».
(٣) في الأوربية: «فثاروا».
(٤) في الأوربية: «فلك».
(٥) في الأوربية: «بلايا».
(٦) في الأوربية: «اللهوب: جمع لهب وهو وجه من الجبل لا يمكن ارتقاؤه. واللصوب: جمع لصب وهو مضيق الوادي».
(٧) في الأوربية: «لستم».

شَطَّتْ نَوَى مَنْ دارُهُ بالإيوانْ ... إيوان كسرَى ذي القُرى والرَّيْحانْ
من عاشِقٍ أمسَى[1] بزابُلِسْتانْ ... إنّ ثَقِيفاً منهُمُ الكذّابانْ
كذّابُها الماضي وكذّابٌ ثانْ ... أمكَنَ رَبّي من ثقيفِ هَمدانْ
يوماً إلى الليل يُسلّي ما كانْ ... إنّا سَمَونا للكَفور الفَتّانْ
حين طغَى في الكفر بعد الإيمانْ[2] ... بالسيّد الغِطريف عبد الرحمنْ
سارَ بجمعٍ كالدَّبا[3] من قَحطانْ ... ومن مَعدٍّ قد أتَى ابنُ[4] عَدنانْ
بجحفلٍ جَمٍّ شديدِ الأركانْ[5] ... فقُلْ لحَجّاجٍ وليِّ الشيطانْ
يثبُتْ[6] بجمعِ مَذْحِجٍ وهَمدانْ ... فإنّهُم ساقُوهُ كأسَ الذَّيفانْ
ومُلْحِقوه بقُرَى ابن مَرْوانْ[7]

وجعل عبدُ الرحمن على مقدّمته عطيّةَ بن عَمرو العنبريَّ، وجعل على كَرمان حَريثة بن عَمرو التميميَّ، فلمّا بلغ فارسَ اجتمع الناس بعضهم إلى بعض وقالوا: إذا خلعنا الحجّاج عامل عبد الملك فقد خلعنا عبد الملك. فاجتمعوا إلى عبد الرحمن، فكان أوّل الناس خلع عبدَ الملك تِيجان بن أبْجر من تَيم الله بن ثعلبة، قام فقال: أيّها الناس إنّي خلعتُ أبا ذِبّان كخلعي[8] قميصي. فخلعه الناسُ إلاّ قليلاً منهم، وبايعوا عبد الرحمن، وكانت بيعته: نبايع[9] على كتاب الله وسُنّة نبيّه ﷺ، وعلى جهاد أهل الضلالة وخلْعهم، وجهاد المُحِلّين.

فلمّا بلغ الحَجّاجَ خلْعُه كتب إلى عبد الملك بخبر عبد الرحمن، ويسأله أن يعجّل بعثة الجنود إليه، وسار الحجّاج حتّى نزل البصرة، ولمّا بلغ المهلّبَ خبرُ عبد الرحمن كتب إلى الحجّاج من خُراسان: أمّا بعدُ فإنّ أهلَ العراق قد أقبلوا إليك وهم مثل السيل، ليس يردّهم شيء حتّى ينتهي إلى قراره، وإنّ لأهل العراق شِرّة[10] في أوّل مخرجهم،

(١) في (ب) و (ر): «أمتي».
(٢) الأغاني: «لما سَفْوْنا للكَفُور الفتّان».
(٣) في الأغاني: «كالقطا».
(٤) في الأوربية: «من».
(٥) الطبري: «الإرنان».
(٦) في نسخة مكتبة بودليان: «نثبت».
(٧) الطبري ٦/٣٣٧، وأورد أبو الفرج (٤) أبيات يختلف بعضها عمّا هنا (٦/٥٩)، وفي مروج الذهب ٣ أبيات وشطر. (مروج الذهب ٣/١٦٣).
(٨) في الأوربية: «كخلع».
(٩) في الأوربية: «نبايعوا».
(١٠) في الأوربية: «شدّة».

وصبابة إلى أبنائهم ونسائهم، فاتركهم حتّى يسقطوا إلى أهاليهم ويشمّوا[1] أولادهم، ثمّ واقعْهم عندها، فإنّ الله ناصرك عليهم. فلمّا قرأ كتابه سبّه وقال: ما إليّ نظر، وإنّما النظر لابن عمّه، يعني عبد الرحمن.

ولما وصل كتاب الحجّاج إلى عبد الملك هاله، ودعا خالد بن يزيد، فأقرأه الكتاب، فقال: يا أمير المؤمنين إنْ كان الحدث من سجِستان فلا تخَفْه، فإنْ كان من خُراسان فإنّي أتخوّفه، فجهّز عبد الملك الجُند إلى الحجّاج، فكانوا يصلون إلى الحجّاج على البريد، من مائةٍ، ومن خمسين، وأقلّ وأكثر، وكُتب الحجّاج تتّصل[2] بعبد الملك كلّ يوم بخبر عبد الرحمن. فسار الحجّاج من البصرة ليلتقي عبد الرحمن، فنزل تُسْتَر، وقدّم بين يديه مقدّمة إلى دُجَيْل، فلقوا عنده خيلاً لعبد الرحمن، فانهزم أصحاب الحجّاج بعد قتال شديد، وكان ذلك يوم الأضحى سنة إحدى وثمانين، وقُتل منهم جمع كثير.

فلمّا أتَى خبرُ الهزيمة إلى الحجّاج رجع إلى البصرة، وتبِعه أصحاب عبد الرحمن، فقتلوا منهم، وأصابوا بعضَ أثقالهم، وأقبل الحجّاج حتّى نزل الزاوية، وجمع عنده الطعام، وترك البصرة لأهل العراق، ولما رجع نظر في كتاب المهلّب فقال: لله درّه أي صاحب حرب هو! وفرّق في الناس مائة وخمسين ألف ألف درهم.

فأقبل عبد الرحمن حتّى دخل البصرة، فبايعه جميع أهلها قرّاؤها وكهولها، مستبصرين في قتال الحجّاج، ومَنْ معه من أهل الشام. وكان السبب في سرعة إجابتهم إلى بيعته أنّ عمّال الحجّاج كتبوا إليه: إنّ الخراج قد انكسر، وإنّ أهل الذمّة قد أسلموا ولحِقوا بالأمصار. فكتب إلى البصرة وغيرها: إنّ مَنْ كان له أصل من قرية فليخرجْ إليها، فأخرج الناس لتؤخذ منهم الجزية، فجعلوا يبكون وينادون: يا محمّداه يا محمّداه! ولا يدرون أين يذهبون، وجعل قرّاء البصرة يبكون لما يرون، فلمّا قدِم ابن الأشعث عُقَيْب ذلك بايعوه على حرْب الحجّاج وخلْع عبد الملك.

وخندق الحجّاج على نفسه، وخندق عبد الرحمن على البصرة؛ وكان دخول عبد الرحمن البصرة في آخر ذي الحجّة[3].

---

(١) في (ر): «يشفوا».

(٢) في الأوربية: «يتصل».

(٣) الطبري ٦/٣٣٤ ـ ٣٤١، نهاية الأرب ٢١/٢٣٣ ـ ٢٣٧، البداية والنهاية ٩/٣٥ ـ ٣٧.

ذكر عدّة حوادث

وحجّ بالناس هذه السنة سليمان بن عبد الملك[1].

وكان ممّن حجّ أمّ الدرداء الصغرى[2].

وفيها وُلد ابن أبي ذئب[3].

وكان العامل على المدينة أبان بن عثمان، وعلى العراق والمشرق كلّه الحجّاج، وعلى خُراسان المهلّب، وعلى قضاء الكوفة أبو بُرْدة، وعلى قضاء البصرة عبد الرحمن بن أُذَيْنة[4]. وكانت سَجِستان وكَرمان وفارس والبصرة بيد عبد الرحمن.

(١) تاريخ خليفة ٢٨١، المحبّر ٢٥، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٨١، تاريخ الطبري ٦/٣٤١، مروج الذهب ٤/٣٩٩، تاريخ العظيمي ١٩٣، نهاية الأرب ٢١/٢٥٩، وفي البداية والنهاية ٩/٣٧: وحجّ بالناس فيها إسحاق بن عيسى فيما ذكره الواقدي وأبو معشر، تاريخ الإسلام (٨١ ـ ١٠٠ هـ.) ص ٧.

(٢) تاريخ الإسلام (٨١ ـ ١٠٠ هـ.) ص ٧.

(٣) الطبري ٦/٣٤١.

(٤) الطبري ٦/٣٤١.

٨٢
ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين

ذكر الحرب بين الحجّاج وابن الأشعث

قيل: في المحرّم من هذه السنة اقتتل عسكر الحجّاج وعسكرُ عبد الرحمن بن الأشعث قتالاً شديداً، فتزاحفوا في المحرّم عدّة دفعات، فلمّا كان ذات يوم في آخر المحرّم اشتدّ قتالهم، فانهزم أصحابُ الحجّاج حتّى انتهوا إليه، وقاتلوا على خنادقهم، ثمّ إنّهم تزاحفوا آخر يوم من المحرّم، فجال أصحاب الحجّاج وتقوّض صفّهم، فجثا الحجّاج على رُكبتَيْه وقال: لله دَرّ مُصْعب ما كان أكرمه حين نزل به ما نزل، وعزم على أنّه لا يفرّ.

فحمل سفيان بن الأبرد الكلبيُّ على الميمنة الّتي لعبد الرحمن فهزمها، وانهزم أهلُ العراق، وأقبلوا نحو الكوفة مع عبد الرحمن، وقُتل منهم خلق كثير، منهم عُقْبة بن عبد الغافر الأزديُّ، وجماعة من القرّاء، قُتلوا ربضةً واحدة معه.

ولما بلغ عبدُ الرحمن الكوفة تبِعه أهل القوّة وأصحاب الخيل من أهل البصرة، واجتمع مَن بقي في البصرة (مع عبد الرحمن بن عبّاس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطّلب فبايعوه، فقاتل بهم الحجّاجَ خمس ليالٍ أشدّ قتال رآه الناس، ثمّ انصرف فلحِق بابن الأشعث، وتبِعه طائفة من أهل البصرة)[1]، وقُتل منهم طُفَيْل بن عامر بن واثلة، فقال أبوه يرثيه، وهو من الصحابة:

خلّى طُفَيْلٌ عليّ الهمَّ فانشعبَا[2] وَهَدّ ذلك رُكني هَدّةً عَجَبَا[3]
مهما نسيتُ فلا أنساهُ إذْ حدقتْ بهِ الأسنّةُ مَقتُولاً ومنسلبَا[4]

---

(١) ما بين القوسين من (ر).
(٢) الأغاني: «خلّى عليَّ طُفَيلُ الهمّ وانشعبا».
(٣) البيت في: الأغاني ١٥/١٥٣.
(٤) البيت لم يذكره الطبري.

وأخطَأتْني المَنايا لا تُطالِعُني   حتَّى كبِرْتُ ولمْ يتركنَ لي نَشَبا[1]
وكنتُ بَعَد طُفَيْلٍ كالذي نضَبتْ   عنهُ السّيُولُ وغاضَ[2] الماءُ فانقضَبا[3]

وهي أبيات عدّة. وهذه الوقعة تسمّى يوم الزاوية.

فأقام الحجّاج أوّل صفر، واستعمل على البصرة الحكَمَ بن أيّوب الثقفيَّ. وسار عبد الرحمن إلى الكوفة، وقد كان الحجّاج استعمل عليها عند مسيره إلى البصرة عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر الحضرميَّ حليف بني أميّة، فقصده مَطَر بن ناجية اليربوعيُّ، فتحصّن منه ابن الحضرميّ في القصر، ووثب أهل الكوفة مع مطر، فأخرج ابنَ الحضرميّ ومَنْ معه من أهل الشام، وكانوا أربعة آلاف، واستولى مطرٌ على القصر، واجتمع الناس، وفرّق فيهم مائتيْ درهم، مائتي درهم.

فلمّا وصل ابن الأشعث إلى الكوفة كان مَطَر بالقصر، فخرج أهلُ الكوفة يستقبلونه، ودخل الكوفة وقد سبق إليه هَمْدان، فكانوا حوله، فأتى القصر، فمنعه مطر بن ناجية، ومعه جماعة[4] من بني تميم، فأصعد عبد الرحمن الناس في السلاليم إلى القصر، فأخذوه، فأُتي عبد الرحمن بمَطَر بن ناجية فحبسه، ثمّ أطلقه وصار معه. فلمّا استقرّ عبد الرحمن بالكوفة اجتمع إليه الناس، وقصده أهل البصرة، منهم عبد الرحمن بن العبّاس بن ربيعة الهاشميُّ بعد قتاله الحجّاج بالبصرة[5].

وقتل الحجّاج يوم الزاوية بعد الهزيمة أحد عشر ألفاً، خدعهم بالأمان، وأمر منادياً فنادى: لا أمان لفُلان بن فلان، فسمّى رجالاً، فقال العامّة: قد آمن الناس، فحضروا عنده، فأمر بهم فقُتلوا.

ذكر وقعة دير الجماجم

وكانت وقعة دير الجماجم في شعبان من هذه السنة، وقيل: كانت سنة ثلاثٍ وثمانين.

وكان سببها أنّ الحجّاج سار من البصرة إلى الكوفة لقتال عبد الرحمن بن محمّد، فنزل دَيْر قُرّة، وخرج عبد الرحمن من الكوفة، فنزل دَيْر الجماجم. فقال الحجّاج: إنّ

---

(١) في الأوربية «نسبا».
(٢) الطبري «المياه وفاض».
(٣) الطبري ٦/٣٤٤ وفيه أبيات أخرى. وفي الأوربية: «وانضبا».
(٤) في الأوربية: «جمعة».
(٥) الطبري ٦/٣٤٢ ـ ٣٤٥، نهاية الأرب ٢١/٢٣٧ ـ ٢٣٩، تاريخ الإسلام (٨١ ـ ١٠٠ هـ.) ص ٩.

عبد الرحمن نزل دير الجماجم، ونزلتُ دير القُرّة، أمَا تزجر[1] الطير؟ واجتمع إلى عبد الرحمن أهل الكوفة وأهل البصرة والقُرّاءُ وأهل الثغور والمسالح بدير الجماجم، فاجتمعوا على حرب الحجّاج لبُغضه، وكانوا مائة ألف ممّنْ يأخذ العطاء، ومعهم مثلهم، وجاءت الحجّاج أيضاً أمداد من الشام قبل نزوله بدير قُرّة، وخندق كلٌّ منهما على نفسه، فكان الناس يقتتلون كلّ يوم، ولا يزال أحدهما يُدْني خندقه من الآخر.

ثمّ إنّ عبد الملك وأهل الشام قالوا: إن كان يرضى أهل العراق بنزع الحجّاج عنهم نزعناه، فإنّ عزله أيسر من حربهم، ونحقن بذلك الدماء. فبعث عبد الملك ابنه عبد الله، وأخاه محمد بن مروان، وكان محمّد بأرض الموصل، إلى الحجّاج في جُند كثيف، وأمرهما أن يعرضا على أهل العراق عزْل الحجّاج، وأن يُجْرِيا عليهم أعطياتهم كما تُجرى[2] على أهل الشام، وأن ينزل عبد الرحمن بن محمد أيّ بلدٍ شاء من بلد العراق، فإذا نزله كان والياً عليه ما دام حيّاً وعبد الملك خليفةً، فإنْ أجاب أهلُ العراق إلى ذلك عزلا الحجّاج عنها، وصار محمّد بن مروان أمير العراق، وإن أبَى أهلُ العراق قبول ذلك، فالحجّاج أمير الجماعة، ووالي القتال، ومحمّد بن مروان وعبد الله بن عبد الملك في طاعته.

فلم يأتِ الحجّاجَ أمرٌ قطّ كان أشدّ عليه ولا أوجع لقلبه من ذلك، مخافة[3] أن يقبل أهل العراق عزله فيُعْزَل عنهم، فكتب إلى عبد الملك: والله لو أعطيتَ أهل العراق نزعي لم يلبثوا إلّا قليلاً حتّى يخالفوك ويسيروا إليك، ولا يزيدهم ذلك إلّا جرأة عليك، ألم تَرَ ويبلغك وثوبُ أهل العراق مع الأشتر على ابن عفّان، وسؤآلهم نزْع سعيد بن العاص، فلمّا نزعه لم تتمّ لهم السنة حتّى ساروا إلى عثمان فقتلوه، و «إنّ الحديد بالحديد يُفْلَح»[4].

فأبَى عبد الملك إلّا عرض عزْله على أهل العراق. فلمّا اجتمع عبد الله ومحمّد مع الحجّاج خرج عبد الله بن عبد الملك وقال: يا أهل العراق، أنا ابنُ أمير المؤمنين، وهو يعطيكم كذا وكذا. وخرج محمّد بن مروان وقال: أنا رسول أمير المؤمنين، وهو يعرض عليكم كذا وكذا، فذكر هذه الخصال. فقالوا: نرجع العشيّة، فرجعوا واجتمع أهل العراق عند ابن الأشعث، فقال لهم: قد أُعطيتم أمراً، انتهازكم اليوم إيّاه فرصة، وإنّكم اليوم على النَّصَف، فإن كانوا اعتدوا عليكم بيوم الزاوية، فأنتم تعتدون عليهم بيوم تُسْتَر،

(١) في الأصول: «ترجز».
(٢) في الأوربية: «يجري».
(٣) في الأوربية: «فخافه».
(٤) مجمع الأمثال ١/ ٩.

فاقبلوا ما عرضوا عليكم، وأنتم أعزّاء أقوياء لقومٍ هم لكم هائبون، وأنتم لهم منتقصون[1]، فوالله لا زلتم عليهم جُرَآء وعندهم أعزّاء أبداً، ما بقيتم، إن أنتم قبلتم.

فوثب الناس من كلّ جانب فقالوا: إنّ الله قد أهلكهم، فأصبحوا في الضَّنْك والمجاعة والقِلّة والذُّلّة، ونحن ذَوو العدد الكثير، والسعر الرخيص، والمادّة القريبة، لا والله لا نقبل! وأعادوا خلعه ثانية.

وكان أوّل مَنْ قام بخَلعه بدَيْر الجماجم عبدُ الله بن ذُؤآب السُّلَميُّ، وعُمَير بن تِيجان، وكان اجتماعهم على خلعه بالجماجم أجمع من خلْعهم إيّاه بفارس.

فقال عبد الله بن عبد الملك، ومحمّد بن مروان للحجّاج: شأنك بعسكرك وجُندك، واعمل برأيك، فإنّا قد أُمرنا أن نسمع لك ونطيع. فقال: قد قلت: إنّه لا يُراد بهذا الأمر غيركم، فكانا يسلّمان عليه بالإمرة، ويسلّم عليهما بالإمرة. فلمّا اجتمع أهل العراق بالجماجم على خلع عبد الملك قال عبد الرحمن: ألا إنّ بني مروان يعيَّرون بالزرقاء، والله ما لهم نسب أصحّ منه، إلّا أنّ بني [أبي] العاص أعلاج من أهل صَفُّوريَة، فإن يكن هذا الأمر (في قريش فعنّي فُقئت)[2] بيضة قريش، وإن يكُ في العرب فأنا ابنُ الأشعث، ومدّ بها صوته يُسمع الناسَ، وبرزوا للقتال.

فجعل الحجّاجُ على ميمنته عبدَ الرحمن بن سُلَيم الكلبيَّ، وعلى ميسرته عُمارة بن تميم اللخْميَّ، وعلى خيله سُفيان بن الأبرد الكلبيَّ، وعلى رجاله عبدَ الله بن خُبَيب الحكميَّ؛ وجعل عبدُ الرحمن على ميمنته الحجّاجَ بن حارثة الخثعميَّ، وعلى ميسرته الأبرد بن قُرّة التميميَّ، وعلى خيله عبد الرحمن بن العبّاس بن ربيعة الهاشميَّ، وعلى رجاله محمّد بن سعد بن أبي وقّاص، وعلى مجنّبته[3] عبد الله بن رِزام الحارثيّ، وجعل على القرّاء جَبَلَة بن زَحْر بن قيس الجُعفيَّ، وفيهم سعيد بن جُبَير، وعامر الشَّعبيُّ، وأبو البَخْتريّ الطّائيُّ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى[4].

ثمّ أخذوا يتزاحفون كلّ يوم ويقتتلون، وأهل العراق تأتيهم موادّهم من الكوفة وسوادها، وهم في خصْب، وأهل الشام في ضنك شديد، قد غلتْ عليهم الأسعار، وفُقد عندهم اللحم كأنّهم في حصار، وهم على ذلك يغادون القتال ويراوحون. فلمّا كان اليوم الذي قُتل فيه جَبَلَة بن زَحْر بن قيس، وكانت كتيبته تُدْعى القرّاء تحمل عليهم فلا

(١) في الأوربية: «منتقضون».
(٢) في الأوربية: «من قريش فمني تقوّيت».
(٣) في (ر): «مجففته».
(٤) في الأوربية «ليلة».

يبرحون، وكانوا قد عُرفوا بذلك، وكان فيهم كُمَيْل بن زياد، وكـان رجلاً ركيناً. فخرجـوا ذات يوم كما كانوا يخرجون، وعبّـأ الحجّاج صفـوفه، وعبّـأ عبد الـرحمن أصحابـه، وعبّأ الحجّاج لكتيبة القرّاء ثلاث كتـائب، وبعث عليها الجـرّاح بن عبد الله الحكميَّ، فـأقبلوا نحـوهم، فحملوا على القـرّاء ثـلاث حمـلات كـلّ كتيبـة تحمـل حملة، فلم يبـرحــوا وصبروا[1].

ذكر وفاة المُغيرة بن المهلّب

وفي هذه السنة مات المغيرة بن المهلّب بخُراسان، وكان قد استخلفـه أبوه المهلّب على عمله بخُراسان، فمات في رجب سنة اثنتين وثمانين، فأتَى الخبـرُ يزيـدَ بن المهلّب وأهل العسكر، فلم يُخبروا المهلّب، فأمر يزيد النساء فصـرخْن، فقال المهلّب: مـا هذا؟ فقيل: مات المغيرة. فاسترجع وجزع حتّى ظهر جزعُه، فلامه بعضُ خاصّته، ثمّ دعا يزيدَ ووجّهه إلى مرو، ووصّاه بما يعمل، وإنّ دموعه لتنحدر[2] على لحيته.

فكـان المهلّب مقيماً بكشّ بمـا وراء النهـر يحـارب أهلهـا، فسـار يـزيـد في ستّين فـارساً[3]، ويقـال سبعين، فلقيهم خمسمائـة من التُّرك في مفـازة بُسْت، فقالـوا: ما أنتُم؟ قالوا: تُجّار. قالوا: فأعطونا شيئاً. فأبَى يزيد، فأعطاهم مُجّـاعة بن عبـد الرحمن العَتَكيُّ ثوباً وكرابيس وقَوْساً، فانصرفوا ثمّ غدروا وعادوا إليهم، فقاتلوهم، فاشتدّ القتال [بينهم]، ومع يزيد رجل من الخوارج كان قد أخذه، فقال: استبقِني، فاستبقـاه. فحمل الخـارجيُّ عليهم حتّى خالطهم[4] وصار من ورائهم، وقتل رجلاً، ثمّ كرّ حتّى خالطهم، وقتل رجلاً، ورجـع إلى يزيـد، وقتل يـزيد عـظيماً من عُـظَمائهم، ورُمي يـزيد في سـاقه، فـاشتـدّت شـوكتهم، وصبر [لهم] يـزيد حتّى حـاجزوهم[5]، فقـالوا: قـد غدرنـا، ولا ننصرف حتّى نموت أو تموتوا، أو تُعطونا شيئاً، فلم يُعطِهم يزيد شيئاً. فقـال مجّاعـة: أذكّرك الله، قـد هلك المغيرةُ، فأنشـدك الله أن تهلك فتجتمع على المهلّب المصيبـة. فقال: إنّ المغيـرة لم يعـدُ أجله، ولستُ أعـدو أجلي. فـرمى إليهم مجّـاعـة بعمـامـة صفـراء، فـأخـذوهـا وانصرفوا[6].

(١) الطبري ٦/٣٤٦ ـ ٣٥٠، نهاية الأرب ٢١/٢٣٩، تاريخ الإسلام (٨١ ـ ١٠٠ هـ.) ص ٩، ١٠، البداية والنهاية ٩/٤٠ ـ ٤٢، وانظر: الفتوح لابن أعثم ٧/١٣٦ وما بعدها.

(٢) في الأوربية: «ستحدر».

(٣) في الأوربية: «فارس».

(٤) في الأوربية: «يخالطهم».

(٥) في الأوربية: «جازوهم».

(٦) الطبري ٦/٣٥٠، ٣٥١.

ذكر صلح المهلّب أهل كِشّ

وفي هذه السنة صالح المهلّبُ أهلَ كِشّ.

وكان سبب ذلك أنّه اتّهم قوماً من مُضَر فحبسهم، وصالح، وقفل وخلّف حُرَيْث بن قُطْبة مولى خُزاعة وقال: إذا استوفيت الفِدية فَرُدَّ عليهم الرهن.

وسار المهلّب فلمّا صار ببَلْخ وكتب إلى حُرَيْث: إنّي لستُ آمن إن رددتَ عليهم الرهن أن يغيروا عليك، فإذا قبضتَ الفِدية فلا تخلّ الرُّهُنَ حتّى تَقْدَم أرض بَلْخ. فقال حُريث لملك كشّ: إنّ المهلّب كتب إليّ كذا وكذا، فإن عجّلتَ الفِدية سلّمتُ إليك الرُّهُن وسرتُ وأخبرتُه أنّ كتابه ورد وقد استوفيتُها منكم، ورددتُ عليكم الرُّهُن.

فعجّل ملك كشّ الفِدية وأخذ الرُّهُن، ورجع حُريث، فعرض لهم التُّرْك فقالوا له: افدِ نفسك ومَن معك، فقد لقينا يزيدَ بن المهلّب ففدى نفسه. فقال حُرَيث: ولدتْني إذاً أمّ يزيد. وقاتلهم فقتلهم وأسر منهم أسرى، فَفَدوهم، فأطلقهم وردّ عليهم الفداء.

وبلغ المهلّبَ قولُه فقال: يأنف العبد أن تلِده أمّ يزيد، فغضب، فلمّا قدِم عليه بلْخ قال: أين الرُّهُن؟ قال: خلّيتهم قبل وصول كتابك، وقد كفيتُ ما خفتَ. قال: كذبت ولكنّك تقرّبت إليهم. وأمر بتجريده، فجزع من ذلك حتّى ظنّ المهلّب أنّ به مرضاً، فجرّده وضربه ثلاثين سوطاً. فقال حُريث: وددْتُ أنّه ضربني ثلاثمائة ولم يجرّدني أنفةً وحياء؛ وحلف ليقتلنّ المهلّب. فركب يوماً مع المهلّب، فأمر غلامَين له أن يضربا المهلّب، فلم يفعلا وقالا: نخاف عليك أن تُقْتَل[1]. وترك حُريث إتيان المهلّب، فأرسل إليه أخاه ثابت بن قُطْبَة ليأتيه به وقال له: إنّك كبعض ولدي أدّبه كبعضهم، فأتى ثابت أخاه وسأله أن يركب إلى المهلّب، فلم يفعل، وحلف ليقتلنّه، فقال ثابت: إن كان هذا رأيك فاخرجْ بنا إلى موسى بن عبد الله بن خازم. وخاف ثابت أن يقتل حُريثُ المهلّبَ فيُقْتَلون جميعاً، فخرجا في ثلاثمائة من أصحابهما المنقطعين إليهما[2].

ذكر وفاة المهلّب بن أبي صُفْرة وولاية ابنه يزيد خُراسان

لمّا صالح المهلّبُ أهلَ كِشّ رجع يريد مروَ، فلمّا كان بمرو الرُّوذ أخذتْه الشَّوْصة[3]، وقيل الشوكة[4]، فمات منها، وأوصى إلى ابنه حبيب فصلّى عليه، وقال لهم:

---

(١) في (ب): «يقتلك».

(٢) الطبري ٦/٣٥٢، ٣٥٣.

(٣) الشَّوْصَة: ريح تأخذ الإنسان في لحمه تجول مرة هنا ومرة هنا، ومرة في الجنب، ومرة في الظهر ومرة في الحواقن. (لسان العرب، وانظر: القاموس المحيط).

قد استخلف عليكم يزيد فلا تخالفوه. فقال له ابنه المفضّل: لو تقدّمه لقدّمناه.

وأحضر ولده فوصّاهم، وأحضر سهاماً فحُزمتْ، فقال: أتكسرونها مجتمعة؟ قالوا: لا. قال: أفتكسرونها[1] متفرّقة؟ قالوا: نعم. قال: فهكذا الجماعة. ثمّ قال: أوصيكم بتقوى الله وصلة الرَّحِم، فإنّها تُنسيءُ في الأجل، وتُثْري المال[2]، وتُكثر العدد، وأنهاكم عن القطيعة، فإنّها تُعقب النار والقلّة والذلّة، وعليكم بالطاعة والجماعة، وليكنْ فَعالكم أفضل من مقالكم، واتّقوا الجواب وزلّة اللّسان، فإنّ الرجل تزلُّ قدمه فينتعش منها، ويزلّ لسانه فيهلك، اعرفوا لمن يغشاكم حقَّه، فكفى بغدوّ الرجل ورواحه إليكم تذكرةً له، وآثروا الجود على البُخْل، وأحيوا العُرف، واصنعوا المعروف، فإنّ الرجل من العرب تعدُه العِدة، فيموت دونك، فكيف بالصنيعة عنده! عليكم في الحرب بالتُّؤَدَة والمكيدة، فإنها أنفع من الشجاعة، وإذا كان اللقاءُ نزل القضاءُ، فإن أخذ الرجل بالحزم فظفر قيل أتَى الأمر من وجهه فظفر فحُمد، وإن لم يظفر قيل: ما فرَّط ولا ضيّع، ولكنّ القضاء غالب، وعليكم بقراءة القرآن وتعليم السُّنن وأدب الصالحين، وإيّاكم وكثرة الكلام في مَجالسكم. ثمّ مات، رحمه الله، فقال نهار بن تَوْسِعة التميميُّ يرثيه:

ألا ذهبَ المعرُوفُ والعِزُّ والغِنى[3] ... وماتَ النّدى والجودُ بعد المهلّبِ
أقام بمروَ الرُّوذ رهن[4] ضريحهِ ... وقد غابَ[5] عنه كلُّ شرْقٍ ومغربِ
إذا قيلَ أيُّ الناسِ أَوْلى بنعمَةٍ ... على النّاسِ؟ قُلنا هُوْ[6] ولم نَتَهَيّبِ[7]

فلمّا توفّي كتب ابنُه يزيد إلى الحجّاج يُعلمه بوفاته، فأقرّ يزيد على خُراسان[8].

ذكر عدّة حوادث

وفي هذه السنة عزل عبدُ الملك أبانَ بن عثمان عن[9] المدينة في جُمادى الآخرة،

---

(٤) الشوكة: داء كالطاعون.

---

(١) من (ر).
(٢) في (ب): «تثري في المال».
(٣) الشطر في: المعمّرين، والطبري: «ألا ذهب الغزو المقرِّبُ للغِنَى».
(٤) المعمّرون، الطبري: «أقاما... رهنَيْ».
(٥) المعمّرون، الطبري: «غُيّبا».
(٦) الطبري، والأوربية «قُلناهُ».
(٧) الأبيات في: تاريخ الطبري ٦/٣٥٥ وبه أبيات أخرى، وفي المعمّرين ص ١٤٣ البيتان الأول والثاني.
(٨) الطبري ٦/٣٥٤، ٣٥٥، نهاية الأرب ٢١/٢٥٩، ٢٦٠.
(٩) في الأوربية: «من».

واستعمل عليها هشام بن إسماعيل المخزوميَّ، فعزل هشامٌ نَوفلَ بن مُساحق عن قضاء المدينة، وولّى على القضاء عَمْرو بن خالد الزُّرَقيَّ[1]، وفيها غزا محمّد بن مروان أرمينية فهزمهم، ثمّ سألوه الصلح فصالحهم، ووَلّى عليهم أبا شيخ ابن عبد الله، فغدروا به فقتلوه[2]، وقيل: بل قتلوه سنة ثلاثٍ وثمانين.

[الوفيات]

وفيها قُتل عبد الله بن شدّاد بن الهاد اللّيثيُّ بدُجَيْل[3].

وفيها مات أبو الجَوْزاء أوْس[4] بن عبد الله الرِّبْعيُّ، وعطاء بن عبد الله السَّلِيميُّ العابد[5].

(السَّلِيميّ: بفتح السين المهملة، وكسر اللام).

وفيها مات زاذان[6]، وأبو وائل[7].

وعمر بن عُبيد الله[8] بن مَعْمَر التيميُّ، وعمره ستّون سنة.

وفيها مات أبو أُمامة الباهليُّ[9]، وقيل: سنة إحدى وتسعين.

---

(١) الطبري ٦/٣٥٥، نهاية الأرب ٢١/٢٦٠.
(٢) تاريخ خليفة ٢٨٨، تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ.) ص ١٦.
(٣) تاريخ الطبري ٦/٣٨٢، ٣٨٣ (حوادث سنة ٨٣ هـ.).
(٤) انظر عن (أبي الجوزاء) في: تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ.) ص ٢٣٢ رقم ١٧٨ وفيه مصادر ترجمته.
(٥) انظر عن (عطاء بن عبد الله) في: حلية الأولياء ٦/٢١٥ - ٢٢٦ رقم ٣٦٦.
(٦) انظر عن (زاذان) في: تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ.) ص ٦٤ رقم ٣٠ وفيه مصادر ترجمته.
(٧) هو: شقيق بن سلمة، أنظر عنه في: تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ.) ص ٨٢ رقم ٤٧ وفيه مصادر ترجمته.
(٨) انظر عن (عمر بن عبيد الله) في: تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ.) ص ١٦١ رقم ١١٧ وفيه مصادر ترجمته.
(٩) انظر عن (أبي أُمامة) في: تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ.) ص ٢٢٦ رقم ١٧٥ وفيه مصادر ترجمته.

٨٣
ثم دخلت سنة ثلاثٍ وثمانين

ذكر بقيّة الوقعة بدَيْر الجماجم

فلمّا حملت كتائبُ الحجّاج الثلاث على القـرّاء من أصحاب عبـد الرحمن وعليهم جَبَلة بن زَحْـر نادى جَبَلةُ: يا عبـدَ الرحمن بن أبي ليلى! يـا معشر القـرّاء! إنّ الفرار ليس بأحدٍ [من الناس] بأقبح، منه بكم[١]، إنّي سمعتُ عليّ بن أبي طالب، رفع الله درجته في الصالحين، وآتاه ثواب الصادقين والشهداء، يقول يـوم لقينا أهـل الشام: أيّهـا المؤمنون، إنّه مَنْ رأى عدوانـاً يُعمل بـه، ومنكراً يُـدعى إليه، فـأنكره بقلبـه فقد سلِم وبـريء، ومَنْ أنكره بلسانه فقد أُجر[٢] وهو أفضل من صاحبـه، ومَنْ أنكره بـالسيف لتكون كلمـة الله هي العليا وكلمةَ الظّالمين السفلى، فذلك الذي أصاب سبيل الهدى، ونوّر في قلبه اليقين[٣]، فقـاتلوا هؤلاء المُحِلّين المُحْدثين المبتـدعين الّـذين جهِلوا الحقّ فـلا يعـرفـونـه، وعملوا بالعدوان فليس يُنكرونه.

وقال أبو البَخْتَـريّ: أيّها النـاس قاتِلوهم على دينكم ودنيـاكم. فقال الشّعبيُّ: أيّهـا النـاس قاتِلوهم، ولا يـأخذْكم حَـرَج من قتالهم، والله مـا أعلم على بسيط الأرض أعمـل بـظلم، ولا أَجْوَر في حُكم منهم. وقـال سعيد بن جُبيـر نحو ذلـك، وقال جَبَلة: احملوا عليهم حملةً صادقةً، ولا تردّوا وجوهكم عنهم حتّى تُواقعوا صفّهم.

فحملوا عليهم حملةً صادقةً، فضربوا الكتائب حتّى أزالوها وفرّقوها، وتقـدّموا حتّى واقعوا صفّهم، فأزالوه عن مكانه، ثمّ رجعوا فـوجدوا جَبَلة بن زَحْـر قتيلاً لا يـدرون كيف قُتل.

وكـان سبب قتله أنّ أصحابـه لما حملوا على أهـل الشام ففـرّقوهم وقف لأصحـابه ليرجعوا إليه، فافتـرقت فرقـةٌ من أهل الشـام فوقفت نـاحية، فلمّـا رأوا أصحاب جَبَلة قـد

---

(١) في الأوربية: «به منكم».

(٢) في الأوربية: «أجسر».

(٣) في الأوربية: «باليقين».

تقدّموا، قال بعضهم لبعض: هذا جَبَلة، احملوا عليه ما دام أصحابه مشاغيل بالقتال. فحملوا عليه، فلم يُولّ، لكنّه حمل عليهم فقتلوه، وكان الذي قتله الوليد بن نُحَيْت الكلبيّ، وجيء برأسه إلى الحجّاج، فبشّر أصحابه بذلك. فلمّا رجع أصحاب جبلة ورأوه قتيلاً سُقط في أيديهم وتناعوه بينهم، فقال لهم أبو البَختريّ: لا يظهرنّ عليكم قتل جبلة، إنّما كان كرجلٍ منكم أتته منيّته، فلم يكن ليتقدّم [يومه] ولا ليتأخّر [عنه]. وظهر الفشل في القرّاء، وناداهم أهل الشام: يا أعداء الله قد هلكتم، وقد قُتل طاغيتكم!

وقدِم عليهم بِسطام بن مَصْقَلة بن هُبيرة الشيبانيُّ، ففرحوا به وقالوا: تقدّمْ مقام جبلة. وكان قدومه من الريّ، فلمّا أتَى عبد الرحمن جعله على ربيعة، وكان شجاعاً، فقاتل يوماً، فدخل عسكر الحجّاج، فأخذ أصحابه ثلاثين امرأةً فأطلقهنّ. فقال الحجّاج: منعوا نساءهم، لو لم يردّوهنّ لسبيتُ نساءهم إذا ظهرتُ عليهم.

وخرج عبد الرحمن بن عوف الرؤآسي أبو حُمَيْد، فدعا إلى المبارزة، فخرج إليه رجل من أهل الشام، فتضاربا، فقال كلّ واحد منهما: أنا الغلام الكلابيّ. فقال كلّ واحد منهما لصاحبه: مَنْ أنت؟ وإذا هما ابنا عمّ، فتحاجزا. وخرج عبد الله بن رِزام الحارثيُّ، فطلب المبارزة، فخرج إليه رجل من عسكر الحجّاج فقتله، ثمّ فعل ذلك ثلاثة أيّام.

فلمّا كان اليوم الرابع خرج، فقالوا: جاء لا جاء الله به! فطلب المبارزة، فقال الحجّاج للجرّاح: اخرجْ إليه. فخرج إليه. فقال له عبد الله، وكان له صديقاً: ويحك يا جرّاح ما أخرجك؟ قال: ابتُليت بك. قال: فهل لك في خير؟ قال الجرّاح: ما هو؟ قال عبد الله: أنهزم لك وترجع إلى الحجّاج، وقد أحسنتَ عنده وحمدك، وأمّا أنا فأحتمل مقالةَ الناس في انهزامي حُبّاً[1] لسلامتك، فإنّي لا أُحبّ قتل مثلك من قومي. قال: افعلْ. فحمل الجرّاح على عبد الله فاستطرد له عبد الله، وحمل عليه الجرّاح بجدّ[2] يريد قتله، فصاح لعبد الله غلامه، وكان ناحية معه ماء ليشربه، وقال له: يا سيّدي إنّ الرجل يريد قتلك! فعطف عبد الله على الجرّاح، فضربه بعمود على رأسه فصرعه، وقال له: يا جرّاح بئسَ ما جزيتني! أردتُ بك العافية وأردت قتلي! انطلق فقد تركتك للقرابة والعشيرة.

وكان سعيد بن جُبَير، وأبو البَختري الطّائي يحملان على أهل الشام بعد قتل جَبَلة بن زَحْر حتّى يُخالطاهم[3]، وكانت مدّة الحرب مائة يوم وثلاثة أيّام، لأنّه كان نزولهم

---

(١) في الأوربية: «حسباً».
(٢) في الأوربية: «بحدّ».
(٣) في الأوربية: «يخالطوهم».

بالجماجم لثلاثٍ مَضَيْن من ربيع الأوّل، وكانت الهزيمة لأربع عشرة مضَيْن من جُمادَى الآخرة.

فلمّا كان يوم الهزيمة اقتتلوا أشدّ قتال، واستظهر أصحاب عبد الرحمن على أصحاب الحجّاج، واستعلوا عليهم وهم آمنون أن يُهزموا. فبينا هم كذلك إذ حمل سفيان بن الأبرد، وهو في ميمنة الحجّاج، على الأبرد بن قُرّة التميميّ، وهو على ميسرة عبد الرحمن، فانهزم الأبرد بن قُرّة من غير قتال يُذكر، فظنّ الناس أنّه قد كان صولح على أن ينهزم بالناس، فلمّا انهزم تقوّضت الصفوف من نحوه وركب الناس بعضهم بعضاً، وصعد عبد الرحمن المنبر ينادي الناس: إليّ عباد الله. فاجتمع إليه جماعة، فثبت حتّى دنا منه أهل الشام، فقاتل مَن معه، ودخل أهلُ الشام العسكر، فأتاه عبد الله بن يزيد بن المفضَّل الأزديّ فقال له: انزلْ، فإنّي أخاف عليك أن تُؤسر، ولعلّك إن انصرفت أن تجمع لهم جمعاً يُهْلِكهم الله به.

فنزل هو ومَنْ معه لا يَلْوون على شيء، ثمّ رجع الحجّاج إلى الكوفة، وعاد محمّد بن مروان إلى الموصل، وعبد الله بن عبد الملك إلى الشام، وأخذ الحجّاج يبايع الناس، وكان لا يبايع أحداً إلّا قال له: اشهدْ أنّك كفرتَ، فإن قال: نعم، بايعه، وإلّا قتله، فأتاه رجل من خَشْعَم كان معتزلاً للناس جميعاً، فسأله عن حاله، فأخبره باعتزاله، فقال له: أنت متربّص، أتشهد أنّك كافر؟ قال: بئس الرجل! أنا أعبد الله ثمانين سنة، ثمّ أشهد على نفسي بالكفر! قال: إذاً أقتلك. قال: وإن قتلتني. فقتله، ولم يبقَ أحدٌ من أهل الشام والعراق إلّا رحِمه.

ثمّ دعا بكُمَيل بن زياد فقال له: أنت المقتصّ من أمير المؤمنين عثمان؟ (قد كنت أحب من أن أجد)[1] عليك سبيلاً. قال: على أيّنا أنت أشدّ غضباً، عليه حين أقاد من نفسه، أم عليّ حين عفوتُ عنه؟ ثمّ قال: أيّها الرجل من ثقيف (لا تصرف عليَّ أنيابَك ولا تكشر)[2] عليّ كالذئب، والله ما بقي من عمري إلّا ظِمء الحمار، اقضِ ما أنت قاضٍ، فإنّ الموعد الله، وبعد القتل الحساب. قال الحجّاج: فإنّ الحُجّة عليك. قال: ذلك إذا كان القضاء إليك. فأمر به فقُتل، وكان خِصّيصاً بأمير المؤمنين. وأُتي بآخر من بعده، فقال له الحجّاج: أرى رجلاً ما أظنّه يشهد على نفسه بالكفر. فقال له الرجل: أتُخادعني عن نفسي؟ أنا أكفر أهل الأرض، وأكفر من فرعون. فضحك منه وخلّى سبيله.

---

(١) في الأوربية: «قد كنت أجب من أن أجب».
(٢) في الأوربية: «لا تصرف على أبنائك ولا تكثر».

وأقام بالكوفة شهراً، وأنزل أهل الشام بيوت أهل الكوفة، أنزلهم الحجّاج فيها مع أهلها، (وهو أوّل مَنْ أنزل الجند في بيوت غيرهم، وهو إلى الآن لا سيّما في بلاد العجم، ومَنْ سنّ سُنّة سيّئة كان عليه وزرُها ووزرُ من عمل بها إلى يوم القيامة)[1].

ذكر الوقعة بمَسْكِن

ولمّا انهزم عبد الرحمن أتَى البصرة، واجتمع إليه من المنهزمين جمع كثير، وكان فيهم عُبيد[2] الله بن عبد الرحمن بن سَمُرَة بن حبيب[3] بن عبد شمس القُرَشيُّ، وكان بالمدائن محمّد بن سعد بن أبي وقّاص، فسار إليه الحجّاج، فلحِق ابن سعد بعبد الرحمن، وسار عبد الرحمن نحو الحجّاج ومعه جمعٌ كثير، فيهم بِسطام بن مَصْقلة بن هبيرة الشيبانيُّ، وقد بايعه خلق كثير على الموت، فاجتمعوا بمَسْكِن، وخندق عبدُ الرحمن على أصحابه، وجعل القتال من وجهٍ واحد.

وقدِم عليه خالد بن جرير بن عبد الله من خُراسان في ناس من بَعْث الكوفة، فاقتتلوا خمسة عشر يوماً من شعبان أشدّ قتال، فقُتل زياد بن غيثم[4] القينيُّ، وكان على مَسالح الحجّاج، فهدّه ذلك وهدّ أصحابه. وبات الحجّاج يحرّض أصحابه، ولمّا أصبحوا باكروا القتال، فاقتتلوا أشدّ قتالٍ كان بينهم، فانكشفت خيلُ سفيان بن الأبرد، فأمر الحجّاجُ عبدَ الملك بن المهلّب، فحمل على أصحاب عبد الرحمن، وحمل أصحاب الحجّاج من كلّ جانب، فانهزم عبد الرحمن وأصحابه، وقُتل عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه، وأبو البَخْتَريّ الطائيُّ، ومشى بِسطام بن مَصْقلة بن هُبَيرة في أربعة آلاف فارسٍ من شجعان أهل الكوفة والبصرة، فكسروا جُفون سيوفهم، وحثّ أصحابه على القتال، فحملوا على أهل الشام فكشفوهم مراراً، فدعا الحجّاجُ الرماةَ، فرموهم وأحاط بهم الناس، فقُتلوا إلاّ قليلاً، ومضى ابن الأشعث نحو سِجِسْتان.

وقد قيل في هزيمة عبد الرحمن بمسكِن غير هذا، والذي قيل: إنّه اجتمع هو والحجّاج بمسكِن، وكان عسكر بن الأشعث، والحجّاج بين دجلة، والسِّيب والكَرْخ، فاقتتلوا شهراً ودونه، فأتى شيخ فدلّ الحجّاج على طريق من وراء الكرخ في أجمة وضَحْضاح من الماء، فأرسل معه أربعة آلاف، وقال لقائدهم: إنْ صَدَق فأعطِه ألف درهم، فإنْ كَذَب فاقتله. فسار بهم، ثمّ إنّ الحجّاج قاتل أصحاب عبد الرحمن، فانهزم

(١) ما بين القوسين من (ب). والخبر في: تاريخ الطبري ٦/٣٥٧ ـ ٣٦٥، نهاية الأرب ٢١/٢٤٣ ـ ٢٤٦.
(٢) في (ر): «عبد».
(٣) في الأوربية: «جندب».
(٤) في (ب): «غنم» و (آ): «غثيم».

الحجّاج فعبر السِّيبَ، ورجع ابن الأشعث إلى عسكره آمناً، ونهب عسكر الحجّاج، فأمِنوا وألقوا السلاح، فلم يشعروا نصف اللّيل إلاّ والسيف يأخذهم من تلك السريّة، فغرق من أصحاب عبد الرحمن أكثر ممّنْ قُتل، ورجع الحجّاج في عسكره على الصوت، فقتلوا مَنْ وجدوا، فكان عدّة مَنْ قُتل أربعة آلاف، منهم: عبد الله بن شدّاد بن الهاد، وبِسطام بن مَصْقلة، وعَمْرو بن ضُبَيعة الرّقاشيُّ، وبِشْر بن المنذر بن الجارود، وغيرهم[1].

ذكر مسير عبد الرحمن إلى رُتبيل وما جرى له ولأصحابه

ولمّا انهزم عبد الرحمن من مَسْكِن سار إلى سِجِسْتان، فأتبعه الحجّاجُ ابنَه محمّداً، وعُمارة بن تميم اللخميَّ، وعُمارة على الجيش، فأدركه عُمارة بالسوس، فقاتله ساعةً، فانهزم عبد الرحمن ومَن معه، وساروا حتّى أتوا سابور، واجتمع إليه الأكراد، فقاتلهم عُمارة قتالاً شديداً على العَقَبة، فجُرح عُمارة وكثير من أصحابه، وانهزم عُمارة وترك لهم العقبة.

وسار عبد الرحمن حتّى أتَى كَرْمان وعُمارة يتبع أثرهم، فدخل بعض أهل الشام قصراً في مفازة كرمان، فإذا فيه كتاب قد كتبه بعض أهل الكوفة من شعر ابن جِلْدة[2] اليَشْكُريّ، وهي طويلة:

أيا لَهْفاً ويا حَزَناً[3] جميعاً ... ويا حَرّ[4] الفُؤادِ لِما لَقينا
تركْنا الدِّينَ والدّنيا جَميعاً ... وأسلَمْنا[5] الحَلائلَ وَالبَنينا
فما كنّا أُناساً[6] أهلَ دينٍ ... فنصبرَ في البلاء إذا ابتُلِينا[7]
فما[8] كنّا أناساً أهلَ دنيا ... فنمنَعَها ولوْ لم نرْجُ دِينا
تركْنا دُورَنا لطَغامِ[9] عكٍّ ... وأنباط القرَى والأشعَرينَا[10]

---

(١) الطبري ٣٦٦/٦ وما بعدها، نهاية الأرب ٢٤٧/٢١، ٢٤٨، البداية والنهاية ٤٢/٩.
(٢) في (ب): «خلقة»، وفي طبعة صادر ٤٨٤/٤ «حِكّزة»، والمثبت يتفق مع الطبري والأغاني.
(٣) في الأوربية: «حرَباً»، وفي الأغاني: «حزني».
(٤) الأغاني: «ويا غمّ».
(٥) الأغاني: «وخلَّيْنا».
(٦) في الأوربية: «بناس».
(٧) الأغاني: «بُلينا».
(٨) الطبري «وما»، الأغاني «ولا».
(٩) في الأوربية: «لطعام».
(١٠) الطبري ٣٦٨/٦، ٣٦٩، الأغاني ٣١٢/١١، ٣١٣، البداية والنهاية ٤٨/٩ وليس فيه البيت الثالث.

فلمّا وصل عبدُ الرحمن إلى كرمان أتاه عامله، وقد هيّأ له نُزُلاً فنزل، ثمّ رحل إلى سجِستان، فأتى زَرَنْج وفيها عامله، فأغلق بابها ومنع عبد الرحمن من دخولها، فأقام عليها أيّاماً ليفتحها فلم يصل إليها، فسار إلى بُسْت، وكان قد استعمل عليها عِياضَ بن هِمْيان بن هشام السدوسيّ الشيبانيّ، فاستقبله وأنزله، فلمّا غفل أصحابه قبض عليه عياض وأوثقه، وأراد أن يأمن به عند الحجّاج.

وقد كان رُتبيل ملك التُّرك سمع بمَقْدَم عبد الرحمن، فسار إليه ليستقبله، فلمّا قبضه عِياض نزل رُتبيل على بُسْت، وبعث إلى عياض يقول: والله لئن آذيتَهُ بما يُقذي عينه، أو ضررتَهُ ببعض الضرر، أو أخذتَ منه ولو حبلاً من شعر لا أبرح حتّى أستنزلك[1] وأقتلك وجميع مَنْ معك، وأسبي ذراريّكم، وأغنم أموالكم. فاستأمنه عِياض، فأطلق عبدَ الرحمن، فأراد قتل عِياض فمنعه رُتبيل.

ثمّ سار عبد الرحمن مع رُتبيل إلى بلاده، فأنزله وأكرمه وعظّمه. وكان ناسٌ كثير من المنهزمين من أصحاب عبد الرحمن من الرؤوس والقادة الذين لم يقبلوا أمان الحجّاج، ونصبوا له العداوة في كلّ موطن، قد تبِعوا عبد الرحمن، فبلغوا سجستان في نحو ستين ألفاً، ونزلوا على زَرَنْج يحاصرون مَنْ بها، وكتبوا إلى عبد الرحمن يستدعونه ويُخْبرونه أنّهم على قصد خُراسان ليقْوَوا بمَن بها من عشائرهم، فأتاهم، وكان يصلّي بهم عبد الرحمن بن العبّاس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطّلب، إلى أن قدِم عبد الرحمن. فلمّا أتت كُتُبُهم عبدَ الرحمن سار إليهم، ففتحوا زَرَنْج، وسار نحوهم عُمارة بن تميم في أهل الشام، فقال لعبد الرحمن أصحابه: اخرجْ بنا عن سجستان إلى خُراسان. فقال: إنّ بها يزيد بن المهلّب وهو رجل شجاع، ولا يترك لكم سلطانه، ولو دخلناها لقاتلَنا وتبِعَنا أهل الشام، فيجتمع علينا أهل خُراسان وأهلُ الشام. فقالوا: لو دخلنا خراسان لكان مَنْ يتبعنا أكثر ممّنْ يقاتلنا.

فسار معهم حتّى بلغوا هَراة، فهرب من أصحابه عُبيد الله بن عبد الرحمن بن سَمُرة القرشيُّ في ألفين، فقال لهم عبد الرحمن: إنّي كنتُ في مأمن وملجإٍ، فجاءتني كُتُبكم أن أقبِلْ فإنّ أمرنا واحد، فلعلّنا نقاتل عدوّنا، فأتيتُكم، فرأيتم أن أمضي إلى خُراسان، وزعمتم أنّكم تجتمعون إليّ، وأنّكم لا تتفرّقون، وهذا عُبيد الله قد صنع ما رأيتم، فاصنعوا ما بدا لكم، أمّا أنا فمنصرف إلى صاحبي الذي أتيتُ من عنده.

فتفرّق منهم طائفة، وبقي معه طائفة، وبقي أعظم العسكر مع عبد الرحمن بن العبّاس فبايعوه، ومضى عبد الرحمن بن الأشعث إلى رُتبيل، وسار عبد الرحمن بن

(١) في الأوربية: «أستذلّك».

العبّاس إلى هَرَاة، فلقوا بها الرُّقادَ الأزديَّ فقتلوه، فسار إليهم يزيد بن المهلّب.

وقيل: إنّ عبد الرحمن بن الأشعث لمّا انهزم من مسكِن أتى عُبيدُ الله بن عبد الرحمن بن سَمُرَة هَراة، وأتى عبدُ الرحمن بن العبّاس سِجِسْتان، فاجتمع فَلُّ ابن الأشعث، فسار إلى خُراسان في عشرين ألفاً، فنزل هراة، ولقوا الرُّقاد فقتلوه، فأرسل إليه يزيد بن المهلّب: قد كان لك في البلاد مُتَّسَع ومَنْ[1] هو أهوَن منّي شوكة، فارتحِلْ إلى بلدٍ ليس لي فيه سلطان، فإنّي أكره قتالك، وإنْ أردتَ مالاً أرسلتُ إليك. فأعاد الجواب: إنّا ما نزلنا لمحاربة ولا لمُقام، ولكنّا أردنا أن نريح، ثمّ نرحل عنك، وليست بنا إلى المال حاجة.

وأقبل عبد الرحمن بن العبّاس على الجباية، وبلغ ذلك يزيد فقال: مَنْ أراد أن يريح ثمّ يرتحل لم يَجْبِ الخراج. فسار يزيد نحوه وأعاد مراسلته: إنّك قد أرحتَ وسمنتَ وجبيتَ الخراج، فلك ما جبيت وزيادة، فاخرجْ عنّي، فإنّي أكره قتالك. فأبَى إلّا القتال، وكاتب جُند يزيد يستميلهم، ويدعوهم إلى نفسه، فعلم يزيد فقال: جَلّ الأمر عن العتاب؛ ثمّ تقدّم إليه فقاتله، فلم يكن بينهم كثيرُ قتالٍ حتّى تفرّق أصحاب عبد الرحمن عنه وصبر، وصبرتْ معه طائفة، ثمّ انهزموا، وأمر يزيد أصحابه بالكفّ عن اتّباعهم، وأخذوا ما كان في عسكرهم، وأسروا منهم أسرى، وكان منهم: محمد بن سعد بن أبي وقّاص، وعمر بن موسى بن عُبيد الله بن مَعْمر، وعبّاس بن الأسود بن عَوْف الزُّهْريّ، والهلقام بن نُعَيم بن القعقاع بن مَعْبد بن زُرارة، وفيروز حُصَين، وأبو الفلج مولى عُبَيد الله بن مَعْمر، وسوّار بن مروان، وعبد الرحمن بن طلحة بن عبد الله بن خَلَف الخُزاعيّ، وعبد الله بن فَضالة الزَّهْرانيّ الأزديّ.

ولحِق عبدُ الرحمن بن العبّاس بالسِّند، وأتى ابنُ سَمُرَة مروَ، وانصرف يزيد إلى مرو، وبعث الأسرى إلى الحجّاج مع سَبرة ونَجْدة، فلمّا أراد تسييرهم قال له أخوه حبيب: بأيّ وجه تنظر[2] إلى اليمانيّة وقد بعثت عبد الرحمن بن طلحة؟ فقال يزيد: إنّه الحجّاج ولا يتعرّض له. قال: وطِّنْ نفسك على العزل، ولا تُرسلْ به، فإنّ له عندنا يداً. قال: وما هي؟ قال: أُلزم المهلّب في مسجد الجماعة بمائة ألف، فأدّاها طلحة عنه. فأطلقه يزيد، ولم يرسل يزيد أيضاً عبدَ الله بن فَضالة لأنّه من الأزد، وأرسل الباقين.

فلمّا قدِموا على الحجّاج قال لحاجبه: إذا دعوتك بسيّدهم فأتِني بفيروز، وكان بواسط [القصب] قبل أن تُبنى مدينة [واسط]. فقال لحاجبه: ائتني بسيّدهم. فقال

---

(١) في الأوربية: «ممتنع من».
(٢) في الأوربية: «ننظر».

لفيروز: قمْ. فقام، فأحضره عنده. فقال له الحجّاج: أبا عثمان ما أخرجك مع هؤلاء؟ فوالله ما لحمك من لحومهم، ولا دمك من دمائهم! قال: فتنة عمّت الناس. قال: اكتبْ إليّ أموالك. قال: اكتبْ يا غلام ألف ألف وألفَيْ ألف، فذكر مالاً كثيراً. فقال الحجّاج: أين هذه الأموال؟ قال: عندي. قال: فأدِّها. قال: وأنا آمن على دمي؟ قال: والله لتؤدّينّها ثمّ لأقتلنّك. قال: والله لا يُجمع بين دمي ومالي. فأمر به فنُحّي.

ثمّ أحضر محمّد بن سعد بن أبي وقّاص فقال له: يا ظلّ الشيطان! أعظمِ الناس تيهاً وكِبْراً، تأبَى بيعة يزيد بن معاوية، وتتشبّه بالحسين وبابن عمر، ثمّ ضربت مؤذّناً؟ وجعل يضرب رأسه بعُودٍ في يده حتّى أدماه، ثمّ أمر به فقُتل. ثمّ دعا بعمر بن موسى فقال: يا عبد المرأة! أتقوم[1] بالعمود على رأس[2] ابن الحائك، يعني ابن الأشعث، وتشرب معه في الحمّام! فقال: أصلحِ الله الأمير، كانت فتنة شملت البَرّ والفاجر، فدخلنا فيها، فقد أمكنك الله منّا، فإنْ عفوتَ فبحلمك[3] وبفضلك، وإن عاقبتَ [عاقبتَ] ظَلَمة مذنبين. فقال الحجّاج: أمّا أنّها شملت البرّ فكذبتَ، ولكنّها شملت الفاجرَ، وعُوفي منها الأبرار، وأمّا اعترافك فعسى أن ينفعك؛ ورجا له الناس السلامة، ثمّ أمرَ به فقُتل. ثمّ دعا بالهلقام بنِ نُعَيْم فقال: أحببتَ أنّ ابنَ الأشعث طلب ما طلب، ما الذي أمّلتَ أنتَ معه؟ قال: أمّلتُ أن يملك فيولّيني [العراقَ]، كما ولّاك عبدُ الملك إيّاه. فأمر به فقُتل. ثمّ دعا عبدَ الله بن عامر، فلمّا أتاه قال له الحجّاج: لا رأت عينُك الجنّة إن أفلتَّ! [فقال: جزى اللّهُ] ابنَ المهلّب بما صنع. قال: وما صنع؟ قال:

لأنّه كاسَ في إطلاقِ أُسرَتِهِ وقادَ نحوَكَ في أغلالِها مُضَرَا
وَقَى بقَوْمكَ وِردَ الموْتِ أُسرتَهُ وكانَ قوْمُكَ أدنى عنده خطرَا

فأطرق الحجّاج ووقرت في قلبه وقال: وما أنت وذاك؟ فأمر به فقُتل. ولم تزل كلمته في نفس الحجّاج حتّى عزل يزيد عن خُراسان وحبسه.

ثمّ أمر بفيروز فعُذّب، وكان يُشدّ عليه القصب الفارسيُّ المشقوق، يُجرّ عليه حتّى يُجْرَح به، ثمّ يُنضح عليه الخلّ. فلمّا أحَسّ بالموت قال لصاحب العذاب: إنّ الناس لا يشكّون أن قد قُتلتُ، ولي ودائع وأموال عند الناس لا تؤدّى إليكم أبداً، فأظهِرني للناس ليعلموا أنّي حيّ، فيُؤدّوا المال. فأعلم الحجّاجَ، فقال: أظهِرْه. فأُخرج إلى باب المدينة، فصاح في الناس: مَنْ عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا فيروز حُصَين،

---

(١) في الأوربية: «يقوم».

(٢) في الأوربية: «رأسك».

(٣) في الأوربية: «فبجمالك».

إنّ لي عند أقوام مالاً، فمَنْ كان لي عنده شيء فهو لـه، وهو منه في حِلّ، فـلا يؤدّ أحد منهم درهماً، لِيُبلغ الشاهدُ الغائبَ. فأمر به الحجّاجُ فقُتل.

وأمر بقتل عمر بن أبي قُرّة الكِنديّ، وكان شريفاً، وأمر بإحضار أعشى هَمْدان، فقال: إيه عدوّ الله! أنشِدْني قولك «بين الأشج[1] وبين[2] قيس». قال: بل أنشدك ما قلتُ لك. قال: بل أنشدني هذه. فأنشده:

أبى اللّهُ إلاّ أنْ يُتمِّمَ نورَهُ ... ويُطفيءَ نارَ[3] الفاسقِينَ[4] فتَخمُدَا
ويُظهِرَ أهلَ الحقّ في كلّ مَوْطنٍ ... ويُعْدلَ وقعُ السّيفِ مَن كان أصْيدَا
ويُنْزِلَ ذُلًّا بالعراقِ وأهلِهِ ... لِمَا[5] نقضُوا العهدَ الوَثيقَ المؤكّدَا
وما أحدَثوا مِن بِدعَةٍ وعَظيمَةٍ[6] ... من القَوْل لم تَصْعَدْ[7] إلى اللّهِ مَصْعدَا
وما[8] نكَثوا مِن بَيْعةٍ بعدَ بَيْعَةٍ ... إذا ضَمِنوها اليَوْمَ خاسوا بها غَدَا
وَجُبناً حَشاهُ[9] ربُّهمْ في قلوبهمْ ... فما يقرُبونَ النّاسَ إلاّ تَهدُّدَا
فلا صِدْقَ في قوْلٍ وَلا صَبرَ عندهمْ ... ولكِنّ فَخراً فيهِمُ وتزَيُّدَا
فكَيفَ رَأيتَ اللّهَ فَرّقَ جَمعَهمْ ... ومزّقهم عرْضَ البلادِ وَشَرّدَا
فقَتلاهُمُ قتلى ضَلالٍ وفِتْنَةٍ ... وَجَيشُهُمُ[10] أمسَى ذليلاً مُطَرَّدَا
ولمّا زَحَفْنا[11] لابنِ يوسُفَ غُدوَةً[12] ... وأبرَقَ منه[13] العارِضَانِ وأرْعَدَا
قطَعْنا إلَيهِ الخَندَقَينِ وإنّما ... قطَعْنا وأفضَينا إلى المَوْتِ مُرْصِدَا
فكافحَنا[14] الحَجّاجُ دونَ صُفوفِنا ... كِفاحاً ولم يضرِبْ لذلك مَوْعِدَا

(١) في (ب): «الأشجع».
(٢) في الأوربية: «وبثر».
(٣) الطبري، المسعودي: «نور»، وكذا في الأوربية.
(٤) المسعودي: «الفقعتين».
(٥) الأغاني، والأوربية: «كما»، والمسعودي «بما».
(٦) المسعودي: «وضلالة».
(٧) المسعودي، والأوربية: «يصعد».
(٨) الأغاني: «بما».
(٩) الأوربية: «حشاة».
(١٠) في (آ) و(ر) والطبري: «وحَيُّهُمْ».
(١١) الأغاني: «دلفنا».
(١٢) الأغاني: «ضِلّة».
(١٣) الطبري، الأغاني: «منا».
(١٤) الأغاني: «فصادَمَنا».

بصفٍّ كـأنَّ الـمَـوْتَ في حُـجُـزاتهـمْ[1] إذا مـا تـجـلَّى بَـيـضُـهُ وتَـوَقّـدَا

دَلَـفـنـا إلَـيــهِ فـي صُـفــوفٍ كـأنَّـهَـا جبـالُ شَــرَوْرَى أوْ نعـافٍ فَـشَهْـمَـدَا[2]

فـمـا لبثَ الحـجّـاجُ أن سَـلَّ سَيفَـهُ عـلَـينـا فَـولّـى جَـمـعُـنـا وتَـبَـدّدَا

ومـا زاحَـفَ الـحَـجّـاجُ إلاّ رَأيـتَـهُ مُـعـانـاً مُـلَقّـى[3] لـلفُـتُـوحِ مُـعَـوَّدَا

وإنَّ ابـنَ عـبّـاسٍ لَـفـي مُـرْجَـحِـنَّـةٍ نُشَبِّهُهـا[4] قِـطْعـاً منَ اللّيـلِ أسـوَدَا[5]

فمـا شـرَعـوا رُمحـاً[6] وَلا جـرّدوا ظُبًى[7] ألا إنَّـمـا[8] لاقـى الـجَـبـانُ فـجَـرّدَا

وكَـرّتْ عـلَـينـا خَـيـلُ سُـفـيـانَ كَـرّةً بـفـرْسـانِهـا والـسَّـمْـهَـرِيِّ[9] مُقـصَّـدَا

وسُـفـيـانُ يـهـديـهـا كـأنَّ لِـواءهـا[10] منَ الـطعن سِندٌ بـاتَ بالصِّبـغِ مُجْسدَا[11]

كـهـولٌ ومُـرْدٌ مـن قُـضـاعَـةَ حـوْلَـهُ مَـسـاعـيـرُ أبـطال إذا الـنّـكسُ عـرّدَا

إذا قـالَ شُـدّوا شَـدّةً حـمـلوا مَـعـاً فـأنهَـلَ خِـرْصَـانَ[12] الـرِّمـاحِ وَأوْرَدَا

جـنـودُ أمـيـرِ الـمـؤمـنِـيـنَ وخَـيـلُهُ وسـلْطانُـه أمـسـى عَـزِيـزاً مُـؤيَّـدَا

فَيَهْني[13] أمـيـرَ الـمؤمِـنـينَ ظـهـورُهُ عـلى أمّـةٍ كـانـوا سُـعـاةً[14] وحُـسَّـدَا

نَزَوْا[15] يَشتَكـونَ البَـغيَ مِـنْ أمـرَائهـمْ وكـانُـوا هُـمُ أبـغَـى الـبُـغـاةِ وأعـنَـدَا

وَجَـدْنـا بَـنـي مـرْوَانَ خـيـرَ أئِـمّـةٍ وأفضَـلَ[16] هـذا النّـاس[17] حِلمـاً وسـودَدَا

وخـيـرَ قُـرَيشٍ فـي قـريشٍ أرُومَـةً وأكـرَمَـهُـمْ إلاّ الـنـبـيَّ مُـحـمّـدَا

---

(١) الطبري: «بصفٍّ كأنّ البرق في حَجَراته».
(٢) الطبري: «لو تُعان فتنهُدا»، والأوربية: «نعانٍ فتنهدا».
(٣) الأوربية: «ملقاً».
(٤) الأوربية: «ليشبهها».
(٥) هذا البيت من (ب).
(٦) الأوربية: «رحماً».
(٧) الطبري: «جرّدوا له».
(٨) في نسخة بودليان «الآن بما»، والطبري: «ألا ربّما».
(٩) الأوربية: «والشّمّري».
(١٠) الطبري: «لواءه».
(١١) الأوربية: «من الطّعن سدّباتٌ بالضّبع مجسدا».
(١٢) في (آ): «فهل خراسان»، الأوربية «فرضان».
(١٣) الأوربية: «فيهنّ»، الأغاني: «ليهنيء».
(١٤) في (آ)، والطبري، والأغاني: «بُغاة».
(١٥) الأوربية: «تروا».
(١٦) الأوربية: «فأفضل»، والأغاني: «وأعظم».
(١٧) الطبري: «هذي الناس»، الأغاني: «هذا الخلق».

إذا ما تَدَبّرْنا عَواقِبَ أمرِهِ وَجَدْنا أميرَ المُؤمنينَ مُسَدَّدا
سيغلبُ قوماً حارَبُوا[1] اللّهَ جهرَةً وإن كايَدوهُ كانَ أقوَى وأكْيَدا
كَذاكَ يُضِلُّ اللّهُ مَنْ كانَ قلبُهُ مَرِيضاً[2] وَمَنْ والى النّفاقَ وألحدا[3]
وَقد تركوا الأهلينَ وَالمالَ خلفَهم[4] وبِيضاً عليهِنّ الجلابيبُ خُرَّدا[5]
يناديهمُ[6] مستَعبراتٍ إلَيهمُ ويُذرِينَ دَمعاً في الخُدودِ وإثمِدَا
أنَكْثاً وعِصْياناً وغَدْراً وذِلّةً أهانَ الإلهُ مَنْ أهانَ وَأبْعَدَا
لقد شأَمَ المصرَينِ فرْخُ مُحَمّدٍ بحَقٍّ وَما لاقَى منَ الطّيرِ أسعَدَا[7]
كما شأَمَ اللّهُ النُّجَيْرَ[8] وأهْلَهُ بجَدٍّ لَهُ قد كان[9] أشقى وأنكَدَا[10]

فقال أهل الشام: أحسن، أصلح الله الأمير. فقال الحجّاج: لا لم يُحسِن، إنّكم لا تدرون ما أراد بها. ثمّ قال: يا عدوّ الله! والله لا نحمدك [على هذا القول]، إنّما قلتَ: تَأَسُّفَ أن لا يكون ظهر وظفر، وتحريضاً لأصحابك علينا، وليس عن هذا سألناك، أنشدنا قولك «بين الأشجّ وبين قيس باذخ[11]»، فأنشده، فلمّا قال: «بخٍ بخٍ لوالده[12] وللمولود» قال الحجّاج: والله لا تبخبخ بعدها أبداً! فضُربت عنقه.

قوله في هذه الأبيات: ابن عبّاس، هو عبد الرحمن بن العبّاس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطّلب، وقد تقدّم ذكره. وقوله: سفيان، هو ابن الأبرد الكلبيُّ من قوّاد العساكر الشاميّة. وقوله: فرخ محمّد، هو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث. وقوله:

---

(١) الطبري: «قوم غالبوا»، الأغاني: «قوماً غالبوا».
(٢) الأغاني: «ضعيفا».
(٣) الأوربية: «والحسدا».
(٤) الأغاني: «فقد تركوا الأموال والأهل خلفهم».
(٥) الأوربية: «جرّدا».
(٦) الطبري، الأغاني: «ينادينهم».
(٧) الأغاني:
لقد شمْتَ بابن الأشعثِ مِصْرَنا فظلّوا وما لاقوا من الطير أسعدا
(٨) في الأوربية: «البخير». والنُجَير: حصن باليمن قرب حضر موت، منيع، لجأ إليه أهل الرّدّة أيام أبي بكر رضي الله عنه.
(٩) الأغاني: بجدّك من قد كان.
(١٠) الأوربية: «وأنجدا»، والأبيات في: تاريخ الطبري ٦/٣٧٦ ـ ٣٧٨، ومعظمها في: الأغاني ٦/٦٠، ٦١ مع أبيات أخرى، وفي مروج الذهب ٣/١٦٣ ثلاثة أبيات فقط، الأول والثالث والرابع.
(١١) في (ب): «نازح».
(١٢) الأوربية: «للوالدة».

الأشجّ، هو محمّد بن الأشعث. وقوله: بين[1] قيس، هو معقل بن قيس الرياحيّ، وهو جَدّ عبد الرحمن بن محمّد لأمّه. وقوله: كما شأم الله النُّجَيْرْ وأهله بجدٍّ له، يعني لما ارتدّ الأشعث بن قيس جدّ عبد الرحمن بعد وفاة النبيّ ﷺ، وتبعه كِنْدة، فلمّا حاربهم المسلمون وحصروهم بالنُّجَيْر[2] أخذوهم وقتلوهم، وقد تقدّم ذكر ذلك في قتال أهل الرِّدّة.

قيل: وأُتي الحجّاج بأسيرين فأمر بقتلهما، فقال أحدهما: إنّ لي عندك يداً. قال: وما هي؟ قال: ذكر عبد الرحمن يوماً أمّك بسوء فنهيتُه. قال: ومن يعلم ذلك؟ قال: هذا الأسير الآخر، فسأله الحجّاج فصدّقه، فقال له الحجّاج: فلِمَ لم تفعل كما فعل؟ قال: وينفعني الصدق عندك؟ قال: نعم. قال: منعني البُغْض لك ولقومك. قال: خلّوا عن هذا لفِعله، وعن هذا لصدقه[3].

قيل: جاء رجل من الأنصار إلى عمر بن عبد العزيز فقال: أنا فلان بن فلان، قُتل جدّي يوم بدر وقُتل جدّي فلان يوم أُحُد، وجعل يذكر مناقب سلفه، فنظر عمر إلى عَنْبسة بن سعيد بن العاص فقال: هذه المناقب، والله لا يوم مسكِن، ويوم الجماجم، ويوم راهط! وأنشد:

تلك المَكارِمُ لا قَعبانِ مِنْ لبنٍ شِيبا بماء فعادَا بَعدُ أبْوَالا

ذكر ما جرى للشَّعْبيّ مع الحجّاج

لمّا انهزم أصحاب عبد الرحمن بالجماجم نادى منادي الحجّاج: مَنْ لحق بقُتَيْبة بن مسلم فهو آمن، وكان قد ولّاه الريّ وسار إليه؛ فلحِق به ناس كثير، وكان منهم الشعبيّ، فذكره الحجّاج يوماً فسأل عنه، فقال له يزيد بن أبي مسلم: إنّه لحِق بقتيبة بالريّ، فكتب الحجّاج إلى قتيبة يأمره بإرسال الشعبيّ، فأرسله.

قال الشعبيُّ: فلمّا قدِمتُ على الحجّاج لقيتُ ابن أبي مسلم، وكان صديقاً لي، فاستشرتُه [فقال]: اعتذرْ مهما استطعت، وأشار بمثل ذلك إخواني ونُصحائي، فلمّا دخلتُ على الحجّاج رأيتُ غير ما ذكروا لي، فسلّمتُ عليه بالإمرة وقلت: أيّها الأمير إنّ الناس قد أمروني أن أعتذر بغير ما يعلم الله أنّه الحقّ، وايم الله لا أقول في هذا المقام

(١) الأوربية: «بثر».
(٢) الأوربية: «البخير».
(٣) الطبري ٦/٣٦٩ ـ ٣٨٣، نهاية الأرب ٢١/٢٤٩ ـ ٢٥٥.

إلّا الحقّ، قد والله مَرَدْنا عليك، وحرّضنا وجَهِدنا، فما كنّا بالأقوياء الفجرة، ولا بـالأتقياء البرَرَة، ولقد نصرك الله عِلينا وأظفرك بنا، فإن سطوتَ فبـذنوبنـا وما جـرّتْ[1] إليه أيـدينا، وإن عفوتَ عنّا فبحِلْمك، وبعدُ فالحجّة لك علينا.

فقال الحجّاج: أنت والله أحبّ إليّ قولاً ممّن يدخل علينا يقطر سيفه من دمائنا، ثمّ يقول: ما فعلتُ ولا شهـدتُ، وقد أمنتَ يـا شعبيّ، كيف وجدتَ النـاسَ بعدَنـا؟ فقلتُ: أصلحَ اللّهُ الأميـرَ، اكتحلتُ بعدك السهـر، واستوعـرتُ الجنـاب، واستحلستُ الخـوف، وفقـدتُ صـالـح الإخـوان، ولم أجـد من الأميـر خَلَفـاً[2]. قـال: انصـرفْ يـا شعبيّ. فانصرفتُ[3].

ذكر خلع عمر بن أبي الصّلْت بالرّيّ وما كان منه

لما ظفر الحجّاج بابن الأشعث لحِق خلقٌ كثير من المنهرمين بعمر بن أبي الصلت، وكـان قد غلب على الـريّ في تلك الفتنة، فلمّـا اجتمعوا بـالـريّ أرادوا أن يحـظَوا عنـد الحجّـاج بأمرٍ يمحون عن أنفسهم عَثْـرة الجماجم، فـأشـاروا على عمـر بخلع الحجّـاج وقُتَيبة، فامتنع، فوضعوا عليه أباه أبا الصلت، وكان به باراً، فأشار عليه بـذلك وألـزمه بـه وقال له: يا بُنيّ إذا سار هؤلاء تحت لوائك لا أُبالي أن تُقتل غداً. ففعل.

فلمّا قارب قتيبة الريّ بلغه الخبر، فاستعدّ لقتـاله، فـالتقوا واقتتلوا، فغـدر أصحاب عمر به، وأكثرهم من تميم، فانهزم ولحِق بطبرستان، فآواه الأصبهبذ وأكرمه وأحسن إليه. فقال عمر لأبيه: إنّك أمرتَني بخلع الحجّاج وقتيبة فأطعتك، وكان خـلاف رأيي فلم أحمد رأيـك، وقد نـزلنـا بهـذا العلجِ الأصبهبْـذ فـدَعْني حتّى أثب عليـه، فـأقتله وأجلس على مملكته، فقد علمت الأعاجم أنّي أشرف منه. فقال أبوه: ما كنت لأفعل هذا لـرجل آوانـا ونحن خائفون، وأكرمَنا وأنزلَنا. فقال عمر: أنت أعلم وسترى.

ودخل قتيبة الـريّ، وكتب إلى الحجّاج بخبـر عمر وانهـزامه إلى طبـرستان، فكتب الحجّاج إلى الأصبهبذ: أن ابعثْ بهم أو برؤوسهم، وإلاّ فقد بـرئتْ منك الـذمّة. فصنـع لهم الأصبهبذ طعاماً وأحضرهمـا، فقتل عمـر وبعث أباه أسيـراً، وقيل: بـل قتلهما وبعث برؤوسهما[4].

---

(١) في الأوربية: «أجرّت».

(٢) في الأوربية: «خلفاً».

(٣) البداية والنهاية ٩/٤٩، ٥٠.

(٤) نهاية الأرب ٢١/٢٦١، ٢٦٢.

ذكر بناء مدينة واسط

وفي هذه السنة بنى الحجّاج واسطاً.

وكان سبب ذلك أنّ الحجّاج ضرب البعث على أهل الكوفة إلى خُراسان وعسكر بحمّام عمر، وكان فتى من أهل الكوفة حديث عهد بعرس، فانصرف من العسكر إلى ابنة عمّه ليلاً، فطرق الباب طارق، ودقّه دقّاً شديداً، فإذا سكران من أهل الشام، فقالت للرجل ابنة عمّه: لقد لقينا من هذا الشاميّ شرّاً، يفعل بنا كلّ ليلة ما ترى، يريد المكروه، وقد شكوته إلى مشيخة أصحابه، فقال لها زوجها: ائذني له، فأذِنت له، فقتله زوجها، فلمّا أُذّن الفجر خرج إلى العسكر، وقال لابنة عمّه: إذا صلّيتِ الفجر فابعثي إلى الشاميّين ليأخذوا صاحبهم، فإذا أحضروكِ عند الحجّاج فاصدقيه الخبر على وجهه.

ففعلت فأُحْضرت عند الحجّاج فأخبرته، فقال: صدقْتِني. وقال للشاميّين: خذوا صاحبكم لا قَوَد له ولا عقل، فإنّه قتيل الله إلى النار. ثمّ نادى مُنادٍ: لا ينزلنّ أحد على أحد.

وكان الحجّاج قد أنزل أهل الشام على أهل الكوفة، فخرج أهل الشام فعسكروا، وبعث روّاداً يرتادون له منزلاً، وأقبل حتّى نزل موضع واسط، فإذا راهب قد أقبل على حمار له، فلمّا كان بموضع واسط بال الحمار، فنزل الراهب فاحتفر ذلك البول واحتمله ورماه في دجلة والحجّاج يراه. فقال: عليّ به. فأُتي به. فقال: ما حملك على ما صنعته؟ قال: نجد في الكتب أنّه يُبنى في هذا الموضع مسجد يُعْبَد الله فيه ما دام في الأرض أحد يوحّده. فاختطّ الحجّاج مدينة واسط، وبنى المسجد في ذلك الموضع[1].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة عزل عبد الملك أبان بن عثمان من المدينة، في قول بعضهم، واستعمل عليها هشام بن إسماعيل[2]. وكان العمّال هذه السنة سوى المدينة الذين تقدّم ذكرهم في السنة قبلها.

قيل: وكان الحجّاج قد سيّر نساءه وأهله إلى الشام خوفاً من عبد الرحمن بن الأشعث، وفيهنّ أخته زينب التي ذكرها النُّمَير[3] في شعره، فلمّا هُزم ابن الأشعث أرسل

(١) الطبري ٦/٣٨٣، ٣٨٤، نهاية الأرب ٢١/٢٦٢، ٢٦٣، تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ.) ص ١٨، البداية والنهاية ٩/٥١.

(٢) الطبري ٦/٣٨٤، تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ.) ص ١٨.

(٣) هكذا، وفي وفيات الأعيان ٢/٤٠ «محمد بن عبد الله بن نمير الثقفي»؛ وفي التذكرة الحمدونية ١/٤٢١ =

البشير إلى عبد الملك بذلك، وكتب كتاباً إلى أخته زينب، فأخذت الكتاب وهي راكبة، فنفرت البغلة من قعقعة الكتاب، فسقطت زينب فماتت.

[الوَفَيات]

وفي هذه السنة توفّي واثلةُ بن الأسقع[1]، وهو ابن خمس ومائة سنة، وقيل: مات سنة خمسٍ وثمانين، وهو ابن ثمانٍ وتسعين سنة.

وفيها مات زِرّ بن حُبيش[2]، وعمره مائة واثنتان وعشرون سنة.

وأبو وائل شقيق بن سَلِمة[3] الأسْديُّ الكوفيُّ، وكان مولده سنة إحدى من الهجرة.

= رقم ١٠٩٧ «النمري»؛ وفي ربيع الأبرار ١/٧٥٧ «النَميري».

(١) أنظر عن (واثلة بن الأسقع) في: تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ.) ص ٢١٦ رقم ١١٦١ وفيه مصادر ترجمته.

(٢) أنظر عن (زِرّ بن حُبَيش) في: تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ.) ص ٦٦ رقم ٣١ وفيه مصادر ترجمته.

(٣) تقدّم في وفيات السنة الماضية.

٨٤
ثم دخلت سنة أربعٍ وثمانين

ذكر قتل ابن القِرِّية

وفيها قتل الحجّاجُ أيّوبَ بن القِرِّية، وكان مع ابن الأشعث بدَيْر الجماجم، فلمّا هُزِم ابن الأشعث التحق أيّوب بحَوْشَب بن يزيد عاملِ الحجّاج على الكوفة، فاستحضره الحجّاج، فقال له: أقِلْني عثرَتي، واسقِني ريقي، فإنّه ليس جوادٌ إلّا له كَبْوَة، ولا شجاع إلّا له هَبْوَة[1]، ولا صارم إلّا له نَبْوة. فقال الحجّاج: كلّا، والله لأزِيرنّك جهنّم. قال: فأرِحْني فإنّي أجد حَرّها! فأمر به فضُربت عنقه. فلمّا رآه قتيلاً قال: لو تركناه حتّى نسمع من كلامه[2].

ذكر فتح قلعة نيزك بباذَغِيس[3]

في هذه السنة فتح يزيد بن المهلّب قلعة نَيْزك، وكان يزيد قد وضع على نَيْزك العيون، فلمّا بلغه خروج نيزك عنها سار إليها فحاصرها، فملكها وما فيها من الأموال والذخائر، وكانت من أحصن القلاع وأمنعها، وكان نيزك إذا رآها سجد لها تعظيماً لها؛ وقال كعب بن مَعْدان الأشقريُّ يذكرها:

وباذَغِيسُ التي مَن حلّ ذُرْوَتها ... عزَّ الملوكَ فإن لشاء جار أو ظَلَما[4]

مَنيعةٌ لم يَكِدْها قَبْلَهُ ملك ... إلّا إذا واجَهتْ جيشاً له وَجَما

تُخالُ نيرانُها من بُعْدِ مَنظَرها ... بعضَ النّجوم إذا ما ليلُها عتَما[5]

---

(١) البيان والتبيين ١/١١٢ و ٣٥٠.

(٢) الطبري ٦/٣٨٥، الأخبار الطوال ٣٢٣، نهاية الأرب ٢١/٢٦٣، تاريخ الإسلام (٨١- ١٠٠ هـ.) ص ٢٠ وفيه ترجمته ـ ص ٤٣ رقم ٧ مع مصادر ترجمته.

(٣) في (ب): «بأذربيجان».

(٤) في الأوربية: عزّ الملوك فإن شاء جاراً ظلما.

(٥) الطبري ٦/٣٨٦، ٣٨٧ وفيه زيادة أبيات، نهاية الأرب ٢١/٢٠٣.

وهي أبيات عدّة؛ وقال أيضاً يذكر يزيد وفتحها:

نَفَى نيزَكاً عن باذَغِيسَ ونَيزَكٌ بمنزلَةٍ[1] أعيا المُلوكَ اغتِصابُهَا
مُحَلَّقَةٍ دونَ السَّماء كأنّها غَمامةُ صَيفٍ زَالَ[2] عنها سَحابُهَا
ولا تَبلغُ[3] الأرْوَى شماريخَها العُلى ولا الطّيرُ إلاّ نَسرُها وعُقابُهَا
وما خُوِّفتْ بالذّئبِ وِلدانُ أهلها وَلا نَبحتْ إلاّ النّجومَ كلابُهَا[4]

في أبياتٍ غيرها.

فلمّا فتحها كتب إلى الحجّاج بالفتح، وكان يكتب له يحيَى بن يَعْمر العَدْوانيُّ حليف هُذَيْل: إنّا لحِقنا العدوّ فمنحَنا اللّهُ أكتافَهم، فقتلنا طائفةً، وأسرنا طائفةً، ولحِقت طائفة برؤوس الجبال، وعراعر الأودية، فأهضام الغيطان، وأثناء الأنهار. فقال الحجّاج: مَنْ يكتب ليزيد؟ فقيل: يحيَى بن يَعْمر، فكتب إليه بحمله على البريد. فقدِم إليه أفصح الناس. فقال: أينَ وُلدتَ؟ قال: بالأهواز. [قال]: فهذه الفصاحة من أين؟ قال: حفظتُ من كلام أبي، وكان فصيحاً. قال: أخبِرْني، هل يَلْحَن عَنْبسة بن سعيد؟ قال: نعم كثيراً. قال: ففلان؟ قال: نعم. قال: فأخبِرْني هل أَلْحنُ؟ قال: نعم تَلْحن لَحناً خفيّاً، تزيد حرْفاً، وتُنقص حرفاً، وتجعل أنْ في موضع إنْ، وإنْ في موضع أنْ. قال: قد أجّلتك ثلاثاً، فإنْ وجدتك بأرض العراق قتلتُك. فرجع إلى خُراسان[5].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة غزا عبدُ الله بن عبد الملك الرومَ ففتح المَصِّيصَة وبنى حِصنها، ووضع بها ثلاثمائة مقاتل من ذوي البأس، ولم يكن المسلمون سكنوها قبل ذلك، وبنى مسجدها[6].

(١) في الأوربية: «وينزل بمنزله».
(٢) الطبري، نهاية الأرب: «زلّ».
(٣) الطبري، نهاية الأرب: «يبلغ».
(٤) الطبري ٣٨٧/٦ مع أبيات أخرى، نهاية الأرب ٢٠٣/٢١.
(٥) الطبري ٣٨٧/٦، ٣٨٨، نهاية الأرب ٢٠٣/٢١، ٢٠٤.
(٦) فتوح البلدان ١٩٦، تاريخ اليعقوبي ٢٨٢/٢، تاريخ الطبري ٣٨٥/٦، الخراج وصناعة الكتابة ٣٠٧، نهاية الأرب ٢٠٤/٢١، تاريخ العظيمي ١٩٤، تاريخ الإسلام (٨١ ـ ١٠٠ هـ.) ص ٢١، البداية والنهاية ٥٢/٩.

وحجّ بالناس هذه السنة هشامُ بن إسماعيل[1].

وكان العُمّال مَنْ تقدّم ذكرهم[2].

وفيها غزا محمّد بن مروان أرمينية[3].

[الوَفَيَات]

وفيها مات عبدُ الله بن الحارث[4] بن نَوْفل الملقّب ببَبَّة بعُمان، وكان يسكن البصرة، وكان مولده على عهد رسول الله ﷺ.

---

(١) تاريخ خليفة ٢٩٠، المحبّر ٢٥، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٨١، تاريخ الطبري ٦/٣٨٤، مروج الذهب ٤/٣٩٩، تاريخ العظيمي ١٩٤، نهاية الأرب ٢١/٢٦٣.

(٢) الطبري ٦/٣٨٤.

(٣) تاريخ خليفة ٢٩٠، تاريخ العظيمي ١٩٤، البداية والنهاية ٩/٥٢.

(٤) انظر عن (عبد الله بن الحارث) في: تاريخ الإسلام (٨١ - ١٠٠ هـ.) ص ١٠٥ رقم ٦٥ وفيه مصادر ترجمته.

٨٥
ثم دخلت سنة خمسٍ وثمانين

ذكر هلاك عبد الرحمن بن محمّد بن الأشعث

لمّا انصرف عبد الرحمن إلى رُتبيل من هَراة قال له علقمة بن عَمرو الأوْديّ: ما أريد أن أدخل معك لأنّي أتخوّف عليك وعلى مَنْ معك، [والله] لكأنّي بالحجّاج وقد كتب إلى رُتبيل يرغّبه ويُرَهّبه، فإذا هو قد بعث بك سَلْماً أو قَتلكم، ولكن معي خمسمائة قد تبايعنا[1] على أنْ ندخل مدينة نتحصّن بها حتّى نُعْطَى الأمان، أو نموت كراماً، ولم يدخل إلى بلاد رُتبيل معه، وخرج هؤلاء الخمسمائة، وجعلوا عليهم مودوداً البصْريَّ، وقدِم عليهم عُمارة بن تميم اللخميُّ فحاصرهم، فامتنعوا حتّى آمنهم، فخرجوا إليه، فوفى لهم.

وتتابعت كُتُب الحجّاج إلى رُتبيل في عبدِ الرحمن: أن ابعثْ به إليّ وإلاّ والذي لا إله غيره لأوطئنّ أرضك ألفَ ألفِ مقاتل.

وكان مع عبد الرحمن رجل من تميم يقال له عُبيد بن سُبيع التميميُّ، وكان رسوله إلى رُتبيل، فخصّ برُتبيل وخفّ عليه، فقال القاسم بن محمّد بن الأشعث لأخيه عبد الرحمن: إنّي لا آمن غدر هذا التميميّ فاقتلْه. فخافه عُبيد ووشى به إلى رُتبيل، وخوّفه الحجّاجَ، ودعاه إلى الغدر بابن الأشعث وقال له: أنا آخذ لك من الحجّاج عهداً ليكفّنّ عن أرضك سبْع سِنين، على أن تدفع إليه عبد الرحمن. فأجابه إلى ذلك، فخرج عُبَيد إلى عُمارة سرّاً، فذكر له ما استقرّ مع رُتبيل وما بذل له، وكتب عُمارة إلى الحجّاج بذلك، وأجابه إليه أيضاً، وبعث رُتبيل برأس عبد الرحمن إلى الحجّاج.

وقيل: إنّ عبد الرحمن كان قد أصابه السلّ فمات، فأرسل رُتبيل إليه، فقطع رأسه قبل أن يُدْفَن، وأرسله إلى الحجّاج.

---

(١) في الأوربية: «تباعينا».

وقد قيل: إنّ رُتبيل لما صالح عُمارةَ بن تميم اللخميَّ على ابن الأشعث، كتب عُمارة إلى الحجّاج بذلك، فأطلق له خراج بلاده عشر سنين، فأرسل رُتبيل إلى عبد الرحمن وثلاثين من أهل بيته، فحضروا فقيّدهم وأرسلهم إلى عُمارة، فألقى عبد الرحمن نفسه من سطح قصر، فمات فاحتزّ رأسه وسيّره إلى الحجّاج، فسيّره الحجّاج إلى عبد الملك، وسيّره عبد الملك إلى أخيه عبد العزيز؛ فقال بعض الشعراء:

هيهات موضعُ جثّةٍ مِن رأسِها ... رأسٌ بمصرَ وجُثّةٌ بالرُّخَّجِ[1]

وقيل: إنّ هلاك عبد الرحمن كان سنة أربعٍ وثمانين.

ذكر عزل يزيد بن المهلّب عن خُراسان وولاية أخيه المفضّل

وفي هذه السنة عزل الحجّاجُ يزيدَ بن المهلّب عن خُراسان.

وكان سبب عزله إيّاه أنّ الحجّاج وفد إلى عبد الملك، فمرّ في طريقه براهب فقيل له: إنّ عنده علماً، فدعا به وسأله هل تجدون في كتبكم ما أنتم فيه ونحن؟ قال: نعم. قال: مسمًّى أم موصوف؟ فقال: كلّ ذلك نجده موصوفاً بغير اسم، ومسمًّى بغير صفة. قال: فما تجدون صفة أمير المؤمنين؟ قال: نجده في زماننا: ملك أفرعْ، مَن يقم لسبيله يُصرعْ. قال: ثمّ مَنْ؟ قال: اسم رجل يقال له الوليد، ثمّ رجل اسمه اسم نبيّ يُفتح به على الناس. قال: أفتعلم من يلي بعدي؟ قال: نعم، رجل يقال له يزيد. قال: أفتعرف صفته؟ قال: يغدر غدرة، لا أعرف غير هذا. فوقع في نفسه أنّه يزيد بن المهلّب، ثمّ سار وهو وَجِلٌ من قول الراهب، ثمّ عاد وكتب إلى عبد الملك يذمّ يزيد وآل المهلّب، ويُخبره أنّهم زُبَيريّة. فكتب إليه عبد الملك: إنّي لا أرى طاعتهم لآل الزُّبير نقصاً بآل المهلّب، ووفاؤهم لهم يدعوهم إلى الوفاء لي.

فكتب إليه الحجّاج يخوّفه غدره وبما قال الراهب. فكتب عبد الملك إليه: إنّك قد أكثرتَ في يزيد وآل المهلّب، فسمّ لي رجلاً يصلح لخُراسان. فسمّى قُتَيْبة بن مسلم، فكتب إليه أن وَلِّهِ.

وبلغ يزيدَ أنّ الحجّاج عزله، فقال لأهل بيته: مَنْ تَرَوْن الحجّاج يولّي خُراسان؟

---

(١) الطبري ٦/٣٨٩ ـ ٣٩١، تاريخ الإسلام (٨١ ـ ١٠٠ هـ.) ص ٢٢، ٢٣، وفي البدء والتاريخ ٦/٣٧، والتنبيه والإشراف ٢٧٣.

يا بُعْدَ مصرع جثّة من رأسها ... رأسٌ بمصر وجُثّة بالرُّخَّجِ.

وزاد في التنبيه:

قتلوه بغياً ثم قالوا: بايعوا ... وجرى البريد برأس أروع أبْلج

قالوا: رجلاً من ثقيف. قال: كَلاّ، ولكنّه يكتب إلى رجل منكم بعهده، فإذا قدِمتُ عليه عزله، وولّى رجلاً من قيس[1]، وأخلِقْ بقتيبة بن مسلم.

فلمّا أذِن عبد الملك في عزل يزيد كره أن يكتب إليه بعزله، فكتب إليه يأمره أن يستخلف أخاه المفضَّل ويُقبل إليه.

واستشار يزيدُ حُضَينَ بن المنذر الرَّقاشيَّ، فقال له: أقِمْ واعتلّ، واكتب إلى أمير المؤمنين ليُقرّك، فإنّه حسن الحال والرأي فيك. قال يزيد: نحن أهل بيت قد بورك لنا في الطاعة، وأنا أكره الخلاف. فأخذ يتجهّز، فأبطأ، فكتب الحجّاج إلى المفضّل: إنّي قد ولّيتُك خُراسان. فجعل المفضَّل يستحثّ يزيد، فقال له يزيد: إنّ الحجّاج لا يُقرّك بعدي، وإنّما دعاه إلى ما صنع مخافة أن امتنع عليه، وستعلم.

وخرج يزيد في ربيع الآخر سنة خمسٍ وثمانين، وأقرّ الحجّاجُ أخاه المفضّل تسعة أشهر، ثمّ عزله.

وقد قيل: إنّ سبب عزله أنّ الحجّاج لمّا فرغ من عبد الرحمن بن الأشعث لم يكن له همّ إلّا يزيد بن المهلّب وأهل بيته، وقد كان أذلّ أهل العراق كلّهم إلّا آل المهلّب ومَنْ معهم بخُراسان، وتخوّفه على العراق، وكان يبعث إليه ليأتيه فيعتلّ عليه بالعدوّ والحروب، فكتب الحجّاج إلى عبد الملك يشير عليه بعزل يزيد، ويُخبره بطاعتهم لآل الزّبير، فكتب إليه عبد الملك بنحو ما تقدّم، وساق باقي الخبر كما تقدّم؛ وقال حُضَين ليزيد:

أمَرْتُكَ أمراً حازِماً فَعَصَيتَني ... فأصبَحتَ مَسلوبَ الإمارَةِ نادِمَا
فما أنا بالباكي عَلَيكَ صَبابَةً ... وَما أنا بالدّاعي لترْجِعَ سالمَا[2]

قال: فلمّا قدِم قُتيبة خُراسان قال لحُضين: ما قلتَ ليزيد؟ قال: قلتُ:

أمَرْتُكَ أمراً حازِماً فعَصَيتَني ... فنَفسَكَ أوْلِ[3] اللَّوْمَ إنْ كنتَ لائِمَا
فإن يبلغِ الحجّاجَ أن قد عصَيتَهُ ... فإنّكَ تَلقى أمرَهُ مُتَفاقِمَا

قال: فماذا أمرته به [فعصاك]؟ قال: أمرته أن لا يدع صفراء ولا بيضاء إلّا حملها إلى الأمير. قال بعضهم: فوجده قُتَيبة قارحاً[4].

---

(١) في (ر): «ثقيف».
(٢) الطبري ٦/٣٩٦.
(٣) في الأوربية: «ودّ».
(٤) الطبري ٦/٣٩٦.

وقيل: كتب الحجّاج إلى يزيد: اغزُ خُوارِزم، فكتب: إنّها قليلة السَّلَب، شديدة الكلَب. فكتب إليه الحجّاج: استخلِفْ واقدِمْ. فكتب: إنّي أريد أن أغزو خُوارزم. فكتب الحجّاج: لا تغزُها[1]، فإنّها كما ذكرتَ. فغزا ولم يُطِعْه، فصالحه أهلُها وأصاب سبْياً، وقفل في الشتاء، وأصاب الناسَ بردٌ، فأخذوا ثياب الأسرى، فمات ذلك السبْي. فكتب إليه الحجّاج أن اقدمْ. فسار إليه، فكان لا يمرّ ببلد إلّا فرش أهله الرياحين[2].

(حُضَين بن المنذر: بالحاء المهملة المضمومة، والضاد المعجمة المفتوحة، وآخره نون).

ذكر غزو المفضّل باذَغيس وآخرون

لمّا ولي المفضَّل خُراسان غزا باذَغيس ففتحها، وأصاب مغنماً فقسّمه، فأصاب كلّ رجل ثماني مائة. ثمّ غزا آخرون وشومان، فغنِم وقسّم ما أصاب، ولم يكن للمفضّل بيت مال، كان يعطي الناس كلّما جاء شيء، وإن غنِم شيئاً قسّمه بينهم[3].

ذكر مقتل موسى بن عبد الله بن خازم

في هذه السنة قُتل موسى بن عبد الله بن خازم بتِرْمِذ.

وكان سبب مصيره إلى ترمذ أنّ أباه لما قتل مَنْ قتل من بني تميم، وقد تقدّم ذِكر ذلك، تفرّق عنه أكثر مَن كان معه منهم، فخرج إلى نَيْسابور، وخاف بني تميم على ثَقَله بمَرْو، فقال لابنه موسى: خذْ ثَقَلي واقطعْ نهر بَلْخ حتّى تلتجىء إلى بعض الملوك، وإلى حصنٍ تُقيم[4] فيه. فرحل موسى عن مرو في عشرين ومائتي فارس، واجتمع إليه تتمّة أربعمائة، وانضمّ[5] إليه قوم من بني سُلَيْم، فأتى زَمَّ[6]، فقاتله أهلُها، فظفر بهم فأصاب مالاً، وقطع النهر، وأتى بخارى، فسأل صاحبَها أن يلجأ إليه فأبَى. فخافه وقال: رجل فاتك وأصحابه مثله فلا آمنه. ووصله وسار، فلم يأتِ ملكاً يلجأ إليه إلّا كره مُقامه عنده، فأتى سمرقند فأقام بها، وأكرمه ملكها طَرْخُون، وأذِن له في المقام، وأقام ما شاء الله.

---

(١) في الأوربية: «تغزيها».
(٢) الطبري ٦/٣٩٣ ـ ٣٩٦، نهاية الأرب ٢١/٢٦٣ ـ ٢٦٥.
(٣) الطبري ٦/٣٩٧.
(٤) في الأوربية: «تقوم».
(٥) في الأوربية: «وانضمّوا».
(٦) في (ب): «رهر» و (ر): «ذمّة».

ولأهل الصُّغْد مائدة يوضع عليها لحم وخلّ وخبز وإبريق شراب، وذلك كلّ عام يوماً، يجعلون ذلك لفارس الصُّغد، فلا يقربه غيره، فإن أكل منه أحد بارزه، فأيّهما قتل صاحبه فالمائدة له. فقال رجل من أصحاب موسى: ما هذه المائدة؟ فأخبر، فجلس فأكل ما عليها، وقيل لصاحب المائدة، فجاء مغضباً وقال: يا عربيّ بارزْني! فبارزه فقتله صاحب موسى، فقال ملك الصُّغْد: أنزلتكم وأكرمتكم فقتلتم فارسي، لولا أنّي آمنتُك وأصحابك لقتلتكم، اخرجوا عن بلدي. فخرجوا.

فأتَى كِشَّ، فضعُف صاحبها عنه، فاستنصر طَرْخُونَ فأتاه، فخرج موسى إليه وقد اجتمع معه سبعمائة فارس، فقاتلهم حتّى أمسوا وتحاجزوا، وبأصحاب موسى جراح كثيرة، فقال لـزُرْعة بن علقمة: احتل[1] لنا على طرخون. فأتاه فقال: أيّها الملك ما حاجتك إلى أن تقتل موسى وتُقتَل معه، فإنّك لا تصل إليه حتّى يقتلوا [مثل] عدّتهم منكم، ولو قتلته وإيّاهم جميعاً (ما نِلْتَ حظّاً)[2]، لأنّ له قدراً في العرب، فلا يأتي أحد خُراسان إلاّ طالبك بدمه. فقال: ليس لي إلى ترك كشّ في يده سبيل. قال: فكفّ عنه حتّى يرتحل. فكفّ.

وسار موسى فأتَى تِرْمِذ وبها حصن يُشرف على جانب النهر، فنزل موسى خارج الحصن، وسأل تِرْمِذشاه أن يُدْخله حصنه، فأبَى، فأهدى له موسى ولاطفه حتّى حصل بينهما مودّة، وخرج فتصيّد معه. فصنع صاحب تِرْمِذ طعاماً، وأحضر موسى ليأكل معه، ولا يحضر إلاّ في مائة من أصحابه، فاختار موسى مائة من أصحابه، فدخلوا الحصن وأكلوا، فلمّا فرغوا قال له: اخرجْ، قال: لا أخرج حتّى يكون الحصن بيتي أو قبري. وقاتلهم فقتل منهم عدّةً، وهرب الباقون، واستولى موسى عليها، وأخرج ترمذشاه منها، ولم يعرض له ولا لأصحابه، فأتوا التُّرك يستنصرونهم على موسى، فلم ينصروهم وقالوا: لا نقاتل هؤلاء. وأقام موسى بتِرْمِذ، فأتاه جمعٌ من أصحاب أبيه فقوي بهم. فكان يخرج فيغير على ما حوله.

ثمّ وليَ بُكَير بن وَسّاج خُراسان، فلم يعرض له، ثمّ قدِم أميّة فسار بنفسه يريد مخالفة بُكَير فرجع، على ما تقدّم ذكره. ثمّ إنّ أميّة وجّه إلى موسى بعد صُلْح بُكَير رجلاً من خُزاعة في جمْعٍ كثير، وعاد أهل تِرْمذ إلى التُّرك، فاستنصروهم وأعلموهم أنه قد غزاهُ قوم من العرب وحصروه. فسارت التُّركُ في جمع كثير إلى الخُزاعيّ، فأطاف بموسى التُّركُ والخُزاعيُّ، فكان يقاتل الخزاعيَّ أوّل النهار، والتُّركَ آخر النهار، فقاتلهم

---

(١) في الأوربية: «احتال».
(٢) في الأوربية: «فإنّك خطأ».

شهـرَين أو ثلاثـة. ثمّ إنّه أراد أن يبيّت الخـزاعيَّ وعسكره، فقـال له عَمْـرو بن خـالـد بن حُصَين الكـلابيُّ: ليكن البيات بـالعجم، فإنّ العـرب أشدّ حـذراً وأجرأ على الليـل، فإذا فرغنا من العجم تفرّغنا للعرب.

فأقام حتّى ذهب ثُلثُ الليل، وخرج مـوسى في أربعمائـة، وقال لعَمـرو بنِ خالـد: اخرجْ بعدنا، فكن أنت ومَنْ معك قريباً، فإذا سمعتم تكبيرنا فكبّروا. ثمّ سـار حتّى ارتفع فـوق عسكر التُّرك، ورجع إليهم، وجعـل أصحـابـه أربـاعـاً، وأقبـل إليهم، فلمّـا رآهم أصحاب الأرصاد قالوا: مَنْ أنتم؟ قالوا: عابرو سبيـل. فلمّا جـاوزوا الرَّصـد حملوا على التُّرك وكبّروا، فلم يشعر التُّرك إلاّ بوقْع السيوف فيهم، فساروا يقتل بعضهم بعضاً وولّـوا، فأُصيب من المسلمين ستّة عشر رجلاً، وحـووا عسكرهم، وأصـابوا سـلاحاً كثيـراً ومالاً، وأصبـح الخزاعيّ وأصحـابه وقـد كسرهم ذلـك، فخافـوا مثلهـا، فقـال عَمـرو بن خـالـد لموسى: إنّنا لا نـظفر إلاّ بمكيـدة، ولهم أمداد وهم كثيـرون، فدعْني آتِـهِ، لعلّي أُصيب فرصة فاضربْني وخلاك ذمٌّ. فقال لـه موسى: تتعجّـل الضرب وتتعـرّض للقتل. قـال: أمّا التعرّض للقتل، فأنا كـلّ يوم متعـرّض له، وأمّـا الضرب، فمـا أيسره في جنب مـا أريد. فضـربه مـوسى خمسين سوطـاً، فخرج من عسكـر موسى وأتى عسكـر الخُزاعيّ مستـأمناً وقـال: أنا رجـل من أهل اليمن كنتُ مـع عبد الله بن خـازم، فلمّا قُتـل أتيتُ ابنـه فكنتُ معـه، وإنّه اتّهمني وقـال: قـد تعصّبتَ لعـدوّنـا وأنت عين لـه، فضـربني ولم آمنِ القتـل فهربتُ منه. فآمنه الخزاعيُّ وأقام معه، فدخل يوماً وهو خالٍ، ولم يرَ عنده سلاحاً، فقال كأنّه ينصح له: أصلح اللّهُ الأميـر، إنّ مثلك في مثل هـذه الحال لا ينبغي أن يكـون بغير سلاح. قال: إنّ معي سلاحاً. فرفع طرف فراشه فإذا سيف منتضى، فأخذه عَمرو فضربـه حتّى قتله، وخرج فركب فـرسه وأتى مـوسى، وتفرّق ذلـك الجيش، وأتَى بعضهم موسى مستأمناً فآمنه، ولم يوجّه إليه أميّة أحداً.

وعُزل أميّة وقـدِم المهلّب أميراً، فلم يتعـرّض لموسى وقـال لبنيه: إيّـاكم وموسى، فإنّكم لا تزالون وُلاة خراسان ما دام هذا الثَّبط بمكانه، فإن قُتـل فأوّل طـالع عليكم أميـر على خُراسان من قيس. فلمّا مات المهلّب ووليَ يزيد لم يتعرّض أيضاً لموسى.

وكـان المهلّب قد ضرب حُرَيْث بن قُـطْبَة الخُـزاعيَّ، فخرج هـو وأخوه ثـابت إلى مـوسى، فلمّا وليَ يـزيد بن المهلّب أخـذ أمـوالهمـا وحُـرَمَهمـا، وقتـل أخاهمـا لأمّهمـا الحارث بن مُنْقذ. فخرج ثابت إلى طَرْخون، فشكا إليه ما صنع بـه، وكان ثـابت محبوبـاً إلى التُّرك بعيد الصـوت فيهم، فغضب له طـرخون وجمـع له نَيْـزَك والسَّبل وأهـل بخارى والصَّغانيان، فقدِموا مـع ثابت إلى مـوسى، وقد اجتمـع إلى موسى فَـلّ عبد الـرحمن بن

العبّاس من هَراة، وفلّ ابن الأشعث من العراق، ومن ناحية كابُل، فاجتمع معه ثمانية آلاف، فقال له ثابت وحُرَيْث: سِر حتّى تقطع النهر، وتُخْرِج يزيد عن خُراسان ونولّيك. فهمّ[1] أن يفعل، فقال له أصحابه: إن أخرجت يزيد عن خراسان تولّى ثابت وأخوه خراسان وغلباك عليها. فلم يسرْ وقال لثابت وحُريث: إن أخرجنا يزيد قدِم عامل لعبد الملك، ولكنّا نخرج عمّال يزيد عمّا وراء النهر، ويكون لنا، فأخرجوا عمّال يزيد عمّا وراء النهر وجبوا الأموال، فقوي أمرهم، وانصرف طرخون ومن معه، واستبدّ ثابت وحُريث بتدبير الأمر، والأمير موسى ليس له غير الاسم.

فقيل لموسى: ليس لك من الأمور شيء، والأمور إلى ثابت وحُريث فاقتلهما وتولّ الأمر. فأبَى، فألحّوا عليه حتّى أفسدوا قلبه عليهما، وهمّ بقتلهما.

فإنّهم لفي ذلك إذ خرج عليهم الهياطلة والتُّبّت والتُّرك في سبعين ألفاً لا يعدّون الحاسر، ولا صاحب البيضة الجمّاء، ولا يعدّون إلّا صاحب بيضة ذات قَوْنس. فخرج ابن خازم وقاتلهم فيمَنْ معه، ووقف ملك التُّرك على تلّ في عشرة آلاف في أكمل عدّة، والقتال أشدّ ما كان، فقال موسى: إن أزلتم هؤلاء فليس الباقون بشيء. فقصد لهم حُرَيث بن قُطْبة فقاتلهم وألحّ عليهم حتّى أزالهم عن التلّ، ورُمي حُرَيث بنشّابة في جبهته، فتحاجزوا، فبيّتهم[2] موسى، وحمل أخوه خازم بن عبد الله بن خازم حتّى وصل إلى شمعة ملكهم، فوجأ رجلاً منهم بقبيعة سيفه، فطعن فرسه، فاحتمله الفرس، فألقاه في نهر بَلْخ، فغرق، وقُتل من التُّرك خلْق كثير، ونجا مَن نجا منهم بشرّ، ومات حُريث بعد يومين.

ورجع موسى وحمل معه الرؤوس فبنى منها جوسَقَين. وقال أصحاب موسى: قد كُفينا أمر حُريث، فاكفِنا أمر ثابت. فأبَى، وبلغ ثابتاً بعض ما يخوضون فيه، فدسّ محمّدَ بن عبد الله الخُزاعيَّ - عمَّ نصر بن عبد الحميد، عامل أبي مسلم على الريّ - على موسى، وقال: إيّاك أن تتكلّم بالعربيّة، وإن سألوك فقلْ: أنا من سبي الباميان. ففعل ذلك واتّصل بموسى، وكان يخدمه وينقل إلى ثابت خبرهم، فحذر ثابت، وألحّ القوم على موسى. فقال لهم ليلة: لقد أكثرتم عليّ وفيما تريدون هلاككم، فعلى أيّ وجه تقتلونه، و[أنا] لا أغدر[3] به؟ قال له أخوه نوح: إذا أتاك غداً عدلنا به إلى بعض الدور، فضربنا عُنقه فيها قبل أن يصل إليك. فقال: والله إنّه هلاككم، وأنتم أعلم.

---

(١) في الأوربية: «منهم».
(٢) في الأوربية: «وتحاجز بينهم».
(٣) في الأوربية: «غدر».

فخرج الغلام فأتَى ثابتاً فأخبره، فخرج من ليلته في عشرين فارساً ومضى. وأصبحوا فلم يروه ولم يروا الغلام، فعلموا أنّه كان عيناً له.

ونزل ثابت بحوشرا[1]، واجتمع إليه خلق كثير من العرب والعجم، فأقبل موسى إليه وقاتله، وتحصّن ثابت بالمدينة، وأتاه طرخون معيناً له، فرجع موسى إلى تِرْمِذ، وأقبل ثابت وطرخون ومعهما أهل بُخارى ونسَف وكِشّ، فاجتمعوا في ثمانين[2] ألفاً، فحصروا موسى حتّى جهِد هو وأصحابه، فلمّا اشتدّ عليهم قال يزيد بن هُذَيل: والله لأقتلنّ ثابتاً أو لأموتنّ. فخرج إلى ثابت فاستأمنه، فقال له ظُهَير: أنا أعرَف بهذا منك، ما أتاك إلّا بغدره فاحذرْه، فأخذ ابنَيْه قُدامة والضحّاك رهناً، فكانا في يد ظُهَير.

وأقام يزيد يلتمس غِرّة ثابت، فلم يقدر على ما يريد، حتّى مات ابن لـزياد القَصير الخزاعيّ، فخرج ثابت إليه ليعزّيه وهو بغير سلاح، وقد غابت الشمس، فدنا يزيد من ثابت فضربه على رأسه، فوصل إلى الدماغ وهرب فسلم، وأخذ طرخون قُدامة والضحّاك ابنَيْ يزيد فقتلهما، وعاش ثابت سبعة أيّام ومات، وقام بأمر العجم بعد موت ثابت طرخون، وقام ظُهَير بأمر أصحاب ثابت، فقاما قياماً ضعيفاً، وانتشر أمرهم وأجمع موسى على بياتهم، فأُخبر طرخون بذلك فضحك وقال: موسى يعجز أن يدخل متوضّأه فكيف يبيّتنا؟ لا يحرس الليلة أحد.

فخرج موسى في ثمانمائة وجعلهم أرباعاً وبيّتهم، وكان لا يمرّ بشيء إلّا ضربوه من رجل ودابّة وغير ذلك، فلبس نيزك سلاحه ووقف، وأرسل طرخون إلى موسى أن كفّ أصحابك فإنّا نرحل إذا أصبحنا. فرجع موسى وارتحل طرخون والعجم جميعاً.

فكان أهل خُراسان يقولون: ما رأينا مثل موسى ولا سمعنا به، قاتل مع أبيه سنتَين، ثمّ خرج يسير في بلاد خُراسان، فأتَى ملكاً فغلب على مدينته وأخرجه منها، وسار الجنود من العرب والترك إليه، وكان يقاتل العرب أوّل النهار والترك آخر النهار.

وأقام موسى في الحصن خمس عشرة سنة، وصار ما وراء النهر لموسى لا ينازعه فيه أحد.

فلمّا عُزل يزيد بن المهلّب ووليَ المفضَّل أراد أن يَحْظى عند الحجّاج بقتال موسى بن عبد الله، فسيّر عثمانَ بنَ مسعود إليه في جيش، وكتب إلى مُدْرِك بن المهلّب وهو ببلخ يأمره بالمسير معه، فعبر النهر في خمسة عشر ألفاً، فكتب إلى السُّبُل وإلى

(١) في (ب): «بخوش»، و (ر): «بخشور» و (آ) ونسخة بودليان: «بحشور».
(٢) في (ر): «ثلاثين».

طرخون فقدِموا عليه، فحصروا موسى وضيّقوا عليه وعلى أصحابه.

فمكث شهرَين في ضيق، وقد خندق عثمان عليه وحذِر البيات، فقال موسى لأصحابه: اخرجوا بنا، حتّى متى نصبر! فاجعلوا يومكم معهم إمّا ظفرتم وإمّا قُتلتم واقصدوا الترك. فخرجوا وخلّف النَّضْر بن سليمان بن عبد الله بن خازم في المدينة، وقال له: إن قُتلتُ فلا تدفعنّ المدينة إلى عثمان وادفعها إلى مُدْرك بن المهلّب. وخرج وجعل ثلث أصحابه بإزاء عثمان، وقال: لا تقاتلوه إلاّ أن يقاتلكم. وقصد لطرخون وأصحابه فصدقوهم القتال، فانهزم طرخون وأخذوا عسكرهم، وزحفت التُرك والصُّغْد فحالوا بين موسى والحصن، فقاتلهم، فعقروا فرسه فسقط، فقال لمولى له: احملْني. فقال: الموت كريه ولكن ارتدف، فإنْ نجونا نجونا جميعاً، وإن هلكنا هلكنا جميعاً. قال: فارتدف، فلمّا نظر إليه عثمان حين وثب قال: وثبة موسى وربّ الكعبة! وقصد إلى موسى، وعُقرت دابّة موسى فسقط هو ومولاه، فقتلوه، ونادى منادي عثمان: مَنْ لقيتموه فخذوه أسيراً ولا تقتلوا أحداً.

فقَتل ذلك اليوم من الأسرى خلقاً كثيراً من العرب خاصّة، فكان يقتل العرب ويضرب المولى ويطلقه، وكان فظّاً غليظاً.

وكان الذي أجهز على موسى واصل بن طَيْسَلة[1] العنبريُّ.

وبقيت المدينة بيد النَّضر بن سليمان، فلم يدفعها إلى عثمان، وسلّمها إلى مُدْرك بن المهلّب وآمنه، فسلّمها مدرك إلى عثمان، وكتب المفضَّل إلى الحجّاج بقتل موسى. فقال: العجب منه! أكتب إليه بقتل ابن سَبرة، فيكتب إليّ أنّه لمآبه، ويكتب إليّ أنّه قد قتل موسى بن عبد الله بن خازم. ولم يسرّه قتل موسى لأنّه من قيس.

وقُتل موسى سنة خمسٍ وثمانين، وضرب رجل من الجُند ساق موسى، فلمّا وليَ قُتَيْبَة قال: ما دعاك إلى ما صنعت بفتى العرب بعد موته؟ قال: كان قتل أخي. فأمر به فقُتل[2].

ذكر موت عبد العزيز بن مروان والبيعة للوليد بولاية العهد

كان عبد الملك بن مروان أراد أن يخلع أخاه عبد العزيز من ولاية العهد، ويبايع لابنه الوليد بن عبد الملك، فنهاه عن ذلك قَبيصة بن ذُؤيب وقال: لا تفعلْ فإنّك تبعث

(١) في (ب): «طيلسة».

(٢) الطبري ٦/٣٩٨ ـ ٤١٢، نهاية الأرب ٢١/٢٦٥ ـ ٢٧٥، تاريخ الإسلام (٨١ ـ ١٠٠ هـ.) ص ٢٤، البداية والنهاية ٩/٥٦، ٥٧.

على نفسك صوت عار، ولعلّ الموت يأتيه [فتستريح منه]. فكفّ عنه ونفسه تنازعه إلى خلعه. فدخل عليه رَوْح بن زِنْباع، وكان أجلّ الناس عند عبد الملك، فقال: يا أمير المؤمنين لو خلعتَه ما انتطح فيه عنزان، وأنا أوّل مَنْ يجيبك إلى ذلك. قال: نصبح إن شاء الله. ونام رَوْح عند عبد الملك، فدخل عليهما قَبيصة بن ذؤيب وهما نائمان، وكان عبد الملك قد تقدّم إلى حجّابه أن لا يحجبوا قَبيصة عنه، وكان إليه الخاتم والسكّة تأتيه الأخبار قبل عبد الملك والكُتُب. فلمّا دخل سلّم عليه، قال: آجرك الله في عبد العزيز أخيك. قال: هل توفي؟ قال: نعم. فاسترجع ثمّ أقبل على رَوْح وقال: كفانا الله ما كنّا نريد، وكان ذلك مخالفاً لك يا قبيصة. فقال قبيصة: يا أمير المؤمنين، إن الرأي كلّه في الأناة، فقال عبد الملك: وربّما كان في العجلة خير كثير[1]، رأيتَ أمر عَمْرو بن سعيد، ألم تكن العجلة فيه خيراً[2] من الأناة؟

وكانت وفاة عبد العزيز في جُمادَى الأولى في مصر، فضمّ عبد الملك عمله إلى ابنه عبد الله بن عبد الملك وولّاه مصر.

وقيل: إنّ الحجّاج كتب إلى عبد الملك يزيّن له بيعة الوليد، وأوفد في ذلك وفداً، فلمّا أراد عبد الملك خلع عبد العزيز والبيعة للوليد كتب إلى عبد العزيز: إن رأيتَ أن يصير هذا الأمر لابن أخيك. فأبَى، فكتب إليه ليجعل الأمر له، ويجعله له أيضاً من بعده. فكتب إليه عبد العزيز: إنّي أرى في ابني أبي بكر ما ترى في الوليد. فكتب إليه عبد الملك ليحمل خراج مصر، فأجابه عبد العزيز: إنّي وإيّاك يا أمير المؤمنين قد بلغنا سنّاً لم يبلغها أحد من أهل بيتك إلّا كان بقاؤه قليلاً، وإنّا لا ندري أيّنا يأتيه الموت أوّلاً، فإن رأيتَ أن لا تفسد عليّ بقيّة[3] عمري فافعلْ. فرقّ له عبد الملك وتركه، وقال للوليد وسليمان: إنْ يُرِدِ[4] الله أن يعطيكما الخلافة لايقدر أحد من العباد على ردّ ذلك. فقال عبد الملك حيث ردّه عبد العزيز: اللهمّ إنّه قطعني فاقطعه.

فلمّا مات عبد العزيز قال أهل الشام: رُدّ على أمير المؤمنين أمره. فلمّا أتَى خبر موته إلى عبد الملك أمرَ الناسَ بالبيعة لابنَيه الوليد وسليمان، فبايعوا، وكتب بالبيعة لهما إلى البلدان. وكان على المدينة هشام بن إسماعيل، فدعا الناسَ إلى البيعة فأجابوا، إلّا سعيد بن المسيّب فإنّه أبَى وقال: لا أبايع وعبد الملك حيٌّ، فضربه هشام ضرباً مبرّحاً،

---

(١) في الأوربية: «خيراً كثيراً».
(٢) الأوربية: «خير».
(٣) في الأوربية: «نفسد عليّ بيعة».
(٤) في الأوربية: «يريد».

وطاف به وهو في تبّان شعر حتّى بلغ رأس الثنيّة التي يقتلون ويصلبون عندها، ثمّ ردّوه وحبسوه. فقال سعيد: لو ظننتُ أنّهم [لا] يصلبونني ما لبستُ[1] ثياب مسوح، ولكنّني قلت: يصلبونني فيسترني. فبلغ عبدَ الملك الخبرُ فقال: قبّحَ الله هشاماً، إنّما كان ينبغي أن يدعوه إلى البيعة، فإن أبَى أن يبايع فيضرب عنقه أو يكفّ عنه. وكتب إليه يلومه ويقول له:

إنّ سعيداً ليس عنده شقاق ولا خلاف.

وقد كان سعيد امتنع من بيعة ابن الزّبير وقال: لا أبايع حتّى يجتمع الناس. فضربه جابر بن الأسود عامل ابن الزّبير ستّين سوطاً، فبلغ ذلك ابنَ الزّبير، فكتب إلى جابر يلومه وقال: ما لنا ولسعيد، دَعْه لا تعرضْ له.

وقيل: إنّ بيعة الوليد وسليمان كانت سنة أربعٍ وثمانين، والأوّل أصحّ، قبل قدوم عبد العزيز على أخيه عبد الملك من مصر، فلمّا فارقه وصّاه عبد الملك فقال: ابسطْ بِشْرك، وألنْ كنفك، وآثر الرفق في الأمور، فهو أبلغ بك، وانظر حاجبك، وليكنْ من خير أهلك، فإنّه وجهك ولسانك، ولا يقفنّ أحد ببابك إلاّ أعلمك مكانه، لتعلم أنت الذي تأذن له أو تردّه، فإذا خرجت إلى مجلسك فابدأ جُلساءَك[2] بالكلام يأنسوا بك، وتثبت في قلوبهم محبّتك، وإذا انتهَى إليك مشكل فاستظهر عليه بالمشاورة، فإنّها تفتح مغاليق الأمور المهمّة، واعلم أن لك نصف الرأي ولأخيك نصفه، ولن يهلك امرؤ عن مشورة، وإذا سخطتَ على أحد فأخّر عقوبته، فإنّك على العقوبة بعد التوقّف عنها أقدر منك على ردّها بعد إمضائها. والسلام[3].

ذكر عدّة حوادث

حجّ بالناس هذه السنة هشام بن إسماعيل المخزوميُّ[4] وكان العامل على العراق والمشرق الحجّاج بن يوسف[5]. وفيها غزا محمّد بن مروان أرمينية، فصاف فيها وشتّى[6].

---

(١) في الأوربية: «فألبست».

(٢) في الأوربية: «جلساؤك».

(٣) الطبري ٦/٤١٣ ـ ٤١٧، نهاية الأرب ٢١/٢٧٥ ـ ٢٧٦، وانظر عن (عبد العزيز بن مروان) في: تاريخ الإسلام (٨١ ـ ١٠٠ هـ.) ص ١٣٢ رقم ٩٨ وفيه مصادر ترجمته.

(٤) تاريخ خليفة ٢٩١، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٨١، الطبري ٦/٤١٧، مروج الذهب ٤/٣٩٩، نهاية الأرب ٢١/٢٧٦، البداية والنهاية ٩/٦٠.

(٥) الطبري ٦/٤١٧.

(٦) تاريخ خليفة ٢٩١، تاريخ الإسلام (٨١ ـ ١٠٠ هـ.) ص ٢٣.

[الوَفَيات]

وفي هـذه السنـة مـات عمـرو بن حُـرَيْث[1] المخـزوميُّ.

وفيها مات عبد الله بن الحـارث[2] بن جَزء الزبيديُّ، وقيل سنة سبْع، وقيل سنة ثمانٍ وثمانين.

وفيها مات عبد الله بن عامر[3] بن ربيعة حليف بني عديّ، وكان له لما توفّي النبيّ ﷺ، أربع سنين.

(١) انـظر عن (عمـرو بن حـريث) في: تـاريخ الإسـلام (٨١ـ ١٠٠ هـ.) ص ١٦٥ رقم ١١٩ وفيـه مصـادر ترجمته.

(٢) انـظر عن (عبد الله بن الحـارث) في: تاريخ الإسـلام (٨١ ـ ١٠٠ هـ.) ص ١٠٤ رقم ٦٤ وفيـه مصـادر ترجمته.

(٣) انظر عن (عبد الله بن عامر) في: تاريخ الإسلام (٨١ ـ ١٠٠ هـ.) ص ١١٤ رقم ٧٧ وفيه مصادر ترجمته.

٨٦
ثم دخلت سنة ست وثمانين

ذكر وفاة عبد الملك

في هذه السنة توفّي عبد الملك بن مروان منتصف شوّال، وكان يقول: أخاف الموت في شهر رمضان، فيه وُلدتُ وفيه فُطمت وفيه جمعتُ القرآن، وفيه بايع لي الناس، فمات للنصف من شوّال حين أمن الموت في نفسه. وكان عمره ستّين سنة، وقيل ثلاثاً وستّين سنة، وكانت خلافته من لدن قُتل ابن الزّبَير ثلاث عشرة سنةً وأربعة أشهر إلّا سبع ليالٍ، وقيل وثلاثة أشهر وخمسة عشر يوماً[1].

ولمّا اشتدّ مرضه قال بعضُ الأطباء: إن شرب الماء مات. فاشتدّ عطشه فقال: يا وليد اسقِني ماء. قال: لا أُعين عليك. فقال لابنته فاطمة: اسقيني ماء. فمنعها الوليد. فقال: لتدعنّها أو لأخلعنّك. فقال: لم يبقَ بعد هذا شيءٌ؛ فسقته فمات. ودخل الوليد عليه وابنته فاطمة عند رأسه تبكي فقال: كيف أمير المؤمنين؟ قال: هو أصلح. فلمّا خرج قال عبد الملك:

ومستَخبِر عنّا يُريدُ لنا الرّدَى ... ومُستَخبِرات والدّموعُ سَوَاجمُ[2]

وأوصى بنيه فقال: أوصيكم بتقوى الله، فإنّها أزين حلية وأحصن كهف، ليعطِف الكبيرُ منكم على الصغير، وليعرفِ الصغير حقّ الكبير، وانظروا مَسْلمة فاصدروا عن رأيه، فإنّه نابكم الذي عنه تفترُّون[3]، ومجنّكم الذي عنه ترمون، فأكرموا الحجّاج، فإنّه الذي وطّأ لكم المنابر، ودوّخ لكم البلاد، وأذلّ الأعداء، وكونوا بني أمّ بَرَرَة[4] لا تدبّ بينكم العقارب، وكونوا في الحرب أمراراً، فإنّ القتال لا يُقرِّب مِيتةً[5]. وكونوا للمعروف

(١) الطبري ٦/٤١٨ و ٤١٩.
(٢) تاريخ الإسلام (٨١ ـ ١٠٠ هـ.) ص ١٤٣ وفيه «والعيون سواجم»، نهاية الأرب ٢١/٢٧٧.
(٣) في الأوربية: «تقترون».
(٤) في طبعة صادر ٤/٥١٨ «بُرده»، والتصويب من: تاريخ الإسلام (٨١ ـ ١٠٠ هـ.) ص ١٤٣، ونهاية الأرب ٢١/٢٧٨، وفي الفتوح لابن أعثم ٧/٢٠٢ «برة».
(٥) في تاريخ الإسلام «منيّة».

مناراً، فإنّ المعروف يبقى أجره وذكره[1]، وضعوا معروفكم عند ذوي الأحساب، فإنّهم أصْون له وأشكر لما يُؤتَى إليهم منه، وتمغّدوا ذنوب أهل الذنوب، فإنِ استقالوا فأقيلوا، وإن عادوا فانتقموا[2].

ولما توفّي دُفن خارج باب الجابية، وصلّى عليه الوليد، فتمثّل هشام:

فما كان قَيسٌ هُلْكُه هُلْكَ واحد ... ولكنّهُ بُنيانُ قَوْمٍ تَهَدّمَا[3]

فقال الوليد: اسكتْ فإنّك تتكلّم بلسان شيطان، ألا قلت كما قال أوْس بن حَجَر:

إذا مقرمٌ منّا ذرَا حَدّ نابِه ... تخمّط منّا نابُ آخر مقرم

وقيل: إنّ سليمان تمثّل بالبيت الأوّل، وهو الصحيح، لأنّ هشاماً كان صغيراً له أربع عشرة سنة. وقد رثَى الشعراء عبدَ الملك، كُثَيِّر عزّة، وغيره، فممّا قيل فيه:

سقاكَ ابنَ مروانٍ من الغيثِ مُسْبِلُ ... أجشُّ شماليٌّ يجودُ ويهطِلُ
فما في حَياةٍ بَعدَ موْتكَ رغبَةٌ ... لحُرٍّ وإن كنّا الوَليدَ نؤمّلُ

ذكر نسبه وأولاده وأزواجه

أمّا نسبه فهو أبو الوليد عبد الملك بن مروان بن الحَكَم بن أبي العاص بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مَناف.

وأمّه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أميّة.

وأمّا أولاده وأزواجه فمنهم: الوليد وسليمان ومروان الأكبر، دَرَجَ[4]، وعائشة؛ أمّهم ولّادة بنت العباس بن جَزْء بن الحارث بن زهير بن خُزَيْمَة[5] العبْسية؛ ومنهم: يزيد، ومروان، ومعاوية، دَرَجَ، وأمّ كلثوم؛ وأمّهم عاتكة ابنة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان؛ ومنهم هشام، وأمّه أمّ هشام بنت إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المُغيرة المخزوميّة، واسمها عائشة؛ ومنهم أبو بكر، وهو بكّار، أمّه عائشة بنت موسى بن طلحة بن عُبيد الله؛ ومنهم الحَكَم، دَرَجَ، أمّه أمّ أيّوب بنت عَمْرو بن عثمان بن عفّان؛ ومنهم فاطمة بنت

---

(١) في (ر): «وذخره».
(٢) في (ب): «فاشقوا». والخبر في: نهاية الأرب ٢١/٢٧٨.
(٣) الفخري ١٢٥.
(٤) دَرَجَ: أي مات صغيراً.
(٥) الطبري ٦/٤١٩، نهاية الأرب ٢١/٢٧٨ «جَذِيمة».

عبد الملك، أمّها أمّ المغيرة بنت المغيرة بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة؛ ومنهم عبدُ الله، ومَسْلمة، والمنذر، وعنبسة، ومحمّد، وسعيد الخير، والحجّاج، لأمّهات أولاد[١].

وكان له من النساء شقراء بنت مسلم[٢] بن حُلَيْس[٣] الطائيّ، وأمّ أبيها ابنة عبد الله بن جعفر بن أبي طالب. وقيل: كان عنده ابنة لعليّ بن أبي طالب، ولا يصحّ.

ذكر بعض أخباره

كان عبد الملك عاقلاً حازماً أديباً لبيباً عالماً.

قال أبو الزياد: كان فقهاء المدينة أربعة: سعيد بن المسيّب، وعُروة بن الزّبَير، وقَبيصة بن ذُؤيب، وعبد الملك بن مروان. وقال الشّعبيُّ: ما ذاكرتُ أحداً إلاّ وجدتُ لي الفضل عليه إلاّ عبد الملك، فإنّي ما ذاكرتُه[٤] حديثاً إلاّ زادني فيه، ولا شِعراً إلاّ زادني فيه[٥]. وقال جعفر بن عُقْبَة الخطائيُّ: قيل لعبد الملك: أسرع إليك الشّيْبُ. فقال: شيّبني[٦] ارتقاء المنابر وخوف اللحن.

وقال عبد الملك: ما أعلم أحداً أقوى على هذا الأمر منّي، إنّ ابن الزّبير لَطويل الصلاة، كثير الصيام، ولكن لبُخْله لا يصلح أن يكون سائساً[٧].

قال أبو مُسْهِر: قيل لعبد الملك في مرضه: كيف تجدك؟ قال: أجدني كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾[٨] الآية. وقال المفضّل بن فَضالة عن أبيه: استأذن قومٌ على عبد الملك بن مروان وهو شديد المرض، فدخلوا عليه وقد أسنده خصِيّ إلى صدره، فقال لهم: إنكم دخلتم عليّ عند إقبال آخرتي وإدبار دُنياي، وإنّي تذكّرتُ أرجى عمل لي فوجدتها غزوة

---

(١) في الأوربية: «الأولاد».
(٢) الطبري «سلمة».
(٣) في (ر): «جلس»، والطبري، ونهاية الأرب «حلبس».
(٤) في الأوربية: «ذاكرت».
(٥) تاريخ الإسلام (٨١ ـ ١٠٠ هـ.) ص ١٣٩، نهاية الأرب ٢١/٢٧٩، الفخري ١٢٤.
(٦) في الأوربية: «شيبتني».
(٧) الطبري ٦/٤٢٢.
(٨) سورة الأنعام، الآية ٩٤.

غزوتها في سبيل الله وأنا خِلوٌ من هذه الأشياء، فإيّاكم وإيّا أبوابنا هذه الخبيثة أن تطيفوا بها.

وقال سعيد بن عبد العزيز التنوخيُّ: لمّا نزل بعبد الملك بن مروان الموتُ أمر بفتح باب قصره، فإذا قصّار يقصّر ثوباً فقال: يا ليتني كنتُ قصّاراً! يا ليتني كنتُ قصّاراً! مرّتين. فقال سعيد بن عبد العزيز: الحمد لله الذي جعلهم يفزعون إلينا ولا نفزع إليهم.

وقال سعيد بن بشير: إنّ عبد الملك حين ثقُل جعل يلوم نفسَه ويضرب يده على رأسه، وقال: وددتُ أنّي كنتُ أكتسب يوماً بيوم ما يقوتني وأشتغل بطاعة الله، فذُكر ذلك لابن خازم، فقال: الحمد لله الذي جعلهم يتمنّون عند الموت ما نحن فيه، ولا نتمنّى عند الموت ما هم فيه. وقال مسعود بن خَلَف: قال عبد الملك بن مروان في مرضه: والله وددتُ أنّي عبدٍ لرجلٍ من تِهامة أرعى غنماً في جبالها، وأنّي لم أكُ شيئاً.

وقال عِمران بن موسى المؤدّب: يُروَى أنّ عبد الملك بن مروان لمّا اشتدّ مرضُه قال: ارفعوني على شَرَف. ففُعل ذلك. فتنسّم الروح ثمّ قال: يا دنيا ما أطيبَك! إنّ طويلك لقصير، وإنّ كبيرك لحقير، وإن كنّا منك لفي غرور! وتمثّل بهذين البيتين:

إن تناقشْ يكنْ نقاشُك يا رَ ... بّ عذاباً، لا طَوقَ لي بالعَذابِ
أوْ تجاوزْ فأنْتَ رَبٌّ صَفُوحٌ ... عَن مُسِيءٍ ذُنُوبُهُ كالتّرابِ[1]

ويُروَى أنّ هذه الأبيات تمثّل بها معاوية، ويحقّ لعبد الملك أن يحذر هذا الحذر ويخاف، فإنّ مَنْ يكن الحجّاج بعض سيئاته يعلم على أيّ شيء يقدم عليه.

قال عبد الملك لسعيد بن المسيّب: يا أبا محمّد صرتُ أعمل الخير فلا أُسرّ به، وأصنع الشرّ فلا أُساء به. فقال: الآن تكامل فيك موت[2] القلب.

وكان عبد الملك أوّل مَن غدر في الإسلام[3]، وقد تقدّم فِعْله بعَمْرو بن سعيد. وكان أوّل من نقل الديوان من الفارسيّة إلى العربيّة[4]، وأوّل مَن نهَى عن الكلام في حضرة الخلفاء، وكان الناس قبله يراجعونهم[5]، وأوّل خليفةٍ بَخِل، وكان يقال له: رَشْح

---

(١) الفخري ١٢٥، البداية والنهاية ٦٨/٩.
(٢) الأوربية: «الموت».
(٣) الأوائل للعسكري ١٦٩، نهاية الأرب ٢١/ ٢٨٠، فوات الوفيات ٢/ ٤٠٤.
(٤) الأوائل ١٧٥، نهاية الأرب ٢١/ ٢٨٠، فوات الوفيات ٢/ ٤٠٣.
(٥) الأوائل ١٧١، نهاية الأرب ٢١/ ٢٨٠، فوات الوفيات ٢/ ٤٠٤، الفخري ١٢٢.

الحجارة لبُخْله[1]، وأوّل مَن نَهَى عن الأمر بالمعروف، فإنّه قـال في خطبتـه بعد قْتـل ابن الزّبير: ولا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا إلّا ضربتُ عنقه[2].

انتهى المجلد الثالث

يليه المجلّد الرابع
وأوّله خلافة الوليد بن عبد الملك

(1) الأوائل ١٧٢، نهاية الأرب ٢١/٢٨٠، مآثر الإنافة ١/١٢٧، ثمار القلوب ٥٥٨ رقم ٩١٣، فوات الوفيات ٢/٤٠٣ و ٤٠٤.

(2) الأوائل ١٧٠، ١٧١، نهاية الأرب ٢١/٢٨٠.

(بعون الله وتوفيقه تمّ التصحيح والتعليق على المجلّد الثالث من الكامل في التاريخ لابن الأثير، على يد طالب العلم «عمر بن عبد السلام تدمري» الطرابلسي المولد والوطن، الأستاذ الدكتور في الجامعة اللبنانية، وذلك صباح يوم الأحد ٦ من محرّم ١٤١٦ هـ/ ٤ حزيران (يونيو) ١٩٩٥ م، بمنزله في ساحة النجمة بطرابلس الشام حرسها الله).

الفهرس العام
للمجلد الثالث من «الكامل في التاريخ»

(سنة ٤١ هـ)

(سنة ٤٢ هـ)

(سنة ٤٧ هـ)

(سنة ٤٨ هـ)

(سنة ٤٩ هـ)

(سنة ٥٠ هـ)

(سنة ٥١ هـ)

(سنة ٥٢ هـ)

(سنة ٥٣ هـ)

(سنة ٥٤ هـ)

(سنة ٥٥ هـ)

(سنة ٥٦ هـ)

(سنة ٥٧ هـ)

(سنة ٥٨ هـ)

(سنة ٥٩ هـ)

(سنة ٦٠ هـ)

(سنة ٦١ هـ)

(سنة ٦٢ هـ)

(سنة ٦٣ هـ)

(سنة ٦٤ هـ)

(سنة ٦٥ هـ)

(سنة ٦٦ هـ)

(سنة ٧٣ هـ)

(سنة ٧٤ هـ)

(سنة ٧٥ هـ)

(سنة ٧٦ هـ)

(سنة ٧٧ هـ)

(سنة ٧٨ هـ)

(سنة ٧٩ هـ)

(سنة ٨٠ هـ)

(سنة ٨١ هـ)

(سنة ٨٢ هـ)

(سنة ٨٦ هـ)